



مجلة العلوم الإجتماعية

Journal of Social Science

دورية دولية علمية محكمة تصدر عن المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الإستراتجية والسياسية والإقتصادية ألمانيا - برلين

العدد 04 جوان 2018



V.R33616
ISSN 2568-6739



المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتحية والسياسية والإقتصادية
برلين-ألمانيا
ISSN 2568-6739 V.R33616

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتجية والسياسية والاقتصادية

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

الإيداع القانوني V.R33616

ISSN 2568-6739

جوان 2018

الـــعــدد الرابع (04)

مجلة العلوم الاجتماعية

دورية دولية علمية محكمة

تصدر من ألمانيا- برلين- عن المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية

الهيئة العلمية والاستشارية.

شروط النشر:

مجلة العلوم الاجتماعية مجلة دولية علمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث في ميدان العلوم الاجتماعية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

- أن تكون المادة المرسلة للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى ويقدم الباحث إقرارا بذلك.
- أن يكون المقال في حدود 20 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور.
- أن يتبع المؤلف الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس وإحترام الأمانة العلمية في تهميش المراجع والمصادر.
- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال باللغة العربية وترجمة لعنوان المقال باللغة الإنجليزية، كما تتضمن اسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة للملخصين مجتمعين،(حيث لا يزيد عدد أسطر الملخص الواحد عن 10 أسطر بخط simplified Arabic 12 للملخص العربي و Times New Roman 12 للملخص باللغة الانجليزية)، أحدهما بلغة المقال والثاني باللغة الانجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.
- تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع simplified Arabic مقاسه 12 بمسافة 1.00 بين الأسطر، بالنسبة للعناوين تكون Gras، أما عنوان المقال يكون مقاسه 14.
- هوامش الصفحة أعلى 2 وأسفل 2 وأيمن 2 وأيسر 3 ، رأس الورقة 1.5، أسفل الورقة 1.25 حجم الورقة مخصص(16 23.5X).
- يجب أن يكون المقال خاليا من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية قدر الإمكان.
- بالنسبة للدراسات الميدانية ينبغي احترام المنهجية المعروفة كاستعراض المشكلة، والإجراءات المنهجية للدراسة، وما يتعلق بالمنهج والعينة وأدوات الدراسة والأساليب الإحصائية وعرض النتائج ومناقشتها.
- تتبنى المجلة نظام توثيق الرابطة الأمريكية لعلم النفس.(APA)، ويشار إلى المراجع داخل المتن بذكر الاسم الكامل للمؤلف ثم سنة النشر والصفحة بين قوسين، أو ذكر الإسم الكامل للمؤلف، السنة بين قوسين.
- يشار إلى ذكر قائمة المراجع في نهاية البحث وترتيبها هجائيا وفق نظام الرابطة الأمريكية لعلم النفس، المؤلف(السنة) ، عنوان الكتاب؟، ط(الطبعة إن وجدت)، دار النشر، مكان النشر، البلد، أما المقال: للمؤلف(السنة)، عنوان المقال، المجلة، م(المجلد)، ع(العدد)، مصدر المجلة(الجامعة أو المخبر مثلا)، مكان النشر، البلد.
- المقالات المرسلة لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.
- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.
- يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:

sciences@democraticac.de

كلمة العدد

تعود مرة أخرى مجلة العلوم الإجتماعية للصدور في عددها الرابع الذي جاء متميزا بمقالاته المتنوعة والمختلفة في شتى حقول العلوم الإجتماعية لتؤكد مرة أخرى عزمها الإستمرارية بخطى ثابتة نحو الرقي بالبحث العلمي وهو الهدف المنشود من أول ظهور لها.

إن مجلة العلوم الاجتماعية اليوم تراهن على جودة المقالات وتنوع الأقلام البحثية والمقاربات المعرفية والمنهجية في سبيل المساهمة في وضع أسس للبناء العلمي في ظل ما تتميز به الساحة العلمية من تطورات حاصلة تؤكد ذاك الإنفتاح على مختلف العلوم في ظل تكامل العلوم وتظافرها نحو خدمة الإنسان أينما كان.

وفي هذا المقام العلمي نقف وقفة إحترام أمام جميع الباحثين المساهمين في النشر ضمن أعداد المجلة ولعل غزارة المقالات والبحوث التي تأتينا خير دليل على الثقة التي يضعها فينا الباحثين والأكاديميين من جهة، وكذلك النضج العلمي الذي وصلته المجلة خاصة وأنها تسير نحو الأمام بسواعد هيئتيها التحريرية والعلمية، بالرغم من كثرة الإلتزامات والمسؤوليات التي تقع على عاتقنا إلا أننا أبينا إلا أن نقطع عهدا قد تعهدنا به لجل الباحثين بالتميز الذي هو منهاجنا الأساسي.

وفي إنتظار صدور أعداد قادمة بحول الله نسعد دائما بإستقبال مقالاتكم وبحوثكم العلمية المتميزة التي نرجوا أن تقدم ولو إضافة طفيفة في المجتمع المعرفي وهو الهدف المنشود منذ تأسيس المجلة، وإذ نتمنى التوفيق لكل الباحثين فإننا نشكر كل الأساتذة الذين ساهموا في تحكيم أعداد المجلة والذي بذلو وقتهم وجهدهم من أجل أن ترى المجلة النور مرة أخرى.

د. بحري صابر
رئيس التحرير

مجلة العلوم الاجتماعية

المركز الديمقراطي العربي، العدد 04 جوان 2018

فهرس المحتويات

صفحة

الما بعد كأفق للتعايش الديني السياسي (قراءة في مفهوم ما بعد الاسلاموية عند آصف بيات)

The post- Horizon of religious- Political coexistence(Reading in the post-Islamic concept of Asif Bayat)

أ.أحمد باحمد، جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان-الجزائر

ملخص: يعتبر مفهوم المابعد من بين المفاهيم الجديدة التي اشتغل عليها الفكر الفلسفي المعاصر، والمابعد هو مراجعة لحدث ما موضوع ما، فكرة ترسخت وتجسدت في الحاضنة الثقافية والاجتماعية، في المقابل كذلك هو ليس عودة إلى الما قبل، فمصطلح ما بعد الحداثة ليس المقصود منه العودة إلى زمن ما قبل الحداثة، إنه بدء جديد (رؤية جديدة) وليس قطيعة أو نهاية فكرة وبدأ فكرة مناقضة لها، وفي دراستنا هذه ارتأينا أن نعالج مفهوم مابعد الإسلاموية لصاحبه "آصف بيات"، وأول ما ظهر هذا المفهوم سنة 1995 عندما كتب "آصف بيات" مقالة بعنوان "المجتمع مابعد الإسلاموي القادم"، يعالج فيها تطور الحركات الإسلاموية في العالم الإسلامي، والبحث في الكيفية التي من خلالها تستوعب الجماعات الدينية (الإسلاموية) الاليات الديمقراطية.

الكلمات المفتاحية: السياسي، الديني، التعايش، الديمقراطية، مابعد الاسلاموية.

Abstract: The concept of distance is 0ne of the new concepts that occupied the contemporary philosophical thought, and beyond is a review of an event a subject I thought was established and embodied in the incubator cultural and social, in return is also not a return to the post modernism is not intended to return to pre-modernity is a new beginning, not a rupture or the end an idea.

The first concept emerged in 1995 when Asif Beyat wrote an article entitled: Th Next post-Islamic Society, which deals with the development of Islamic movements in the Islamic world, and research on how through which religious groups Islamism accommodate democratic mechanisms.

Keywords: Political, Religious, Post-Islamism, Coexistence, Democracy.

مقدمة:

يعتبر مفهوم المابعد من بين المفاهيم الجديدة التي إشتعل عليها الفكر الفلسفي المعاصر، والمابعد هو مراجعة لحدث ما موضوع ما، فكرة ترسخت وتجسدت في الحاضنة الثقافية والاجتماعية، في المقابل كذلك هو ليس عودة إلى الما قبل، فمصطلح ما بعد الحداثة ليس المقصود منه العودة إلى زمن ما قبل الحداثة، إنه بدء جديد (رؤية جديدة) وليس قطيعة أو نهاية فكرة وبدأ فكرة مناقضة لها، المابعد أخذ وعطاء، مراجعة ومجاوزة، «ومن صفات المجاوزة وأفعالها تموضع المولود المتجدد في منطقة وسطى ينبني نظامها على الوصل والفصل من دون إقصاء أو إبطال، فالفصل شرط للتجاوز، والوصل ضروري للإستمداد بما تقدم فعله وحضوره»(محمود حيدر، 2017، ص09)، الما بعد اتصال وانفصال ديمومة واستمرارية.

وفي دراستنا هذه إرتأينا أن نعالج مفهوم ما بعد الإسلاموية لصاحبه "آصف بيات"، وأول ما ظهر هذا المفهوم سنة 1995 عندما كتب "آصف بيات" مقالة بعنوان "المجتمع ما بعد الإسلاموي القادم"، يعالج فيها تطور الحركات الإسلاموية في العالم الإسلامي، والبحث في الكيفية التي من خلالها تستوعب الجماعات الدينية (الإسلاموية) الآليات الديمقراطية.

ولكي نلم بالموضوع من جوانب عدة قسمنا بحثنا هذا إلى أربعة عناصر أساسية تمكننا في نهاية المطاف من الإحاطة بفكرة المجتمعات ما بعد الاسلاموية عند صاحبها آصف بيات.

1. واقع المجتمعات العربية الاسلامية

إن منطقتنا العربية تعيش حالة من اللا إستقرار يخيم عليها الحزن، هذا بالرغم من الإمكانات البشرية والمادية التي تتوفر عليها، والتي تثير الكثير من التساؤل والاستفسار، هذه المعادلة الغريبة التي تقول أن أكبر رؤوس الأموال متواجدة في المنطقة العربية، وأن الموارد الطبيعية والطاقات البشرية لقيام أي حضارة فكرية مادية، واقتصاد قوي هي تحت أقدام الفرد العربي، وفي الوقت نفسه نجد أن معدل دخل الإنسان العربي مجتمعا هو الأقل في العالم!.

فبينما تنفق الدول الأخرى أموالها في محاربة الفقر والجوع، وفي مجالي الصحة والتعليم، وتشجيع البحث العلمي والسهر على رفاهية مواطنيها، نجد أن معظم الدول العربية يحتل فيها الإنفاق العسكري معدلات قياسية، إنفاق لا يقوم على الإنتاج بقدر ما يعتمد على الاستيراد، وهاجس الإنفاق هذا موجه بالأساس إلى التهديدات الداخلية والجار القريب(دينيا لغويا عرقيا)لا البعيد.

إن الفرد العربي في إعتقاد "بيات" وقع بين مطرقتي النظام والمعارضة، فالنظام يحتكر السلطة والنفوذ ويكبح أي محاولة جادة نحو الحرية والعيش الكريم والديمقراطية، بينما المعارضة الوحيدة التي يمكن أن تزحزح عرش النظام هي معارضة تحمل أفكار ايديولوجيا بعيدة عن الواقع، تتبنى في كثير من الأحيان العنف كسبيل وحيد للتغير وتنظر إلى المعايير الكونية (الديمقراطية، الحريات) كتهديد للبناء الاجتماعي لدى الفرد العربي.

إن عدم فتح المجال للحريات والممارسة السياسية وممارسة الضغط، ساهم إما في عزوف الأفراد عن الممارسة السياسية مؤقتا، أو تبني العمل السري، الذي غالبا ما كان ذا طابع عدواني تخريبي، «فالجماعة الاسلامية في مصر وجبهة الإنقاذ الاسلامي في الجزائر لجأت كل هذه

الحركات إلى النزعة الثورية التخريبية، بسبب عدم وجود فعل سياسي شرعي ومفتوح. والحقيقة المرة بهذا النوع من الحركات المنشقة، هي أنها تنتج وتنشر ممارسات غير ديمقراطية»(آصف بيات، 2014، ص37)، ومصدر الخلل يكمن في غياب أي فعل للتواصل الحر والشفاف، بين من يمتلك القوة والسيطرة الفعلية وبين من يعمل متخفيا ومتسترا، في إنتظار لحظة الانقضاض على الحكم والاستئثار به كما استأثر به منافسه، ولقد ساهم فقدان الأمل هذا في إعتقاد الكثير على أن التغيير إن لم يأتي من الخارج فلن يأتي من الداخل(جماعات الضغط الداخلية عاجزة) ذلك أن المنطقة الوحيدة في العالم التي شهدت وتشهد تدخلات من الخارج هي المنطقة العربية، والسبب يكمن في هشاشة الأنظمة العربية التي تحتكم إلى منطق الأبوة الذي يرفض أي وجهة نظر أخرى، ما لم تساهم في تكريس هذا المنطق، وللحفاظ على السلطة لا ضرر من تحمل بعض الضغوطات الخارجية، ولو كانت على حساب الفرد والمواطن العربي.

ويذهب "آصف بيات" إلى أن معظم الدول العربية التسلطية، لها علاقات قوية ومتشابكة مع الغرب إستطاعت من خلالها أن «تتحدى الصيحات المستمرة للتحول الديمقراطي والمحاسبية، وقد أدى هذا المسار التاريخي إلى ظهور حركات معارضة، سيطرة عليها الجماعات السياسية الدينية (الاسلامية) تلك التي كشفت هي عن نفسها عن أساليب غير ديمقراطية واستبعادية وعنيفة »(آصف بيات، 2014، ص70)، وبين خيارين أحلاهما مر، ترسخت لدى الكثير من النخب على أن العالم العربي يمثل الاستثناء، وأن أي تغيير غير ممكن ما لم تتدخل قوة خارجية ترجح كفة طرف على حساب آخر(الربيع العربي، غزو العراق ، حكم طالبان)، التغيير العنيف والجذري الذي «يتسم باللاأخلاقية كما أنه يؤدي إلى انتشار العنف والفوضى، فضلا على أنه يحط من كرامة البشر»(آصف بيات، 2014، ص71)، في حين يذهب "بيات" إلى أن بوادر التغيير من الداخل ما زالت موجودة في الفرد العربي بالرغم من المطبات الداخلية والخارجية المتجسدة في التحالف الغريب والمفارق(الأنظمة التسلطية والامبريالية العالمية) التي تعمل ليل نهار على كبح أي محاولة لتحرر الفرد العربي وإحداث تحول اجتماعي وسياسي متفق عليه.

2. الزحف الهادئ وسياسة لفت الانتباه

يرى "بيات" أن السياسة الفعلية هي تلك التي يكون منشأها الشارع، ذلك أن الفعل السياسي ينبع من الواقع الإجتماعي للأفراد، من الدوائر الحضرية، من المقاهي، من المعاهد والكليات، من الفضاء العمومي الذي هو مسرح النقاشات اليومية السياسية(الشارع السياسي يتمظهر في المدن الحضارية المختلطة الاجناس والأعراق)، هاته الرقابة التي يمارسها الشارع هي أكبر تهديد للسلطة لأنها تعبير عن عدم الرضا، إلا أن الشارع العربي لم ينضج بعد لكي يتمكن من بلورة خطاب سياسي موحد، لا يزال الشارع السياسي العربي ينتج خطاب سياسي طائفي قومي عرقي، لكن وبالرغم من ذلك لا يزال بمقدور الشارع أن يلعب دورا محوريا في عملية التغيير، والتغيير الذي نتحدث عنه ليس ذلك الذي يأتي فجأة أو كلي، إنما تغيير بطيء تدريجي ينطلق من الواقع المعاش، خليط من الأفراد لا تربطهم توجهات إيديولوجية أو دينية بحد ذاتها.

هذا النموذج من الفاعلية الاجتماعية هو ما يطلق عليه "بيات" اللا حركية الاجتماعية والتي «تشير بشكل عام إلى الأفعال الجمعية لفاعلين غير جمعيين، فهم يجسدون ممارسات مشتركة لأعداد كبيرة من الناس العاديين الذين تؤدى أنشطتهم المتشابهة والمتفرقة في الوقت نفسه إلى إحداث تغيير اجتماعي كبير، حتى وإن لم تكن هذه الممارسات موجهة بأيديولوجية أو بقيادات معترف بها أو بتنظيمات»(آصف بيات، 2014، ص44)، وتكمن ميزة وقوة اللا حركية

الاجتماعية في أنها تشير إلى شكل من أشكال الاتصال التلقائي بين الأفراد الذين لا تربط بينهم رابطة، ويعمل الشارع على إيجادها والاعتراف بها من خلال التشابه بغض النظر أكانوا في تواصل أم لا (يظهر هذا في اللباس، السلوك الجمعي، النقاشات)، أما مصدر القوة فيتجلى في هاته القاعدة الجماهيرية المتناثرة هنا وهناك، والتي يصعب على أي قوة أخرى أن تقضي عليها، فهي ليست نظام هيكلي حتى يسهل القضاء عليها، فهي تمتاز عن الحركات الاجتماعية في كونها:

- تتوجه بالفعل وليس بالأيديولوجية، وهي تكون هادئة بشكل كبير، وتبتعد عن الانتشار الضوضائي مادامت المطالب التي تظهر هنا تكون مطالب فردية وليست مطالب معبرة عن جماعات مترابطة.
- ليست سياسة للاعتراض، ولكنها سياسة ممارسة التغير عبر أفعال مباشرة ومتنوعة.
- على عكس الحركات الاجتماعية التي تعمل على شحن الافراد بأفكار مذهبية عن طريق الاجتماعات فإن اللا حركية تختلط بالممارسات العادية للحياة اليومية.
- هذه الممارسات لا تنجز بواسطة قلة قليلة من الأفراد المهمشين، بقدر ما هي ممارسات يومية شائعة ينجزها ملايين من البشر بغض النظر عن مكان تواجدهم(آصف بيات، 2014، ص54-55).

إذا كان هذا هو حال اللا حركية الاجتماعية(ممارسات يومية شائعة ينجزها ملايين البشر) فكيف ننظر إلى الفقراء المهمشين؟ هل هم سلبيون؟ يشكلون عقبة في مسار إذهار الحياة وتطورها، باعتبار أن نضالهم يكمن في سد حاجاتهم البيولوجية من مأكل مشرب، هل همهم يكمن في البقاء؟ إتباع استراتيجية البقاء وعدم الاتكال على أي أحد، حتى ولو تطلب الأمر القيام بأفعال إجرامية وغير أخلاقية (السرقة الدعارة، التسول، الهجرة) هل يتبعون نموذج المقاومة في الحياة اليومية(كتعبير عن الرفض للواقع)؟ هل يتبعون نموذج الحركة الحضري الإقليمية؟ بمعنى ليسو مهمشين بقدر ما هم يشكلون نسيج اجتماعي داخل حيز معين يقوم على التكاتف والتضامن والقدرة على الفعل.

إن النضالات السياسية اللا حركية(الجماعات الحضرية المهمشة، بائع على أرصفة عمال موسميون، الفئات المحرومة الغير منظمة) تجسد ما يطلق عليه بيات "الزحف الهادئ" الذي يشير إلى «الافعال غير الجمعية المباشرة، والتي تتسم بالنفس الطويل لأفراد وأسر متفرقين أثناء سعيهم لسد حاجاتهم الضرورية، وذلك بطريقة غير قانونية هادئة»(آصف بيات، 2014، ص100)، ويتجسد هذا في:

- احتلال الفضاء العام (الباعة المتجولون، إفتراش أرصفة الشوارع ، التسول، البناء على أطراف المدن، احتكار حيز معين في الشارع لركن السيارات)
- الزحف نحو الحداثة (الهجرة من الجنوب إلى الشمال، من الريف إلى المدينة موجات اللجوء)

وبالنسبة "لبيات" فإن كل هذه الأفعال تبتغي البقاء وتحسين الحياة، إنها «صور من النضال السطحي أو المفتوح دون وجود قيادة أو ايديولوجية أو تنظيم محدد المعالم، وبينما لا يمكن النظر إلى الزحف الهادئ على انه حركة اجتماعية، فإنه يتميز أيضا عن استراتيجيات البقاء أو المقاومة اليومية في: أولا يعد النضال والمكاسب التي يحصل عليها الفاعلون نضالات ومكاسب لا تؤخذ على حساب الفقراء من أبناء جلدتهم ولا على حساب أنفسهم(كما هو الحال في استراتيجيات البقاء) ولكنها تؤخذ على حساب الدولة والأغنياء والأقوياء»(آصف بيات، 2014، ص121)، لتحسين حياة البسطاء، ثانيا هي أفعال غير قانونية، لكنها ضرورية للبقاء ولفت الانتباه، نضال

فردي هادئ وبطيء، «وهي كلما تحركت على هذا النحو، اتخذ الدفاع عن المكاسب شكلا جمعيا ومسموعا»(آصف بيات، 2014، ص125)، يخلق سجالات سياسية واجتماعية وأكاديمية، فحتمية الصراع بين الفئات المهمشة الزاحفة والدولة أمر لا مفر منه، ففي مرحلة ما تضطر الدولة إلى حصر وضبط وفرض القانون على المناطق التي ليس لها فيها نفوذ (بناء مراكز شرطية، فرض تسعيرات الكهرباء والماء والغاز) حتى عملية الترحيل من البيوت القصديرية الى بيوت جديدة ينبغي النظر اليها على أساس أنها محاولة لهيكلة الأمور وضبطها .

هذا الصراع هو الذي يحول الفعل الهادف البطيء إلى فعل سياسي يكون الشارع المسرح المجسد له، تتحكم فيه عوامل عدة هي:

- إستخدام المكان العام موقعا للتنافس بين الفاعلين والسلطات:. تعمل السلطة على وضع قوانين تحدد كيفية التحرك في المكان العام (حدائق، أسواق) وتتوقع من المستخدمين (الفاعلين) الانصياغ إلى القانون والنظام المحدد لكيفية الاستفادة، واستخدام المكان العام «على نحو سلبي ، ويأتي هذا الاستخدام الايجابي ليشكل تحديا أمام سلطة الدولة وأمام الجماعات الاجتماعية التي تستفيد من مثل هذا النظام»(آصف بيات، 2014، ص135).

- شبكة العلاقات السلبية: "تقوم بين الأفراد الذين يستخدمون المكان العام ويشغلونه" ويقصد بها "بيات" نوع من «الاتصال التلقائي بين الأفراد المتفرقين، والتي يتم إنشاؤها عبر إدراك ضمني (خفي) لهويتهم المشتركة، والتي يتم التعبير عنها عبر الحيز المكاني الواقعي والافتراضي»(آصف بيات، 2014، ص135)، وإذا كان الأفراد في احتلالهم للمكان العام يتبعون استراتيجيات أحادية، فإن أي تهديد من قَبيل هدم البناءات العشوائية أو القضاء على الأسواق الموازية يساهم في بلورة حراك يهدف إلى نصرة بعضهم البعض برغم عدم معرفتهم بعضهم البعض.

هذا التغيير في الفعل هو الذي يجعل اللا حركية الاجتماعية تتحول إلى حركة إجتماعية، وفي العالم العربي الذي عوض هذه الحركات الاجتماعية(التي انتشرت بشكل واضح في أمريكا اللاتينية) هي الحركات الإسلاموية التي نظرت إلى الطبقة المتوسطة على أنها المعول الأساس لأي تغيير اجتماعي.

3. الحركات الاسلاموية وسياسة ملئ الفراغ

لقد ساهمت أحداث 11سبتمبر والهجمة الإعلامية الغربية على الإسلام وما صاحبها من غزو العراق في بلورة وعي سياسي مجتمعي عربي، بالرغم من إستمرار«النظم السياسية في كبح الاحتجاج السياسي، ومع ذلك فإن جانبا كبيرا من طاقة هذا الحراك قد استنفذت في أنشطة ذات نزعة قومية أو ذات نزعة معادية للاستعمار وذلك على حساب النضال من أجل الديمقراطية في الداخل»(آصف بيات، 2014، ص43)، ولعل الحركات الاسلاموية هي التي إستطاعت أن تكتسب حضور قوي في الأوساط الاجتماعية، والسؤال الذي يطرح هو: كيف إستطاعت هذه الحركات أن تكتسب زخمها في الأوساط الإجتماعية، وأن تكون البديل للحركات الاجتماعية الحضرية؟

إن إخفاق الخطاب القومي الممزوج بالتوجه الاشتراكي (العلماني) ونكسة أكتوبر (حرب الستة أيام)، عجل بظهور التيارات الدينية المناوئة، ودخولها في صراع مع الأنظمة التسلطية مع كسب حاضنة جماهيرية كبيرة، إخترقت الحدود الجغرافية للدول، وتعزز أكثر لما تبنت الحركات

الدينية الإسلاموية الخطاب النضالي للطبقات المحرومة، فقد ساهم تقديم يد العون والمساعدة للطبقات المحرومة من خلال شبكة من الجمعيات الخيرية والأهلية التي تسهر على تقديم الرعاية الصحية للفقراء، وخلق فرص للتشغيل، وإنشاء مشاريع اقتصادية مصغرة، في زرع الأفكار التي تبتغيها هذه الحركات في شرائح عدة ومعتبرة من المجتمع.

فالحركات الاسلاموية مزجت بين العمل الخيري الجمعوي والعمل السياسي، بل إنها في كثير من الأوقات تستغل الأنشطة الاجتماعية لمآرب سياسية (الاسلام السياسي)، والسياسة التي تروج لها هي السياسة الدينية السياسة تنبع من الدين، الأخلاق من الدين، الاقتصاد من الدين، القانون من الدين، الإسلام باعتباره المرجعية لأي حكم، التأسيس للحكومات الدينية بدل المدنية، بالمحصلة إقصاء الآخر المختلف طائفيا (الاحتكام إلى الطائفية بدل الدين) دينيا، غلق الباب لأي بادرة للتعايش والتشارك مع الأقليات، «إن صور الإحتكار الأيديولوجي تعوق عملية التحول الديمقراطي التعددي وتحبط الاطار المرجعي التشاركي الذي يعد ضروريا لتحقيق تنمية اجتماعية مستدامة» (آصف بيات، 2014، ص175).

إن الأنشطة الخيرية للحركات الإسلاموية تفوق بكثير ما تقوم به الحركات الأخرى، بل إنها في كثير من الاحيان تنافس أنشطة الدولة، وهذا ما مكنها من بسط نفوذها على الفضاء العمومي السياسي. «فقد تناوبت الطرق الدينية التركية بعضها مع البعض الآخر في تقديم انشطة محلية من خلال المساجد والروابط الخاصة بها، أما الأزهر وهو العمود الفقري الديني المستقر في مصر، فقد بدا في تقديم خدمات اجتماعية للمحتاجين في منافسة مع تنظيم الاخوان المسلمين والجماعة الاسلامية »(آصف بيات، 2014، ص170)، فحركة الإخوان استطاعت أن تتصدر المشهد الإنتخابي في مصر وتونس، والمغرب، بعد الثورات العربية، نظرا للقاعدة الجماهيرية الكبيرة التي تمتلكها، وهي قاعدة تستمدها من الأرياف ومن الطبقات الاجتماعية المتوسطة والفقيرة، التي تتلقى يد العون والمساعدة من الهياكل القاعدية لهاته الحركة، ومن الجمعيات الخيرية المنضوية فكريا تحت لوائها.

انطلاقا من هذا يتساءل "بيات «إلى أي مدى تمثل الحركة الاسلامية نموذجا للحركات الاجتماعية الحضرية في الشرق الأوسط؟ وإلى أي مدى تجسد النزعة الإسلاموية النشاطية السياسية للفقراء في المجتمعات المحلية أو تجمعات العمل؟»(آصف بيات، 2014، ص171).

إن الحركات الإسلاموية في رأي "بيات" قد تكون حركة اجتماعية، نظرا للخدمات الاجتماعية التي تقدمها للفقراء المهمشين، إلى أنها ليست حركة اجتماعية حضرية، ذلك أن «للحركات الاسلامية أهدافا أوسع من مجرد التركيز على مطالب المحرومين»(آصف بيات، 2014، ص172)، فالعلاقات التي تنسجها هذه الحركات لا تقتصر على الطبقة الفقيرة بل تتعداها إلى الطبقات الأخرى، والطبقة المتوسطة هي الأساس الذي ترتكز عليه هذه الحركات، ومن خلالها تستطيع أن تحرك الشارع وأن توجهه للأهداف التي تبتغيها، كما أن تعامل الفقراء في البلدان الاسلامية مع هذه الحركات هو تعامل برغماتي، «فالكثيرون من أولئك الذين لا يملكون تعامل مباشر مع أنصار الجماعات الاسلامية يظلون على حالة من الاضطراب في نواياهم، أما الآخرون الذين يستفيدون من أنشطتهم فإنهم يبدون قدرا من تقدير جهودهم وفهمها»(آصف بيات، 2014، ص175)، ويتجلى ذلك في العملية الانتخابية بحيث تكون القاعدة الجماهيرية لهذه الحركات مستمدة من الأرياف والقرى.

وإذا كانت المنطقة العربية تعاني اخفاق ديمقراطي، وتذهب الكثير من الدراسات إلى أن الإسلام عامل أساس في هذا الإخفاق، باعتبار أن معظم علماء الإسلام يرفضون ويتهجمون على قيم المواطنة والتعايش وكل ما هو غربي، بحجة أن الإسلام فيه خبر الأولين والآخرين مما يستلزم تبعية الحكم المدني للحكم الإلهي، إلا أن هذا القول لا يسري على غالبية المسلمين، الذين يتبنون الرؤية التي ترى في الإسلام دين إنساني، يكرس لكرامة الإنسان وحريته(الحرية مناط التكليف)، ضف إلى ذلك أن الاخفاق الديمقراطي لا يرجع بالأساس إلى المنطلق الديني، فجل الأنظمة العربية التسلطية الغير ديمقراطية، لا تتبنى توجه ديني وإنما تقف مناوئة للدين، ويذهب "بيات" إلى أن الإشكال لا يكمن في كون الإسلام يستوعب الخطاب التحرري التشاركي من عدمه، «ولكنها ترتبط بالطريقة أو الظروف التي يستطيع من خلالها أن يجعلوا الإسلام يستوعب الاخلاق الديمقراطية، فليس هناك من خصائص داخلية في الاسلام -أو في أي ديانة أخرى- تجعله ديمقراطيا أو غير ديمقراطي أو تجعله سلميا أو عنيفا. إن ذلك يعتمد على الطرق المعقدة التي يفهم بها صاحب العقيدة عقائده»(آصف بيات، 2014، ص478).

وإذا كانت الأصولية الاسلاموية هي حديث الساعة في الدوائر الفكرية والأكاديمية نظرا للخطاب الذي تروج له القائم على معاداة كل ماهو إنساني مشترك وتبني الفكر الأحادي المنغلق غلق المجال لأي توجه يصبوا إلى تقليص الفجوة بين الإسلام والممارسة الديمقراطية. فإن "بيات" ومن خلال تتبعه للمراحل التي مرت بها بعض المجتمعات الاسلامية(إيران تركيا اندونيسيا تونس المغرب) يرى أن الحركات والأحزاب الاسلامية داخل هذه الدول إستطاعت أن تجدد خطابها السياسي بما يتواكب مع تطلعات شعوبها وبما يتماشى مع القيم الانسانية المشتركة(الحرية الكرامة الديمقراطية)، وهو ما يطلق عليه "بيات" مجتمعات ما بعد الإسلاموية.

4. ما بعد الإسلاموية والتأسيس لفكرة المؤمن الديمقراطي

إن مقولة "ما بعد الإسلاموية" لا تحيل إلى النهاية التاريخية للإسلاموية، وليست هي عودة إلى ما قبل الإسلام، بقدر ما تحيل إلى مرحلة جديدة من مراحل تطور الخطاب الإسلامي بما يتلاءم مع مستجدات الواقع فبالنسبة "لبيات" ما بعد الاسلاموية تمثل "ظرفا ومشروع" ظرفا من ناحية كون أن النزعة الاسلاموية استهلكت جميع إمكاناتها دون أن تتمكن من بلوغ مرامها، حتى أنها فقدت تأثيرها القوي ليس على الجماهير الغفيرة فحسب، بل حتى على أتباعها ومناصريها، الالتفات إلى نقاط الضعف ومحاولة معالجتها وهي مشروع لأنها تبحث في الآليات التي من خلالها تواكب مستجدات الحاضر وتتأقلم معها من خلال الالتفات إلى القضايا الأساسية التي تشغل بال المواطن(تحسين الظروف المعيشية، الحرية، الكرامة، التداول على السلطة)، إنه مشروع لدمج الاسلاموية في «المجالات الاجتماعية والسياسية والفكرية، جنبا إلى جنب مع الاستراتيجيات المتصلة بذلك، وعلى هذا النحو فإنها ليست معادية للإسلام أو غير إسلامية أو علمانية، فما بعد الإسلاموية ظهرت عبر التناقضات والعثرات التي تعرضت لها السياسة الإسلاموية منذ بداية التسعينيات»(آصف بيات، 2014، ص481)، ما بعد الاسلاموية قطيعة للسياسات الاسلاموية القديمة تبتغي تحرر الإنسان المسلم، قطيعة ليس بمفهوم القطيعة التاريخية عن الإرث الإسلامي، وفك الإرتباط بين الواقع الاجتماعي والسياسي وبين الإسلام.

في إجابته عن السؤال الذي غالبا ما يطرح في الدوائر الأكاديمية والسياسية حول علاقة الاسلام بالديمقراطية يقول بيات «استنتجت أنه في حين كانت الاسلاموية باعتبارها تعبئة للإسلام في المشروع السياسي الساعي نحو تأسيس دولة إسلامية، غير قادرة على إحتضان نظام

ديمقراطي على الأرجح، فإن مابعد الإسلاموية قادرة على هذا وقامت به بالفعل»(آصف بيات، 2016، ص12)، وهنا يظهر الفرق بين الجبهة الاسلامية للإنقاذ في الجزائر التي تبنت مشروع الدولة الإسلامية، وبين الأحزاب الأخرى ذات التوجه الاسلامي في بلدان أخرى، التي آمنت بمدنية الدولة والتداول السلمي على السلطة(تركيا، اندونيسيا، ماليزيا)، «فعلى العكس من السياسات الإسلاموية التي تؤكد على واجبات المواطنين، فإن مابعد الاسلاموية تؤكد على دمج التدين والحقوق، والايمان والحرية، والإسلام والتحرر. إنها محاولة لتجاوز الاسلاموية في مجتمع تقي صالح في اطار دولة مدنية غير دينية»(آصف بيات، 2016، ص12).

وإذا كانت مقولة ما بعد الإسلاموية قد لقت قبول في بعض البلاد الإسلامية، فإنه في عالمنا العربي لم تجد بعد هذه المقولة الأرضية والحاضنة الجماهيرية والثقافية لها، إلا أنه وبعد موجة الثورات العربية، وما تلاها من صعود للأحزاب ذات التوجه الديني، عاد هذا المفهوم ليحتل مكانة ضمن النقاشات الأكاديمية في محاولة لتجاوز المرحلة العصيبة التي يمر بها العالم العربي المتمثلة في ظهور «الإسلاموية العنيفة التي يمثلها تنظيم داعش في سوريا والعراق، وجرائم بوكو حرام في نيجيريا، أو حركة الشباب المجاهدين في الصومال»(آصف بيات، 2016، ص10)، وفي خطاب الاسلاموفوبيا الذي تروج له الدوائر الغربية.

فبالنسبة لبيات تعتبر الثورات العربية نموذج لهذا التوجه الما بعد إسلاموي، بدليل أن الجماهير التي نزلت إلى الشوارع لم تكن تنشد قيام أنظمة ذات توجهات معينة، بقدر ما كانت تنشد الكرامة والحرية والديمقراطية، ومما يعلل ذلك أن هذه الجماهير لم تكن تنتمي إلى طيف سياسي، أو فكري، أو عقائدي بحد ذاته، بل و الأحرى من ذلك أن جل هاته الاحزاب السياسية، والتنظيمات، لم تكن الفاعل في الحشد والتعبئة، بل لم تلتحق بالشارع إلا بعد فترة من نزول الجماهير.

وإذا كانت هاته الهبات الجماهيرية في بعض البلاد العربية، قد أوصلت الاسلاميين إلى السلطة بطرق ديمقراطية لا لبس فيها، فإن هاته الأحزاب الإسلامية التي لم تكن لديها خبرة كافية بالعمل السياسي، إصطدمت بواقع إجتماعي مغاير ومخالف، ذلك أن شعار الدولة الإسلامية ذات التشريع الإسلامي الذي كانت تحمل رايته هذه التنظيمات، تقاطع مع طموحات الشباب الذي بات ينشد الحرية والديمقراطية والكرامة، وأولوية الإقتصاد والتشغيل على سائر الشعارات الأخرى.

هذا الاصطدام بين المطالب الشعبية للجماهير، والشعارات البراقة للأحزاب الإسلامية، هو ما ساهم في إعادة بلورة التوجهات الفكرية والسياسية لبعض هذه الأحزاب الإسلامية، بما يتماشى مع طموحات الجماهير من عيش كريم وحرية وكرامة، ففي حين أن التجربة الديمقراطية أجهضت في مصر لعوامل عدة ولعل من بينها هو محاولة استبدال نظام تسلطي مهيمن بنظام آخر يبتغي بدوره الهيمنة على مفاصل الدولة والانتقام، والعمل على إحداث تغيير جذري وكلي في هيكلة الدولة (ولو أنه يصعب الجزم بالحكم نظرا للفترة القصير التي قضاها الإسلاميون في الحكم إذ عادت الدولة العميقة لتستاثر بالحكم عبر إنقلاب عسكري)، فإن التجربة التونسية في الحكم المتمثلة في حركة "النهضة" والتجربة المغربية المتجسدة في حزب "العدالة والتنمية" تمثل نموذج فريد للأحزاب ذات التوجه الاسلامي التي آمنت بالشراكة السياسية وبالتداول السلمي على الحكم.

إن هذا التوجه الما بعد إسلاموي يعطينا فكرة مفادها أن الأحزاب الإسلامية بمقدورها أن تنخرط في الحياة السياسية ما دامت تؤمن بالممارسة الديمقراطية، والتداول السلمي على السلطة،

واحترام الدستور باعتباره المرجعية المشتركة الوحيدة التي يحتكم إليها، هذا الإطار هو الذي يمكن الأحزاب السياسية بتوجهاتها المتنوعة(قومية، دينية، علمانية) من ممارسة النشاط السياسي من غير أن يكون هناك توجس وخوف، بل وتساهم من موقعها في تكريس ثقافة التعدد والاختلاف باعتباره غنى لا فقر.

وإذا كنا نطالب من الأحزاب الاسلامية أن تحترم قواعد اللعبة السياسية وأن تبتعد عن نهج التكفير، فإنه في المقابل علينا أن نعترف بهذه المنزلة الإبستمية التي يحتلها الدين في فضائنا العمومي، وأن نكف عن نعت الجماعات الدينية بأنها جماعات رجعية، هذا ما فهمه "هابرماس" لما أطلق بدوره صيغة من صيغ الما بعديات سماها المجتمعات ما بعد العلمانية.

فبالنسبة "لهابرماس" لكي نتجاوز الاصطدام الذي ينجم بين المتدينين والعلمانيين بسبب القناعات المتباينة التي يحملها كل طرف، يستلزم ذلك تبني فلسفة القبول، والاعتراف المتبادل، والابتعاد عن إدعاء المطلقية والشمولية Universalité، فعلى المتدينين أن يحترموا مكانة العقل، وأن يقروا بمنزلته، وأن يسعوا قدر الإمكان، إلى أن تكون الفروض الدينية التي يقدمونها أكثر عقلانية، حتى تلقى القبول من طرف الآخر، فالإقرار بأحقية الدين في التواجد داخل الدولة الدستورية، لا يكون إلا لحظة امتناع الجماعات الدينية بطريقة اختيارية، «عن فرض حقائقها الإيمانية بالعنف، وممارسة كل ضغط نضالي على الضمير الأخلاقي عند المؤمنين، وعن الامتناع عن التلاعب بهم واستخدامهم في أعمال هجوم انتحارية»(يورغن هابرماس، 2006، ص127).

في المقابل، على الدولة العلمانية أن تقر بهذه المنزلة الابستمية التي يحتلها الدين داخل المجتمع، وأن تعمل على فتح قنوات الاتصال والحوار مع المتدينين والتي تبتدئ بالكف عن نعت الجماعات الدينية باللاعقلانية.

فمصلحة الدولة الدستورية Etat Constitutionnel تكمن، في مراعاة كل المصادر والينابيع الثقافية التي يتغذى منها "التضامن" بين الناس وينمي وعيهم بالقيم، كما أنه على الدولة الدستورية أن تقف موقف الحياد، وأن لا تتبنى موقف على حساب آخر، فحتى «عندما تدخل الادعاءات التي يقدمها العلم، وتلك التي يقدمها الإيمان في صراع، فإن الدولة بحياديتها تجاه رؤى العالم، لا تقرر موقفا مؤيدا إطلاقا لهذه الفئة أو تلك»(يورغن هابرماس، 2006، ص127)، لأن مهمتها أن تفتح المجال للحريات، والنضال لحقوق متساوية لمختلف الجماعات، سواء كانت دينية أو علمانية، فهي لا توفر «الحرية السلبية فقط من أجل رفاهية مواطنيها بل تجندهم عن طريق حرية التواصل للمشاركة في المناقشات العامة حول المواضيع التي تهم الكل»(يورغن هابرماس، 2013، ص51)، وهذا ما يزود النظرية السياسية والقانون، لتحقيق مفهوم واسع ل"مواطنة ذات الثقافة المتعددة".

هذه المواطنة تقوم داخل الدولة الدستورية على أساس، «الحس المشترك المتنور بالطموح الديمقراطي، لا يمكن أن يرتد إلى صيغة المفرد، فهو يصف التركيبة العقلية لمجتمع عام تخترقها تعددية الأصوات»(يورغن هابرماس، 2006، ص132)، وتقوم أيضا على ثقافة الفهم المشترك التي ترتكز على الإصغاء إلى الآخر المخالف، من خلال الابتعاد عن إصدار الأحكام الأحادية، لأن هذا يولد شعور لدى الآخر، بأنه قد جرح في قناعته الدينية .

فمجتمع ما بعد العلمانية الذي يدعوا إليه "هابرماس"، يسوده "التسامح الديني" تجاه المذاهب الدينية الأخرى، -لأن الأصولية في نظر "هابرماس" هي تجسيد لعدم التسامح الديني- هو مجتمع يسمح بحضور الدين في أرضه، ويسمح له كذالك بالانخراط في الحيات السياسية، شرط الابتعاد عن نهج العنف ومنطق الإكراه، لأن «التسامح الديني تجاه ما يحمله الآخرين من المعتقدات، ينشئ عموما ما يمكن تسميته بالتسامح السياسي للآخرين، الذين يفكرون بصورة مختلفة»(شيراز النجار، 2011، ص09).

إن مجتمع ما بعد الإسلاموية ومجتمع ما بعد العلمانية مجتمع لعملة واحدة، هو مجتمع يسمح بتعايش العلماني والديني في إطار سياسة الاعتراف المتبادل، ففي «المرحلة التي نحن فيها لم يعد لنا إلا الأمل لحيلة العقل وانه بات علينا أن نظهر قدرة على التفكير»(يورغن هابرماس، 2006، ص125)، تمكننا من الخروج من حالت الشك والقلق والغبن التي نعاني منها، ولا يكون ذلك إلا في مجتمع يؤمن بالتعددية الثقافية والإثنية والدينية مجتمع يحترم خصوصيات كل فئة من فئاته دون أن تستبد طائفة على الأخرى، مجتمع تلعب فيه الدولة الدستورية دور المحايدة، التي تقف على مسافة واحدة بين جميع أطيافه، والراعية للحريات والحقوق المتساوية لمختلف المجموعات المكونة لها، أما إلصاق الظلامية والرجعية لفريق معين، والتحرر والحداثة لفريق ثاني. هذا التصنيف هو الذي ساهم في إحتكار الخطاب السياسي والإعلامي، الذي يصبوا إلى إلغاء الآخر وممارسة شتى أنواع الإقصاء والتهميش.

قائمة المراجع:

1. آصف بيات(2014)، الحياة سياسة، كيف يغير بسطاء الناس الشرق الأوسط، ط1، المركز القومي للترجمة، جمهورية مصر العربية.

2. آصف بيات(2016)، ما بعد الإسلاموية الأوجه المتغيرة للإسلام السياسي، جداول، بيروت، لبنان.

3. شيرزاد النجار(نيسان 2011)، التسامح واللا تسامح في فلسفة هابرماس، مجلة تسامح، ع32، السنة التاسعة، مركز رام الله لدراسات حقوق الإنسان، فلسطين.

4. محمود حيدر(2017)، مابعد العلمانية منطق الحدث وفتنة المفهوم، مجلة الاستغراب، ع8، المركز الاسلامي للدراسات الإستراتيجية، بيروت.

5. يورغن هابرماس(2006)، مستقبل الطبيعة الإنسانية، نحو نسالة ليبرالية، المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان.

6. يورغن هابرماس، جوزف راتسنغر(2013)، جدلية العلمنة العقل والدين، ط1، يناير2013، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، الكويت.

المقاول والتحولات الاقتصادية في المغرب: دراسة سوسيولوجية

The entrepreneur and Economic Transformation in Morocco: Sociological Study

د. طارق حاري، جامعة الحسن الثاني- المغرب

ملخص: تحاول هذه الدراسة إظهار أن مفهوم المقاول(entrepreneur)، كما وضعه الاقتصاديون وعلماء الاجتماع الغربيون، ليس له نفس الدلالة في المغرب، وأن تعبئته، اجتماعيا وثقافيا، لا تعكس تغييرا عميقا في بنية الاقتصاد المغربي. ويهدف هذا العمل أيضا إلى شرح ظهور هذه الفئة من خلال قراءة سوسيولوجية للبيئة الاقتصادية التي تطورت فيها منذ استقلال المغرب سنة 1956.

الكلمات المفتاحية: المقاول، البرجوازي، الرأسمالية، السياسة الاقتصادية.

Abstract: This study attempts to show that the entrepreneur concept, as developed by Western economists and sociologists, has no significance in Morocco, and its mobilization, socially and culturally, does not reflect a profound change in the structure of the Moroccan economy. This work is also intended to explain the emergence of this category through a sociological reading of the economic environment in which it developed since the independence of Morocco in 1956.

Keywords: entrepreneur, bourgeois, capitalism, economic policy

مقدمة:

حتى نهاية التسعينات من القرن الماضي، لم يكن مصطلح "مقاول" (entrepreneur) متداولا في الأدبيات العلمية في المغرب، كانت أوصاف النخبة الاقتصادية تميز بين نوعين: من ناحية، ما يسمى البرجوازية التقليدية، ممثلة بأسر التجار في مدينة فاس، ومن ناحية أخرى، البرجوازية التابعة أو المرتبطة بالدولة والرأس المال الأجنبي في إطار "سوق الولاء" (Fekkat، 1988)، بعض المؤلفين، أكثر راديكالية، كانوا يعتبرون أن البرجوازية المغربية غير موجودة لسبب وجيه: منذ وضع السياسات الإنمائية وتنفيذها من قبل الدولة، لم تظهر البرجوازية كقوة للتغيير (laleB، 1982).

ومنذ بداية التسعينات، إضطر المغرب، الذي بدأ خطة التقويم الهيكلي منذ عام 1983 تحت ضغط من البنك العالمي وصندوق النقد الدولي، إلى تغيير مساره الاقتصادي. بعد انهيار اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وسقوط جدار برلين، بدأت حقبة جديدة، وكان المغرب، على غرار دول العالم الثالث، ملزما باعتماد "الدين الجيد" للتنمية: النيوليبرالية(Rist, 2001) .

في هذا السياق، وبشكل سريع، أخد مصطلح "مقاول" ينتشر على نطاق واسع. وقد ساهمت وسائل الإعلام، في أعقاب تطور الصحافة المتخصصة (L'Economiste, La vie Eco) إلى حد كبير في انتشار هذا المصطلح من خلال الدفاع عن المقاولة ودورها كرافعة اقتصادية، في موازاة ذلك، عرف المغرب في هده الفترة انشاء عدد من المنظمات المهنية من طرف أرباب المقاولات التي أصبحت تدافع عن مصالحها بشكل منظم (دائرة رجال الأعمال الشباب، رابطة سيدات الأعمال في المغرب، Amale Entreprises، بالإضافة إلى الكونفدرالية العامة لمقاولات المغرب)، كما أن الخطاب السياسي، المصاحب لهذا التغيير، أعطى مكانة فريدة لمصطلح "مقاول"، الذي من المفترض أن يبلور الانتقال إلى عهد جديد.

ماذا يعني هذا التغيير في المصطلحات؟ هل هو تعبير عن تحول في الاقتصاد المغربي وبروز فاعل جديد؟ سنحاول في هذه الدراسة اتباع خطى البرجوازي/ المقاول كمدخل لفهم وشرح التحولات التي شهدها المغرب في العقود الأخيرة على المستوى الاقتصادي والمحددات السياسية لهدا التحول.

أولا. مفهوم المقاول بين النظرية والتطبيق

في تاريخ الفكر الاقتصادي، يعتبر ريتشارد كانتيلون هو أول من عالج نظريا مفهوم المقاول. في كتابه "مقال عن طبيعة التجارة بشكل عام"(كانتيلون، 1952)، الذي كتب بين 1716 و1734 ونشر في عام 1755، كان أول من حدد ملامح المقاول، مكانه الاجتماعي ووظيفته. قام المؤلف بتقسيم سوسيو إقتصادي للمجتمع من خلال تحديد ثلاث فئات من الفاعلين: المالكين الذين يعيشون في الاستقلال المالي والمزارعين والمقاولين، في هذه الفئة الأخيرة نجد مجموعة غير متجانسة تجمع التجار، الجزارين، الخبازين، المصنعين والمحامين، يصف كانتيلون المقاول كمدير للإنتاج والتجارة الذي يتحمل وحده المخاطر المرتبطة بالسوق وتقلبات الأسعار، ويقوم مقاول كانتيلون بشراء مشتريات بأسعار معينة للحصول على جميع الموارد اللازمة لإنتاجه، لكن تبقى المبيعات والايرادات غير مضمونة، مما يجعل توقع الربح غير مؤكد، ومع ذلك، فإن كانتيلون يعطي صاحب المشروع خاصية توقع المخاطر من خلال التنبؤ بسلوك المستهلكين واستباق قرارات الشراء لتحديد مستويات أسعار مناسبة لبضائعه، والتي يمكن أن يقبلها المشترون. ولذلك فإن تقييم حالة السوق هو عمل أساسي يعتمد كثيرا على تجربته الشخصية (elloyaF ,senuoT,2006) ساي (1892-1813) ركز في نظريته على خاصية تدبير الموارد، من خلال خبرته كصناعي ومصرفي، يقول ساي أن المقاول ينظم وينسق ويوجه ويتحكم في عوامل الإنتاج، لخلق منتجات

ذات فائدة مثلى مثل كانتيون، يثيرساي مسألة عدم اليقين ويؤكد وجود المخاطر والفشل المحتمل، والتي يمكن أن تصاحب أصحاب المشاريع الصناعية، حتى لو كانت إدارة الشركات ناجحة، وبالتالي، يمكن لصاحب المشروع أن يضع ثروته في خطر، ويخاطر بسمعته وعدم الوفاء بالتزاماته في حالة الإفلاس (فان كايلي، لامبريشت، 1995)، يقول ساي أن الخاصية الرئيسية للمقاول الناجح هي القراءة الجيدة للأحداث والقدرة على تقييمها بشكل جيد (فاشيني، 2007)، ينجم عن هذه المقاربة أن أي شخص يمكن أن يصبح مقاولا شريطة أن يتمتع بالخصائص السابقة الذكر وأن يكون له حكم جيد على وضع السوق. كما ينتج عن هذه الفكرة أن المقاول لا يملك بالضرورة رأس المال، وبالتالي فهو لا ينتمي الى طبقة اجتماعية معينة، كل ما هنالك أن المقاول لديه وظيفة اقتصادية ومهمة يجب القيام بها على أحسن وجه وإنجاحها، لأن المخاطر ترافق دائما المقاولات، حتى تلك التي تدار على أفضل وجه. فهي ليست في مأمن من الفشل.

وفي مقاربة أخرى يعتبر جوزيف شومبيتر أن المقاول هو "قبطان الصناعة"، في عمله المنشور في عام 1911 "نظرية التطور الاقتصادي"، أكد الكاتب على خاصية الابتكار التي يجب أن يتميز بها المقاول وحدد لها خمسة أبعاد: 1 صنع منتوج جديد لا يزال غير مألوف لدائرة المستهلكين، 2 إدخال طريقة إنتاج جديدة،3 فتح منفذ جديد أو إنشاء سوق جديدة لم تكن موجودة من قبل، 4 استعمال مصدر جديد من المواد الخام أو المنتجات شبه المصنعة؛5 وأخيرا خلق أو المساهمة في إحداث نظام اقتصادي جديد، شومبيتر يسلط الضوء أيضا على دور المقاول في خلخلة البنيات السائدة وخلق حالة من الرجة في المجتمع عبر الدفع به إلى اكتشاف وتجربة أشياء جديدة. بالنسبة له، فقط الأفراد القادرين على الابتكار يستحقون لقب المقاول لما يتمتعون به من روح المبادرة والإرادة والقدرة على انتاج أفكار جديدة، وهي الطريقة الوحيدة للانتقال السلس من البحث العلمي والاكتشاف إلى العالم الاقتصادي والإنتاج.

هل هذه المقاربات الغربية، التي تتفق إجمالا على الإبتكار والتدبير الجيد والمغامرة وروح المبادرة كخصائص رئيسية يجب أن تتوفر في المقاول، تجد أصداء في المغرب؟ الباحثون المغاربة والأجانب الذين جعلوا من المقاولة والمقاول المغربي موضوعا للبحث والتفكير طرحوا أسئلة مختلفة ووصلوا إلى نتائج متباينة. تعتبر أطروحة سعيد طنجاوي (1993)، التي تركز على قضية ريادة الأعمال، واحدة من أهم الدراسات في هذا الصدد. يلاحظ صاحب الكتاب أن المغرب شهد خلال العقدين 1980و1990 ظهور عملية تشكل نخب تجارية وصناعية جديدة، وأن هذه التغييرات تبين وجود ديناميكية اجتماعية وسياسية جديدة بحيث يستخدم هؤلاء الفاعلين استراتيجيتين، من ناحية منطق اقتصادي يقوم على التخطيط وتنفيذ مشاريع من خلال إنشاء الشركات وتدبير عوامل الإنتاج من أجل التخفيف من المخاطر وضمان تحقيق مكاسب مالية، ومن ناحية أخرى، منطق اجتماعي وسياسي لأن تحقيق الربح، رغم أنه أحد الد وافع الرئيسية لعدد من رجال الأعمال، ليس غاية في حد ذاته، ويقر المؤلف أن المقاول له وظيفة اجتماعية ودور سياسي من حيث قوته ومركزه.

وتوصلت دراسة طنجاوي إلى استنتاجين، الأول هو أن المقاولون المغاربة يشكلون مجموعة اجتماعية غير متجانسة، بحيث لديهم خلفيات اجتماعية وعائلية متنوعة ومسارات متعددة، والثاني أن الاختيار الذي اتخذته هذه النخب يعكس تطلع حقيقي إلى تحديث الهياكل الاقتصادية والاجتماعية، والعلاقات التي تكمن وراءها، لكن رغم ذلك، يعترف المؤلف، فإن هذه الفئة بأن لا تستطيع حل المشاكل المتصلة بالمجتمع والوضع السياسي على نحو شامل، وبعبارة أخرى، فإن بناء نظام اقتصادي ديناميكي ومجتمع مفتوح، حيث يمكن أن يشارك أكبر عدد في إدارة الشأن العام، يعتمد بالأساس على قدرة السلطات السياسية على إعادة النظر في اختياراته.

في نظرة تحليلية أخرى لهياكل وتنظيم العوالم الاجتماعية للمقاولة، حاول نور الدين العوفي (2000) بمعية فريق من الباحثين رسم صورة تحليلية لتنظيم الشركات المغربية، وخصائصها الرئيسية، ودرجة تجانس مكوناتها وذلك انطلاقا من الفرضية الرئيسية التي مفادها أن تنظيم المقاولات وإدارتها هي من أهم محددات النجاعة الاقتصادية.

الدراسة خلصت إلى أن مفهوم المقاول يطرح مشكلة دلالية في المغرب. فما هو المعنى الدقيق والمقبول عموما لهوية رئيس المؤسسة؟ هل هو رب العمل؟ المدير؟ المالك لرأس المال؟ هذه الصعوبة ترتبط، حسب المؤلف، بتاريخ نشأة المقاولة في المغرب، بمسارات الفاعلين الاقتصاديين وإجمالا بطبيعة الاقتصاد المغربي .

ومن بين مفارقات الواقع المغربي التي استوقفت الباحثين في هذه الدراسة هناك ظاهرة «المقاولات بدن مقاولين"، وتعكس هذه الصيغة حقيقة مزدوجة، فمن ناحية، هناك نسبة صغيرة من المشاريع التي يديرها مقاولين مقارنة بالفئات الأخرى من المسؤولين التي يمكن الإشارة إليها باسم "ماناجير"، ومن ناحية أخرى هناك تبلور ضعيف لروح المبادرة بالمعنى الذي عبر عنه شومبيتر.

وفي سياق آخر، استلهم التحول الليبرالي الذي عرفه المغرب في التسعينات ميريام كاتوس (2007)، التي تحدثت عن "زمن المقاولين"، لاحظت صاحبة الدراسة أن التسعينيات والألفينات من القرن الماضي اتسمت بالموقف السياسي للمقاولين وذلك إما في شكل مهني عبر التكتل داخل منظمات مهنية، أو عن طريق المشاركة السياسية المباشرة في المؤسسات التمثيلية (المحلية والإقليمية والوطنية)، وهكذا أصبحت هذه الفئة تدافع عن مصالحها من خلال إبراز دورها الريادي وقدرتها على إحداث تغييرات مهمة في السياسة الاقتصادية أو حتى في مجال تنظيم العلاقات الاجتماعية.

انطلاقا مما سبق، يبدو من الصعب استيعاب وتحديد هوية المقاول المغربي من داخل الإطار النظري والعملي الغربي، وذلك لأن وظائف الابتكار والمغامرة والتصنيع هي خصائص لا تنطبق عليه، ولفهم هذه الصعوبات، من الضروري تحليل الهياكل الاقتصادية التي يتحرك داخلها هذا الفاعل.

ثانيا. المقاول و "رأسمالية الدولة":

يعتبر مسار الاقتصاد المغربي فريدا، على الأقل في سياقه الإقليمي. وهذا المسار لا يمكن فهمه إلا عندما يتم إدراجه في منظور تاريخي للاقتصاد السياسي في المملكة، وخلافا لغالبية الدول العربية التي اختارت الاشتراكية، وباستثناء السنوات الأولى من الاستقلال، التي تميزت بصراع حاد من أجل السلطة بين الحركة الوطنية والملكية (منجب، 1992)، فقد اتبع المغرب دائما أيديولوجيا ليبرالية، وفي الوقت نفسه، وهنا المفارقة، فإن النظام السياسي لم يرد أبدا أن يواجه برجوازية وطنية مستقلة تتمتع وتعتمد على مواردها الخاصة، منذ البداية، كانت الدولة حريصة على السيطرة على معظم اقتصاد البلاد من خلال القطاع العام الذي اكتسب وزنا كبيرا، وذلك بالموازاة مع خطاب رسمي يدافع عن القيم الليبرالية والقطاع الخاص، وكان قانون "المغربة" لعام 1973 الذي حمل شعار"لا التأميم ولا التوطين" المحور الرئيسي لهذا النظام.

ونتيجة لسيطرة الدولة على اقتصاد البلاد، ظهرت "برجوازية الدولة"، وهي فئة مرتبطة عضويا بأجهزة الدولة، كجزء من عملية تراكم يمكن أن تسمى "رأسمالية الدولة". ماذا يعني هذا المفهوم؟ حسب لحبيب المالكي (1980) فإن المجتمع المغربي، المستقل حديثا في 1956، ظل خاضعا لشكلين من التبعية: من جهة لدولة "ليبرالية" ولكن في نفس الوقت سلطوية، ومن جهة أخرى إلى اقتصاد رأسمالي أجنبي يجد جدوره في عهد الحماية الذي طبق على المغرب بين سنتي 1912و 1956، وضلت هاتين القوتين تشكلان المحركين الرئيسيين للاقتصاد المغربي،

ولكن هذه "الخلطة" لا تمكن من سيرعادي وسليم للاقتصاد، فقد أشار المالكي إلى أن تطور القطاع العام بشكل كبير، في تناقض واضح مع قيم الليبرالية التي دافع عنها النظام، لم يكن يستجيب فقط لمطالب المجتمع ولكنه أيضا كان يؤدي وظيفة إنتاج وإعادة الإنتاج الاجتماعي لطبقة سياسية موالية للنظام من خلال إعطائها امتيازات وموارد مهمة. وبذلك ساهمت "رأسمالية الدولة" في "قتل" اقتصاد السوق وروح المنافسة واغتناء أقلية من الأفراد والأسر (برجوازية الدولة) المقربة من الدولة والرأس المال الأجنبي دون أن تمت بصلة لمفهوم المقاول كما تم شرحه سابقا.

في بداية الثمانينات من القرن الماضي، سيدخل المغرب مرحلة جديدة. نظرا لتصنيفه ضمن أكثر البلدان مديونية في العالم في نهاية السبعينيات وتحت ضغط صندوق النقد الدولي والبنك العالمي، اتبع المغرب ابتداء من 1983 برنامجا قاصيا من أجل "التقويم الهيكلي". المحاور الرئيسية لهذه الخطة الإصلاحية همت عدة جوانب: إعادة هيكلة أدوات تدخل الدولة في الاقتصاد، إصلاح المالية العامة والسياسة النقدية، مراجعة اتفاقيات التجارة الخارجية، نتيجة لهذه الحزمة من الاصلاحات شهد المغرب عودة قوية للرأس المال الأجنبي وتحرير سياسة صرف العملة واعتماد قوانين جديدة لمسايرة الدينامية الجديدة (القانون البنكي، وقانون البورصة، وقانون التجارة، والشركات المجهولة، وما إلى ذلك)، ولكل الهدف الأساسي من وراء كل هذه الإجراءات كان هو إدماج الاقتصاد المغرب في الاقتصاد العالمي، وتأتى ذلك من خلال انضمام المغرب إلى الاتفاقية العامة للتعرفة الجمركية والتجارة في عام 1987، ووقعت الاتفاقات النهائية لجولة أوروغواي في مراكش في عام 1994 والتي عرفت خلق منظمة التجارة العالمية. وفي نفس السياق، قام المغرب بتوقيع اتفاقيات للشراكة والتجارة الحرة مع عدة دول وتكتلات: اتفاقية برشلونة في عام 1995، اتفاق شراكة مع الاتحاد الأوروبي في عام 1996، اتفاقية التجارة الحرة مع الولايات المتحدة في عام 2004.

لكن الدخول إلى "العهد النيوليبرالي" واعتماد أسسه وسياسته في مجال التنمية لا يعني أنه تم القطع مع أساليب الإنتاج الماضية وتفكيك البنيات الاقتصادية السابقة، فواقع الاقتصاد المغربي وطريقته في تبني الرأسمالية أكثر تعقيدا بكثير. وهذا التعقيد يكمن في الطبيعة غير المتجانسة لهذه الرأسمالية، التي تميزت بالتعايش داخل النظام الإنتاجي الوطني لعدة أشكال من الإنتاج والتبادل(2009، غراوي وأفايا).

ويمكن تلخيص هذه الأشكال الإنتاجية في أربعة أنماط من التنظيم الاقتصادي. أولا، اقتصاد الريع الذي يدار من قبل نخبة تستمد قوتها وشرعيتها من علاقتها الخاصة والتاريخية مع الدولة ومع الرأسمال الأجنبي كما تم الاشارة إلى ذلك سابقا. ويتميز هذا النمط الاقتصادي بهياكله وإدارته الحديثين(أو هكذا يعطيان الانطباع) والاعتماد بشكل كبير على الدولة في نشاطه، ثانيا، "اقتصاد الهامش" الذي يمثل عددا كبيرا من القطاعات والطبقات الاجتماعية ويعتمد على "إنتاج بسيط"، يتميز هذا النوع بهشاشة وضعف هياكله ويعمل خارج الدائرة الاقتصادية الطبيعية حيث يشمل أساسا وحدات الإنتاج والتجارة غيرالمهيكلة، والأنشطة السرية الصغيرة والتجارة غير المشروعة، ثالثا، "اقتصاد الرأسمالية الشعبية" الذي بدوره يهم عددا كبيرا من القطاعات والسكان في المناطق الحضرية وشبه الحضرية والريفية. يرمي أساسا هذا النمط إلى تحسين سبل العيش بحيث يشمل المقاولات الصغيرة جدا والأنشطة المبنية على القروض الصغيرة. ورابعا وأخيرا، "الرأسمالية الاقتصادية الناشئة" التي تقودها دينامية الإصلاح السياسي والاقتصادي والانفتاح على العالم، هذه الديناميكية التي بدأت في نهاية التسعينات من القرن الماضي أدت إلى بداية الحراك الاجتماعي وإلى تغيير نسبي في هيكلة السلطة ورأس المال، وفي العلاقة بين الدولة والنخبة الاقتصادية الجديدة، هذا التغيير راجع إلى عدم قدرة الدولة على السيطرة على كل شيء

وبالتالي اقتناعها بضرورة منح هامش أكبر للتحرك للفاعلين الآخرين خاصة في سياق يعرف ندرة الموارد وضغط اجتماعي وسياسي متزايد من الداخل والخارج.

الخيط الناظم لهذه الأشكال والصيغ المتعددة للرأسمالية التي تتعايش في وقت واحد هو انصهارها في منطق معقلن وشامل يرمي، رغم مرور الزمن وبغض النظر إلى التقلبات السياسية والاقتصادية، إلى إعادة انتاج نفس بنيات الاقتصاد المغربي بحيث يكون للدولة دور أساسي وحاسم في الضبط والتوجيه.

ثالثا. تغيرالنمادج واستمرار البنيات:

منذ استقلاله في عام 1956، اختبر المغرب العديد من السياسات الاقتصادية، ولكن هذا لم يغير حقيقة مركزية الدولة. من خلال تتبع التاريخ الاقتصادي للمغرب المستقل، نجد أن هناك العديد من المؤشرات التي تؤكد هذا الوضع، ومع ذلك، فإن المفارقة تكمن في هذا التناقض بين الخطاب الرسمي الذي يتبنى الليبرالية ويدافع عن أهمية ودور القطاع الخاص من جهة، والسياسات الاقتصادية المتبعة على أرض الواقع والتي تقوي القطاع العام وتوسع من مجالاته.

بداية الاستقلال عرفت صراعا كبيرا على السلطة بين القصر والحركة الوطنية (منجيب، 1992). الصراع كان كذلك أيديولوجيا حيث أن القصر كان يدافع عن الليبرالية، وذلك طبيعي بالنظر إلى موقعه، في حين أن جانبا مهما من الحركة الوطنية كانت له ميولات يسارية واشتراكية، ويبدو ذلك جليا من خلال الخطة الخمسية (1960 و1964) المصممة من قبل حكومة عبد الله إبراهيم قبل إقالته والتي كانت تهدف إلى تعزيز عدة مكاسب اجتماعية لعامة الشعب، هذه الخطة تم اجهاضها ليتم بعد ذلك الانتقال إلى "الليبرالية السلطوية" مباشرة بعد أخذ الملك الحسن الثاني بزمام الأمور سنة 1961، هذه المرحلة الجديدة تميزت بالتأكيد على الخيار الليبرالي للمغرب والتخلي عن أي سياسة الاستقلال الاقتصادي، وقد تم دعم هذا الموقف الأيديولوجي من قبل الأعيان والبرجوازية التجارية المتمركزة خصوصا في مدن فاس والرباط وسلا والدار البيضاء(حسن قرنفل، 2007)، هذه الطبقة الاجتماعية فهمت جيدا أن مصلحتها مع الدولة وأن أنشطتها التجارية لا يمكن أن تنتعش وتتطور إلا بمساعدة الدولة، ولذلك عمدت، بمجرد حصول المغرب على الاستقلال، الى وضع بعض أعضائها أو رجال ثقتها في مناصب إدارية مهمة.

وفي نهاية الستينيات من القرن العشرين، بدأت نتائج النموذج الاقتصادي والاجتماعي في الظهور: تركيز الممتلكات في المناطق الريفية، والهجرة القروية، تطر حركة التمدن بشكل سريع وعشوائي، ازدياد مضطرد لعدد السكان خاصة في الحواضر الكبرى وتنامي الفوارق (الدار البيضاء، أول مدينة في المغرب، أصبحت تسجل أعلى معدلات الثروة والفقر في آن واحد)، في هذا السياق، شرع المغرب في مغربة اقتصاده، أي وضع سياسة للدولة تهدف إلى إكمال الاستقلال الاقتصادي للبلاد وذلك نظرا لأن القطاع الخاص الصناعي والتجاري ضل تحت السيطرة الأجنبية رغم استقلال البلاد عام 1956.

الجانب الفلاحي والزراعي من عملية المغربة تم تنفيذه عبر اصدار قانون في آذار/مارس 1973 تم بموجبه توزيع الأراضي المسترجعة من الاجانب على المغاربة في إطار ما يمكن أن نسميه «عقدا اجتماعيا" جديدا، لكن هنا أيضا سوف تخرج هذه السياسة عن مقاصدها حيث كان من المقرر أن تستفيد من الاراضي الفئات القروية الفقيرة وصغار المزارعين. على العكس من ذلك أخذت الاشياء منحا آخر حيث عاد القسم الأكبر من هذه الأراضي إلى البرجوازية وخاصة تلك التي بدأت تنشط في التصدير (بيرين، 2004)، الأنكى من ذلك هو أن عددا كبيرا من الموظفين السامين والباشوات والقياد وحتى الجنرالات والوزراء والأمراء استفادوا من الضيعات والمزارع المسترجعة أو أخدوا حصصا في الشركات المجهولة الاسم التي تنشط في الصناعات

الزراعية (1977، باسكون)، في النهاية أدت التدابير المتخذة في إطار المغربة إلى تركيز ملكية الاراضي في يد البرجوازية بمباركة من الدولة (1983، الحبيب المالكي).

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن القطاع العام المغربي، باعتباره أداة سياسية في خدمة الدولة، قد أدى في النهاية إلى نتيجة عكسية بإجهاض ولادة جيل جديد من المقاولين الذي بدأت تتشكل نواته مع بداية الاستقلال وذلك بعدم السماح لهذه الفئة بأن تتطور بمنأى عنها طبقا لقوانين المنافسة واقتصاد السوق.

مع نهاية السبعينات بدأ القطاع العام يتعرض لانتقادات حادة بسبب قلة المردودية واختلالات الإدارة والتسيير مع غياب أي مراقبة، وقد تأزم الوضع مع بداية الثمانينات حيث واجه المغرب وضعا اقتصاديا صعبا وضغوطات مالية حادة، فخلال الفترة الممتدة ما بين 1981و1983، لم يتجاوز معدل نمو الناتج الإجمالي الحقيقي 2 في المائة، وبلغ معدل التضخم حوالي 10 في المائة، كما إهتز الاقتصاد المغربي بشدة من جراء دورة الجفاف التي بلغت نطاقا لم يسبق له مثيل في عام 1981. في هذا السياق فرضت على المغرب خطة للتقويم الهيكلي كما تم الاشارة إلى ذلك.

لقد أدى هذا البرنامج إلى تحسين الاستقرار المالي للبلد حيث انخفض العجز في الميزانية من 13 في المائة من الناتج الداخلي الإجمالي في عام 1982 إلى 9 في المائة في عام 1985 وأقل من 2 في المائة في عام 1992 (هيبو، 1996)، ومع ذلك، فإن العواقب، الاقتصادية والاجتماعية الصرفة، تعرضت لانتقادات شديدة من قبل الاقتصاديين: على المستوى الاقتصادي مثلا، ظهر جليا في ضل هذه الأزمة تراجع كبير للقطاع الصناعي بالمقابل مع ازدهار الاقتصاد غير المهيكل والمضاربة (المالكي، دومو، 1990).

في جميع الأحوال، لا يمكن اعتبار هذا "التقويم" انتقالا من نظام اقتصادي إلى آخر، بل هو تحول وتكيف مع الاكراهات الداخلية والضغوط الخارجية، في العمق، تعني الإصلاحات التي بدأت في الثمانينات التخلي عن فكرة "الدولة المطور" وذلك سواء من حيث الإحالات والتمثلات والاستراتيجيات الاقتصادية .

في الواقع لم يكن برنامج التقويم الهيكلي سوى الخطوة الأولى في عملية "تراجع الدولة" التي حددت لنفسها هدف تحقيق استقرار الاقتصاد من خلال سياسات مالية ونقدية قوية (زيادة الضرائب غير المباشرة وانخفاض كبير في قيمة الدرهم)، ثم تأتي المرحلة الثانية حيث يتم إنشاء برنامج الخصخصة والانفتاح السياسي والاقتصادي المفتوح ابتداء من سنة 1988، وسيتم تكريس الدولة هذا "التراجع" عبر خطاب ملكي في عام 1989 وسن قانون بشأن خصخصة المؤسسات العامة، فبالنسبة للملك الحسن الثاني، يجب أن تحقق الخصخصة هدفين اجتماعيين، الأول هو خلق فرص عمل لاستيعاب جماهير الخريجين الجدد؛ وثانيا، يستهدف الفاعلين الاجتماعيين الجدد، أي المقاولين، الذين كان يراهن عليهم القصر كحلفاء جدد.

وفيما يلي مقطع من خطاب الملك الحسن الثاني (8ابرل 1988):"إن العامل الاجتماعي الثاني الذي يجب مراعاته هو ضرورة منع أن تكون عملية نقل المؤسسات العامة إلى القطاع الخاص سببا في زيادة تركيز الرأسمال وفرصة للأغنياء من أجل الاستحواذ على هذه المؤسسات، فالهدف المتوخى من خلال هذه العملية هو إتاحة فرص جديدة لفاعلين جدد، وفتح الباب أمامهم من أجل تحمل المسؤوليات وتهيئة الظروف المناسبة للعمال والمستثمرين والمقاولين من أجل الاستفادة من التنمية الاقتصادية التي يساهمون فيها."

انطلاقا من هذا الخطاب والتصريحات الرسمية بحسن النوايا، اعتبر العديد من الاقتصاديين وعلماء السياسية أن المغرب، نتيجة لتنفيذ مخطط التقويم الهيكلي، دخل عهدا اقتصاديا جديدا

قوامه تراجع الدولة وفسح مجال أوسع للفاعلين الاقتصاديين والمقاولين في إطار قواعد اقتصاد السوق.

لكن هذا الطرح لم يصمد طويلا، فقد تم تنزيل عملية الخصخصة بسرعة كبيرة وفي احيان كثيرة دون احترام للمساطر، في النهاية، وخلافا للخطاب الرسمي، فإن النخبة الاقتصادية التقليدية التي راكمت ثروتها في الستينات والسبعينات من القرن الماضي هي من استفاد ت بالدرجة الأولى من عملية الخصخصة. ويستخلص د. ستارك (1996) نفس الاستنتاج بالنسبة لبلدان أوروبا الوسطى أو الشرقية حيث استحوذت النخب القائمة قبل الانتقال إلى اقتصاد السوق على جل وأهم المؤسسات والشركات العمومية التي تمت خصخصتها.

يمكن القول إن التغيرات التي لوحظت على مدى الثلاثين سنة الماضية أن السياسات الاقتصادية المتبعة كانت إجمالا تصب في مصلحة الملاك الفلاحيين الكبار والمنتجين للمواد الغذائية والألبسة والنسيج، في المقابل، فإن صغار المزارعين وغالبية سكان المدن ضلوا على الهامش، ويتبين ذلك من خلال الموجات الكبيرة للهجرة إلى الخارج والارتفاع المهول وكذلك تنامي الاقتصاد غيرالمهيكل.

على المستوى الاجتماعي، من المسلم به أن الخصخصة كانت إلى حد كبير أداة لإعادة انتاج نفس النخب (كاتوس، 2007)، لكنها كانت كذلك الفضاء الخلفي لعملية تم فيها تشكل تمثلات جديدة للهياكل الاجتماعية المغربية وابراز المقاول كبطل التنمية الجديد. كما يصف بولتانسكي (1979) الطبقات الوسطى في فرنسا في السنوات 1930ء1940، يمكننا القول إن سنوات 1990 عرفت ظهور مجموعة اجتماعية جديدة كنتيجة لإعادة هيكلة اقتصادية واجتماعية مستمرة وطويلة سواء على المستوى الفعلي أو الرمزي.

لكن لفهم هذا التوجه، يجب ربطه بالسياق العام المغربي. ذلك أنه مع بداية الألفية الجديدة وبداية عهد الملك محمد السادس، كانت هناك ارادة واضحة لإعطاء صورة جديدة عن المغرب قوامها الانفتاح السياسي وتوسيع هامش الحريات وعصرنة الاقتصاد. ويترتب عن ذلك الحاجة إلى نخبة جديدة تواكب هذا النهج، وهو ما يفسر رغبة الدولة في اعطاء النخب الاقتصادية والمقاولين بشكل خاص دور جديد وهامش أكبر للتحرك، لكن يبقى هذا الدور متحكما فيه وبالتالي تبقى "قواعد اللعب"كما هي لأن البنيات السياسية والاقتصادية وموازين القوى لم تتغير.

خاتمة:

انطلاقا من كل ما سبق ومرورا بكل السياسات الاقتصادية المتبعة، تظهر قدرة الدولة على التكيف مع الاكراهات الظرفية لتستمر بالتحكم في زمام الأمور. فمستلزمات الاقتصاد الليبرالي ومايستوجبه من مبادرة حرة وحكامة جيدة ومردودية لم يؤدي كما كان متوقعا إلى انسحاب الدولة من الميدان الاقتصادي، ولو نسبيا، لإعطاء المزيد من الحرية للمقاولين وبالتالي بروز المقاول كفاعل اقتصادي بالمفهوم الغربي كما تم التطرق لذلك، وتبقى التنازلات التي قامت بها الدولة، تحت ضغط من القوى الخارجية وشركائها الأجانب، صغيرة وفي جميع الاحوال لا تستفيد منها الا الجهات الاقتصادية القريبة منها.

نستخلص في النهاية أن النظام السياسي المغربي يضع التحكم في الموارد المادية في صميم آليات الهيمنة والتميز، وهو ما يحول دون تطور مجال اقتصادي مستقل وهامش للتحرك بالنسبة للمقاولين.

قائمة المراجع

1. حسن قرنفل(2007)، أهل فاس: المال والسياسة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر.

2. Affaya, Nourddine et Guerraoui, Driss(2009). L'élite économique marocaine. Etude sur la nouvelle génération d'entrepreneurs, L'Harmattan.
3. Allal, Benhaddou(1993). Reproduction sociale des élites marocaines et mouvement patronal », Cahier de la Méditerranée, n°47, juin-décembre, pp. 295-319.
4. Bayart, Jean-François(1994), La réinvention du capitalisme, Paris, Karthala.
5. Belal, Aziz(1980). Sur quelques formes actuelles d'articulation du capital international et du capital local dans les firmes dépendantes, Revue juridique de Droit et d'Economie du Maroc, 2ème trim, n°8, pp.311-320
6. Belal, Aziz(1982). La bourgeoisie marocaine est-elle ou n'est-elle pas ?, Revue Al Asas, n°43.
7. Benhhadou, Ali(1997). Les élites du Royaume, Paris, L'Harmattan.
8. Boltanski, Luc (1979). Taximonie sociale et lutte des classes. Mobilisation de la 'classe moyenne' et 'l'invention des cadres', Actes de la recherche en sciences sociales, n°29,75-108.
9. Bouachik, Ahmed(1993). Les modes de transfert des entreprises publiques au secteur privé : le cas du Maroc, Revue Vues économiques, n3, 53-68.
10.Catusse, Myriam(2002). Affaires, scandales et urnes de verre à Casablanca », Annuaire de l'Afrique du Nord, Paris CNRS-Editions.
11.Catusse, Myriam(2007). Le temps des entrepreneurs ? Politique et transformations du capitalisme au Maroc, Karthala.
12.Doumou, Abdelali et El-Malki Habib(1990). L'interventionnisme de l'Etat marocain à l'épreuve de l'ajustement, dans El-Malki, Habib et Santucci, Jean-Claude, Etat et développement dans le monde arabe. Crises et mutations au Maghreb, CNRS, Paris, 1990, p. 283
13.El Aoufi, Noureddine(2000), L'entreprise côté usine, les configurations sociales de l'entreprise marocaine, Publications Groupe d'études et de recherches sur les ressources humaines et l'entreprise, Rabat.
14.El Malki, Habib(1980). La bourgeoisie marocaine, Revue Al Asas, n°19, avril, 38-46.
15.El Malki, Habib(1980). Capitalisme d'État, développement de la bourgeoisie et problématique de la transition, Revue juridique, Politique et Economique du Maroc, n°, 2ème semestre, pp. 207-228
16.El-Malki, Habib(1983). Au-delà des chiffres, quel développement ?, Editions Maghrébines, Casablanca.
17.Facchini, François(2007). L'entrepreneur comme un homme prudent, La Revue des Sciences de Gestion (n°226-227).
18.Faure, Yves-A et Médard Jean-François(1982). État et bourgeoisie en Côte d'Ivoire, Karthala – Paris.
19.Fekkat A. «Le grand patronat marocain», Al Asas, n° 87, 1988.
20.Fillon, Louis Jacques(1997). Le champ de l'entrepreneuriat : historique, évolution, tendances, Revue Internationale P.M.E., vol. 10, n° 2, p 129-172.

21.Knight, Frank(1971). Risk, Uncertainty and Profit, New York: Houghton Mifflin. Also Chicago: University of Chicago Press.
22.Hibou, Béatrice(1996). Les enjeux de l'ouverture au Maroc. Dissidence économique et contrôle politique. Etudes du CERI, pp.1-42
23.Hibou, Béatrice(1998). Retrait ou redéploiement de l'État, Critique internationale, n°1, pp. 151-168
24.Monjib Maâti(1992), La monarchie marocaine et la lutte pour le pouvoir, L'Harmattan, Paris, 1992.
25.Pascon, Paul(1977). Le Haouz de Marrakech, CURS-INAV-CNRS, Rabat.
26.Perrin, Simon(2004). Les entrepreneurs marocains. Un nouveau rôle social et politique face au Makhzen ? Etudes du développement, n15.
27.Saâdi, Said(1989), Les groupes financiers au Maroc, Rabat, Okad.
28.Schumpeter, Joseph (1935). Théorie de l'évolution économique, Dalloz, Paris.
29.Schumpeter, Joseph(1966). Capitalisme, socialisme et démocratie, Paris, Payot.
30.Stark, David(1996). Recombinant property in Eastern European capitalism, American journal of sociology, n°4
31.Tangeaoui, Said(1993), Les entrepreneurs marocains, Karthala, Paris.
32.Vermeren, Pierre(2002), La formation des élites marocaines et tunisiennes. Des Indépendances aux islamistes, 1920-2000, Paris, La Découverte.
33.Verin, Hélène(1982), Entrepreneurs, entreprise : histoire d'une idée, Paris : P.U.F.
34.Waterbury, John(1970), The commander of the faithful. The moroccan political elite. Trad, Paris, PUF 1975.

دراسة حول الملامح الفكرية والذهنية للفئات المتسولة في المدن التونسية زمن الاستعمار الفرنسي

A survey about the mental and intellectual characteristics of beggars in Tunisian cities within the era of the French colonization

د. عبد العزيز بن عبد النبي، جامعة صفاقس– تونس

ملخص: شملت المباحث الثقافية والذهنية للنماذج الاجتماعية الفئات المتسولة، التي مثلت مكونا أساسيا لظاهرة اجتماعية حاولنا الإلمام بمختلف خصوصيات ومميزات نظامها الحياتي وفهم تمثلاتها العقلية والأعراف التي تخضع لها مختلف علاقاتها الاجتماعية زمن الاستعمار الفرنسي جسدتها في أساليب ممارستها لظاهرة الشحاذة، كما أعتمدت أيضا كأسلوب لتشكل الذات بتحولها إلى نموذج اجتماعي مهني في واقع مجتمعي تونسي متحول وغير متجانس تحكمه التأثيرات والتحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي أحدثها الحضور الاستعماري الفرنسي، وقد مثلت دراسة النماذج والعينات المتسولة أهم السبل الكفيلة لتمكيننا من الفهم الأعمق للملامح والخلفية الذهنية والفكرية والثقافية للشحاذ ومدى قدرته على التفاعل والتعامل الايجابي مع الزمن سواء بشكل عقلاني وواع أم بشكل تلقائي اعتباطي وتطويع إحساسه بالزمن مع اختياره للمكان المخصص للكسب وطلب الصدقة ثم الكشف عن حضوره الذهني جسدته الحيل والتكتيكات والأساليب المتلاحقة والمتنوعة التي مزجت بين الخطاب اللفظي والخطاب الصامت الإيحائي في عملية الاسترزاق والشحاذة. هذه التجليات النفسية والذهنية والفكرية للمتسولين تعبر عن رؤى جماعية لهذه الفئات تجاه واقعها الذي يغلب عليه الصراع من أجل إثبات المكانة والذات الاجتماعية التي تحولت في البعض منها إلى تطرف وانحراف فكري.

الكلمات المفتاحية: الفئات المتسولة، تاريخ الذهنيات، الرؤى والملامح الفكرية.

Abstract: Dealing with beggars has been among the schedule of cultural and mental researches. This categories was abasic constitued of asocial phenomenon which we tried to come across in the different criteria and characteristics of its life system. As wellas understanding its mental aspects and the customs submitting its differents social relationships in the era of french colonization manifested in the procedures of performing the phenomena of begging. Also, it has based on as a method of self-building in the process of turning into a social and professional pattern in social tunisian.

The latter is changeable and heterogeneous governed by the effects and social, economic and cultural changes created by the presence of the french colonization. The survey of pattern and sample of beggars has represented the most important methods enabling us a deep understanding of the criteria as well as mental, intellectual and cultural background of the beggars ti the extent to which it is able to interact positively with time either, in a conscious and wise way or in a spontaneous and arbitrary way. Also, adaptation his notion of time together with his choice of the place of begging and earning money. Then, revealing his mental presence

illustrated in the wickedness and the successive means mixed with the verbal and positive non-verbal speech in the process of earning and charity. The psychological, intellectual of the beggars express collective visions of this category towards iots reality overwhelmed by the struggle of proving on self an social status. This had turned out sometimes to extremism and mental deliquency.

Keywords: Categories of beggars - History of Minds - Visions and intellectual features .

مقدمة:

تتنزل دراسة الملامح الفكرية والذهنية للمتسولين ضمن المباحث والكتابات المهتمة بدراسة تاريخ الذهنيات والعقليات والثقافات المجتمعية السائدة داخل مختلف الجماعات الهامشية على غرار المتسولين والتي تمظهرت من خلال الأساليب والتصرفات اليومية والحياتية للأفراد، وقد مثل مفهوم تاريخ الذهنية والعقلية الفردية والجماعية مرتكزا للعديد من الدراسات التاريخية والسوسيولوجية والأنثروبولوجية (Chartier R, 1983, p271-307)، بل اعتبرها "مارك بلوخ" مكونا أساسيا للأنتروبولوجية التاريخية اعتبارا إلى أن دراسة الخصوصيات المجتمعية تنطلق من فهم عقلية أفراده وجماعاته(أرياس فيليب، 2007، ص301)، ويعرف تاريخ الذهنية في مفهومه العام بأنه "تاريخ أشكال الفكر والمعتقدات والمشاعر المحددة لكل فترة زمنية" (Hulak florence, 2008, p89) وهو أيضا "تاريخ العلاقة بين الفرد والجماعة سواء بالتناوب أم في وقت واحد مع مراعاة لأفضل النماذج الثقافية والعلاقات الشخصية" Duby) (Georges, 1961, p944لتبني وجهة نظر لتحليل التفاعل بين الفكر الفردي ومحيطه الاجتماعي، وبالتالي يمكن القول أن تاريخ الذهنية يمثل أحيانا شكلا من أشكال النفسية الجماعية وأحيانا أخرى دراسة سوسيولوجية أنتروبولوجية يمكن تطبيقها على جميع مستويات التحليل التاريخي أو على مستوى الهياكل الاجتماعية فقط لفترة زمنية طويلة.

أما بالنسبة إلى مفهوم مصطلح الذهنية فيعرف على أنه "نظام التمثلات العقلية الجماعية لحقبة زمنية محددة وبأنه مجموعة من التصنيفات الحسيّة ومن التعابير والمفاهيم المفترضة داخل الأنساق الداخلية وهي انعكاس للتصرفات الفردية داخل المجموعة الواحد (Hulak Florence, 2008, p91)وقد فضل "مارك بلوخ" أشكال اللاوعي أو المعتاد للحياة العقلية باعتبارها الأكثر قدرة على إضفاء الطابع المؤسساتي على الحياة الاجتماعية، في حين بحث "لوسيان فافر" في الربط بين الأشكال التلقائية أو المعتادة للحركية الذهنية على غرار الحساسية والتعبير عن العواطف والأشكال الأكثر انعكاسا لها باعتبارها تمثل اندماجا بين وحدتي الزمن والوعي (Burguière André, 1988, p250).

وتمثل هذه المفاهيم النظرية لتاريخ ومفهوم الذهنيات والعقليات منطلقا للبحث في التجليات الفكرية والذهنية للمتسولين في الواقع المعيش ونحو تحديد الخصوصيات الذهنية والتعقيدات العقلية التي تنتمي لها هذه الفئة الاجتماعية. وقد عرفت هذه الفئة المتسولة بنظام حياتي خاص بها اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وبأساليب وأشكال من السلوكيات المميّزة لأفرادها عن غيرهم من الفئات الاجتماعية الأخرى في إطار منظومة متنوعة من العلاقات بين المتسولين تراوحت بين التضامن والتنافس والصراع، علما وأن انعكاسات هذه الذهنية على الواقع المعيش تحولت مع مرور الزمن إلى جملة من العادات العاطفية والفكرية والجسدية برزت من خلال الخصوصيات التنظيمية للفئات المتسولة التي تميزت بالديناميكية المتواصلة وتنوع آليات ممارسة الشحاذة سواء

في إطار شبكات ومجموعات أم بشكل فردي، إضافة إلى أساليب وتقنيات التسول التي تعكس الحركية الذهنية والعقلية للمتسول وقدرته على اختيار وتحديد المكان والزمان المناسبين للكسب وامتهان التسول. علما وأن هذه الخصوصية الثقافية والذهنية شملت جميع التصنيفات العمرية للمتسولين (أطفال - نساء - شيوخ). وتجدر الإشارة إلى أن خصوصية الفترة الزمنية المدروسة المتميزة بالحضور الاستعماري الفرنسي المباشر في تونس وتعدد انتماءات المتسولين جغرافيا وجهويا، مكنتنا من الربط بين الذهنيات والمعتقدات السائدة بين أفراد هذه الفئة الاجتماعية والسياق الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ومن الكشف عن مدى القدرة الذهنية والعقلية لهؤلاء الأفراد والجماعات المتسولة على التأقلم المجتمعي ومجاراة مختلف التحولات السلبية المتلاحقة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

1. التسول: أساليبه واستراتيجياته:

أ. آليات التسول:

تنقسم آليات التسول وطلب الصدقة إلى طريقتين أساسيتين: إما بشكل منفرد أو في إطار جماعي منظم أو ما يعرف بشبكات التسول. فبالنسبة إلى آلية التسول المنفرد فهي طريقة يمارس فيها المتسول طلب الصدقة واستعطاف الناس منفردا ولا يشاركه أحدا في كسبه، وتبين بعض التقارير الفرنسية والكتابات الصحفية في تونس المهتمة بظاهرة التسول في المدن التونسية الكبرى منذ بداية الاحتلال الفرنسي المباشر سنة 1881 أن أولى حالات التسول المسجلة أمنيا انطلقت بشكل فردي، فإلى حدود بداية القرن 20 اتجه الاهتمام الأكبر للسلطات الاستعمارية نحو المتسولين الأجانب وتحديدا من الجالية الايطالية التي تواجدت بشكل كبير في تونس (Monchicourt Charles, 1935, p3-45)وذات الغالبية المطلقة في أعداد المتسولين خصوصا ذوي الاحتياجات الخاصة والعاجزين منهم(La Dépêche Tunisienne, 17 janvier 1902)، كما نجد أن معظم حالات التسول التي أفادتنا بها المصادر الأمنية الفرنسية في صفوف الأجانب - من بينها حالات الشحاذة المسجلة بين أفراد الجالية المغاربية في تونس- (الأرشيف الوطني التونسي، س A، ص 4، م 18، م ف 2، وثيقة 89 بتاريخ 6 أوت 1941) غلب عليها الأسلوب الفردي الشخصي والتي اعتبرتها التقارير الفرنسية الاستعمارية من الحالات التي تعاني أوضاعا اجتماعية واقتصادية صعبة.

أما بالنسبة إلى حالات التسول في صفوف الأهالي التونسيين فهي نتاج لسياسة التهجير القسري التي مارستها السلطات الاستعمارية الفرنسية في حق السكان بالأرياف من أراضيهم الفلاحية ومن مواطنهم الأصلية وما انجر عنها من عمليات تفقير ممنهج للأهالي وإجبارهم على الهروب نحو ضواحي الحواضر الكبرى والتشرد في شوارعها ثم الالتجاء لامتهان البعض منهم التسول سعيا لكسب المال الزهيد وتوفير ضروريات العيش، وقد سجلت المعطيات الأمنية الفرنسية أولى حالات التسول الفردي للتونسيين خلال عمليات النزوح الاجباري في بداية القرن 20 نذكر منها على سبيل المثال حالة المدعو "ع. بن محمد" أصيل منطقة قابس الذي تم القبض عليه بتهمة التسول للاسترزاق والكسب (الأرشيف الوطني التونسي، س A، ص 183، م 1، م ف 14، وثيقة 2 بتاريخ 8 جانفي 1909)، كما شمل الأمر أيضا الأشخاص المحتاجين والمنكوبين طالبي الاغاثة الفورية والعاجلة والذين اضطرتهم أوضاعهم الصحية والمعيشية إلى طلب الصدقة والتسول على غرار المدعو "أ. عاشور" أصيل منطقة المحمدية (الأرشيف الوطني التونسي، س E، ص 544، م 1، م ف 2، وثيقة 104 بتاريخ 10 أكتوبر 1909) والمدعوة "خ. بن محمد" أصيلة منطقة منوبة (الأرشيف الوطني التونسي، س E، ص 544، م 1، م ف 2، وثيقة 105 بتاريخ 15 أكتوبر 1909).

إن التزايد الكبير في أعداد المتسولين بداية من سنوات العشرين من القرن 20 التي بلغت أقصاها خلال الاربعينات والخمسينات وما تبعها من تعقيدات وغموض في طرق وأساليب الشحاذة لم يمنع تواصل آلية التسول الفردي علما وأن الناظر إلى شوارع المدن التونسية يلاحظ كثافة وانتشارا كبيرا للمتسولين في الأزقة والأنهج وبجوار الكنائس والجوامع وفي مداخلها "بين الواحد والآخر من عشرة أمتار إلى خمسين مترا" (جريدة الزمان، 21 فيفري 1933) وآخرين "يجوبون الطرقات نهارا يسألون" (الأرشيف الوطني التونسي، س E، ص 509، م 368، وثيقة 4 بتاريخ 22 سبتمبر 1942) والجامع الوحيد بينهم هو الفقر والخصاصة والاحتياج.

ومن مميزات المتسول الفردي أنه منقطع الصّلة بأهله ونظرائه من الشحاذين ولا عائل له في حالة عجزه وهو ما تبيّنه المراسلة الموجهة إلى المدير العام للداخلية الفرنسية بتونس في خصوص المدعوة "ع. بن الحطاب" التي مارست التسول لمجابهة الفقر والخصاصة ثم أصابها المرض والعجز مما اضطر بعض الجيران إلى مراسلة السلطات الفرنسية لإغاثتها وتوفير لها مستلزمات العيش. بل أوردت بعض الكتابات المعاصرة للفترة الاستعمارية أن البعض من أفراد هذا النموذج من المتسولين قد وُجدوا أمواتا في المنازل المهجورة بعد أن عاشوا عزلة اجتماعية ونفسية (الملولي الهادي، 1984، ص 74). والجدير بالذكر أنه يوجد حالات أخرى من المتسولين المنفردين قد استفادوا من هذه الطريقة في الشحاذة بحصولهم على الكسب المادي الضخم، وهو ما نستنتجه من خلال ما أورده محمود بيرم التونسي في إحدى مقالاته في خصوص احدى المتسولات المتوفاة التي كشفت السلطات الاستعمارية الفرنسية عن امتلاكها لثروة طائلة وممتلكات عقارية وسط مدينة تونس (جريدة الزمان، 31 أكتوبر 1933).

لقد أفرزت التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عرفها المجتمع التونسي طيلة الفترة المدروسة تفككا اجتماعيا أجبر المتسولين كفئة متجانسة فكريا وثقافيا واجتماعيا على تكوين مجموعات موحدة ومعزولة ذات خصوصيات مختلفة عن غيرها من المجموعات الهامشية معتمدين طريقة التسول الشبكاتي، وتميزت هذه المجموعات المتسولة بمعايير تنظيمية وأخلاقية تقوم على الولاء والإخلاص إلى المجموعة يتم ممارسة السلوك الاجتماعي من خلالها باعتبارها تشكل إطارا مرجعيا لأفرادها ضمن قواعد للتفاعل محددة مسبقا يجب احترامها، علما وأن طبيعة التفاعل تقوم على الديناميكية المتبادلة في العلاقات بين مختلف الأفراد والجماعات المتسولة في أشكالها المختلفة مثل التضامن أو التنافس أو الصراع. وتتميز هذه الجماعات المتسولة بالقدرة على التأقلم مع التحولات الاجتماعية والأزمات الاقتصادية بمزيد التنظم وترسيخ الشعور الموحد بين مختلف أفراد الشبكة بوحدة المصير وتوجيه ذهنية المتسول نحو العمل الجماعي للتصدي للأوضاع المأساوية ومحاولة تجاوزها(القسنطيني الكراي، 1999، ص257).

في واقع الأمر فإنه من الصعب ضبط شبكات التسول بمختلف تفاصيلها باستثناء بعض المعطيات التي تقدمها لنا مصادر بعض الجمعيات، اعتبارا إلى أن أغلب المقبوض عليهم بتهمة التسول في إطار الشبكات كانوا من النساء والأطفال. وقد تضمنت معظم شهادات استنطاقاتهم الأمنية الأسباب المعتادة لممارسة التسول مثل الفقر والخصاصة والاحتياج "لقد قبضنا على عدد من البدو المتسولين والعاطلين عن العمل أصيلي جهة القيروان يصارع بعضهم الموت جوعا..." (الأرشيف الوطني التونسي، س E، ص 234، م 3، م ف 14، وثيقة 31 بتاريخ 12 جوان 1936) وهو ما يدفعنا إلى الاستنتاج أن معظم هذه الشبكات تدور في إطار عائلي سواء محدود أم واسع من حيث العدد، تونسية كانت أم أجنبية، عبر سلسلة مترابطة يساهم فيها جميع الأفراد صغارا وكبارا ويشارك الجميع في الكسب وممارسة التسول. ونذكر على سبيل المثال حالتين للشبكات العائلية المتسولة:

الأولى لعائلتين أجنبيتين أصيلتي منطقة طرابلس الليبية تضم في مجملها 53 فردا وموزعين على النحو التالي: 11 رجلا و 20 امرأة و 22 طفلا. (الأرشيف الوطني التونسي، س E، ص 234، م 3، م ف 14، وثيقة 31 بتاريخ 12 جوان 1936).
الثانية لثلاثة عائلات تونسية متسولة تواجدت في مدينة تونس ضمّت 17 فردا: 3 رجال و 3 نساء و 11 طفلا. (الأرشيف الوطني التونسي، س A، ص 4، م 18، م ف 2، وثيقة 22 بتاريخ 12 أوت 1941).

ويعزى هذا التفاوت بين أعداد أفراد المثالين المدروسين إلى أن العائلات الأجنبية المتسولة تتجمع في معظم الحالات في إطار مكاني واحد لعدة أسباب منها التعاون الجماعي في الكسب والاسترزاق والهاجس الأمني الجماعي.

لقد تميزت شبكات التسول بالحركية الداخلية وبالتحكم المنظم في أفرادها والتزام كل فرد منها بالمسؤولية أو المهمة الموكولة إليه حيث نتبيّن من خلال إحدى المقالات الصحفية الصادرة سنة 1910 أن الأفراد المتحكمين في شبكات التسول - وهم في الغالب من الرجال المتسلطين والمنحرفين أخلاقيا- لم يقتصر تنظيمهم لنشاط أفراد الشبكات على التسول الفردي أو الجماعي فقط بل تم المزج بين التسول كنشاط أساسي وممارسة السرقة أو النهب إذا سنحت الفرصة لذلك. ففي مدينة صفاقس مثلا سجلت المصادر الأرشيفية أن بعض العائلات النازحة نحو المدينة وأحوازها من أصول طرابلسية ومن منطقة قابس قد اتخذ أفرادها التسول في الشوارع نشاطا نهاريا يوكل الأمر فيه إلى النساء والأطفال في حين يتجه الرجال إلى استغلال فرصة موسم جني الزيتون للنهب وسرقة البعض من المحاصيل الفلاحية المعدة للتخزين رغبة منهم في توفير الحد الأدنى من المؤونة الغذائية لبقية أفراد العائلة (La Dépêche Sfaxienne n°5485, 14 Décembre 1910). وقد تزايدت هذه الممارسات وبلغت أقصاها خلال سنوات الأربعين من القرن 20 وأصبحت من السلوكيات المنتشرة في شوارع المدن الكبرى.

هذه المعطيات تحيلنا بالضرورة إلى محاولة الكشف عن مختلف الأساليب التي يتم اعتمادها داخل هذه الشبكات لإقناع واستمالة المتسول على مزيد الكسب أو إجبار الرافضين على امتهان الشحاذة. وقد تراوحت هذه الممارسات بين الترغيب والترهيب شملت في معظمها صنف الأطفال على أن الترغيب لم يتجاوز في أقصاه هدية بسيطة من قطع الحلوى لتسود الممارسات العقابية والترهيبية من قبل الآباء والأمهات، وفي حالة رفض أحد الأطفال ممارسة الشحاذة فانه يتعرض إلى العقاب من قبل والديه أو المتكفلين به بالضرب المبرح والحرمان من الأكل والكي بالنار. وأمام هذه الممارسات العنيفة يجبر الشخص المتسول على الالتزام بأحكام الشبكة التي ينتمي إليها ويلغى فيها أي اعتبار للقرابة الأبوية أو الدموية، ويؤكد لمنسكي أن الطفل المجبر على التسول يخضع إلى مراقبة سرية من قبل والديه عند ممارسة الشحاذة حرصا منهما على منعه من الهروب ولتوفير الحماية له ولكافة أفراد الشبكة المتسولة من أي تدخل مفاجئ سواء من قبل المشردين أم من قبل المتسولين الآخرين، بل وتمكين الأطفال من فرصة الهروب في حالة وجود دوريات أمنية مفاجئة (Witold, 1918, p243. Lemanski)، أما النساء والفتيات البالغات حديثا فيجبرن على ممارسة البغاء السري والشحاذة بممارسة الدعارة (الأرشيف الوطني التونسي، س A، ص 4، م 18، م ف 2، وثيقة 65 بتاريخ 29 مارس 1941) وهن عرضة للعقاب من قبل أزواجهن وآبائهن إذا عجزن على الكسب أو تراجعت مكاسبهن المادية (Lemanski Witold, 1918, p241).

ب. زمنية التسول:

تتميز الفئات المتسولة بنظام حياتي ووعي فردي وجماعي خاص وأساليب تحدد معاملاتها سواء في ما بينها أو داخل المجتمع مبرزة الخصوصيات الذهنية لهذه الفئة الاجتماعية، وقد

أثارت دراسة ظاهرة التسول باعتبارها ظاهرة متحولة ومتفاعلة مع التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية تجسدها السلوكيات المتبعة من قبل ممتهنيها، إشكالية الاختيار الزمني للشحاذة وفهم جوانبها الإجرائية الميدانية في إطارها الزماني وفي مختلف الظروف النفسية والاجتماعية المحيطة بالمتسول وبالتالي الكشف عن مكانة الزمن الفعلي لممارسة الشحاذة في عملية الإدراك الحسي والوعي العقلي للمتسول باعتباره الفاعل الحقيقي زمن الشحاذة والمدرك لفعله في الواقع، "فإدراك الوقت يعني القدرة على تحديد نقطة فاصلة بين "قبل" و"بعد" وتقييم المدة الفاصلة بين لحظتين وتصور مستقبل اعتمادا على حاضر" (إيزار ميشال، 2006، ص 531) فالمتسول ليس له إدراك ووعي متكامل بأهمية الزمان في مفهومه العام وفي كيفية تنظيمه لحياته اليومية، بل إن تعامله مع الزمن يكون عفويا انطلاقا من مجموعة التراكمات الذهنية المتعلقة بامتهانه للشحاذة والتي تحولت بمرور الوقت والتجربة إلى عادات وسلوكيات اعتيادية تطبق وتجسّد تلقائيا ضمن السياق الزماني والمكاني المحددين للكسب والاسترزاق.

إن الحديث عن زمنية التسول لا يعني بالضرورة أن ممارسة الشحاذة تستوجب وقتا محددا بل على خلاف ذلك فالمتسول مطالب بالتواجد المستمر في شوارع المدن منذ ساعات الصباح إلى ما بعد غروب الشمس تتخلله فترات زمنية من الراحة على أن الزمن الفعلي والحقيقي للتسول والكسب تتفاوت مدّته وتتداخل فيه عديد المعطيات أهمها:

المعطيات المناخية والفصلية: فممارسة الشحاذة تكون أكثر كثافة وانتشارا خلال فصل الصيف مقارنة بالشتاء، حيث تساعد الظروف المناخية الصيفية المتسول على التنقل من مكان إلى آخر وعلى الاستقرار أين ما وجد دون مخاطر صحية أو مناخية.

طبيعة المكان المخصص للشحاذة: تمثل دور العبادة من مساجد وكنائس أكثر الأماكن ارتيادا وجلبا للمتسولين فسيطرة الجانب الديني والروحاني على نفسية المصلين تسهل على المتسول عملية إقناعهم بالصدقة والإحسان والعطاء. " المتسول لا يخشى القدوم إلى جوار الكنيسة... والتقرب من المؤمنين عند دخولهم أو عند خروجهم... ويلحّ بأسلوب غير محتشم قصد الحصول على الصدقة" (La Dépêche Sfaxienne n° 4453, 6 novembre 1907).

أما المعطى الأهم الذي فهو الحضور الذهني للمتسول في هذه الأماكن باعتباره الجانب الأهم الذي يستطيع من خلاله اختيار أفضل طريقة للزمن الفعال(باشلار غاستون، 1988، ص86)، حيث نلاحظ أن نشاط المتسول في ارتباط وثيق مع أوقات الصلاة بمختلف دور العبادة الإسلامية والمسيحية واليهودية وذلك بتواجد الشحاذين وبصفة دورية إثر نهاية كل صلاة أمام المساجد والجوامع الكبرى أو إثر نهاية إقامة طقوس التعبد أمام الكنائس. وتتصاعد وتيرة الاحساس بفعل الاستعطاف والاستجداء لدى المتسول وفق تفاعل وتكامل العمل مع الزمن إضافة إلى الدفع الوجداني والنفساني نحو ممارسة ذلك العمل بدعمه بجهد عرضي روحي عبّر عنه هنري برقسون بالقول: " لذلك نحن عملنا على تحديد كثافة جهد عرضي كأنه شعور عميق نابع من الروح، وفي كل الحالات هناك تقدم نوعي وتعقيدات متزايدة" (Bergson Henri, 1988, p18).

ويتجسد هذا التفاعل والتكامل من خلال وعي المتسولين بضرورة الحضور المكثف والانتشار الكبير لهم في شوارع المدن وبجوار المساجد يوم الجمعة وخلال الأعياد والمناسبات والاحتفالات الدينية الاسلامية باعتبارها تمثل أهم الفترات الزمنية الواجب استغلالها للحصول على المزيد من الكسب المادي، فأثناء هذه المناسبات يكون المتسول حرّا في تصرفاته دون رقابة أو ملاحقة، قادر بكل حرية على اظهار شخصيته الحقيقية فجميع حركاته وتصرفاته وأساليب الاستجداء هي بالضرورة انعكاس للشخصية الباطنية للفرد المتسول " نحن أحرار عندما تنبثق أعمالنا من شخصيتنا كلها" (Bergson Henri, 1988, p77). ومن خلال هذا الفهم وهذه الاستنتاجات

المتعلقة بكيفية تفاعل وتعامل المتسول مع الزمن سواء بشكل عقلاني وواع أم دون وعي وبتصرفات تلقائية اعتيادية تركزت وتجسّدت عبر الممارسة اليومية والتجربة الحياتية، يمكن أن نتبين أهم الأساليب والحيّل المعتمدة في التسول وكيفية تطورها من حالة إلى أخرى ومن وضع إلى آخر.

ت. حيّل المتسول:

تميزت عقلية المتسول بالتطور وفق المتطلبات المعيشية الصعبة والتطورات الاقتصادية والاجتماعية وبالقدرة على استحداث وابتكار طرق جديدة للشحاذة تتماشى مع الظرفية الزمانية للتسول ومكان نشاطه، وبالتالي إدخال إحداثات ومظاهر جديدة على فعل التسول أطلقنا عليها تسمية "حيّل المتسول" وكذلك يمكن أن نصفها بعبارة "تكتيكات التسول" ويعرف التكتيك بأنه "فن وضع الخطط وإجراء محدد يتخذ لتحقيق هدف معين" (معجم الوسيط، 1986، ص86)، وهو أيضا "مجموع الأساليب المستعملة للحصول على النتيجة المرجوة من ذلك التصرف" (معجم اللغة العربية المعاصرة، 2008، ص 296)، فالتسول مهنة تتطلب كفاءة وقدرات خاصة لأن جلب انتباه المارة واكتساب ثقتهم واستدرار عطفهم للحصول على ما تيسر من المال يعدّ فنا حقيقيا وصعب الممارسة. وقد تنوعت تكتيكات الشحاذة باختلاف نماذج التسول وحسب الحضور الفكري والعقلي للمتسول ومدى قدرته الذهنية على التغيّر السريع والتأقلم مع المتطلبات الآنية للتسول ووعيه الكامل بالفعل المطلوب منه، وهو أن يكون الشحاذ "واعيا قبل اختيار الفعل حتى يكون قادرا على الاختيار مرة أخرى" (Bergson Henri, 1988, p 78)، وقد شمل هذا التنوع والابتكار في أساليب وحيّل التسول جانبين أساسيين من مرتكزات فعل الشحاذة:

الجانب اللفظي في التسول أو الكلام المنطوق: وهو الخطاب المباشر الذي يتوجه به المتسول إلى المارة والمحسنين من الناس أو الشخص المستهدف بالاستجداء، ويستند هذا الخطاب إلى مجموعة من العبارات الموجزة سواء باللفظ الصريح المباشر المعبّر عن الحاجة أو بمنطوق لفظي حامل لعديد الدلالات الدالة على الخصاصة والاستعطاف والحاجة مثل المتسولين بالموسيقى والعرافات والدجالون والمومسات المتسولات (Lemanski Witold, 1918, p 235) ويكون هذا الخطاب في مجمله ذو تأثير شديد في نفسية المتصدقين.

الخطاب الصامت في التسول أو الحوار الصامت دون طلب الصدقة بشكل مباشر: وهو أسلوب يعتمد على تعبيرات الوجه والإيماءات وخطاب العيون من خلال النظرات الموحية بالفقر والبؤس إضافة إلى إشارات اليدين المرتعشتين الدالة على العجز أو الشلل (Lemanski Witold, 1911, p28) واصطحاب الأطفال الرضع أو المتخلفين ذهنيا. هذا ويكون للباس دور كبير في عملية التسول وتأثيراته الايحائية في نفسية المارة والمتصدقين، فالملابس القذرة والبالية والممزقة لها رمزيتها خصوصا عند ارتدائها في فصل الشتاء يثير استعطاف الناس وتدفعهم نحو دفع الصدقة ((De la Forge Jacques, 1894, p116 ، أما بالنسبة إلى بائعي الورد والمتسولات بالرقص والدعارة وبعض النماذج الأخرى من المتسولين لكل منهم لباسه الخاص الذي يميّزه عن غيره من الشحاذين والذي يمكنه من الكسب والاسترزاق. وتجدر الإشارة إلى أنه من خلال دراستنا لأغلب نماذج الشحاذة نتبين أن هذه الفئات المتسولة تمزج بين الخطابين اللفظي والصامت، فالمظاهر والإشارات والإيماءات تعكس حالة البؤس والفقر والحاجة لتؤكدها التعبيرات اللفظية المنمقة ذات التأثير المباشر في عواطف الناس.

وفي هذا السياق فإن الفهم الأعمق لهذه الحيل والتكتيكات المتبعة من قبل المتسولين يمكن تبيّنها من خلال مزيد دراسة النماذج والعينات المذكورة آنفا والكشف عن مختلف الأساليب المعتمدة لفظيا وجسديا باعتبارها قواعد في عمليات الشحاذة. وتعتبر النماذج المتسولة ذات الكثافة عدديا في شوارع المدن التونسية - والتي عرّفناها بتسمية "مستثمري الطرقات"- هي الأكثر اعتمادا

على الخطاب المباشر والمنطوق اللفظي مقارنة بالأساليب الإيحائية التي يعتبرها هذا النموذج من المتسولين أمرا حاصلا يجب توظيفه ودعمه بما هو لفظي وكلام منمق ومرتب لجلب المستعطفين مع حالته. لتكون القاعدة الأساسية التي يمكن استنتاجها أن المتسول "يطرق باب القلب ليفتح الجيب"، فالمظهر العام لغالبية المتسولين في شوارع المدن من حيث اللباس والجسد والوجه سواء أكانوا رجالا أم أطفالا أو نساء يتميّز بالقدم والقذارة والاتساخ وإثارة الاشمئزاز من ناحية والشفقة من ناحية أخرى، يصفه لمنسكي بقوله: "يتزايد البؤس خلال النهار وتتكشف الأوساخ، ملابس رثة، الشاشية زيتية قذرة، دهنية قاتمة يميل لونها الأحمر إلى السواد" Lemanski (Witold, 1911, p26).

يعتمد هؤلاء الشحاذين على تطبيقات وأساليب إيحائية للكسب والتسول من بينها التحجج بكبر السن والعجز أو الاصابة بالعاهات الدائمة لإيهام الناس والمتصدقين بوجود إعاقة جسدية "اليد نحيلة ومرتعشة تومئ بأسلوب بربري، الكوع على الفخذ والأصابع مثنية" Lemanski (Witold, 1911, p28). وقد اعتبرهم محمود بيرم التونسي من أصحاب الأعذار دون التغافل عن البحث في صدق إدعاءاتهم: "والذين يعذرون على التسول أصحاب العاهات لا سيما العميان، ومن الفضول البحث في شأنهم ما دامت العاهات حجة شفع لهم ولا مناص لهم عن التسول..." (جريدة الزمان، 21 فيفري 1933). كما أوردت بعض الكتابات وصفا دقيقا لهذه النماذج المنتشرة في الطرق والشوارع: "رجال وجوههم هزيلة وبشرتهم بنية تظهر عليها أثار الخدوش التي أحدثها القمل، الرأس مغطاة بقبعة أو بالبرنس والعيون مغلقة ودامعة يظهر فيها التقيح وخوفهم من العنف وفقرهم مهين ومثير للاشمئزاز، وترى بعض النسوة بفك متكسرة وبثديين جافين وصدور نحيفة وبشرة قذرة" (Lemanski Witold, 1911, p28).

والجانب الأهم والمميّز لهذه الفئات الاجتماعية المتسولة هي المصطلحات المرتبة والمنمقة التي تعتمد في الجانب الأكبر منها على الأدعية ذات البعد القدسي الديني لتذكّر المتصدقين بالواجب الديني للصدقة وحثهم على السخاء في تقديمها، نذكر على سبيل المثال:

"حويجة لله يا أحباب ربــي ... حويجة لله يا مومنيـن
حنوا بيها على خوكم المسكين"
"ربي يخلص وحلــــــــك ... ربي يفرح قلبــــــك
أعطيني حويجة لربـــــــــــي" (الجابري محمد صالح، 1987، ص137).

أما النساء المتسولات بالطفل الرضيع فتجدهن حافيات القدمين، أجسادهن شبه عارية لا تغطيها سوى لحاف قديم يسمى "حرام أو ملحفة" مرددات مقولات وأدعية دينية تلامس بشكل مباشر نفسية السامع:

"يا كريم متــــــــــــاع الله ... يا عباد ربي ارحمونا يرحمك الله
حنوا على الطفل اليتيم يرزقكم ربي
مرا محتاجة يستركم ربـي ... لله يا أحباب ربـــــــــــــــــــي
بجاه الله أعطونــــــــــا ... يعطيكم ربــــــــــــــــــي" (De la Forge Jacques, 1894, p232)

ويتواصل ذكر هذه الأدعية بشكل سريع ومتواتر لحظة الحصول على الصدقة وبعدها بالقول: " الله يباركلك، الله يفتح عليك، الله يعمر محلك...".

إن عملية التسول لا تخلو من مواقف متباينة وحرجة حيث نتبيّن وجود حالات من ردود الفعل السلبية للمتسول تجاه المتصدقين وتكون في معظم الأحيان نتيجة للتصرفات والعبارات الساخرة التي يتلفظ بها المتصدق أو فشل الشحاذ في إقناع المارة بالعطاء وتحول الحوار إلى جملة من النصائح بدعوة المتسول للبحث عن عمل (جريدة الزمان، 21 فيفري 1933). هذا وتنحصر أغلب

ردات الفعل والتصرفات بين تعبيرات الوجه الاستفزازية مصحوبة بإجابات إنكارية وبين منطوق لفظي بتغيير الدعوة الدينية الصالحة إلى دعاء مضاد والذي يصدر أساسا من الأوباش منهم في شكل تمتمات متسارعة "الرزق عند ربي، الله لا تباركلك، إلى جهنم والشيطان" (De la Forge Jacques, 1894, p232).

ونجد أيضا نماذج أخرى من المتسولين الذي ميّزتهم تكتيكاتهم وأساليب تسولهم عن أمثالهم من الشحاذين، فالمتسولون الساعون بين محلات السكن والتجارة والصناعة سواء في المدينة العربية "البلاد العربي" أو في الأحياء الأوروبية، تجدهم يطوفون بالبخور (جريدة الزمان،31 أكتوبر 1933) لا يميّزهم لباس وفيهم الضرير مرددين ألفاظا ومصطلحات طرقية صوفية مرابطية مقتضبة:

"حَيْ، يا رزاق، يا نواب
حَيْ، يا رحمان، بارك في المال والأبدان، حَيْ "

أما بالنسبة إلى توظيف الموروث الثقافي الشعبي في عمليات التسول بامتهان الغناء والموسيقى الشعبية سواء فرادى أم في جماعات فإن التميّز والوضوح لمختلف هذه الأساليب المطبقة في عمليات الكسب والاسترزاق تتجلى أساسا لدى الفرق والطرق الصوفية التي تضم بينها "رعاع القوم والخدم والمتسولين" (خواجة أحمد، 1998، ص102) والتي تمثل أيضا جزء من ثقافة الفئات الدونية والشعبية التونسية (Lemanski Witold, 1911, p32) وكان لطريقة "اسطمبالي" أو "عبيد غبنتن"- وهم مجموعات زنجية تتغنى بالكرامات المزعومة لبعض الأولياء الصالحين- الأكثر ممارسة لهذه الأساليب والحيّل شملت جميع النواحي شكلا وملبسا وخطابا وحركية. كما مثل الراقصون ومروضي الأفاعي في الفضاءات العامة والدجالون و"العرّافون" من رجال ونساء من النماذج البارزة للشحاذة في المدن التونسية الكبرى زمن الاستعمار الفرنسي والتي تميّزت بطرق وأساليب وتكتيكات مستحدثة مع طبيعة النشاط الممتهن للكسب المادي والاسترزاق.

الصنف الأول: وهم مروضو الأفاعي والبهلوانيين ـ وهو من النماذج التي لا يمكن الجزم النهائي في إتباع أغلب أفراده الشحاذة بل تفهم وتستنتج من خلال الأساليب والحيّل المتبعة في طلب المال والصدقة- وقد اتفقت أغلب المصادر التاريخية والأنتروبولوجية والكتابات المعاصرة لتلك الفترة على أنهم من ذوي الأصول المغربية والمدعين بالانتساب إلى بعض الأولياء الصالحين المشهورين. وعُرف أفراد هذه المجموعة بأشكالهم الغريبة التي تبرز أساسا في طريقة حلاقة رؤوسهم المميّزة ذات الدلالات العقدية الدينية، "كهل مغربي له شعره طويل مثل الحصان، شفتاه دائمة الابتسامة تظهر من ورائهما أسنانه البيضاء: نزع عمامته فظهر رأسه المحلوق محاطا بسلك وضفيرتين التي من خلالها يقوم ملك الموت بإزالة جميع الذنوب عن المؤمن الحقيقي ويقوده إلى الجنة، بجانبه طفلان يبلغان من العمر ما بين الثلاث والخمس سنوات لا يرتديان سوى بلوزة خشنة ومحلوقي الرأس باستثناء ضفيرة صغيرة تهتز مثل ذيل القزم" (De la Forge Jacques, 1894, p132)، وتعتمد هذه المجموعات أساليب خاصة بها في عملية الكسب والتسول تقوم على تقديم العروض البهلوانية الساخرة وشدّ انتباه المتابعين من المارة بترويض الأفاعي ومراقصتها على أنغام حزينة تصدرها آلة نفخ تسمى "كلارنيت Clarinettistes" ليبلغ الأمر أقصاه بالمخاطرة وملامسة تلك الأفاعي وتقبيلها.

ويكون للحضور الذهني والدهاء دور كبير في استعطاف الناس الحاضرين حيث تبرز كفاءة قائد المجموعة في حسن اختيار الزمن المناسب خلال التجمع الكبير للمارة وقطع العرض بأسلوب طريف يعتمد التشويق ومهارة الاقناع بأنهم مسخّرون من الله لهذا العمل والحيلة في طلب الصدقة بتحديد حاجتهم المادية في مبلغ مالي غير مصكوك في قطعة نقدية واحدة مما يجعل

المتصدق مجبرا على إلقاء قطع نقدية تفوق القيمة المالية المطلوبة. " إنه يتوسل إلى الله ويستخدم الخدع البهلوانية والجمل المقدسة: لا ينقصني سوى تسعة صنتيم، قليل من الشجاعة! ثمانية صنتيم، تكفي!، فألقيت قطعة نقدية بخمسين صنتيم" (De la Forge Jacques, 1894, p115).

هذا ولا يتوقف أسلوب التحيّل والدهاء في عملية الكسب عند ذلك الحد بل يواصل قائد الفرقة وطالب الحاجة التلاعب بالألفاظ بأسلوب تطغى عليه الدعابة والمزاح محاولا ايهام الناس من جديد بأن المبلغ المطلوب جمعه لا يزال غير مكتمل "طلبت ثمانية صنتيم، السيّد أعطاني عشرة بزيادة اثنين صنتيم، المبلغ ظل على حاله ينقصه ثمانية ليتم عشرة صنتيم" (De la Forge Jacques, 1894, p 134). وبالتالي نستنتج أن هذا النموذج من الشحاذين يعتمد أسلوبا وحيّلا تجعل من عملية التسول تخرج عن طابعها "التراجيدي" العاطفي المثير للشفقة وتتحول إلى شكل من أشكال العروض الفكاهية والألعاب البهلوانية المدفوعة الأجر.

الصنف الثاني: الدجالون والعرّافون والمدعون بمعرفة حسن الفال رجالا ونساء، حيث يتخذ الرجال منهم أسوار المساجد والجوامع والزوايا مستقرا ومكانا لجلب المارة الساعون والراغبون في قراءة الكف والمصدقون بأقوالهم زاعمين الانتماء بالنسب والكرامات إلى أولياء صالحين ذوي مكانة في الذاكرة الجماعية الشعبية "فيميل إليهم بعض الناس ويعطونهم ما يطلبون منهم من دراهم أو لباس أو أكل" (الحشايشي محمد عثمان، 1994، ص252)، ويغلب على معظمهم صفة الهدوء والتأني والرصانة في الحديث بكلام منمق ومرتب يلامس مشاعر وأحاسيس الشخص الهدف والمصدق بأقوالهم وجعله يهيم بمخيلته في عالم النشوة والأمل بالمستقبل السعيد.

أما النساء "العرافات" والتي تعرف في الذاكرة الشعبية التونسية باسم "تكازة" وهن من ذوي الأصول البدوية، يتسولن عن طريق الإدعاء بكشف خفايا الغيب وبقراءة الكف والضرب بالحلزون والمحار أو الرمل أو الجن أو السبحة (الجابري محمد صالح، 1987، ص135)، وتتميز النسوة العرافات بالجرأة وحسن الخطاب فتراهن يجبن شوارع المدن وتعلن عن وجودهن بطرق الأبواب والصياح "تكازة، تكازة" ويتجهن أغلبهن بدراية مسبقة نحو منازل العائلات الميسورة والغنية ومخاطبة حريفاتهن من الفتيات الصبايا بمعسول الكلام وتبشيرهن بقرب الزواج والهناء، فالتراكمات النفسية والذهنية والثقافية الشعبية لدى النساء التونسيات المصدقات للخرافات والشعوذة، فتحت المجال أمام هذا النموذج من الشحاذين للانتشار وإيجاد أساليب وتكتيكات تتغير حسب متطلبات الشخص المستهدف بالاستعطاف والصدقة مرتكزة أساسا على الخطاب اللفظي والحضور الذهني، وقد حملت الأغنية الفكاهية الشعبية التونسية نقدا لشغل العرافات وكشفا لمكرهن وخداعهن لعقول النسوة بالكلام الناعم والمعسول وقدرتهن على خلق المشاكل والفتن داخل البيت الواحد وبين الأزواج رددها الفنان صالح الخميسي:

أمي العكري أعطيها سبحـــة	تعيط دقازة بالسبحــــــــــــة
من حومة لزنقة لدربيـــــة	وهي تنده في العدلانـــــــي
واللي حط بيها غريبــــــة	نادى لها اخلط يا ميمتي ايجانــي
حاجتي بعيدة وإلا قريبــــة	بشرني وبشر جيرانـــــــــي
توا تربح مني ربحـــــــة	يتنفس فيها المـــــــــزروط
تقول لها بيّضلي كفــــــي	نقول لك اللي صايــــــــــر
بنيتي حتى زويّز دورو يكفي	نجيبلك برجك بالأشايــــــــر
هي قالت قدامك فرحــــــة	ويولي راجلك مبســـــــوط
حطي يده في قهوة كحلـــة	ودوريلو بشوية حـــــــــوت
جاء راجلها قالتلو بــــــرا	هاك اللي ماخذها بالسرقـــــة

قال لها يا والله حالـــــــــة كيفاش الجهل مخليـــــــــك
هكة تجيك وحدة دجالـــــــة بفلوسك تتمسخر بيـــــــــك (الحمروني أحمد، 1999، ص68).

كشفت التقارير الأمنية الفرنسية وبعض الدراسات الأنتروبولوجية المعاصرة للفترة الاستعمارية التي خصت بالدرس امتهان التسول بممارسة الدعارة السرية أنه النموذج الأكثر تميزا وتنوعا من حيث أساليب وتكتيكات جلب المارة أو "الزبون" وكسبا للمال والعطاء. وتعتمد المومسات المتسولات أساليب يغلب عليها الإغراء الجسدي واللفظي تختلف طرق تطبيقها بين النهار والليل وحسب الشخص أو الهدف المقصود، فخلال النهار تتجه المومس المتسولة إلى ممارسة الخناء السري بشكل إرادي وبأثمان زهيدة محاولة لفت أنظار المارة واستعطافهم مبرزة لباسها التونسي البدوي المميز ومفاتنها وأنوثتها فيصفهم محمود بيرم التونسي بقوله: "يسترعي النظر في هذه الطائفة أعرابيات رشيقات القامة تعلوهن مسحة مشرقة من الجمال ولبسهن يمثل الأناقة البدوية، وكثيرات منهن يتحلين بالأساور والعقود الفضية وفي آذانهن الأقراط الواسعة... تتعرض إحداهن للمارة بخفة وابتسامة فيها شيء من الذّل الممزوج بالدلال ولا ترجع في الغالب إلا بالنقود..."(الجابري محمد صالح، 1987، ص135).

وتركز المتسولات المومسات أثناء تجوالهن في الشوارع نهارا على الرجال محاولات ربط علاقات معهم متبعين أسلوب الإغراء الأنثوي ومخاطبتهم بالكلام الجميل والحسن المصحوب "بابتسامة فيها شيء من الذل الممزوج بالدلال"(جريدة الزمان، 21 فيفري 1933) وقد أورد الشاعر عبد الرحمان الكافي قوله:

"تمشي تغازل كأنها شختـــــورة لا تستحي لا خدها يحمـــــــار
تفنى على البـــــــــــــزر وجودها على الطاهرات خطــر
وجودها مع الطاهرات ضرورة أفعالها منكـــــــــــــــــورة
تخرج تتشخلع كأنها شختـــــورة من الكوشة للفرناق للمقصـــورة
تفنى على البـــــــــــــرز للّي يعرضها تكلمه بالشفــــــــر
اللّي يعرضها تقول ليه مسّيـــــك ها الخير كلّه ليـــــــــــــــك
الترمة مخزن الحصان بأي ليك أبوها تواعه أنظر بعينيـــــــك"(الكافي عبد الرحمان، ججوح، 1923).

كما يعتمدن أيضا طريقة الوقوف في أماكن مختارة بعناية جالبة لأنظار الرجال - وتكون في غالب الأحيان بالقرب من المقاهي والفضاءات الجامعة للرجال الراغبين في التسلية والمجون- ويتقصدن التجاهر بالكلام الفاحش والبذيء المتضمن رموزا وإيحاءات جنسية وهو ما يبرزه لمنسكي بقوله: "أصبحت أماكن الترفية في المدن الكبرى يرثى لها نتيجة تزايد مظاهر الوقاحة والتصرفات المبتذلة والسوقية من قبل الفتيات الأهليات اللاتي يعرضن مفاتنهن وأجسادهن مقابل أثمان زهيدة من المال"(Lemanski Witold, 1918, p234).

أما في الليل فإن أغلب المتسولات المومسات يتخذن من المجون والرقص على الأنغام والمعازف الشعبية أسلوبا للتسول والاسترزاق، حيث يتجمع البعض منهن في الساحات الكبرى وفي الفضاءات العامة داخل المدن التونسية على غرار ساحة الحلفاوين بباب سويقة وساحة برج النار بمدينة صفاقس وفي الساحة الكبرى بمدينة نابل، للرقص وتلبية رغبات الرجال الباحثين عن التسلية والمتعة وإغرائهم مقابل مبلغ زهيد من المال. في حين تتوجه الأخريات إلى فرض أنفسهن بالرقص وترديد الأغاني الشعبية داخل الحانات والمقاهي الليلية وعرض أجسادهن على الحاضرين مرتديات لفساتين وملابس شفافة لامعة وشبه عارية من الأعلى ومتجملات بشتى

أنواع الزينة، وتتميز هذه الراقصات المتسولات بحذقهن وإتقانهن للرقص الشعبي والتفنن في أداءه بتحريكهن الحزام بخطوات سريعة ورشيقة لإغواء المتفرجين وحثهم على دفع المال ويعرفن باسم "راقصات الحزام والبطون. هذا ويعتبر اختيار كلمات الأغاني المؤدات في الحفلات من أهم مرتكزات أساليب الشحاذة لهذا النموذج من المتسولات بالدعارة وذلك بمحاولة فهم نفسية رواد هذه المقاهي والحانات والساحات والتركيز على تحقيق رغباتهم ومتطلبات النشوة لديهم ليكون العطاء المادي أكثر سهولة وأكثر قيمة.

2. الرؤى والتوجهات الفكرية للمتسولين:

أ. التسول أسلوب لفرض الذات

أثارت دراسة التسول كظاهرة ونموذج مجتمعي عديد المسائل الاجتماعية والاقتصادية والذهنية والثقافية المتعلقة بالخصوصية الحياتية للمتسولين، والتي مكنتنا من محاولة فهم الكثير من سلوكيات الشحاذين سواء في علاقاتهم داخل المجموعة الواحدة أم في تفاعلهم مع المكونات المجتمعية الأخرى إضافة إلى الدوافع النفسية والاجتماعية المساهمة في تكريس وتثبيت فكرة ممارسة هذه المهنة لدى هؤلاء المهمشين، فهذه العوامل والسلوكيات والتفاعلات المجتمعية التي تتراوح بيت التوافق والتنافس والصراع تعكس جانبا مهما من مطالب المتسول مجتمعيا ونظرته للواقع والحياة وفي علاقته بالسلطة الاستعمارية، إضافة إلى أن التوجه الأنتروبولوجي التاريخي لهذه الدراسة يدعونا إلى ضرورة الاهتمام بالتصورات المختلفة التي تؤثر في أساليب السلوك الفاعلة في إطار هذه الفئات المتسولة، وكغيرها من المجموعات والشرائح الاجتماعية يحاول الشحاذون خلق أطر نفسية واجتماعية داخلية تتماشى مع التحولات الاجتماعية والأزمات الاقتصادية وترسيخ الشعور بوحدة المصير الجماعي، فالمرتبة المجتمعية الدونية التي صنفت فيها هذه الفئات والغياب الشبه كلي للحماية والرعاية الصحية والاجتماعية والمادية والمعنوية للمتسولين زمن الاستعمار الفرنسي - مقارنة بنظرائهم من الشحاذين في فرنسا في نفس الفترة المدروسة الذين يتوفر لديهم الحد الأدنى من مقومات الحياة الإنسانية الكريمة مثل الإحاطة الصحية والاجتماعية والمادية والمعنوية مع وجود إطار نقابي رسمي للدفاع عن حقوق الشحاذين الذي يتكفل بحمايتهم قدر المستطاع من الاعتداءات والتجاوزات المجتمعية والتصدي لمحاولات استغلالهم سواء من قبل المؤسسات أو الأشخاص، ومن مهام هذا الإطار النقابي أيضا تنظيم نشاط المتسولين وتحديد مجال تواجدهم في الشوارع الفرنسية علما وأن الهدف الرئيسي له هو تقليص عدد المتسولين قدر المستطاع من خلال السعي إلى دمجهم ضمن الجمعيات والمؤسسات الخيرية القادرة على توفير فرص عمل جيدة(Berry Georges, 1897, p107) - دفعت المتسولين بمختلف نماذجهم وأنماطهم إلى محاولة خلق أساليب وطرق للشحاذة تتغير وتتطور وفق المتغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية داخل البلاد وبين صفوف المجتمع التونسي سعيا منهم للضغط على الجمعيات الخيرية والسلطة الاستعمارية لإعانتهم والتكفل بإنقاذهم من معاناتهم وإيجاد مكانة لهم في النسيج المجتمعي التونسي دون التخلي عن الجانب الأكبر من خصوصياتهم الحياتية والمعيشية التي تتضارب في مجملها مع نظام القيم والضوابط الاجتماعية والأخلاقية السائدة، وهو ما ولد لدى هؤلاء الأفراد الشحاذين غربة مجتمعية وخلق صراعا شبه دائم بينهم وبين مختلف الشرائح الاجتماعية من جهة أولى ومع سلطة الاحتلال الفرنسي من جهة ثانية.

هذه التراكمات النفسية والفكرية تفسر لنا جانبا مهما من الأسباب التاريخية والاجتماعية والثقافية لتطور سلوكيات المتسول وتعكس رؤية الشحاذ للذات وللآخر وبحثه الدائم لفرض ذاته داخل مجتمع مفقر ماديا واقتصاديا ومفكك اجتماعيا وثقافيا بل وتحكمه ضوابط أخلاقية وقانونية تتراوح بين قابل لهذه الظاهرة وبين رافض لها، وبالعودة إلى مفهوم الذات: فهي ذات الشيء عينه

وجوهره وحقيقة ما تحمله القلوب من المضمرات(ابن منظور، 1988، ص1478) ويعرف مفهوم الذات بأنه "الطريقة التي ينظر بها الفرد إلى نفسه وإدراكه لها جسميا ونفسيا وعقليا واجتماعيا في ضوء علاقته بالآخرين وقابل للتعديل(عبد المقصود محمد، 1995، ص56)، ويكون تفكيره وشعوره غالبا منسجما مع مفهومه عن ذاته وهو مجموعة من القيم والاتجاهات والأحكام التي يملكها الإنسان عن سلوكه وقدراته والذي يتكون من خلال تفاعله مع بيئته باعتباره مصدرا للتأثير والتأثر في المجتمع"(سمارة عزيز، النمر عصام، الحسن هشام، 1993، ص 191) حيث يعتبر مفهوم الذات قوة موجهة للسلوك الفردي أو الجماعي وإثباتا للمكانة الاجتماعية، فكيف تتشكل صورة الذات لدى المتسول؟ وماهي آليات تحقيق الذات لديه؟

تمثل الإحداثيات والتنوع في أساليب وتكتيكات التسول التي أشرنا إليها آنفا في تعاطي الأفراد والمجموعات لمهنة التسول انعكاسا جليا لما تحمله ذهنية ونفسية الشحاذ من أفكار ورؤى تجاه واقعه وتفسيرا واضحا لجميع التصرفات والسلوكيات التي يمارسها تحقيقا لذاته داخل محيطه المجتمعي في ظل الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية التي أحدثها التواجد الاستعماري، ولئن يتشكل مفهوم فرض الذات لدى المتسول من خلال نجاح محاولاته المتكررة في استعطاف الناس ثم حصوله على الصدقة والكسب المادي والذي ترافقه في بعض الحالات شفقة واستعطاف نفسي، فإن التضيقات القانونية والأمنية الاستعمارية الفرنسية ضدّ ممارسة الشحاذة تدفع المتسول إلى مضاعفة تحديه لهذه القرارات الفوقية التي يعتبرها أحكاما جائرة وإقرارا ضمنيا بفنائه التدريجي، فقد تحول هاجس الخوف من الاعتقالات والإيقافات الأمنية والترحيل نحو المناطق الريفية إلى أمر معتاد لدى مختلف الفئات العمرية المتسولة، بل إن النساء والأطفال منهم يتعمدون وضع أنفسهم رهن الاعتقال الوقتي ليلا باعتباره يمثل لهم ملاذا للراحة والأمان بدل التشرد في الشوارع ومصدر للحصول على وجبة طعام تسد رمقهم قبل العودة نهارا إلى التسول من جديد(الأرشيف الوطني التونسي، س A، ص 4، م 18، م ف 2، وثيقة 65 بتاريخ 29 مارس 1941)، أما البعض الآخر من المتسولين فيتجهون إلى المزاوجة بين الشحاذة وأساليب متنوعة من الانحراف الاجتماعي للكسب وإثبات أحقيتهم في التواجد والعيش على غرار المشاركة في عمليات السطو والنهب وتوظيف الفتيات والنساء في استدراج الرجال لممارسة البغاء السري، على أن المصادر الأرشيفية والبحوث التاريخية لم تسجل أعدادا كبيرة من المتسولين المنحرفين أخلاقيا واجتماعيا وأن الحالات المسجلة كانت بمثابة ردات فعل تجاه سياسة الإقصاء الممنهج اجتماعيا واقتصاديا من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي، إضافة إلى أن التقارير الأمنية تفيد بسهولة إيقاف هذه العناصر نظرا إلى عدم احترافهم الإجرام بل ومن المسجلين سابقا في السجلات الأمنية كمشردين ومتسولين(الأرشيف الوطني التونسي، س SG9، ص 97، م 2، وثيقة 25 بتاريخ 18 جويلية 1936).

ويعتبر رفض السلطات الفرنسية الاستعمارية المتواصل لمطالب الإعانة الواردة على مختلف إداراتها من طرف العديد من المحتاجين أفرادا وعائلات- معللة ذلك بأسباب مختلفة وواصفة العديد من أصحاب مطالب الإعانة بأنهم شحاذون وهي تهمة اعتبرتها السلطات الفرنسية تمنع تمكين صاحب الحاجة من الحصول على الإعانة- سببا في إجبار العديد من المحتاجين والمفقرين على ارتياد مسلك التسول، وقد شمل التفقير والاحتياج العائلات والأفراد ذوي المكانة الاجتماعية والاقتصادية على سبيل الذكر لا الحصر "الحاج م. الراشدي" و"الحاج م. الشريف" القاطنين بمدينة تونس واللذين أجبرا على الشحاذة بعد أن تبددت ثرواتهما لعدة أسباب منها التغيرات الاقتصادية المتتالية وأصبحا من المحتاجين المتسولين(الأرشيف الوطني التونسي، س C، ص 33، م 1، م ف 12، وثيقة 114 بتاريخ أفريل 1911)، على أن هذا الصنف من الشحاذة يعتمد على الاقتراض أو السُّلفة المادية المتكررة من الأصدقاء وعملاء المهنة أو الصنعة الميسورين

أملا في تحسن الأوضاع ثم إرجاع تلك الأموال المقروضة إلى مدينيها، وهو إجراء وتصرف يسعى من خلاله هؤلاء المفقرين إلى المحافظة على مكانتهم وذواتهم الاجتماعية وحمايتها من الانحدار إلى المراتب الاجتماعية الدنيا.

وتبين المراسلات الإدارية والمصادر الأرشيفية أن حالات العوز الشديد وطلب الصدقة قد شملت بشكل مباشر العائلات الملكية (البايات) والعائلات الشريفة والمتنفذة سابقا اجتماعيا ومعنويا واقتصاديا وعسكريا "..نلتمس من جناب عطفكم ومقامكم الرفيع أن تشملنا إعانتكم، والدي خدم قايدا في بنزرت وأمير اللواء، جدي أمير اللواء وقايدا بقابس، جدتي من عائلة البايات ابنة مصطفى باشا وأخت أحمد باشا... أسكن مع شقيقي الكولونيل "ب. العطري"... إلا أنني أتوسل الصدقة..." (الأرشيف الوطني التونسي، س C، ص 33، م 1، م ف 44، وثيقة 236 بتاريخ 9 أكتوبر 1915) بل تحولت الشحاذة في ظل التجاهل الحكومي الاستعماري لمطالب الإعانة المستعجلة إلى شكل من أشكال الضغط والمساومة يستعملها أفراد هذه العائلات الشريفة ذات الحسب والنسب لإجبار السلطة الاستعمارية - التي أقرت قوانين لمنع التسول في شوارع المدن التونسية الكبرى منذ سنة 1902 ورفضها التام لامتهان أفراد هذه العائلات للتسول- على استحداث طرق ووسائل لإعانتهم ماديا ومعنويا أو إعلان تحديهم لها ولهذه القوانين الاستعمارية ومذكرين في الآن نفسه السلطة الفرنسية بتاريخ العلاقة القوية بينهم وبينها قبيل الاستعمار وأثناءه، وقد تضمنت بعض الرسائل الموجهة إلى الإدارات الحكومية الفرنسية في تونس لطلب الإعانة والصدقة عبارات واضحة تتضمن تهديدا صريحا باللجوء إلى التسول في شوارع المدن التونسية " راني ماشي نمدّ يدي إلى الطلبة" "إذا أهملت الدولة أمري فإني نضع النواشين على صدري وأقول شي لله"(الأرشيف الوطني التونسي، س C، ص 33، م 1، م ف 9، وثيقة 78 بتاريخ جانفي 1909 / وثيقة 173 بتاريخ مارس 1914).

وفي هذا السياق من التحدي بين بعض عائلات البايات والسلطات الاستعمارية الفرنسية وإصرار أفرادها على اعتماد أسلوب الشحاذة كآلية لتحقيق ذواتهم وفرض مطالبهم عليها، يشير أحد التقارير الأمنية الفرنسية بمنطقة المرسى عن وجود استقرار متواصل للمتسولين بأراضي البايات وتحت حماية مباشرة من أمراء البايات حيث سجّل في شهر جوان 1936 فقط انتصاب أكثر من 30 خيمة خاضعة لحماية الأميرين حمودة باي والصادق باي. ويؤكد رئيس المنطقة الأمنية بالمرسى عجزه قانونيا وإداريا عن تطبيق أوامر الترحيل القسري ضدهم نظرا لوجود معارضة شديدة من قبل الأمراء ضدّ أي مضايقة أو اعتداء على خدمهم أو تطبيق أي إجراء تجاه المستقرين بأراضيهم الذين بدورهم يمثلون جزءا من خدم البايات تدعمهم التوصيات الحكومية المشددة التي تمنع المصالح الإدارية والأمنية الاستعمارية بشكل تام من المساس بمكانة وقرارات الأمراء العائلية أو التعدي على الأشخاص المكفولين بحمايتهم(الأرشيف الوطني التونسي، س A، ص 4، م 18، م ف 1، وثيقة 140 بتاريخ 17 جوان 1936)، وهو ما يدفعنا إلى الاستنتاج بأن الإدارة الفرنسية تعتمد الازدواجية المبررة في تطبيق القوانين المانعة للتسول باستثنائها الضمني لعائلات البايات وخدمهم من خضوعهم لهذه الإجراءات القانونية لضمان الحد الأدنى من ولاء أفرادها وكذلك قناعة من مسؤوليها أن الشحاذة توفر لهذه العائلات عائدات مالية هامة وقارة لا يمكن للحكومة الفرنسية توفيرها وبالتالي تمكن الدولة الاستعمارية من الاحتفاظ بجزء كبير من المداخيل المالية التي كانت مرصودة لإعانة هذه العائلات الملكية والشريفة.

إن اعتماد التسول كأسلوب وآلية لفرض الذات لا يمكننا من الجزم بأن جميع ممارسي الشحاذة قد اتبعوا هذه المهنة المرفوضة مجتمعيا وأخلاقيا وقانونيا طواعية وعن قناعة تامة بها بل أجبروا على ارتيادها غصبا ولفترات متقطعة آملين في اعتزال ممارستها، لتبرز لنا المصادر الأرشيفية والتقارير الاستعمارية والبحوث التاريخية أن العديد من التونسيين أفرادا وعائلات قد اعتبروا

الشحاذة مهانة وذلاً ولا يقدرون على ممارستها استحياء واستعفافا من السؤال للناس ليخيّر بعضهم الموت جوعا وعطشا على مذلة السؤال وطلب الصدقة بل بلغ الأمر بالمسمى "م. المرعوي" إلى محاولته قتل نفسه بسبب الفقر والخصاصة والاحتياج هربا واستعفافا من الخضوع إلى المهانة والذّل وإجباره على ارتياد مسلك الشحاذة وطلب الصدقة لإعالة أبناءه (جريدة الزهرة، 19 فيفري 1948).

ب. الانحراف الفكري للمتسولين:

تتميز الفئات المتسولة بنمط حياتي ووعي خاص وأساليب في التعامل داخل المجتمع، ومثل انعدام التجانس الاجتماعي أهم محدد للتركيبة الفكرية لهذه الفئات فمن الخاصيات المميزة لسلوك المتسول انهيار بعض القيم الأساسية والتطبع باللامبالاة وانعدام الإحساس بقيمة الأشياء ومكانتها الاجتماعية والأخلاقية وتبني قيم منافية للضوابط الدينية والمجتمعية السائدة (نعامة سليم، 1985، ص22)، وتعتبر هذه السلوكيات المنحرفة انعكاسا لما أحدثه الحضور الاستعماري الفرنسي من تفكك للمجتمع التونسي التقليدي وللثوابت القيمية والدينية إضافة إلى الأزمات الاقتصادية والاجتماعية المتعاقبة على البلاد التونسية وعدم قدرة المتسولين على الاستفادة من الإحداثيات الجديدة. فخلال السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي شكل الاحتياج والفقر أهم دافع لانحراف المتسول بسبب سياسة التفقير الممنهج والتهجير القسري للأهالي من أراضيهم ومواطنهم الأصلية، ففي جهة صفاقس أوردت جريدة لاديباش صفاقسيانLa Dépêche Sfaxienne سنة 1910 تذمر الأهالي من سوء تصرف الأشخاص الوافدين على المدينة من المناطق الداخلية والذين يمتهنون التسول نهارا والسطو على الأجنة وغابات الزيتون ليلا وسرقة المحاصيل ومداهمة مساكن الأثرياء ومراقبة مداخل الحدائق للتحضير لعمليات النهب والسرقة. وتفيد بعض التقارير الأمنية أن بعض العائلات الموسعة لعروش السواسي النازحة إلى أحواز مدينة تونس قد استغلت هذه الأوضاع وقام رجالها بتقسيم أدوار التسول والسرقة بين أفرادها: "الأطفال والنساء العاجزات متسولون في شوارع الحاضرة والبالغون الأصحاء من الرجال والنساء يمتهنون النهب والسلب ليلا على أن ينفق جانب كبير من المال المجمع على تكاليف سكر ومجون الأزواج" (الأرشيف الوطني التونسي، س E، ص 551، م 2، وثيقة 78 بتاريخ 12 مارس 1898). وأمام تتالي الأزمات الاقتصادية والاجتماعية أصبحت هذه المراوحة بين امتهان التسول والسرقة أمرا معتادا بالنسبة للمراقبة الأمنية الفرنسية، فنلاحظ أن العديد من التقارير الأمنية الفرنسية المختصة في متابعة تواجد المتسولين وتنقلاتهم وطريقة عيشهم تؤكد على التلازم والترابط الكبيرين بين امتهان التسول وممارسة النهب والسلب للكسب وتحصيل لقمة العيش (الأرشيف الوطني التونسي، س SG3، ص 6، م 5، وثيقة 5 بتاريخ 10 فيفري 1948).

طرحت مسألة الانحراف والتطرف الفكري للمتسول عديد التساؤلات حول الأسباب الكامنة وراء هذا الانحراف؟ فانطلاقا من دراستنا لمختلف الجوانب الحياتية للمتسول نستنتج وجود تداخل بين ما هو اجتماعي واقتصادي وثقافي وتربوي وذهني، حيث تتميز هذه الشريحة الاجتماعية بالتفكك في مستوى علاقاتها الاجتماعية والأسرية وفقدانها للسند العائلي وبضعف نفعها المجتمعي وهو ما انعكس سلبا على تنشئة الأطفال الذين أجبروا على إتقان حرفة التسول وممارسة عمليات نهب المارة. وقد أرجعت بعض الكتابات هذا الانحراف إلى غياب الإحاطة التربوية من قبل أوليائهم "إن جنايات الآباء لا تقف عند حدّ ولا يمكن أن تخلو من خطر على المجتمع لأنها تتسبب في فساد الأبناء" (جريدة الزهو، عدد 526، 10 أكتوبر 1932) دون أن يكون لهم أي ذنب أو مشاركة فعلية في تحديد أدوارهم داخل المجتمع، "هؤلاء الأطفال الذين لا ذنب لهم سوى أنهم وجدوا أنفسهم في هاته الدنيا لا أولياء لهم ولا من يسهر على مصيرهم، فهم غير مسؤولين عن الحالة التي يتخبطون فيها وربما أحوجتهم الضرورة إلى الاعتداءات على

غيرهم فيكونون بذلك خطرا على المجتمع" (جريدة الحرية، 2 جانفي 1949)، علما وأن السلطة السياسية الاستعمارية الفرنسية تتحمل الجانب الأكبر في تعميق أزمة انحراف الأطفال المتسولين بإتباعها سياسة تقوم على ازدواجية المعايير، ظاهرها إصلاحي ببعث مراكز للإصلاح والتكوين المهني على غرار مركز التكوين المهني والإصلاح بمنطقة قمرت وتطبيقاتها العقابية الردعية التي تكرس مزيدا من العزلة الاجتماعية والنفسية لدى الطفل المنحرف أفرزت ارتفاعا متواصلا في أعداد الأطفال المتسولين في شوارع المدن التونسية (L'action Tunisienne, 13 février 1956).

إن انعدام الاستقرار الاجتماعي والذهني والنفسي الذي تعيشه أغلب مكونات هذه الفئة الاجتماعية جعلها تتميز بالوقاحة المفرطة وتجاوز الضوابط الاجتماعية السائدة والقيم الدينية لفظا وممارسة لتفقد بذلك عديد الأشياء حرمتها وقدسيتها، وهو ما فتح الباب أمام تجارة التمعّش والجنس، فقد سارعت بعض الفتيات المتسولات إلى التجارة بأجسادهن وممارسة البغاء السري كمصدر للاسترزاق متجاهلات للضوابط القانونية والإجراءات الجزائية المتخذة ضدّ ممارسة البغاء سرا في ظل تواطأ وتساهل حكومي فرنسي في تطبيق مختلف الفصول القانونية، ومتجاوزات المحددات الأخلاقية والاجتماعية والمرجعيات الإسلامية خصوصا في غياب سلطة معنوية رجالية تفرض أطرا محددة لتصرفات المرأة، ويبرز لنا أحد التقارير الأمنية أن إحدى الفتيات المقبوض عليها قد اتخذت من ممارسة البغاء السري مصدرا للتسول والكسب بعد أن توفيت والدتها وهجرها والدها: "وقد كانت مرضية السيرة لما كانت والدتها بقبر الحياة وبوفاتها أخذت تتعاطى الفجور من غير مبالاة...وقد سئل عن والدها فذكر أنه لا يعرف له محلا وهو من المدمنين على الشرب"(الأرشيف الوطني التونسي، س A، ص 209، م 1، م ف 157، وثيقة 4 بتاريخ 14 ديسمبر 1908)، ومع مرور الزمن وبتداخل مختلف العناصر السلبية اجتماعيا ونفسيا وثقافيا تتحول المومس المتسولة إلى عنصر خطير على الاستقرار الاجتماعي يصعب في حالات عديدة ردعها أو صدّها عن أفعالها المنحرفة بالرغم من تتالي العقوبات الجزائية والأحكام الصادرة ضدها. ويورد في السياق الشاعر عبد الرحمان الكافي قوله:

"ما طاقنيش صبــــــــــــــــــر جيش الدعارة والفجور كثـــر
جيش الدعارة في الزناقي جال قلبي على المـــــــــــــــلاّل
أنا قصدي قليلــــــــــــة الأدب يا أصغر الكتـــــــــــــاب
لا تستحي بطـــــــــــــــــال برقعة صحيحة في مثيل فعال
بنات الخنا في كل برّ ومكان ما يعدهم لســـــــــــــــان
في النهج همّـــــــــــــــــال حبيت تغطي الشمس بالغربال"(الكافي عبد الرحمان، جحجوح، 1924).

يمكن القول أن فئة المتسولين لم تستثنيها عدوى انتشار التطرف الفكري والانحراف والإجرام والبذاءة والوقاحة التي شملت معظم الأوساط الاجتماعية التونسية، فقد سادت لدى أغلب النماذج المتسولة النزعة العدمية سواء بتراكم الجهل لديهم بالمرجعيات الاجتماعية التقليدية السائدة حضرية وريفية وبالقيم الدينية الإسلامية من جهة وبتجاهلها وتجاوز ضوابطها قصد الاسترزاق والكسب من جهة أخرى، ليكون إيمانهم بمختلف هذه المنظومات القيمية إيمانا مهزوزا وهشّا، فغابت سلطة العقل والدين على الفرد والمجموعة وطغت سلطة الهوى والنفس.

خاتمة:

إن محاولة تحديد الملامح العامة للعقلية الجماعية للفئات المتسولة تكون انطلاقا من دراسة ومتابعة الأساليب والتصرفات اليومية والحياتية للشحاذين فرادى وجماعات وفهم طبيعة تفاعلهم سواء ضمن إطار الجماعة الواحدة أو تجاه المحيط المجتمعي التونسي باعتبارهم نموذجا ثقافيا

وفكريا. وقد تحولت هذه العقلية الجماعية للمتسولين تدريجيا إلى جملة من العادات العاطفية والفكرية والجسدية تجلت في الخصوصيات التنظيمية لهذه الفئات التي تميزت بالديناميكية المتواصلة وبتعدد الآليات المتبعة في ممارسة الشحاذة، كما أثارت دراسة الخصوصيات الذهنية للفئات المتسولة إشكالية الاختيار الزمني لممارسة الشحاذة وفهم جوانبها الإجرائية الميدانية في مختلف ظروفها النفسية والاجتماعية والمناخية المحيطة بعملية التسول. وقد اعتمد المتسولون تكتيكات متعددة للكسب والاسترزاق تتماشى والمتطلبات المعيشية الصعبة ومع الظرفية الزمانية والمكانية للتسول والتي مزج فيها المتسول بين الخطاب اللفظي والخطاب الصامت الإيحائي والتي حاولنا الكشف عن خصوصياتها ومميزاتها من خلال دراسة عينات ونماذج الشحاذة. وقد مثلت الإحداثيات والتنوع في أساليب وتكتيكات التسول انعكاسا جليا لما تحمله نفسية وذهنية الشحاذ من أفكار ورؤى تجاه نفسه وواقعه وكيفية مواجهته للتحديات الاجتماعية والاقتصادية في محاولة لفرض ذاته داخل مجتمع فرض عليه مكانة دونية وإقصاء شبه تام إداريا ومجتمعيا وعائليا، كما أن الإخلالات في التوازنات الاجتماعية والأخلاقية دفعت البعض منهم إلى الإنحراف والتطرف الفكري بممارسة سلوكيات مرفوضة اجتماعيا ودينيا في تلازم مع ممارسة التسول لتسود في مراحل متقدمة لدى أغلب النماذج المتسولة النزعة العدمية واللامبالاة بالمحددات الدينية والاجتماعية والقيمية المجتمعية.

قائمة المراجع

1. جريدة الزمان، 31 أكتوبر 1933
2. جريدة الزمان،21 فيفري 1933
3. جريدة الزهو، عدد 526، 10 أكتوبر 1932
4. جريدة الزهرة، 19 فيفري 1948
5. جريدة الحرية، 2 جانفي 1949
6. الحشايشي محمد عثمان(1994)، العادات والتقاليد التونسية: الهدية أو الفوائد العلمية في العادات التونسية، دراسة وتحقيق الجيلاني بن الحاج يحي، سراس للنشر، تونس.
7. الحمروني أحمد(1999)، صالح الخميسي حياة وفن، قرطاج درمش، ميديا كوم، الطبعة الأولى.
8. خواجة أحمد(1998)، الذاكرة الجماعية والتحولات الاجتماعية من مرآة الأغنية الشعبية، حالة تونس الحاضرة قبيل الحماية وأثناءها وبعدها، منشورات البحر الأبيض المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، تونس.
9. سمارة عزيز والنمر عصام والحسن هشام(1993)، سيكولوجية الطفولة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.
10. عبد المقصود محمد(1995)، فاعلية كل من الإرشاد النفسي الفردي والجماعي في تعديل مفهوم الذات لدى عينة من المراهقين المصابين بشلل الأطفال، رسالة دكتوراه، كلية التربية - جامعة طنطا، مصر.
11. القسنطيني الكراي(1999)، الاحتياج والمحتاجون بتونس العاصمة في فترة الاستعمار الفرنسي 1885 - 1918، مركز النشر الجامعي، تونس.
12. ابن منظور(1988)، لسان العرب، قدم له الشيخ عبد الله العلايلي، الجزء الثاني، بيروت.
13. الكافي عبد الرحمان(1923)، "مسدس سماوي"، جحجوح، عدد 277، 20 ديسمبر 1923.
14. الكافي عبد الرحمان(1924)، "مسدس سماوي"، جحجوح، عدد 281، 17 جانفي 1924.
15. معجم اللغة العربية المعاصرة(2008)، عالم الكتب، القاهرة.
16. معجم الوسيط(1986)، الجزء الأول، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
17. الملولي الهادي(1984)، الصحف المعطلة، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس.
18. نعامة سليم، (1985)، سيكولوجيا الانحراف - دراسة نفسية اجتماعية، طبعة أولى، دمشق.

19. أرياس فيليب(2007)، "تاريخ الذهنيات.. مجال المؤرخ"، التاريخ الجديد، إشراف جاك لوغوف، ترجمة محمد الطاهر 20. المنصوري، مراجعة عبد الحميد هنية، الطبعة الأولى، بيروت.
21. إيزار ميشال(2006)، "الزمن"، معجم الأنتولوجيا والأنتروبولوجيا، تأليف بيار بونت وميشال إيزار، ترجمة وإشراف مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
22. باشلار غاستون(1988)، جدلية الزمن، ترجمة خليل أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر
23. الجابري محمد صالح(1987)، محمود بيرم التونسي في المنفى: حياته وأثاره، الجزء الثاني، دار الغرب الاسلامي، بيروت
24. الأرشيف الوطني التونسي، السلسة C، الصندوق 33، الملف 1، الملف الفرعي 12، وثيقة عدد 114 بتاريخ أفريل 1911
25. الأرشيف الوطني التونسي، السلسة C، الصندوق 33، الملف 1، الملف الفرعي 44، وثيقة عدد 236 بتاريخ 9 أكتوبر 1915
26. الأرشيف الوطني التونسي، السلسة C، الصندوق 33، الملف 1، الملف الفرعي 9، وثيقة عدد 78 بتاريخ جانفي 1909 / وثيقة عدد 173 بتاريخ مارس 1914
27. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة A، الصندوق 183، الملف 1، الملف الفرعي 14، وثيقة عدد 2 بتاريخ 8 جانفي 1909
28. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة A، الصندوق 209، الملف 1، الملف الفرعي 157، وثيقة عدد 4 بتاريخ 14 ديسمبر 1908
29. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة A، الصندوق 4، الملف 18، الملف الفرعي 1، وثيقة عدد 140 بتاريخ 17 جوان 1936
30. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة A، الصندوق 4، الملف 18، الملف الفرعي 2، وثيقة عدد 89 بتاريخ 6 أوت 1941 / وثيقة عدد 22 بتاريخ 12 أوت 1941 / وثيقة عدد 65 بتاريخ 29 مارس 1941
31. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة E، الصندوق 234، الملف 3، الملف الفرعي 14، وثيقة عدد 31 بتاريخ 12 جوان 1936
32. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة E، الصندوق 509، الملف 368، وثيقة عدد 4 بتاريخ 22 سبتمبر 1942
33. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة E، الصندوق 544، الملف 1، الملف الفرعي 2، وثيقة عدد 104 بتاريخ 10 أكتوبر 1909 / وثيقة عدد 105 بتاريخ 15 أكتوبر 1909
34. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة E، الصندوق 551، الملف 2، وثيقة عدد 78 بتاريخ 12 مارس 1898
35. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة SG3، الصندوق 6، الملف 5، وثيقة عدد 5 بتاريخ 10 فيفري 1948
36. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة SG9، الصندوق 97، الملف 2، وثيقة عدد 25 بتاريخ 18 جويلية 1936
37. Bergson Henri (1988), Essai sur les données immédiates de la conscience, collection bibliothèque de philosophie contemporaine, Paris.
38. Berry Georges (1897), La mendicité, Paris, maison d'édition de l'utile-office.
39. Burguière André (1988), «Anthropologie historique», Encyclopédie Universalise, vol 2.
40. Chartier R (1983), «Histoire intellectuelle et Histoire des mentalités. Trajectoires et Questions», revue de synthèse, n°111 - 112.

41. De la Forge Jacques (1894), Tunis-port de mer : notes humoristiques d'un curieux, librairie Marpon et Flammarion, Paris.
42. Duby Georges (1961), «Histoires des mentalités», in L'histoire et ses méthodes, Paris.
43.Hulak florence (2008), «En avons- nous finit avec l'histoire des mentalités», philonsobonne, n°2.
44. L'action Tunisienne, 13 février 1956.
45. La Dépêche Sfaxienne n° 4453, 6 novembre 1907.
46. La Dépêche Sfaxienne n°5485, 14 Décembre 1910.
47. La Dépêche Tunisienne, 17 janvier 1902.
48. Lemanski Witold (1911), Tunis l'hiver, Fr.Weber, Tunis.
49. Lemanski Witold (1918), Mœurs arabes (scènes vécues), Paris.
50. Mandou R (1968) «L'histoire des mentalités», in article «Histoire», 5, Encyclopédie Universalise, vol 8.
51. Monchicourt Charles (1935), «Le statut des Italiens de Tunisie, Questions Nord-Africaines», revue des problèmes sociaux de l'Algérie, de la Tunisie et du Maroc, p 3 - 45, Paris.

الحياة الثانية: في التأسيسات السوسيولوجية لطبيعة المجتمع الإفتراضي

the Second Life: In the sociological establishment of the nature of the virtual society

د.نور الدين هميسي، جامعة سطيف 2- الجزائر.
أ.نجيب كامل، جامعة الجزائر 3- الجزائر.

ملخص: تتطرق هذه الدراسة إلى طبيعة الواقع الافتراضي VR في تأسيس نمط حياة جديد في المجتمعات، وهو ما سنعالجه نظريا بالغوص في عمق المفهوم السوسيولوجي للجماعات الافتراضية، إذ غالبا ما يختزل هذا المفهوم في أبعاده التقنية من خلال تصور وجود تجمع في فضاء إلكتروني لمجموعة من البشر الذين يتواصلون فيما بينهم، لكن ما يلاحظ أن هناك أبعاد أنثروبولوجية وإجتماعية أنتجها هذا التجمع الذي يشكّل في نظر بعض الباحثين لحظة فارقة بين شكلين اجتماعيين مختلفين يؤسسان لثقافتين ولحياتين يفتقدان لأي صلة بينهما.

الكلمات المفتاحية: الواقع الإفتراضي، الجماعات الإفتراضية، فضاء إلكتروني.

Abstract: This study deals with the nature of virtual reality (VR) In establishing a new lifestyle in societies, This is what we will theoretically say Deep dive into the sociological concept of virtual groups, This concept is often reduced in its technical dimensions By concealing a gathering in an electronic space for a group of people who communicate with each other, But there are anthropological and social dimensions produced by this gathering Which, in the eyes of some researchers, is a moment between two different social forms that establish two cultures and two lives that lack any connection between them.

Keywords: Virtual Reality, virtual community, electronic space.

مقدمة:

من السهل إطلاق حكم قاطع ونهائي بأن تكنولوجيا الإعلام والاتصال باتت تشكل الظاهرة الأبرز للقرن الواحد والعشرين، ذلك أن تأثيراتها باتت واضحة وجلية في مختلف نواحي الحياة: من العمل إلى التعليم إلى مختلف طقوس الحياة اليومية البسيطة، لهذا أصبحت التكنولوجيا محل تساؤلات علمية عميقة، طرحتها الفلسفة كما طرحتها مختلف العلوم الاجتماعية، ذلك أن البعد الاجتماعي المتضمن فيها يبدو عميقا لدرجة الحديث عن ميلاد مجتمع جديد.

يمكن أن نقرأ في هذا الشأن أطروحة الباحث الإسباني مانويل كاستلز التي تحمل عنوان المجتمع الشبكي، والتي يختزلها في قوله: "ثمة نزعة تاريخية تنتظم بمقتضاها الوظائف والعمليات الأساسية حول الشبكات على نحو متزايد، وتكوّن هذه الشبكات الوجه الاجتماعي لمجتمعاتنا، ويعمل انتشار منطق التشبيك على تعدل العمل وثماره تعديلا جوهريا في نواحي الإنتاج والتجربة والقوة والثقافة"(دران بارني، 2015، ص12)، وكذا مقولة الباحث الأمريكي هاوارد رينغولد عن المجتمع الافتراضي، والتي يقول فيها بأن الناس يقومون عبر الجماعات الافتراضية بكل ما كانوا يقومون به في الحياة اليومية العادية (Haward Rheingold, 1993, p3).

إن رفع سقف التنظير السوسيولوجي لدرجة الحديث عن ميلاد مجتمع متكامل التشكل يبدو مرتفعا بالنسبة لتيارات أخرى، إذ وعلى الرغم من الطبيعة الثورية لتكنولوجيا الإعلام والاتصال فإنه لا يمكن بحسب هذا الاتجاه الحديث عن تجاوز لصيغة المجتمع القديم، ذلك أن التجاوز يحتاج على المستوى النظري لإعادة توزيع جذرية لشكل التبادلات والأدوار الاجتماعية، كما يحتاج إلى توضيح الحدّ الذي تمّ تجاوزه، وهذا الحد يبدو غامضا على الرغم من أن "رينغولد" مثلا يعتبر بأن هذا الحد يكمن في التكنولوجيا ذاتها.

على كلّ حال، فإن هذا الانشطار في آراء الباحثين لا يقلل من حجم التغيّر الذي شكلت تكنولوجيا الاتصال قاطرته المحرّكة، فبالمقارنة مع سنوات قليلة ماضية، نلاحظ بالتأكيد بأن الشكل العام للحياة والكثير من أنشطتها أخذا في التحول نحو الافتراضية la virtualité، وفكرة الافتراضي لا تعني مجرّد تطبيق لتحديث تكنولوجي، وإنما معايشة فضاء جديد للحياة والاستغراق فيه: من اللعب إلى الحاجيات الاجتماعية إلى الاستغراق النفسي والاجتماعي الكلي الذي يتجسّد بوضوح في لعبة الحياة الثانية the second life التي سنناقش بعض خلفياتها هنا من خلال تأطير الموضوع عبر العناصر التالية:

- في مفهوم الواقع الافتراضي.
- ما بين الواقعي والافتراضي: الحقيقة الاجتماعية للإستغراق.
- من الاستغراق إلى التفاعل الاجتماعي كمرحلة لبناء الجماعات الافتراضية.
- الجماعات الافتراضية: غوص في المفهوم والعمق السوسيولوجي.
- الجماعات الافتراضية والهوية الافتراضية.
- في منهجية دراسة الواقع الافتراضي.

1. في مفهوم الواقع الافتراضي:

ظهر مصطلح الافتراضي virtual reality (vr) في بادئ الأمر من جارون لانير Jaron Lanier مؤسس لغة البرمجة الافتراضية vpl 1989... وقد بدأ إنتاج بيئة الواقع الافتراضي مع مايرون كروجر Myron Krueger، باختراع بيئة افتراضية يتحرك فيها المستخدم تحت مبدأ (تعال كما أنت) باستخدام أجهزة استقبال لإبراز جسم المستخدم، حتى يمكنه التفاعل مع صور

مولدة بواسطة الحاسب فتكون التحركات مدخلات للحاسب يقوم بقراءتها وتقوم الكاميرات بمتابعة هذه التحركات ورصدها(عبد الحميد بسيوني، تكنولوجيا الواقع الافتراضي، 2015، ص08)

ان استخدام مصطلح الواقع الافتراضي أو البيئة الافتراضية هو الشائع والغالب في من ناحية الاستعمال، ولكن نجد هناك عديد المصطلحات التي تعبر عن هذا الواقع الافتراضي وتشترك معه أهمها: الخبرة الاصطناعية، العوالم الافتراضية، الواقع الاصطناعي، وكلها تعبر عن نفس الشي .
(Tomasz Mazuryk, Michael Gervautz, 1999, p03)

ويأتي تعريف الكاتب "عبد الحميد بسيوني" للواقع الافتراضي بشكل دقيق في كتابه تحت عنوان "تكنولوجيا وتطبيقات ومشروعات الواقع الافتراضي"، حيث يقول أن الواقع الافتراضي هو محاكاة الواقع عن طريق الأجهزة بما فيها الحاسبات والبرمجيات التي تسمح بإشراك حواس الانسان بالاعتماد على أجهزة خاصة مثل: خوذة الرأس وقفاز البيانات ويعني الواقع الافتراضي بيئة محاكاة ثلاثية الابعاد تمكن المستخدم من تجربتها والتعامل معها كأنها عالم فيزيائي حقيقي(عبد الحميد بسيوني، تكنولوجيات وتطبيقات ومشروعات الواقع الافتراضي، 2015، ص07)

إن الواقع الافتراضي يمكن أن يشمل الحواس الخمسة كلها بشرط الانعزال التام عن البيئة الحقيقية المحيطة، وحاليا توجد غرف معزولة تحقق هذا الغرض، لكن مع تطور التكنولوجيا يمكن أن تكون هناك خلايا عصبية الكترونية توفر للإنسان أن يعيش الواقع الافتراضي دون الحاجة إلى أن يحبس نفسه داخل الغرف المغلقة التي يحتاج إليها الواقع الافتراضي(عبد الحميد بسيوني، كيف تعيش الحياة الثانية في العالم الافتراضي، 2015، ص08).

يخلق هذا العالم الافتراضي ثلاثة عوالم نذكرها تواليا مع شرحها:

- واقع افتراضي يخلق حالة من التواجد المكتمل: وفيه يتم ايهام المستخدم بأنه لا وجود للحاسوب والعالم الحقيقي، فلا يرى أو يشعر بأي شيء سوى هذا العالم المصنوع الذي يوجده الحاسوب ويتصرف داخله بحرية تامة.
- واقع افتراضي محدود الوظيفة والمكان: ويستخدم هذا النظام في أجهزة المحاكاة simulators وينصب اهتمام المصمم في هذا النوع على محاكاة خواص او جزئيات بعينها في الواقع الحي (الحقيقي) مثل تأثير الجاذبية او السرعة الشديدة مع اهتمام أقل بالتفاصيل.
- واقع افتراضي طرفي: وهنا تكون رؤية العالم الافتراضي ويتم التعامل معه عن طريق شاشة الحاسب الآلي، دون الشعور بالتواجد الواقعي داخل العالم المصنوع(سمير ذياب سبيتان، 2012، ص62).

يتضح من خلال ما سبق بأن مفهوم الواقع الافتراضي يحمل دلالة خاصة، إذ يحاول الجمع بين متناقضين هما الواقع والافتراض، وعلى الرغم من أن الجمع بينهما يبدو مستحيلا منطقيا أو معجميا، إلا أنه أضحى ممكنا تقنيا بفضل التطور الباهر الذي أحرزته تكنولوجيا الإعلام والاتصال في السنوات الأخيرة، حيث مكنت من بناء الكثير من العوالم التي أضحت تسيطر على حياتنا وهي في الآن ذاته محض خيالات إلكترونية. إن هذه الخاصية في الواقع الافتراضي هي ما سيكشف لنا فيما سيأتي عن رهانات اجتماعية عميقة جدا، حيث سنتساءل عن كيفية معايشة الأفراد اجتماعيا لهذه التناقضات.

2. ما بين الواقعي والافتراضي: الحقيقة الاجتماعية للإستغراق:

يشيع استخدام وصف الافتراضي على نطاق واسع في بحوث الإعلام والاتصال وعلم الاجتماع، وذلك للدلالة على الوضع الإنساني العام الذي يترافق مع انتشار تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتغلغلها إلى الحياة الاجتماعية للبشر، ويكاد المعنى العام الشائع يوحي بأن الافتراضي أقرب ما يكون للخيالي، أي إلى ما تجري محاكاته من وصفه واقعيا وإحالته إلى

شكل آخر يتسم بأنه مجرّد تمثيل une simulation، ومن هنا أتت فكرة عوالم المحاكاة les simulateurs التي تمت الاستفادة منها لتقليد الواقع والتعلم على التدخل في الواقع عن طريق الافتراض مثل تعلم قيادة الطائرة أو السيارة.

بعيدا عن هذا المعنى العام، يستخدم الافتراضي على نحو ما مرفقا بمفهوم الواقع، أي الواقع الافتراضي the virtual reality، وهذا المفهوم يحيل إلى ثلاث معاني ممكنة: (sean cubbit, 2008, p 5299-5300).

أولها: التكنولوجيا الاستغراقية السمعية البصرية، أي التكنولوجيا التي يغوص من خلالها الفرد في عوالم الافتراض.

ثانيها: التكنولوجيا التي تحقق أثر محاكاة a similar effect بالنظر لقدرتها على توفير التواجد في مكان آخر l'ubiquité وإظهار الاختفاء من الواقع الحقيقي.

ثالثها: التكنولوجيا وهندسة وطبيعة العلاقات والعمليات الاجتماعية التي تشبه إلى حد ما عملية الاستغراق في التكنولوجيا، مدعومة بأطروحات سوسيولوجية تدّعي بأن الواقع الاجتماعي ليس في أصله سوى وضعا افتراضيا.

يمكن إعادة قراءة هذه المفاهيم الثلاثة للواقع الافتراضي عبر إعادة تصنيفها، فالمفهومان الأول والثاني يحيلان بالدرجة الأولى إلى البعد التقني والمادي للافتراضي من خلال الالتفاف حول فكرة الوسيط، في حين ينطلق المفهوم الثالث إلى الافتراضي بوصفه تجربة اجتماعية، ذلك أن كل ما هو اجتماعي، بحسب هذا المفهوم، هو في أصله افتراضي ولا توجد في الواقع مؤشرات ملموسة على وجوده، يريد أنصار هذا المفهوم التأكيد على أن الاتصال، بوصفه سلوكا مجرّدا، هو ما يعطي لكل ما هو اجتماعي وجوده كواقع، ولكن هذا الوجود غير متعيّن، وإنما يجب أن يكون افتراضيا لكي يوجد.

هكذا، فإن كل ما في الأمر هو أن الافتراضي هو امتداد للواقعي، فبالإضافة إلى مسألة الأبعاد الفيزيائية، يقترح الافتراضي محاكاة كلية لحواس الفرد وتمثله العام للحياة، ويحاول –كما يقول شون غرادي- أن يكيّف الكمبيوتر مع الكائن الإنساني (sean grady, 2003, p 2) إن هذا التكييف يعني بالدرجة الأولى بأن الافتراضي ليست سوى أسلوبا آخر لممارسة الحياة، ولكن بنوع من التدخّل من القدرة البشرية على الطبيعة، أي إعادة إنتاج صورة أخرى اصطناعية للواقع يمكّن الاستغراق فيها من محاكاة الصورة الأصلية.

طبعا، لا تحظى وجهة النظر هذه بالقبول الكلّي بين الباحثين، فاتجاه آخر منهم يتصور على خلاف الفريق الأول بأن المحاكاة لا تعني بناء صورة اصطناعية للواقع، وإنما فرض واقع آخر، وهنا يزول ذلك التركيز المفرط على سحر الوسيط la magie du medium، وعوضا عن ذلك فإن عملية الاستغراق l'immersion تنشئ فعلا اجتماعيا جديدا، فالبيئة الجديدة باعتبارها مختلفة عن الواقع الحقيقي تمنح أساليب وأشكال جديدة لممارسة الاجتماعي.

يشدد كل من ناديا ثالمان ودانييل ثالمان على أن الاستغراق البصري ليس الشكل الوحيد للاستغراق، صحيح أن الانتقال للتكنولوجيا ثلاثية الأبعاد أصبحت توفر قدرة كبيرة على الاستغراق البصري بحيث أصبح دخول العوالم الافتراضية يخلق تجربة أقرب ما تكون للواقع، ولكن هذه العوالم لا تتوقف عند حدودها التقنية، بل تتيح كذلك الخروج عن الحدود الضيقة للواقع الحقيقي، فيقول الباحثان هنا: "الكائنات البشرية الافتراضية virtual humans أصبح بإمكانهم التصرّف بشكل أكثر حرية وعاطفية.(nadia thalmann, daniel thalmann, 1994, p2).

تحوّل هذه الحرية الحياة الافتراضية إلى تجربة جديدة متسمة بالانطلاق، والاستغراق بهذا التصوّر يفتح آفاقا أرحب لممارسة الاجتماعي في مختلف تجلياته: علاقات أوسع، تجاوز للجغرافيا، اختراقات للطقوس والتقاليد السائدة في الواقع الاجتماعي الحقيقي، ممارسات تقمّص

إضافية للهوية، الاندماج في جماعات أخرى، وبذلك فإن الافتراضي يستحيل إلى إجتماعي متحرّر un social émancipé، يتمكّن الفرد من خلاله من إعادة إنتاج شكل اجتماعي آخر، لذلك فإن هذا الرأي يولي لمفهوم الجماعة الافتراضية la communauté virtuelle أهمية مركزية ويعتبره المفهوم المفتاح لفهم ما قدمته تكنولوجيا الإعلام والاتصال على الصعيد السوسيولوجي.

3. من الاستغراق الى التفاعل الاجتماعي كمرحلة لبناء الجماعات الافتراضية:

بعد الحديث عن تلك الحرية الافتراضية المتسمة بالاستغراق والتي فتحت مجالا لممارسة الفعل الاجتماعي في مختلف مستوياته، فإن التفاعل الاجتماعي أصبح فرض ضمن هذا العالم الافتراضي وان أمكننا أن نقول الآن أن التفاعل الاجتماعي في الواقع الافتراضي او الواقع الاجتماعي الافتراضي لا يزال في مرحلة الطفولة، بالرغم من التجارب الكثيرة والنماذج التي صيغت عن هذا العالم، إلى أن ربط البشر معا هو واحد من أكبر الإمكانات التي يمكن ان تحققها تقنيات الواقع الافتراضي، وما يواجه هذا التجسيد الواقعي للتفاعل الاجتماعي عبر الواقع الافتراضي هو ما يتعلق بالتجسيد الصوري للأشكال البشرية عبر هذا الواقع لإعطاء اكثر واقعية ومعايشة، ربما يتم هذا من خلال تكنولوجيا التصوير 3d ومن ثم استنساخ الصورة في العالم الافتراضي وهنا يدعى هذا التجسيد ب "الطيف"، وما يؤثر أيضا في هذا الواقع المفترض في علاقته بالتفاعل الاجتماعي هو غياب الهوية الحقيقية للفرد، فالبيئة الاجتماعية الافتراضية تسمح له لعب أدوار مختلفة عن حياته الواقعية الحقيقية، وأيضا اظهار سمات شخصية غير التي يمتلكها حقيقة الفرد، تسمى هذه الظاهرة بـ "تأثير بروتيوس proteus effec" قد يرغب المستخدم هنا ان يعيش في الخيال او يحاول ان يرى العالم بمنظور مختلف، وأيضا تجسيد الشخص لذاته في أشكال أخرى كأفراد آخرين او حيوانات، رسوم متحركة.

بعد معايشة التفاعل الاجتماعي في الواقع الافتراضي، من خلال تجسيد الشخصية في هذا الواقع او معايشة شخصيات أخرى وفرض نمط اجتماعي حسب ما يريده المستخدم، نتساءل الآن عن التغيير الاجتماعي والتحسين الاجتماعي الممارس عبر الواقع الافتراضي، وهذا ما عالجه "جيريمي بيلنسون Jeremy Bailenson" من خلال مثال مثير يجعلنا نفكر في أهمية الواقع الافتراضي، حيث يمكن للمعلم في القائه لمحاضرة لكامل الصف ان ينظر في كل طالب وبشكل مباشر في العينين وفي وقت واحد، هذا مستحيل جسديا في العالم الحقيقي ولكن من السهل القيام به في الواقع الافتراضي، وهو ما يوفر فرصة وتأثير كبير على نتائج التعليم.

إن عوالم الانترنيت وان تعددت تسمياتها من "العالم الافتراضي" الى "العالم الصناعي" او "البيئة الافتراضية للمستخدمين"، تتيح للفرد بناء شخصية إفتراضية، منزل، اقتناء حيوان، وشخصية جديدة غير شخصيتك الحقيقية، تمكنك من أخذ الوظائف وان تنتمي الى مجتمع ما، ان تستمتع مع الاخرين افتراضيا عبر الانترنيت، حيث أنها تركز بدرجة كبيرة على التفاعل الاجتماعي (Jacob Van Kokswijk, 2008, p2011) .

4. الجماعات الافتراضية: غوص في المفهوم والعمق السوسيولوجي:

في البداية، يجب التأكيد على ضرورة توخّي الحذر في التعاطي علميا مع مفهوم الجماعات الافتراضية، فغياب حدود واضحة أو نطاقات كمية تعطي بدقة حجم الجماعة الافتراضية يجعل من عدم الممكن القول بوجود مجتمع افتراضي، ذلك أننا نجد أنفسنا هنا نتراوح بين الثنائية التي تحدث عنها فرديناند تونيز في السوسيولوجيا التقليدية، والتفرقة بين الجماعة والمجتمع.

إن القول بوجود جماعة افتراضية لا يلغي ضمنيا إمكانية أن تساهم تكنولوجيا الإعلام والاتصال في التأسيس لمجتمع افتراضي une société virtuell ، فالحرية التي تحدثنا عنها آنفا تفسح المجال للفرد لكي ينخرط في فضاءات اجتماعية غير محددة جغرافيا ولا اجتماعيا ولا

حتى أنثروبولوجيا. إن قدرة التكنولوجيا على تجاوز حدود المجتمع الواقعي بما يمليه من ضوابط ومعايير وطقوس وتقاليد تفتح المجال لتعويض مجتمعات بمجتمعات أخرى مكتملة التشكيل.

لقد ظهر مفهوم الجماعة الافتراضية للاستخدام العلمي على يد الباحث الأمريكي هاوارد رينغولد عام 1993 في كتابه الذي حمل عنوان "الجماعات الافتراضية: رسم للحد الإلكتروني" وهو عبارة عن استعادة واختبار لنبوءات "لينكليدر" الذي توقع منذ عام 1968 أن شكل الحياة الاجتماعية سيتحوّل بظهور الأنترنت، (Edward Steinmuller, 2008, p5295) في هذا الصدد، ينبغي أولا التفرقة بين مفهوم الجماعة الافتراضية بوصفه مفهوما ثقافيا بالأساس، وبين مفهوم الشبكة باعتبارها مجرد تصور تقني يركّز على قوة التقنية في ربط الناس، وهنا يؤكد "إدوارد شتاينمولر" بأن مفهوم الجماعة الافتراضية، وعلى خلاف مفهوم الشبكة، يجرّ وراءه الكثير من الإيحاءات المتعلقة بالتبادلات الاجتماعية، الثقة والهويات (Edward Steinmuller, 2008, p5296).

يسير "رينغولد" على هذا الخط، ويؤكد على أن مفهوم الجماعة الافتراضية يحمل شحنة ثقافية في المقام الأول، فالناس في رأيه "يقومون عبر الفضاءات الافتراضية بكل ما يقومون به عادة في حياتهم العادية، يتبادلون الجد والهزل، يبنون خطابات فكريا، يتبادلون التجارة والأفكار والدعم العاطفي، يخططون لحياتهم، يكسبون ويخسرون الأصدقاء، يلعبون، يتحايلون ويتناقلون الكذب... إنهم يؤسسون لثقافة فرعية بارزة (Howard Rheingold, 1993, p 3).

يعرف لوري كندال الجماعة الافتراضية بأنها كلّ جماعة تتشكل بمجرد الارتباط بشبكة ما، وليس شرطا أن يكون الاتصال آنيا، إذ يكفي ربط مجموعة من الحواسيب لتبدأ هذه الجماعة بالتشكل، (Lori Kendall, 2003, p 1454) ويشير كيندال بدوره إلى البعد الثقافي العميق والأكيد للجماعة الافتراضية بالتأكيد على أن الارتباط الحي the online communication لا تعني بالضرورة بأن الجماعة موجودة، إذ يستمر وجود الجماعة حتى في حالات الارتباط غير الحيThe offline status وهنا فإن ما تتقاسمه الجماعة ثقافيا هو ما يشكل جوهرها وليس الوضع أو الوسيط التقني الذي يجمعها، في رأي شتاينمولر، فإن الجماعات الافتراضية لا تملك نطاقات امتداد واضحة وفقا لإحصائيات معينة، فمنذ نشأتها من خلال تقنية البريد الإلكتروني، ثم ظهور المنتديات والمدونات وحاليا شبكات التواصل الاجتماعي، لم يرتبط الرهان العلمي لفهمها بخصائص التكنولوجيا بقدر ما تمركز أكثر حول طبيعة وعمق العلاقات الاجتماعية ومدى تجذّر الإحساس بالانتماء للجماعة الافتراضية(Edward Steinmuller, 2008, p5296) .

إن الرهان الاجتماعي ينعكس بوضوح من خلال ما يمكن أن نسميه إشباعات اجتماعية يجري تحقيقها وعلى نحو يتجرّأ كيفن ميغال شيرمان على وصفه بـ"الإدمانaddiction "، وهذا الإدمان هو ما يرسم بحسبه الحد الإلكتروني الذي يوضح الحدود بين الانتماء للواقع الاجتماعي الحقيقي وبين الجماعات الافتراضية(kevin miguel sherman, 2011, p32) يوضح الحد الذي يبنيه الإدمان حالة الاستقلال التي تتمتع بها الجماعة الافتراضية في تحقيق إشباعات معينة يتمسك بها المنتمون للجماعة، على نحو من التفضيل بالمقارنة مع الواقع الحقيقي، ولهذا يلاحظ ذلك التنوع الكبير في أجندة هذه الجماعات التي أضحت توفر للمنتمين لها أشكالا لا تعدّ ولا تحصى من الاهتمامات.

يذكر "لوري كندال" مثلا أن أبرز الجماعات الافتراضية التي انتشرت منذ بداية بروز العمق الاجتماعي كانت توفر اهتمامات مختلفة، فبدأت بالتعريف بجدوى الجماعات الأولى من خلال نشر الثقافة الإلكترونية، وامتدت فيما بعد لاهتمامات أوسع، من المحادثات والتعارف، إلى الألعاب والتعليم، إلى نشر الثقافة السياسية والتربية على المواطنة. (Lori Kendall, 2003, p 1455-1458). أكثر من ذلك، لا يتعدى اللجوء الاجتماعي إلى الجماعات الافتراضية مجرد

البحث عن بناء علاقات امتداد للواقع الاجتماعي الحقيقي أو تحقيق استخدامات معينة، بل إن هذه الجماعات قد تتحول في حالات ما إلى شكل من العلاج النفسي psychotherapy مثلما يرى هاوارد رينغولد.(Howard Rheingold, 1993, p4).

وتبرز الاستقلالية الكاملة للجماعة الافتراضية، أو سيادتها كما يسميها كيفن ميغال شيرمان، في مواجهة الواقع الاجتماعي الحقيقي بوضوح في لعبة "الحياة الثانية" second life، والتي انتشرت بشكل واسع في الغرب بوصفها لعبة استغراق كلي في عالم محاكاة للواقع الاجتماعي تمكن المنتمين لها من تجربة شكل آخر تماما لحياتهم بالقفز على هويتهم الحقيقية من الجنس والسن وحتى الانتماء للدولة، وتمنح تجربة الاستغراق إمكانية لبس أي هوية أخرى وممارسة أنشطة على نحو افتراضي أصبح يهدد انتماء الأفراد حتى للدول، إذ يقول شيرمان في خلاصة لدراسته: "لقد حاولت أن أثبت بأن الانخراط في لعبة الحياة الثانية من حيث إمكانية كونها أمة a nation، من شأنها أن يحولها إلى واقع حقيقي، أي أن تنشأ بالفعل أحاسيس بالانتماء للحياة الثانية بوصفها أمة فعلا" (Kevin Miguel Sherman, 2011, p48).

5. الجماعات الافتراضية والحديث عن الهوية الافتراضية:

تتسم المجتمعات الافتراضية بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهي بالتدريج إلى تفكيك مفهوم الهوية التقليدي، ولا يقتصر تفكيك الهوية الوطنية او القومية بل يتجاوزها الى الهوية الشخصية، لأن من يرتادونها في أحيان كثيرة بأسماء مستعارة ووجوه ليست وجوههم وبعضهم له أكثر من حساب.(عبد العزيز خالد الشريف، 2014، ص67)، وهو ما يقودنا إلى فرضية وجود هوية إفتراضية متعددة لشخص واحد، آن العديد من الباحثين يرون أن المجتمعات الافتراضي

إن الحديث عن واقع افتراضي سيقودنا حتما إلى هوية افتراضية غير تلك الحقيقية، وقبل هذا نتساءل عن ماهية الهوية الافتراضية والتي يبدو انها تتعلق بالأنترنيت وبتطور الشبكات الاجتماعية، لكن هذا المفهوم وان اعتبر كاملا إلا إنه لا يمثل الهوية الافتراضية المعبرة عن الانتقال الثنائي المادي والروحي إلى عالم الافتراض، يأتي تعريف الهوية الافتراضية بأنها شخصية متضمنة في عالم الانترنيت مع شرط التواصل عبر الانترنيت، وهي نظرة متصورة لما تكون عليه هذه الشخصية في الانترنيت، وبشكل دقيق هي الشخصية المعروفة عن المستخدمين على الانترنيت .

يمكن تحديد وبناء الهوية الافتراضية عبر مرحلتين: يتم أولا تعيين سمات لنفسك في هذا الفضاء الافتراضي، وتكون لهذه السمات علاقة بك، كإختيار الاسم، الجنس والعمر وخصائص أخرى مثل قصة الشعر، المظهر الجسدي، القوة، الذكاء وما الى ذلك من صفات أخرى، بعدها تأتي المرحلة الثانية وهي: بداية "الكتابة" داخل الغرف الافتراضية، ومن ثم تتشارك هذه السمات والكتابة في عملية دائمة ومستمرة لبناء هويتك من خلال التفاعل الاجتماعي، كما نؤكد على أن توفر الغرف الافتراضية هو فرصة لتجربة وتقمص عديد الهويات وخاصة المظاهر الخارجية.(Jakob Van Kokswijk, 2008, p 207-209)

وما يمكن الحديث عنه هنا يتعلق بشكلين في الحياة الافتراضية، هل هي تكامل ووصل بين الحياة الواقعية ام هي انتقال يحدث معه تغير جذري في المفاهيم والسلوكيات وعموما "الهويات"، إن كل فرض بشكلي الحياة الافتراضية يرتبط أساسا بالفرد وواقعه الذي يفرض عليه مثل هذا الانتقال إلى الحياة الافتراضية خاصة مع دعم التخلي عن الهوية الحقيقية، لينتقل إلى العيش في عالم هو راسمه ويكون فيه الشخصية التي أرادها وتمنى الوصول إليها وبشكل ادق تحقق الهوية الافتراضية توافق نفسي لدى المستخدم، وهذا لا يكون إلا بالتضحية أو إلغاء للهوية الحقيقية ومن المؤشرات التي يمكن أن نلاحظ فيها تغير جذري لمسألة الهوية نذكر:

- إلغاء الوطن أو فك العلاقة بالوطن: وهو ما نلاحظه لدى الجيل التكنولوجي الحالي وما سيلاحظ بفعل التطورات التكنولوجية القادمة، ضمن عالم متسارع في تطور التقنية، هنا ألغي شرط الإنتماء الى الوطن لتحديد الهوية للشخص، وإنما الوطن أصبح عالما افتراضيا يغوص فيه الشخص.

- إلغاء الارتباطات الاجتماعية: فنجد تفككات أسرية ومجتمعية عميقة في المجتمع، بفعل الاستغراق والتفاعل الافتراضي الدائم والمتواصل الذي أبدى راحة نفسية لدى الأفراد أكثر من العالم الحقيقي.

- إلغاء الإرتباطات التاريخية والدينية وحتى اللغوية وخلق نمط افتراضي جديد من الارتباط يحدده الشخص لا المجتمع.

6. في منهجية دراسة الواقع الافتراضي:

على حافة هذا الجهد التنظيري الذي يسعى لتأسيس حقل سوسيولوجيا مستقلة لظاهرة الجماعات الافتراضية، تنطلق إشكاليات من نمط آخر، وهي الإشكاليات المنهجية. إن القول بالاستقلال النظري لهذا المجال البحثي يستدعي إلى حد ما الفصل في مشكلة كيفية مقاربته منهجيا، فهل يتطلب الأمر اللجوء على منهجيات بديلة لتلك المعروفة في المجالات الأخرى أم أن الخصوصية التقنية لهذا المجال تفرض اللجوء إلى حلول بديلة.

في البدء، يجب الإنطلاق من ملاحظة مهمة جدا، وهي أن تطبيق المنهجيات التقليدية على المجتمعات الناشئة بتحفيز من تكنولوجيا الإعلام والاتصال يصطدم بالعديد من العقبات، وفي هذا الشأن يقدم "نيكولا ميرزوف" قراءة معمقة للواقع الافتراضي مقارنة بما كان مأمولا في بداياته الأولى، حيث يشير إلى أن توقعات عرّابي المجتمع الرقمي من "مارشال ماكلوهان" ووصولا إلى "ويليام غيبسون" الذي كان أول من استخدم مصطلح "الفضاء الافتراضي" تبدو مثل "اليوتوبيا الرقمية" التي يصعب إخضاعها للبحث العلمي، ذلك أنه من بالغ التعقيد تحديد جملة الفاعلين في مثل هذا الفضاء، مضيفا بأنه إذا كان ماكلوهان يرى بأن الوسيلة هي الرسالة فإنه من الأجدر القول بأن "الشبح هو الرسالة"(Nicholas Mirzoeff, 2006, p335).

إن مدلول كلمة شبح هنا يعني بطريقة أو بأخرى أن أي محاولة لإجراء دراسة وضعية على المجتمعات الافتراضية هو نوع من المجازفة العلمية التي لن تصل إلى نتائج ملموسة، ذلك أننا لا نتعامل داخل هذا الفضاء سوى مع واجهة une interface تخفي وراءها كثيرا من الحقائق التي نجهلها مثلما يقول جيمس كوستيغان(James Costigan, 1991, p01) إن هذه الواجهة لا تمثل سوى الجانب التقني الظاهر من هوية الأفراد، ما من يكمن خلف الشاشة وخصوصياته الاجتماعية والثقافية فإن الإمكانات التقنية لحد الآن لا تزال غير قادرة على البحث فيه بمصداقية وعمق.

هنا تثار إشكالية المخلفات الاجتماعية لممارسات الهوية الافتراضية، فكل فرد يدخل للفضاء الافتراضي يجد نفسه أمام إمكانية انتحال أي هوية يشاء، وعلى الرغم من إجراءات التحقق المكثفة التي أضحت تفرضها الكثير من مواقع الإنترنت إلا أنه لا يزال هناك صعوبات في التحقق من الهوية الحقيقية للمتجولين في الفضاءات الافتراضية، ومدى أصالة المحتويات التي يتداولونها، إذ توضح "ميريام ميتزغر" بأن المضامين التي يتم تناقلها عبر مختلف الوسائط الجديدة وشبكات التواصل الاجتماعي تمثل بالنسبة للباحثين هاجسا علميا كبيرا بالنظر لارتباطها بأحد الأسس العلمية الرصينة، وهو المصداقية والموثوقية العلمية، وهما برأيها شرطين لازمين ولا غنى عنهما لإنجاز بحوث سليمة ومقبولة منهجيا(Miriam Metzger, 2007, p2078).

أمام هذه المثالب، يصبح من الصعب تطبيق المنهجيات السوسيولوجية المعروفة في دراسة الواقع الاجتماعي الحقيقي، خصوصا لما يتعلق الأمر بمدى صحة وأصالة ما يدلي به المتجوّلون الافتراضيون. لهذا السبب، كثيرا ما يجد الباحثون صعوبة في انتقاء المنهجيات الأنسب للتعامل مع المجتمعات الافتراضية وتحديد أجندة للبيانات التي يجب جمعها، وبناء عليه فقد توقفت أغلب الدراسات التي تتناول المجتمعات الافتراضية كموضوع للدراسة عند حدود عمليات الوصف والتحليل البنيوية للشبكات ولأشكال ممارسة الثقافة والهوية على نحو افتراضي من دون حاجة لفهم أعمق.

ضمن هذا السياق يشيع استخدام المنهج الإثنوغرافي شائع الاستخدام في حقول الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وذلك بالنظر لقدرته على تقديم وصف دقيق للممارسات الثقافية المختلفة، ويشرح جيانبيترو جوبو عدم الحاجة للفهم الأعمق من خلال العودة إلى الأصول الأولى لهذا المنهج، فقد كان أداة مهمة للباحثين في الغرب لفهم مجتمعات غير غربية لا ينفذ إليها التحليل(جيانبيترو جوبو، 2014، ص22) بشيء من المحاكاة، تشبه حالة الجماعات الافتراضية حالة مجتمع ثقافي مجهول بالنسبة للباحث، فعدم كفاية وجدوى البيانات المتوفرة حول التركيبة الحقيقية لهذه الجماعات واضحة بشكل جلي.

ثمة على كل حال نزعة استعمارية في هذا المنهج، بحسب جوبو، إذ يفترض الانطلاق من وجود فجوة معرفية عميقة بين مجتمع الباحث ومجتمع المبحوثين، وهذه الهوة لا يمكن ردمها بافتراض الإبقاء على المسافة بين طرفي العملية البحثية، بل يجب التقريب قدر الإمكان بينهما على الرغم من استحالة تحصيل بيانات دقيقة حول هوية المبحوثين وأصالة أفعالهم.

تتم عملية التقريب من خلال أقوى أدوات المنهج الإثنوغرافي، وهو الملاحظة بالمشاركة، وفي هذا الشأن، يقول روبرت إيمرسون وزملاؤه: "يلتزم الإثنوغرافيون بالنزول إلى الميدان الحقيقي الذي ينوون دراسته، وأن يقتربوا ما أمكنهم من أنشطة الآخرين وخبراتهم اليومية، ويتطلب هذا الاقتراب في حده الأدنى درجة من القرب الجسدي والاجتماعي من مجالات الحياة اليومية للناس وأنشطتهم، ويتعين على الباحث الميداني أن يكون قادرا على اتخاذ أوضاع في قلب المواقع والأحداث الرئيسية في حياة الناس لكي يلاحظها ويفهمها، ولكن هذا الاقتراب يتضمن مكونا آخر لد دلالة أبعد وأكثر أهمية، فالإثنوغرافي ينشد الانغماس العميق في عوالم الآخرين لكي يفهم خبراتهم المهمة وذات المغزى".(روبرت ايمرسون وآخرون، 2010، ص54).

يمثل هذا الانغماس أو الاستغراق محاولة لإعادة إنتاج تجربة الآخرين من خلال معايشة الباحث لها، وهو يبقى الحل الوحيد لكسر الجدار المعرفي العازل الذي يمنع من اختراق ثقافة الجماعات الافتراضية. أكثر من ذلك، يقترح، روبرت كوزينيتز، تعديلات جوهرية على المنهج الإثنوغرافي لكي يتناسب مع طبيعة هذه الجماعات في إطار دراسته للثقافة الافتراضية، ولذلك يقدم هذا المنهج الجديد تحت اسم "النيتنوغرافيا"، ويقول في هذا الشأن: "أقترح النيتنوغرافيا كمنهج يجب أن يتعاون مع الإثنوغرافيا بتصورها التقليدي المشتق من علم الأنثروبولوجيا، وأعرف المنهج النيتنوغرافي بأنه بحث يعتمد الملاحظة بالمشاركة داخل الفضاء الافتراضي،ويتم جمع البيانات من المحتويات التي ينشئها مستخدمو الكمبيوتر لتحقيق الفهم الإثنوغرافي للظواهر الثقافية الافتراضية".(Robert Kozinets, 2010, p60).

خاتمة:

إن الواقع الافتراضي VR الذي تحدثنا عنه في دراستنا هذه يؤسس لحياة ثانية ذات تأسيسات ايديولوجية، ثقافية، هوياتية جديدة، هذا التشكل الجديد لمجتمعات افتراضية خلق نمطا تفاعليا جديدا ومفروضا بين الانسان والتقنية بدرجة أولى، لإعتبار أن التصادم بين التقنية والتغيير

الاجتماعي عموما خضع الى الحتمية التقنية، وفي شكل نمط التفاعل الثاني بين الانسان والانسان في الواقع الافتراضي، يعتبر أن أغلب الناس تمارس الهروب إلى هذا الواقع الافتراضي وتشكل الشخصيات التي تريدها وتنتمي الى المجتمعات الافتراضية التي تحبذها.

إن التعامل او دراسة مثل هاته المواضيع يتطلب حذرا علميا بإعتبار ان الدراسة تطبق على عالم تغيب فيه نطاقات كمية تحدد لنا أصناف أو أحجام الجماعة الافتراضية على هذا العالم، خاصة اذا تعلق الامر بتعدد شخصيات الفرد الواحد على هذا العالم، فالجماعات الافتراضية ويمكن أن نقول المجتمع الافتراضي بشكل عام هو مجتمع مجهول الانتماء، الثقافة، الهوية، وبالتالي يصعب دراسته.

إن السمة الإيجابية في مثل هكذا مواضيع انها تفتح لنا عالما جديدا خلقته التقنية، عالم وجب ان ننتبه اليه وان ندرسه بشكل معمق في مجتمعاتنا العربية التي طغت عليها صفة "الانبهار اللامحدود".

قائمة المراجع:

1. جيانبيترو جوبو(2014)، إجراءات التحليل الإثنوغرافي، ترجمة محمد رشدي، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
2. دران بارني(2015)، المجتمع الشبكي، ترجمة: أنور الجمعاوي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة.
3. روبرت إيمرسون وآخرون(2010)، البحث الميداني الإثنوغرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
4. عبد العزيز خالد الشريف(2014)، الاعلام الالكتروني، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.
5. سمير ذياب سبيتان(2012)، العلوم الهامشية بين الحقيقة والخيال، ط01، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
6. عبد الحميد بسيوني(2015)، تكنولوجيا الواقع الافتراضي، ط01، دار النشر للجامعات، القاهرة.
7. عبد الحميد بسيوني(2015)، تكنولوجيا وتطبيقات ومشروعات الواقع الافتراضي، ط01، دار النشر للجامعات، القاهرة.
8. عبد الحميد بسيوني(2015)، كيف تعيش الحياة الثانية في العالم الافتراضي، ط01، دار النشر للجامعات، القاهرة.
9. Edward Steinmuller (2008), Virtual communities. In. Wolfgang Donsbach.
10. Howard Rheingold (1993), The virtual community; Homesteading on the electronic frontier, Harper-Perrenial, New York.
11. Jacob van Kokswijk (2008), Granting Personality to a Virtual Identity, International Journal of Human and Social Sciences 2:4.
12. James Costigan (1999), Forests, trees and the internet research, In Steve Jones et al, Doing internet research, critical issues and methods for examining the Net, Sage Publications, London.
13. Kevin Miguel Sherman (2011), An imagined community of avatars? A theoretical interrogation of Second Life as a nation through the lens of Benedict Anderson imagined communities, In Astrid ensslin & eben Muse (ed), Creating second lives, community, identity and construction of the virtual, Routledge, London.

14. Lori Kendall (2003), virtual communities, In. Karen Christensen & David Levinson (ed), Encyclopedia of community, from the village to virtual world, Sage Publications, London.
15. Miriam Metzger (2007), Making sense of credibility on the Web: Models for evaluating online information and recommendations for future research, Journal of The American Society for Information Science and Technology, Vol 58, N° 13.
16. Nadia Thalmann & Daniel Thalmann (1994), Creating artificial life in virtual reality, Artificial life and virtual reality, Hohn Wiley & Sons, New York.
17. Nicholas Mirzoeff (2006), Network Subjects or, The Ghost is the Message. In: Wendy Hui Kyong Chun & Thomas Keenan: new media, old media: A History and Theory Reader, Routeledge, New York.
18. Robert Kozinets (2010), Netnography, Doing ethnographic research online, Sage Publications, London.
19. Sean Cubbit (2008), Virtual reality In Wolfgang Donsbach (ed), The international encyclopedia of communication, Blackwell, Malden.
20. Sean Grady (2003), Virtual reality, Simulating and enhancing the world with computers, Facts On File, New York.
21. Tomasz Mazuryk, Michael Gervautz (1999), Virtual Reality History, Applications, Technology and Future, Institute of Computer Graphics Vienna University of Technology, Austria.

مواقع التواصل الاجتماعي كفضاء غير تقليدي للتعبير والممارسة السياسية لدى الشباب الجزائري

Social networking sites as an unconventional space for the expression and political practice of Algerian youth

أ. الأمين كرواز، جامعة باجي مختار عنابة- الجزائر

ملخص: التحولات السياسية التي مرت بها الكثير من الدول العربية منذ العام 2011، أعادة فئة الشباب إلى واجهة الأحداث، من خلال الاهتمام الذي أبدوه من جديد بأمور السياسة الوطنية، والمطالبة بحقهم الطبيعي في المشاركة السياسية، فأمام فشل الأحزاب السياسية، سيساعد التطور الحاصل في ميدان تكنولوجيا الإعلام والاتصال الشباب، على إيجاد البديل وخلق فرص جديدة لممارسة السياسة، دون تعرض لإقصاء أو متابعة من النظام الحاكم، لذلك كانت مواقع التواصل الاجتماعي هي البديل المناسب لهم للتعبير عن آرائهم السياسية، والبحث عن الآليات التي تضمن لهم ممارسة حقهم في العمل السياسي الوطني.

الكلمات المفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي، المشاركة السياسية، الشباب الجزائري.

Abstract: The political changes that many Arab countries have undergone since 2011 have brought the youth back to the forefront of the events through renewed interest in national politics and the demand for their right to political participation, In the face of the failure of the political parties, and to contact young people to find alternatives and create new opportunities for political practice, without being excluded or pursued by the ruling regime, therefore, social networking sites were the appropriate alternative for them to express their political opinions and to search for mechanisms that guarantee them the exercise of their right to national political action .

Keywords: Social networks, Political participation, Algerian youth.

مقدمة:

فقدان الثقة في كافة مخرجات النظام السياسي، الذي اعتمد لضمان استمراره لمدة طويلة، على إقصاء مختلف القوى المجتمعية من حقها في المشاركة السياسية، جعل من فئة الشباب في كافة الأقطار العربية، وبسبب مجموعة من الأسباب الذاتية والموضوعية، تباشر مهام البحث عن فضاءات غير تقليدية "الأحزاب السياسية، منظمات المجتمع المدني، للتعبير بحرية عن آرائهم السياسية، وممارسة الضغط على صانع القرار السياسي لإحداث إصلاحات سياسية، تضمن لفئة الشباب على الخصوص، ممارسة كامل حقهم في المشاركة السياسية الوطنية، وفق ما يتناسب وحجم هذه الفئة التي تعتبر أكبر الفئات في كافة الدول العربية "الجزائر مثلا أكثر من 70% من قوى المجتمع شباب".

لقد ساعدت الثورة الحاصلة في مجال تكنولوجيا الاتصال "شبكة الانترنت" الشباب"، على الحصول على فضاء جديد ومناسب لهم، للتعبير بكل حرية عن مختلف توجهاتهم، وأفكارهم ذات الطابع السياسي، دون تعرضهم لأي إقصاء من قبل النخب الحاكمة، حيث ستمثل لهم مواقع التواصل الاجتماعي لاسيما موقع فايسبوك Facebook، القاعدة الافتراضية للانطلاق نحو ممارسة السياسة على أرض الواقع، هنا ستبرز لنا أمثلة الحركات الاحتجاجية الشبابية، التي أعلنت عن وجودها وحشدها للجماهير على أرض الواقع في كل من تونس ومصر، عبر مختلف شبكات التواصل الاجتماعي، حتى أصطلح على من قام بعمليات الحشد هذه بـــــ: "شباب الفايسبوك"، طبعا أطلق هذا الوصف من قبل النخب السياسية الحاكمة، التي رأت في جيل الشباب مصدر تهديد لوجودها واستمرارها السياسي.

أهمية هذا الموضوع، تتجلي من خلال ما أفرزه الحراك السياسي الذي شهدته الكثير من الدول العربية، بداية من العام 2011 واقعا سياسيا جديدا، من أبرز تجلياته تصدر فئة الشباب واجهة الأحداث السياسية، بعد أن سادت لمدة زمنية طولية نمطية عن هذه الفئة من المجتمع العربي عامة، مفادها أنها تمارس عزوفا تاما عن العمل السياسي، كما أبرزت هذه الأحداث التي ستعرف لاحقا "بثورات الربيع العربي"، الدور المهم الذي لعبته مواقع التواصل الاجتماعي، في حشد الرأي العام وتأجيج الجماهير، ما جعل الاهتمام الأكاديمي يتزايد بدراسة هذا الدور، ومدى تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على مختلف جوانب الحياة السياسية، بعد أن تحول استخدامها من مجرد منصات للتعارف وتكوين صداقات جديدة، إلى مواقع يستغلها روادها سياسيا، وفق مفاهيم جديدة للمشاركة في الحياة السياسية الوطنية، بالنسبة لمختلف قوى المجتمع التي مورس ضدها الإقصاء السياسي، على مدار عقود زمنية طويلة، لاسيما فئة الشباب، إذن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، ما هي مختلف الأسباب التي دفعت بفئة الشباب لاختيار مواقع التواصل الاجتماعي، كفضاء جديد للتعبير والممارسة السياسية؟ وكيف ستساهم هذه المواقع في تطوير الممارسة السياسية للشباب الجزائري؟

أولا. الشباب الجزائري والعمل السياسي: بحث في أسباب العزوف:

يعتبر المجتمع الجزائري مجتمعا شابا بنسبة تتجاوز 70 بالمائة، الأمر الذي سيستلزم من السلطة السياسية الحاكمة، الاعتراف بأن فئة الشباب قوة مجتمعية، وليست مجرد نسبة مئوية مجردة، يبقى الحديث عنها بأسلوب الوصاية، دون المبادرة لإشراكهم في مختلف تفاصيل الحياة السياسية الوطنية، إما بطرق مباشرة أو غير مباشرة، مادام أن أي تفعيل لدور فئة الشباب في

المجال السياسي، يندرج ضمن المسارات التي ستخلص إلى إرساء أركان الحكم الجيد Good governence (مختار بوروينة، 2014)، لكن لطالما احتدم النقاش حول تلك العلاقة الموجودة بين الشباب في الجزائر والعمل في السياسة، خاصة وأن البلد تعيش حالة من التعددية منذ العام 1989.

علاقة تتسم باستمرار عزوف أكبر الفئات المجتمعية، من الانخراط في العمل السياسي الوطني، هنا سوف تختلف التبريرات حول أسباب هذا العزوف، الذي بدأ يتجه للتحول إلى ظاهرة سياسية مرضية، لها آثار سلبية على المستقبل السياسي لدولة ككل.

لذا في محاولة البحث عن مجموعة الأسباب، التي دفعت بالشباب الجزائري للأخذ بخيار العزوف عن ممارسة السياسة، خاصة لما يتعلق الأمر بالانخراط في الأحزاب السياسية، أو حتى ضعف مشاركته خلال المناسبات الانتخابية، على اعتبار أن الانتخاب يمثل صورة حقيقية للمشاركة في الحية السياسية الوطنية، المضمونة بنص الدستور الجزائري، من هنا سنعمل على تقسيم مجموعة هذه الأسباب إلى:

1. أسباب تتعلق بالأحزاب السياسية:

بالرغم من العدد الكبير للأحزاب السياسية في الجزائر على اختلاف توجهاتها، كأحزاب موالية للسلطة على شاكلة "جبهة التحرير الوطني FLN والتجمع الوطني الديمقراطي RND"، أو تلك المصنفة على أنها أحزاب معارضة على غرار "حركة مجتمع السلم MSP"، أو أحزاب سياسية أخرى مجهرية، فإن العامل المشترك بيها جميعا، هو عجزها الكبير عن استقطاب كوادر ومناضلين من فئة الشباب، حيث سنجد أن واحد من أهم أسباب عزوف الشباب الجزائري، عن الانخراط في صفوف الأحزاب السياسية افتقارها لمفاهيم الديمقراطية، لاسيما لما يتعلق الأمر بتداول المسؤوليات داخلها، وتمكين الشباب المناضل من توليها، الأمر الذي انعكس عليها سلبا، وفاقم معاناتها من حالة شيخوخة في كوادرها.

لكن بالرجوع إلى تاريخ إقرار التعددية الحزبية في الجزائر بموجب دستور 1989، سنجد أن الشباب الجزائري الذي عايش تلك المرحلة، وعلى إثر هذا التحول قد فضل التعبير عن توجهاته السياسية، عبر الانخراط في الحركات الاجتماعية الاحتجاجية، التي تبنت خطاب سياسي معارض للنظام الحكم آنذاك، على غرار ذلك الدور المميز الذي لعبه الشباب الجزائري من سكان المدن - على وجه التحديد – خلال أحداث أكتوبر 1988 الشهيرة، كما كانت حركات الإسلام السياسي التي ازدهرت في الجزائر خلال تلك الفترة، هي الوحيدة التي نجحت إلى حد كبير في استقطاب مجموعات كبيرة من الشباب، سواء تعلق الأمر بالانتخابات البلدية 1990، أو التشريعية الملغاة 1991، أو حتى لما تبنت هذه الحركات العمل المسلح ضد السلطة القائمة (1992– 2000).

هذا يبين على حد تعبير الأستاذ "ناصر جابي" أستاذ علم الاجتماع السياسي، أن فئة الشباب في الجزائر ومنذ إقرار التعددية، لم تستهويه أفكار العمل السياسي الحزبي الرسمي، بل استهوته تجربة الحركات الاحتجاجية، التي دائما ما ينخرط فيها بقوة كممارسة سياسية جماعية، فالشباب الجزائري لطالما حمل صورة سلبية عن واقع هذه الأحزاب، و العمل السياسي برمته، الأمر الذي دفع هذه الفئة من المجتمع إلى مقاطعة النشاط السياسي الحزبي.

فغياب عنصر الاستدامة في نشاط الأحزاب السياسية الجزائرية، أن يقتصر نشاطها في الغالب على أثناء المناسبات الانتخابية، أين تجد نفسها مجبرة على الاحتكاك بالمواطنين، جعل من فئة الشباب على وجه الخصوص تقتنع بمدى براغماتية هذه الأحزاب، على حساب دورها الرئيسي كوسيط بين القاعدة الشعبية والسلطة السياسية(عادل عباسي صيف، 2012، ص34)، الأمر الذي قاد الشباب للنفور وعدم الانضمام إليها، مادام أن الصورة النمطية السائدة لديهم، أن الأحزاب السياسية في الجزائر ما هي إلا كيانات مرادفة لمفاهيم الفساد السياسي، الأمر الذي أحدث فجوة كبرى بين الطرفين.

يضاف إلى كل هذا، عدم توافر الإرادة الحقيقية لدى مختلف الأحزاب السياسية الجزائرية، فيما يتعلق ببلورة مشاريع مساعدة على تمكين فئة الشباب سياسيا، حتى يتمكنوا من الاندماج في الحياة السياسية الوطني، وفق ما يتناسب وحجمهم من مجموع قوى المجتمع، فحتى المنظمات الطلابية والشبابية، التي تحسب على بعض الأحزاب السياسية، فإنها تعاني من غياب التمثيل القاعدي، بسبب إهمال الأحزاب لها(مختار بورو ينة).

هذا بإيجاز عرض لأهم الأسباب التي تجد مصدرها في الأحزاب السياسية، باعتبارها أهم القنوات التقليدية والرئيسية للمشاركة السياسية، والتي دفعت بالشباب الجزائري لاختيار أسلوب العزوف عن الانخراط بها أو ممارسة السياسة، لكن هناك أسباب ذات طبيعة مختلفة أيضا، تجد مصدرها في مختلف المشاكل الاجتماعية والاقتصادية.

2. الأسباب الاقتصادية والاجتماعية لعزوف الشباب الجزائري عن ممارسة السياسة:

إن واقع الشباب الجزائري اليوم، حافل بمختلف المشاكل ذات الطابع الاقتصادي والاجتماعي، التي انعكست سلبا على إمكانية ممارسة الشباب للعمل السياسي، الذي استبعده جدا عن دائرة اهتمامه، مقارنة ببحثه الدائم عن إيجاد الحلول الناجعة لهذه المشاكل، تتصدر لائحة هذه المشاكل أزمة البطالة، بنسبة 12.3% من إجمالي القوى العاملة، أما في أوساط الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و 24 سنة فقد بلغة نسبتها 29.7%، أما بالنسبة للشباب من حاملي الشهادات الجامعية فقد بلغت البطالة بينهم نسبة 17.6%، حسب آخر الأرقام المقدمة من الديوان الوطني للإحصاء بتاريخ أفريل 2017(وكالة الأنباء الجزائرية، 2017)، يعود بالأساس سبب هذه الأزمة، إلى نسب النمو الديمغرافي الكبير الذي تشهده الجزائر، كما أن الحلول وسياسات التشغيل التي انتهجتها الحكومات الجزائرية المتعاقبة، لم تنجح في القضاء على هذه الأزمة، حتى وإن قللت من حجمها، فإن البطالة "المتعلمة" في الجزائر تقود فئة الشباب إلى عدم ممارسة السياسة أو الاهتمام بشؤونها، أين تكون لديهم نوع من الحقد على المسئولين والأحزاب السياسية، وكل ما يرمز إلى العمل السياسي، مادام أنه لا يلبي أغلب متطلباته في حدها الأدنى (مختار بورو ينة).

إن أزمة البطالة التي يعانيها الشباب الجزائري، سوف تنجر عنها مشاكل أخرى، على رأسها أزمة السكن، فالشباب الباحث عن سكن لائق، من أجل تحقيق الاستقرار الذاتي، سوف يصطدم بواقع جد صعب، يحد من طموحه، ويبعده لاإراديا عن أي إمكانية للانخراط في النشاط السياسي، باعتبار أن المجتمع الجزائري يرى أن من حق أي فرد الحصول على سكن خاص، بل أنه بمثابة حق أساسي ومفهوم راسخ (راكيل رولنك، 2011، ص6)، على الدولة أن تحققه لمواطنيها، بالرغم من اضطلاع الدولة الجزائرية منذ العام 1999م، من جديد بدورها في مجال العمران، الأمر الذي نتج عنه بناء مساكن كثيرة، رغم هذا فإن الجزائر لا تزال تعيش حالة "أزمة" لما

يتعلق الأمر بملف السكن (راكيل رولنيك، 2011، ص10)، هذه الحالة تتضح أكثر عبر شدة الاكتظاظ في الأحياء القصديرية والمساكن العشوائية، فحالة الأزمة هذه تقرها الحكومة ذاتها.

يضاف إلى أزمة البطالة السكن التي يعانيها الشباب الجزائري، ضعف القدرة الشرائية، التي أدخلته ضمن محيط شبه مغلق، يستهدف فيه تلبية حاجاته الأساسية اليومية، عبر البحث عن المصادر دخل أخرى إضافية، أمام هذا الواقع سوف يستبعد الشباب الجزائري أي فرصة للعمل السياسي، بل سيتنازل حتى عن حقه في التصويت، ظنا منه أن الحكومة التي لا تلبي حتى أبسط حاجاته، ليست حقا للمشاركة في عملياتها الانتخابية المختلفة، التي لن تغير من الواقع شيء، أولا باعتبار أن السياسة ليست من أولوياته الآن، وثانيا لافتقاده لعنصر الثقة في مختلف الوعود المقدمة من الحكومة أو الأحزاب السياسية عل حد سواء، بالنسبة لفئة الشباب هي عاجزة طوال عقود من الزمن، عن إيجاد الحلول الناجعة لمختلف المشاكل التي لا تزال تعانيها الجزائر ككل، فغياب الفاعلية بالنسبة لهذه الأطراف أعاق إدماج الشباب في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وزاد من حجم الهوة بينها وبين فئة الشباب (يوسف عنصر، 2010، ص214).

لقد تفاعلت مجموعة من الأسباب، ذات الطابع السياسي، الاقتصادي والاجتماعي، في دفع الشباب الجزائري للعزوف عن ممارسة السياسة، إلا إذا قمنا باستثناء ممارسته لحق التصويت أثناء العمليات الانتخابية، على وجه التحديد التشريعية والبلدية منها، أين تدخل متغيرات أخرى في تفسير هذه الممارسة السياسية البسيطة، حتى إن كان الشباب الجزائري مرشحا لعضوية أحد المجالس المنتخبة، فإن فرص النجاح تبقى ضعيفة، فالأحزاب الكبرى على غرار FLN و RND مثلا، فقد جرت العادة أن لا ترشح الشباب على رأس قوائمها الانتخابية، حيث لها حرسها القديم الذي تقدمه كمرشح، بحجة أن فرصته في ضمان الأصوات كبيرة مقارنة بالشباب، المفتقر لأي تجربة سياسية.

هذا الواقع أخذ في التغير تدريجيا، بالموازاة مع أحداث الربيع العربي 2011، أين كان للشباب العربي الدور الحاسم في إسقاط بعض من أقوى الأنظمة السياسية التسلطية العربية، مستخدما طرقا تقليدية كالتظاهر في الشوارع، والعصيان المدني أو المسلح "ليبيا"، لكن وفق أساليب حديثة أملتها ضرورات المرحلة التاريخية، التي من خصائصها التطور الحاصل على مستوى تكنولوجيات الإعلام والاتصال، هنا ستمثل مواقع وشبكات التواصل الاجتماعي على غرار موقع فايسبوك، المتنفس الافتراضي لشباب فقد الثقة في سلطة سياسية حاكمة، أقصته من التواجد في الساحة السياسية الوطنية، كما أقصت فئات وقوى مجتمعية أخرى، لقد استغل الشباب العربي عامة في كل من تونس، مصرن اليمن، سوريا،...إلخ، هذه المواقع للتعبير بكل حرية عن مختلف أفكاره السياسية، وآرائه في النظام السياسي المستمع منذ عقود من الزمن، ثم الدعوة لإصلاحه أو إسقاطه لأنه لا ينسجم ومتطلبات العصر ومفاهيم الديمقراطية.

إذا كان هذا حال الشباب العربي عامة، فإن الشباب الجزائري أيضا له احتكاك واسع بمثل هذه المواقع، حيث تطور هذا الاحتكاك والاتصال عبر مختلف شبكات التواصل الاجتماعي، كأحد منجزات ثورات الربيع العربي، فتقريبا اليوم لا يوجد من الشباب من لا يملك حساب على موقع Fcebook مثلا، فهل سيلجأ الشباب الجزائري لممارسة السياسية التي عزف عنها طويل، في مثل هذه المواقع ؟.

ثانيا.مواقع التواصل الاجتماعي والشباب الجزائري: نحو فضاء جديد للتعبير والممارسة السياسية:

الفشل الكبير للأحزاب السياسية بمختلف توجهاتها يمينية كانت، أو يسارية، قومية أو إسلامية حتى، في مهمة التغيير وتحسين أوضاع المواطنين، على رأسهم فئة الشباب الذي كما سبق أنفا، يعانون من أزمات اقتصادية واجتماعية عديدة، وما انجر عنها من النظرة السلبية التي ظل الشباب العربي والجزائري خاصة، حاملا لها عن واقع هذه الأحزاب السياسية، جعلت من الشباب يستغلون مدراكهم وقدراتهم العلمية التي مكنتهم من التحكم في تكنولوجيا الاتصال، لخلق فضاءات افتراضية لممارسة السياسة، والتعبير عن مختلف أفكاره السياسية بعيدا عن أي إقصاء، لقد وجد الشباب العربي بالموازاة مع أحداث الربيع العربي، وقبيل اندلاعها بشهور، في شبكات التواصل الاجتماعي، منفذا للتعبير عن آمالهم وطموحاتهم ورغباتهم في إحداث تغيير سياسي حقيقي.

1.ماهية مواقع التواصل الاجتماعي:

ترتبط بمفاهيم المجتمع الافتراضي Virtual Community، حيث ذاع صيتها منذ أن أصبحت شبكة الإنترنت بتفاعلاتها، جزء من حياة أغلب البشر والدول(عبد الجبار أحمد عبد الله، فراس كوركيس عزيز، 2012، ص209)، لذا زاد الاهتمام الأكاديمي بها وبدورها في تغيير حياة المجتمعات، تعرف مواقع أو شبكات التواصل الاجتماعي التي يمثل المجتمع الافتراضي مجال نموها، على أنها: "مواقع تتشكل من خلال الإنترنت، تسمح للأفراد بتقديم لمحة عن حياتهم العامة، وإتاحة الفرصة للاتصال بقائمة المسجلين، والتعبير عن وجهة نظر الأفراد أو المجموعات، من خلال عملية الاتصال، وتختلف طبيعة التواصل من موقع لآخر" (وليد رشاد زكي، 2010، ص96)، هذا حسب ما قدمه كل من "أليسون وبويد Ellison & Boyd".

في تعريف آخر ينطبق جدا على واقع شبكات التواصل الاجتماعي الحالية، فهي "مجموعة من المواقع على شبكة الإنترنت، ظهرت مع الجيل الثاني للإنترنت web 2*، تتيح التواصل بين الأفراد في بنية مجتمع افتراضي، يجمع بين أفرادها اهتمام مشترك أو شبه انتماء لـــــ: بلد، مدرسة، جامعة، شركة، ....الخ، يتم التواصل فيما بينهم من خلال الرسائل، أو الاضطلاع على الملفات الشخصية، ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم التي يتيحونها للعرض"(وليد رشاد زكي، أفريل 2010، ص97).

أما الخدمات التي توفرها وتقدمها مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، فيمكن تلخيصها فيما يلي(عبد الجبار أحمد عبد الله، فراس كوركيس عزيز، 2012، ص210):

الملفات الشخصية أو صفحات الويب: ملفات يقدم الأفراد من خلالها بياناتهم الأساسية كالاسم، السن، البلد،...الخ.
الأصدقاء والعلاقات: خدمة توفر لمستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي، فرصة الاتصال بالأصدقاء، أو تكوين صداقات جديدة، مع من يشاركونهم اهتماماتهم.
الرسائل: تسمح بإرسال رسائل نصية أو صوتية إلى الأصدقاء أو غير الأصدقاء إلكترونيا.
ألبومات الصور: خدمة لعرض عدد لانهائي من ألبومات الصور، أو مشاركتها، تحويلها أو تبادلها، هنا نذكر موقع "Instagram" الشهير.

المجموعات: خدمة تتيح إمكانية تكوين جماعات من ذوو الاهتمامات المشتركة للنشاط في مساحة من الحرية تشبه إلى حد كبير شكل منتدى حوار مصغر.
الصفحات: من إبداع موقع "Facebook" حيث بإمكان مستخدمي الموقع من أفراد، جماعات أو شركات، أن ينشئوا صفحات خاصة بهم لعرض أفكارهم، منتجاتهم أو أشياء أخرى تخصهم.

باختصار، كانت هذه أبرز الخدمات التي توفرها مختلف مواقع التواصل الاجتماعي اليوم، ما جعلها تحض باهتمام الكثيرين عبر العام، حتى أصبحت اليوم جزء من يومياتهم، خاصة أن هذه المواقع أصبحت توفر للمستخدمين، العديد من اللغات حتى المحلية منها، الأمر الذي جعلها تتميز بـــــ: العالمية، التفاعلية، سهولة الاستخدام، توفير الجهد والتكلفة.

وعودة إلى واقع الدول العربية عامة والجزائر خاصة، لما يتعلق الأمر باستخدام تكنولوجيا المعلومات، فإن مجتمعات هذه الدول سنجدها مقسمة إلى ثلاثة شرائح مجتمعية على الشكل التالي:

شريحة أولى، محرومة تعان من وطأة الفجوة الرقمية، وتضم الملايين من سكان هذه الدول.
شريحة ثانية: مستهلكة وربما تعتبر لاهية لا يعنيها من ثورة المعلومات سوى استهلاك منتجاتها واللهو بها.
شريحة ثالثة: واعية مبادرة تتسم بالجرأة في ممارسة حقها الطبيعي في توظيف هذه الثروة ومنجزاتها سياسيا وديمقراطيا، من إبداء الرأي والسعي للتغيير السياسي، هذه الشريحة تحاول التحكم في آلة التكنولوجيا لتصارع بها آلة القمع.

2. التحول في طبيعة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي:

لقد أدت مواقع التواصل الاجتماعي والشهرة التي اكتسبتها ، إلى تسيس فئة الشباب العربي، بعد أن كانت هذه الفئة من المجتمعات العربية، ولفترات زمنية طويلة، تمارس عزوفا تاما عن ممارسة السياسة أو الاهتمام بشؤونها، فأمام حالة من الاستبداد السياسي المستمر، وتبني الأنظمة السياسية العربية التسلطية لمنطق إقصاء قطاعات مجتمعية واسعة من الساحة السياسية الوطنية، بالإضافة إلى غياب حقيقي لقوانين واضحة وصريحة، تسمح للمواطنين بالتواصل وتكوين تنظيمات ذات طبيعة سياسية (عبد الجبار أحمد عبد الله، فراس كوركيس عزيز، 2012، ص213)، أمام هذا الواقع المتسم بالجمود السياسي والإقصاء، لم يجد الشباب العربي من بد لممارسة بعض من حقوقهم السياسية، من بديل إلا المجال الافتراضي الذي توفره مختلف موقع التواصل الاجتماعي.

لقد مكنت هذه المواقع الشباب العربي الناقم على الأحزاب السياسية التقليدية، من تأسيس جماعات وتنظيمات افتراضية ذات توجه سياسي، تشبه إلى حد كبير الأحزاب السياسية، لكن دون أن يكون هناك قادة من بينهم، حيث عملت من خلالها على نشر أفكارها السياسية، ومواقف الشباب من السياسة الوطنية نظام الحكم، والنقاش فيما بينهم بكل حرية، بعيدا عن الخوف من الرقابة، والإقصاء الممارس من طرف النظام التسلطي، هذا التحول في استخدام مواقع شبكات التواصل الاجتماعي من قبل الشباب العربي، أدى إلى إضعاف قوانين وحالات الطوارئ، وأفقدتها جزء كبير من فعاليتها، بل أنها ستبدو ضعيفة جدا أمام حالة التطور الكبير في استخدام الشباب لهذه التكنولوجيا الجديدة، فالحكومات العربية المعروفة بقوتها البوليسية، وجدت نفسها أمام واقع جديد لم تختبره من قبل، افتقدت فيه للقدرة على ملاحقة أو القضاء على إمكانية التجمع،

والتظاهر في الشوارع من طرف المواطنين المنتشين سياسيا من جديد (عبد الجبار أحمد عبد الله، فراس كوركيس عزيز، 2012، ص217).

قام الشباب في الدول العربية التي عرفت حركات احتجاجية العام 2011، عبر شبكات لتواصل الاجتماعي، بكشف ممارسات النظم السياسية التسلطية، والسعي لتنمية الوعي لدى القوى المجتمعية الأخرى، بضرورة التغيير السياسي أو مباشرة النظام الحاكم لعملية إصلاح من داخله، أيضا زيادة الحشد الجماهيري وإطلاعهم على مواعيد المظاهرات "السلمية"، لقد تم وصف هذه النشاطات المتعددة التي باشرها الشباب، من قبل الكثير من المراقبين بأنها "تمرين على الحرية"، تقام ضمن تنظيمات سياسية افتراضية (عبد الجبار أحمد عبد الله، فراس كوركيس عزيز، 2012، ص217-218)، حيث كانت حدود النقاش كبيرة بين الشباب المستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي، نقاش حول مختلف الأفكار السياسية، الاقتصادية والاجتماعية التي تخص مجتمعاتهم ودولهم .

إذن، لضرورات معينة تحول الاستخدام الاجتماعي "تعارف، تكوين صداقات جديدة ... الخ"، لمختلف شبكات التواصل الاجتماعي في المنطقة العربية عامة، إلى استخدام ذو طابع سياسي، أكثر من ذلك فإن هذه الشبكات أصبحت توفر اليوم مجالا واسعا لمشاركة مدنية وسياسية لكافة قوى المجتمع (برنامج الحوكمة والابتكار، 2013، ص5)، وبوجود هذه الأعداد الكبير للمستخدمين العرب، بدأت حكومات ما بعد الربيع العربي، ترى أن مواقع التواصل الاجتماعي اليوم تدخل في صميم مسارات تطوير نماذج حكم أكثر شفافية، مشاركة وشمولا، لقطاعات واسعة من المواطنين.

3.الشباب الجزائري والاستخدام السياسي لمواقع التواصل الاجتماعي:

منذ العام 2011، ظهرت فئة من الشباب في مختلف الدول العربية، كمبادرة في كل ما يتصل بالحراك السياسي النوعي، حيث استطاعت أن تجند إلى جانبها مختلف القوى المجتمعية، فالخصائص السوسيو-ثقافية التي تميزها مكنتها من ذلك، فشباب هذه المرحلة التاريخية ينتمي مجتمعيا إلى الطبقة الوسطى الحضرية، التي استفادت من مجانية التعليم –لاسيما التعليم العالي-، إضافة إلى تمكنها من اللغات الأجنبية، ما أهلها إلى التحكم الجيد بمختلف تكنولوجيات الإعلام الحديثة(ناصر جابي، 2012، ص4)، كل هذا يندرج ضمن التحولات الديموغرافية النوعية، التي عرفتها الدول العربية ومنها على وجه التحديد هنا الجزائر على حد تعبير الأستاذ "ناصر جابي".

في الجزائر فئة الشباب كبيرة جدا، غير أنها تحتل المرتبة الثالثة في ترتيب الأجيال المتعايشة في الجزائر، بعد جيل الثورة الذي ينتمي له من يمكن تسميتهم بالآباء المؤسسين للدولة الجزائرية، ثم جيل الاستقلال الذي حمل على عاتقه مهام البناء الوطني، لقد فتح جيل الشباب عينيه على الدولة الوطنية التي تعاني من حالة تخبط في الكثير من المشاكل الاقتصادية، الاجتماعية، الأهم من ذلك مشاكل سياسية كبيرة جراء الفشل الذي وقعت فيه المؤسسات المركزية التي اعتمدها النظام السياسي، وعول عليها كمؤسسات للتغيير الاجتماعي "المدرسة، المصنع، .... الخ" (ناصر جابي، ص13).

المشاكل التي عانت منها الدولة الجزائرية، انعكست بالضرورة على واقع هذا الجيل الشاب، الذي سيعاني من مشاكل كثيرة على رأسها أزمة "بطالة متعلمة"، مع تكون صورة قاتمة لديه

لمستقبله الاقتصادي والاجتماعي، الأمر الذي جعل فئة الشباب تتبنى حقدا كبيرا، على كل ما يتصل بالممارسة السياسية التقليدية، هذا ما تجلى في شبه غياب للشباب في عضوية الأحزاب السياسية، وتواضع نسب مشاركتهم في مختلف الانتخابات، فالشباب الجزائري اقتنع منذ فشل أول تجربة سياسية ديمقراطية في بداية تسعينات القرن العشرين، أن العمل السياسي لن يحقق له طموحاته، فعادة ما تقرن السياسة بالفساد.

لقد دفعت الأزمات المختلفة الشباب الجزائري، الذي ولد في المدينة إلى تبني أسلوب الاحتجاج ضد السلطة الحاكمة، باعتبار هذا الأسلوب يعتبر الوسيلة الأكثر حرية، للتعبير عن نفسه وعن مطالبه كونه قوة مجتمعية واسعة، رافضا كما سبق وذكرنا آنفا الانخراط سياسيا في مختلف المؤسسات الرسمية القائمة، أو حتى تلك التي كونتها "المعارضة"، فواقع الحال دفع بفئة الشباب عامة للتشكيك في الخطاب السياسي والإعلامي الرسمي(ناصر جابي، ص14)، دليل ذلك نفور هذه الفئة ليس من العمل السياسي فحسب، بل رفض حتى مطالعة الصفحات السياسية في الجرائد الوطني، وتفضيله للجرائد الرياضية عليها.

إن الصور المنقولة من دول الربيع العربي، ستساهم في دفع الشباب الجزائري لإعادة التفكير مجددا في واقعه اليومي، ومباشرة النقاش حول مختلف المشاكل التي يعانيها، أي أن شباب الجزائر قد عاد للممارسة السياسة، لكن عبر فضاءات غير تقليدية، وفرتها مختلف شبكات التواصل الاجتماعي لاسيما موقع فايسبوك ، فاليوم معظم الشباب الجزائري يمتلك حسابا في هذا الموقع، فالإحصائيات تؤكد أن 43% من الجزائريين يستخدمون هذا الموقع أي حوالي 16 مليون مستخدم، على أن أغلبهم تتراوح أعمارهم بين 15 29 سنة –أي ضمن فئة الشباب بالضرورة- بنسبة ناهزت 74.2% (Fadi Salem ; 2017)، هذا ما صنف الجزائر في المرتبة 52 عالميا والسادسة عربيا في استخدام موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك فقط، دون الحديث عن باقي وسائط التواصل الاجتماعي.

لقد كان الحل بالنسبة لشباب سنوات الثمانينات من القرن العشرين، هو تبني الخطاب السياسي الذي قدمته حركات الإسلام السياسي الجذري، فإنه مع بداية العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين، مثلت شبكات لتواصل الاجتماعي الحل للشباب الجزائري، حيث ستكون بمثابة المتنفس والمنبر البديل، لمناقشة مختلف أفكارهم وآرائهم السياسية، حتى وإن لم يكن ذلك بحجم ما كان عليه الحال في الحالة التونسية والمصرية، ولربما إطلالة موجزة على بعض الصفحات الجزائرية الخاصة على موقع فايسبوك، سواء تعلق المر بسياسيين، أو صفحات تصنف على أنها تمارس معارضة افتراضية، سيتبين لنا مدى تطور اهتمام الشباب الجزائري، شيء فشيء اليوم بشؤون السياسية، من الأمثلة على ذلك نذكر على سبيل المثال: الصفحة الشخصية بالسيد رشيد نكاز، الذي حاز على شهرة كبيرة في أوساط الشباب منذ العام 2014، حيث بلغ عدد متابعيه أكثر من 1.17 مليون متابع، أما صفحة السيد الوزير الأول السابق عبد المالك سلال فتابعها ومازاي يتابعها أزيد من 824 ألف شخص، والأمثلة في هذا الصدد كثيرة.

الآن الشباب الجزائري وجد البديل الذي يتوافق وحجم قدراته، وحتى إمكاناته المادية والسوسيو-ثقافية، التي يستطيع من خلاله الاهتمام بالأمور السياسية، للعودة إلى ممارسة السياسية، والتعبير عن مختلف أفكاره بكل حرية، بعيدا عن تلك المؤسسات السياسية التقليدية الفاشلة بالنسبة إليه الفاقدة لثقته، السؤال الآن هل لمواقع التواصل الاجتماعي دور محدد في تطوير الممارسة والعي السياسي لدى فئة الشباب في الجزائر؟.

ثالثا. مستقبل مواقع التواصل الاجتماعي ودورها في تطوير الممارسة السياسية للشباب:

كما أسلفنا، لقد كان لمختلف شبكات التواصل الاجتماعي، دورا هاما في التحولات والحراك الشعبي، الذي شهدته الكثير من الدول العربية منذ العام 2011، كما كان لها الفضل في عودة الشباب العربي إلى ممارسة السياسية، والبحث من خلال النقاشات عبر المجال الافتراضي عن الحلول الناجعة للخروج من بؤر الهموم التي تعصف بهم وبباقي فئات المجتمع، والتعبير عن الرأي المفتقد منذ زمن طويل، في ظل القبضة القوية للأنظمة العربية التسلطية، لكن هل سيستمر نجم هذه الشبكات في السطوع، وهل لها الإمكانية لتطوير الممارسة السياسية لفئة الشباب؟، إذن نحن في حاجة لاستشراف مستقبل الشبكات الاجتماعية، لاسيما ما تعلق منه بالاستخدام السياسي لها من قبل الشباب.

1.مواقع التواصل الاجتماعي وتطور الممارسة السياسية لدى الشباب:

لقد مثلت مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، فضاءات مفتوحة للتمرد والثورة -أحيانا-، بداية من التمرد على الخجل والانطواء، انتهاء بالثورة على الأنظمة السياسية لقد استخدمت هذه المواقع من قبل الشباب العربي أو الجزائري بالتحديد، في بادئ الأمر لتفريغ الشحن العاطفية، ثم أصبحوا باعتبارهم الفئة الأكثر استخداما لهذه الثورة المعلوماتية، لتبادل وجهات النظر الثقافية والسياسية على وجه التحديد (بشرى الراوي، 2012، ص109).

في الوقت الراهن، تعد شبكات التواصل الاجتماعي، من أهم وسائل تطوير الوعي السياسي، بالخصوص لدى فئة الشباب، حيث يمكن استغلالها كآلية لترويج للأفكار السياسية، التي تمنح في الأخير نوع من الثقافة السياسية، التي سيتبناها الشباب، الذين لظروف مادية ومعنوية، عادة ما تغيب لديهم أبسط أبجديات العمل السياسي (وكالة أنباء البحرين)، لذا تتم المراهنة اليوم من قبل خبراء الاتصال السياسي على أن تؤذي شبكات ومواقع التواصل الاجتماعي، دورا حاسما في تشكيل "ثقافة سياسية مشاركة"، بما يمكن أعداد كبيرة من الشباب من التفاعل مع مختلف القضايا السياسية، بالتالي توظيف طاقات هذه الفئة في خدمة الصالح العام.

إن التصاعد المستمر في عدد مستخدمي شبكة الإنترنت، ومختلف مواقع التواصل الاجتماعي بالأخص موقع "فايسبوك" بالنسبة للشباب الجزائري، يعد عاملا هاما في إمكانية نجاح التوظيف السياسي لهذا الموقع، والدور الذي يمكن أن يلعبه في تغيير ملامح الحياة السياسية في مجتمع ما، إذ تجاوزت مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، حتى تأثير وسائل الإعلام التقليدية، أو حتى المؤسسات السياسية القائمة، التي ثبت عجزها بالنسبة لدى الشباب الجزائري، على غرار الأحزاب السياسية (رانيا مكرم).

وفق هذا الطرح الذي بدأ يلقى رواجا كبيرا، فإن هذه المواقع ستصبح من أبرز المؤسسات المسؤولة عن التربية، وتنشئة أفراد مكتسبين لعادات وسلوكيات صحيحة، والأهم من ذلك حاملين لثقافة سياسية مبتكرة، فدور المؤسسات التقليدية التي تعني بشؤون التنشئة السياسية "العائلة، المدرسة...."، قد بدأت تتقلص أدوارها أمام الانتشار الأفقي في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، ليس بين الشباب وفقط بل بين مختلف فئات المجتمع، في تعليق له **"فليب هوارد Philip N. Howard "** أستاذ الاتصالات بجامعة "واشنطن" حول هذه الفكرة يقول:

"إن الناس استفادوا كثيرا من المشاركة في الشبكات الاجتماعية سعيا للديمقراطية، وأصبحت مختلف وسائل الإعلام من صحافة ومواقع جزءا هاما من الأدوات الساعية للحرية".

على صعيد آخر، فإن شبكات التواصل الاجتماعي ستتيح لفئة الشباب خاصة فرص التعلم، والقيام بمسؤولياتهم الاجتماعية، من خلال أدوارهم داخل الأسرة والمجتمع، ثم يمكن الاستفادة من هذه الشبكات كونها صورة نموذجية لمفهوم الإعلام الجديد، إذ يمكن الاعتماد عليه في مسارات تغيير الثقافية السياسية السائدة، في أوساط مختلف فئات المجتمع، خاصة تلك الثقافة السياسية الدافعة للنفور من الممارسة السياسية لدى الشباب، هذا من خلال تزويدهم بالمعلومات السياسية، التي تمكنهم من الاستعداد للعمل العام.

الأمر الذي قد يؤذي إلى نشر مقاربة تشاركية، تساعد على دفع مسارات التحول نحو الديمقراطية، وإرساء أركان الحكم الجيد الذي يؤسس لدمج الشباب في مختلف مسارات صنع القرار السياسي، كركن أساسي في تحقيقه في دول على غرار الجزائر، هذا سيساعد بالتأكيد على القضاء على احتمال نشوب صراع فيما بين الأجيال، فجيل الشباب لطالما أرجع سبب عزوف عن العمل السياسي، لذلك الفشل الذي وقع فيه جيل الآباء في بناء الدولة الوطنية الحقيقية، التي تلبي مطالبهم الاقتصادية والاجتماعية.

تشير اليوم بعض الدراسات الاستشرافية، أن الانتشار الكبير لشبكات التواصل الاجتماعي، قد يقود مستقبلا إلى نشوب حكومات افتراضية تتصل بمواطنيها عبر صفحاتها على مواقع "فايسبوك، تويتر ...الخ"، إذن وبعيدا عن هذه الأفكار الذي قد تعبر عن ترفا فكريا، بعيدا عن الواقع – على الأقل حاليا -، السؤال الآن، كيف يمكن توقع مستقبل شبكات التواصل الاجتماعي لاسيما ما باستخدامها لأغراض سياسية؟

2. مستقبل الاستخدام السياسي لشبكات التواصل الاجتماعي:

لقد لعبت شبكات التواصل الاجتماعي، دور هام في تسييس الشباب العربي بشكل عام، والجزائري بشكل خاص، حتى إن كان ذلك بشكل أقل حدة مما كان عليه الأمر في الحالات التونسية، المصرية، السورية،...الخ، فبالإضافة إلى التأثيرات العديدة التي خلفها الاستخدام الكبير لهذه الشبكات المختلفة على واقع المجتمعات العربية، فقد أصبحت مع مرور الوقت وسطوع نجمها، بمثابة أداة رئيسية وفاعلة بين فئة الشباب في مناقشة ومعالجة مشاكلهم اليومية، واعتبار مختلف القنوات الافتراضية التي توفرها هذه الشبكات، بمثابة الفرصة المتاحة والمتوفرة على نوع من الحرية، لممارسة الضغط على النظام السياسي، والمطالبة بالتغيير أو الإصلاح "حسب الحال وطبيعة النظام السياسي"(عبد الجبار أحمد عبد الله، كوركيس عزيز، 2012، ص223).

في محاولة لاستشراف مستقبل الاستخدام السياسي لشبكات التواصل الاجتماعي، علينا من الوهلة الأولى أن نقتنع بالطرح القائل أن المستقبل سيسيطر عليه مشهد واحد لا غير، هو مشهد التقدم والتطور، بالنظر إلى خاصية التطور السريع التي تتميز بها تكنولوجيا الإعلام والاتصال بصفة خاصة، كما أن أعداد مستخدمي هذه الشبكات يعرف من جهته تزايد رهيب بين سنة وأخرى، وفي ظل الفشل الذي تعانيه مؤسسات العمل السياسي التقليدية، والصورة القاتمة التي يحملها جيل الشباب في الجزائر اليوم حولها، تؤكد أن توجه الشباب لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، لمناقشة مختلف المسائل ذات الطابع السياسي الوطني، سوف يشهد تعاظم في

الفترات القادمة، كما أن مؤسسات التنشئة السياسية المعروفة على غرار المدرسة والمسجد وغيرها، تعرف اليوم تلاشيا في أدوارها كما ذكرنا سلفا، أمام الدور المركزي لهذه الشبكات في مهمة التثقيف السياسي لمختلف فئات المجتمع.

كما أن اعتبار شبكات التواصل الاجتماعي، تمثل صورة حقيقية للإعلام البديل، عجزت حتى وسائل الإعلام التقليدية عن مواكبة تطوره، شموله وسرعته في نقل الخبر والمعلومة، وعليه فإنه من المتوقع أن تلعب هذه الشبكات دورا هاما في تطبيق الديمقراطية، وتفعيل مبدأ الرقابة الشعبية على أداء المؤسسات والنظام السياسي، ذلك عبر فاعلين جدد لهم القدرة على مخاطبة شرائح واسعة في أي مجتمع كان، التأثير عليه وتوجيه الرأي العام حسب الحاجة (عبد الجبار أحمد عبد الله، كوركيس عزيز، 2012، ص 224).

ما يعزز هذا الطرح، تصريح أدلت به وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة "هيلاري كلينتون hillary clinton 2009 – 2013"، في هذا الشأن (هيلاري كلينتون، 2015، ص532):

" ... نحن عازمون على معاونة المجتمع المدني في كل أنحاء العالم، لاستغلال تكنولوجيا الهاتف ووسائل التواصل الاجتماعي، بهدف وضع الحكومات تحت المساءلة، وتوثيق الانتهاكات، وتقوية الجماعات المهمشة، وبينها النساء والشباب."

بالرغم من أن هذا الطرح تؤكده وقائع كثيرة، إلا أن هناك من الدارسين لموضوع الاستخدام السياسي لشبكات التواصل الاجتماعي، يرون أن دورها سوف يتراجع إذا ما تم تحقيق مستويات أعلى من الديمقراطية - طبعا في الدولة العربية عامة- حيث سترفع حالة الطوارئ، الأمر الذي سيمكن المواطنين من التواصل في الحياة الطبيعية، بدلا من التواصل في المجال الافتراضي، الأمر الذي سينعكس سلبا على تطورها، بالتالي سيتراجع دورها السياسي.

غير أن هذا الطرح ذاته، قد يصطدم بواقع الحال، إذا ما علمنا أن الكثير من الأنظمة السياسية، في المنطقة العربية وغيرها، أصبحت تدرك تماما مدى فاعلية الاستخدام السياسي لهذه الشبكات، ودورها الأكيد في إحداث التغيير السياسي، أو على الأقل تحريك الشارع ضد نظام الحكم، الأمر الذي دفع هذه الأنظمة إلى البحث عن سبل لفرض قيود ورقابة عليها، وعلى مستخدميها، هنا يمكن أن نذكر على سبيل المثال استعمال الكثير من الفئات المجتمعية والمهنية في الجزائر، لمواقع التواصل الاجتماعي لكسب التعاطف والتعبئة، والتعبير عن مطالبها تجها الحكومة والوزارات الوصية، على غرار نقابات التعليم المستقلة، الأطباء المقيمين وغيرهم.

خاتمة:

ساعدت التكنولوجيا وشبكة الإنترنت، فئة الشباب على تجاوز الكثير من الأسباب التي دفعتهم للعزوف عن ممارسة السياسة، أو حتى الاهتمام بشؤونها، فالإمكانات السسيو- ثقافية لجيل شباب اليوم، جعلته يقود المطالبة بضرورة التغيير أو الإصلاح السياسي في بلده، ليس كمناضل تقليدي ضمن الأحزاب السياسية، التي أثبتت فشلها بالنسبة إليه، بل عبر المسارات الكثيرة التي وفرتها له، مختلف شبكات التواصل الاجتماعي التي سطع نجمها في العصر الحالي لتنافس شيء فشيء مؤسسات العمل والتثقيف السياسي المعروفة كالمدرسة، المصنع والعائلة.

إذن بسبب مجموعة من المتغيرات والأسباب، سيتحول استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، بالنسبة للشباب العربي عامة، والجزائري خاصة، من مجرد مجال لتفريغ الشحنات العاطفية، وتكوين صداقات جديدة، إلى مجال لعرض الأفكار السياسية، مناقشتها، والبحث عن الحلول الحقيقية لمختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية، التي يعانيها الشباب، مثله مثل باقي فئات المجتمع، أمام هذا الحال ستدرك الحكومات، مدى قوة الأدوار التي من الممكن أن تؤذيها هذه الشبكات، في نقل الأخبار، وإمكانية استغلالها بنجاح كبير في حشد القوى المعارضة لها بسرعة، لهذا أرادت هي الأخرى من جهتها إحكام السيطرة عليها، أو على الأقل مراقبة المحتوى الذي يروجه من خلالها مستخدميها، أما الحكومات الأكثر ذكاء فأخذت تبني إستراتيجيات للاتصال بمواطنيها عبر هذه الشبكات، من اجل إرساء نوع من الحكم الذي يشارك فيه الجميع.

في الجزائر، تعرف مواقع التواصل الاجتماعي تزايد في أعداد المستخدمين لاسيما موقع "فايسبوك"، لكن يبقى الاستخدام السياسي لها، ضعيف التأثير مقارنة بالحالة التونسية والمصرية منذ العام 2011، هذا راجع إلى طبيعة المجتمع الجزائري الذي مزال يمارس عزوفا عن ممارسة السياسة، بالرغم من المحاولات المتفاوت بين الفينة والأخرى، لمحاولة استخدام تكنولوجيا الاتصال وشبكات التواصل الاجتماعي لاستقطاب مختلف فئات المجتمع، لما يتعلق الأمر ببعض القضايا السياسية الوطنية، من طرف قوى المعارضة أو حتى المؤسسات الرسمية، لكن مع هذا يبقى الاستخدام السياسي لشبكات التواصل الاجتماعي في الجزائر ومن طرف الشباب ضعيف نوعا ما، وغير مؤثر إلى حد كبير.

الهوامش:

[*] - Web 2 أو الموجة الثانية للإنترنت، يقصد بها ارتباط الإنترنت بتطور خدماتها، وتعبر عن آخر مراحل تطور الشبكات الاجتماعية، يؤرخ لانطلاقتها مع بدأ موقع Myspace الأمريكي في العمل، ثم موقع Facebook، من ميزاتها زيادة أعداد المستخدين لهذه المواقع، أما ما يعرف بـــــ Web 1 فقد أثبت فشله مع العام 2000.

قائمة المراجع

1. برنامج الحوكمة والابتكار (2013)، التقرير الرابع للإعلام الاجتماعي العربي، كلية دبي للإدارة الحكومية، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
2. بشرى الراوي (جانفي 2012)، "دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير، مدخل نظري"، الباحث الإعلامي، العدد 18، كلية الإعلام، جامعة بغداد، العراق.
3. رانيا مكرم، "التوظيف السياسي لمواقع التواصل الاجتماعي"، موقع المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجي على الإنترنت:[goo.gl/uoR9xg].
4. راكيل رولنيك (2011)، تقرير المقررة الخاصة المعنية بالسكن اللائق، مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، نيويورك.
5. عادل عباسي (صيف 2012)، "واقع النشاط الحزبي في الجزائر وانعكاساته على سلوك الهيئة الناخبة: دراسة في ضوء تشريعيات 2008 مع إطلالة على التشريعيات المقبلة"، المجلة العربية للعلوم السياسية، عدد 35، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
6. عبد الجبار احمد عبد الله، فراس كوركيس عزيز (أكتوبر 2012)، "دور شبكات التواصل الاجتماعي في ثورات الربيع العربي"، مجلة العلوم السياسية، عدد 44، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، العراق.

7. مختار بوروينة (2014)، "عزوف الشباب عن السياسة بالجزائر"، من موقع الإنترنت:[goo.gl/mtF26q].
8. ناصر جابي (2012)، مأزق الانتقال السياسي في الجزائر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر.
9. وكالة الأنباء الجزائرية (2017)، " ارتفاع نسبة البطالة إلى أكثر من 12 بالمائة خلال أبريل 2017 "، من موقع الإنترنت: [goo.gl/Fv9Ld2].
10.وكالة أنباء البحرين، "الثقافة السياسية: دور مواقع التواصل الاجتماعي في تعميق الوعي السياسي"، من موقع الإنترنت: [goo.gl/Z7qmq1].
11.هيلاري كلينتون (2015)، ترجمة ميراي يونس، خيارات صعبة، إ للنشر والتوزيع، لبنان.
12.وليد رشاد زكي (أفريل 2010)، "الشبكات الاجتماعية: محاولة للفهم"، السياسة الدولية، عدد 180، مؤسسة الأهرام، مصر.
13.يوسف عنصر (سبتمبر 2010)، "مشكلات الشباب الجزائري"، الباحث الاجتماعي، عدد 10، جامعة قسنطينة 02، الجزائر.

14.Fadi Salem (2017) ;The Arab Social Media Report 2017: Social Media and the Internet of Things: Towards Data-Driven Policymaking in the Arab World (Vol. 7). Dubai: Mohammed Bin Rashid School of Government.

الإعلام الأمني ودوره في نشر ثقافة الوعي الأمني المجتمعي
Security information and its role in disseminating a culture of Community security awareness

أ. بغدادي خديجة، جامعة وهران2-الجزائر

ملخص: لا مراء في أنّ مفهوم الإعلام الأمني من المفاهيم الحديثة التي ظهرت في نهايات القرن المنصرم، حيث أصبحت قضية الأمن من القضايا الكبرى التي باتت تؤرق المجتمع الإنساني ككل، نتيجة للاضطرابات الداخلية والخارجية التي يشهدها العالم، وبناء على ذلك أصبح الأمن مطلب الجميع، وبات النظر إلى قضية التوعية الأمنية كقضية مجتمعية لا تقتصر على أجهزة الأمن فقط ،بل هي مسؤولية الجميع، من هنا جاءت دراستنا لتميط اللثام عن هذا المفهوم الجديد ومن ثمّ تحديد أهم العوامل التي أدت إلى زيادة الاهتمام بالإعلام الأمني في الجزائر، ودوره في نشر الوعي الأمني المجتمعي، من خلال تحديد مفهوم علمي متكامل للإعلام الأمني ودوره في تغيير الصورة الذهنية لدى الأفراد، وتكوين قناعات داخلية لديهم بأهمية التعاون مع الجهات الأمنية للتصدي لأيّ مشكلة تخلّ بأمن وسلامة المجتمع.

الكلمات المفتاحيّة: الإعلام الأمني، الأمن، الوعي الأمني.

Abstract: The concept of security information is one of the modern concepts that emerged at the end of the last century, as the issue of security has become one of the major issues the human community as a whole, as a result of the internal and external upheavals that the world is witnessing, and therefore security has become the demand of all, and the consideration The issue of security awareness as a societal issue is not limited only to the security apparatus, but it is everyone's responsibility, hence our study to define this new concept and then identify the most important factors that have led to increased attention to security information in Algeria and its role in promoting community security awareness by defining the concept For an integrated security media and its role in changing the mindset of individuals, and creating internal convictions, they have the importance of collaborating with security actors to address any problem that is disruptive to the security and safety of the community.

Keywords: security information, security, security awareness

مقدمة:

تعيش الجزائر كغيرها من المجتمعات في عصر أصبح الإعلام فيه ضرورة من ضروريات الحياة، نتيجة الطوفان المعلوماتي الذي تدفق علينا بشكل كبير، وكنتيجة حتمية لهذا التطورات الحاصلة، وما أفرزته من أنماط سلوكية جديدة وغريبة، أصبح من الضروري جدّا أن تتعامل الأجهزة الأمنية معها بأسلوب أكثر حداثة ،وتساير معطيات هذا العصر باستحداث أساليب ووسائل وتقنيات متطورة، خاصة ما تعلق منها بالإعلام والاتصال، مادام الإعلام يمتلك قوة التأثير والإقناع، ونشر ثقافة الوعي الأمني بين أفراد المجتمع، وهذا من شأنه أن يساهم في تحقيق الأمن الشامل للمجتمع الجزائري ويضمن استقراره وتطوره.

النظريات الإعلامية التي تدعم دور الإعلام الأمني في مقاومة الجريمة:

نظرية الرّصاصة (القذيفة السحرية): ترى هذه النظرية أنّ لوسائل الإعلام قدرة كبيرة على التأثير الفوري المباشر والتلقائي على الفرد، فالإنسان الذي يتعرض لأيّة وسيلة إعلامية يتأثر بمضمونها مباشرة خلال فترة قصيرة(الحضيف محمد بن عبد الرحمن، 1998، ص12)، ويتفق هذا مع الأستاذ العبد، حيث يرى أنّ ردّ الفعل الناتج إزاء وسائل الإعلام تجربة فردية أكثر منه تجربة جمعيّة، وردّ فعل الفرد الفردي لا يعتمد على تأثيره بالآخرين(العبد عاطف علي، 1989، ص208).

فلا نغالي إذن، إذا قلنا أنّ الإعلام أصبح السمة البارزة في هذا العصر ولايمكن للفرد أن يبقى بمعزل عنه، لذا كان لنظرية الرصاصة دور كبير في تحويل وسائل الإعلام إلى وسائل دعائية لها تأثير قوي وفعال في الأفراد والجماعات ،وقدرة كبيرة على تمرير أي رسالة .ومن هذا المنطلق يتضح لنا جليّا أثر استخدام هذه النظرية في مجال الإعلام والاتصال حيث تجعل الجمهور يتأثر بصفة مباشرة وفردية انطلاقا ممّا يشاهده من خلال وسائل الإعلام.

نظرية التطعيم أو التلقيح: لا نبتعد عن الحقيقة إذا قلنا أنّ اسم هذه النظرية ينمّ فعلا على فكرة التطعيم ضد الأمراض من أجل تفعيل جهاز المناعة، حتى يتصدى للأمراض والجراثيم التي تغزو جسم الانسان، ونظرية التطعيم لا تكاد تبتعد عن هذا المفهوم، إذ أنّ التعرض المتواصل لبعض ما تبثه وسائل الإعلام يولّد نوعا من التبلّد وعدم الإحساس، وهو ما يطلق عليه (الحصانة) في حالة التطعيم ضد المرض، فالجرعات المتتالية من المفاهيم والقيم التي يتلقاها الأفراد من وسائل الإعلام تشبه الأمصال التي يحقنون بها لكي تقلّ إن لم نقل تنعدم قدرة الجراثيم على التأثير في أجسامهم(الحضيف محمد بن عبد الرحمن، 1998، ص20-19).

وتدعم هذه النظرية دور الإعلام في غرس رسائله تدريجيا وبشكل متواصل للتأثير في المتلقي واقناعه، لأن تكرار الرسالة الإعلامية ينتج نوعا من التعوّد على الظاهرة، ومن ثم اللامبالاة تجاهها.

نظرية انتقال المعلومات: ترى هي النظرية أنّ تأثير وسائل الإعلام على الجمهور يتم بشكل غير مباشر خلال مرحلتين:

المرحلة الأولى لانتقال المعلومات من خلال ما تنشره وسائل الإعلام قد لا يكون له تأثير كبير، وقد لا يعيره الجمهور أي أهمية، أما المرحلة الثانية فتبدأ عن طريق قادة الرأي في المجتمع، أي الأشخاص البارزين داخل المجتمع، وهو ما ينبه الأفراد إلى أشياء لم يفطنوا إليها بأسلوب أكثر إقناعا من الطريقة التي وجّهت بها وسائل الاعلام الرّسالة الإعلاميّة ،ممّا يجعل الأفراد يستقبلون هذه الرسالة بشكل أكبر ويتأثرون بها جزئيا، أو كليا ،حيث أنّ طبيعة العملية التي يتم من خلالها التأثر بوسائل الإعلام عبر انتقال المعلومات على مرحلتين هي مصدر أهمية النظرية(الحضيف محمد بن عبد الرحمن، 1998، ص20-21).

تدعم هذه النظرية دور الإعلام في نشر الوعي الأمني في المجتمع من خلال القيام بحملات إعلامية يديرها أشخاص معروفين في أوساط المجتمع حتى يكون لها التأثير المرغوب من قبل أجهزة الأمن وقد يختلف التأثير حسب درجة تقبل الفرد للخبر.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة هذه الدراسة في تحديد أهمّ العوامل التي أدت إلى زيادة الاهتمام بالإعلام الأمني، في ظل ما تشهده دول العالم من تغيرات مسّت كلّ المجالات، وأمام الثورة المعلوماتية التي غزت العالم ككلّ، بحيث أصبح من الصّعب جدا غضّ الطّرف عن المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والتكنولوجية، التي تشهدها الجزائر، وتعيشها المجتمعات المعاصرة، فضلا عن التطورات الحاصلة في المجال الإعلامي والتقني، وتظهر أهمية الإعلام بالنسبة للمجتمع من خلال قدرته على التأثير في الوعي الجمعي الذي يعد أهمّ عامل لتطور المجتمع، ولأجل هذا أصبح الإعلام الأمني مطلبا مهما، ليس فقط في الجزائر بل كلّ دول العالم، التي تشهد حراكا اجتماعيا مستمرا.

وتأسيسا على ما سبق فإننا نعبّر عن مشكلة البحث في التساؤل التالي: لماذا ازداد اهتمام الأجهزة الأمنية بالإعلام في معظم دول العالم وفي الجزائر بصفة خاصة بحيث أصبحنا اليوم نتحدث عن الإعلام الأمني؟ ما هو الدور الذي يلعبه الإعلام الأمني في نشر ثقافة الوعي الأمني بين أفراد المجتمع؟

أهمية البحث:

في ظل التغيرات المتنامية والسريعة الحاصلة في العالم المعاصر سواء على الصعيد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والايديولوجي، بالإضافة إلى التطور الحاصل في مجال التقنيات الحديثة، ووسائل الاتصال والاعلام، أصبح المجتمع عرضة لتدفق أفكار، ومفاهيم، وثقافات، وقيم، وعادات، وتقاليد جديدة، سواء كانت تتفق مع المجتمع أو لا تتفق، فهي عوامل أفرزت صراعا داخل المجتمع، نتيجة لتباين هذه القيم والأفكار الوافدة، وأمام هذا الأمر أصبح الإعلام الأمني مطلبا لجميع دول العالم ،وليس الجزائر فقط، من هنا تنبثق أهمية الدراسة من الأهمية الإستراتيجية والحيوية للإعلام الأمني، ودوره في وقاية المجتمع من أي خطر، بالإضافة إلى توعية أفراد المجتمع بضرورة تظافر الجهور والتعاون مع أجهزة الأمن حفاظا على سلامة الوطن.

أهداف الدراسة:

- تهدف الدراسة الحالية إلى تحديد العوامل التي أدت إلى زيادة الاهتمام بالإعلام الأمني في الجزائر. بالإضافة إلى معرفة دور الإعلام الأمني في تكوين رأي عام مساند ومتعاون معه.

مفاهيم الدراسة الإجرائيّة:

الإعلام الأمني: نحاول قبل تطرقنا لمفهوم الإعلام الأمني الانطلاق من مفهوم الإعلام، حتى نبين الفرق بينه وبين الاتصال.

الإعلام لغة: علم علماً بالكسر أي عرفه، وعلمه ويقال رجل عالم، وعليم والجمع علماء وعلام، وعلمه تعليما وعلاما، وعلمه إياه فتعلمه، والإعلام أي الإخبار والإبلاغ والتعليم(الفيروز أبادي، 1987، ص1471-1472).

اصطلاحا: هو عبارة عن كل وسائل، وأساليب نقل المعلومات، ونشر المعارف، وتحليل الأحداث، وإبراز الظواهر، والأحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، لتنوير المجتمع وتحذيره والمشاركة في تشكيل الرأي العام، وصنع القرار، وتثقيف السلوك، كما يعرف بأنّه كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، عن قضايا والموضوعات، والمشكلات ،ومجريات الأمور، بموضوعية،

وبدون تحريف، بما يؤدي إلى تكوين أكبر درجة ممكنة من المعرفة ،والوعي، والإدراك، والإحاطة الشاملة بالحقيقة(بركة بن زامل الحوشان، 2004، ص15)، ارتبط مفهوم الإعلام بنشاطات، وفعاليات التي يمارسها الإنسان منذ القدم من خلال وسائل، وأساليب لنقل المعلومات، ونشر المعارف، وتحليل الأحداث، وإبراز الظواهر والأحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصاديّة والثقافيّة لتوجيه المجتمع، وتحذيره والمشاركة في توجيه الرأي العام وصنع القرار(علي عجوة، 1997، ص21).

الأمن في الإطلاق اللغوي: الأمن ضد الخوف، والأمانة ضدّ الخيانة قال تعالى "الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف "(ابن منظور، دس، ج1، ص107)، ويقارب الباحث قطام السرحان محمود في مؤلفه الإعلام الأمني والشباب مفهوم الأمن من خلال وظيفته، حيث يرى بأنّ مفهوم الأمن كان يقتصر على خلوّ المجتمع من المشكلات، والقدرة على الدفاع على النفس، وردّ العدوان فحسب، إلى غاية ظهور مفهوم جديد للظاهرة الأمنية يسمى بالأمن الإيجابي، أو الأمن الشامل الذي يعني الانتفاع من مصادر المعرفة والطاقة الغذاء والمتعة والعمل(قطام السرحان، 2001، ص80).

الإعلام الأمني: هو استخدام وسائل الإعلام بغرض زيادة فاعلية ما يصدر عن جهات الأمن، والترويج للنشاطات الأمنية عبر وسائل الإعلام المختلفة من صحافة، وإذاعة، وتلفاز، لتوعية أكبر قدر من المواطنين توعية أمينة متوازنة، وفق أسس علمية واضحة لتحقيق هدف أمني(علي الجحني، 2000، ص32)، أما بيت المال فيعرف الإعلام الأمني على أنّه فرع من فروع الإعلام المتخصص يتضمن إعداد الرسائل التوعويّة ذات التأثير العالي في المجال الأمني عبر حملات إعلامية تتعلق بالموضوعات الأمنية، التي من بينها التبصير بأخطار الجريمة(بيت المال حمزة بن أحمد، 2002، ص26)، ومن جهته قدم الباحث علي عجّة ضمن مقالته حول الإعلام الأمني خلال ندوة الاعلام الأمني المشكلات والحلول تعريفا للإعلام الأمني يفيد بأنّه يمثل مختلف الوسائل الإعلامية المدروسة التي تصدر بهدف توجيه الرأي العام لتحقيق الخطة الشاملة للأمن، والتصدي للأسباب الدافعة لارتكاب الجريمة والتوعية بمخاطر الجرائم(علي عجوة، 1997، ص10).

الوعي الأمني: يعرف الوعي الأمني على أنه "مجموعة العمليات المتكاملة، التي تقوم بها أجهزة، ووسائل الإعلام المتخصصة من أجل تحقيق أكبر قدر من التوازن الاجتماعي، بغية المحافظة على أمن الفرد وسلامته وسلامة الجماعة والمجتمع(الصباح داود سليمان، 1988، ص83)، وعليه فإن دور الإعلام الأمني يتحدد بمدى مشاركته في الحفاظ على أمن واستقرار المجتمع، أما الوعي الأمني فنقصد به نشر التوعية بضرورة الأمن ومكافحة الجريمة والوقاية من الانحراف، والتعريف بجهود أجهزة الأمن المختلفة، والعمل البنّاء الذي تقوم به لصالح المجتمع وخدمة النظام العام، وقد لا يقتصر الوعي الأمني على إدراك القضايا وكيفية التعامل معها إنما يمتد ليشمل إدراك كل ما له علاقة بالفرد والمجتمع سواء من الناحية المادية أو الثقافية والسياسية وغيرها.

الوعي الأمني في الحقيقة يبدأ غرسه من الأسرة ثم المدرسة ثم أجهزة الأمن والإعلام، وتلعب الأجهزة الأمنية دورا كبيرا في بلورة هذا الدور وتوفير المعلومات إلى أجهزة الإعلام والإعلاميين ليستطيعوا القيام بدورهم، فإذا لم تتوفر لديهم المعلومات الكافية فلن تكون مساهمتهم مجدية في نشر الوعي الأمني، لأن الوعي الأمني لا يتحقق إلاّ من خلال معرفة المجتمع لطابع الجريمة ،وظروف نشوئها، والأطراف الفاعلة فيها، وأماكن انتشارها، وعوامل تفشيها ،حتى تتخذ كافة التدابير، والإجراءات للوقاية منها ،أو الحدّ من انتشارها ،وهنا يأتي دور الإعلام في

نشر هذه المعلومات الموجودة عند أجهزة الأمن، وإيصالها إلى المجتمع لتوعيته بمخاطرها(بن عودة محمد، 2012/2011، ص22).

منهجية الدراسة وإجراءاتها:

من أجل إبراز دور الإعلام الأمني في نشر الوعي الأمني المجتمعي استخدمنا المنهج الإثنوغرافي الذي يعمل على تسجيل المادة الثقافيّة من الميدان، أي يقوم بوصف أوجه النشاط الثقافي البشري داخل مجتمع معين، ولا تسعى الأثنوغرافيا إلى "التقويم" وإنّما إلى تقديم صورة واقعية وتقريرية للأمور الحياتية لمجتمع ما، إبّان فترة زمنية معينة.

أدوات الدراسة:

البيانات المكتبية: وهي البيانات الأساسية (الأولية) والثانوية التي تمثل الخلفية النظرية التي بنيت عليها هذه الدراسة بالاعتماد على: الكتب العلمية، البحوث، والدراسات العلمية التي تناولت هذا الموضوع، بالإضافة إلى الدراسات السابقة المرتبطة بموضوع الدراسة.

الجانب النظري: الإعلام الأمني:

1.الإعلام الأمني:

ماهية الإعلام الأمني: لقد تعدّدت التعاريف التي تناولت مفهوم الإعلام الأمني بتعدّد رؤى ووجهات نظر وتخصصات مختلف الباحثين، إلّا أنّ أغلبهم يتفقون على أنّه مصطلح ظهر مع نهايات القرن العشرين، ويقصد به مجموعة من الأنشطة الإعلامية المعدة لإيصال رسائل الإعلامية ،يهدف إلى إخبار الجمهور أو قطاع معين بموضوعات تخص الأمن من خلال كافة وسائل الإعلام، والاتصال المختلفة ، ويوضح الباحث بن فايز الجحني علي في كتابه الرقابة الإعلامية في وقت الأزمات :أنّ الإعلام الأمني هو "نوع من الإعلام له فلسفته ومقاصده الخاصة التي تتضمن زيادة تأثير، وفاعلية ما يصدر عن أجهزة الإعلام وعن جهات الأمن من نشاطات إعلامية ذات طابع أمني تقدم من خلال وسائل الإعلام المختلفة كالإذاعة والتلفزيون، والصحافة، إلى غير ذلك لتوعية اكبر قدر من الناس توعية أمنية متوازنة"(علي الجحني، 2000، ص32)، ويعرفه ناجي بأنّه:"إعلام هادف يتناول فنون التعبير المختلفة التي تمارسها أجهزة الأمن لتوجيه الرأي العام بشكل إيجابي نحو التفهم، والمشاركة، في تحقيق جوانب الخطط الأمنية باستخدام كافة وسائل الإعلام "(ناجي إبراهيم ، 2002، ص105)، والواقع أنّ كل هذه التعريفات تقترب من مفهوم الإعلام الأمني الذي يرتبط بمفهوم الإعلام أولا وبمحتوى الرسالة الإعلامية ثانيا، وبالوظائف المنوطة به ثالثا، وبالجمهور المستهدف رابعا، ومن هنا يمكن أن نقدم تعريفا للإعلام الأمني يتلخص في كونه عملية اتصال تنم على رسائل مصممة ومخططة، ومعدة لأغراض معينة وفقا لنموذج معين، يتناسب والمحتوى الأمني المراد نقله للجمهور عبر وسيلة إعلام معينة.

عناصر عملية الإعلام الأمني: لا تختلف عناصر الإعلام الأمني عن عناصر أيّة عملية إعلامية أخرى، وإن كان لكل منها خصائص معينة تميزها عن الأخرى، ومن بين هذه الخصائص نذكر:

القائم بالاتصال: وهو الجهات الأمنية المختصة في إطلاق الرسالة الإعلامية، وموضوعها، والجمهور المستهدف.

الرسالة :وهي الفحوى ،أو المضمون، أو الفكرة، أو الموضوع، أو الخبر، أو المعلومة المراد نقلها إلى المستقبل، والرسالة الإعلامية الموجهة للجمهور هي الموضوع، أو المحتوى الذي يريد الإعلامي أن ينقله للجمهور، كما تعد الهدف الذي تصبو عملية الاتصال إلى تحقيقه، يقصد بها إلى الجمهور(رشوان حسين عبد الحميد، 2004، ص262)، وهي تتكون من شكل ومضمون، ومن شروطه ضرورة التناسب ،والتلاؤم مع قناة الإعلام التي سوف تستخدم لنقل الرسالة، كما يشترط فيها أيضا أن يكون هناك توازن بين الشكل والمضمون، بالإضافة إلى الدقة والوضوح، وعدم استخدام أي ألفاظ، أو جمل تقبل تأويلاً، وتفسيرات متعددة.

القناة الإعلامية: باختلاف أشكالها المقروءة، أو المسموعة والمرئية، وتحدد طبيعة الرسالة، وخصائص الجمهور المستهدف، ونوعية وسيلة الإعلام المراد استخدامها لهذا الغرض، وقد يستخدم الإعلام الأمني أكثر من أداة لنقل مضمون رسالته الإعلامية، خاصة إذا كانت تشمل عدة قطاعات، واتسعت رقعة الجمهور المستهدف.

الجمهور المستهدف: إنّ أهم عنصر في تحقيق الرسالة الإعلامية هو الجمهور المستهدف، حيث تعد مضامين الرسالة الإعلامية وفقا لخصائص هذا الجمهور(عاداته، تقاليده، لغته، قيمه، ومفاهيمه) فالمخطط الإعلامي يأخذ بعين الاعتبار هذه الخصائص، حتى يحقق عنصر الإقناع، والتأثير، ويتجنب أي صدام مع الجمهور المتلقي، والواقع أنّ هذه المسألة تعد ذات أهمية كبيرة في عملية الإعلام الأمني، لذا فإن بناء استراتيجيات معينة لإيجاد توليفة بين الرسالة والمتلقي أمر ضروري وهذا ما يتيح لها قابلية التحقق والاقناع دون بروز أي صدام خاصة مع الذين يحملون أفكار مضادة لها.

التغذية العكسية: تتضمن ردود أفعال الجمهور المتلقي، ومن ثمة فهي بمثابة اكتمال دورة الاتصال التي تمهد لدورة جديدة، وهي مؤشر دال على مدى إبلاغ الرسالة إلى الجمهور المستهدف، وفهمهم لمحتواها (http://machahid24.com/)، وهو أمر يدل على فعالية الرسالة الإعلامية، وضمان لاستمراريتها، وقد يتطلب الأمر لتحقق ذلك نجاح عملية التخطيط والإنتاج للمحتوى الإعلامي، وتوفير كل الوسائل لكي يتدفق الخبر الإعلامي بشكل أشمل، كما أن التغذية العكسية توضح لنا مدى استجابة الجمهور المتلقي للرسالة الإعلامية ونوعية هذه الاستجابة سواء كان بالرفض أو القبول.

وظائف الإعلام الأمني: إن أهم وظائف الإعلام الأمني هي خلق صورة ذهنية ايجابية لدى المواطنين عن الأجهزة الأمنية، ووظائفها ومهامها باعتبارها في الأساس، موجهة للصالح العام، وذلك من خلال إعداد البيانات، والأخبار الإعلامية المتعلقة بالجوانب الأمنية، التغطية الإعلامية لكافة الأحداث المتعلقة بأجهزة الأمن، بالإضافة إلى التعريف بالأنشطة المختلفة التي تقدمها أجهزة الأمن للمواطن، وتوعية المواطنين بكل ما هو جديد في نطاق الجريمة وتطورها، خاصة أنها هناك جرائم تكنولوجية لا يعلم عنها الجمهور غرس مفاهيم أمنية تحصنهم من الوقوع في الجريمة، وإيجاد آليات تكفل التنسيق والتعاون مع وسائل إعلام المختلفة، إعداد سيناريوهات لازمة للتعامل الإعلامي مع الأزمات الأمنية المحتملة والإشاعات التي تستهدف المواطن(قطام السرحان، 2001، ص81).

- تدعيم العلاقة بين الأجهزة الأمنية والجمهور بما يكفل التعاون لمواجهة الجريمة، والحد من سلبياتها(الحيدر،2001، ص321-322).
- تنمية روح المشاركة والارتباط بين أجهزة الأمن، وأبناء المجتمع على أساس أن تحقيق الأمن يمثل ضرورة أساسية لكل أبناء المجتمع، وأنّ تحقيق الأمن والاستقرار يتطلب تكاتف جهود الكافة، فبقدر ما ينجح الإعلام الأمني في توعية الجمهور بأضرار الجرائم بقدر ما يستتب الأمن، والنظام، والاستقرار، والتوافق(الجحني علي، 2000، ص35).
- ربط المواطنين بهموم بلدهم في الداخل والخارج، والكشف بجلاء عن الحالة الأمنية فيها، واضطلاعهم على كامل الحقائق المتعلقة بأمنهم ولأمتهم، وتوعيتهم بكافة المخاطر المحدقة بهم، وذلك للاستفادة من وسائل وتقنيات الإعلام المتطورة، وفي ترسيخ المفهوم الشامل للأمن(بدر عبد المنعم محمد، 1997، ص26).
- إعداد البيانات والأخبار الإعلامية المتعلقة بالجوانب الأمنية.
- التغطية الإعلامية لكافة الأحداث المتعلقة بأجهزة الأمن.

- التعريف بالأنشطة المختلفة التي تقدمها أجهزة الأمن، والتي تدخل في نطاق الخدمات الحكومية الرسمية.
- التي يحتاج إليها المواطنون، وشرح الإجراءات اللاّزمة لحصول المواطنين على هذه الخدمات.
- التوعية الأمنية بكل ما هو جديد في نطاق الجريمة خاصة الجرائم الإلكترونية وغيرها من أنواع الجرائم الجديدة، التي بدأت في الظهور في المجتمعات المعاصرة، هذا فضلاً عن غرس المفاهيم الأمنية لدى المواطنين، وتحصينهم من الوقوع في براثن الجريمة، بما يدعم أوجه التعاون بينهم وبين أجهزة الأمن(قطام السرحان، 2001، ص65).
- توجيه الجمهور للإجراءات التي يجب اتخاذها لمواجهة خطر داهم أو عند مشاهدة جريمة.
- التسويق للسياسات، والأنشطة الأمنية المختلفة، والاستطلاع المنتظم لآراء المواطنين بصدد الخدمات التي تقدمها وزارة الداخلية، وذلك للتوصل إلى الأساليب الملائمة لتطوير الأداء باستمرار.
- تعزيز مبدأ التآزر والتعاون الاجتماعي، حيث يؤكد الإعلام الأمني أهمية العمل على مساعدة رجال الأمن في القيام بواجبهم ورفع روحهم المعنوية إزاء ما يقومون به من أعمال في سبيل الحفاظ على سلامة، وامن واستقرار المجتمع(ايمان عبد الرحمن أحمد محمود، 2010، ص38)، السعي المستمر والمنظم لتشكيل بيئة حاضنة للأنشطة الأمنية وخلق رأي عام مساند لها.
- إيجاد الآليات التي تكفل التنسيق والتعاون مع وسائل الإعلام المختلفة في المجتمع.
-المتابعة الدقيقة والمستمرة لما ينشر في وسائل الإعلام المختلفة داخليًا وخارجيًا بصدد جمع الموضوعات الأمنية أو ذات الصلة بالأجهزة الأمنية وتوثيقها وتحليلها من زوايا ومنظورات متعددة والاستفادة منها في وضع الاستراتيجيات والخطط الأمنية(http://machahid24.com/).

إلا أن عملا كهذا لا يقتصر على جمع المعلومات فقط بل إن الأخطر من ذلك نوعية المعلومات ومدى صحتها وهو أمر منوط بالأجهزة الأمنية التي يجب أن تتحرى مصادر المعلومات ومحتواها ومناقشتها وتحليلها للوصول إلى الحقيقة التي تهم الفرد والمجتمع، وذلك لتجنب الشائعات والأخبار المغلوطة التي من شأنها أن تفقد الفرد ثقته فيها مستقبلا وتحول دون نجاح عملية التوعية الأمنية والإقناع الأمني المجتمعي، فالمعالجة الإعلامية للأحداث والقضايا الأمنية ينبغي أن تتم بحرص كامل وحذر شديد.

هذه هي أهم الوظائف المتعلقة بالإعلام الأمني ولاشك في أن تحديد الأولويات بالنسبة لها وأساليب القيام بها يرتبط ارتباطا واضحا بالاستراتيجية العامة الشاملة للأمن وموضع استراتيجية الإعلام الأمني منها، من هنا فإننا لا نجد غضاضة من القول أنّ وسائل الإعلام بصفة عامة والإعلام الأمني بصفة خاصة تلعب دور أساسيا في الحياة العامة للأفراد بحيث تجعله مضطلعا بصفة دائمة بما يدور حولهم في مجتمعهم وفي العالم بأسره، لذا لا غرو من القول أنّ التوعية الأمنية هي بمثابة استراتيجية لتنوير المجتمعات بما يحدث حولهم وتهيئتهم لمواجهة أي ظاهرة إجرامية أو سلبية تشكل تهديدا على أمن المواطن وسلامته ومن ثم امن المجتمع ككل.

وسائل الإعلام الأمني: يعتمد الإعلام الأمني على مجموعة من وسائل الإعلام الحديثة المتطورة والتقليدية سواء من أجل تمرير الرسالة الإعلامية، أو نشر ثقافة الوعي الأمني من أجل تعاون جميع أفراد المجتمع مع الجهات الأمنية، قصد الحفاظ على أمن وسلامة المجتمع، وتصنف هذه الوسائل في الغالب إلى مجموعتين الأولى تتمثل في الكلمات الإعلامية مثل الصحف والمجلات والنشرات والملصقات بأنواعها، وتسمى مجموعة الكلمات المكتوبة ،والثانية الكلمات المنطوقة مثل الراديو والتلفزيون والسينما والمسرح والندوات والمحاضرات والمؤتمرات والملتقيات، كما

يمكن تقسيم وسائل الاتصال والإعلام إلى وسائل اتصال شخصي، ووسائل الاتصال الخاصة، ووسائل الاتصال العامة، أو إلى وسائل سمعية، وأخرى بصرية، ومطبوعة ومكتوبة ،إلّا أنّ الأنسب من التقسيمات تلك التي تصنفها إلى وسائل مكانية ووسائل زمانية ،وأخرى زمانية مكانية(رشوان حسين عبد الحميد ، 2004، ص269)، كما يضاف إلى هذه الوسائل الوسائط التكنولوجية الحديثة والأنترنت، وشبكات الهواتف الذكية، ومواقع التواصل الاجتماعي.

2. المتغيرات الجديدة في الواقع المعاصر وأثرها على الأنشطة الأمنية:

لقد ساهم التطور التكنولوجي الذي يشهده العالم ككل في بلورة مفاهيم جديدة فرضت نفسها في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية ، وامتد تأثيرها إلى المؤسسات التنشئوية الاجتماعية وهذا ما يجعل هذه التقنيات الرقمية الحديثة تلوي على الكثير من القدرات والمميزات الفعالة داخل المجتمع وخارجه والجزائر واحدة من الدول التي فرض عليها الطوفان المعلوماتي التكنولوجي الذي يغزو العالم حتمية مواجهة تحديات هذا العصر وما أفرزه من تسرب في بعض المفاهيم والقيم والعادات والثقافات الغريبة على المجتمع الجزائري أدت إلى بروز انحرافات وسلوكات وظواهر سلبية تؤثر سلبا على الفرد والمجتمع وترهن أمنه واستقراره ومن ثم تطوره وتقدمه فكانا لزاما التفكير في الوسيلة التي تحقق ذلك من هنا برز وعي كبير في عدة دول عربية أو أوروبية بضرورة تحيين أساليب مكافحة الجريمة أو كل ما من شأنه أن يهدد أمن واستقرار المجتمع فظهر الإعلام الأمني ليصبح لصيقا بقضايا التنمية الشاملة، ووسيلة للحراك الاجتماعي، والاقتصادي، ولأن المتغيرات التي يشهدها الواقع المعاصر متعددة ومتنوعة بتنوع المجالات (اقتصادية، سياسية، اجتماعية، ثقافية، تكنولوجية) إلاّ أنّنا سنركز على المتغيرات ذات التأثير الكبير والواضح على الأنشطة الأمنية:

المتغيرات السياسية: ممّا لا شك فيه أنّ الحراك السياسي في معظم بلدان العالم، وظهور الثورات التي تنادي بالتحرر والديمقراطية وحقوق الانسان، قد اثّر بشكل كبير في ظهور عدة تهديدات أمنية خطيرة خاصة في المجتمعات التي لم تصل بعد إلى المستوى الملائم من الوعي السياسي، وهو ما تشهده بعض الدول من انفلات أمني وعنف دموي، من هنا كان لابد من مجاراة أمنية لهذه العوامل والبحث عن أنجع السبل للحفاظ على وحدة وأمن واستقرار المجتمع.

ولا نغالي إذا ما قلنا إن التطورات السياسية التي شهدتها المجتمعات المعاصرة، قد أسفرت عن ضرورة الاهتمام بعملية التسويق السياسي لكافة السياسات، والأجهزة والمؤسسات العاملة في المجال العام بما فيه السياسات والمؤسسات والأجهزة الأمنية، والإعلام هو أحد الأدوات الرئيسية في هذا الشأن(http://machahid24.com/).

المتغيرات الاقتصادية: لا شك أن فتح الأسواق الوطنية أمام المستثمرين الأجانب والشركات الأجنبية ضرورة حتمتها مسألة حرية التجارة العالميّة، لكن هذا الأمر فسح المجال لبروز ظواهر سلبية عديدة من شأنها أن تعطل عجلة التنمية الاقتصادية في البلاد، كالاحتيال والغش والتلاعب والمضاربة على العملات الوطنية، والمضاربة في البورصات العالمية، ضف إلى ذلك العمليات المشبوهة كتبييض الأموال وغيرها ،وهذا من شأنه أن يشكل تهديدا على الامن الاقتصادي لأي بلد، كما أنّ بروز النشاطات الاقتصادية الفردية والتي يديرها أصحاب الأموال لا يمنع من دخول بعض الأشخاص الذين يستغلون قواعد الاقتصاد لممارسة أنشطة اقتصادية خادعة ووهميّة كتوظيف الأموال، وهو الأمر الذي يؤدى إلى ضياع أموال المودعين، كما أن ازدياد حدة التنافس على الأسواق أدى إلى ازدياد عمليات التجسس الاقتصادي ،ودون خوض في التفاصيل، فإنّ هذه المتغيرات الاقتصادية الجديدة تتولد عنها أنشطة أمنية جديدة، كما أنها تؤثر على الأنشطة الأمنية التقليدية بمعنى أنّها توسع من دائرة حركة هذه الأنشطة داخليًا وخارجيًا، من ناحية أخرى فإنّ علاقات الاعتماد الاقتصادي المتبادل والتشابك بين الأنشطة والعمليات الاقتصادية والتجارية

والمالية في عالم اليوم، تؤثر تأثيرًا مباشرًا على طبيعة الأنشطة الأمنية المعاصرة ،والأساليب الملائمة لا نجازها(محمد سعد أبو عامود، 2008، ص3).

المتغيرات الاجتماعية: "إن التغير الاجتماعي حقيقة وجودية، فضلا عن أنه ظاهرة عامة وخاصية أساسية تتميز بها نشاطات، ووقائع الحياة الاجتماعية، بل أنه ضرورة حياتية للمجتمعات البشرية، فهو سبيل بقائها ونموها، فبالتغير يتهيأ لها التكيف مع واقعها، وبالتغير يتحقق التوازن والاستقرار في أبنيتها وأنشطتها، وعن طريق التغير تواجه الجماعات متطلبات أفرادها وحاجاتهم المتعددة والمتجددة، (الخشاب، 1971، ص6)، والمجتمعات العربية المعاصرة تشهد تغيرات كثيرة وفي شتى النواحي والمجالات المختلفة وهو أمر أفرز مشكلات عويصة كنتاج تأثيراتها على المجتمع، وانعكاس هذه التأثيرات على بنية العلاقات الاجتماعية وحتى الأسرية، حيث تفككت التكوينات الاجتماعية التقليدية وبدأت تتشكل تكوينات اجتماعية جديدة، كما ظهرت مفاهيم جديدة أدت إلى تَشرذُم منظومة القيم الاجتماعية، وهذا ما سعى إلى إبرازه عبد الباسط محمد حسن حين تحدث عن التحولات في أنماط الفعل الاجتماعي و التفاعل الاجتماعي فهو يرى أن التغير الاجتماعي يتضمن كل أشكال التحولات التي تحدث في القيم و المعايير، و قواعد السلوك الضابطة لأنماط التفاعل الاجتماعي بين الأفراد"(أحمد زايد، 2000، ص19)، فلا غرو إذن من أنّ هذا التحول الاجتماعي قد أفرز مظاهر غريبة عن المجتمع كانتشار كل أنواع الجريمة والعنف والسرقات والاعتداءات الجسدية، وهو أمر يحتاج بالضرورة إلى التدخل الأمني الذي يتطلب توظيفًا فعالاً لوسائل وأدوات الاتصال.

المتغيرات الثقافية: يعتبر التغير الثقافي عملية اضطرارية تحدث نتيجة للتغيرات الاجتماعية المستمرة، كما يشير التغير الثقافي إلى "التغيرات الملموسة المادية، وغير المادية سواء كانت هذه التغيرات من خلال إضافة، أو حذف أو تعديل في السمات الثقافية، أو مركب الثقافة ، وتتعدد مصادر التغير الثقافي التي من أهمها الاحتكاك بالثقافات الأخرى الاختراعات، أو التوافقات الداخلية للثقافة"(أحمد زايد، 2006، ص141).

وبما أنّ المجتمعات المعاصرة تشهد تغيرا ثقافيا نتيجة التطور التكنولوجي الهائل الذي يسيطر عليه العالم الغربي، والذي يستهدف إخضاع الأمم والشعوب الضعيفة وتذويبها في أطر ثقافية جديدة، أو تفجيرها من الداخل من أجل ان تحكم القوى الاستعمارية الجديدة القديمة سيطرتها على مصائر هذه الشعوب، فإن الأمر يتطلب توافر أساليب وسياسات فعالة، وهنا يبرز دور المؤسسات العاملة في هذه المجتمعات، ولعل أهمها أجهزة الأمن والإعلام الأمني، من أجل التصدي لمثل هذه المخططات الاستعمارية وهذا الغزو الثقافي الإلكتروني.

3. التطور التكنولوجي وأثره على الأجهزة الأمنية:

لاشك أنّ التطور التكنولوجي السريع الذي يجتاح العالم ككل له آثار واسعة النطاق خاصة تلك التي لها علاقة بالمجتمع ،شكله، ووظيفته، ومفاهيمه، ونظمه، و مجتمعاتنا العربية المعاصرة مع نهاية الألفية الثانية تشهد تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية متعددة، وهو أمر شمل أيضا الأنشطة الأمنية المختلفة في سائر المجتمعات المعاصرة وكنتيجة لهذه الأوضاع المستجدة في المجتمعات المعاصرة أصبح الحديث اليوم عن ضرورة توفر المكون الأمني والعلمي، كمساير ومتحكم في التغيرات الحاصلة في المجالات الاقتصادية والتكنولوجية والمعرفية والمعلوماتية والسياسية وغيرها، هذه العوامل مجتمعة فرضت على الأجهزة الأمنية البحث عن الأساليب الملائمة للتعامل الفعال مع هذه الأوضاع المستجدة، وأحد هذه الأساليب تمثل في الإعلام، زيادة على أهمية الاعلام وارتباطه المتشعب بالمجتمع أدى إلى بروز الحاجة إلى تحيين أساليب وتقنيات حديثة ومعاصرة للنشاطات الأمنية، حيث استحدثت أساليب وطرائق جديدة في مجالات جديدة للأنشطة الأمنية ،وغيرت من بعض الأساليب التقليدية القديمة العقيمة، ووسعت

من نطاق أنشطة أخرى أو حيّنتها، قصد التعامل مع كل مكونات المجتمع مهما اختلفت أشكالها وصياغة قنوات للاتصال المباشر أو غير المباشر مع أفراد المجتمع، و بناء علاقات مجتمعية قوية وفعالة بين الجهاز الأمني والمواطنين، من هنا لا نستغرب زيادة اهتمام الأجهزة الأمنية بالمكون العلمي والمعرفي في كل بلد، وفي مختلف مجالات الحياة المعاصرة، ولعل أفضل من عبر عن هذا الوضع الدكتور بطرس غالي الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة في تقرير أصدره في التسعينيات من القرن الماضي حيث ربط بين التنمية والأمن والديموقراطية، فلا تنمية ولا ديموقراطية بغير أمن كما أن الأمن لا يتحقق بدون تنمية وديموقراطية (/http://onaeg.com).

أما من ناحية أخرى فإن التحولات التي أشرنا إليها سابقا كان لها تأثير في ظهور العديد من السلوكيات والممارسات المنافية للقانون والضارة بالمجتمع، وهو الأمر الذي استوجب ظهور مهام جديدة للأجهزة الأمنية في نطاق ما يعرف بالإجراءات الوقائية التي تتطلب "تأسيس وعي أمني ،يثري الروح المعنوية والمادية بكل مقومات النجاح والتفوق والتمشي بالتعليمات، والأنظمة التي تكفل أمن الفرد وسلامته، في شتى مجالات الحياة، ممّا يترتب عليه تأصيل، وتعميق التعاون، والتجاوب مع مختلف قطاعات الدولة لخدمة الأمن والاستقرار"(علي الجحني، 2000، ص32)، وقد أدى التطور في تقنيات الإعلام والاتصال إلى زيادة أهمية الإعلام الأمني كوسيلة فعالة في تبصير أفراد المجتمع بخطورة الظواهر الإجرامية التقليدية والمستحدثة، التي ساهمت فيها تقنيات ووسائل الإعلام والاتصال المتطورة التي منحت الأعمال الاجرامية البعد التقني، الذي زاد من خطورتها وتأثيراتها السلبية ،فتقنيات الاتصال الحديثة سلاح ذو حدين، الأول إيجابي ويتضمن المساعدة على ترسيخ مفهوم الأمن الشامل في نفوس الجماهير من خلال دقة وسرعة إيصال الرسالة الإعلامية الأمنية التي توجه إلى الجماهير(عيد محمد فتحي، 2001، ص54-56).

4. دور الإعلام الأمني في نشر الوعي الأمني المجتمعي:

من المعلوم أن نشأة الإعلام المتخصص ضرورة حتمية يفرضها واقع تطور مجال ما وصوله إلى درجة من النضج والاكتمال والغنى والتعقيد (أديب، 2007، ص36)، ولأجل التغيرات الحاصلة في جميع المجتمعات أصبحت الحياة الاجتماعية أكثر تعقيدا من خلال تشعب العلاقات وتغير القيم والعادات والتقاليد والثقافة وتصادم المصالح، وغيرها من الظواهر التي انسلت عبر التكنولوجيا الحديثة الذي جعلت العالم قرية صغيرة مكشوفة أمام بعضها البعض حيث أصبح من المستحيل وضع الحدود والحواجز والموانع لمرور أي مفاهيم أو سلوكات منحرفة و دخيلة عن المجتمع ،هذا الوضع نجم عنه تنامي للجريمة بكل أنواعها وهو ما أصبح يشكل تهديدا للفرد أولا للمجتمع ثانيا .وكما أنّ الظاهرة الأمنية لا توجد في فراغ حيث أنها حصيلة سياقات متعددة اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية ، وبالتالي لا يمكن فهمها ومعالجتها بمعزل عن السياق الكلي الذي أنتجها وربما يعيد إنتاجها، وأصبح ضروريا جدا لتشخيص هذه الظاهرة الأمنية المعقدة والمتشابكة وفهمها ،تحليلها لمعرفة تفاوت وقوة واهمية هذه العناصر وتحديد الأساسي والثانوي منها ثم معرفة علاقات التأثر والتأثير القائمة بينه وهذه العناصر والعوامل وبعد ذلك إعادة تركيب هذه العناصر للحصول على الصورة الكاملة سعيا لفهم الظاهرة أو حل المشكلة(أديب، 2007، ص42).

وسائل الإعلام والرأي العام: لا شك أن توجهات الأفراد تتأثر بشكل مباشر حسب المعلومات التي يتعرضون لها، وهنا تبرز مساهمة الإعلام في بلورة وعي اجتماعي لدى الأفراد من خلال الرسالة الإعلامية، الممرّرة إليهم عبر وسائل الإعلام والاتصال، كما تتشكل اتجاهات الأفراد وفقا لضغوط الجماعة الأولية،حيث يرى البعض أنّ ضغوط الجماعة الأولية هي المحدد الأساسي

في الاتجاهات، نظرا لأن الجماعة الأولية تسعى غالبا للمحافظة على التجانس بين أفرادها، وتجتذب الأعضاء الذين يتفقون معها في الاتجاهات، ويميل أعضاؤها إلى التعرض لتلك المعلومات، وتتشكل اتجاهات الفرد كذلك وفقا لتأثير الجماعة المرجعية، ويتحدد تأثير الجماعة الأولية على حسب الأفراد وحسب مدى اعتباره هذه الجماعة الأولية كجماعة مرجعية له(خضور أديب محمد، 2003، ص58)، ومن ثمة برزت الحاجة إلى تغيير اتجاهات الأفراد بصفة جماعية، حتى تكون وسيلة ضغط على الفرد لتغيير وجهته وفق ما يخدم الصالح العام والمجتمع.

الإعلام والتعبئة الاجتماعية: من الوهم إنكار الدور الكبير الذي تقوم به وسائل الإعلام والاتصال في عصرنا الحالي ،خاصة حين يتعلق الأمر بالتعبئة الاجتماعية، فلا نجانب الحقيقة إذا قلنا أن هذه الوسائل هي الأقدر والأكفل بالتحريك الجغرافي والاجتماعي وحتى النفسي ،حيث أنّ الأفراد داخل مجتمع يتأثرون لامحالة بالمعلومات التي يتلقونها، فيتفاعلون معها، إمّا بشكل عام أو جزئي، هكذا تقترن صورة من التفاعل بين الأنظمة الاتصالية والاجتماعية فنظام الاتصال في حد ذاته مؤشرا وعاملا للتغير الاجتماعي الشامل (مي العبد الله، 2004، ص296)، كما تؤكد الدراسات العلمية أنّ وسائل الاعلام المعاصرة قوة تفاعلية تربط الماضي بالحاضر وتأخذ الحاضر إلى المستقبل من خلال عملية اجتماعية تجري في بيئة معينة تؤثر فيها وتتأثر به(محي الدين عبد الحميد، 2004، ص23).

ولعل خاصيتي التأثر والتأثير في المتلقي هو ما تسعى إليه وسائل الإعلام والاتصال باختلاف تخصصاتها قصد دعم اتجاهات الرأي العام للحد من الظواهر السلبية والسلوكات المنحرفة والجريمة وغيرها من الانحرافات الخلقية والاجتماعية والفكرية التي يمكن ان تشكل تهديدا لأمن واستقرار المجتمع ،كما يسعى الإعلام الأمني من خلال عملية التعبئة المجتمعية إلى عملية الاقناع وتغيير المواقف الجماهيرية العامة و الرفع من درجة الثقة بين الأجهزة الأمنية والأفراد من خلال تعريفه بكل ما يحيط به وتزويده بالمعلومات بصفة دائمة وذات مصداقية وهو ما يساعد على فتح مجال للتعاون الإيجابي بين الطرفية (الأجهزة الأمنية وأفراد المجتمع).

خاتمة:

يكتسي الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب والإلكتروني صبغة علميّة عمليّة هامة، حيث أصبح في عصرنا الحالي ذا أهمية كبيرة جدا في كل المجالات (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية)، ولقد أدى التطور المذهل الذي عرفته هذه التقنيات التكنولوجية الرقمية إلى زيادة الحاجة إليها خاصة الإعلام الأمني، نظرا لارتباطه بالمجتمع، فهو أحد الأثافي التي تساهم في تهيئة الأجواء اللاّزمة والضرورية لحركة التنمية الشاملة في المجتمع، وقد توصل الدراسة إلى النتائج التالية:

- يؤدي الإعلام الأمني دورا مهما في الوقاية من الظواهر الشاذة التي تظهر في المجتمع كالجريمة والعنف والإرهاب.
- لا تقتصر أهمية الاعلام الأمني على تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع فحسب، بل تمتد لتشمل تأسيس وعي أمني مجتمعي وذلك من خلال تبصير المواطنين بضرورة التعاون من اجل التصدي للجريمة بمختلف أشكالها.
- التوعية بأخطار التغاضي والتستر على ما يمكنه أن يساهم في الكشف عن الجريمة والقضاء عليها.
- رسم صورة ذهنية إيجابية عن رجل الأمن.

وآخر ما يمكن أن نختم به هذه الورقة البحثية جملة من التوصيات والمقترحات والمتمثلة فيما يلي:

- إزالة آثار الماضي وذلك بنقل مفهوم الأمن التقليدي من إقرار النظام وحماية القانون إلى ما يسمى بالوظيفة الاجتماعية للشرطة وكذلك الوظيفة الاقتصادية.
- تبسيط إجراءات استقبال المواطنين، وهذا يعني اختصار خطوات العمل، وأخذ المعلومات الكاملة من المواطن دونما تعطيل وكذلك استخدام التقنية الحديثة والابتعاد عن الأساليب البدائية، ومضايقة المواطن لمجرد أنه تعاون مع رجال الأمن.
- إزالة العوامل النفسية بإزالة الشعور السلبي من نفوس المواطنين، وذلك من خلال توطيد العلاقة بين الجهاز الأمني والمواطنين، فالخدمات الإنسانية والاجتماعية التي تقدم للمواطن تساهم في إنماء الثقة بينهما كما تساعد على تقوية أواصر المحبة والتعاون بينهما.
- إزالة العوائق الناتجة عن تصرفات بعض أفراد الشرطة من خلال اختيار العناصر البشرية المؤهلة وتدريبها، فسلوكه الشخصي متى كان متزنا (سواء كان في الملبس أو في التخاطب أو في التعامل)، فإن ذلك يساعد في اكتساب المواطنين المراجعين له، وبالتالي إقامة علاقات اجتماعية قوية بينه وبينهم، وكفاءة رجل الأمن يمكن اكتسابها بالتدريب والتثقيف.
- تأمين الاحتياجات اللازمة لأداء العمل الشرطي: وذلك بتوفير الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة لتحقيق الأهداف من حيث مبنى القسم، عدد الضباط، عدد الأفراد، عدد الآليات، ومستوى ونوع تلك الآليات.
- تبصير الجمهور بتضحيات وجهود رجال الامن وما يتعرضون له من اخطار بأسلوب اعلامي جذاب ومتنوع لتلافي الملل من التكرار ، ولذلك من خلال طرح المجهودات الحقيقية التي حققتها الشرطة لصالح المجتمع، والمخاطر التي تعرض لها أفرادها، فإن ذلك سيزيد من تعاطف الجمهور مع الشرطة ذاتها، كما أن الأعمال الفنية التي تنشر للجمهور عبر وسائل الإعلام المختلفة والتي تتضمن الأعمال والتدخلات والتضحيات والخدمات التي يقوم بها رجال الأمن بالإضافة إلى تعرض حياتهم للخطر من أجد المجتمع، تساهم إلى حدّ بعيد في بروز نوع من التأييد والتعاطف مع رجل الأمن, ولأجل ذلك تصبح أهمية الاستعانة بخبراء متخصصين في مجال الاقناع والإعلام وذوي المقدرة على تشكيل الرأي العام وتوجيهه عبر وسائل الإعلام خاصة أمر ضروري خاصة لمواجهة أحداث العنف والارهاب وغيرها.
- الاستعانة بمختصين في الإعلام الأمني لإعداد وتقديم الحملات الإعلامية والبرامج التي تظهر كفاءة رجال الأمن وسهرهم على أمن وسلامة المجتمع.
- تنمية الوعي الأمني لدي للمواطنين حيث يتطلب حث المواطن للتعاون مع الشرطة في مجال الوقاية من الجريمة ومكافحتها، فإثارة وعي المواطن إلى أهمية المشاركة في حفظ الأمن والاستقرار يتم:

(أ) بإقامة الندوات ودعوة الدارسين والباحثين من رجال ونساء لدراسة المشكلات الاجتماعية.
(ب) إشراك المواطنين في دراسة المشكلات الأمنية واقتراح الحلول اللازمة لها.
(ج) ترسيخ مبادئ الوعي الأمني لدى الطلاب في المؤسسات التعليمية وذلك من خلال رسم جملة من الأهداف السلوكية والوجدانية للمناهج التربوية.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور (2004)،لسان العرب ،ج1، (د.ط)، دار لسان العرب، بيروت
2. أحمد زايد(2000)، التغير الاجتماعي، مكتبة الأنجلو مصرية ط2، القاهرة، مصر.
3. أحمد زايد، اعتماد علام(2006)، التغير الاجتماعي، مكتبة الانجلو المصرية، مصر.
4. أديب محمد خضور(2003)، تخطيط برامج التوعية الأمنية لتكوين رأي عام ضد الجريمة، أ ن ع أ، ط 1، الرياض.

5. أديب محمد خضور(2007)، خصائص الإعلام الأمني وانعكاساتها على تحرير المواد الإعلامية الأمنية، الإعلام والأمن، مركز الدراسات والأبحاث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، الرياض.
6. ايمان عبد الرحمن أحمد محمود(2010)، دور الإذاعة في نشر التوعية الأمنية، الإذاعة السودانية نموذجا، المجلة العربية للدراسات الأمنية المجلد 20 العدد 39
7. بدر، عبد المنعم محمد(1987)، تطوير الإعلام الأمني العربي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
8. بركة بن زامل الحوشان (د.ت)، الإعلام الأمني والأمن الإعلامي، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض.
9. بن عودة محمد، (2012/2011)، دور الإعـــلام فـــي الوقاية من الجريمة والانحراف، المركز الجامعي خميس مليانة، قسم العلوم الاجتماعية.https://sites.google.com / تم زيارته يوم 2018/03/22
10. بن فايز الجحني علي(2002)، الرقابة الإعلامية في وقت الأزمات، أعمال ندوة الإعلام الأمني العربي قضاياه ومشكلاته، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، ط 1، مركز الدراسات والبحوث، الرياض.
11. بيت المال، حمزة بن أحمد(2002)، الإعلام الأمني والأمن الإعلامي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
12. حسين عبد الحميد رشوان(2004)، العلاقات العامة والإعلام من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، مصر.
13. الحضيف، محمد بن عبد الرحمن(1998)، كيف تؤثر وسائل الاعلام؟، ط2، الرياض، مكتبة العبيكان.
14. الصباح، داود سليمان(1988)، السبل الكفيلة بتوثيق العلاقة بين الإعلام والأمن: ندوة علاقة الإعلام بالمسائل الأمنية في المجتمع العربي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
15. العبد، عاطف عدلي(1989)، الاتصال والرأي العام، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة.
16. على عجوة(1997)، الإعلام الأمني المفهوم والتعريف، ندوة الإعلام الأمني المشكلات والحلول، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، القاهرة.
17. عيد، محمد فتحي(2001)، الأساليب والوسائل التقنية التي يستخدمها الارهابيون وطرق التصدي لها ومكافحتها، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
18. الفضيل العيرج(2009)، الثقافة الحضرية ومشاكل الاندماج السيوسيوثقافي، مطبعة Rabat net، المغرب.
19. الفيروز آبادي(1987)، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
20. قطام السرحان(2001)، الإعلام الأمني والشباب، أعمال ندوة الإعلام الأمني العربي، قضاياه ومشكلاته، اكاديمية نايف للعلوم الأمنية، ط1، مركز الدراسات والبحوث، الرياض.
21. محمد سعد أبو عامود(2008)، النظم السياسية في ظل العولمة، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية.
22. محي الدين عبد الحميد(2004)، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط 3، عالم الكتب، مصر.
23. مي العبد الله(2006)، نظريات الاتصال، ط 1، دار النهضة العربية، لبنان.
24. ناجي، إبراهيم(2002)، دور الإعلام في مكافحة الجريمة والحد منها، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

الأمن المجتمعي "مدخل لبناء الأمن الإنساني"

Community Security "An Approach to Building Human Security

أ.خرموش إسمهان، جامعة باتنة 01-الجزائر

ملخص: إن من أبرز التحولات التي عرفتها العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة بروز قوى عالمية جديدة إلى جانب الدولة والتي لها دور دولي إلى جانب تأثيرها على سياسة الدول اقتصاديا، اجتماعيا، وسياسيا بالإضافة إلى العولمة بحيث أن هذا التحول جعل الدولة عاجزة بمفردها عن مواجهة هذه التحديات الجديدة في القرن 20، فلقد عرف العالم تغيرات كبيرة على الساحة الدولية مما صاحبها تغير في مفهوم الأمن، وظهور جملة من التهديدات التي لم تكن موجودة من قبل، إذ لم تعد التهديدات مقصورة على التهديدات العسكرية فقط بل تجاوزتها إلى تهديدات دولية كالإرهاب الدولي، التلوث، المخدرات، لكن ومع ظهور عدة مستجدات على الساحة العالمية وخاصة ظهور ما يسمى بظاهرة العولمة Globalization، أثر ذلك في مفهوم الأمن المجتمعي بصورة جلية، خاصة و أن الأمن المجتمعي من أهم أبعاد الأمن الإنساني ذلك أنه مرتبط بالإنسان وبوجوده كفرد في المجتمع، وبتمكينه من تحقيق خصوصياته دون تهميش أو اضطهاد من خلال خلق آليات ضامنة لمنع إقصاء الذات من جهة وخلق توازن فعلي بين الخصوصية الثقافية، الدينية، اللغوية، والعرقية وضرورة بناء منطق الاندماج القومي للمواطنين في بناء مجتمع تعددي وعادل الفرد.

الكلمات المفتاحية: الأمن المجتمعي، الأمن الإنساني، التهديدات العالمية.

Abstract: One of the most prominent transformations of international relations after the Cold War is the emergence of new world powers alongside the state, which have an international role, as well as their influence on the economic, social and political policies of countries, as well as globalization. In the 20th century, the world has undergone major changes in the international arena, accompanied by a change in the concept of security and the emergence of a number of threats that never existed before. Threats are no longer confined to military threats but to international threats such as international terrorism, The drug , But with the emergence of several developments on the global arena, especially the emergence of the so-called phenomenon of globalization Globalization, the impact on the concept of social security clearly, especially that community security is one of the most important dimensions of human security that it is linked to man and his presence as an individual in society, and enabling him to achieve his privacy without Marginalization or persecution by creating mechanisms to prevent self-exclusion on the one hand and to create an effective balance between cultural, religious, linguistic and ethnic specificity and the need to build the logic of national integration of citizens in building a pluralistic and just society.

Keywords: Community Security, Human Security, Global Threats

مــقدمة:

يعتبر الأمن المجتمعي واحدا من بين أهم عناصر البحث في الدراسات الأمنية المعاصرة، فقد تجاوز الرؤى التقليدية التي تعتبر المجتمع مجرد قطاع من قطاعات الدولة، إلى إعتباره كيانا قائما بذاته وموضوعا متميزا للأمن، حيث يختلف الأفراد والفئات الإجتماعية عن بعضهم البعض في الخصائص، التي تظهر من خلال اللغة، الدين، التاريخ والقيم الأخلاقية، وبهذا تظهر ميزة كل مجتمع عن الآخر والتي تتجسد من خلال تلك الأفكار والقيم والممارسات التي تعكس الهوية، أو التصور الذاتي للجماعات أو الأفراد الذين عرَفوا أنفسهم على أنهم أعضاء في مجتمع ما وبهذا المفهوم يكون الأمن المجتمعي هو أكثر أبعاد الأمن الإنساني حماية لهذه الميزات والخصائص، لذلك ستتم من خلال هذه الدراسة، إلقاء الضوء على الأمن المجتمعي بإعتباره واحدا من أهم الأبعاد الخمسة التي لا تعمل في معزل عن بعضها البعض، فكل واحد منها يمثل نقطة مركزية في الإشكالية الأمنية وطريقة لترتيب الأولويات، غير أنها تنسج مجتمعة شبكة قوية من الترابط .
هذا ما يدفعنا في دراستنا هذه إلى طرح التساؤل التالي:

هل يمكن الحديث عن الأمن المجتمعي كبعد من أبعاد الأمن الإنساني في ظل التهديدات العالمية الراهنة؟

هذه الإشكالية تطرح بدورها تساؤلات فرعية أخرى:

1- الأمن المجتمعي أمن من؟

2- ما هي القيم المهددة للأمن المجتمعي وفي مواجهة أية مخاطر؟

3-ما هي وسائل تحقيق الأمن المجتمعي؟

أولا: التأصيل المفاهيمي للأمن المجتمعي

1. مفهوم الأمن:

يعتبر عالم السياسة البريطاني "باري بوزان" واحد من كبار المنظرين للأمن في فترة ما بعد الحرب الباردة، بفضل إسهاماته في ميدان الدراسات الأمنية والعلاقات الدولية على حد سواء.كما ساهم في محاولة توسيع مفهوم الأمن ضمن"مدرسة كوبنهاجن" وأبحاثها في السلام، والتي يعتبرها الكثير من المحللين نتاج"إندماج نظري نادر"حينما أطلقوا عليه "المدرسة الإنجليزية الواقعية" و"الوا قعية مابعد البنيوية" المتأثرة إلى حد بعيد "دريدا"و"كيسنجر"، ويرى في هذا الإطار باري بوزان أنه ينبغي لتعريف الأمن الإحاطة بثلاثة أمور على الأقل، بدءا بالسياق السياسي للمفهوم ومرورا بالأبعاد المختلفة له، وإنتهاء بالغموض والإختلاف الذي يرتبط به عند تطبيقه في العلاقات الدولية.

كما يعتبر تعريفه من أكثر التعريفات تداولا في الأدبيات الأمنية، إذ يرى أن الأمن يعني:" العمل على التحرر من التهديد، وفي سياق النظام الدولي فإنه يعني قدرة الدول والمجتمعات على الحفاظ على كيانها المستقل، وتماسكها الوظيفي ضد قوى التغيير التي يرونها معادية، فالحد الأدنى للأمن هو البقاء، لكنه يتضمن أيضا إلى حد معقول سلسلة من الإهتمامات الجوهرية حول شروط حماية هذا الوجود(barry buzn, 2011, p122)، غير أن العمل على التحرر من التهديد لا يعني تحييده كلية، لأنه ليس في مقدور الأمن إلا أن يكون في مستوياته النسبية وبالتالي فهو غير مطلق.

حيث أن تحليلات "بوزان" هي مزيج من الواقعية البنيوية والتحليلات البنائية، فدراسته المعونة لسنة 1991 "People,State and fear" التي حاول من خلالها إيجاد رؤية عميقة وأكثر إتساعا لمفهوم الأمن، والدراسات الأمنية قد أسست على مفهومي: المستويات(levels) والقطاعات(sectors).

2.مفهوم الأمن المجتمعي:

الأمن المجتمعي يعني خلق توازن فعلي بين الخصوصية (الثقافية، الدينية، اللغوية، العرقية) وضرورة بناء منطق الاندماج القومي للمواطنين في بناء مجتمع تعددي وعادل(rob mcrae, 2002, p18-25).

أما الأمن المجتمعي من منظور الأمن البشري فيقصد به تحقيق الخصوصيات دون تهميش أو إضطهاد، من خلال تساوي الفرص بين المرأة والرجل،وخلق آليات ضامنة لمنع إقصاء الذات، كذلك محاولة تعزيز المناعة المجتمعية ضد كل حركيات إضعاف التجانس(أمحند برقوق، 2012، ص08)، كما يعد رمزي معنوي مكرس لمفهوم الأنا ضد الآخر(الأنا المرتبط بالجنس الذكر،المرأة)، داخل مجموعة أقليات دينية أو لغوية أوعرقية.وتكريس التجانس الذي يقوم على:

- فكرة الإضطهاد الجنسي للمرأة على حساب المرأة.
- فكرة التهميش دون إضطهاد على حساب الأقليات.
- شعور الفرد بإنتمائه للجماعة والمجتمع، سواء كانت أسرة أو مجتمع محلي، أو منظمة ، أو جماعة عنصرية أو عرقية، يمكن أن توفر لأعضائها هوية ثقافية ومجموعة قيم تطمئنهم، وهذه الجماعة توفر المساندة العملية له (تقرير التنمية البشرية 1994، ص31).

في حين أن الأمن المجتمعي بمفهومه الواسع يعني التقوية الذاتية لهوية الجماعات، والحفاظ على تنوعها وتميزها عبر الزمان والمكان(barry buzan, 2011, p119).

ومنه، فالأمن المجتمعي يتمحور حول الهوية، أو بعبارة أخرى حول ما يمكن الجماعة من الإشارة إلى نفسها بضمير "نحن"، وفي مقابل "الآخر" الذي يشكل تهديدا موضوعيا لهذه الهوية التي تمثل: أمة، إثنية، جماعة دينية.

ففي ظل خصم النظام الدولي المعاصر، يعنى الأمن المجتمعي بمدى قدرة مجتمع ما الحفاظ على سماته الخاصة في سياق من الظروف المتغيرة وتهديدات فعلية أو محتملة، وبدقة أكثر فهو يرجع إلى استمرارية ضمن شروط مقبولة للتطور، والنماذج التقليدية للغة، الثقافة والروابط، بالإضافة إلى الهوية والشعائر الدينية والوطنية.

بهذا النوع من التعريف، من الصعب جدا التحديد بموضوعية فيما إذا كان هناك تهديد للأمن المجتمعي من عدمه، والطريقة المثلى هي التركيز على دراسة المسار الذي تدرك من خلاله جماعة ما أن هويتها مهددة، لأنه على هذا الأساس تبدأ في التصرف بطريقة أمنية.

3. دور الأمن المجتمعي في توفير الحماية المادية للأفراد:

يركز الأمن المجتمعي على الحفاظ على أي إختلاف كل جماعة ثقافية، إجتماعية أو عرقية، عن المجموعات الأخرى، وهذا من خلال ضمان احترام الآخر(أو إحترام هذا الإختلاف من الأخر)، مع ضرورة تحقيق العدالة الاجتماعية بين مختلف الجماعات، وهذا يكون مرتبطا بتحقيق فكرة التضامن الإجتماعي وما يتطلبه من وئام، أو على الأقل في السعي للتغلب على التنافر على مستوى الأفراد أو الجماعات (John P.Hogan, 2005, p88).

ومن خلال ما سبق نجد أن الجماعات الإثنية، العرقية، الدينية، هي الوحدات الأساسية للتحليل في الأمن المجتمعي، وأن الحفاظ على هويتها هي السمة الأساسية التي يسعى الأمن المجتمعي للحفاظ عليها، ومن هنا تظهر ضرورة التركيز على حماية حقوق هذه الجماعات والتي في الغالب تتمثل في حقوق الأقليات التي تظهر كلغة أساسية للأمن المجتمعي(Paul Roe ,2004,p290).

وبهذا فالأمن المجتمعي يشكل حالة من ضمان إستمرار التمتع الفعلي بالحقوق الجماعية وبالأخص حقوق الأقليات،وبالتالي فإن المواد القانونية الضامنة لإستمرار الإعتراف بهذه الحقوق هي ذاتها التي تضمن لنا الإعتراف بالأمن المجتمعي.

وتظهر المادة (27) من الميثاق الدولي للحقوق المدنية والسياسية لسنة 1966،والتي تضمن للأشخاص المنتمين للأقليات العرقية، أو الدينية أو الثقافية ممارسة الخاصة بهم، وأنها أفضل ضمانة قانونية للإعتراف بالأمن المجتمعي.

بالرغم من أن الأمن المجتمعي يهدف للحفاظ على ذاتية الجماعات وهويتها في مواجهة كل محاولات الإحتواء والهيمنة على الشخصية،من الخارج أو من طرف مجموعات أخرى،وكذلك حماية المؤسسات الثقافية من الإنحراف ورفعها عن العجز والقصور (محمد موسى أحمد،2007، ص44)، فإنه ومن خلال هذه الحماية يساهم في تحقيق حماية الأفراد من أي عنف مادي.

ثانيا: تهديدات الأمن المجتمعي ووسائل تحقيقه

قبل التطرق إلى التهديدات يجب أولا تحديد: ما المقصود بالمأزق المجتمعي(المعضلة الأمنية المجتمعية)؟

1.المأزق الأمني المجتمعي:

يرى "بوزان Buzan "أن المعضلة الأمنية تتمحور حول الهوية، حول ما يمكّن المجموعة من الإشارة إلى نفسها بضمير "نحن" ["نحن" "أبناء المهاجرين" في "فرنسا"، "نحن" "الأكراد" في "تركيا" و"نحن" "سكان الضواحي الفقيرة" في "ريو دي جانيرو"]، لكن مكمن التحدي هنا هو جانبها التطوري. فهي عملية تفاعلية مستمرة للتحكم في المطالب الملحة وإشباع حاجات معينة، حيث يلعب الإدراك والذّاتية دورا مهما، غير أن هذا المسار التفاعلي قد يقود إلى معضلة أمنية مجتمعية إذا أصبحت الهوية جوهرا للصراع على المصالح وسندا للسعي من أجل الهيمنة أو سندا لبنية العلاقات القائمة مع المجموعات الأخرى ويتضح ذلك في تغليب مظاهر "الأنا" على المظاهر التعاونية.

وذلك بالالتجاء إلى المكونات المجتمعية، بدل مؤسسات الدولة، كإطار للصراع من أجل البقاء، وكضمان وحيد للأفراد للحصول على الحماية في مناخ يسوده الخوف.

ولكن سلسلة الأفعال وردود الفعل في التفاعل بين المجموعات المختلفة قد يؤدي إلى رفع سقف الوعود لدى قياداتها (بالمطالبة بالانفصال) ولدى المجموعات الأخرى أو الحكومة (بتقديم وعود بقمع التمرد)، وبتداول خطابات الخطر، وزيادة مستويات الاستقطاب، فإن ذلك يفتح المجال أمام تفجر العنف، والذي يتم تغذيته بوجود دعم من الشتات، أو المرتزقة، أو المنظمات الإجرامية... وحينها يسود الاقتصاد غير الرسمي الذي تديره المجموعات الإجرامية، وتظهر هذه المتلازمة جليا في عدد من بلدان الساحل (المطلة على الصحراء الكبرى)، حيث تتآلف تنظيمات إرهابية مع مجموعات تنشط في التهريب ليتقاطع الجميع مع تطلعات مجموعات إثنية مشتتة تم قمع تطلعاتها من قبل دول آيلة للعجز.(failed states) وهكذا، وعندما يمتزج العنف السياسي بسقوط الاقتصاد بيد المجرمين، فإن العمل الإجرامي يصبح متساندا أو مستديما، ما يجعله تهديدا للسلم والأمن الدوليين، حال انتشار هذه الاضطرابات والفوضى لتشمل منطقة بأكملها.

هذه الوضعية المعقدة تقتضي استجابة دولية متعددة الأوجه، تهدف بالأساس إلى إقرار سلام مستديم، وذلك بمعاقبة مجرمي الحرب، وإعادة تثبيت أسس الاقتصاد الرسمي، الذي يعتبر كفيلا بتخفيف مستويات الاستياء، وبالتالي قدرة المجموعات على التعبئة للنزاع، والنتيجة تتمثل في إنهاء المعضلة الأمنية المجتمعية، وهي الحالة التي يعكسها تعريف "بالدوين" بتدني احتمالات إلحاق الضرر بأي من القيم المكتسبة.

ولكن كيف يمكن تفعيل مساعي التدخل لمعالجة الاختلافات الناجمة عن المعضلات الأمنية المجتمعية، سيما وأنها تنطوي على تخصيص اعتمادات مالية وقبل ذلك تحتاج إلى الشرعنة. إن ذلك يتطلب إضفاء الطابع الأمني عليهاto be securitized ، وهذا يقتضي من الفواعل

الرسميين وغير الرسميين توسيع أجندتهم الأمنية لتشمل التهديد الذي تفرضه المعضلات المجتمعية.

2. تهديدات الأمن المجتمعي: من التهديدات العامة للأمن المجتمعي:

- الصراعات فيما بين الجماعات على الموارد والفرص،أونتيجة للتعصب والتطرف القومي أو الديني، ومن ثم تكثر تلك الصراعات داخل الدولة الواحدة، أو حتى فيما بين الدول ، والتي يذهب ضحيتها العديد من السكان، ومن أمثلة ذلك: ما حدث في روندا وبورندي، وفي يوغوسلافيا السابقة، وفي الشيشان.
- المشكلة الخاصة بالسكان الأصليين في العديد من الدول الذين يتعرضون للإبادة، وإستخدام العنف ضدهم، وتضاؤل فرصهم في الحياة مقارنة بالسكان الجدد.
- يؤثر كذلك إنعدام الأمن المجتمعي سلبا على إنتماءات الأفراد، وبدون هذا الإرتباط بالمجتمع يمكن أن يمثلوا مصدرا لعدم الإستقرار والتوتر، وهو مابدأت تظهر آثاره سواء في الصراعات العرقية داخل الدولة الواحدة أو فيما بين الدول.
- الهجرة كذلك من مهددات الأمن المجتمعي.

أ.تهديدات الهوية: إن أغلب تهديدات الأمن المجتمعي ترمي إلى طمس الهوية الثقافية، وتكون مصحوبة بالكثير من أعمال العنف المادي أو الإبادة لمختلف الجماعات، أو قيام صراعات داخلية تكون مصحوبة بدرجة كبيرة من العنف المادي الماس بسلامة وحياة الأفراد، وقد ينظر للتهديدات الأكثر شيوعا في الأمن المجتمعي من خلال ما يلي :

التهديد الرأسي(العمودي): تنشأ هذه التهديدات عندما تكون هناك مجموعات تتميز بالخصوصية أو الإنفصالية عن هوية الدولة، ويكون هناك محاولة من هذه الأخيرة لتوسيع دوائر هويتها لتشمل تلك المجموعات(barry buzan, 2011, p119)، وهنا تبدأ المنافسة الرأسية من طرف الدولة، وهذا من خلال إستراتيجيات الصهر والإدماج التي تكون مصحوبة بمخاطر وكلفة بشرية هائلة، خاصة وأنه في أسوأ الحالات أدت محاولات الصهر القسري إلى إعتداءات إبادية، وهذا من أجل إنشاء دولة"نقية"عرقيا أو دينيا، وفي الغالب ما يشكل هذا جزءا مألوفا من المشهد السياسي للعديد من الدول(برنامج الأمم المتحدة الإنمائي"تقرير حول الحرية الثقافية في عالمنا المتنوع"، 2004، ص48-73).

التهديد الأفقي: رغم وجود بعض الجماعات العرقية أو الإثنية، في مواطنهم وعدم تعرضهم للتهديد الرأسي، إلا أن طرق التغيير والهيمنة الثقافية تكون بتأثير الثقافات المجاورة أو مجموعات أخرى، والتي تكون مؤمنة بتفوق ثقافتها و قيمها وترفض الآخرين كافة وتعمل بناءا على هذا الإعتقاد بفرض إيديولوجيتها على المجموعات الأخرى، وقد تلجأ من أجل تحقيق ذلك إلى إستعمال العنف المادي المنبه للعديد من الصراعات.

وبناءا على ما سبق، ومن خلال هذين النوعين من مهددات الأمن المجتمعي، يظهر المدخل الأساسي للعديد من المواجهات العنيفة على أ سس عرقية، والتي تتضح في شكل صراعات عرقية تكون لها أثار عميقة على سلامة الأفراد، إذ يصبح الهدف من الصراع في هذه الحالة هو القضاء على الوجود المجتمعي للطرف الآخر، خاصة وأن النزاعات الطائفية تحتوي في أغلب الأحيان على ممارسة الإبادة الجماعية والتطهير العرقي، والتي تظهر حالات قتل المدنيين العزل على أساس الإنتماءات المجتمعية وهكذا يظهر الفرد بأنه هو المحاصر الأساسي بمهددات الأمن المجتمعي(francesco caselli, p1).

وفي الأخير يمكننا القول أن ضمانة حماية الأفراد من مختلف صور العنف المادي الناتجة عن مهددات الأمن المجتمعي،لن تكون إلا بتحقيق هذا الأخير.وبالتالي إعطاء إحتمال أكبر لصوت الهويات الثقافية، ولن يتحقق هذا إلا بتحقيق الأمن السياسي الذي يظهر كعملية ديمقراطية مشددة

على أهمية حقوق الإنسان وحرياته الأساسية (Security,identity and terrorism)، كما يشكل أهم ضمانة لمركزية السلام ولثقافة الحوار وبالتالي: إيجاد حلول لقبول الإختلاف والتعايش الثقافي.

ب.التهديدات العالمية الجديدة للأمن المجتمعي

تتجلى في إتساع دائرة الفقر والجوع والأمية والبطالة والأوبئة،والهجرات والتزايد السكاني،التي تؤدي إلى تدهور حالة البشر طبقا للدراسة التي وضعها برنامج الأمم المتحدة للتنمية(PNUD)، بأن نصف سكان الكرة الأرضية 2.8 مليار شخص يعيشون على الأقل من دولارين أمريكيين يوميا، و1.3 بليون شخص يعيشون على أقل من دولار واحد يوميا في الدول النامية.

والسبب الرئيسي لذلك يعود إلى إستراتيجية بعض الشركات التوسعية والطبقة الحاكمة في معظم بلدان العالم الثالث (جان زيغلر، سادة العالم الجدد، 2003، ص91-100).

وفي الوقت الذي ترفع فيه المنظمات الدولية شعار"الحرب ضد الفقر"، وتتعهد تقليص عدد الفقراء تقف التوقعات حول الزيادة السكانية والبطالة والهجرة كتحديات أخرى.حيث تشير إلى وصول عدد سكان الأرض إلى 9 مليارات نسمة بحلول العام 2050، أي بزيادة قدرها 50% ، ويفيد تقرير صندوق السكان والتنمية إلى أن 49 بلدا من البلدان الأقل نموا ولاسيما الفقيرة منها،سوف يتضاعف عدد سكانها ثلاث مرات وسوف تواجه صعوبات في توفير الخدمات الإجتماعية الأساسية لشعوبها.

زيادة البطالة أو إزدياد العاطلين عن العمل يؤدي إلى زيادة عدد الفقراء وإنخفاض في مستوى المعيشة وبالتالي يؤدي إلى التأثير السلبي على مختلف نواحي حياة البشر من صحة وغذاء وزيادة العنف وإنتشار الإجرام والإضطربات الإجتماعية والسياسية مما ينعكس سلبا على إستقرار معيشة الإنسان(أمارتيا صن، 2004، ص53).

كذلك موضوع الهجرة، حيث أصبحت الهجرة ظاهرة عالمية تشهدها العديد من المجتمعات، ويتجاوز عدد المهاجرين حول العالم 150 مليون مهاجر بعد أن كان 75 مليون عام 1965، منهم 15 مليون مهاجر غير شرعي(بيتر شالكر، 2000، ص7-11) .

فمشكلة الهجرة لا تقتصر فحسب على مستوى العمالة الوافدة إلى الخارج، وإنما تتناول أمرًا لا يقلُّ خطورة يتمثَّل بهجرة الأدمغة والكفاءات العلمية، لا سيما من الدول النامية والفقيرة، والتي هي بأمس الحاجة إلى خبراتها وطاقاتها لتوظيفها في عملية التنمية المختلفة وبناء على تقديرات منظّمة الهجرة العالمية، تفقد القارة الإفريقية 200 ألف من عقولها سنويًا بينما تدفع في المقابل 4 مليارات دولار لاستقدام كفاءات أجنبية لسد حاجاتها إلى الموارد البشرية المتعلِّمة والمتدرِّبة(مصطفى مرسي، 2003، ص115).

وفي ما يتعلق بالهجرة الداخلية وتضخُّم حجم المدن على حساب الأرياف، يذكر أحد التقارير الصادرة عن منظّمة الأمم المتحدة أن أكثر من 50% من سكان العالم سيعيشون في المدن بحلول العام 2007، بحيث سيرتفع عدد سكان المدن إلى 5 مليارات العام 2030 مقابل 3 مليارات العام 2003، في المقابل سينخفض عدد سكان الأرياف إلى 2.3 مليار نسمة العام 2030 مقابل 3 مليارات العام 2003.

وتعمل الدول المتقدّمة والنامية على الحدّ من الهجرة من الريف إلى المدينة، وما تؤدي إليه من تمركز سكاني كبير في الأحياء الفقيرة التي تطّوق المدن الكبرى، وبالتالي يقدَّر أن 3/4 سكان المدن في آسيا، وإفريقيا وأميركا اللاتينية، سيعيشون في أحزمة البؤس تلك، ويتشاركون فيها الآفات والأمراض والأوبئة المستعصية وسوء التغذية وانخفاض متوسط الحياة والتردّي الثقافي، ما يجعل إمكان إندماجهم في الحياة المدينية تستغرق عدة أجيال(إبراهيم عاصم، 2003، ص19).

ثالثا: وسائل تحقيق الأمن المجتمعي

تتمثل وسائل تحقيق الأمن المجتمعي في:

- الأمن المجتمعي يقتضي تحديد دقيق للهوية، بمعنى تحديد دقيق لمستوى الأمن الثقافي، أو تحديد وتفكيك دقيق للأمن الشخصي والمجتمعي والثقافي.
- ضرورة وقف العنف ضد الإثنية، وذلك يتطلب إضفاء الطابع الأمني على النزاعات الإثنية وهذا يقتضي من البنى التدخلية توسيع أجندتها الأمنية لتشمل التهديد الذي تفرضه المآزق المجتمعية.
- مدرسة "كوبنهاغن" ما بعد البنيوية للأمن تقدم إطارا ملائما، بإقرارها بأن الأمن ليس مفهوما ثابتا، بل إنه بناء إجتماعي يتشكل عبر الممارسة وبشكل ديناميكي، وبهذا الشكل يمكن توسيع الأمن ليتجاوز المنظور التقليدي الذي يركز على الحروب بين الدول فالنزاعات الإثنية تعتبر إحدى أشكال النزاعات الداخلية.

ومن هنا فإن التدخل لحلها يستوجب إضفاء الطابع الأمني عليها the issue shoulb be securitized ما يعني إلتزام الأطراف الثالثة بتعبئة الموارد للتعامل معها، بإستعمال مختلف الوسائل وتنسيق إستخدام القنوات الدبلوماسية والعقوبات الإقتصادية، وغيرها من وسائل الضغط بما فيها القوة العسكرية إن إقتضى الأمر كرافعة Leverage لإجبار أطراف النزاع على إنهاء وإيقاف العنف، وبالتالي معالجة أي إخلال بأمن المجموعات الإثنية أو الحلول دون حدوثه.

- العمل على الدروب الثلاثة للدبلوماسية(المشاورات،الحوار،المفاوضات) عن طريق التدخل لأغراض إنسانية، و البحث عن أرضية مشتركة لتخفيف وطأة المعاناة الإنسانية، وتحديد الأطراف الأكثر تمثيلا للقضايا التنازعية، وإيجاد منافذ تدخلية لإقامة إتصال بين الأطراف المتنازعة.
- تقوية المجموعات الضعيفة، والذي يهدف إلى التأسيس لسلام دائم عن طريق التنمية الإقتصادية .

وبناءا على كل ما سبق، يتبين أن هناك حاجة إلى إستجابة دولية متعددة الأوجه، تهدف بالأساس إلى إقرار سلام مستديم، وذلك بمعاقبة مجرمي الحرب وإعادة تثبيت أسس الإقتصاد الرسمي الذي يعتبر كفيلا بتخفيف مستويات الإستياء، وبالتالي قدرة المجموعات على التعبئة للنزاع.والنتيجة تتمثل في إنهاء المأزق المجتمعي، وهي الحالة التي يعكسها تعريف BALDWIN بتدني إحتمالات إلحاق الضرر بأي من القيم المكتسبة.

خاتـــمة: من خلال هذه الدراسة للأمن المجتمعي أحد أبعاد الأمن الإنساني نخلص إلى النتائج التالية:

- الأمن المجتمعي يسعى إلى تحقيق التجانس الإجتماعي .
- مفهوم الأمن المجتمعي جد معقد، لتعامله مع الهويات والثقافات التي تعتبر ذاتية وذات بناءات سياقية Contextual Constructions،مما يقود في أغلب الأحيان إلى تبني سياسات عنصرية وإقصائية.
- عدم توفير الأمن المجتمعي يقدم بيئة خصبة لأي أفكار أو إختراقات للأمن القومي.
- الأمن المجتمعي لا يعتبر نظاما فرعيا وإنما عدسة من العدسات التحليلية التي يتم من خلالها الكشف على حالة كل من النظام الدولي في مقابل مرجعية محددة، وبالتالي فجميع أبعاد الأمن الإنساني تعمل مع بعضها البعض بشكل مترابط.

قائمة المراجع:

1.إبراهيم عاصم(2003)، الهجرة الداخلية والتنمية الريفية، جامعة الدول العربية، وحدة البحوث والدراسات السكانية، القاهرة، مصر.
2.إدارة السكان في الأمم المتحدة(2003)، نيويورك، الولايات المتحدة الإمريكية.
3. أمارتيا صن(2004)، التنمية حرية،ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، ع303، مطابع السياسة، الكويت.
4. أمحند برقوق، قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية، جامعة الجزائر.
5. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي(2004)، تقرير حول الحرية في عالمنا المتنوع، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
6. بيتر شالكر(2000)، أثر العولمة على الهجرة الدولية، منظمة العمل الدولية، جنيف.
7. تقرير التنمية البشرية (2003)، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
8. تقرير التنمية البشرية(1994)، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
9. تقرير السكان والتنمية(2003)، منظمة الأمم المتحدة، الإسكوا.
10.جان زيغلر(2003)، سادة العالم الجدد، ترجمة محمد زكريا إسماعيل، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت.
11.ريمون حداد(2000)، العلاقات الدولية، ط1، دار الحقيقة، بيروت، لبنان.
12.عادل زقاغ، إعادة صياغة الأمن، برنامج البحث في الأمن المجتمعيwww.geocities.com/adelzeggagh/recon1-html
13.محمد موسى أحمد(2007)، الإعلام والأمن الشامل، مجلة الأمن والحياة، ع299.
14.مصطفى مرسي(2003)، الهجرة وتداعيات العولمة، مجلة شؤون عربية، ع 116، الأهرام، مصر.
15.Barry Buzan, ole waever and jaap de wilde security a new framework for analysis,2011
16.John P.Hogan : « culturalid entity,pluralism and globalization »volume 1,Washington :The council for Researche in values and philosophy,2005
17.Paul Roe:"Security and minority rights:condition of desecuritization" security dialogue,volume 35,number 3,September 2004.
18.Held &Mc Grew,the global transformations reader,policy press,London 2002.
19.Rob McRae: "Human security in a globalized world" in Rob McRae & Don Hubert, eds. "Human security and the new diplomacy: Protecting perpol,e promoting peace", Montreal: McGill University Press, 2002.
20. Security,identity and terrorism:http://www.OFes_press.de/pdf:Hague /Hoogensen_security20%and20%terrorism.pdf)
21.Francesco Caselli:"On the theory of ethnic conflict" http:/personal.Lese.ac.uk /casel lif/papers/ethnic.pdf)p1

مقاربة سوسيولوجية للحركات الاحتجاجية للشباب في العالم العربي
A sociological analysis of the protests of the youth in the Arab world

د. عبد الواحد غبيبي، جامعة القاضي عياض مراكش –المغرب

ملخص: يهدف هذا المقال إلى الإجابة عن سؤال مركزي مرتبط بسيرورة الحركات الاحتجاجية لدى الشباب بالعالم العربي بدءا بالأسر إلى الأنظمة الحاكمة، فقد تمت ملاحظة كثير من الارتباك في فهم وتفسير هذه الحركات كفعل اجتماعي، وهذا راجع في تقديري إلى أنها كانت خارجة عن التوقع، والتوقع يُبنى على الأدوار والنماذج الاجتماعية. ومن هنا، سيتناول التحليل القطائع التي بادرت إليها هذه الحركات من خلال إطار نظري سوسيولوجي يهدف إلى الفهم من أجل التفسير، والمفاهيم المحورية لهذا المقال هي: التوقع، الدور، النماذج والرموز الاجتماعية، والفعل الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: التوقع، الدور، النماذج والرموز الاجتماعية، الفعل الاجتماعي.

Abstract: This paper will try to answer a central question having to do with the protests conducted by young people in the Arab World starting from the family to the whole system. A lot of confusion has been noticed in relation to understanding and explaining these protests as social actions. This is due in my opinion, to the fact that these protests were not expected. Expectations are usually built on the social roles and models. That is why this paper will try to analyze the ruptures undertaken by these movements through the concepts of expectation, role, models and social symbols, and social action.

Key words: expectation, role, models and social symbols, social action.

مقدمة:

عرف ويعرف العالم العربي عدة حركات احتجاجية، انطلقت شرارتها الأولى يوم 14يناير2011 من تونس، وبالضبط من سيدي بوزيد، تجمع سكاني بسيط يبعد بحوالي 265كلم من العاصمة وسط غرب البلاد. هذه الحركة الاحتجاجية سرعان ما تحولت إلى ثورة أطاحت برأس نظام قوي حكم البلاد لمدة23 سنة بقبضة من حديد، وحولها إلى دولة بوليسية يلعب فيها جهاز المخابرات التابع لرئيس الجمهورية دورا أساسيا، كما هيمن هذا الجهاز على كافة مؤسسات الدولة (الاقتصادية، السياسية، القضائية).

وشهدت مصر أيضا في25يناير2011 نفس الأحداث مع اختلافات مهمة إلا أنها لا تمس الجوهر. وانتهت هي الأخرى بالإطاحة برأس النظام. ثم تلتها ليبيا ثم اليمن وسورية، سنتطرق إلى الشيء المشترك بين هذه الحركات، والذي نعتبره جوهرها:

- كان هناك إجماع من طرف النخب ووسائل الإعلام أن الشباب هم من قاموا بهذه الحركات، الشيء الذي جعل الكل يصطلح عليها؛ "بهَبَّة أو انتفاضة أو ثورة الشباب"،

-التنسيق لهذه الحركات والمطالب التي رفعت فيها تمت عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي"فايس بوك، تويتر..."،

-العلاقات والتفاعلات الاجتماعية التي كانت تتم بين هؤلاء الشباب، كانت في جزءها الأكبر، تتم داخل ما يصطلح عليه ب"العالم الافتراضي"،

-هذه الحركات الشبابية كانت في أغلبها غير متوقعة بالنسبة للنخب بمختلف مشاربها. حيث بدا الارتباك واضحا في تعاطيها مع هذه الظاهرة،

-يصرح هؤلاء الشباب عبر وسائل الإعلام أنهم غير منتمين لأي تنظيم سياسي أونقابي أوغيرهما(حسب ما بلغ إلى علمنا)[1].

إن أغلب التنظيمات السياسية ومكونات المجتمع المدني داخل هذه المجتمعات ظلت متخلفة عن هذه الحركات الاحتجاجية ولم تلتحق بها وبمطالبها حتى آخر لحظة، عندما اتضح لها أن هذه الحركات تنتزع المطلب تلو الآخر، بل إن هذه الحركات، بعد اعتراف الأنظمة بها، أبت أن تتراجع إلا بعد سقوط رؤوس هذه الأنظمة تماما، والسبب في هذا التردد-في نظري-هو أن النخب لم تتوقع أن يكون الشباب قادرين على المضي إلى أبعد الحدود في المطالبة بحقوقهم، ومن هنا تكون المفاهيم المحورية لهذا المقال هي: التوقع، الدور، النماذج والرموز الاجتماعية، والفعل الاجتماعي، ومن خلال هذه المفاهيم سنحاول مقاربة هذه الحركات الاحتجاجية/الثورات انطلاقا من إطار نظري سوسيولوجي يهدف إلى الفهم من أجل التفسير.

1. التوقع attente

يلعب التوقع، الذي يُعتبر مفهوما مركزيا في السوسيولوجيا، دورا أساسيا في استمرار تماسك الحياة الاجتماعية كما يحيل بالنسبة للأفراد والجماعات المتفاعلة فيما بينها على الانتماء إلى نفس الثقافة. ونقصد هنا الثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي، أي كنسق من القيم والمعايير والرموز والنماذج. وهكذا فإن التوقع مبني بالأساس على هذا النسق السوسيوثقافي. فكل وضع اجتماعي statut social داخل المجتمع يقابله دور، من حيث كونه،«نسقا من الإكراهات المعيارية[2] بتعبير رالف لنتون» (Boudond.R, Bourricaud.F, 2011, p505)، وهذا الدور يكون محددا

---

[1] - هذه الملاحظات تم استقاؤها من خلال تتبعنا لسيرورة هذه الحركات الاحتجاجية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام.

[2] - systèmes de contraintes normatives

ثقافيا وتنظيميا، وأي انحراف عن عناصر النسق السوسيوثقافي يجعل السلوك أوالفعل الاجتماعي خارج التوقع. ومن ثم يعرض صاحبه إلى عقوبات اجتماعية sanctions sociales وهكذا يصبح المجتمع يمارس القهر الاجتماعي la contrainte sociale على أفراده وجماعاته.

2. الدور كنسق من الإكراهات المعيارية

إن الحديث عن الأدوار الاجتماعية يقتضي استحضار النماذج الاجتماعية، لأن «النماذج الخاصة بوظيفة أو موقع، داخل جماعة ما، هي التي تكون الدور الاجتماعي» (Guy Rocher,1968, p46)، أي أن لكل وضع اجتماعي statut social، نموذجا ثقافيا يشكل الإطار المرجعي للدور.

والدور الاجتماعي حسب ميكييللي Mucchilli هو عبارة عن «مجموع المواقف والسلوكات L'ensemble des conduites et des attitudes»(A, 1994, p14 . Mucchill). وهذا يعني أن السلوكات والمواقف خاضعة بدورها للقيم والمعايير الاجتماعية، وبالتالي فإن النماذج ما هي في الأصل إلا صورة للقيم والمعايير، أي صورة للنسق الثقافي عموما.

إن الانخراط في القيم والمعايير والنماذج الاجتماعية، يضفي الطابع الرمزي على الانتماء إلى مجتمع أو جماعة ما. ونتيجة لذلك فإن « عالم النماذج والقيم يظهر لنا كعالم شاسع من الرموز، يتحرك داخله الفاعلون الاجتماعيون، المجموعات والجماعات» (Guy Rocher,1968, p87) ومن دون أن نبالغ، يمكن القول أن الفعل الاجتماعي كله رموز، فهو اجتماعي«لأنه مليء بالرموز، إن الرمزية مكون أساسي للفعل الاجتماعي، وهي أحد ركائزه الأساسية» (Ibid, P88)وفهم الرموز يساعدنا في تفسير الأفعال الاجتماعية.

3. الفعل الاجتماعي:

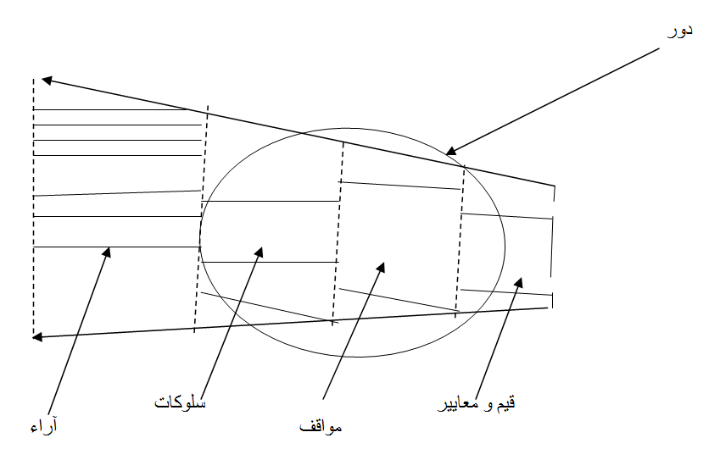
يعتبر ماكس فيبر أن الفرد واع بأفعاله، من هذا المنطلق يرى أنه على الباحث السوسيولوجي أن يهتم بهذه الأفعال الاجتماعية لفهم و تفسير ما يقع في المجتمع من ظواهر، وهكذا يقترح ماكس فيبر أربع نماذج مثالية تساعد في تحليل الأفعال الاجتماعية: الفعل العقلاني بحسب الهدف، الفعل العقلاني بحسب القيمة، الفعل العاطفي، والفعل التقليدي(Aron. R,1967, p500-501)، لكن المهم بالنسبة لماكس فيبر هو أنه على الباحث أن يحل محل الفاعل، أي أن يستحضر النسق السوسيو ثقافي الذي ينتمي إليه هذا الأخير، على اعتبار أن قيم و معايير النسق السوسيوثقافي هي التي تؤطر الفعل الاجتماعي وتحدد معناه ومقصديته، ومن هنا يتمكن الباحث من فهم الظاهرة الاجتماعية وتفسيرها عن طريق التأويل.

إن هذه الاتجاهات السوسيولوجية رغم تباينها اتفقت حول نقطة أساسية**:** أهمية النسق السوسيوثقافي (قيم، معايير، رموز) في توجيه سلوك وتصرفات وأفعال الأفراد.

والخطاطة التعبيرية لرالف لنتون تلخص هذه النتيجة:

الخطاطة التعبيرية لرالف لانتون

شكل رقم : 1



المصدر: (Mucchielli. Alex,1994, p18)

ومن هذا المنطلق، إذا أردنا تفسير فعل الاحتجاج الذي قام ويقوم به الشباب سواء في تونس أو مصر أو اليمن أو البحرين أو السعودية أو سورية أو المغرب أو الجزائر...، فلابد من استحضار القيم والمعايير والنماذج والرموز الثقافية التي توجه هذا الفعل وتحدد معناه ومقصديته، حتى يتأتى لنا فهمه ثم تأويله، ويمكن استقراء بعض هذه القيم والنماذج والرموز من خلال الشعارات التي رفعت في هذه الحركات وتصريحات الشباب لوسائل الإعلام، وكذا رسائلهم الإلكترونية. هذه القيم هي: الكرامة، الحرية، المساواة، الديمقراطية، محاربة الفساد، التغيير.

كيف يمكن تفسير المطالبة بمثل هذه القيم في مجتمعات تحكمها بنيات تقليدية قيمها مضادة لهذه الأخيرة، حتى عندما تدعي الأنظمة الحاكمة في هذه المجتمعات أنها تتبنى هذه القيم الحداثية فهي في الواقع لا تتجاوز بنيتها مع هذه البنيات التقليدية، التي جاءت هذه القيم أصلا لخلق قطائع معها.

إن هذه القيم التي استغرقت قرونا لتتبلور في الغرب، أصبحت سهلة التنقل من مجتمع إلى آخر بفضل الثورة المعلوماتية، وأصبحت قيم الحداثة هذه مكونا أساسيا في سيرورة التنشئة الاجتماعية لهؤلاء الشباب، فتغيرت بذالك نظرتهم لذواتهم، ونظرتهم للأخر، ونظرتهم للعالم مقارنة مع الجيل السابق (جيل الآباء)، وهذا هو جوهر الحداثة. ولقد نتج عن هذه السيرورة مجموعة من القطائع شكلت في حد ذاتها عدة ثورات.

الثورة الأولى بدأت داخل الأسرة: فقد أصبحنا نلاحظ تباينا كبيرا في قيم ومعايير الأبناء والآباء. إذ نجح الأبناء، بعد عدة اصطدامات، في فرض قيمهم داخل أسرهم. ففي عصر العولمة، تقلص دور الأسر، وأضحت وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعية ومؤسسات أخرى هي من يتحكم في التنشئة الأولية للأطفال، وهكذا "انتقلت الأسرة من مؤسسة مركزية إلى مؤسسة محيطية» (جسوس. محمد، 2003، ص161)، وهذا يعني بالطبع استدخال قيم ومعايير النسق السوسيوثقافي للعولمة، لتشكل البنية المعيارية للشخصية، وعلى أساسها يتم:

أ. التفاعل مع المجتمع بمختلف مكوناته،

ب. تحقيق الوحدة السيكولوجية l'unité psychologiqueعند الأفراد، حسب ألبور غوردن Allport Gordon (Guy Rocher,1968, p86).

الثورة على مستوى المدرسة: في المرحلة الثانية من سيرورة التنشئة الاجتماعية، انتقلت هذه القيم والمعايير والرموز المستدخلة إلى المدرسة، باعتبارها المؤسسة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة في عملية التنشئة، لتخلق قطائع مع نسق سوسيوثقافي كان سائدا داخل المدرسة، تسود فيه العلاقة الأبوية بين المدرّس والتلميذ، أي علاقة الشيخ والمريد(حمودي عبدالله، 2003). إذ يعتبر المدرّس هو مصدر المعلومة، وصاحب السلطة داخل الجماعة النظامية. الشيء الذي نتج عنه علاقة عمودية وذات اتجاه وحيد: مدرس====>تلميذ، ومن هنا أصبحت العلاقة بين هيئة التدريس والإدارة التربوية من جهة، والتلاميذ من جهة أخرى متوترة، وتؤول في كثير من الأحيان إلى عنف يعاني منه الطرفان، وهذا مؤشر حسب بول لازارسفيلد (Lazarsfeld, 1970) على نشوء شخصية ذات بنية معيارية مختلفة تماما عن مُقابِلَتِها لدى الجيل السابق.

الثورة على الأنظمة الحاكمة: نجد داخل المجتمعات التقليدية، حسب ماكس فيبر، النموذجين غير العقلانيين لمشروعية السلطة وهما: النموذج الكارزماتي؛ حيث يستمد الحاكم شرعية سلطته من صفات تميز شخصيته عن المحكومين، وتجعل هؤلاء يعترفون له بالسلطة ويتماهون مع شخصيتهK والنموذج التقليدي؛ الذي تتحول فيه التقاليد إلى رأسمال رمزي يخدم سلطة الحاكم ويحد من حرية الأفراد، بل لا يعترف بهم على الإطلاق (Aron. R, 1967, p 556-557)، والتفاعلات التي تتم داخل هذين النموذجين من السلطة مبنية على أفعال عاطفية وأفعال تقليدية، تجد مرجعيتها في نسق سوسيوثقافي تقليدي تسود فيه قيم ومعايير تقليدية (الجماعة على حساب الفرد/holisme، بالإضافة إلى سيادة علاقة الولاء والطاعة)، وهذا ما يفسر اتساع الهوة بين هذه الأنظمة و بين الشباب الذي تكونت لديه شخصيات ذات بنية معيارية قوامها قيم ومعايير الحداثة(المواطنة، الحرية، الكرامة، الديمقراطية، المشاركة، التشارك، الشفافية، التغيير)، وهكذا انطلقت الثورة في مرحلتها الثالثة، مُحاولة خلق قطائع مع هذه البنيات التقليدية، البنيات التي تستند عليها مشروعية الأنظمة الحاكمة.

ويمكن ضرب مثل لهذه القطائع من خلال الشعارات التي رفعت في الحركات الاحتجاجية والتصريحات التي أدلى بها الشباب لوسائل الإعلام. فكلها تعكس تشبع هؤلاء بقيم الحداثة. ومن جهة أخرى يمكن تفسير رفض هؤلاء الشباب الانضواء تحت ألوية تنظيمات المجتمع المدني والسياسي بعاملين اثنين، نرى أن أحدهما يكمل الآخر:

-هذه التنظيمات، رغم إدعائها تبني قيم الحداثة فإنها في الواقع تمت تبيئتها في المجتمعات التقليدية لتتماشى مع النسق السوسيوثقافي التقليدي السائد. فأصبحت تشتغل هي الأخرى وفق ثقافة "الشيخ والمريد"، لتتحول إلى زوايا وعائلات ممتدة، تتمركز السلطة داخلها في يد الشيخ/الأب، ويتحول المنخرطون إلى مريدين/إخوة. فعوض أن تحدث هذه التنظيمات قطائع مع النسق السوسيوثقافي التقليدي، نجدها تكرسه أو تلبسه لبوسا جديدا.

-أما العامل الثاني فيتجلى في رفض هؤلاء الشباب للزعامة بمعناها التقليدي. فالقيادة داخل هذه الحركات الشبابية منتشرة بين كافة الشباب، حيث نجد أن كل شاب يعتبر نفسه "زعيما". والزعيم/القائد الفعلي الذي يتحكم في هذه القيادة الجماعية هو قيم هذه البنية المعيارية لشخصية الشباب.

ومن خلال هذا التحليل يتضح لنا بشكل جلي أن العالم الاجتماعي الذي يعيشه الشباب يخالف العالم الذي يعيشه الجيل السابق، فالشباب يعيش في عالم مستقل له معاييره وقيمه ورموزه الخاصة، كما له وسائل التواصل الخاصة به، وسائل التواصل هذه لا تعرف ولا تعترف بالحدود

ولا الانتماءات، ولا الأعراق، كما أن المهام التي تؤديها تتجاوز مهام التواصل، ولا نبالغ إن قلنا أنها خلقت عالما "افتراضيا "يحمل هؤلاء الشباب هويته. حيث يمكن أن نسبغ عليهم صفة مواطني الانترنت netizens كما قال دافيد كريستال David Crystal، ويتكلمون لغة الأنترنت netspeak (Crystal. D, 2004). ويحملون قيم هذا العالم مثل السرعة والوضوح والتغيير، هذه القيم تحتل مرتبة عليا في سلم قيم هذا العالم حيث لا تجد قيم النسق السوسيوثقافي التقليدي مكانا لها.

خاتمة:

ومن ثمة فإن هذه الحركات الشبابية التي بدت في البداية أنها مجرد احتجاجات (الاحتجاج يعترف ضمنيا بالسلطة للنظام) هي في الحقيقة ثورات؛ بدأت داخل الأسر أولا فخلقت قطائع مع القيم والمعايير التي كانت تحكمها، لتنتقل في ما بعد إلى المؤسسة الاجتماعية الثانية وهي المدرسة (النظام التعليمي)، وتفرض عليها ثقافة جديدة. وما انتقالها إلى المستوى الثالث، أي على مستوى الأنظمة الحاكمة، إلا تتويج للمرحلتين السابقتين، إذا هذه الثورة في نهاية التحليل هي ثورة على النسق السوسيو ثقافي التقليدي.

قائمة المراجع:

1. جسوس. محمد(2003)، رهانات الفكر السوسيولوجي بالمغرب، ط. الأولى، منشورات وزارة الثقافة، المغرب.

2. حمودي. عبدالله(2003)،الشيخ والمريد: النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة، ترجمة: جحفة. عبد المجيد، الطبعة الثالثة، دار تبقال للنشر، المغرب.

3. Aron. Raymond(1967), les étapes de la pensée sociologique, Gallimard, Paris.

4. Boudond.Raymond, Bouricaud. François(2011), Dictionnaire critique de la sociologie, 7°édition, Quadrige, Paris.

5. Crystal. David(2004), Language and the Internet, Cambridge University Press.

6. Guy. Rocher(1968), l’action sociale, Editions HMH.

7. Lazarsfeld .Paul(1970), Qu’est-ce que la sociologie ?, Gallimard, UNESSCO.

8. Linton. Ralph(1986), Le fondement culturel de la personnalité, Dunod, Paris.

9. Mucchielli .Alex (1994), La psychologie sociale, Editions, Hachette, Paris.

10. Bagur T. et Portocallis G(Avril 2017), « L’individu et l’interaction, entre rôle social et identité », Revue Européenne de Coaching, Numéro 2.

الأنثروبولوجيا بين عفوية الممارسة والتأسيس العلمي.

Anthropology between Spontaneous practice and scientific establishment

أ.النوري الأديب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ تونس.

ملخص: حاولنا في هذا المقال الاشتغال على الحقل الأنثروبولوجي وتقديم صورة عامّة للمشهد في كتب الرّحالة المبكرين لفحص السجل التاريخي للحقل وإبراز قيمة بواكير الرحالات العربية لهذا الحقل العلمي. فسعينا إلى الى رصد أهم الرّحلات التي ساهمت في تأسيسه الأكاديمي وتتبّع التقويم التاريخي للأنثروبولوجيا وبروز المصطلح في القرن التاسع عشر. وسنركز على أهم تعريفاته، وأشهر مدارسه: التطورية والانتشارية والوظيفية والبنيوية واتجاهاته الثّقافية والشّخصية)، ثم نعالج أهم أقسامه وفروعه: الأنثروبولوجيا العضوية والأنثروبولوجيا الثّقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الرّحالات العربية والأنثروبولوجيا، والتطورية، والانتشارية والوظيفية والبنيوية والثقافة والشخصية وفروعها (الطبيعية والعضوية والأنثروبولوجيا الثّقافية والاجتماعية).

Abstract: We tried in this article to work on the field of anthropology and to introduce a general view in the books of early travelers. We sought to examine the historical record of the field and to highlight the value of early Arab journeys to this scientific field.We dealt with the most important journeys which caused its academic establishment and its history until the emergence of the concept of anthropology in the 19th century. We will focus on its important definitions and famous schools: evolutionary, propagative, functional, structural and its cultural and personal trends. Then we will treat its important sections and branches: Organic anthropology, Cultural Anthropology and Social anthropology.

Key words: Arab journeys, Anthropology, evolutionary, propagative, functional, structural cultural and personal, and its branches (natural, organic, cultural and social Anthropology).

مقدمة:

إنّ التعامل مع الفكر الأنثروبولوجي يمكن أن يكون من وجهات متعددة، وبما أنّه جزء مكوّن لجملة العلوم الاجتماعيّة، فقد صار محلّ تساؤل عن المستويات النظرية والمنهجية بين مختلف المدارس المتخصّصة في هذا المجال.

إنّ دراسة كيفيّة نشوء هذا الاختصاص لا يمكن أن تكون متكاملة إلاّ من زاوية النظريات التي اشتغل عليها العلماء والمؤرخون. الذين اعتبروا الأنثروبولوجيا أحدث العلوم الاجتماعية على الاطلاق. ويعتبر منتصف القرن التّاسع عشر نقطة تحوّل مهمّة في تاريخ ميلاد الاختصاص، ويمكن أن نميز في تلك الفترة بين ما نسميه ما قبل الاختصاص والنشأة التي وقعت قبل هذا التاريخ، فقد كانت هنالك معارف سوسيولوجية حول جملة من العادات والتقاليد السائدة لدى الحضارات والشّعوب.

لقد وجدنا في كتابات الرّحالة العرب معلومات وصفيّة عن عدد من الشّعوب، فدرسنا معارفهم وتقاليدهم وعاداتهم وملامحهم الجسمية وأصولهم السّلالية وأوجه الحياة اليوميّة عندهم (فهيم حسين، 1986)، ولكن لا تزال الرّحلات العربية تجذب اهتمام دارسي الأدب أكثر مما تجذب دارسي الأنثروبولوجيا، بحكم أن الأنثروبولوجيا تشكلت كاختصاصٍ علميٍ محكومٍ بمعايير المرْكزة الأوروبية. ولما كان الغرض الأساسي لهذه الدراسة إبراز العلاقة بين الأنثروبولوجيا كما نراها اليوم والرّحلات باعتبارها مجال رؤية الآخر، فإننا نتناولها باعتبارها من بواكير التفكير الأنثروبولوجي. ومن خلالها نطرح إشكالا تتفرّع عنه عدّة تساؤلات هي كالتّالي:

كيف تظهر اسهامات الرّحالة العرب في تشكل البدايات الأولى للدراسات الأنثروبولوجية؟

ما معنى الأنثروبولوجيا؟ ما مدار اهتماماتها؟ وماهي اتجاهاتها الأساسية؟ وماهي أهم فروعها؟

وماهي السمات النظرية والمنهجية لكل مدرسة من المدارس الأنثروبولوجية.؟

سنقوم أوّلا بتعريف إسهامات الرّحالة العرب وتحليلها في الأنثروبولوجيا، وبتحليل اللّحظة التأسيسية وظهور المصطلح ثانيا، وثالثا ببيان اتجاهاتها الأساسية عرضا وتحليلا، وهي الاتجاه التطوري والاتجاه الانتشاري والاتجاه الوظيفي والاتجاه البنيوي واتجاه الثّقافة والشّخصيّة. ونتناول رابعا، فروع الأنثروبولوجيا، المتمثلة في فرع الأنثروبولوجيا الطبيعية أو العضوية، وفرع الحفريات البشرية وفرع الأجناس البشرية، والأنثروبولوجيا الثّقافية وعلم اللّغويات واللّسانيات، وعلم أصول اللّغات وعلم الأثار القديمة وعلم الثّقافات المقارن (الإتنولوجيا)، والأنثروبولوجيا الاجتماعية.

أوّلا- إسهامات الرحالة العرب في تأسيس الأنثروبولوجيا:

إنّ الرّحلات إلى البلاد الأجنبية ظاهرة حضارية تاريخية تميّز بها العالم الإسلامي منذ أن انتصب الإسلام في الأراضي العربية دينا وحضارة. ولقد تقاطع في هذه الرّحالات كلّ من الغرض الجغرافي الوصفي بالغرض التأريخي، فكان الرّحالة عموما يجتهد في معرفة تاريخ العالم الأجنبي والأجناس الموجودة فيه. كما لاحظنا في نصوص الرّحالة العرب الوصف المونوجرافي المفصل للعادات والتقاليد والمؤسّسات الاجتماعية، وهو وصف متولد عن المعايشة والملاحظة والمعاينة التي يمكن اعتبارها أدوات التجربة الحقلية للأناسة اليوم، ومن بينهم نذكر:

أبو الحسن علي المسعودي: (896 م-957م)، قام برحلة إلى فارس والهند وسيلان ودول بحر قزوين والسودان وجنوب شبة الجزيرة العربية وبلاد الشام وبلاد الروم. له إسهامات أنثروبولوجية يحتوي على معلومات عن شعوب المناطق التي زارها، فذكر أجناسهم وصفاتهم الجسمية والشّخصية وعاداتهم وتقاليدهم والحِرف والمأكل والملبس وأوضاعهم السكانية والاقتصادية والاجتماعية ومستوى التحضر لديهم عن طريق دراسة الأحوال العمرانية والسّياسية(المسعودي أبو الحسن، 2005).

أبو عبد الله بن محمد البكرى: (1030 م – 1094 م)، من أشهر كُتبه "المسالك والممالك" (البكري أبو عبد الله بن محمد،1992)، وقد تكوّن من عدة مجلّدات شملت أرجاء العالم الإسلامي، وتضمنت معلومات عن بلاد كانت مغمورة لقلة المعلومات عنها آنذاك، كبلاد المغرب والسودان (أفريقيا جنوب الصحراء) وقد خصّص له جزءاً خاصاً باسم " تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان". كما تطرق إلى التّراث الشّعبي الموروث لعدد من الشّعوب في أرجاء العالم المعروف آنذاك، ووصف العادات والتقاليد الغريبة، وقدم صورة دقيقة لطرق التجارة في الصحراء الكبرى بأفريقيا.

أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي: وهو من رحالة القرن الرّابع الهجرى (العاشر الميلادى). تكمن أهمية رحلاته في أنحاء العالم الإسلامي في المعاينة، وجمع المادة العلمية التي سجلها في كتابه الشهير "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم". يقول في مقدمة مؤلفه « نحن لم نبق إقليماً إلا وقد دخلناه وأقلّ سبب إلا وقد عرفناه، وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر، فانتظم كتابنا هذا ثلاثة أقسام أحدها ما عايناه، والثاني ما سمعناه من الثقات، والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة في هذا الباب وغيره. وما بقيت خزانة تلك إلا وقد لزمتها، ولا تصانيف فرقة إلا وقد تصفحتها، ولا مذاهب قوم إلا وقد عرفتها، ولا أهل زهد إلا وقد خالطهم ولا مذكرو بلد وقد شهدتهم (المقدسى أبو عبد الله محمد بن أحمد، 1906، ص260)، وتجدر الإشارة إلى أنّ المقدسى قد وصف خصائص كل إقليم، وبيّن أهمّ سمات المناخ والمذاهب الدينية واللّغات والقبائل ومصادر الثروة والأسواق. وقد اعتمد في كتابه على الملاحظة والمشاهدة الميدانية، وقد استطاع تحديد المعالم الاجتماعية لكل قسم سواء أكان ذلك في الأزياء أو العملات أو العادات، كما درس النظم الاجتماعية والقرابة والايكلوجيا (علاقة الإنسان بالبيئة)، وقد اعتمد المقدسي من الناحية المنهجية على المعاينة ثمّ الوصف والتحليل.

أبو عبد الله محمد الإدريسي: (1099م– 1165م)، قام بعدة رحلات إلى إفريقيا، والحجاز ومصر والقسطنطينية وآسيا الصغرى. أشهر كتبه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، عدّد أجناس السكان وعادات الناس من حيث الملبس والمأكل والتقاليد الاجتماعية(الإدريسي أبو عبد الله، محمد،2002)، ولاحظنا أنه أسهب في عرض تفاصيل حول المناطق التي زارها، وقد كان يستخدم أحياناً عبارات مثل "وقد شاهدت" أو "وقد رأيناه عيانا"، واستنتجنا أنّه اتبع مراحل عدّة في جمع مادته العلمية بطرقٍ مختلفة هي: القراءة والمعاينة الشخصية والمقابلة والاستكشاف وكتابة التقارير. وتعتبر المقابلة مصدراً مهماً من مصادر البحث، لذا كان الإدريسي يعتمد أساسا الأسلوب الوصفي(الإدريسي، 2002، ص7)، وفي مقدمة كتابه أثبت أنّ المقابلة مصدراً من مصادره. يقول « فلم يجد ذلك فيها مشروحاً مستوعباً مفصلاً، بل وجده فيها مغفلاً، فأحضر لديه العارفين بهذا الشأن فباحثهم عليه، وأخذ معهم فيه، فلم يجد عنهم علماً أكثر مما في الكتب المذكورة، فلما رآهم على مثل هذه الحال بعث إلى سائر بلاده، فأحضر العارفين بها، المتجولين فيها، فسألهم عنها بواسطة جمعاً وأفراداً فما اتفق فيه قولهم وصحّ في جمعه نقلهم أثبته وأبقاه، وما اختلفوا فيه ألغاه وأرجاه.»(الإدريسي، 2002، ص6).

ابن جبير محمد بن أحمد الأندلسي: (1145م- 1217م) يُعد من أبرز الرّحالة العرب الذين اعتمدوا الصرامة العلمية في تسجيل أخبار رحلاتهم، وقد وصف الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسّياسية للمناطق التي قام بزيارتها وصفاً دقيقاً، ويعد مؤلفه الموسوم " تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار" من أهم المؤلفات في الرّحلات، إذ صوّر الحياة بكل تجلياتها في القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع الهجري في المشرق والمغرب، وسجّل ما شاهده. واهتم بذكر التاريخ الذي زار فيه كل مدينة أو مكان، كما ذكر المسافات التي تفصل بين تلك الأماكن، وقدم معلومات وافية عن الآثار والمساجد والدواوين والمدارس وغيرها من المعالم

المدنية والحضارية التي درس أحوالها، كما وصف لنا غرائب المشاهد وبدائع الصنائع والأحوال الاجتماعية والسّياسية، وتذكر بعض المصادر أنّ ابن جبير لم يدوّن رحلته في شكل كتاب، بل جعلها أوراقاً منفصلة مكتوبة بشكل مذكرات يومية تمّ جمعها ونشرها وعرفت فيما بعد "رحلة ابن جبير"(ابن جبير محمد بن أحمد الأندلسي، 2008).

أبو عبد الله بن محمد التيجاني:(1277-1272 م) صاحب أقدم رحلة في بلاد أفريقيا. تضمن مؤلفه تقييد الرّحلة" الذي عرف "بالرحلة التيجانية" (التيجاني أبو عبد الله بن محمد، 2005، ص36) معلومات وافية عن البلاد الأفريقية في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن هجريا، ووصف وصفا شاملا مُدنها وربوعها وعرّف بعمرانها وسكانها وقبائلها وأحوالها كافة، وقد حرص فيه على عرض أخبار المدائن والقرى، وأصل من يسكنها، وما يتفرع عن كل قبيلة من بطون وأفخاذ من البدو الرّحل. فميّز بين أصولها وفروعها، وعني بالتحدث عن العلماء والفقهاء الذين التقى بهم في رحلته، فلم يكتف بترجمة حياتهم وذكر مصنفاتهم، بل حرص على حضور دروسهم ومشاركتهم مجالسهم والاستماع اليهم، ووصف بعمق حلقات أهل الحديث وأئمة الفقه في زمانه ذاكرا أسانيدهم وطرائق رواياتهم، واهتمّ بذكر أنباء رحلته في البلاد التونسية واللّيبية فكان تدوينه زاخر بالفوائد الجغرافية، ومفعم بالأخبار التاريخية والأدبية والاجتماعية. كما وصفٍ المدن التي مرّ بها في طريق رحلته وصفا قلّ نظيره في سجل الرّحالة.

يقول حسن حسني عبد الوهاب عن هذه الرّحلة إنّها« من غرر المصنفات التونسية، وكأنها الوحيدة من نوعها في وصف البلاد الإفريقية والتعريف بعمرانها في أوائل القرن الثّامن للهجرة، أحد العصور الغامضة في تاريخ تونس الاجتماعي والسّياسي من حيث عناصر السكان وهيئتهم الاجتماعية والاقتصادية علاوة على تفصيل جغرافية القطر وتاريخه وتراجم مشاهير أبنائه مع التعرض للنباتات الخاصّة بكل جهة من جهاته، وهو مقدار من الإفادات قلّما اجتمع في رحلة واحدة، لندرة النّصوص الواصلة إلينا عنه»(التيجاني أبو عبد الله بن محمد، 2005، ص35).

ابن بطوطة محمد بن عبد الله: (1304م- 1378م)، عاش في القرن الثّامن هجريا (الرّابع عشر ميلادي). وكان لتدوينات رحلته خصائص أنثروبولوجية، تتجلى في وصفه للناس، وحياتهم اليومية، وسلوكاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم. وبيان تنوع الشّعوب واختلاف تقاليد الأقوام وعاداتهم وامتداد بقاعهم(ابن بطوطة أبو عبد الله، 1968)، كلّ ذلك مثل مادّة خصبة في المنهج الأنثروبولوجي لدراسة الشّعوب.

وكان لما أورده عن الهند بصفة خاصّة أهمية اثنوجرافية وجغرافية، تتمثل في كشفه عن عناصر الالتقاء بين الحضارتين الإسلامية والهندية. وكانت معلومات ابن بطوطة تتصف بالصرامة المنهجية. فعلى سبيل المثال فقد أوخذ على مبالغته في ذكر مشاهداته بجهات أفريقيا التي كانت مجهولة، ولكن اتضح فيما بعد بأن وصفه للظواهر الجغرافية التي شاهدها من الدقة ما يدعوا إلى الإعجاب.

ابن خلدون عبد الرّحمان بن محمد: (1332م – 1406م) حظيت أعماله باهتمام كبير في الدّراسات الأنثروبولوجية، وخاصّة المفاهيم التي اعتمد عليها مثل العصبية، وقوانين العمران...كما تنبّه الدّارسون لكتابه إلى اهتمامه بدور العوامل الاقتصادية وعلاقات الإنتاج وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطها في فهم المجتمع القبلي، وتناول حال الشّعوب وتقاليدها وعقائدها ووصف أحوال المجتمعات، لذلك كان مفهوم العمران البشري عنده يشمل كلّ الظواهر سواء أكانت سكانية أو ديمغرافية، أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو ثقافية. وقد اعتبر البيئة أهم العوامل المتحكّمة في تفكير الشّعوب الناشئة وثقافتها وميولاتها السلوكية(ابن خلدون، 1966).

ومن هنا يمكن القول إنّ مفهوم العصبية القبلية تشكل في سياقات حياة القبائل البدوية المتأثرة بالعوامل الأيكولوجية والاقتصادية ومقارنتها بمثيلاتها اليونان والفرس. وقد تمخضت هذه الدراسة عن حقائق وقواعد ونظريات مهمّة في مجال "الأنثروبولوجيا" لأنّها قدمت مفاهيم اثنوجرافية واثنولوجية، وحلّلت الأبنية الاجتماعية والأنظمة المختلفة(الدينية والقضائية والأسرية والطبقية وغيرها.) والأنماط الثّقافية المتعدّدة. وقد اهتمت مؤلفات هؤلاء الرّحالة بشؤون العمران، واعتمدت أساسا على المشاهدة والخبرة الشّخصية، الأمر الذي جعلها مادة خصبة للمنهج الأنثروبولوجي، وهذا يقودنا إلى الإقرار بوجود تراث مشترك من الوصفيات بين ثقافات متعدّدة مكّن من تطوير الاثنوجرافيا إلى خطاب علمي.

وبشكل عام درس الرّحالة العرب المجتمعات ضمن الإطار الثّقافي والاجتماعي، فلم يهتموا بالإنسان الفرد، وإنما اهتموا بالإنسان الذي يعيش في جماعات وأجناس، وفي أحداثهم وأفعالهم الحياتية. لذلك هم يُعتبرون من الروّاد الأوائل للتفكير الأنثروبولوجي كما نراه اليوم. وكان المنهج المعتمد في هذه الرّحالات هو المشاهدة والتجربة الشّخصية، والرّواية الشفوية وهذا ما ميزها وجعلها مادّة خصبة ومفيدة من الناحية الأنثروبولوجية أي من جهة دراسة الشّعوب والمجتمعات والثّقافات الإنسانية (تدوينا وتوثيقا).

إنّ عرضنا السريع لمساهمات بعض الرّحالة العرب في ميلاد الفكر الأنثروبولوجي يكشف لنا أنّها لم تكن حازمة جازمة في مناهجها ولم تتم وفق قواعد علمية صرفة وبأدوات منهجية وابستمولوجية واضحة (مقارنة بزمانها) ورغم القيمة الوثائقية لهذه الرّحالات فإنّها لم تكن على درجة كبيرة من الأمانة والموضوعية، فالصورة المعروضة تتداخل فيها الذّات بالموضوع، أي تمتزج فيها رؤيتان للعالم: رؤية الرّحالة المشاهد الباثّ ورؤية المشاهد الإنسان الأجنبي الموصوف ومحيطه الطبيعي. وقد امتزج وصف العالم بالمواقف ويعزى ذلك إلى سيطرة التفكير المرجعي والحكم على الآخر من خلال منظور الثّقافة والحضارة الإسلاميين. ولكنّها بينت لنا ريادة الثقافة العربية في التمهيد لهذا العلم.

ثانيا- اللّحظة التأسيسية وظهور المصطلح:

إنّ كلمة "أنثروبولوجيا" من الناحية الاشتقاقية مشتقة من الكلمة الإغريقية(Anthropo)، أي الإنسان، والكلمة(Logy) أي العلم، فالكلمة في معناها اللّغوي هي دراسة الإنسان(www.aaanet.org).ونتيجة لتنوع الأنشطة التي يقوم بها الإنسان، تبنى الأنثروبولوجيون التعريف اللّغوي لعلمهم، ولذلك حاولوا دراسة الإنسان في كلّ أعماله، أي كل منجزاته المادية والفكرية، وباختصار الدراسة الشاملة للإنسان.

إنّ محاولة إيجاد تعريف للأنثروبولوجيا يخضع لجملة من المقاربات، نظرا لاختلاف تعريفاتها من مجال ثقافي الى آخر. ففي الولايات المتحدة الأمريكية يستخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الجسمية للدلالة على دراسة الجانب العضوي للإنسان بينما يستخدم مصطلح الأنثروبولوجيا الثّقافية، للإشارة الى مجموع التخصّصات التي تدرس السمات الاجتماعية والثّقافية لحياة الإنسان، ويدخل في ذلك الدراسات التي تهتمّ بإنسان ما قبل التاريخ ويشار إليها بعلم الأركيولوجيا(Archéologies). في حين أنّ ما يصطلح على تسميته الأنثروبولوجيا الثّقافية في المجال الثّقافي الأمريكي، يدرجه الفرنسيون تحت تسمية الأثنولوجيا، « التي تهتمّ بوصف طرائق الحياة ومجموع العادات والتقاليد والقيم والأدوات والفنون لدى جماعة معينة، وخلال فترة زمنيّة محدّدة، ويعتبرونها جزء من علم الاجتماع»(Jean Poirier,1974,P128)، أمّا في الأوساط الثّقافية الأنقلوساكسونية، فإن المصطلح الأكثر رواجا هو الأنثروبولوجيا الاجتماعية، التي تقصر اهتمامها على النظم الاجتماعية كالعائلة ونسق القرابة والتنظيم السّياسي والاجراءات القانونية والعبادات الدينية. وهذا ما يساعد على وضع نماذج نظرية تفسّر بنيتها ووظائفها ودورها في

استمرارية الحياة الاجتماعية وتماسكها وما انتج بدوره تخصصات فرعية مثل أنثروبولوجيا القرابة والدين. وبيّن ذلك (إدوارد إيفانز بريتشارد (E Evans –Pritchard 1902-1973) أحد الرّواد الأوائل للأنثروبولوجيا الاجتماعية، قائلا إنّها« تدرس السلوك الاجتماعي، الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة، والتنظيم السّياسي، والإجراءات القانونية، والعبادات الدينية، وغيرها. كما تدرس العلاقة بين هذه النظم، سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية، التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع، يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات(برتشارد إيفا نز ادوارد، 1975، ص23).

وبغضّ النظر عن الفروقات الحاصلة في تعريف الأنثروبولوجيا، وتنوع المقاربات النظرية والمنهجية، يمكننا ايجاد تعريف مشترك يحاول الجمع بينها، تُؤكد على أن الأنثروبولوجيا تعني في المعنى الأمريكي أو الفرنسي أو الانجليزي دراسة الإنسان وحياته الاجتماعية وخصائصه الجسمية وبعض منتجاته المادية والتكنولوجية وأنظمته الاجتماعية وأفكاره ومعتقداته.أي دراسة المجموعات الإنسانية منظور اليها في كليتها، وفي خصائصها وفي علاقتها بالطبيعة.

ثالثاـ الاتجاهات الأساسية في الأنثروبولوجيا:

رغم عُسر تحديد اتجاهات الأنثروبولوجيا لتنوع واختلاف مجالاتها وللخلفية المعرفية للدّراسات والبحوث، حاولنا حصر أهمّها في ما يلي:

1-3 الاتجاه التطوري: تؤكدّ كتب التّاريخ لعلم الأناسة، على أنّ المدرسة التطورية هي أولى مدارس هذا العلم لأنّها وفرت ما كان معتمدا من أسس نظرية ومنهجية واضحة، بالإضافة إلى منظور تحليلي خاصّ انبنى على مقولة التطور، فالمدرسة التطورية، لها جملة من المقولات التحليليّة، تمحورت حول نظرة تاريخيّة للمجتمعات تحاول من خلالها أن ترسم خطا عاما لانتقال المجتمع من مرحلة تاريخية إلي أخرى. فهي ترى أنّ المجتمعات الإنسانية تتطوّر في بُناها وخبراتها، ومعتقداتها أيضا، وهذا التطور ينزع دائما نحو الأشكال الاجتماعية الأكثر تعقيدا للوجود، والمثال على ذلك الانتقال من المرحلة الهمجيّة إلى المرحلة البربريّة، والمرحلة الحضاريّة. (Richard Roger,1985). فالمرحلة الهمجيّة، تقوم على الزّراعة والصيد. في حين أنّ الشكل الأساسي في المرحلة البربريّة، يرتكز على الزراعة وتربية الماشية. يوافق هذه الأشكال في تحصيل القوت نظاما سياسيا يتطور من مرحلة إلى أخرى، ففي المراحل الأوّلى لم تكن هنالك زعامات إلاّ ما اعتمد على نفوذ محلّي محدود، ولكننا وبداية من أواسط المرحلة البربريّة نجد زعامات حربيّة تعتمد النفوذ في الجيوش المنظّمة التي تدافع عن مصالح الأقوام أو الشّعوب أو القبائل المتحالفة. هذه الزعامات الحربيّة تتطور لتولّد أنواعا أخرى من رئاسات جماعية فيها مزج بين المدني والعسكري، وفيها أيضا تعقيد وتركيب يؤديان إلى ظهور الدولة في مرحلة الحضارة. هذا التطور لا يمس فقط أشكال تحصيل القوت أو أشكال التنظيم السّياسي، بل يشمل أيضا المعتقدات السحرية الدينيّة، مثل عبادة كائنات طبيعية وتقديسها وهي عبادات مباشرة لما هو مادي ومحسوس. وتوجد عبادات أخرى توصف عادة بأنّها إحيائية، كأن نعبد مثلا جدّا مؤسّسا للقبيلة.

المرحلة الموالية هي نشأة الديانات، التي تقوم على عبادة آلهة من قبيل المكونات الفلكية للعالم، وهي مرحلة تيسّر الوصول إلى عبادة آلهة غير مرئيّة. يعتمد التطوريون إذن في محاولة إعادة كتابة تاريخ المجتمعات على نظريات من قبيل" الترسّب" التي تفصل بين عصرين ونظامين اجتماعيين، باعتباره شكل من الانتظام الاجتماعي، في حين تحافظ اللّغة على تسميات ما كان يدّل على تلك المرحلة (مثال الأب والعم والخال)، وقد وردت أغلب هذه التقسيمات التطورية في كتابات (لويس مرغان: Morgan 1818–1881) الذي كتب كتابا موسوما "بالأنظمة والقرابة الدموية"، وكتابا آخر وُسِم" بالمجتمع القديم" سنة 1871. كما يمكن أن نذكر من بين التطوريين

(جيمس فرايزر: James Frazer 1955-1854) مؤلف "الغصن الذهبي"(فرايزر جيمس، 1971).

لقد ركّزت التطورية من الناحية المنهجية على الإقامة المطولة في الوسط المدروس مع التدقيق في الوصف والتحليل المقارن للثقافات، وتركز حول ما يعرف تاريخيا باسم التطورية الثّقافية التي اهتمت بالبحث عن الأصول التاريخية للسمات الثّقافية. لقد ساد الاعتقاد أنّ الثّقافة هي نتاج تراكم النشاط الإنساني عبر الزمن وأن التقدم هو الغاية الأساسية من التطور الإنساني. ويرى التطوريون أن المجتمعات تتغير كلّها وفق قانون ثابت يقوم على فكرة التطور من مرحلة دنيا إلى أخرى أرقى كما هو مجسد في الحضارة الأوروبية.

3-2 الاتجاه الانتشاري: إذا كانت المدرسة التطورية تُدرج ضمن التصور التّاريخي للأناسة، فإنّ المدرسة الانتشاريّة تُدرج ضمن التصور الجغرافي، فلقد انطلقت هذه المدرسة من البحوث الاثنوجرافية التي كان ينجزها الجغرافيون النمساويون، وتمكّن "فرانس بواس:(Franz Boas 1942 -1858) من تطوير تلك البحوث الاثنوجرافية في اتجاه تحليلي، وذلك باستغلال أفكار(ويليام سميثWilliam Smith) في مقال انتقد فيه المدرسة التطوريّة في مؤلّفه الموسوم "بحدود المنهج المقارن في الأناسة" الصادر في طبعته الأولى سنة 1896، لقد حاول أن يبيّن أنّ ما يلاحظ من تطورات لا يرتبط بالضرورة بعامل التطور، وأن الاتصال بين الشعوب المختلفة هو الذي ولد ضربا من الاحتكاك الثقافي نتج عنه انتشار لبعض السمات الحضارية أو كلّها. هذا ما يفسر واقع التباين الحضاري للشّعوب من جهة ويعلن رفضا لحتمية التطور الخطّي لكلّ المجتمعات وفق قانون ثابت من جهة ثانية، فلا يمكن أن نعيد رسم ماضي كلّ المجتمعات على أساس هذا الخطّ التاريخي. وبناء على ذلك فإنّ ما يقدّمه التطوريون، ليس إلاّ افتراضات لا أدلّة تاريخيّة عليها، فضلا عن كونها لا تبحث في المجتمعات المعنيّة، انطلاقا ممّا تلمسه من خصوصياتها الثّقافية.

لقد حافظت الانتشارية على الأساس المنهجي، وهو الإقامة في الوسط المدروس، مثلما حافظت على مقولة التطور، ولكنّها سعت إلى الاهتمام أكثر بالثّقافة والفن واللّغة.

إنّ الأساس التحليلي في الانتشارية هو مقولة الانتشار، بمعنى انتقال عناصر ثقافية مثل الأسطورة، أو الأشكال الفنية، أو المعتقدات، من ثقافة إلى أخرى في نطاق ما تسميه المدى الجغرافي للانتشار، وانطلاقا من مثال الأسطورة، وانتقالها من قبيلة إلى أخرى، يحدّد الانتشاريون المدى الجغرافي الذي تنتقل فيه هذه العناصر، سواء أكان ذلك عن طريق الهجرة أو الغزوات، أو على هامش التبادل الاقتصادي، وهو ما ينجر عنه تبنّي لبعض هذه السمات الثّقافية. ويمكن أن يكون ذلك عن طريق الاقتراض، أو عن طريق التركيب، كما يمكن أن يكون بالاعتماد على التقليد مع إعادة توظيف وتغيير، نستنتج ممّا تقدّم، أنّ ما تأسست عليه التطورية يمثل من وجهة ما، مقابلا لما تأسست عليه الانتشارية، وخاصّة في مستوى المنظور التحليلي. ولكن من أهم تبعات هذا الاتجاه النظر إلى الثّقافات الإنسانية باعتبارها كيانات مستقلة من حيث النشأة والتطور ومن حيث السمات الرئيسية التي تميزها عن غيرها. وهكذا يرجع إلى هذا الاتجاه الفضل في إقرار فكرة تعدّد الثّقافات وتنوعها، والقول بالنّسبية الثّقافية التي ستصبح مفهوما مركزيا في الفكر الأنثروبولوجي. وأساسه الدعوة إلى قبول الاختلاف الذي سيحقق فهما أفضل للهوية الإنسانية.

3-3 الاتجاه الوظيفي: ترتبط الوظيفية بالتراث العلمي الاجتماعي كما أسّسه (ايميل دوركايم: 1917- Emile Durkheim 1858)، وهو اتجاه يستند إلى ضرب من المماثلة بين المجتمعات الإنسانية والكائنات البشرية، إذ تُعد الثقافة بمثابة كيان كليّ وظيفي يماثل الكائن الحي، بحيث لا

يمكن فهم الدور أو وظيفة أي عضو من أعضائه إلاّ في ضوء علاقته بباقي أعضاء الجسم وبالتّالي يمكن دراسة الدور أو الوظيفة اتي يؤديها كل عنصر ثقافي. والأساس النّظري لهذا الاتجاه هو استبعاد المنظور التاريخي التطوري من جهة والمنظور الجغرافي الانتشاري من جهة أخرى.

إنّ نقطة التركيز الأساسية لهذا الاتجاه هي دراسة الثقافات في واقعها وزمانها الحالي، لذلك رفض الوظيفيون المنهج التاريخي الذي لا يضمن في نظرهم علمية دراسة الثّقافات الإنسانية. وهكذا تمثل الوظيفية نوعا من التحول في النموذج التّحليلي على أساس أنّ التمشي النظري في التحليل الوظيفي في الأناسة هو اعتبار أنّ السلوك الإنساني استجابة لحوافز الأفراد، بمعنى أن كل سلوك يفهم داخل النسق.

إنّ العناصر الثّقافية التي تنشأ عن ذلك السلوك تترابط في أنساق تتحدّد بحسب وظيفتها في اشتغال ذلك النسق، ولذلك يمكن القول إنّ الاتجاه الوظيفي يعتبر المجتمع جملة من الأنساق تحوي داخلها مؤسّسات اجتماعية مترابطة، أداتيا وغائيا.

من الناحية المنهجية، ركّزت الوظيفية على دراسة مؤسّسات المجتمع، في الواقع الاجتماعي، وذلك بالتركيز على الإقامة في الوسط المدروس والامتناع عن المقارنة، والعودة للتاريخ كما يفعل الاتجاه التطوري.

إنّ الباحث الذي يتبنّى الاتجاه الوظيفي يتناسى ثقافته وينقطع عن مجتمعه الأصلي، ليندمج كلّيا في المجتمع المدروس، على غرار (مالينوفسكي: 1942 -1854 Malinowski) الذي يعتبر من مؤسّسي الأناسة الاجتماعية البريطانية، التي ركّزت على الدراسة العينيّة للمؤسّسات الاجتماعية في بدايتها. فعالج في أطروحته لنيل الدكتوراه العائلة عند سكّان أستراليا الأصليين سنة 1916. وله أيضا دراستان عنوان الأولى "الجريمة والعرف في المجتمع الهمجي" وعنوان الثّانية "الحياة الجنسية في شمال غربي ماليزيا" ودرس فيها أنظمة القرابة (أمومية النسب). وقد بيّن أنّ الحياة الجنسيّة تعتمد على معايير تحرّم نوعا من العلاقات وتحلّل نوعا آخر. ولاحظ "ماليونفسكي" أنّ التصرف في التحريم والقمع المسلط على الحياة الجنسية يختلف من مجتمع إلى آخر. فالرغبة المحرّمة في بعض المجتمعات لا تكون موجهة إلى الأم بل إلى الأخت وهو ما يوجه العداوة وجهة أخرى غير الوجهة التي تحدّث عنها فرويد: (-Sigmund freud 1856 1939) في إطار ما أسماه "عقدة أوديب"، وقدّم مقابل ذلك تفسيرا وظيفيا، توصّل من خلاله إلى أنّ تحريم العلاقات الجنسيّة المكونة للعائلة النوويّة (الأم والأبناء والأخوة والأخوات)، يمنع ما قد ينشأ من صراعات داخلية بسبب الغيرة والتنافس، وهذا ما يحفظ تماسك الأسرة ويمنع تفكك أواصرها».(ناصر ابراهيم،1985، ص96).

اكتملت النظرية الوظيفية عند "ماليونفسكي" في البحوث التي نشرت بعد مماته سنة 1942 في كتابه "نظرية علمية في الثّقافة" اعتبر فيه الثّقافة « ذلك الوجه من السلوك الإنساني الذي يتعلمه الأفراد وتتقاسمه الجماعات ناقلة إياه إلى أفراد آخرين وبما يحوي الأشياء المادية المرتبطة بتلك المجتمعات وأنشطتها (الخبرات، القوانين، الأنظمة، الأفكار، المعتقدات، الأعراف)، أي ما يكوّن الأجهزة المادية والثّقافية التي تساعد الإنسان على التأقلم مع محيطه»،(فهيم حسين، مرجع سابق، ص 30). نستنتج ممّا سبق أن دعاة هذا الاتجاه الوظيفي ينظرون إلى النظام الاجتماعي بوصفه مفهوما أساسيا في تحليل الثّقافة البدائية وتقسيمها إلى عناصر جزئية تيسّر الدراسة الوظيفية وفهم الطريقة التي تسير على أساسها الحياة الاجتماعية على نحو يؤمن تماسك المجتمع واستمراره. وما ينبغي التأكيد عليه ضمن هذه الرؤية أن ثقافة أي مجتمع إنما تنشأ وتتطور في إطار إشباع الحاجات (التغذية والإنجاب والأمان). ولقد تعرضت "الوظيفية" إلى انتقادات محدّدة على أساس

نظرتها الثبوتية، لأنّها لا تعطي أهمية للتغير التّاريخي، إضافة إلى أنّها تمتنع عن المقارنة، وتؤكّد تأكيدا مبالغا فيه على خصوصيّة كل مجتمع، وهو ما يمثل وجها مقابلا للاتجاه البنيوي.

3-4 الاتجاه البنيوي: تعود بدايات الأناسة إلى أواخر القرن التّاسع عشر، حيث اكتسب شيئا من الخصوصيّة، عندما برز اهتمامها بمجتمعات المغرب العربي مما دفع إلى تطويرات برزت في أعمال الروّاد على أساس نظري أعطى أهميّة خاصّة لمسائل الطبيعة والثّقافة البدائيّة، سواء تعلّقت بالمعتقدات أو الفنون أو بالعقليات أو بأشكال التنظيم الاجتماعي، فقد عرف عن "دوركهايم" أنّه أنجز بحوثا عديدة جمعت في كتابه "الأشكال الأولية للحياة الدينية" الذي صدر سنة 1912 وركز اهتمامه على الطريقة التى تعمل بها المجتمعات الإنسانية وظائف نظمها الاجتماعية، وليس على تاريخ تطور هذه المجتمعات والسمات العامّة لثقافاتها.

تكمن أهمية هذه البحوث، في إرسائها لدعائم التحليل الأناسي "الدوركايمي" ذي الأساس الوظيفي الواضح، وقد ساعد ذلك على تطوير جملة من البحوث تولاها(مارسيل موس:1950-Marcel Mauss1872) الذي شملت اهتماماته الأناسيّة للظواهر الدينيّة، من دين وسحر وكذلك الظواهر القانونية، والاقتصاديّة، فيما يهم التبادل الخاصّ. ونشر مقالا حول "الصلاة" سنة 1909، ركّز فيه على ما تؤديه من وظيفة تعزيز المعتقد، والارتباط بالمقدّس. أما مقالته في التبادل سنة 1923، فقد بيّن فيها أنّ "العطايا والهبات" ضرورية ملزمة تسليما وتسلّما، بحيث تجسّد نوعا من الروح الاجتماعية الجماعيّة. وقد مكنته كل هذه البحوث من أن يقف على ما أسماه "كلّية الظاهرة الاجتماعية، التي تتجسّد في الجوانب القانونية والأسطورية والاقتصادية والذوقية، وهي تجسدات تحضر كلّها في عمليّة التبادل"(Mauss Marcel,1950)وقد جمعت كتابات "موس" في مؤلّف بعنوان "سوسيولوجا وأنثروبولوجا" قدّم له "كلود ليفي شتراوس" سنة 1950. لكن التطور المهم في الأناسة كان مرتبطا بجملة كتابات(لوسيان ليفي بريل: Lucian Levy Brule 1857-1939) الذي تمكن من تطوير منظور يعتمد على تعميق مقولة البدائية الواردة في مؤلفه "الذهنية البدائية La Mentalité primitive" الصادر سنة 1922، وأساس هذه النظرة هو أنّ هناك فارقا جوهريا يفصل بين الذهنيّة البدائية التي تعتمد الغيبيات (ما قبل منطقيّة لا تقبل التجربة ولا التناقض) الذهنيّة الحديثة التي تعتمد على العلم والمنطق. ولا يتجسّد ذلك في البناءات الذهنيّة فقط بل في الممارسات الاجتماعيّة التي ترتبط بالأساطير وتصورها للعالم.

إنّ أفكار "برول" قريبة من الاتجاه التطوري، وملخص اتجاهه،« أنّ العقليّة البدائية لا تتقدّم ولا تكتسب القوة المنطقيّة إلا عن طريق احتكاكها بالإنسان الأبيض، عن طريق التبشير أو الاستعمار، وهو شكل من أشكال التشويه الايديولوجي للعلوم الأنثروبولوجية»(تشايلد جوردن، 1966، ص101)، وقد عملت أفكاره على ايجاد تصور متكامل للبدائيّة ولكنّها منقطعة عن البحوث الميدانيّة التي يغلب عليها المنزع الفلسفي أكثر من المنزع العلمي بالمعنى الأناسي للكلمة.

ولكن النقد الأساسي الموجه للنظرية البدائية، وللاطلاقية الثّقافية، أتت من عالم الأناسة الفرنسي(كلود ليفي شتراوس: C- Levis –Strauss1908-2009) ففي مؤلفه"البُنى الأولية للقرابة: Les Structures élémentaires de la parenté " الصادر في طبعته الأولى سنة 1949، حاول أن يطبق التحليل البنيوي للّغة كما طوره (دي سوسير: 1913- 1857 De Saussure) معتبرا أن « بنية اللّغة وبنية التبادل، سواء كان تبادلا اقتصاديا أو تبادلا للنساء، بنيتان متشابهتان وتخضعان إلى لا وعي كامن في التصورات والممارسة أيضا». (Lévi- 1962 Strauss) إنّ قواعد الزيجات وقواعد الانتساب العائلي والسكني والميراث وغيرها يمكن تلخيصها في صيغة واحدة: استبعاد الزواج بالقريبات، بما يؤدي الى تحريم نساء محددات

ووجوب تبادلهنّ مع مجموعات أخرى، وهو ما يسميه بنية القرابة الأولية .أمّا البُنى غير الأولية فهي تبادلية أيضا، ولكنها تخضع لمؤشرات أخرى غير دمويّة وهي مؤثرات اقتصادية أو سياسية أو سكّانية. البُنى الأوّلية هي التي سمحت بحدوث ما يعتبره" شتراوس" تحول من الطبيعي الى الثّقافي، ولا يقتصر هذا التحول على ما أحدثته هذه البُنى، بل رافقه جملة من الظواهر، منها أشكال التنظيم الاجتماعية، والعلاقة بالطبيعية، مثل النار مثلا. ويبني "شتراوس" على ذلك تصور مهم جدّا هو التّالي: يقيمون من يسموا بالبدائيين، جملة من قواعد التفكير والتصورات تُنبني على تلك القواعد عند القبائل المسماة بدائية أو الباردة ، يمكن أن تكون من قبيل البدائية أو ما يسميه شتراوس نفسه (العقل المتوحش: Pensée sauvage)، « ولكن البنية التي ينبني عليها ذلك العقل، بنية مماثلة تماما للبنية التي يعتمد عليها العقل العقلاني» (Lévi- 1979,P49 Strauss,)، وهو ما يسميه " بالنّسبية الثّقافية ".

مثّل الاتجاه البنيوي إذن تطويرا هائلا للأناسة، حيث افتتحت بشكل جدي البحوث الميدانية، وبنت تحليلاتها على أساس نظرية متكاملة، كانت لها تطبيقات في الأناسة، والفلسفة والتحليل الأدبي، وعلم الدلالات ومثلت من جهة ثانية مدرسة متكاملة أسست لنوع من تجاوز العرقية الثّقافية، وأفرزت تأثيرا بينا في بناء تحليلات أناسية مثل تلك التي أنجزها(راديكليف براون: Radcliffe Brown 1881- 1955) في الاتجاه البنيوي الوظيفي، فقد جاور بين أساسيات التحليل البنيوي وبعض المقولات الوظيفية. وبلغت هذه التطويرات أقصى درجة في تعميق التحليلات الأناسية الكلاسيكية، رغم اعتبار العديد من المؤرخين، أن البنيوية ثورة على الأناسة الكلاسيكية، والأهمّ من كل ذلك أنها تختتم مرحلة في تاريخ الأناسة، وتفصل بين مرحلتين، تتمثل الثانية منهما ما بعد البنيوية.

3-5 اتجاه الثّقافة والشّخصيّة: إنّ السّياق التّاريخي لنشأة مدرسة الثّقافة والشّخصيّة هو نفس سياق المدرسة الوظيفية، ولكنّ الفارق النظري بينهما هو أنّ الوظيفية ركّزت على المؤسّسة وما هو اجتماعي، في حين أنّ مدرسة الثّقافة والشّخصية ركّزت على ما هو ثقافي. إن الاتجاه العام لمدرسة الثّقافة والشّخصيّة هو تأكيد الطابع الثّقافي للأناسة، على أساس تجاوز الاتجاه التطوري من جهة والاتجاه الانتشاري من جهة أخرى وذلك بمراعاة النّسبية الثّقافية.

إنّ السمة النظريّة لهذا الاتجاه، هي اعتبار كلّ قبيلة أو شعب ثقافة خاصّة، ولكنّ المهمّة الأساسية للباحث في هذه المدرسة، تتمثل في التركيز على انسجام تلك الثّقافة مع حياة الناس، لأنها تُقولب حياتهم سلوكا وتصورات، وتنحت ملامح الشخصيّة، ولذلك زاوجت هذه المدرسة بين التحليل الأناسي والتحليل النفسي.

من الناحية المنهجية، ركّز هذا الاتجاه على اعتماد المعاينة بالمشاركة، والتركيز على جمع البيانات العينيّة والتسجيلات المكتوبة وحتى التسجيل الصوري، ومن أعلام هذه المدرسة (روث بنديكت:Roth Benedict 1847- 1948) التي لاحظت منذ بحوثها الأولى، اختلافا بين ثقافتين هنديتين متمايزتين، الأولى ثقافة "البيما" (Pima) والتي تتسم بالتجانس والاعتدال، والثّانية ثقافة "البوبيلو" التي تتميّز بالغلو والترف. وبنت على ذلك نظرية عرّفتها في كتابها " نماذج ثقافية "نشرته سنة 1934 طبقتها على قبائل هندية، فقسمتها إلى قبائل ذات ثقافة من النمط الأبولوني،(نسبة إلى إلاه الجمال عند الاغريق) وقبائل ذات النمط الدينوزوسي، نسبة إلى (إلاه النبيذ والكروم). في المجتمع الأوّل، تكون الشّخصية لطيفة ومتحفظة وغير استعراضية وقريبة من الانطواء. أمّا في المجتمع الثاني تكون الشّخصيّة عدوانية وانفعالية. ولكن هذه الأنماط موجودة أيضا في مجتمعات أخرى، وقد لاحظتها الكاتبة مثلا في المجتمع الياباني في كتابها "الأقحوان والحسام" الصادر سنة 1946، وقد بحثت في علاقة الثّقافة بالشّخصية اليابانية، وخلصت إلى أنّ "ثمة علاقات قائمة بين النموذج الثّقافي العام ومظاهر الشخصية، وهذا ما ينعكس لدى الأفراد في

تلك المجتمعات"(الغامري محمد حسن،1989، ص42)، وكان من نتائج ذلك ظهور مدرسة ثقافية نفسية من أعلامها (مارغريت ميد Margaret Mead 1901- 1979) التي درست قبيلة" الساموا" (Somoa) في دراسة موسومة "بسن البلوغ في الساموا "سنة 1928، وبيّنت أنّ هذه القبيلة لا تعيش أزمة المراهقة، مركّزة على أنّ ما يميّز ثقافة ما، « هو المزاج الثقافي الّذي يميّز بين الثقافات» ،(وصفي عاطف، 1971، ص35)، وهو تميز يشبه التمييّز الذي بينته "بنديكت" مثلا، حول مجتمع "الأرابيش" (Arapech) بغينيا الجديدة، حيث يعيش النّاس على الزراعة والمرعى وينشئون أطفالهم نشأة لينة دون قسوة. ويغلب على هذا المجتمع الدّعة والهدوء وهو أقرب للنمط الأنثوي، هذا الطابع السلوكي السلمي، لا يمكن أن نجده مثلا بين قبائل (المندوجوم: Mandigumos) المحاربين، وذلك لأنّ ظروف بيئتهم الكليّة مختلفة كل الاختلاف،« فهم يعيشون على الصيد وحياتهم محفوفة بالأخطار، لذلك ينشأ أطفالهم على حب الصراع والمنافسة، وشخصياتهم عدوانية وتسلطيّة، مليئة بالتنافس وحب السيطرة. هذا النموذج الثّقافي يختلف عن نموذج قبائل" تشمبولي" (Tchambulie) المجاور، حيث يعيش الرّجال والنساء في حيّين منفصلين، وتقوم النساء بالنصيب الأكبر من النشاط الاجتماعي والاقتصادي، فيستأثرن بالسلطة ويفرضن سلطاتهن على الرجال»(الخشاب أحمد، 1970، ص215)، أمّا مجتمع "الشانبولي" فيه فروقات واضحة، إذ تتصف شخصيات الرّجال فيه بالوداعة واللّطف والعاطفة، في حين تتصف شخصية النساء بالحدّة والنشاط.

إنّ الاستنتاج الأساسي الّذي توصّلت إليه "ميد" هو أنّ هذه الشّخصيات تبنيها الثّقافة، بحيث نجد أنّ المميّزات النفسيّة للرجال والنساء ترتبط بنماذج ثقافية محدّدة، وهو ما طوره (أبرام كاردينار:Abraham Kardiner 1891-1981) في دراسة بعنوان "الفرد ومجتمعه" سنة 1939 التي استخدم فيها مفهوم الشخصية القاعديّة بمعنى أنّ الثّقافة هي كل متفرّد شامل وكلّ فرد فيها يكون تصوره لنفسه ولمجتمعه على مقاس الصورة التي يفترضها المجتمع بحيث يتكون قاسم مشترك بين الشخصيات الفرديّة عند كل جماعة اجتماعية معيّنة هذا القاسم يسمّى شخصيّة قاعديّة، وهي مجموع الخصائص والسّمات النفسيّة المشتركة بين أفراد ثقافة واحدة، وهذه الخصائص تميزهم عن غيرهم. وهي نتاج شبكة من العوامل الاقتصادية والاجتماعيّة تتبلور من خلال علاقة الأفراد بمحيطهم بمختلف أبعادهم.

رابعا- فروع الأنثروبولوجيا:

إنّ شمولية اصطلاح الأنثروبولوجيا وترامي أطرافه، وتعدد حقوله وتنوع مجالاته وتشابك فروعه وتقاطعها، (رغم اختلاف الرّهانات التي تتحدد وفق الأرضية المعرفية لبلورة المفاهيم)، تجعل من محاولة ضبط الخطوط الكبرى التي تحدّد الفروع الأساسية للأنثروبولوجيا العامّة أمرا اشكاليا إلى حدّ ما. ونحن سنعتمد قراءة ترى في ستينات القرن الماضي وسبعيناته، بداية تبلور مبادئ الأنثروبولوجيا وأهدافها وظهور محاولات جادة، ذات أسس نظرية وأدوات منهجية واضحة، ثمّ انبثاق مبحثٍ أكاديميٍ ساهم في تحقيق الاستقلالية المعرفية، ولقد وضعت فروعٍ لهذا الحقل، من أجل تحقيق علمية هذا الاختصاص الوليد. فظهرت نتيجة لذلك تصنيفات متعدّدة، خضع أغلبها إلى المرجعية الثّقافية والأطر المعرفية. وسنعتمد تقسيما « يرى في الأنثربولوجيا علم دراسة الإنسان طبيعيا، واجتماعيا وحضاريا (ثقافيا)» (سليم شاكر، 1981، ص56)، هذا التعريف قد يحسم لنا تشعّب أقسام الأنثروبولوجيا وتعدّد فروعها، التي يمكن تحديدها في ثلاثة فروع رئيسيّة: الطبيعية(العضويّة)والثّقافيّة والاجتماعية. وتقسيمنا هذا، مردّه إلى الخاصيّة الأساسية للأنثروبولوجيا، بماهي نظرة كلّية للإنسان، وبذلك تصبح الأنثروبولوجيا منهجا، يسعى إلى تجميع المعرفة بالإنسان في جوانبه المتعدّدة. هذا هو في الأصل المبرّر المنهجي الذي اخترنا.

1-4 الأنثروبولوجيا الطبيعية أو العضوية: في الأصل، وكما تبين التسمية ارتبط هذا الاختصاص بالعلوم الطبيعية، ولكنه امتدّ ليشمل العلوم الاجتماعية، ثمّ أصبحت اختصاصا رئيسيا في الأنثروبولوجيا. وتعرف بأنها، العلم الذي يبحث في السمات العضوية للإنسان، وما قد يطرأ عليها من تغيرات بفعل تأثيرات البيئة، والمكونات الوراثية. كما يهتم بالسلالات الإنسانية من جهة البحث في الأنواع البشرية ومميزاتها. وحتى نستطيع فهم الإنسان باعتباره نتاج لعملية عضوية، علينا فهم تطوّر أشكال الحياة، وطبيعتها، وكذلك خصائص الإنسان القديم والإنسان الحديث«وقد استطاع هذا الحقل العلمي – من هذه المحددات – أن يجيب عن العديد من التساؤلات، التي كانت موضع اهتمام الإنسان وتفكيره منذ القديم وحتى العصر الحاضر».(رياض محمّد، 1974، ص12)، وتنقسم الأنثروبولوجيا العضوية بدورها إلى فرعين رئيسيين بحسب طبيعة الدراسة:

2-4 فرع الحفريات البشرية: يتناول بالبحث الجنس البشري، بما هو نتاج لسلسلة معقدة من التطور، ودراسة التنوع البيولوجي عند الإنسان ومدى دلالاته، بالاعتماد على ما يقع اكتشافه من الحفريات والآثار والمعمار القديم، وذلك بغية الاحاطة العلمية بالإنسان وتحليل تلك المكتشفات ومعرفة دواعي التغيرات الممكنة في السّمات الفيزيقية للإنسان وتأثير العوامل الايكولوجية على البنية العضوية للإنسان، وعلى وضعيته الديموغرافية، إنّ الهدف الرئيسي لهذا الفرع البحثي هو محاولة الاجابة عن أسئلة من قبيل:« كيف تغير الإنسان وتطورت الحياة على الأرض وصولا إلى شكلها الحالي؟، (ناصر ابراهيم، 1985، ص32)، وقد أجابت العديد من الحفريات عن أسئلة هذا الحقل المعرفي، لعل أهمّها أن إنسان العصور الغابرة كان يعيش على الأرض منذ ما يناهز نصف مليون سنة، ويختلف عن إنسان هذا العصر، من حيث كبر الحجم، وقوة البنية، بالإضافة الى بروز فكيه، وغور عينيه وعرض جبهته.

3-4 فرع الأجناس البشرية: يدرس هذا الفرع العلمي الملامح الأساسية، والفروقات الجسمية الممكنة بين إنسان القرون الماضية وإنسان اليوم، ومحاولة رصد الأسباب المحتملة لهذه الفروقات. كما تجاوزت تلك المقولات الأنثروبولوجية العرقية السائدة التي تصنف الأجناس البشرية على أساس لون الجلد وشكل الشّعر لتؤسس لفروقات أوثق ارتباطا بميدان البحث، « فقد بدأت تدرس الفوارق بين الفئات المختلفة على أساس سرعة النمو، والسن، والنضوج الجنسي، ومدى المناعة ضد الأمراض» (لينتون رالف، 1967، ص18- 19)، وبناء على ذلك، فإن فرع الأجناس البشرية يدرس التغيرات البيولوجية التي تحصل بين مجموعات إنسانية في مناطق جغرافية مختلفة، على أساس تشريحي ووراثي، واعتمادا على المقارنة مع الهياكل العظمية للإنسان القديم. ولقد ساعد ذلك على بناء نماذج وإنشاء تصنيفات بشرية على أسس علمية. واستعانت بشبكة معقدة من العلوم، مثل علم التشريح والجغرافيا الحيوية، وعلم الجيولوجيا، حتى تتحقق أهداف الأنثربولولوجيا العضوية في دراسة أصل الإنسان دراسة تاريخية، تعتمد منهجية علمية، حتى عداها البعض بعلم الاحياء الإنسانية.

واستنادا على ما تقدم، نخلص إلى أنّ الأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعية) تتناول بالدراسة « جملة الخصائص والملامح العامّة للبنية الفيزيقية للإنسان»(اسماعيل محمد قباري، 1973، ص42)، بمعنى أنها المسلك العلمي الذي يدرس التّاريخ العضوي للإنسان الطبيعي، وملامحه البنائية الحالية والمنقرضة، وهو ما يرسم لنا في النهاية، المراحل التطورية للجنس البشري. ولكن على الرغم من الصفات الجسمية المشتركة بين البشر، إلاّ أنّ ثمّة اختلافات في خصائصها وتكوينها، تتأثّر إلى حدّ ما بالبنية النفسيّة والسلوكية للإنسان، واعتمادا على الاختلافات الشكليّة والسلوكيّة، وقع تقسيم البشر إلى ثلاثة أجناس رئيسيّة.

ورغم ما تمثّله تلك التقسيمات من عوامل أساسية في التمييز بين الأفراد والمجتمعات، فإنّ ذلك لم يمنع علماء الأنثروبولوجيا اليوم من اعتماد العوامل الاجتماعية والتربوية، في تفسير

الاختلافات والفروقات بين الأفراد والشعوب، ويضرب في العمق المقولة التي تدعي أنّ تقدّم أي شعب هو دليل على ذكائه، وقدراته الفطريّة.« ولذلك يولون أهميّة قصوى إلى عوامل البيئة الطبيعيّة والاجتماعيّة» (لينتون رالف، 1967، ص59)، في تكوين شخصيّة الإنسان وما العوامل الوراثية إلا مساعدة فقط.

4-4 الأنثروبولوجيا الثّقافية: يمكن القول إنّ المشروعية العلمية لهذا الاختصاص الوليد، ظهرت في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، نتيجة لأبحاث العالم الأنثروبولوجي الانكليزي (إدوارد تايلور: Edward Taylor 1832-1917) الذي ابتكر أول تعريف للثقافة، وعدّه مفهوما أنثروبولوجيا في مؤلفه الشهير "الثقافة البدائية: "Culture Primitive " وقد انطلق فيه من وجهة نظر تطورية تقول أنّ « الثّقافة تطورت من الشكل غير المعقد، إلى الشكل المعقد نسبيا»،(أبو زيد أحمد، 1978، ص38-40)، وهي نظرة تتفق مع "لويس مورقان"، فالاهتمام الرئيسي لهذا المجال البحثي، هو محاولة الاجابة عن سؤال مركزي في الأدبيات الأنثروبولوجية وهو: أين تنتهي الطبيعة وأين تبدأ الثّقافة، وماهي العلاقة بينهما؟.

وبشكل عام يمكن تعريف الأنثروبولوجيا الثّقافية بأنها فرع بحثي يدرس الإنسان في ثقافته داخل مجتمعه، وما يبتدعه من أدوات وأجهزة مادية كانت، أو روحية ماضيا أو حاضرا بغية فهم دلالاتها، وهي تعتبر أن كل فرد له ثقافة ما، ويمارس سلوكيات تتوافق مع سلوكيات الجماعة الاجتماعية المنضوية في محيطها، كما تبحث في الخصائص المتشابهة والعلاقة بين الثّقافات، وعلى هذا الأساس، فإن الأنثروبولوجيا الثّقافية تهتم بدراسة أصول الثّقافات الإنسانية في تغيرها وتمازجها، وصفا وتحليلا وتفسيرا لتنظر في وتيرة تطورها ونموها في مجتمع محدّد.

وعلى الرّغم من تنوع الظاهرة الثقافيّة وتعقّدها واختلافها وتعدّد أبعادها وتنوع تجاربها، (لأنّها تتبلور في الزمن وتصنع تاريخ المجتمعات وترسم موقعا للإنسان في محيطه)، فقد اتفق الأنثروبولوجيون على تقسيم الأنثروبولوجيا الثّقافية إلى أربعة أقسام لعلّ من أهمّها:

4-4-1 علم اللّغويات واللّسانيات: هو العلم الّذي يبحث في تركيب اللّغات الإنسانية المنقرضة والحيّة المستعملة كالعربية والفرنسية والإنجليزية عامية أو فصحى، والاهتمام الرئيسي ينصبّ على العلامات اللّغوية ونظامها الداخلي وعلاقها بالمجتمع والواقع. يقول " كلود ليفي شتراوس": « حين نقول الإنسان، فإنّنا نعني اللّغة، وحين نقول اللّغة... فإنّنا نقصد المجتمع ...» (شتراوس ليفي كلود، 2003)، فاللّغة إضافة لكونها طريقة للتخاطب، والتواصل بين أفراد مجتمع ما، وبين الثقافات، فهي رموز صوتية، وأشكال لغوية، متفق عليها وتكتسب بالتعلّم... وهي وعاء لنقل التراث الثّقافي. وهذا ما دفع "شتراوس" إلى توظيف مناهج اللّغويات وأساليبها الحديثة في تحليله للعناصر الثّقافية. وهذا ما جعله يعطي الكلمة (الدال: Le signifiant) أهمية أكثر مما أعطاه للمعنى (المدلول:Le signifié) «ولا سيما أنّ الدال الواحد (الكلمة الواحدة) قد يكون له مدلولان مختلفان لشخصين مختلفين نظرا لاختلاف تجاربهما بل أنّ الدال الواحد قد تكون له مدلولات مختلفة بالنّسبة لذات الشخص وفي أمكنة وأزمنة مختلفة». (أبو زيد حامد، 1978، ص 86). يهتم علماء أنثروبولوجيا اللّغة بدراسة الاختلافات في اللّغة الواحدة، لاكتشاف النماذج الفكرية المتنوعة في الثّقافات ودراستها في سياقها الاجتماعي لتبيّن كيف يعكس الكلام التمايزات الاجتماعية القائمة. ولذلك نراهم « يتناولون مبحث اللّغة في سياقها الاجتماعي والثّقافي، وفي صيرورتها المكانيّة والزمنيّة، بهدف البحث عن الأسس العامّة للغة وربطها بالتمثّلات الساكنة في الدماغ الإنساني». (وصفي عاطف، 1971، ص 10).

4-4-2 علم أصول اللّغات: يهدف هذا المبحث إلى تحديد أصول اللّغات الإنسانية، ويختص بالجانب التاريخي المقارن، وذلك بدراسة العلاقات الخارجية بين اللّغات. كما يهتم بالبحث في مورفولوجية اللّغة على اعتبار أنّ اللّغة ليست مجرد أداة للتواصل فحسب، وإنما هي كذلك وسيلة

لتصنيف الخبرات، بمعنى أنّ الإنسان على الرغم من استخدامه لغة واحدة، يقوم بطريقة غير واعية بانتقاء المعاني التي يستخدمها، وذلك لعدم قدرته الاستجابة الدقيقة لمنبهات محيطه الخارجي.

3-4-4 علم الأثار القديمة: يبحث هذا الفرع من الأنثروبولوجية الثّقافية، في الأصول الأولى للثقافات الإنسانية وخاصّة منها المنقرضة، ويعنى بتحليل آثارها ومخلفاتها بغية كشف التسلسل التّاريخي للأجناس البشرية. ويعتمد باحث الآثار على الإرث الثقافي للإنسان القديم، لدراسته، ومحاولة تفسير التغيّرات والتطورات التي طرأت عليه، وإدراك عوامل ازدهار حضارة، وانهيار أخرى، قصد بناء نماذج عن الحياة الاجتماعية التي عاشتها الثّقافات ما قبل التّاريخ، والملاحظ أنّ علماء الأثار- الأنثروبولوجيون- يستفيدون من أبحاث علماء الجيولوجيا والجغرافيا الحيوية والمناخ والأنثروبولوجيا العضوية (الطبيعية)، للتحقق من هوية الآثار المكتشفة ومن تاريخ وجودها، وبوجه عام يمكن القول إن علماء الآثار القديمة، يحاولون البحث في تلك المرحلة من ماضي الثقافات القديمة التي لم تعرف الكتابة، والمسمّاة بالبدائيّة أو المستكشفة وما رافقها من تغيرات ثقافية.

4-4-4 علم الثّقافات المقارن (الإتنولوجيا): تعتبر الإتنولوجيا من أقرب الفروع البحثية إلى طبيعة الأنثروبولوجيا وذلك على أساس تقاطعهما في ما يهمّ دراسة الشعوب، وتقسيمها على أساس خصائصها وميزاتها الثقافية والاقتصاديّة، بما في ذلك من عادات ومعتقدات ومنتجات مادّية ومعنويّة، وعلى هذا الأساس، « يمكن اعتبار الإتنولوجيا فرعا من الأنثروبولوجيا العامّة فهي تبحث في نشأة السلالات البشريّة، وأصولها، كما تدرس خصائص الشّعوب اللّغويّة والثّقافية»(اسماعيل محمد قباري، 1973، ص42)، لذلك يعرف كلوكهون الإتنولوجيا بأنّها "دراسة الثّقافة على أسس مقارنة، باعتماد نظريات وقواعد ثابتة، قصد استخلاص تعميمات نظرية ومنهجيّة عن أصل الثّقافات وتطورها، وأوجه الاختلاف والإتلاف في ما بينها، ودراسة أصول هذه الثقافات والمجتمعات الإنسانيّة وتاريخها ورصد وتيرة تطورها ونموها وأدائها لوظائفها وتحليل انتشارها تحليلا تاريخيا"(كلوكهون كلايد، 1964، ص31).

ولا تقتصر المباحث الإتنولوجية على المجتمعات البدائيّة فقط، بل تهتمّ بطرائق حياة المجتمعات التي تتوفر لدينا عنها معطيات ومعلومات، باعتماد أدوات تحليليّة، لعلّ من أهمّها مصطلح الثّقافة الذي يعدّ من المفاهيم المركزية التي يتعامل معها الباحث الإتنولوجي. لهذا المفهوم "يمكن دراسة بعض العادات والنظم والقيم والتقاليد مثل: المجتمعات الأمومية أو الأبوية النسب وطرائق الزواج، وكيفيّة اشباع الحاجات"(حمدان محمد زايد، 1998، ص103)، ويمكن أن نجمل أهداف عالم الإتنولوجيا في أنّه يحاول أن « يفهم كيف تعمل المجتمعات والثّقافات وكيف تتغير ولماذا؟ للوصول إلى جملة من التعميمات أو"القوانين" لتساعد في التنبؤ بسير الأحداث لغاية التحكّم فيها في النهاية»(لينتون رالف، 1967، ص 27).

لقد شكلت الإتنولوجيا ما يمكن الإشارة إليه بالأنثروبولوجيا المعاصرة، ولم تعد تقتصر دراستها على المجتمعات صغيرة الحجم أو الثّقافات غير الغربية، وإنّما توسعت لتشمل الثّقافات

والمجتمعات على اختلاف حجمها وموقعها وأدّى هذا التنوع إلى تقاطع الدّراسات، وتضاربها أحيانا، علاوة على التمسّك المفرط بالنواحي المنهجية، وكيفيّة دراسة الثقافات الإنسانيّة أكثر من ابتداعها إلى نظريات علميّة.

5-4 الأنثروبولوجيا الاجتماعية: نشير بداية إلى أنّ المدرسة الأنثربولوجية الأمريكية، تعتبر الأنثربولوجيا الاجتماعية فرعا من الأنثروبولوجيا الثّقافية، وحجتها في ذلك أنها تبحث في العلاقات الاجتماعية التي هي في الأصل عنصر من عناصر الثّقافة، وهذا ما عبّر عنه صراحة "إيفا نز بريتشارد" أحد المنظرين الأوائل للأنثروبولوجيا الاجتماعية بالقول إنها العلم « الذي يدرس السلوك الاجتماعي الذي يتخذ في العادة شكل نظم اجتماعية مثل العائلة ونسق القرابة والتنظيم السّياسي والإجراءات القانونية والعبادات الدينية وغيرها، كما تدرس العلاقة بين هذه النظم، سواء في المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية، دون تحديد للحظة التاريخية أو الموقع الجغرافي. كما تدرس العلائق الممكنة بين هذه المؤسّسات في المجتمعات المعاصرة ونظيراتها التاريخية التي لنا عنها معطيات كافية، يسمح معها القيام بدراسات»(برتشارد إيفا نز ادوارد، 1975، ص13)، وتُولي هذه المدرسة اهتماما ملحوظا للبناء الاجتماعي، وما أنتجه الإنسان من نظم مؤسّساتية وعلاقات، بغية فهم دلالاتها، واستقراء معانيها. وهذا يمكّن من القيام بأبحاث ميدانية، وإجراء مقارنات لكثير من النّظم الاجتماعية، تؤدّي إلى إنشاء نماذج نظرية، لتحليل وظائف الأبنية الاجتماعية وتفسيرها وفهمها في مستوياتها الاقتصادية والسّياسية والدينية، ماضيا وحاضرا. وأدى هذا إلى ولادة تخصصات فرعية من رحم الأنثروبولوجية الاجتماعية، مثل أنثروبولوجيا القرابة والأسرة وأنثروبولوجيا الدين وأنثروبولوجيا الاقتصاد وأنثربولوجيا النظم السّياسية، وغيرها من التخصّصات التي حافظت على الاطار العام للجهاز المفاهيمي والتمشي المنهجي للأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولكن العودة الى التّاريخ تبين لنا أنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية. عرفت مراحل مهدت لولادة حقل معرفي استند إلى مرجعيات علمية ومدارس فلسفية متباينة ساهمت في بلورة الارهاصات الأولى لخطاب أنثروبولوجي اجتماعي يعتمد تنوع المناهج واختلاف المقاربات نظرا لاكتساحها فضاء الإنسان ومجال نشاطه.

تعود بدايات الأنثروبولوجيا الاجتماعية الى سنة 1980، حين تشكل المصطلح مع "جيمس فرايز". ولقد أراده مبحثا يدرس البُنى الاجتماعية. ولكن قبل هذا التّاريخ متحت الأنثروبولوجيا الاجتماعية من الإرث الفرنسي كما هو لدى سان سيمون(saint Simon 1760-1825) ، و(أقست كونت:Auguste Comte 1789-1857) في سعيهما لإيجاد علم يدرس العلاقات والوقائع الاجتماعية، أوفي "روح القوانين" (مونتسكيو: Montesquieu 1689- 1755) حول الأبنية الاجتماعية. فقد بين فيها أن المجتمع وما يحيط به، يتكون من مجموعة نظم مترابطة ارتباطا وظيفيا، متناسقا، تساعد على فهم القوانين العامّة لدى شعب من الشّعوب، « ولا يكون ذلك إلا إذا درسنا العلاقات التي تتحكم في تلك النظم، البيئية والاقتصادية والسكّان والمعتقدات والنسق القيمي السائد»(الجباوي علي، 1982، ص101)، في المقابل، كانت التأثيرات

الأنجلوساكسونية أكثر وضوحا وطموحا، حيث برزت بوادر دراسات مهدت لقيام الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ومن أهمّها محاولات (دافيد هيوم :David Hume1711- 1776) و(أدم سميث، Adam Smith1723-1790)، اللّذين نظرا الى المجتمع وأنساقه، باعتباره معطى طبيعيا، لا متشكلا إنسانيا، وما يفرضه ذلك من تطبيق لمناهج العلوم الطبيعية، التي تقوم على التجريب والاستقراء، والابتعاد عن مناهج الفلسفة، وقد مهد ذلك إلى الاهتمام بالمجتمعات البدائية، وبروز أطروحات فكرية تفاضلية تعلي من شأن المجتمع والإنسان الأوروبيين. ومقابل ذلك تمّ الحط من قيمة الإنسان البدائي على أساس اختلاف سلوكه وبنيته الاجتماعية عن الإنسان الأوروبي المتحضّر. المثال على ذلك الهنود الحمر في أمريكا. تتمثل قيمة هذه التوجهات في كونها مكنت من بداية الاهتمام بالنظم الاجتماعية الذي سيكون مقوّما أساسيا لظهور الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

مثّل تاريخ الأنثروبولوجيا الاجتماعية لحظة فارقة في تاريخ الاختصاص ومرحلة انتقالية ما بين الأنثروبولوجيا الكلاسيكية، (التي كانت تعتمد على التخمينات والتفسيرات النظرية) وبين نظيرتها الحديثة التي بدأت مع النصف الثّاني من القرن العشرين واعتمدت على الدّراسات الميدانية والدّراسات التحليلية التي تُعنى بالجوانب الاجتماعية والثّقافية المكونة للفكر الأنثروبولوجي، وقد أدى ذلك بالتّالي إلى ظهور مبحث أكاديمي له أصوله وقواعده العلمية. وتعزّز تقدمها وتوضّحت أهدافها خاصّة في الجامعات الأنقلوساكسونية نظرا لطبيعة المرجعيات الثّقافية السائدة هناك.

إنّ الرّهان الأصيل للأنثروبولوجيا الاجتماعية هو التوصل إلى بناء نماذج (Model) للأبنية الاجتماعية على غرار الواقع الاجتماعي، ولكنه ليس مطابقا له. وهدفه المساعدة على التصنيف المنهجي للأنساق الاجتماعية وتفهّم ملامح أنساق معينة والوصول إلى تعميمات نستطيع من خلالها تفسير طبيعة المجتمعات البشرية وفهمها. وتتمثل هذه المفردات في العشيرة والقبيلة والدولة والمجتمع. وهي من أهم النماذج الأساسية للبنية الاجتماعية العامّة التي توصل إليها "رادكليف براون"، وبواسطتها حدّد الأشكال الرئيسية للأسرة، وخطا خطوة مهمة نحو الوصول الى نماذج عامّة وقوانين اجتماعية تفسر التنوّع في البُنى الاجتماعية المختلفة على غرار ما هو معمول به في العلوم المسماة صحيحة. نظيف إلى ذلك الجوانب الوصفية المعتادة. إنّ الأنثروبولوجيا الاجتماعية تسعى إلى محاولة تحديد مظاهر الترابط بين النظم الاجتماعية من جهة، ورصد التفاعل المتبادل فيما بينها من جهة ثانية.

لقد استطاعت العلوم الأنثروبولوجية كغيرها من العلوم الإنسانية والاجتماعية المجاورة، التطرق لمفهوم ما الإنسان؟ غير أنّها بقيت قاصرة عن الإجابة عنه في كليته باعتبار أنّ الإنسان كائنا نوعيا في بنيته، والثقافات مختلفة عاداتا وتقاليدا ونُظما.

خاتـــــمة:

واستناداً إلى ما تقدّم يمكن القول إنّ الرحالة العرب أسهموا بفاعلية كبرى في معالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي يمكن أن تُدرج في الاهتمامات الأنثروبولوجية، ولا سيّما التنوّع الثقافي (الحضاري) بين الشّعوب سواء بدراسة خصائص ثقافة أو حضارة بذاتها أو بمقارنتها مع ثقافة أخرى. ولكن على الرغم من اعتبارها مصادر للمادة الأثنوجرافية التي درست أسلوب الحياة في مجتمع معيّن وخلال فترة زمنية محدّدة ولا سيّما العادات والقيم وأنماط الحياة، فإنّ الأنثروبولوجيا التي تبلورت في أواخر القرن التّاسع عشر كعلم جديد معترف به لم تكن ذات صلة تذكر بهذه الدراسات. ومن جهتنا يمكن القول أنّ ما بلغته الأنثروبولوجيا اليوم هو نتيجة مسار بحثي وتراث مشترك من الوصفيات بين ثقافات متعدّدة مكّن من تطوير هذا التراث الاثنوجرافي العفوي إلى خطاب علمي متعدّد الحلقات ومختلف المحطات. وكان المنطلق عن محاولات

التأسيس النظري، وتبلور المصطلح المترامي الأطراف والمتعدّد الحقول والمتنوع المجالات، وتشابكها وتقاطعها، واعتمادا على مبدأ التخصصّ، ركّزت الأنثروبولوجيا بحوثها على مجالات محددة، وهو ما جعل بعض فروعها تكتفي أساسا بمجال اختصاصها. فقد درس الإنسان من زاوية ذرية وتجزيئية. وهذا يطرح جملة من الأسئلة، من قبيل، إلى أي حدّ استطاعت العلوم الأنثروبولوجيّة أن تجيب عن سؤال ما الطبيعة؟ ما الثّقافة؟ في مناخ استعماري تفاضلي، يُقر بالمركزية الثّقافية.

قائمة المراجع:

1. ابن بطوطة محمد بن عبد الله(1968)، رحلة ابن بطوطة: تحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم، بيروت.
2. ابن جبير محمد بن أحمد الأندلسي(2008)، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، الطبعة الأولى، تحقيق علي كنعان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، الإمارات.
3. ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد (د. ت)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
4. ابن فضلان أحمد ابن العباس(1959)، رسالة ابن فضلان، تحقيق سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق.
5. الإدريسي محمد بن عبد الله(2002)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الجزء الخامس من الإقليم الخامس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
6. البكري أبو عبيد عبد الله بن محمد(1992)، المسالك والممالك، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
7. التيجاني أبو محمد عبد الله بن محمد(2005)، رحلة التيجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس.
8. المسعودي أبو الحسن بن علي(2005)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، الطبعة الأولى، مراجعه كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
9. المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد(1906)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت، لبنان.
10. أبو زيد أحمد(1978)، محاضرات في الأنثروبولوجيا الثّقافيّة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
11. برتشارد إيفا نز ادوارد(1975)،الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة أحمد أبوزيد، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، الاسكندرية.
12. تشايلد جوردن(1966)،التطور الاجتماعي، ترجمة لطفي فطيم، مؤسسة سجل العرب، القاهرة.
13. الجباوي علي(1996)،الأنثروبولوجيا،علم الإنسانة، جامعة دمشق.
14. الخشاب أحمد(1970)، دراسات أنثروبولوجيّة، دار المعارف، القاهرة.
15. رياض محمّد(1974)، الإنسان: دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية، بيروت.
16. سليم شاكر(1981)، قاموس الأنثروبولوجيا، جامعة الكويت، الكويت.
17. الغامري محمد حسن(1989)، المدخل الثّقافي في دراسة الشّخصيّة، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.
18. فرايزر جيمس(1971)، الغصن الذهبي، ترجمة أحمد أبو زيد وآخرون، الهيئة المصريّة للتأليف والنّشر، القاهرة.
19. كلوكهون كلايد (1964)، الإنسان في المرآة: علاقة الانثروبولوجي بالحياة المعاصرة، ترجمة شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد.
20. ليفي شتراوس كلود(2003)، مداريات حزينة، الطبعة الأولى، ترجمة محمد صبح، دار كنعان للدّراسات والنّشر، دمشق.
21. لينتون رالف(1967)،الأنثروبولوجيا وأزمة العلم الحديث، ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت.

22.محمد قباري اسماعيل(1973)،الأنثروبولوجيا العامّة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
23.ناصر ابراهيم(1985)،الأنثروبولوجيا الثقافية: علم الانسان الثّقافي، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
24.وصفي عاطف (1971)،الأنثروبولوجيا الثّقافية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
25.فهيم حسين(1986)، قصّة الأنثروبولوجيا: فصول في تاريخ الانسان، سلسلة عالم المعرفة، العدد 198، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت.
26.Poirier Jean (1974) , L'histoire de l'ethnologie, coll. « que sais-je ?, PUF, Paris
27.Richard Leakey et Roger Lewin (1985), Les origines de l'homme, Flammarion , Paris
28.Mauss Marcel (1950), Sociologie et anthropologie, Paris, PU.
29.Lévi-Strauss Claude (1979), Anthropologie structurale, Plon, Paris.
30.Lévi-Strauss Claude (1962), Les structures élémentaires de la parenté, Plon, Paris
31.What is Anthropology? www.aaanet.org

القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام

Caravans through the Sahara and their role in spreading Islam

د.قاسمي بختاوي، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف – الجزائر

ملخص: أتناول في هذا الموضوع القوافل التجارية التي كان يسيرها المسلمون عبر الصحراء الكبرى ودورها في نشر الإسلام في أوساط شعوب الصحراء الإفريقية، لقد تأثر هؤلاء بأخلاق التجار المسلمين أثناء تعاملاتهم معهم، فاعتنقوا دينهم عن اقتناع بتعاليمه، بل تحولوا إلى دعاة للإسلام خلال رحلاتهم إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، وبإنتشار الإسلام بينهم، تغيرت مظاهر الحياة عندهم، تأثرا بما نقله إليهم الدعاة من طباع والتجار من معاملات، فأصبح الإسلام دين الأغلبية.

الكلمات المفتاحية: الحبشة، الهجرات العربية، الصحراء الكبرى، القوافل التجارية، الإسلام، إفريقيا، بلاد السودان.

Abstract: I will talk in this article about caravans which were conducted by the Muslims through the Sahara and their role in spreading Islam among the inhabitants of the African desert. Those people were so sensitive to the good manners of the Muslims merchants while dealing with them that they converted to their religion.

After that they became earnest Muslims and preached Islams during there pilgrimage to the holy towns; This religion made them change their behaviour in their daily life and while trading ,thanks to what Islam became the religion of the majority.

Keywords: Abyssinia - Arab migrations - The Great Desert - Commercial caravans – Islam – Africa - Country of Sudan.

مقدمة:

تعود العلاقات بين العرب وشعوب قارة إفريقيا إلى زمن بعيد، حيث كانت شبه جزيرة العرب متصلة بالقارة السمراء، قبل حدوث الزحزحة القارية، وظهور البحر الأحمر كفاصل بين المنطقتين. ولم يمنع هذا المسطح المائي الاتصال بين ضفتيه، ويرجح أن يكون هؤلاء وأولئك قد عاشوا في مكان واحد، إذ يوجد تشابه لغوي وثقافي وعرقي بين الطرفين، وتوطدت العلاقات أكثر بظهور الإسلام مع مطلع القرن السابع ميلادي، وذلك منذ الهجرة الأولى لبعض مسلمي مكة، واحتمائهم بنجاشي الحبشة.

1. بداية الوجود العربي في إفريقيا:

وجد العرب في إفريقيا قبل انتشار الإسلام بها، حيث كانت تربطهم بالقارة علاقات تجارية؛ إذ كان كثير من التجار العرب يعبرون البحر الأحمر باستمرار متجهين إلى الحبشة، وذلك خلال القرون الأخيرة قبل ميلاد المسيح عيسى عليه السلام(دونالد ويدنر، 2001، ص30)، ولا يعرف بالضبط متى بدأت الهجرة العربية نحو الحبشة بصحراء إفريقيا، لكن لا وجود لشواهد تؤكد حدوثها قبل القرن الخامس قبل الميلاد(اغناطيوس غويدي، 1986، ص79-80)، وقد توالت الهجرات العربية نحو المنطقة، حيث تؤكد المصادر أن العرب قد وصلوا إلى تشاد إما عن طريق النيل أو عبر الصحراء من ناحية الشمال واستقروا حول بحيرة تشاد، واختلطوا بالسكان الأصليين، وما يزال بعضهم حتى اليوم ذا لسان عربي في شمال الكاميرون وشمال شرق نيجيريا (إبراهيم علي طرخان، 1975، ص26)، ويشير صاحب كتاب شمال إفريقيا جنوب الصحراء، أن البيض -أي العرب- حكموا وادي نهر النيجر ما بين القرنين الخامس والثامن ميلاديين(دونالد ويدنر، 2001، ص38).

يبدو أن الهجرات العربية الأولى نحو إفريقيا، استهدفت سواحلها الشرقية في البداية قبل أن تتوغل في الداخل، نظرا لقرب سواحل القارة (سواحل الصومال، كينيا، الحبشة ومصر)، من شبه الجزيرة العربية. فعلاقات العرب مع الصومال مثلا، تعود إلى عهد انهيار سد مأرب وما ترتب عنه من إضعاف للحياة الاقتصادية الزراعية، واضطرار السكان إلى الهجرة إلى وجهات مختلفة منها سواحل الصومال (أرنولد سير طوماس، 1970، ص379-380).

2. طرق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى من خلال المصادر العربية:

لقد أمدتنا المصادر العربية بمعلومات وافية عن طرق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى، مبرزة أثرها في نشر الإسلام بهذه الربوع. فعبرها كانت تتم المبادلات التجارية منذ القدم، وبفضلها كان اتصال إفريقيا جنوبي الصحراء بحضارات العالم القديم، التي ظهرت بحوض البحر المتوسط كالحضارة الفينيقية والحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية؛ حيث خلفت هذه الحضارات معلومات هامة عن المسالك الصحراوية. ولعل المصادر العربية قد استفادت من الرسومات والنقوش التي خلفتها شعوب صحراء إفريقيا، إذ ساعدت هذه الآثار إلى حد كبير على معرفة الطرق الصحراوية ومراكز الشعوب الإفريقية قديما، خاصة بحوض نهري النيجر والسنغال (أحمد إلياس حسين، 1986، ص193).

أما العصر الذهبي للطرق في إفريقيا جنوبي الصحراء، فيبدأ بانتشار الإسلام في شمال إفريقيا واستقرار المسلمين هناك، وتكثيفهم اتصالاتهم بجنوبي الصحراء ما بين المحيط الأطلسي غربا وبحيرة تشاد شرقا، وقد دونت المصادر العربية الكثير من المعلومات عن الأنشطة الاقتصادية والثقافية لسكان المنطقة، وعلاقاتهم الاجتماعية، وأنظمتهم السياسية، ومن هذه المصادر نذكر ما يلي:

كتاب البلدان لليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، ت 284هـ/897م): تضمن معلومات هامة عن الطرق الصحراوية، حيث أشار إلى طريق الذهب الممتد من سجلماسة إلى

مملكة غانة غرب الصحراء الكبرى، ثم الطريق الشرقي الرابط بين فزان وحوض بحيرة تشاد. كما تطرق إلى مدينة زويلة باعتبارها أهم مركز تجاري للإباضية في الصحراء، وتحدث أيضا عن بعض الممالك في المنطقة مثل: غانة وكانم وكوكو (اليعقوبي، دس، ص183-184).

كتاب أخبار الأئمة الرستميين، لابن الصغير (ت ق3هـ): أرخ ابن الصغير للدولة الرستمية (160–297ه)، حيث عاصر بعض أئمتها، وكتب عن أحوال الدولة في عهدهم، كما تطرق في كتابه إلى المراكز والطرق التجارية وعلاقات الدولة مع ممالك الصحراء الإفريقية المعاصرة لها (ابن الصغير المالكي، 1905، ص13). يقول عن الطرق التجارية: "إن طرق التجارة فتحت مع جميع البلدان المجاورة مثل السودان" (ابن الصغير المالكي،1905، ص132).

كتاب صورة الأرض، لابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي النصيبي، ت 367هـ/977م): صاحب الكتاب هو تاجر ورحالة وجغرافي، عاش في القرن الرابع الهجري. بدأ رحلته التاريخية والتجارية من بغداد باتجاه البلدان الإسلامية بالخصوص، وكان لإفريقية الشمالية نصيب من ذلك، من بين مؤلفاته كتاب صورة الأرض الذي عرف أيضا بـ "المسالك والممالك"، فيه معلومات دقيقة عن الجهة الغربية من الصحراء الكبرى، جمعها أثناء تجواله في المنطقة، فقد وصف النشاط التجاري الذي كان يتم بين سجلماسة وأودغست غربا وزويلة شرقا(ابن حوقل، 1992، ص91. بلولة إبراهيم محمد أحمد، 2005، ص69-70)

كتاب صورة الأقاليم، للبلخي (أبو زيد أحمد بن سهل، ت 322هـ/934م): يعد هذا الكتاب أحد المصنفات الجغرافية للبلخي. ألفه حوالي سنة 309هـ / 921م. عرف بأسماء مختلفة في المصادر منها: صور الأقاليم، أشكال البلاد، تقويم البلدان، أشار في هذا الكتاب إلى قرب معادن الذهب من سجلماسة، وإلى طريق الذهب، كما تحدث عن مدينة زويلة ذات الأهمية التجارية(اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، 1961، ص198).

كتاب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، لابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، ت 770هـ/1368م): يعتبر ابن بطوطة من أبرز الرحالة في العصور الوسطى. جمع مادة غزيرة خلال رحلته التي انطلقت من المغرب الأقصى إلى الهند عبر الصحراء الكبرى، حيث وصف القوافل والمراكز التجارية والطرق البرية والنهرية التي سلكها، فذكر محطة سجلماسة ومملكة مالي ومدن تمبكتو وكوكو(ابن بطوطة، 2006، ص457-472).

كتاب معجم البلدان، لياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، ت 636ه /1228م): المؤلف هو واحد من المؤرخين الثقة، ومن أبرز كتاب المعاجم الجغرافية في التراث العربي، برز في اللغة والأدب. من مؤلفاته: معجم الأدباء، ومعجم البلدان، حيث يحتوي على الكثير من المعلومات عن الطرق والمحطات التجارية الصحراوية، كما يشير إلى المسافات بين المدن، بالإضافة إلى وصف دقيق للأوضاع بمملكتي كانم وكوكو(نور الدين حاطوم وآخرون، 1964، ص260).

كتاب تحفة العجائب و طرفة الغرائب، لابن الأثير الجزري (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلي، ت 630هـ/1232م): ابن الأثير هو أحد مؤرخي الإسلام، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي ورصد معظم أحداثها. له مؤلفات كثيرة منها هذه المخطوطة التي تحمل عنوان: "تحفة العجائب وطرفة الغرائب"، التي تطرق فيها إلى السودان الغربي ومراكز الذهب، مع إشارة خفيفة إلى المناطق الشرقية من غرب إفريقيا. كما أشار إلى الأوضاع السائدة بمملكة غانة، إلا أنه لم يتوسع كثيرا عند تناوله لطرق القوافل التجارية(ابن الأثير، دت. بلولة إبراهيم محمد أحمد، 2005، ص72)

كتاب المختصر في أخبار البشر، لأبي الفدا (عماد الدين إسماعيل بن حمد بن عمر، ت 722ه/1333م): جاءت معلوماته مختصرة عن شعوب غرب إفريقيا، غير أنه توسع في حديثه عن غانة ومبادلاتها التجارية مع سجلماسة (أحمد إلياس حسين، 1986، ص107).

كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، للدمشقي (شمس الدين محمد بن أبي طالب، ت 727هـ/1326م): تناول وصفا دقيقا لكثير من البلاد منها، وصف بلاد المغرب الصحراوية، حيث تناول المراكز والمدن الصحراوية ما بين سواحل المحيط الأطلسي غربا ومنطقة فزان شرقا كسجلماسة وأودغشت وتادمكة ووارجلان. كما أشار إلى بلاد السودان وأهم مدنها مثل كوكو وكانم وتكرور، وأهم طرق القوافل العابرة لهذه المنطقة(الدمشقي، 1923، ص238-241).

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت 808هـ/1406م): تناول منطقتي الصحراء وغرب إفريقيا. أشار إلى أوليلي وغانة وتكرور ومالي وكوكو وكانم، وتحدث عن حركة القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى، كما تطرق إلى النشاط التجاري لقبائل الملثمين المستقرين في الجهة الغربية من الصحراء الكبرى، مشيرا إلى أهم مراكزهم مثل: ورجلان وفزان، وإلى دورهم في إرشاد القوافل التجارية وتأمينها مقابل ضرائب (بلولة إبراهيم محمد أحمد، 2005، ص 75).

كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، للقلقشندي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، ت821هـ / 1418م): جاء بمعلومات غزيرة عن غرب إفريقيا، حيث تحدث عن أهم ممالكها مثل غانة وتكرور ومالي وبرنو وكانم وكوكو. كما أشار إلى أوضاعها الاقتصادية ونشاطها التجاري(القلقشندي، 1922، ج5، ص210، ج8، ص7).

لقد أوردت المصادر العربية السالفة الذكر معلومات هامة عن أهم الطرق التجارية العابرة للصحراء الكبرى، وأبرزت الدور الذي لعبته قوافل التجار المسلمين في نشر الإسلام بهذه الربوع.

3. دخول الإسلام إلى إفريقيا وانتشاره:

في أقل من قرن من بداية الفتح الإسلامي لإفريقيا، كان الإسلام قد عم كل أراضي القارة شمال الصحراء وتوغل في ليبيريا. أما المناطق الواقعة جنوبي الصحراء، فكانت فيها ممالك مسيحية كإثيوبيا وكوش، وأخرى وثنية مثل غانة ومالي وكانم، وكانت بين شمال إفريقيا المسلم وجنوب الصحراء المسيحي والوثني، علاقات تجارية عن طريق القوافل العابرة للصحراء الكبرى، وبفضل هذه العلاقات التجارية، بدأ الإسلام يصل إلى جنوب الصحراء مع مطلع القرن الثالث هجري(بلولة إبراهيم محمد أحمد، 2005، ص68).

لقد دخل الإسلام إلى القارة الإفريقية من شرقها وغربها، أما شرقا فيرجع ذلك إلى قرب موانئ شرق إفريقيا من شبه الجزيرة العربية، حيث كانت الحبشة أول أرض إفريقية يدخلها المسلمون أثناء هجرتهم الأولى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

توالت الهجرات الإسلامية باتجاه السواحل الشرقية للقارة كسواحل الصومال وكينيا، التي كانت من قبل مجالا للتجارة العربية، فتحولت هذه المناطق إلى مراكز إسلامية، تتحكم في طرق التجارة نحو تنجانيقا وبحيرة فيكتوريا وحوض الكونغو(بلولة إبراهيم محمد أحمد، 2005، ص78-79).

بالنسبة لمنطقة غرب إفريقيا، تعد الدولة الرستمية أولى الدول الإسلامية التي أقامت علاقات اقتصادية مع شعوب ما وراء الصحراء، حيث اضطرتها إلى ذلك أوضاعها السياسية، إذ كانت في حالة عداء مع العباسيين في المشرق، والأغالبة الموالون لبني العباس في إفريقية، والأدارسة

في المغرب الأقصى، هذا الواقع حتم عليها التوجه نحو جنوب الصحراء الكبرى، بحثا عن حاجياتها من جهة، ولتصريف منتوجاتها المحلية، وما يأتيها من أوربا عبر موانئها المتوسطية. ونظرا لما تقتضيه التعاليم الإسلامية من معاملات مالية إسلامية، وممارسة التجار المسلمين لشعائرهم الدينية أينما حلوا، واضطرار بعضهم للزواج في البلدان التي يقصدونها، تعرف سكان إفريقيا جنوب الصحراء على الدين الإسلامي، وتأثروا به تدريجيا؛ الأمر الذي أدى بالكثير منهم إلى اعتناق هذا الدين(القلقشندي، 1922، ج5، ص279. ابن عذاري، 1980، ج1، ص228).

لقد انتشر الإسلام بهذه الربوع، حيث تمر القوافل التجارية المتجهة إلى غرب إفريقيا؛ إذ بلغت الدعوة الإسلامية السنغال وغانة وداهومي ونيجيريا، وتحول معتنقو الإسلام الجدد إلى دعاة له أثناء رحلاتهم راجلين إلى الحج كل سنة، مخترقين بلاد السودان من غربها إلى شرقها، وقد زاد الإسلام انتشارا في غرب إفريقيا خلال القرن الخامس هجري بفضل جهود المرابطين، حيث أصبح دين الأغلبية (بدوي عبد الرحمن، 1979، ص144)، ومن الشواهد التي تبين دور التجار في التعريف بالإسلام ونشره بإفريقيا جنوب الصحراء، ما ذكره البكري (487هـ) عن تمكن تاجر مسلم من بلاد المغرب، من إقناع ملك غانا بدخول الإسلام، لكنه لم يشر لا لاسم التاجر، ولا لاسم الملك (البكري، دت، ص178)، أما الدرجيني (ت 670هـ)، فقد أكد ما جاء به البكري، وأوضح أن التاجر الذي أدخل ملك غانا إلى الإسلام، هو جد والده علي بن يخلف النافوسي، الذي ينحدر من بلدة نقطة بجنوب تونس(الدرجيني، 1974، ج2، ص517)، وما من شك أن استهداف ادخال الملوك وزعماء القبائل إلى الإسلام، كان الغرض من ورائه هو أن يكون قدوة لرعيته ومرؤوسيه ليحذون حذوه في اعتناق هذا الدين، وهي الاستراتيجية التي كان قد اعتمدها الفاتح أبو مهاجر دينار مع كسيلة زعيم قبيلة أوربة البربرية، أثناء الفتح الإسلامي لبلاد المغرب مطلع النصف الثاني من القرن الأول للهجرة. كما لعبت الجاليات الإسلامية التي جاءت من جنوب آسيا كالهند، واستقرت في معظم الأجزاء الجنوبية للقارة بين رأس الرجاء الصالح في أقصى الجنوب إلى كينيا شمالا، دورا هاما في نشر الإسلام بهذه المناطق(أرنولد طوماس، 1970، ص390).

4. أثر انتشار الإسلام في إفريقيا :

بعد انتشار الإسلام في إفريقيا جنوبي الصحراء، ساهم الأفارقة أنفسهم في نشر الدعوة والعلوم الإسلامية، وذلك برحلاتهم إلى الحج أو لطلب العلم في مراكزه المشهورة كالقيروان وفاس والأزهر ومكة المكرمة والمدينة المنورة، فنهضت بلادهم وساهمت بدورها في تسهيل الرحلة وحسن استقبال الوافدين وتيسير سبل العلم، فازداد التبادل التجاري بين الأفارقة السود وغيرهم من المسلمين، مما وثق الروابط أكثر، فبرزت مدن إفريقية وذاعت شهرتها وتجاوزت الآفاق، مثل تمبكتو التي أصبحت مركزا للتعليم ونشر الثقافة الإسلامية، حيث انتشر المرابطون في قراها يعلمون القرآن واللغة العربية. وبهذا لم تعد تمبكتو فضاء تجاريا فقط، وإنما مركز إشعاع للدعوة الإسلامية(الشنقيطي، 1983، ص254).

لقد كان لرحلات الحج أثر بالغ في تمتين واستمرار العلاقة بين شعوب الصحراء الكبرى ومركز العالم الإسلامي في مكة والمدينة، حيث ساهمت الرحلة في تصحيح الأفكار والعقائد الفاسدة لدى بعض القبائل، كما كانت الرحلة عموما وسيلة لرفع المستوى الثقافي وتطوير العمران، إذ مكنت الأفارقة من الاتصال بالعلماء والمهندسين واصطحابهم إلى بلادهم لتطويرها، حيث غلب الطراز العمراني الأندلسي على تمبكتو، مجسدا في المساجد والدور والقصور(حسن إبراهيم حسن، 1984، ص225).

بفضل انتشار الإسلام في إفريقيا، أصبحت اللغة العربية لغة التواصل الأساسية بين قبائل إفريقيا جنوبي الصحراء. وظل الحرف العربي هو الأساسي في كتابة معظم اللغات الإفريقية، بل

ظلت اللغة العربية لغة الحكم والإدارة في عدة ربوع إفريقية مثل كانم ومالي وغانة، إلى أن تعرضت للاستعمار الذي فرض لغاته(أحمد عثمان عبد الرحمن، 2001، ص50).

خاتمة:

يبدو أن الفضل في انتشار الإسلام في إفريقيا جنوبي الصحراء، يعود إلى نشاط الدعاة، وخصال التجار المسلمين الذين أصبحوا نموذجا يقتدى به في التعامل التجاري. فقد وجد سكان الصحراء الكبرى في هذا الدين، الطمأنينة في نظامه الاجتماعي، واليسر في فرائضه، والأمن بين أهله، وحسن الخلق في أتباعه. وكان اعتناقهم للإسلام عن قناعة بمبادئه، ونتيجة للاحتكاك بأهله، ولاطلاعهم على طقوسهم الدينية من وضوء وصلاة وصوم وغيرها. كما أثمرت استراتيجية استهداف الدعاة للملوك في دخول كثيرة من الشعوب في دائرة الإسلام.

لقد غير الإسلام مظاهر الحياة بالربوع التي حل بها، حيث تأثر معتنقوه الجدد بطباع الدعاة في مأكلهم وملبسهم ومعاملاتهم، فتطورت أوطانهم، وأصبح الإسلام دين الأغلبية.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم علي طرخان(1975)، إمبراطورية البرنو الإسلامية، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
2. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري الموصلي، ت 630 هـ / 1232م)(دس)، تحفة الغرائب وطرفة العجائب، مخطوط، المكتبة البريطانية، رقم 7497.
3. بدوي عبد الرحمن(1979)، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، مجلة نهضة إفريقيا، بيروت، لبنان، دار الكتاب اللبناني.
4. ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي ت 779هـ)(2006)، رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، ط1، دمشق، سوريا، مؤسسة الرسالة ناشرون.
5. البكري (أبو عبيد ت487هـ)(دس)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، بغداد، العراق، مكتبة المثنى.
6. بلولة إبراهيم محمد أحمد(2005)، الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى وأثرها في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية، مجلة دراسات دعوية، ع9.
7. حاطوم نور الدين وآخرون(1964)، المدخل إلى التاريخ، القاهرة، مصر، المطبعة المصرية.
8. حسن إبراهيم حسن(1984)، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
9. حسين أحمد إلياس(1986)، طرق القوافل عبر الصحراء والمسالك الإفريقية جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، السودان، ع2.
10. ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي ت 367هـ / 977م)(1992)، كتاب صورة الأرض، بيروت، لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر.
11. الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف ت670هـ)(1974)، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق وطبع إبراهيم طلاي، قسنطينة، الجزائر، مطبعة البعث، ج2.
12. الدمشقي (شمس الدين أبو عبد الله محمد أبو طالب الأنصاري ت 727 هـ / 1326م)(1993)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مخطوط بسان بترسبورغ، ليبزيك، ألمانيا، منشورات أوغست فرديناند مهرن.
13. الشنقيطي (محمد الأمين الجكني)(1983)، رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، جدة، المملكة العربية السعودية، دار الشرق.

14. ابن الصغير المالكي (ت ق 3هـ)(1905)، ذكر بعض أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق ونشر دي موتيلانسكي، أعمال مؤتمر المستشرقين الرابع عشر، الجزائر.
15. طوماس أرنولد سير، الدعوة إلى الإسلام - بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية(1970)، ترجمة وتعليق حسن إبراهيم حسن وإسماعيل النجراوي وعبد المجيد عابدين، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
16. عبد الرحمن أحمد عثمان(2001)، المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية، الخرطوم، السودان، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر.
17. ابن عذاري(1980)، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ط2، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وليفي بروفنسال، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ج1.
18. غويدي اغناطيوس(1986)، محاضرات في تاريخ اليمن والجزيرة العربية قبل الإسلام، ط1، ترجمة وتقديم إبراهيم السامرائي، بيروت، لبنان، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع.
19. القلقشندي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد ت821هـ / 1418م)(1922)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية، ج5، ج8.
20. كراتشكوفسكي اغناطيوس يوليانوفتش(1961)، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، مصر، د.نا، ج1.
21. ويدنر دونالد(2001)، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، بيروت، لبنان، مكتبة الوعي العربي.
22. اليعقوبي (أحمد أبو يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ت 384هـ)(دس)، البلدان، بيروت، لبنان، منشورات محمد بن علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، دار الكتب العلمية.

الجماعات الترابية واكراهات التنمية المحلية بالمراكز الناشئة:"حالة مركز أربعاء العونات"

Territorial communes and local development constraints in emerging centers «Arbiaa EL Aounate case»

أ. يونس عاميري، جامعة شعيب الدكالي- المغرب.
أ. حسن مزين، جامعة شعيب الدكالي، المغرب
أ. الحسين مغراني، جامعة شعيب الدكالي، المغرب

ملخص: يعالج هذا المقال الجماعات الترابية واكراهات التنمية المحلية بمركز أربعاء العونات من خلال إبراز المشاكل التي رافقت نموه والتي تعيق تطوره، هذه الإكراهات تتجلى أساسا في هشاشة البنيات التحتية والتجهيزات الاجتماعية، كشبكة الصرف الصحي والماء الصالح للشرب والكهرباء، ويعاني المركز من الانقطاعات المتكررة للماء الصالح للشرب والكهرباء ومن انعدام تبليط الشوارع والأزقة والتي تتحول إلى مستنقعات من الأوحال في فصل الشتاء، هذه المشاكل ناتجة عن ضعف مساهمة الفاعلين المحليين في تنمية المركز، حيث نسجل أن ضعف لتكوين وتأطير الموارد البشرية كما وكيفا لا يسمح بالمساهمة في تطور المركز. كما أن قلة الموارد المالية وهشاشتها تجعل أمر المركز رهينة بتنمية الموارد المالية والبشرية، حتى تصبح قادرة على تثمين مؤهلات المجال المتنوعة والبحث عن شراكات قادرة على المساهمة في الإقلاع التنموي لمركز أربعاء العونات.

الكلمات المفتاحية: الجماعات الترابية، التنمية المحلية، المراكز الناشئة.

Abstract: This article deals with El Aounate territorial authority and local development constraints through highlighting the problems that accompanied its growth and that hinders its development. These constraints are manifisted mainly in the fragility of its infrastructure and social facilities like sewage system، potable water, electricity... Additionally, the center suffers from frequent water supply and electricity cut and the absence of paved streets and alleys. The latter turn into swamps of mud in winter.

These problems are the result of meagre contributions of local actors in the development of the center. We note that human resources’ poor training and coaching both qualitatively and quantitively don’t help in developing the center. Moreover, Lack of financial resources and its fragility make the center dependent on the development of human and financial resources to become able to promote varied area qualities and look for partnership capable of participating in El Aounate development take-off .

Key words: Territorial communes, Local development, Emerging centers.

مقدمة:

لقد أحدثت المراكز الناشئة للحد من الهجرة القروية وإدماج وربط ساكنتها بمجالها السوسيو اقتصادي، عبر تثمين الموارد البشرية والطبيعية المحلية، وكذا التخفيف والحد من مظاهر الهشاشة الاجتماعية، بتسهيل ولوج الساكنة للخدمات العمومية والتجهيزات الأساسية. من خلال إنشاء بنيات تحتية ملائمة وتحقيق التنمية بمختلف أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، يعتبر مركز أربعاء العونات أحد هذه المراكز الناشئة، الذي ارتبط ظهوره ونموه بشكل أساسي بمشروع التجهيز الهيدرو فلاحي الذي نفذ في الخمسينات بسهل دكالة، بالإضافة إلى الأدوار الإدارية التي أنيطت لهه، كما استفاد من عوامل اقتصادية كوجود سوق أسبوعي، وإحداث مجموعة من المرافق الاجتماعية والثقافية ساعدت على جلب ساكنة من أصول مختلفة، غير أنه لا زال يعاني من قلة المرافق العمومية والبنيات التحتية الأساسية بالشكل الذي تتطلع إليه الساكنة، فهو يعرف مجموعة من الاختلالات تحول دون تحقيق تنمية حضرية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي تؤثر في درجة استقطابه.

لقد تأسست الجماعات الترابية بالمجال القروي من أجل جعل المراكز الحضرية الناشئة التابعة لها قادرة على القيام بالأدوار السالفة الذكر، وشكل وجودها بمثابة الإطار القانوني لوضع مخططات التنمية، وكأداة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، تستهدف توفير عوامل الاستقرار للساكنة، وتهيئة المراكز التابعة لها، من خلال تقليص التفاوتات المجالية الحاصلة بين المدن والقرى عبر تتمين الموارد البشرية والطبيعية المحلية، ومحاولة التخفيف من مظاهر الفقر والهشاشة التي تعاني منها، وكون الجماعة الترابية بمثابة تنظيم مؤسساتي له أهدافه، وسلطتة الخاصة به، وأيضا فاعلين ينشطون فيه لكل منهم إستراتيجيته الخاصة.

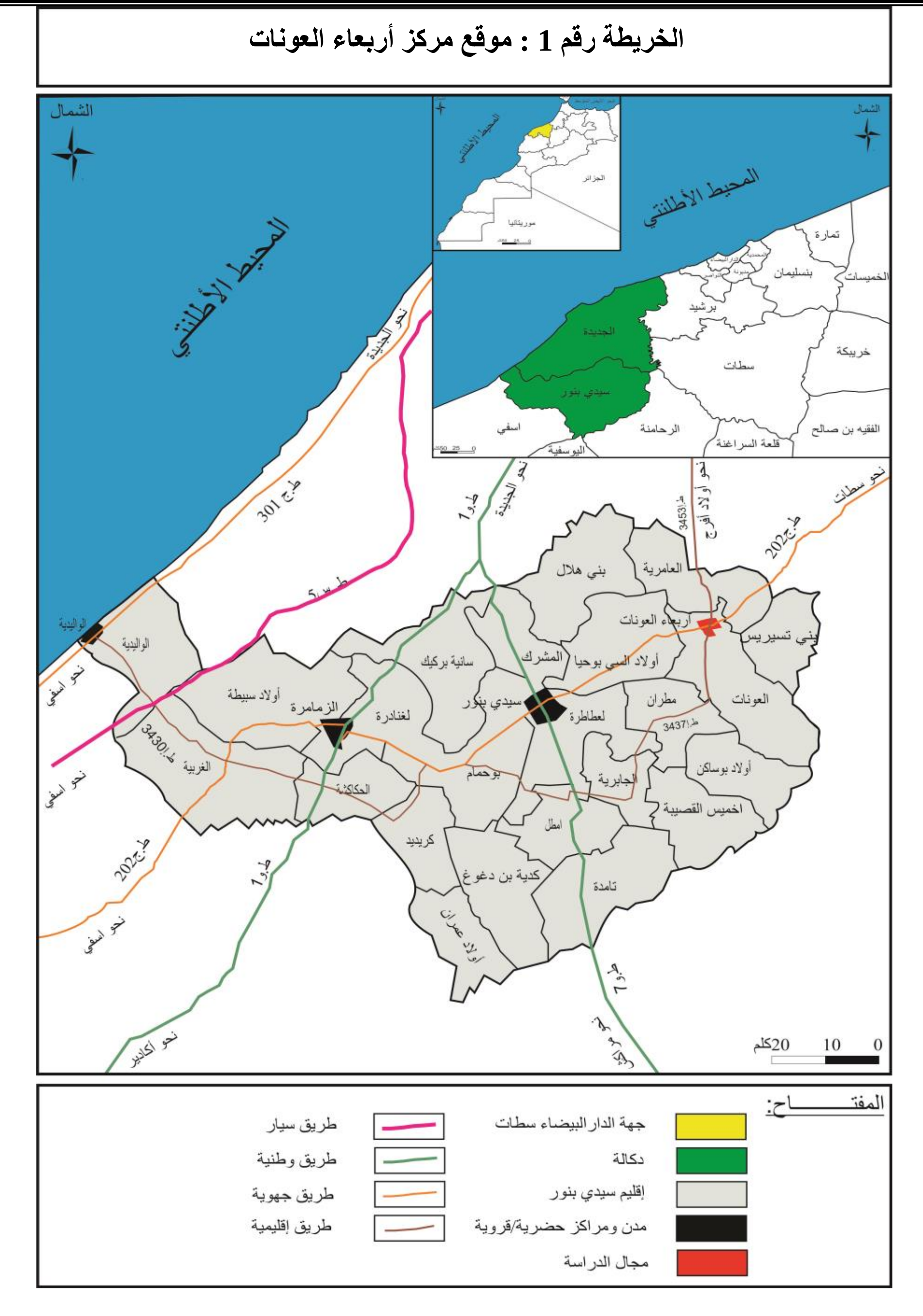
فهل للجماعة الترابية العونات القدرة على تغطية وتلبية الحاجات والمتطلبات التي تعزز الأهداف التنموية المنصوص عليها في الميثاق الجماعي كمؤسسة إدارية وسياسية تهدف إلى إحداث التنمية بمركز أربعاء العونات. أم أن هناك مجموعة من الاكراهات تحول دون ذلك؟

توطين مجال الدراسة ومراحل نموه

1.1 توطين مجال الدراسة:

ينتمي مركز أربعاء العونات إلى الجماعة الترابية العونات، أسست سنة 1959 وهي جزء من إقليم سيدي بنور بجهة دكالة–عبدة، يبلغ عدد سكانها 17850 نسمة حسب إحصاء 2014 موزعة على 38 دوار، مقسمين على أربع مشيخات وهي: أولاد يوسف، أولاد حميد، الزاوية التونسية، ومركز أربعاء العونات (الذي يوجد عند تقاطع الطريق الجهوية رقم 202 الرابطة ما بين مدينة سيدي بنور غربا وسطات شرقا، والطريق الثانوية رقم 3459 الرابطة ما بين مطران جنوبا وأولاد افرج شمالا)، يبعد عن مدينة سيدي بنور بحوالي 24 كلم وعن مدينة الجديدة بـ 70 كلم، في حين يبعد عن مدينة سطات بحوالي 90 كلم. وعن الدار البيضاء بـ 150كلم. يبلغ عدد سكانه 5185 نسمة حسب إحصاء 2014 وتقدر مساحته بـ 22 هكتار (الخريطة رقم 1).

الخريطة رقم 1 : موقع مركز أربعاء العونات



المصدر: عمل شخصي.

2.1 مراحل نموه مركز أربعاء العونات ومشاكله:

تم التوسع العمراني لمركز أربعاء العونات على عدة مراحل، تحكمت فيها مجموعة من العوامل، ارتبطت أساسا بالتجهيز الهيدروفلاحي لقطاع الفارغ. والتأطير الإداري والتقني للجماعة الترابية القروية العونات بإحداث مجموعة من الإدارات العمومية والمرافق السوسيوثقافية بالمركز والأرياف المجاورة له (الخريطة رقم2):

المرحلة الأولى(قبل: 1970): شكل دوار الشيخ النواة الأصلية لمركز أربعاء العونات حول السوق الأسبوعي، وبعد تأسيس الجماعة القروية العونات سنة 1959 ثم إنشاء الحي الإداري 1 لتوفير السكن لموظفي ومستخدمي الجماعة.

المرحلة الثانية(ما بين 1970 و:1979): ساعد التأطير الإداري والتقني بالمركز والأرياف المجاورة الدولة على تشجيع نمو المركز وذلك بإحداث تجزئة عمومية (البام) بشراكة مع المنظمة العالمية للتغدية، إضافة إلى الحي الإداري 2 لتوفير السكن للأعداد المتزايدة من الموظفين بالجماعة المحلية.

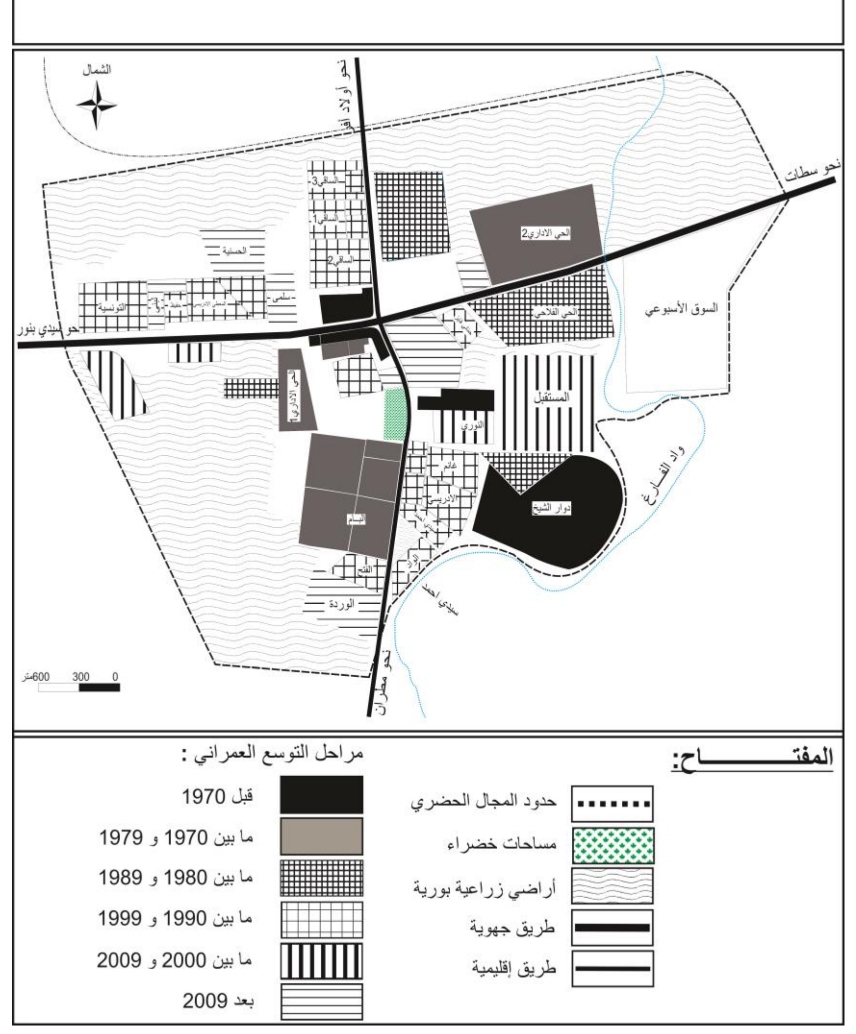
المرحلة الثالثة(ما بين 1980 و:1989) تميزت مرحلة الثمانيات بركود الحركة العمرانية بالمركز نظرا لتركز الساكنة القروية النازحة من الأرياف المجاورة نحو المركز بدوار الشيخ نتيجة تأثر نشاطها الفلاحي بتوالي سنوات الجفاف، حيث تم إحداث فقط الحي الفلاحي لتوفير السكن لموظفي المركز الفلاحي.

المرحلة الرابعة (ما بين 1990 و1999): تعد فترة التسعينات مرحلة مهمة في نمو المركز، حيث ساعد إحداث مجموعة من الإدارات العمومية والمرافق السوسيوثقافية بالمركز وبأريافه المجاورة، بالإضافة إلى التدخل الإداري المتزايد والمشجع على إنتاج السكن على إحداث مجموعة من التجزئات السكنية الخاصة والتي وصل عددها حوالي 13 تجزئة: الساقي 1، الساقي 2، الساقي 3، الوفاء، مرزوق، حناني فايز، حفيظ المكي، التونسية، غانم، المعطي الإدريسي، سيدي احمد، الواد، الفتح.

المرحلة الخامسة (ما بين 2000 و2009): أهم ما ميز هذه المرحلة هو تنفيذ السياسة الحكومية الهادفة إلى القضاء على السكن الصفيحي، إذ ثم إحداث تجزئة عمومية المستقبل مكان السوق الأسبوعي لجماعة العونات لحل مشكل السكن غير اللائق بدوار الشيخ، مما أدى إلى ضعف إحداث تجزئات خاصة نتيجة ضعف الطلب على السكن، حيث ثم إحداث تجزئة وحيدة وهي تجزئة النوري.

المرحلة السادسة(بعد 2009): عرفت الحركة العمرانية في السنوات الأخيرة بمركز أربعاء العونات انتعاشا، حيث تم تجهيز أربع تجزئات، الوردة، لبنى، سلمى، الحسنية.

الخريطة رقم 2 : مراحل التوسع العمراني لمركز أربعاء العونات



المصدر: عمل شخصي.

رافق نمو مركز أربعاء العونات عدة مشاكل، أهمها:

أ.**هزالة شبكة الصرف الصحي وعشوائية التطهير الصلب**: تم تجهيز بعض أحياء مركز أربعاء العونات بشبكة أحادية التصريف سنة 1992 (تصرف المياه المنزلية العادمة ومياه الأمطار تصرف عبر نفس القناة)، يصل طولها إلى 6000 متر، تلك الشبكة غير كافية لأنها لا تشمل كل الأحياء، حيث الصرف الصحي يتم باعتماد الحفر العادمة، خصوصا بالحي الإداري1 والحي الفلاحي وبالمساكن الموجودة خلف المحلات التجارية عند ملتقى الطريقين الجهوية رقم 202 والإقليمية رقم 3459، كما أن عدم وجود شبكة خاصة بمياه الأمطار يؤدي إلى انتشار البرك المائية والأوحال بالشوارع والأزقة غير المعبدة خاصة خلال فصل الشتاء، الشيء الذي يدفع بالساكنة المحلية إلى تحويل الأنفاق الأرضية الخاصة بشبكة الصرف الصحي إلى مفرغة لتلك

الأوحال وحتى لمختلف أنواع النفايات الصلبة، مما يؤدي إلى اختناقها بسبب عدم ملاءمة مسالك وبالوعات صرف المياه للكم الهائل من تلك الأوحال والنفايات.

تقدر النفايات الصلبة بمركز أربعاء العونات بـ2600 كلغ أي بمعدل 1/2كلغ للفرد. يتم تدبيرها بواسطة الجماعة الترابية العونات وذلك بالاعتماد على عاملين وسائق لشاحنة سعتها 3 طن، هذه الإمكانيات غير كافية. ويرجع ذلك إلى قلة وعي الساكنة التي تقوم برمي النفايات المنزلية بالأماكن الشاغرة داخل الأحياء والتجزئات أو على هوامشها، حيث توجد مجموعة من الفراغات أو البقع غير المبنية، التي تتحول إلى مطارح عشوائية للأزبال. يختلف سلوك الساكنة اتجاه النفايات تبعا لنوعية الأحياء والسكن ولأصولها، فالظاهرة تسود بحدة في دوار الشيخ وحي البام (خصوصا ذوي الأصول القروية)، وكذلك تبعا لمستوى تعلمها وتحضره(الصورة رقم 1).

الصورة رقم 1: أماكن تجمع النفايات الصلبة



المصدر: العمل الميداني، 2015.

يتم التخلص من النفايات الصلبة برميها، من طرف الجماعة الترابية العونات، بمطرح تبلغ مساحته حوالي 600م^2 ولا يبعد عن آخر تجمع سكني إلا بحوالي 300 متر، مما له آثار سلبية على الساكنة بسبب الروائح الكريهة وبفعل حرقها، مما يؤثر سلبا أيضا على التربة والفرشة المائية. هذه الوضعية تجعل الساكنة تطالب بضرورة تحويل المطرح إلى وجهة أخرى لاعتبارات بيئية وصحية وجمالية (الصورة رقم 2).

الصورة رقم 2: مطرح النفايات الصلبة بجانب القناة السقوية والأراضي الزراعية



المصدر: العمل الميداني، 2015.

ب.انعدام الشبكة الطرقية الحضرية: يبلغ طول شبكة الطرق داخل النسيج العمراني لمركز أربعاء العونات حوالي 12 كلم، توجد جميع الأزقة والمحاور الطرقية الرئيسية في وضعية متدهورة. فكل الأزقة والشوارع غير معبدة، تطرح مشكل التنقل بها خاصة في فصل الشتاء بسبب انتشار البرك المائية (الضايات) والأوحال (الصورة رقم 3)، أكثر من ذلك حتى المحاور الطرقية التي تخترق المركز الطريق الجهوية رقم 202 الرابطة بين سيدي بنور وسطات عبر مركز أربعاء العونات والإقليمية رقم 3459 الرابطة بين أولاد افرج ومطران عبر المركز، هي الأخرى توجد في وضعية متدهورة، نتيجة سوء صيانتها وضعف الاستثمارات الخاصة بإعادة تجهيزها، مما يؤثر على حجم الرواج الطرقي بهذا المحور، ويعرقل بشكل كبير تطوره (الصورة رقم4).



الصورة رقم3: حالة البنية الطرقية الحضرية عند تساقط الأمطار



المصدر: العمل الميداني، 2015

الصورة رقم4 : تردي البنية الطرقية الحضرية



المصدر: العمل الميداني2015.

ج. نقص وتدهور المساحات الخضراء: يتوفر مركز أربعاء العونات تقريبا على 3000م^2 من المساحات الخضراء، تقريبا بمعدل 0.6م^2 لكل نسمة، أي أقل بكثير من المعيار الدولي الذي يفرض أن يتمتع كل فرد بـ1.92م^2 من المساحات الخضراء و4 أمتار مربعة من المنتزهات، حتى تكون المجالات الحضرية ذات تخطيط حضري سليم. كما يعاني المركز من تدهور المساحات الخضراء الموجودة به بسبب سوء الاهتمام بها وإهمالها من طرف المسؤولين عن تدبير البيئة الحضرية من جهة، ونتيجة السلوكات غير المسؤولة للساكنة من جهة أخرى، فالحديقة العمومية والتي بالرغم من أنها تعتبر الرئة الوحيدة التي تتنفس بها الساكنة المحلية، فهي تعاني من إهمال كبير، حيث يعرف غطائها النباتي تدهورا وتنتشر بها الأزبال (الصورة رقم 5).

الصورة رقم 5: تدهور المساحات الخضراء



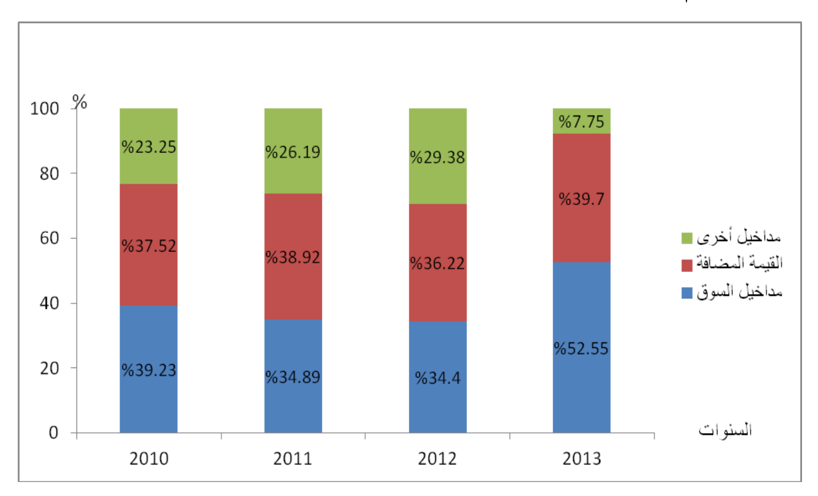
المصدر العمل الميداني، 2015.

1. دور الإكراهات المادية في عرقلة تطور مركز أربعاء العونات:

1.2 ضعف الموارد المالية للجماعة القروية العونات: تشكل الموارد الذاتية الجزء الأهم من الموارد المالية للجماعة الترابية العونات، والتي تمثل فيها مداخيل السوق الحصة الأكبر، غير أنها تبقى في نفس الوقت مصدر هشاشة لمداخيل الجماعة، وتتجلى مظاهر ذلك في تأثرها بتراجع مداخيل السوق الأسبوعي بين الفينة والأخرى، نظرا لغياب المنافسة في عملية كرائه، حيث تتراجع مداخيله لصالح حصة الضريبة على القيمة المضافة كما هو الحال سنة 2010 التي مثلت فيها نسبة مساهمة هذه الأخيرة حوالي 39.7% (الشكل رقم 1).



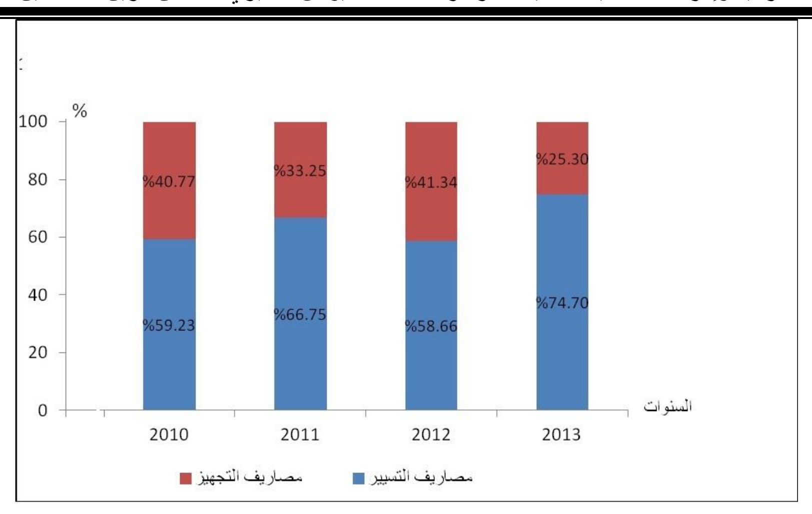
الشكل رقم1: بنية مداخيل الجماعة الترابية العونات ما بين 2010 و 2013



المصدر: قسم المداخيل بالجماعة الترابية العونات، 2015

من جهة أخرى فجل الموارد المالية للجماعة الترابية العونات تذهب إلى مصاريف التسيير الذاتي، حيث تشكل ميزانية التسيير تشكل الجزء الأهم من الميزانية العامة لجماعة العونات، حيت شكلت سنة 2010 نسبة 74.70% مقابل 25.30% بالنسبة لميزانية التجهيز أي أن ميزانية التسيير تشكل حوالي ثلاث أرباع الميزانية المخصصة للتجهيز. كما نلاحظ في بعض الأحيان انخفاض ميزانية التجهيز لصالح ميزانية التسيير، وذلك راجع إلى انخفاض الميزانية العامة. فكلما انخفضت هذه الأخيرة كلما انخفضت معها ميزانية التجهيز. ونلاحظ أحيانا أن نسبة ميزانية التجهيز تقترب من نسبة ميزانية التسيير، وذلك راجع لازدياد ميزانية الجماعة وليس لانخفاض ميزانية التسيير. فكلما ازدادت الميزانية العامة ازدادت معها ميزانية التجهيز(الشكل رقم 2).

الشكل رقم2: بنية مصاريف الجماعة الترابية العونات ما بين 2009 و 2013



المصدر: قسم المداخيل بالجماعة الترابية العونات، 2015

ما دامت تلبية أجور موظفي الجماعة الترابية مسألة حتمية، فالحل هو البحث عن المزيد من الموارد المالية، عن طريق التوجه نحو جعل الشراكة أسلوبا فعالا للتعامل مع قلة الموارد المالية. حيث تشكل المقاربة التدبيرية التشاركية مستقبل عمل الجماعات المحلية، لأن حاجيات الساكنة في تزايد مستمر، الأمر الذي يفرض تعبئة الطاقات وجمع الإمكانيات وفق منهجية محكمة ومتكاملة.

تتعدد أشكال الشراكة، ومن بينها الشراكة بين الجماعات المحلية والإدارات المركزية والمؤسسات العمومية، سيما في مجال توزيع الماء والكهرباء ومحاربة السكن غير اللائق والمجال الصحي والتعليمي. كما يشكل التعاقد بين الجماعات المحلية والقطاع الخاص أحد الأشكال المتطورة للشراكة، حيث يساهم القطاع الخاص في إنجاز العديد من المشاريع المبرمجة إما بشكل مباشر أو بتعاون مع الجماعات، وهذا الأسلوب لا يشمل المنعشين العقاريين فقط، بل يمتد إلى أكبر من ذلك بالتعاقد مع شركات كبرى للنقل الحضري وتوزيع الماء والكهرباء أو النظافة وذلك في إطار عقود الامتياز أو التدبير المفوض.

2.2 ضعف مساهمة الفاعلين المؤسساتيين والمحليين في تطور مركز أربعاء العونات

أ. ضعف في تكوين الموظف الجماعي وقصور في التأطير: لا يمكن الحديث عن تنمية محلية إذا لم تكن الجماعة المحلية تتوفر على الطاقات البشرية اللازمة، لأن هذه الأخيرة هي التي تضع الرؤية الاستراتيجية للمسار التنموي للحكامة المحلية. لا يمكن إدراك إمكانية مساهمة الجماعة المحلية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية دون دراسة البنية التنظيمية والمستويات الدراسية لأعضائها من موظفين ومنتخبين، تعاني البنية التنظيمية لموظفي الجماعة الترابية العونات من ضعف التأطير كما ونوعا، حيث تبلغ نسبة التأطير فيها موظف واحد لكل 365 نسمة، كما تتميز بسيادة الأطر الإدارية على حساب الأطر التقنية، بحيث تهيمن على بنية الوظيفة الجماعية صنف اليد العاملة بنسبة 37% وموظفي التنفيذ بنسبة تصل إلى 37% من مجموع الأطر الجماعية، بالمقابل نسجل نقصا حادا في الأطر العليا، التي لا تشكل سوى 6% (الجدول رقم1).

الجدول رقم1: البنية التنظيمية لموظفي جماعة العونات

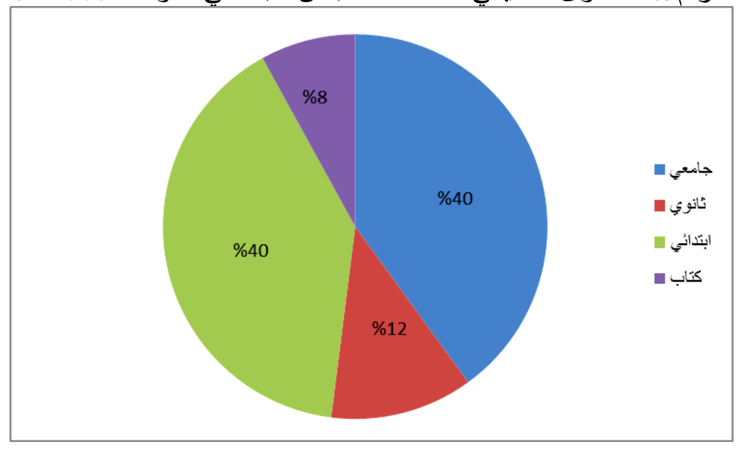
البنية	العدد	النسبة %
الأطر العليا	03	6
الأطر المتوسطة	20	37
أعوان التنفيذ	04	7
اليد العاملة	24	44
فئات أخرى	03	6

المصدر: الجماعة الترابية العونات، 2015

نستخلص أن الجماعة الترابية العونات تعاني نقصا حادا في الأطر المتخصصة في مجالات متعددة كالهندسة المعمارية والهندسة المدنية وكذا الأطر العليا المتخصصة في مجال الجبايات المحلية وتدبير الممتلكات العقارية واليد العاملة المتخصصة في مجال النظافة والتطهير السائل أو الصلب، ونعلم أهمية الأطر التقنية في بلورة المخططات والمشاريع والسهر على تنفيذها، خاصة أمام الاختصاصات الجديدة المخولة إلى الجماعات كالتعمير والبيئة وإعداد التراب والتجهيز، بالإضافة إلى قلة التكوين التقني للموظفين الجماعيين حيث لم يخضع موظفو جماعة العونات لأي تكوين تقني. ونعرف أهمية توظيف الجانب التطبيقي أكثر من الجانب النظري بالنسبة للتكوين، لأن مجال العمل يرتبط بما هو واقعي، لهذا يمثل التكوين التطبيقي النموذج الأكثر إفادة ونفعا بالنسبة للموظف، خاصة وأن الأعمال التقنية تكتسي أهمية قصوى في الإدارة الجماعية، حيث تشمل مجالات حساسة كالتعمير والكهرباء، والتجهيز.

ب. تأثير الوضعية التعليمية للمتخبين على وحدة العمل الجماعي: تحول بعض المعوقات بالجماعات الترابية بين المنتخب وما هو متوخى منه، وفي مقدمتها عدم توفره على مستوى تعليمي وخبرة كافية لممارسة مهامه. كما أن اختلاف المستويات التعليمية الكبيرة بين أعضاء الجماعي تنكس بشكل سلبي على وحدة العمل وعلى الانسجام المطلوب داخل الوحدة المحلية، وهو ما نستشفه عند المقارنة بين المستويات التعليمية لأعضاء المجلس الجماعي للعونات، الذي يتكون من 25 عضوا، يتوزعون حسب المستوى التكويني بين: 10 أعضاء لهم تكوين عالي، أي 40% من مجموع الأعضاء، ونفس النسبة بالنسبة للمستوى الابتدائي، وهذا من شأنه أن يشكل عنصر اختلاف، نظرا لهذا التفاوت في المستوى التعليمي و الفكري (الشكل رقم3).

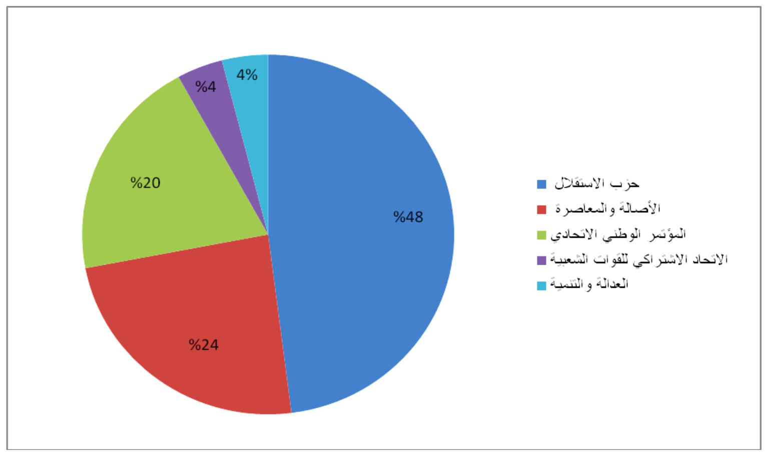
الشكل رقم3: المستوى التعليمي لأعضاء المجلس الجماعي للعونات 2009 -2015



المصدر: الجماعة الترابية العونات، 2015

كما يتوزع أعضاء المجلس الجماعي للعونات حسب انتماءاتهم السياسية بين مجموعة من الأحزاب، مع نوع من السيطرة لحزب الاستقلال بـ12 عضو أي بنسبة 48% من مجموع التركيبة السياسية للمجلس، في حين يتوزع ما تبقى بين حزبي الأصالة والمعاصرة والمؤتمر الوطني الاتحادي بـ5 أعضاء لكل واحد منهما، فيما ينتمي عضو واحد لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وآخر لحزب العدالة والتنمية (الشكل رقم4)، هذه الاختلافات الانتمائية، يمكن أن تنعكس بشكل سلبي على الوثيرة التي تأخذ بها القرارات، مما يعيق التنمية المحلية، بسبب الصراع السياسي أحيانا لأعضاء المجلس الجماعي، حيث تتعدد مصادر ومجالات الصراع والتنافس بين العناصر المنتخبة، ويرجع ذلك إلى ضعف الوعي والإلمام بالقيم السياسية والعمل الجماعي، لدى قسم كبير من المنتخبين.

الشكل رقم4: التركيبة السياسية للمجلس الجماعي للعونات 2009 -2015



المصدر: الجماعة الترابية العونات، 2015

ج. ضعف تمثيلية المركز بالمجلس الجماعي للعونات: يعاني مركز أربعاء العونات من ضعف التمثيلية بالمجلس الجماعي المحلي مقارنة بالدواوير التابعة له، حيث يبلغ عدد دوائر الجماعة الترابية العونات الانتخابية 23 وعدد ناخبيها 7772، لا يحصل المركز فيها إلا على مقعدان فقط يمثلان كل من دائرة المركز(1309ناخب) ودائرة حي الشيخ (583 ناخب)، بنسبة 24% أي حوالي ربع ممن لهم الحق في التصويت على مستوى تراب الجماعة ككل، بينما نجد دائرة الشلاوشة والصلاليين على سبيل المثال ليس لديها سوى 95 ناخب أي 1% من مجموع عدد الناخبين، ومع ذلك يمثلها عضو في المجلس الجماعي. إضافة إلى ذلك إذا أخذنا نسبة تمثيلية المركز من بين نسبة تمثيلية الدواوير نجد هناك حيف كبير على الرغم من الحجم الذي تمثله على مستوى عدد الناخبين فانه لا يمثل سوى و8% من مجموع أعضاء المجلس الجماعي. بينما الدواوير فتحصل على 92 % (الجدول رقم 2).

الجدول رقم2: التقسيمات الانتخابية واسماء الدوائر والاعضاء بالجماعة الترابية العونات

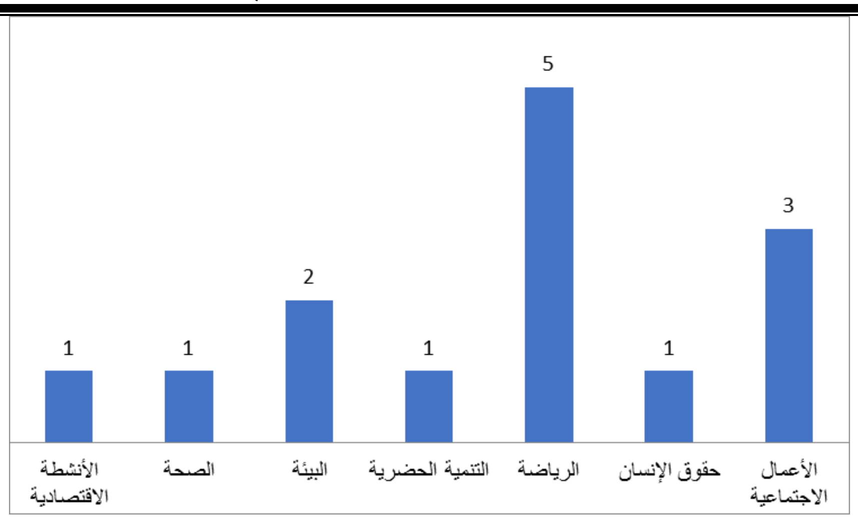
رقم الدائرة الانتخابية	العنوان	عدد الناخبين	الانتماء السياسي	الصفة داخل المجلس
01	المركز	1309	المؤتمر الوطني الاتحادي	كاتب المجلس

02	الشيخ	583	الاصالة والمعاصرة	نائب كاتب المجلس
03	لونازرة	405	حزب الاستقلال	مستشار
04	زواير	645	حزب العدالة والتنمية	رئيس المجلس
05	ولاد التونسي	189	الاتحاد الاشتراكي	نائب اول
06	المسمارة	491	حزب الاستقلال	مستشار
07	البيدات	241	المؤتمر الوطني الاتحادي	نائب رابع
08	اللواردة	208	المؤتمر الوطني الاتحادي	نائب ثالث
09	المكي	334	حزب الاستقلال	مستشار
10	المودنين	402	المؤتمر الوطني الاتحادي	مستشار
11	ولاد علي بن الشيخ	262	حزب الاستقلال	مستشار
12	ولاد طلحة	432	حزب الاصالة والمعاصرة	النائب الثاني
13	الكرودة	434	حزب الاستقلال	النائب السادس
14	سعاداة الفايض	357	المؤتمر الوطني الاتحادي	نائب كاتب المجلس
15	سعاداة اللمادة	181	حزب الاصالة والمعاصرة	مستشار
16	الغرباويين	104	حزب الاستقلال	مستشار
17	الشلاوشة والصلايين	95	حزب الاستقلال	مستشار
18	ولاد رحال	120	حزب الاستقلال	مستشار
19	مرحان الدار	165	حزب الاستقلال	مستشار
20	المعادنة	280	حزب الاصالة والمعاصرة	مستشار
21	ولاد رحمون	232	حزب الاستقلال	مستشار
22	ديور الشعاب	276	حزب الاستقلال	مستشار
23	ولاد يعلى	158	حزب الاصالة والمعاصرة	مستشار
الإضافية			حزب الاصالة والمعاصرة	مستشار
			حزب الاستقلال	مستشار

المصدر: الجماعة الترابية العونات، 2015

د. غياب نخب محلية تقود العمل الجمعوي: نستخلص أن النسيج الجمعوي بالمجال المدروس حديث ويفتقد إلى التجربة، نظرا لضعف تكوين الفاعلين الجمعويين المحلين وكذلك ضعف مبادرة الساكنة المحلية في خلق جمعيات تنموية تعنى بالبنيات التحتية والتجهيزات الاجتماعية. و يبقى دور الجمعيات الموجودة محتشما جدا، والتي تنشط أغلبها في بعض الأنواع الرياضية كجمعية أشبال العونات للكراطي، وغيرها من جمعيات القنص والفروسية (الشكل رقم5)، يعزى نذرة الأنشطة الجمعوية التي تهتم بالشأن التنموي المحلي للسكان، إلى غياب نخب محلية قادرة على الاضطلاع بمهمة العمل الجمعوي وضعف الوعي بفعالية هذا النشاط خاصة في الميدانين الاجتماعي والثقافي.

الشكل رقم 5: توزيع جمعيات المجتمع المدني حسب المجالات بمركز أربعاء العونات



المصدر: الجماعة الترابية العونات، 2015

إن مختلف المعيقات التنموية داخل المجال المدروس لا تعد حتمية، بل إن اختزانه لمجموعة من المؤهلات الخاصة به خصوصا الفلاحية منها والتي يمكن لها أن تشكل عوامل انطلاقة لتنميته إذا ما تم تأهيلها وتفعيلها. كما أنه من شأن الحركية التنموية التي تعرفها المجالات الفقيرة على المستوى الوطني في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية أن تسرع من العمل التنموي داخل هاته المراكز الناشئة والتي يبقى العمل الجمعوي هو السبيل الوحيد للنهوض بمجتمعاتها وتحقيق التنمية الشاملة.

خاتمة:

تبقى الجماعة الترابية العونات المكلفة بتدبير وتسيير مركز أربعاء العونات غير قادرة على تحقيق التنمية به، نظرا لضعف مواردها وإمكاناتها مقارنة مع حجم الأهداف والاختصاصات المنوطة بها، فهي تقتصر فقط على كيفية استمرارها كمؤسسة إدارية عوضا عن كونها خلية من اجل التنمية المحلية. فهي تعاني من ضعف مواردها المالية وسيادة مصاريف التسيير من ميزانيتها مقارنة مع مصاريف التجهيز التي لا تسمح لها بإنجاز المشاريع التنموية الاقتصادية والاجتماعية وتسهيل برامج الإعداد الترابي وتحقيق طموحات ساكنتها، والمساهمة بكيفية ناجعة في إعداد وتنمية التراب المحلي.

تفرض الوضعية الحالية التي يوجد عليها مركز أربعاء العونات تبني نموذج جديد للتنمية يجمع بين القرب والاستغلال الأمثل لموارد ومؤهلات المجال، خاصة الرأسمال اللامادي المرتبط بالموارد البشرية الذي أصبح له دور كبير في تحقيق التنمية المحلية المستديمة بما يتجاوب مع انتظارات الساكنة على مستوى تحسين الحد الأدنى للظروف المعيشية. وهذا يتطلب:

- استثمار وتثمين الإمكانيات المجالية التي يتوفر عليها مركزي أربعاء العونات خاصة على المستوى الفلاحي والحرفي، وخلق أنشطة اقتصادية مدرة للدخل وموفرة لفرص الشغل لفائدة نساء وشباب المجال المدروس، عن طريق بناء ورشات محلية لتكوين وتأطير المستفيدين، مع تمكينهم من الوسائل المادية وتتبع أنشطتهم لضمان نجاحها، ويمكن لجمعيات المجتمع المدني أن تشكل عنصر دعم لهذه الأنشطة.

- تنظيم ورشات تكوينية محلية لتأطير الرأسمال البشري، ترتكز على تنمية مهارات وقدرات المنتخبين المحليين والفاعلين الجمعويين وأطر الجماعات المحلية في مجال التدبير والتخطيط لتأهيلهم للانخراط بفعالية في دينامية التحول المجالي للمركز.
- تقوية وتفعيل دور الشراكة بين المجلس المنتخب ومؤسسات الدولة المعنية وممثلي القطاع الخاص وفعاليات المجتمع المدني باعتبارها أهم استراتيجية لتجاوز الاكراهات التي تعيق التنمية الشاملة بالمركز.

قائمة المراجع:

1. المهدي بنمير(2010)، الحكامة المحلية بالمغرب وسؤال التنمية البشرية، المجلة المغربية للإدارة والقانون والتنمية، الطبعة الأولى، مطبعة وليلي للطباعة والنشر، مراكش.
2. بلعسري أحمد(1988)، التحديث الفلاحي ونمو المراكز الحضرية بدكالة: مثال الدائرة السقوية لدكالة، دبلوم الدراسات العليا، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط.
3. عاميري يونس(2012)، مركز أربعاء العونات: مشاكل النمو ومعيقات التطور"، بحث لنيل شهادة الماستر، جامعة شعيب الدكالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجديدة.
4. فهمي مينة(2002)، آليات نشأة وتطور المراكز الحضرية سيدي يحي زعير وأكنول، منشورات الوكالة الحضرية لتازة.
5. ربياع محمد(2002)، التحديث الفلاحي والتحولات الاجتماعية-المجالية بسهل دكالة، أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال.
6. هوزلي أحمد(1992)، تمدين الأرياف المغربية، مقدمة منهجية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، مراكش، العدد 7.
7. Belfquih. M ‹Fadloullah. A‹(1986):«mécanismes et formes de croissance Urbaine au Maroc :Cas de l’agglomération de Rabat-Salé »‹ Edition‹ El maârif Aljadida – Rabat.
8. Escalier. R‹(1982):«le système urbain : Métropoles et petites villes » ‹ Maghreb machrek‹ N° 96‹ Paris.
9. Hanzaz. M‹(2004):«Approche méthodologique relative à l’étude des centres ruraux de services‹ In méthodes de recherche dans le monde rurale marocain » ‹ colloques et séminaires n°113.Publication Faculté des lettres et Sciences Humaines‹ Rabat.
10. Kerzazi .M‹(2010):«Centres ruraux et Petits Centres Urbains ‹Outil de Structiration de l'espace rural au MAROC‹ L’urbanisation de la compagne » ‹ publications de de l’université AGDAL ‹ Faculté des Lettres et des Science Humaines de RABAT‹ N°162.
11. Khyati. S‹(2002) :«développement agricole et aménagement de l’espace rurale dans le périmètre irrigué des doukkala»‹ thèse de doctorat d’État. Université Chouaib Doukkali-El Jadida- Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-El Jadida-.T1et T2.

الأبعاد المجالية والاجتماعية للسياسة الترابية بالدار البيضاء
-حالة حي النسيم بمقاطعة الحي الحسني-

The spatial and social dimensions of the territorial policy in - The case of Al-Naseem neighborhood in district of Hay Casablanca Al-Hassani

أ.ياسين أوصار، باحث في سلك الدكتوراه جامعة القاضي عياض-المغرب

ملخص: تكشف عملية النسيم كعملية إعادة الإسكان في الشقق عن عمق الأبعاد السياسية وتغييب الأبعاد الاجتماعية، كما أنها جاءت لتستجيب لما تم التخطيط له في المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية، وقد شكلت العملية شحنة من الثوابت عبرت عن خضوع التعمير للنمط الرأسمالي مما ينعكس سلبا على الساكنة ويتجلى ذلك في الإقصاء والتهميش وغياب التكامل الوظيفي بين العملية التعميرية وباقي النسيج الحضري.

الكلمات المفتاحية: السياسة الترابية، إعادة الإسكان، التجديد الحضري**.**

Abstract: The process of re-housing in the apartments reveals the depth of the political dimensions and the absence of social dimensions. The process also came to respond to what was planned in the urban planning guideline. The process was a constellation of constants that expressed the subordination of the capitalist style, Negatively on the population is reflected in the exclusion and marginalization and the absence of functional integration between the process of reconstruction and the rest of the urban fabric.

Keywords: Territorial policy-Re-housing-Urban renewal.

مقدمة:

إن مشكل السكن بالدار البيضاء ليس حديث العهد، وإنما ترجع جذوره إلى الفترة الاستعمارية، أي منذ أن تم الفصل بين الأحياء الأوربية وأحياء السكان المغاربة، بحيث بدأ التهميش يطال الأنسجة العتيقة، كما ظهرت أنماط جديدة في النسيج الحضري كأحياء الصفيح والبناء غير المنظم، ولم يقف المشكل عند هذا الحد، بل استفحلت الظاهرة وتوسعت مجاليا جالبة معها مجموعة من المشاكل الاجتماعية على مستوى الصحة.

أمام هذه الظواهر الجديدة التي بدأت تشهدها المدينة، عملت الدولة على تبني استراتيجيات متعددة في سعيها لمواجهة هذه المشاكل، بدءا من محاولة حل أزمة السكن منذ العهد الكولونيالي، على اعتبار أن السكن هو أساس كل تلك المشاكل، ومن بين تلك الحلول تصميم "إيكوشارEcochard" الذي اقترح بالنسبة للمغاربة السكن في المجموعات الكبرى والأحياء النجمية "satellites Cité" التي توقعها في إطار مبادئ ميثاق أثينا في شكل وحدات جوارية من 30000 إلى 40000 نسمة مع مركز الخدمات والتجارة.

ومن محتويات هذه الاستراتيجيات بعد الاستقلال أيضا محاولة تأهيل العديد من الأحياء ك "سيدي الخدير بمقاطعة الحي الحسني أو إعادة الإسكان كالوفاق 1-2-3-4 بالإضافة إلى "حي النسيم[1]"، بنفس المقاطعة، لكن هذه الإستراتيجية رغم اختلاف ظرفها الزمني، تميزت بطابعها الاستعجالي وحضور الهاجس الأمني، على حساب الغايات الاجتماعية للساكنة البيضاوية، الشيء الذي طرح بدوره العديد من المشاكل.

انطلاقا من هذه المعطيات سنعمل على تتبع إحدى الاستراتيجيات التي نهجتها الدولة في هذا الإطار ويتعلق الأمر بتجربة "حي النسيم" بمقاطعة الحي الحسني؛ ذلك أن هذه العملية جاءت في إطار تجديد النسيج الحضري لوسط المدينة و ترحيل ساكنة المركز إلى هذا المجال.

مشكلة الدراسة:

إن ترحيل كتلة سكانية لها ارتباط وثيق بالمجال الذي عمرت به زمنا طويلا سيطرح العديد من المشاكل في المجال الذي انتقلت إليه والمقصود بذلك أن سكان المركز لهم ارتباط شعوري ولا شعوري بمجالهم وعملية "الترحيل" نحو مجال لا ترتبط معه بأية رابطة سيطرح العديد من المشاكل خاصة إذا تفحصنا أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، ومن تم فإن السؤال الذي طرح هو هل "النسيم" يستجيب للمعطيات الاقتصادية والاجتماعية للساكنة المرحلة؟ وهذا السؤال يطرح بحدة مسألة الاندماج بين السكن والساكنة، أو بين الحي وباقي المجال الحضري للدار البيضاء؟ ومن هنا تتضح الإشكالية العامة لهذه الدراسة، ويمكن أن نبلورها على الشكل التالي:

هل استطاعت الإستراتيجية الرسمية في مجال تحسين جودة المجال المبني بالمركز وتأهيله وطنيا ودوليا وفي مقابل ترحيل ساكنته إلى الهامش الجنوبي بحي النسيم المحافظة على نفس العلاقة التي تم نسجها بالمركز؟ وهل تمكنت الساكنة من أن تندمج وتنسجم مع خصائص المجال الجديد ووسطها السكني؟ وكيف كان رد فعل الساكنة ومدى تكيفها مع المعطيات الجديدة؟ وكيف سينعكس ذلك على المجال الحضري؟.

فرضيات الدراسة:

- أن ساكنة النسيم لا ترتبط بمجالها الجديد لكونها ساكنة معدمة الدخل، وحتى لو كانت تتمتع بحدود معقولة من الدخل فلن تندمج مع هذا المجال، لكون المدة الزمنية بالنسيم غير كافية لتحقيق الاندماج مقارنة مع المدة الزمنية في المركز.

[1]- كان حي النسيم تابعا لمقاطعة ليساسفة قبل دمج هذه المقاطعة بمقاطعة الحي الحسني حسب التقسيم الإداري لسنة 2003.

-أن ساكنة النسيم لن تندمج مع مجالها الجديد في غياب الشروط الحقيقية للاندماج وهي العمل، وعندما نتحدث عن العمل فإن المعطيات المتعلقة بالعمل في النسيم ليست كمثيلتها في السابق، فالمجال السابق يوفر ظروف النشاط غير المهيكل التي تستجيب لمختلف الشرائح الاجتماعية، وبالتالي إمكانية العيش في تلك الظروف السكنية، فشكل العمل عنصرا مضادا للسكن لتحقيق الاندماج.

- أن الساكنة تضطر للتنقل إلى مجالاتها السابقة مما يكلف ميزانية الأسر ويفترض مسألة أساسية وهي غياب اندماج الحي في النسيج الحضري لغياب التكامل الوظيفي بينه و باقي المجال.

أهداف الدراسة:

تستهدف هذه الدراسة استكشاف المشاكل التي تواجه التعمير في غياب دراسة حقيقية للمشروع، و كيف أن عمليات التعمير تساهم في إعادة إنتاج المشاكل المرتبطة بالسكن، بل إن المواقف السلبية من طرف الإدارة تساهم في تعميق المشاكل وتزيده حدة.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في إبراز المشاكل العمرانية المرتبطة بالتعمير العملياتي، كما تمكن من بسط العراقيل التي تحد من فعالية التدخلات العمومية في مثل هذه العمليات لفائدة المهتمين بالشأن العمراني.

منهجية الدراسة:

للوصول إلى الهدف المعلن في هذه الدراسة والإجابة على تساؤلاته تم اتباع الخطوات التالية:

-التردد على المصالح الإدارية كالوكالة الحضرية للدار البيضاء والعمالة والمقاطعة لتوفير المعطيات الخاصة بالحي وبالعملية العمرانية.

-الاستمارة والحوار: شكلت المصدر الرئيسي للمعلومات، لكونها تلامس عن قرب الساكنة المعنية، بحيث أمكن عن طريقها بالإضافة إلى المعاينة الميدانية تأمين احتياطي مهم من المعطيات الإحصائية، واستخلاص مجموعة من التقاطعات والمتغيرات التي مكنت من مقاربة مسألة الاندماج/اللاندماج، وبالتالي تكوين صورة حقيقية عن الحي، ولهذا تم اختيار عينة شملت 200 أسرة قاطنة بالنسيم، وكان يتخلل الاستمارة حوار مع الأسر الذي مكن من إغناء المعطيات العامة عن الأسر، كما كانت تتم زيارات للحي لرصد التغيرات وتدوينها.

المنهج المستخدم:

لقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي عندما يتعلق الأمر بمعاينة الظواهر ووصفها وفهمها، والمنهج الجدلي وذلك لربط الموضوع بسياقه العام وتحليل واقع السياسة الترابية بالمجالات الهامشية الحضرية.

تحديد مفاهيم الدراسة:

السياسة الترابية: يطرح هذا المفهوم مجموعة من الإشكاليات تتعلق بتعريف هذه السياسة، وتحديد مجال تطبيقها، ودور الدولة والجماعات المحلية فيها، والقضايا التي ترتبط بها، وهذا ليس فحسب من الناحية اللغوية(ارتباط مفهوم السياسة بمفهوم المدينة)، ولكن من الناحية العملية، ذلك أن هذه السياسة عادة ما تأخذ معاني عدة وترتبط بمقاربات ووظائف أو اختصاصات قد تلتقي أو تتنازع مع بعضها البعض(بهضوض محمد، 2012، ص4-5)، وهكذا فإن سياسة المدينة في المغرب قد تفيد على السواء:

-السياسة العامة التي تباشرها الدولة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على مستوى المجال الحضري(دون المجال القروي)، وهي بذلك ترادف "السياسة الحضرية"؛

-السياسة القطاعية التي تباشرها وزارة معينة، هي "وزارة الإسكان والتعمير..."، وتعني مجموعة التدابير والمؤسسات والبرامج التي تطبقها هذه الوزارة في المدن؛

-السياسة المحلية التي تباشرها الجماعات المحلية على مستوى المدن في حدود القوانين المعمول بها (أي درجة اللامركزية)؛
-السياسات التي تباشرها المصالح الخارجية أو القطاعية في كل مدينة، في حدود درجة اللامركزية المتبعة والتي تتعلق بمجالات التعليم، والشغل، والأمن، والصحة، والثقافة، والنقل؛
-السياسات أو البرامج الوطنية التي تهم المدن مثل: برنامج " المبادرة الوطنية للتنمية البشرية "، وبرنامج التأهيل الحضري، وبرنامج مدن بدون صفيح، وبرنامج جمع النفايات ومعالجة المياه العادمة.

إعادة الإسكان: يعتبر هذا النوع من العمليات العمرانية احد الأنواع التي كانت أكثر شيوعا في عقدي السبعينيات و الثمانينيات من القرن 20 ولا زالت مستمرة إلى الآن، إذ أن نواة بعض الأحياء في الدار البيضاء كانت عبارة عن إعادة الإسكان يتحمل فيها السكان تكاليف البناء، بينما يكون التجهيز عبر مراحل تظهر أهمية هذا النوع من أشكال التدخل في كونه لا يكلف الدولة من الناحية المالية، غير أنه يتم عند هوامش المدينة مما يساهم في توسع المدينة ويبين الدور الذي تلعبه هذه العمليات في الدينامية المجالية، وامتصاص مساحات كبيرة من المجال ويظهر ذلك من خلال عملية مولاي رشيد لوحدها (13500 وحدة سكنية) قد ناهزت من الناحية الكمية ما تم إنجازه من السكن الاجتماعي خلال الفترة الاستعمارية (14193 وحدة سكنية ما بين 1944 و1956)(المصطفى شويكي، 2003، ص71)، وتظهر الانعكاسات الكمية بالضرورة في هذا النوع من أشكال التدخل على المجال الذي تتضاءل فيه المساحة الفارغة لصالح المبنية.

هناك نوع آخر من العمليات التعميرية في هذا المستوى ويتعلق الأمر بترحيل الأسر إلى شقق جاهزة، لكن طريقة الأداء تختلف عن الشكل السابق، وهنا يتم ربط السكان بسياسة القروض السكنية مع شروط يجب توفرها في المستفيدين ويعطي البعض الأفضلية لإعادة الإسكان في سكن جماعي وذلك من أجل مواجهة مشاكل قلة الأراضي والجمال العمراني(إدريس بنجلون، 1993، ص23)، لكن تطرح هذه العملية مشكل تسويقه بأسعار منخفضة جدا عن سعر تكلفتها للمستفيدين، ما يخلق مشاكل للجهة المشرفة على المشروع كعملية التشارك بمولاي رشيد والنسيم بليساسفة، أضف إلى ذلك المشاكل العمرانية التي تطفو على السطح من قبيل تشويه مرفلوجية الحي بسبب التعديلات المدرجة على الشقق من طرف السكان، الملاحظ أن هذه السياسة ارتبطت وثيقا بالوضع الأمني للدار البيضاء ما جعل الهوامش الحضرية الداخلية للمدينة تنفتح على تعمير خاص سمي من طرف الباحث رشيق عبد الرحمان بالتعمير الاستعجالي، ومنه الأحداث المرتبطة بحريق الدرب الجديد سنة 1958 وأحداث 1981 التي شكلت الفرصة للقضاء على الحي الصفيحي لبنمسيك بحي مولاي رشيد بتمويل من الوكالة الأمريكية للتنمية USAID.

الاندماج: يعتبر مفهوم الاندماج من المفاهيم السوسيولوجية المحضة، فهناك من الباحثين من يميز بين نوعين من الاندماج(René Schoonbrodt, 1979, p46-47):
اندماج حالة: يعني حجم وكيفية مشاركة الفرد في محيطه البيئي، ويحيل المفهوم في هذا المستوى إلى مفاهيم مضادة كالإقصاء، والتهميش، والتمييز.
-اندماج سيرورة: فتحاول فيه المجموعة أن تكسر ذلك الإقصاء أو حل النزاعات التي تطرح أمام الآخرين.

وإذا احتفظنا بهذه المفاهيم في حدود هذا المستوى سنغيب العنصر المجالي في مفهوم الاندماج، ذلك أن المجال يشكل عنصرا أساسيا في العلاقة التفاعلية مع المجتمع لتحقيق مفهوم الاندماج، بل يعتبر إحدى الميكانيزمات الأساسية للاندماج، وتظهر هذه الآلية من خلال شكل العلاقات التي ينتجها مجتمع من المجتمعات مع مجاله، وبالتالي يصبح المجال جزءا لا يتجزأ من الاندماج، ويظهر ذلك من خلال الأنشطة التي يمارسها السكان في هذا المجال وتصبح عاملا في مصدر

عيشهم، ومن هنا يتضح أن عمليات إعادة الإسكان التي تتم بترحيل السكان إلى المجالات الهامشية بعيدا عن مجالاتهم تطرح مسألة الاندماج بحدة، سواء بين السكان والمجال الجديد من جهة، أو بين هذا المجال وباقي المجال الحضري ككل؛ وتتضح من جهة العلاقات الوظيفية بين أجزاء المجال الحضري، وهو ما يتم تغييبه في كل عمليات إعادة الإسكان.

التجديد الحضري: يقدم HenryCoing تعريفا لمفهوم التجديد الحضري في كتابه Rénovation urbaine et changement social على أنه تعديل لوجه الأحياء القديمة (HenryCoing,1966,p9)وهو بذلك لم يحدد بدقة مفهوم التجديد الحضري وجعله فقط مرتبط بالتعديل دون تحديد مصير الساكنة، وهل التجديد يقتصر على نوع من الترميم، أم يعني إدخال نوع من الإصلاحات المرتبطة بتزيين الواجهات؟ أم هل التجديد يهم ترحيل الساكنة إلى مجالات أخرى؟

وبالرجوع إلى تاريخ التجديد الحضري نجد له أصلان مختلفان:

-هناك عمليات من نوع تجاربHausman، المرتبطة بمشاكل التهيئة الحضرية للبحث عن الروعة و الشهرة لغاية سياسية؛

-النوع الثاني والذي نشأ في نفس الفترة بعمليات تجديد الأوضاع المتردية بالسكن (Henry Coing, 1966, p9).

يتضح من خلال ما سبق أن التجديد الحضري يستهدف القضاء على جميع أشكال السكن غير اللائق بما فيه النموذج الذي يمثل المدينة القديمة، وفي هذا إلحاق الضرر بأنواع النسيج الحضري، كما أن التجديد الحضري في هذا المستوى يخفي وراءه أبعادا سياسية هي التي تتحكم في عملية التجديد الحضري لأنه في غياب إشراك السكان في عملية التجديد تتضح النوايا السياسية، وفي هذا الصدد يؤكد Jean-Pierre Paul أنه لكي تنجح عملية التجديد يجب إخفاء حدود تحولات هذه العملية(Jean-Pierre Paul,2000,p149).

الخلفيات والأبعاد لمشروع حي النسيم ضمن المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية لسنة 1984:

أمام الأحداث التي شهدتها مدينة الدار البيضاء سنة 1981 فرض على الدولة التدخل لضبط المدينة على المستوى الأمني، وتشتيت ساكنة المدينة القديمة في اتجاه هوامش متباعدة يتطلب الربط بينها عبر خطوط النقل العمومي و حتى الخاص مدة طويلة من الزمن، وبذلك تم اقتراح مشروع عمراني لتجديد النسيج الحضري وتهوية مركز الأعمال وتسهيل حركة المرور داخله، وهذا المشروع المعروف "بالمحج الملكي" الذي يمتد على مساحة تقدر ب 50 ha للربط بين مسجد الحسن الثاني وساحة الأمم المتحدة لجعل المركز قطبا من مستوى دولي يتضمن مختلف متطلبات نشاط وحياة رجال الأعمال(الوكالة الحضرية للدار البيضاء، 1984)، وبذلك المسجد القطب المهيكل لكل عمليات التهيئة في الدار البيضاء، ولأهمية هذه العملية أسندت مهمة تنفيذها للشركة الوطنية للتهيئة الجماعية التي وضعت دراسة سوسيو-اقتصادية وعقارية وتقنية لانطلاق المشروع فتوصلت للنتائج التالية:

الجدول رقم 1: الخصائص السوسيو-اقتصادية لمجموع المنطقة المدمجة في المحج الملكي(الشركة الوطنية للتهيئة الجماعية).

عدد الأسر	عدد السكان	حجم الأسر	عدد المباني	وضعية استغلال المساكن %		
				مكترون	أصحاب الزينة	الملاك
19722	97029	5.2	6140	81 بالمجان	12	7

فحوالي 97029 نسمة مرشحة للترحيل في اتجاه حي النسيم، غالبيتها تعيش في ظروف سكن غير لائقة و سكن متقادم وذات كثافة مرتفعة، وغالبية الأسر أي 81% تكتري مساكنها بينما اقل من 10% منها مالكة.

وبذلك فقد شرع في عملية الترحيل سنة 1995 بعدما تم تقويم المبلغ في 1/3 ستدفعه الأسر للحصول على الشقة وتتحمل الشركة الباقي، وقد وصل عدد الأسر التي تم ترحيلها إلى 2193 أسرة، أي ما يقارب 12000 نسمة أي 10% من مجموع المنطقة.

غير أن السؤال الذي يطرح بحدة في هذا المستوى، لماذا تم اختيار هذا الموقع بالذات دون غيره من مواقع أخرى من الدار البيضاء لساكنة تعتبر نفسها أنها أصل ساكنة البيضاء؟ هل توجه العملية جاء ليصحح مسار التعمير في الدار البيضاء؟ هل تخفيض الكثافة بالمركز يناء على ما نادى به المخطط يجب أن يكون في أية ضاحية من ضواحي الدار البيضاء للحفاظ على مركزية المركز؟ فإذا أخذنا عملية النسيم التي تصنف ضمن العمليات التعميرية المعقدة في إطار التجديد الحضري جاءت متعددة الأهداف في سياق "القاعدة التقليدية لخلق قطعة من مدينة حسب Claude Chaline. فعند تتبع وثائق التعمير منذ العهد الكولونيالي نجد أنها تنص على ضرورة خلق قوة عمل بجوار الأحياء الشمالية الشرقية في إطار تزكية المنطلقات التي رسمها "ليوطي Lyauté"، لكن الواقع كان دائما عكس الوثيقة التعميرية بحيث اتجه التعمير نحو الجنوب لضغوط عقارية بالأساس، لكن عندما يتعلق الأمر بمشروع من حجم المحج الملكي والنسيم، تحكمت فيه ظرفية المراقبة السياسية المتشددة للمجال وبتأطير من مؤسسة تابعة لوزارة الداخلية، كان لابد من احترام وثيقة التعمير التي رسمت خطوطه العريضة، فهل هذا الخلاف ينم عن اقتناع الدولة ببطلان وتناقض الحلول المقترحة لحل أزمة المدينة؟

إن أزمة المدينة في الدار البيضاء هي أزمة ديمغرافية، حيث تعد مركز استقطاب لتوافدات هجرية كتلية من البوادي وحتى المدن الأخرى، مما أدى إلى إثقال المدينة بساكنة كبيرة جعلتها تعجز عن الاستجابة لمطالبها الطبيعية في الحياة، وبالتالي ارتفاع الكثافة السكانية بالمدينة، هذه الكثافة خنقت المركز في المدينة القديمة خارج السور، هذه الحقيقة الديمغرافية جعلت الدولة عندما تقوم بعملية التجديد الحضري لا تستجيب للاتجاه الذي رسمته وثيقة التخطيط العمراني، بل يبقى الحل في نظرها أي وجهة من أماكن المدينة قابلة للتوطين، دون اعتبار للخصوصيات وارتفاقات التعمير، ولهذا نجد في المقاطعات الجنوبية اتجاه لارتفاع معدلات النمو السكاني، كما توضح ذلك الخريطتين 1 و2، إذ تبرزان إلى جانب اتجاه ارتفاع النمو السكاني نحو المقاطعات الجنوبية، هناك اتجاه نحو تحرير المركز وتخفيف الضغط السكاني عليه بالإضافة إلى خفايا تبرزها الخريطة هي تلك الدينامية بواسطة السكن الاجتماعي الذي تعرفه المقاطعات الجنوبية لما تتوفر عليه من رصيد عقاري كبير.

وبما أن مشروع النسيم مخصص لإيواء قاطني المدينة القديمة المشمولين بالمحج الملكي، فإنه يعبر أيضا عن سياسة الدولة في مجال السكن، التي تستجيب لظروف سياسية، كما أن هذه السياسة تستجيب لمشكلين:

1-أزمة السكن: التي ستصبح على المدى المتوسط خطرا فعليا، وستكون قوة مطلبية لا يمكن أن توقفها الدولة إذا لم تتدخل كليا.

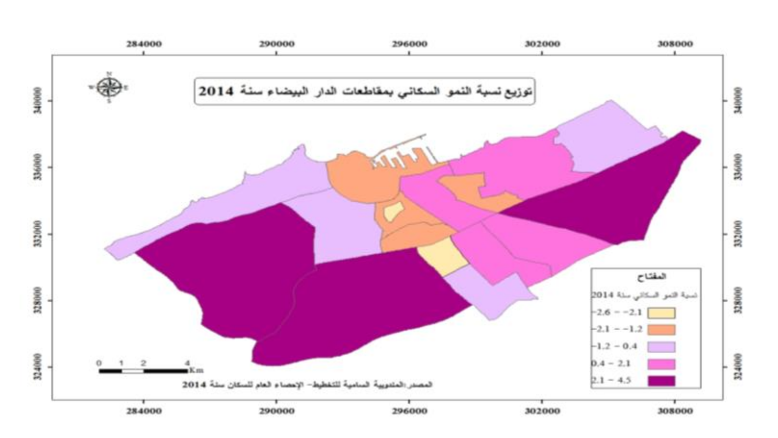
2-مشكل الشغل: هذا المشكل(BenzakourSaad,1978 ,p176) حاولت أن تحله بتوفير قوة العمل بجانب المنطقة الصناعية ليساسفة، لكن هذه القوة العاملة القادمة إلى سكناها الجديدة لا ترتبط بصناعة النسيج أو الخشب، بل لها تقاليد بحرية، بمعنى هي مرتبطة بالصناعة المينائية والميناء، أو مرتبطة بالقطاع الثالث عن طريق التجارة، وهنا نسرد كمثال باب مراكش-درب السلطان- القريعة.

يتضح إذن أن مثل هذه العمليات يكون هدف الدولة منها هو إقصاء لتلك المجموعة السكانية، مما يطرح مسألة الإندماج كمعطى تم تغييبه في الدراسات الأساسية في هذه العملية التعميرية وتظهر الغايات السياسية أكثر من البعد الاجتماعي.

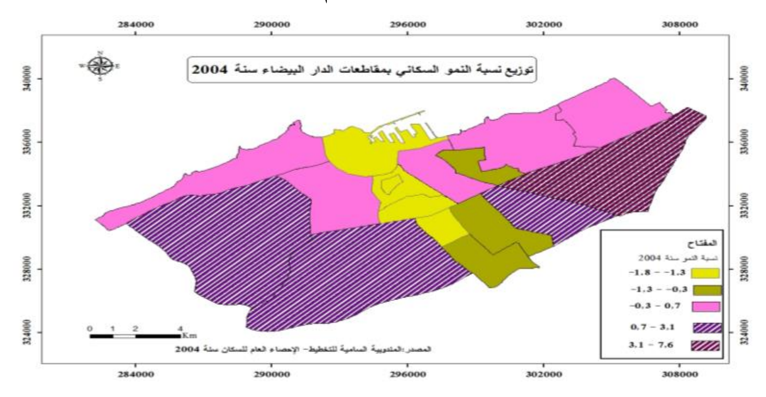
حي النسيم: مشروع سكني بمنطق الإقصاء و التهميش:

بالنسبة لساكنة النسيم تتحدد ميكانيزمات الإقصاء الذي تشعره هذه المجموعة البشرية، إلى جانب السياسات الحضرية بدينامية البنية الاقتصادية للتعمير الرأسمالي، فبناءا على هذه الدينامية نفهم جيدا تأثير توطين مختلف أصناف الأنشطة وبالتالي الشغل وأصناف الفئات الاجتماعية (Monique Pinçon Charlot et autres, 1986, p147)، ونجد من بين هذه الميكانيزمات التي تساهم في الإقصاء هناك سياسة القروض، هذه السياسة التي تكون غالبا انتقائية لذوي الدخل المتوسط و القادرين على الأداء(Alain Durand-Lasserve,1986,p117)، ثم هناك عامل أساسي وهو عامل زمني يرتبط

الخريطة رقم 1



الخريطة رقم 2



بالتراكم الثقافي والتاريخي في العلاقات المنتجة مع المجال، ويظهر ذلك من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 2: حي النسيم: مدة إقامة أرباب الأسر بسكناها السابقة بالمدينة القديمة

مدة الإقامة	العدد	النسبة %
2 سنتين و أقل	03	01,5
3-5 سنوات	06	03
5-8 سنوات	04	02
8 – 12 سنة	10	05
12-20 سنة	29	14,5
20-30 سنة وأكثر	38	19
30 سنة وأكثر	110	55
المجموع	200	100

المصدر: بحث ميداني- عينة 200 استمارة

يتضح من خلال الجدول أن المدة القوية بالحي السابق، وحجم وشكل العلاقة المنتجة مع مجاله كافية بأن تخلق تلك الرابطة الشعورية واللاشعورية معه من طرف الساكنة ف 93.5% من أرباب الأسر نجدهم أقاموا مدة تزيد عن 8 سنوات بالمدينة القديمة، أما أقل من 8 سنوات فلا يمثلون سوى 6,5%.

وبذلك تظهر أهمية عنصر الزمن في خلق أشكال جديدة من التنقل يفرضها ما يمكن أن نسميه "الحنين إلى الحي القديم" ويتجلى ذلك من خلال الجدول التالي:

الجدول رقم 3: اتجاهات التنقل أرباب الأسر في حي النسيم

المقاطعة	العدد	النسبة المئوية %
مقاطعة سيدي بليوط	59	42.44
مقاطعة آنفا	14	10,07
مقاطعة المعاريف	10	7,9
مقاطعة الحي الحسني	16	11,51
مقاطعة عين الشق	8	5,75
مقاطعة الفداء	20	14,38
مقاطعة الحي المحمدي	2	1,43
مقاطعة عين السبع	4	2,87
مقاطعة مولاي رشيد	2	1,43
باقي المقاطعات	4	2.87
المجموع	200	100

المصدر :بحث ميداني- عينة 200 استمارة

يبرز لنا الجدول أهمية التنقل نحو المدينة القديمة بمقاطعة سيدي بليوط أي ما نسبته 42,44 % تليها مقاطعة الفداء وهي منطقة تعرف توافدات هجرية مهمة من ساكنة النسيم على اعتبار أن هذا الحي قد استقبل ساكنة في إطار الاستفادة من الشقق بعد الفيضانات التي تعرض لها حي بوجدور جراء التساقطات المطرية الغزيرة لسنة 1996، فلذلك "كلما ارتفعت درجة الحركية، كلما ضعفت درجة الاندماج أو يكبر خطر اللاندماج (Jean-François.Besson, 1970, p209)، كما يزداد الإحساس بالإقصاء والعزلة وسخط عام على العملية التعميرية، لأنها ساهمت بشكل قوي في اقتلاع جذور الساكنة من مقرها الأصلي حيث التاريخ والثقافة والمجتمع يتطابقون مشكلين هوية الفرد.

يتضح إذن أن المدة الزمنية قادرة على صهر العلاقات مع المجال، فمجال النسيم لم يحقق هذا البعد بخلاف المركز أو درب السلطان، مما خلق دينامية بين الجنوب الغربي وهذه المجالات ، دينامية كانت على حساب مجموعة من العناصر الأخرى وأولها المصاريف في ميزانية الأسر والمسافة المجالية والزمنية، يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم 4 : المصاريف في ميزانية أرباب الأسر بحي النسيم

مجالات الصرف	العدد	النسبة %
الماء و الكهرباء	200	29,54
التغدية	239	24,72
الأقساط البنكية للشقة	155	19,15
التنقل	156	19,28
التطبيب	59	7,29
المجموع	809	100

المصدر: بحث ميداني- عينة 200 استمارة.

يظهر من خلال الجدول أن التنقل والأقساط البنكية الخاصة بتسديد قرض الشقة، أصبحا عنصرين دخيلين في ميزانية الأسر، فالأسر من فئة الطبقات التي لا تتوفر على دخل قار زادت من حدة الاندماج، فبعدما كانت القدم هي وسيلة التنقل الأساسية لجميع الفئات العمرية، أصبح النقل الجماعي يشكل أزمة المصروف اليومي للسكان مما اضطر معه العديد من النشيطين إلى التعطل-الأنشطة غير المهيكلة التي كانت توفرها المدينة القديمة- فإذا كان النقل الجماعي يشكل في منظومة الأدبيات التعميرية والتهيئة عنصرا من عناصر الهيكلة المجالية وعاملا من عوامل الاندماج، بحيث" يسمح بتقريب المسافة المجالية والزمنية بين الأحياء والمركز"(Azouz p127 ,Begag,1995)، فإنه والحالة هاته يعتبر عاملا من عوامل الإقصاء المجالي وحتى الاجتماعي، بحيث لا يساهم بشكل فعال في اندماج الساكنة في وسطها الجديد بالنسيم، بل ساهم بشكل أكثر فاعلية في إقصائها وتعطيلها، وبذلك شكل البعد الزمني والمجالي عاملان في الإقصاء والإحساس باللاندماج.

خاتمة:

يتضح من خلال ما سبق أن الشحنة السكانية التي تميز ساكنة الأحياء غير اللائقة قد تشكل خطرا يهدد مراكز القرار السياسي في مدينة الدار البيضاء، وهو ما جعل الدولة منذ عهد الحماية ترفع شعار "التعمير الاستعجالي"(AbderhmaneRchik, 2002, p186)، هذا التعمير الذي طغت عليه الهواجس الأمنية في حين تغيب الأبعاد الاجتماعية، فتطرح مسألة الهوية بالنسبة للفرد في هذه العمليات العمرانية المرتبطة ب"الترحيل"- بصيغة قسرية-، إذ أن العوامل الثقافية والزمنية التي تحدد قوة الارتباط بالمجال قد تضمحل مع التعمير الأمني الاستعجالي الذي يفرض

منطق الإخلاء وبالقوة إن اقتضت الضرورة ذلك، مما يطرح مشاكل جديدة بل و أكثر حدة، وتكون بذلك عملية المحج الملكي بالمركز و لنسيم لإيواء الساكنة المشمولة بهذا المشروع العمراني قد بينت الوجه الخفي لهذه الساكنة الهشة.

قائمة المراجع:

1. إدريس بنجلون(1993)، استيعاب أحياء الصفيح: نحو ممارسة جديدة، في الموئل، عدد فبراير.
2. عبد الرحمن المالكي(2001)، الاندماج والإدماج: مستويات الدلالة السوسيولوجية. في التكوين الجامعي والاندماج السوسيومهني، منشورات كلية الآداب، فاس.
3. محمد بهضوض (2012)، سياسة المدينة في المغرب– وزارة السكنى و التعمير وسياسة المدينة- المنتديات الجهوية – الحوار الوطني: سياسة المدينة، أبريل-ماي
4. المصطفى شويكي (2003)، السكن غير اللائق، المفاهيم و الدلالات: أشغال يوم دراسي حول السكن غير اللائق في 28 ماي 2003، منشورات الاتحاد الجغرافي، فرع الدار البيضاء.
5. Abderhmane Rchi (2002). Casablanca: l'urbanisme de l'urgence. Imprimerie Najah El-Jadida. Casablanca.
6. Alain Durand-Lasserve(1986). L'exclusion des pauvres dans les villes du tiers monde. Éditions l'Harmattan. Paris.
7. Azouz Begag (1995). Espace et exclusion : Mobilités dans les quartiers périphériques d'Avignon. Editions l'Harmattan. Paris.
8. Besson Jean-François (1970). L'intégration urbaine .Editions Presses Universitaires de France.Paris.
9. Claude Chaline (1999). Régénération urbaine. Edition P.U.F.Paris.
10. Henry Coing (1966). Rénovation urbaine et changement social. Éditions ouvrières. Paris.
11. Monique Pinçon- Charlot et autres(1986). Ségrégation urbaine: Classes sociales et équipement collectifs en région parisienne. Éditions Anthropos. Paris.
12. Paul Jean-Pierre (2000). Géographie urbaine. Éditions Armand colin. Paris.
13. Saad Benzakour (1978). Essai sur la politique urbaine au Maroc 1912-1975. les éditions maghrébines. Casablanca.
14. Schoonbrodt René (1979). Sociologie de l'habitat social. Edition des archives d'architecture moderne. Bruxelles.

الاغتراب وعلاقته بالقلق لدى طلبة مرحلة التعليم الثانوي

Alienation and its relationship to anxiety Of secondary school students

د. احمد فلوح، المركز الجامعي غليزان- الجزائر

ملخص: هدفت الدراسة التعرف على علاقة الاغتراب بالقلق، والتعرف على مستويات الاغتراب والقلق لدى عينة من طلبة الثانوية، ولقد استخدم مقياسين مقياس الاغتراب المتكون من 30 بند ومقياس القلق المتكون من 20 بند، ولقد طبق المقياسين على عينة من متكونة من 75 طالبا وطالبة من الثانوية، ولقد أسفرت الدراسة على النتائج التالية: وجود علاقة ارتباطيه ايجابية دالة إحصائيا بين درجات الاغتراب والقلق.ووجود درجة مرتفعة لمظاهر الاغتراب المتمثلة في العجز واللاهدف واللامعنى واللامعيارية والتمرد والعزلة.ودرجة مرتفعة لسمات القلق لدى عينة البحث من طلبة الثانوية.

الكلمات المفتاحية: القلق، الاغتراب، طلبة المرحلة الثانوية.

Abstract: The study was designed to identify the relationship of alienation to anxiety, and to identify the levels of alienation and anxiety in a sample of secondary students. The measure of alienation consisting of 30 items and the measure of anxiety consisted of 20 items. The two measures were applied to a sample of 75 students from secondary school. The study found the following results: There is a positive correlation relationship statistically significant at the level of significance between alienation and anxiety. There is a high degree of manifestations of alienation.and a high degree of anxiety in the research sample of secondary.

Keywords: anxiety, alienation, high school students.

مقدمـة:

لقد شهد عالمنا المعاصر تطورا مذهلا فاق التصور، برز فيه التطور العلمي والتكنولوجي وتأثيراته على مختلف القطاعات السياسية والاقتصادية والأمنية والثقافية والروحية والاجتماعية والتربوية، ومع هذا التطور حدث تطور على مستوى الفرد في تفكيره وعواطفه ومشاعره واتجاهاته وسلوكاته، وحدث تطور وتغير في قيمه بسبب تأثيرات العولمة والاتجاهات العلمية والتكنولوجية.

والفرد في زماننا يسعى لمواكبة العصر بكل الطرق والوسائل حتى لو كان على حساب التخلي عن بعض مبادئه وقيمه، فالمصالح حلت مكان المبادئ والثوابت أصبحت متغيرات، والمتغيرات أصبحت ثوابت عند البعض، وانتشر التفكير المادي والشيئي، وطغت الأنانية، وبرز نكران الفرد لثقافة آبائه وأجداده، وأضحى البعض لا يعترف بمعايير المجتمع، ولا يبالي بها ويعتبرها من الماضي، وظهر إهتمام الأفراد بثقافة وسائل التواصل الاجتماعي مثل الفايسبوك ومختلف وسائط الاتصال الحديث وأصبح لكل فرد عالمه الافتراضي الخاص به.

وهكذا تجلت مظاهر الاغتراب النفسي والاجتماعي لدى الأفراد، وتوسعت تلك المظاهر إلى شرائح المجتمع عامة، منهم المتعلمين الذين هم أكثر الفئات التي تتضح فيها مظاهر الاغتراب، فكثير من المتعلمين يشعرون بالعجز عن تحقيق أهدافهم بسبب أسباب ذاتية نفسية وأخرى موضوعية خارجية، وأهدافهم غير واضحة وغير واقعية أحيانا، ويعيشون لذواتهم وللحظة التي هم فيها، وعصيانهم للأوامر الوالدية والمدرسية أضحى سمة في سلوكهم، وعدم الاعتبار برموز الوطن وعلمائه أيضا من العلامات الملاحظة، وقد صاحب مظاهر الاغتراب لدى المتعلمين، سمات القلق مثل التوتر والاضطراب والتعصب والنرفزة والخوف والرعب والحزن والاكتئاب وعدم الثقة وانعدام الأمن والطمأنينة وغيرها من علامات القلق .

وتعتبر ظاهرتي الاغتراب والقلق من أهم ملامح كثير من الشباب والمتعلمين، ومن أكثر المفاهيم أهمية في العلوم النفسية والسلوكية والاجتماعية في عصرنا، فالاغتراب له مظهر نفسي وسلوكي فردي وله مظهر اجتماعي جماعي،لذا يظهر مفهوم الاغتراب النفسي والاجتماعي، والقلق أيضا له مظهر نفسي ومظهر اجتماعي، لذا نجد القلق النفسي والقلق الاجتماعي.

والتعليم قد يساهم في تعميق من ظاهرة الاغتراب والقلق عند المتعلمين عندما تغيب نماذج القدوة الاجتماعية المتمثلة في الأساتذة والإداريين، وعندما تغيب الممارسات التربوية السليمة والمعاملة الإنسانية الراقية في المؤسسات التربوية،وعندها لا يستطيعون تلبية احتياجاتهم النفسية، مما يزيد من قلق التلاميذ ويعمق الهوة بينهم وبين المجتمع، ويدفعهم إلى التمرد والعزلة ومخالفة القوانين والأوامر.

وأكثر من ذلك أوضاع المجتمع وظروفه وغياب العدالة الاجتماعية والتربية السليمة وانتشار الإعلام الفاسد والمضلل كلها أسباب تؤدي إلى الإحساس بالاغتراب التي يتولد عنها سلوكيات غريبة عن قيم المجتمع وعاداته، وتكون أيضا سبب في رفع درجة القلق واتساعه.

ودراستنا هذه اهتمت بدراسة الظاهرتين الاغتراب والقلق بغية لفت الانتباه خاصة إلى خطورة تفشي ظاهرة الاغتراب وتأثيراتها السلبية على الأفراد والجماعات.

مشكلة الدراسة:

قد لا نختلف على أن ظاهرة القلق سمة من سمات العصر، مست مختلف الشرائح في المجتمع، ومنها المتعلمين، خاصة طلاب المرحلة الثانوية والجامعية، وظاهرة أخرى أيضا من مظاهر المتعلمين في هذه المرحلة وهي ظاهرة الاغتراب، حيث الشعور بالعجز وضبابية الأهداف، و عدم إعطاء معنى للحياة وعدم الالتزام بالمعايير أو الانحراف عنها وغيرها من مظاهر الاغتراب التربوي والنفسي والاجتماعي.وبحثنا يحاول دراسة العلاقة بين القلق والاغتراب النفسي عند عينة من طلاب المرحلة الثانوية، قصد الكشف عن مدى ونوع العلاقة الموجودة بين القلق والاغتراب، ويمكن حصر إشكالية البحث كالآتي:

هل يوجد علاقة بين الاغتراب والقلق، وما هي مستويات الاغتراب والقلق الموجودة لدى عينة من طلبة الثانوي؟.

تساؤلات الدراسة:

1. هل توجد علاقة بين الاغتراب والقلق؟.
2. ما مدى وجود مظاهر الاغتراب لدى تلاميذ المرحلة الثانوية؟.
3. ما مدى وجود سمات القلق لدى تلاميذ المرحلة الثانوية؟.

فرضيات الدراسة:

1. توجد علاقة بين الاغتراب والقلق لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.
2. توجد مظاهر الاغتراب لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.
3. توجد سمات القلق لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.

أهداف الدراسة :

- الكشف عن العلاقة بين الاغتراب والقلق .
- التعرف على مدى وجود مظاهر الاغتراب لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.
- التعرف على مدى وجود سمات القلق لدى تلاميذ المرحلة الثانوية.

أهمية الدراسة :

- الأهمية تكمن في أهمية متغيرات الموضوع المدروس فالقلق سمة العصر لها تأثير كبير في حياتنا وخاصة على الشباب والمتعلمين، ومفهوم الاغتراب أيضا له أهميته في عصرنا لارتباطه بالهوية وبالانتماء، ومن الأهمية بمكان معرفة الارتباط الموجود بين المفهومين والظاهرتين القلق والاغتراب خاصة لدى المتعلمين في المرحلة الثانوية لأنها فترة تبلور وبروز ملامح الشخصية.

- والدراسة محاولة للكشف عن ملامح الاغتراب ومظاهره، والكشف عن سمات القلق الموجودة عند شريحة من المتعلمين في المرحلة الثانوية.
- وموضوع بحثنا مهم لأنه مرتبط ليس فقط بحياة وشخصيات المتعلمين ولكن أيضا بأهداف المنظومة التربوية وبأهداف المجتمع ومشاكله.

تحديد مصطلحات الدراسة:

القلق: يعرفه منسي 1998 على أنه عبارة عن إحساس الفرد بالرعب المستمر والخوف نتيجة لقيم معينة يحملها الفرد بداخله، أو من أحداث خارجية لا تبرر وجود هذا الإحساس فالقلق قد يعني مجموعة من أحاسيس ومشاعر انفعالية يدخل فيها الخوف والألم والتوقعات السيئة وهو خبرة انفعالية مؤلمة يعاني منها الفرد عندما يشعر بخوف أو تهديد دون أن يستطيع تحديده بدقة أو بوضوح(ناصر محمد نوفل، 2016، ص9)، وفي بحثنا مرتبط مفهوم القلق باستجابات التلاميذ عينة الدراسة على مقياس سمات القلق الذي يتضمن 20 فقرة.

الاغتراب: عبارة عن حالة ذهنية يشعر فيها الشخص بأنه معزول عن مجتمعه أو شعور الفرد بالانفصال النسبي عن ذاته أو مجتمعه أو كليهما(رشا محمد علوان، 2014، ص389)، والمفهوم الإجرائي لدراستنا هو كما حدده عبد اللطيف محمد خليفة 2006 يتمثل في ست مكونات: العجز: ويقصد به شعور الفرد باللاحول واللاقوة ، وشعور الفرد بالإحباط والعجز عن تحقيق الذات.

اللاهدف: ويشير إلى شعور الفرد بالافتقار إلى وجود هدف واضح لحياته، وطموحات وأمال مستقبلية.

اللامعنى: ويقصد به أن الحياة لا معنى لها، نظرا لخلوها من الأهداف والطموحات، وبروز اللامبالاة.

اللامعيارية: تشير إلى رفض الفرد للقيم والمعايير والقواعد السائدة في المجتمع، وعدم الثقة بالمجتمع.

التمرد أو المغامرة: وتعبر عن الرفض والكراهية لكل ما يحيط به من قيم ومعايير.

العزلة: ويقصد بها شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي، وافتقاد العلاقات، والبعد عن الآخرين.

وهذا المفهوم الإجرائي وهو الذي اعتمد في دراستنا بحيث الاغتراب هو الدرجة التي يتحصل عليها المستجوب جراء استجابته على 30 بند من بنود مقياس الاغتراب لعبد اللطيف محمد خليفة.

المرحلة الثانوية: هي المرحلة الوسطى من التعليم في الجزائر، تأتي بعد مرحلة التعليم المتوسط وتسبق مرحلة التعليم الجامعي.

تلاميذ الثانوي:هم الأفراد الذين يزاولون دراستهم بالمرحلة الثانوية، وتترواح أعمارهم بين 15-18 سنة.

دراسات عن الاغتراب:

هناك العديد من الدراسات عن الاغتراب اخترنا بعضها نوردها ملخصة في الآتي:

دراسة بشرى علي(2008، ص513): مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية،هدفت الكشف عن مدى انتشار ظاهرة الاغتراب لدى عينة البحث، استخدم مقياس الاغتراب، طبق على 70طالبا وطالبة، ومن بين النتائج المتوصل إليها أن الطلبة السوريين الذين يدرسون في الجامعات المصرية يعانون من الشعور بالاغتراب المتمثل في اللامعيارية العزلة، التمرد، اللاهدف، العجز، اللامعنى، واغتراب الذات.

دراسة سلاطنية بلقاسم ونوي إيمان(2013، ص19): الاغتراب الثقافي عند الطلبة الجامعيين، هدفت التعرف على مستوى الاغتراب الثقافي، اعتمدت الاستبيان،طبق على عينة من 400 طالبا وطالبة، وتوصلت إلى أن الطلبة يعانون بدرجة مرتفعة من الشعور بالاغتراب.

دراسة رشا محمد علوان(2014، ص389): هدفت التعرف على الاغتراب النفسي لدى الطلبة، لعينة عشوائية من جامعة بابل من عدة أقسام بلغ عددهم (100) طالب وطالبة، طبق عليهم مقياس الاغتراب المتكون من 26 فقرة، وتوصلت إلى وجود درجة مرتفعة من نسبة الاغتراب.

دراسة علي محمود كاظم الجبوري، صفا بهاء مكي العطية(2016): هدف البحث إلى التعرف على العلاقة بين خبرة ما وراء المزاج والاغتراب الاجتماعي لدى طلبة الجامعة، العينة (450) طالب وطالبة، و من أهم النتائج: أن طلبة الجامعة لا يعانون من الاغتراب الاجتماعي.

دراسة دانيال، علي عباس(2016): هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى انتشار الاغتراب النفسي وتأثيره على التحصيل الدراسي لدى طلبة المرحلة الثانوية النزلاء في مراكز الإيواء والطلبة المقيمين في محافظة دمشق تكونت العينة من 314 طالبا وطالبة من المرحلة الثانوية، وأداة الدراسة مقياس الاغتراب النفسي المكون من 50 فقرة، ومن النتائج المتوصل إليها:وجود درجة مرتفعة في مستوى الاغتراب النفسي بين أفراد عينة الدراسة.

دراسات عن القلق:

نتعرض لبعض الدراسات التي اهتمت بدراسة القلق عند الشباب منها:

دراسة أمل الأحمدي(2001): حول حالة القلق وسمة القلق وعلاقتهما بمتغيري الجنس والتخصص العلمي أجريت الدراسة في سوريا، تكونت عينة الدراسة من 278 طالبا وطالبة، استخدم مقياس قائمة القلق الذي يتألف من مقياسين فرعيين هما حالة القلق وسمة القلق للدكتور عبد الرقيب أحمد البحيري. ومن أهم نتائج الدراسة: ارتفاع مستوى القلق لدى أفراد العينة بشكلٍ عام ولاسيما لدى الإناث(دانيا الشبؤون، 2011، ص772).

دراسة شروق كاظم(2006): هدفت الدراسة إلى التعرف على سمة القلق لدى طالبات كلية التربية للبنات، ولقد استعمل مقياس سبيلبيرجر الذي تكون

من (20) فقرة على عينة مقدارها (135) طالبة من كلية التربية للبنات في جامعة بغداد، وأظهرت النتائج أن سمة القلق عند الطالبات عالية.
دراسة قريشي محمد وقريشي عبد الكريم(2013، ص27): هدفت إلى التعرف على مستوى القلق لدى تلاميذ المرحلة النهائية للثانوية المتعددة الاختصاصات بورقلة، الفروق بين الجنسين، الفروق بين الشعب المختلفة. تم تطبيق مقياس جامعة الكويت للقلق من إعداد احمد عبد الخالق، طبق على عينة قوامها200 تلميذ وتلميذة، وقد أشارت نتائج البحث إلى أن أفراد العينة لا يعانون من مشكلة القلق وعلى وجوده في الحدود العادية لديهم.

دراسات عن علاقة الاغتراب بالقلق:

لقد إهتمت العديد من الدراسات إلى التعرف عن العلاقة بين الاغتراب وعدة متغيرات من بينها القلق، وتركيزنا سيكون على الكشف عن علاقة الاغتراب بالقلق:
دراسة عبد اللطيف محمد خليفة(2003): التي هدفت فحص العلاقة بين الاغتراب وكل من توكيد الذات ومركز التحكم، وحالة القلق، والاكتئاب لدى عينة مكونة من 400 طالب وطالبة بجامعة الكويت، ومن نتائج الدراسة:أن هناك علاقة ايجابية دالة بين الاغتراب والقلق.مما يعني أن الشعور بالاغتراب يصاحبه دائما الشعور بالقلق والتوتر وعدم الأمان النفسي.
دراسة ناصر محمد نوفل(2016): صورة الجسد والاغتراب النفسي وعلاقتهما بالقلق والاكتئاب لدى المعاقين عقليا، ومن بين أهدافها التعرف على علاقة الاغتراب النفسي بالقلق، وتكونت العينة من 155 معاقا بصريا استخدم مقياس الاغتراب النفسي ومقياس تايلور للقلق، وأظهرت نتائج الدراسة: وجود علاقة ارتباطيه طرديه بين الاغتراب النفسي والقلق.

تعقيب على الدراسات السابقة: تبين من الدراسات السابقة التي عرضناها ما يلي:

- إهتمام الباحثين بدراسة ظاهرة الاغتراب النفسي والاجتماعي وتحديد مختلف أبعاد الاغتراب ومظاهره.واهتمامهم أيضا بدراسة الاغتراب وعلاقته بكثير من المتغيرات مثل التفاؤل والتشاؤم والاكتئاب والصحة النفسية والتوافق والقلق.
- أن عينات الدراسات السابقة تكون في أغلبها من طلبة الجامعة نظرا لبروز ووضوح مفهوم الاغتراب لدى هذه العينة ولكونها أكثر الفئات التي تعاني من الاغتراب فكرا وممارسة.
- لقد استخدمت الدراسات السابقة مقياس الاغتراب كأداة أساسية في دراساتهم ورغم تعدد مقاييس الاغتراب المستخدمة إلا أنها تضمنت أبعاد أساسية مثل العجز واللاهدف واللامعنى واللامعيارية والتمرد والعزلة.

ودراستنا تتشابه في بعض أهدافها مع بعض أهداف الدراسات السابقة، وهي تسعى إلى الكشف والتعرف على مستويات وجود كل من مظاهر الاغتراب وسمات القلق، والعلاقة بين المفهومين الاغتراب والقلق.

إجراءات الدراسة:

منهج الدراسة :اعتمد المنهج الوصفي الميداني.

مجتمع وعينة الدراسة: تكون من تلاميذ السنة الأولى والثانية ثانوي للسنة 2016-2017 بثانوية تقع بولاية غليزان بالجزائر، وتكونت العينة من 75 تلميذا وتلميذة، أختيروا بطريقة عشوائية وهي تتوزع كالآتي:

الجدول(01): يبين مواصفات عين الدراسة

المستوى	العدد	النسبة
السنة الأولى	27	36.00
السنة الثانية	48	64.00
مجموع	75	100.00

أداة الدراسة : إستخدم الباحث أداتين في بحثه الحالي :

الأداة الأولى: مقياس الاغتراب للدكتور عبد اللطيف محمد خليفة، الصورة المختصرة المتكونة من 30 فقرة موزعة على ست أبعاد أو مقاييس هي:

- مقياس العجز :5 بنود. -مقياس اللاهدف: 5 بنود.
- مقياس اللامعنى: 5 بنود. -مقياس اللامعيارية: 5 بنود.
- مقياس المغامرة: 5 بنود. -مقياس العزلة: 5 بنود.

والإجابة على البنود تكون وفق سلم خماسي الفئات كالتالي:لا تنطبق:1 تنطبق قليلا:2، تنطبق بدرجة متوسطة:3، تنطبق كثيرا:4، تنطبق تماما:5.

الأداة الثانية: مقياس القلق الصورة العربية من إعداد الدكتور امطانيوس ميخائيل(2003) قسم الصحة النفسية كلية التربية جامعة دمشق والذي يحتوي على 40 بند موزعة إلى جزأين، جزء يقيس القلق بوصفه حالة وعدد عباراته 20، والجزء الثاني يقيس القلق بوصفه سمة متكون من 20 بند، والباحث استخدم الجزء الثاني وادخل عليه تعديل تعلق بإعادة صياغة بعض العبارات، والإجابة على البنود وفق سلم خماسي الفئات كالتالي:

دائما:5 ، غالبا : 4، أحيانا كثيرة :3 ،أحيانا فقط: 2، أبدا :1

وفي حالة الفقرات العكسية :

دائما: 1 - غالبا: 2 - أحيانا كثيرة: 3 - أحيانا فقط: 4 - أبدا:5

الخصائص السيكومترية لأدوات الدراسة:

تم التثبت من صلاحية أدوات القياس على عينة متكونة من 20 تلميذا وتلميذة وكانت نتائج الصدق والثبات كالأتي:

مقياس الاغتراب:

أ.**صدق الأداة:** تم حساب الصدق عن طريق حساب الارتباط بين المقياس وأبعاده الفرعية وكانت درجات الارتباط كالتالي: العجز:0.83، اللاهدف: 0.83، اللامعنى:0.60، اللامعيارية:0.77، المغامرة:0.77، العزاة:0.39.

ثبات الأداة: تم حساب الثبات بطريقة التجزئة النصفية وكانت درجة الارتباط بين جزئي الأداة الاستبيان 0.74، وبطريقة الاتساق الداخلي بمعادلة ألفا كرونباخ كانت درجة الاتساق 0.86.

ونتائج الصدق والثبات لمقاييس الاغتراب تثبت صلاحية الأداة للتطبيق .

مقياس القلق:

صدق الأداة: تم حساب الصدق عن طريق حساب الارتباط بين فقرات المقياس ودرجته الكلية وتراوحت معاملات الارتباط بين 0.44 و0.71.

ثبات الأداة: تم حساب الثبات بطريقة الاتساق الداخلي بمعادلة ألفا كرونباخ كانت درجة الاتساق 0.72. مما يعني صلاحية الأداة للتطبيق .

الدراسة الأساسية: تم توزيع الأداتين على عينة البحث المتكونة من 75 تلميذ و تلميذة من الثانوية، وكان ذلك في نهاية شهر ابريل 2017.

الوسائل الإحصائية المستخدمة: تم تحليل النتائج إحصائيا بالأساليب التالية:

- المتوسط الحسابي: لحساب متوسط درجات الفقرات.
- الانحراف المعياري: لحساب انحراف درجات الفقرات عن المتوسط.
- معامل ارتباط بيرسون لحساب العلاقة بين القلق والاغتراب.

نتائج الدراسة:

نتائج الفرضية الأولى: يوجد مظاهر الاغتراب لدى تلاميذ الثانوي.

للإجابة على هذه الفرضية استخدمنا المتوسط الحسابي والانحراف المعياري.

الجدول رقم(02): يبين استجابات أفراد العينة على فقرات مقياس العجز

الرقم	العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	ملاحظة
01	اشعر أنني غير قادر على تحقيق كل ما أريد	2.10	0.99	متوسطة
02	لا يمكنني التخطيط لمستقبلي	1.93	1.24	متوسطة
03	مهما بذلت من جهد فان أحقق كل أهدافي	2.90	1.37	مرتفعة
04	اشعر أنني غير قادر على مراجعة دروسي	2.96	1.46	مرتفعة
05	أرى أن قدراتي و كفاءتي اقل من الآخرين	1.97	1.21	متوسطة

التعليق: يظهر أن درجات عبارات مقياس العجز جاءت مرتفعة وخاصة درجات الفقرتين الثالثة والرابعة كما هو مبين في الجدول، مما يعني أن التلاميذ يشعرون بالعجز في تحقيق الأهداف والطموحات وفي عدم القدرة على مراجعة الدروس وفي التخطيط للمستقبل.

الجدول رقم(03): يبين استجابات أفراد العينة على مقياس اللاهدف

الرقم	العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	ملاحظة
01	ليس لدي أهداف واضحة اسعي إلى تحقيقها	1.89	1.30	منخفضة
02	أعيش لحظتي الراهنة فقط	2.38	1.42	مرتفعة
03	اشعر أن آمالي وطموحاتي محدودة	2.06	1.33	متوسطة
04	المستقبل بالنسبة لي غير مفرح	1.82	1.29	منخفضة
05	لا أتوقع حياة أفضل في ظل الأوضاع الحالية	2.18	1.37	مرتفعة

التعليق: يظهر أن درجات عبارات مقياس اللاهدف جاءت متوسطة على العموم، حيث كانت مرتفعة في العبارتين2و3، ومتوسطة في العبارة3، وجاءت منخفضة نسبيا في العبارات1 و4، والنتائج أظهرت أن التلاميذ لا يتوقعون حياة أفضل، ويشعرون أن آمالهم وطموحاتهم محدودة، وان فئة معتبرة من العينة ترى أن المستقبل غير مفرح وليست لهم أهداف واضحة وغير قادرين على التخطيط للمستقبل بل يعيشون لحظتهم فقط.

الجدول رقم(04): يبين استجابات أفراد العينة على مقياس اللامعنى

الرقم	العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	ملاحظة
01	ليس لدي معنى واضح لحياتي	2.05	1.36	متوسطة
02	الدراسة ليست ممتعة	2.26	1.29	مرتفعة
03	لا داعي للجهد والتفكير في العمل مادمنا سنموت	1.63	1.20	منخفضة
04	الحياة لا تستحق منا كل هذا الاهتمام	1.90	1.24	متوسطة
05	المهم النجاح و بأي طريقة كانت ولو بالغش	1.68	1.11	منخفضة

التعليق: يظهر أن درجات عبارات مقياس اللامعنى جاءت متوسطة على العموم، حيث كانت مرتفعة في العبارة 2، ومتوسطة في العبارة 1و4، وجاءت منخفضة نسبيا في العبارات 3 و5، والنتائج أظهرت أن التلاميذ يرون آن الدراسة ليست ممتعة، ويحسون أن حياتهم ليست لها معنى واضح، وان المهم بالنسبة إليهم النجاح ولو كان عن طريق الغش.

الجدول رقم (05): يبين استجابات أفراد العينة على مقياس اللامعيارية

الرقم	العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	ملاحظة
01	يتمسك الناس بعادات وتقاليد لا قيمة لها الآن	2.65	1.42	مرتفعة
02	لا توجد معايير للحكم على ما هو صواب وما هو خطا في هذه الحياة	2.54	1.47	مرتفعة
03	القوانين والقواعد والنظام يقيد حريتي	2.61	1.50	مرتفعة
04	نجاحي يعود لخروجي عن القواعد والتقاليد الصارمة	2.13	1.36	مرتفعة
05	يتم تطبيق القوانين على البسطاء والفقراء فقط	3.01	1.70	مرتفعة

التعليق: يظهر الجدول أن درجات عبارات مقياس اللامعيارية جاءت كلها مرتفعة، والنتائج تبين أن التلاميذ يرون أن الناس تتمسك بتقاليد وعادات لا قيمة لها في وقتنا، وانه لا توجد معايير للحكم على ما هو صواب وخطا في حياتنا اليومية، ويرون أن النظام يحد من حريتهم، وأن النجاح في الخروج عن التقاليد ، ويرون أن القوانين لا تطبق إلا على البسطاء والفقراء.

الجدول رقم(06): يبين استجابات أفراد العينة على مقياس المغامرة

الرقم	العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	ملاحظة
01	أحب الأعمال الجديدة التي تتطلب المغامرة	3.76	1.30	مرتفعة
02	أميل إلى الخروج عن المعتاد والمألوف	2.82	1.45	مرتفعة
03	أميل إلى معارضة سياسة وقوانين المجتمع	2.48	1.42	مرتفعة
04	أعجب بالذين يريدون تغيير الأوضاع الحالية	3.38	1.50	مرتفعة
05	بقاء الأوضاع على حالها سيؤدي إلى تأخر المجتمع	3.53	1.50	مرتفع

التعليق: يظهر أن درجات عبارات مقياس المغامرة كلها أيضا جاءت مرتفعة أكثر، والنتائج أظهرت أن التلاميذ يحبون الأعمال الجديدة، يميلون للخروج عن المعتاد والمألوف، ويرون أن بقاء الأوضاع على حالها يسبب التأخر، لذا

يعجبون بالذين يريدون تغيير الأوضاع الحالية، واظهروا أنهم يعارضون سياسة وقوانين المجتمع.

الجدول رقم(07): يبين استجابات أفراد العينة على مقياس العزلة

الرقم	العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	ملاحظة
01	أفضل أن أعيش بمفردي	2.05	1.47	مرتفعة
02	اشعر بالوحدة حتى لو كنت موجود مع الآخرين	2.32	1.56	مرتفعة
03	العزلة تجعلني اشعر بالاستقرار والسكينة	2.29	1.46	مرتفعة
04	ارفض الاشتراك في الأعمال الجماعية	1.94	1.35	متوسطة
5	أجد صعوبة في إقامة علاقة مع الزملاء	1.66	1.23	منخفضة

التعليق: يظهر أن درجات عبارات مقياس العزلة جاءت متوسطة على العموم، حيث كانت مرتفعة في ثلاث عبارات 1و2و3، ومتوسطة في العبارة 4، وجاءت منخفضة نسبيا في العبارات 5، والنتائج أظهرت أن التلاميذ يفضلون العزلة والعيش المنفرد، وإنهم يشعرون بالوحدة حتى وإن كانوا مع الآخرين ويرفضون المشاركة في الأعمال الجماعية، ويجدون صعوبة في إقامة العلاقات، وان العزلة تشعرهم بالراحة والاستقرار و السكينة.

وخلاصة القول أن نتائج الدراسة المبينة في الجداول السابقة أظهرت أن تلاميذ الثانوي لديهم ملامح الاغتراب بشكل متفاوت في مختلف الأبعاد المكونة للاغتراب، حيث اتضح وجود صفات العجز واللاهدف، واللامعنى، واللامعيارية، وحب المغامرة والميل للعزلة.

الفرضية الثانية: يوجد سمات القلق لدى تلاميذ الثانوي.

للإجابة على هذه الفرضية استخدمنا المتوسط الحسابي والانحراف المعياري.

الجدول رقم(08): يبين استجابات أفراد العينة على مقياس القلق

الرقم	العبارة	المتوسط	الانحراف المعياري	ملاحظة
01	اشعر بالسرور	3.37	1.30	متوسطة
02	اشعر بأنني عصبي وقلق	3.09	1.28	مرتفعة
03	اشعر بالرضا عن نفسي	3.85	1.28	متوسطة
04	أتمنى أن أكون سعيدا مثل الآخرين	3.96	1.36	مرتفعة
05	اشعر كأنني فاشل	3.85	1.30	مرتفعة
06	اشعر بالارتياح	3.34	1.23	مرتفعة

07	انأ هادئ ومعتدل	3.40	1.39	مرتفعة
08	اشعر بان المشاكل والصعوبات تتراكم ولا أستطيع التغلب عليها	3.12	1.44	متوسطة
09	ينشغل ذهني بأشياء لا تستحق الاهتمام	3.03	1.50	متوسطة
10	أنا سعيد	3.24	1.36	مرتفعة
11	لدي أفكار مقلقة	3.36	1.42	مرتفعة
12	تنقصي الثقة بالنفس	3.40	1.35	مرتفعة
13	اشعر بالأمان	3.72	1.31	مرتفعة
14	اصنع قراراتي بسهولة	3.05	1.43	متوسطة
15	اشعر باني فرد غير نافع	3.28	1.65	مرتفعة
16	أنا قنوع	3.50	1.40	مرتفعة
17	تضايقني وتزعجني بعض الأفكار غير مهمة	2.72	1.48	متوسطة
18	لا أستطيع أن أتخلص من الأفكار التي في ذهني مما يشعرني بالبؤس	2.86	1.41	مرتفعة
19	أنا شخص مستقر وثابت على حاله	3.33	1.34	مرتفعة
20	أكون في حالة من التوتر و الاضطراب حين أفكر في همومي	2.29	1.47	متوسطة

التعليق: تبين نتائج الجدول أن التلاميذ لديهم سمات القلق، حيث جاءت درجات عبارات سمات القلق مرتفعة عن المتوسط النظري 3، والعبارات التالية كانت أكثر دلالة من على سمات القلق:اشعر بأنني عصبي وقلق- أتمنى أن أكون سعيدا مثل الآخرين-أشعر كأنني فاشل-أشعر بان المشاكل والصعوبات تتراكم ولا أستطيع التغلب عليها-ينشغل ذهني بأشياء لا تستحق الاهتمام-لدي أفكار مقلقة-تنقصي الثقة بالنفس-أشعر باني فرد غير نافع-لا أستطيع أن أتخلص من الأفكار التي في ذهني مما يشعرني بالبؤس.

ونستنتج أن تلاميذ المرحلة الثانوية لديهم سمات القلق بدرجة نستطيع القول أنها مرتفعة بما أن جل سمات القلق فاقت درجاتها درجة المتوسط النظري.

ومما يؤكد وجود سمات القلق هو أن العبارات التي تدل على عدم وجود القلق حصلت على درجات متوسطة مثل عبارات: اشعر بالسرور- اشعر بالرضا عن نفسي-اشعر بالارتياح- انأ هادئ ومعتدل- أنا سعيد.

والنتيجة النهائية: أن تلاميذ الثانوي يعانون من وجود سمات القلق بدرجة تتراوح بين المتوسطة والمرتفعة.

الفرضية الثالثة: يوجد علاقة بين القلق والاغتراب لدى تلاميذ الثانوي.
للإجابة على هذه الفرضية استخدمنا معامل ارتباط بيرسون.
الجدول رقم(09): يبين نتائج قياس العلاقة بين درجات مقياس القلق ومقياس الاغتراب

المتغير	المتوسط	الانحراف المعياري	العينة	م. ارتباط بيرسون	مستوى الدلالة
مقياس الاغتراب	71.02	17.08	75	0.392	دالة عند 0.01
مقياس القلق	65.80	11.77	75		

التعليق: يبين الجدول أن هناك علاقة موجبة بين درجات مقياس القلق ودرجات مقياس الاغتراب وذلك عند مستوى دلالة 0.05.

خاتمة:

إن دراستنا المتعلقة بالبحث في العلاقة بين الاغتراب والقلق، والبحث في مستوى وجود مظاهر الاغتراب وسمات القلق عند عينة من طلبة الثانوية وبعد تطبيق أدوات الدراسة المتمثلة في مقياس الاغتراب بأبعاده الست ومقياس سمات القلق، وبعد تحليل البيانات والمعطيات تم التوصل إلى نتائج مهمة وهي:

- وجود مظاهر الاغتراب لدى طلبة الثانوية بدرجة مرتفعة في بعد التمرد أو المغامرة، وبدرجة اقل يأتي بعد اللامعيارية، ويليه بعد العجز، وبدرجة متوسطة بعد العزلة وبعد اللاهدف وفي آخر الترتيب بعد اللامعنى، وهذه النتائج تثبت أن طلبة الثانوية يعانون من مظاهر الاغتراب، وهذه النتائج توافق نتائج دراسة (بشرى، 2008) الذي بينت أن أكثر مظاهر الاغتراب عند طلبة الجامعة التمرد والعجز،ودراسة رشا محمد علوان(2014)، ودراسة دانيال (2016)، وهكذا يتضح أن دراستنا تتفق في نتائجها مع كثير من الدراسات التي أظهرت أن الطلبة يعانون من الاغتراب.

- وجود سمات القلق لدى عينة الدراسة حيث أظهرت النتائج وجود درجات مرتفعة في عبارات سمات القلق مثل ما: أشعر بأنني عصبي وقلق،أتمنى أن أكون سعيدا مثل الآخرين، أشعر كأنني فاشل، أشعر بان المشاكل والصعوبات تتراكم ولا أستطيع التغلب عليها، ينشغل ذهني بأشياء لا تستحق الاهتمام، لدي أفكار مقلقة،تنقصي الثقة بالنفس، أشعر بأني فرد غير نافع،لا أستطيع أن أتخلص من الأفكار التي في ذهني مما يشعرني بالبؤس.ونتائج دراستنا تتفق مع نتائج دراسات(احمد الأحمدي، 2001) ارتفاع نسبة القلق عند الطلبة، ومع دراسة (دانيا،2011) وجود سمات القلق عن طلبة الجامعة ودراسة (شروق كاظم،2006).

-وجود علاقة ارتباط بين الاغتراب والقلق، ولقد توصلت دراسة(ناصر محمد نوفل،2016)، ودراسة (محمد عبد اللطيف، 2003) إلى نفس النتيجة.

وبعد عرض هذه النتائج يتضح أن طلبة الثانوية يعانون من ظاهرتين مؤثرتين في تفكيرهم ونفسياتهم وفي سلوكياتهم هما الاغتراب والقلق، وان هذا التأثير سيمتد إلى حياتهم الاجتماعية وحياتهم المهنية في المستقبل لذا علينا الانتباه إلى مختلف الآثار السلبية التي تنتج عن الاغتراب، وعن القلق خاصة على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي والاجتماعي.

اقتراحات الدراسة:

- دراسة ظاهرة الاغتراب في مختلف مستوياتها وأبعادها والتعرف على مختلف آثارها السلبية، وأيضا دراسة مصادر القلق وأسبابه.
- وضع مقترحات علمية لمعالجة مختلف الأسباب المؤدية للاغتراب والقلق.
- وضع برامج إعلامية خاصة ترافق برنامج قطاع التربية والتعليم.

المراجع:

1. دانيال علي عباس(2016)، الاغتراب وعلاقته بالتحصيل الدراسي، دراسة مقارنة بين طلبة المرحلة الثانوية النزلاء في مراكز الإيواء والطلبة المقيمين في محافظة دمشق،رسالة ماجستير في علم النفس التربوي، كلية التربية، جامعة دمشق.
2. رشا محمد علوان(2014)، الاغتراب النفسي لدى طلبة الجامعة، كلية التربية الأساسية، ع17، جامعة بابل.
3. سلاطنية بلقاسم، ونوي إيمان(2013)، الاغتراب الثقافي عند الطلبة الجامعيين، دراسة ميدانية على عينة من طلبة القطب الجامعي شتمة، بسكرة، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، ع11، جامعة بسكرة، الجزائر.
4. الشبؤون دانيا(2011)، القلق وعلاقته بالاكتئاب عند المراهقين،دراسة ميدانية ارتباطيه لدى عينة من تلاميذ الصف التاسع من التعليم الأساسي في مدارس مدينة دمشق الرسمية، مجلة جامعة دمشق، م27،ع 3+4، سوريا.
5. شروق كاظم(2006)، سمة القلق لدى طالبات كلية التربية للبنات، مجلة البحوث التربوية والنفسية، ع9، جامعة بغداد.
6. علي بشرى(2008)،مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية، مجلة جامعة دمشق، م(24)،ع (1)،سوريا.
7. علي محمود كاظم الجبوري، وصفا بهاء مكي العطية(2016)، خبرة ما وراء المزاج وعلاقتها بالاغتراب الاجتماعي لدى طلبة الجامعة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية،م24،ع1، العراق.
8. قريشي محمد، وقريشي عبد الكريم(2013)، مستوى القلق لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية،ع13، جامعة ورقلة.
9. محمد خليفة عبد اللطيف(2006)، مقياس الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
10. محمد خليفة عبد اللطيف(2003)، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
11. ناصر محمد نوفل(2016)، صورة الجسد والاغتراب النفسي وعلاقتهما بالقلق والاكتئاب لدى المعاقين عقليا،رسالة ماجستير في الصحة النفسية والمجتمعية، قسم علم النفس، كلية التربية، الجامعة الإسلامية غزة.

الملاحق

مقياس الاغتراب

- **الجنس: .... السنة : ....**
- **التخصص:............................ معدل الفصل : ....**

فيما يلي مجموعة من العبارات التي تشير إلى شعورك وسلوكك نحو بعض الموضوعات، والمطلوب منك أن تقرا كل عبارة بإهتمام، وتحدد مدى انطباقها عليك، بوضع إشارة واحدة في الخانة المختارة فقط.

الرقم	العبارة	لا تنطبق	تنطبق قليلا	بدرجة متوسطة	تنطبق كثيرا	تنطبق تماما
01	أشعر أنني غير قادر على تحقيق كل ما أريد					
02	لا يمكنني التخطيط لمستقبلي					
03	مهما بذلت من جهد فلن أحقق كل أهدافي					
04	أشعر أنني غير قادر على مراجعة دروسي					
05	أرى أن قدراتي وكفاءتي أقل من الآخرين					
06	ليس لدي أهداف واضحة اسعي إلى تحقيقها					
07	أعيش لحظتي الراهنة فقط					
08	اشعر أن آمالي وطموحاتي محدودة					
09	المستقبل بالنسبة لي غير مفرح					
10	لا أتوقع حياة أفضل في ظل الأوضاع الحالية					

11	ليس لدي معنى واضح لحياتي					
12	الدراسة ليست ممتعة					
13	لا داع للجهد والتفكير في العمل مادمنا سنموت					
14	الحياة لا تستحق منا كل هذا الاهتمام					
15	المهم النجاح وبأي طريقة كانت ولو بالغش					
16	يتمسك الناس بعادات وتقاليد لا قيمة لها الآن					
17	لا توجد معايير للحكم على ما هو صواب وما هو خطأ في هذه الحياة					
18	القوانين والقواعد والنظام يقيد حريتي					
19	نجاحي يعود لخروجي عن القواعد والتقاليد الصارمة					
20	يتم تطبيق القوانين على البسطاء والفقراء فقط					
21	أحب الأعمال الجديدة التي تتطلب المغامرة					
22	أميل إلى الخروج عن المعتاد والمألوف					
23	أميل إلى معارضة سياسة وقوانين المجتمع					
24	أعجب بالذين يريدون تغيير					

	الأوضاع الحالية					
25	بقاء الأوضاع على حالها سيؤدي إلى تأخر المجتمع					
26	أفضل أن أعيش بمفردي					
27	اشعر بالوحدة حتى لو كنت موجود مع الآخرين					
28	العزلة تجعلني أشعر بالاستقرار والسكينة					
29	أرفض الاشتراك في الأعمال الجماعية					
30	أجد صعوبة في إقامة علاقة مع الزملاء					

هذه مجموعة من العبارات التي يستخدمها الناس لوصف أنفسهم، ضع علامة أمام الإجابة التي تعبر عن شعورك عموما.

الرقم	العبارة	دائما	غالبا	أحيانا كثيرة	أحيانا فقط	أبدا
01	أشعر بالسرور					
02	أشعر بأنني عصبي وقلق					
03	أشعر بالرضا عن نفسي					
04	أتمنى أن أكون سعيدا مثل الآخرين					
05	أشعر كأنني فاشل					
06	أشعر بالارتياح					
07	أنا هادئ ومعتدل					

08	أشعر بأن المشاكل والصعوبات تتراكم ولا استطيع التغلب عليها					
09	ينشغل ذهني بأشياء لا تستحق الاهتمام					
10	أنا سعيد					
11	لدي أفكار مقلقة					
12	تنقصي الثقة بالنفس					
13	أشعر بالأمان					
14	أصنع قراراتي بسهولة					
15	أشعر بأني فرد غير نافع					
16	أنا قنوع					
17	تضايقني وتزعجني بعض الأفكار غير مهمة					
18	لا استطيع أن أتخلص من الأفكار التي في ذهني مما يشعرني بالبؤس					
19	أنا شخص مستقر وثابت على حاله					
20	أكون في حالة من التوتر والاضطراب حين أفكر في همومي					

اتجاهات معلمي الطور الابتدائي نحو منهاج اللغة العربية

Attitudes of teachers of the primary stage toward the curriculum of the Arabic language

د.عبيد مراد، جامعة عنابة-الجزائر
أ.بن تيشة يوسف، جامعة عنابة-الجزائر
د.بوعالية شهرة زاد، جامعة عنابة-الجزائر

ملخص: هدفت الدراسة الحالية إلى معرفة اتجاه معلمي الطور الابتدائي حول منهاج اللغة العربية، وتم تناول الموضوع حسب الطرق المنهجية المعتمدة في إعداد البحوث، حيث طبق استبيان مكون من 45 بندا موزعة على أربعة أبعاد وهي الأهداف و المحتوى والأنشطة وأساليب التقويم على 80 معلما ومعلمة التابعين لمقاطعة المقرن التابعة لولاية الوادي، وأسفرت الدراسة في الأخير على أنه توجد اتجاهات ايجابية لدى معلمي مادة اللغة العربية وتساوت النسب في بعد المحتوى بين راض ورافض.

الكلمات المفتاحية: الاتجاهات، الطور الابتدائي، المناهج، اللغة العربية.

Abstract: The objective of the current study was to know the direction of the primary stage teachers on the Arabic language curriculum. The subject was addressed according to the methodological methods adopted in the preparation of the research. A questionnaire was composed of 45 items distributed in four dimensions, namely the objectives, content, activities and assessment methods of 80 teachers Of the state of the valley, and the study in the latter that there are positive trends among the teachers of the Arabic language and the proportion of descent in the content dimension between satisfied and rejecting.

key words: Attitudes, primary stage, curriculum, Arabic language.

مقدمة:

يقول وليم ورك "إن للعربية لينا ومرونة يمكنانها من التكيف مع مقتضيات العصر"(قرايرية وسيلة، 2010، ص2)، وهي شهادة غيرنا، ويقول جورج سارتون كذلك :"أن اللغة العربية أسهل لغات العالم وأوضحها فمن العبث إجهاد النفس في تسهيل السهل وتوضيح الواضح"(سعاد عبد الله، جودت إبراهيم، 1997، ص25)، وهي كلمة تجعلنا نحِنُ إلى أصولنا التي سلبتها التكنولوجيا المعاصرة والصراعات الأيديولوجية، ولو عاش الفرد ما تعيشه اللغة العربية من تهميش وسخرية لبكى دما على ما آلت إليه اللغة العربية فقتلوها في عقر دارها وأصبح محاموها يبيعونها بأتفه الأشياء حتى في بيوتهم.

ولقد كانت اللغة العربية أحد مقومات الدولة ورموزها وأحد عناصر الهوية الوطنية، إذ ارتبطت مع كل تغير في التركيب البنائي للمجتمعات العربية، فهناك من يزعم أنه متحضر عندما يسب اللغة العربية ويمجد لغة غيره ويجعلها مكسبا لمطامعه المادية متخليا عن جزء كبير ومهم من هويته الأصيلة التي اقترنت بماض مزدهر وهم دعاة مغتربون وأما الذين يرون أنفسهم أنهم يدافعون عن اللغة العربية ويحرص على تطويرها باعتبارها من أولويات المشروع الحضاري.

وأدرك القائمون على الإصلاح التربوي الذي برز في الميدان مع دخول المدرسي للموسم الدراسي 2004/2003(نوال عبد الكريم التويجري، دس، ص09) أهمية إصلاح المناهج التربوية فهي البساط الأول الذي يسير فيه الأفراد المتعلمون وأهميتها – المناهج – في تطوير الأمم وتحقيق الأهداف المسطرة.

ولأن معلم اللغة العربية أحد أعضاء الهيئة التدريسية التي تشكل الطاقم التربوي، ويتجلى دور المعلم في نقل أهم العناصر الثقافية والحضارية التي تركز على غرس القيم بمختلف أنواعها وامتداداتها وهنا تزاد خطورة دور المعلم يوما بعد يوم وخاصة في ظل الحراك الاجتماعي والتطور التكنولوجي والتفتح العلمي.

ومن أجل هذا جاءت هذه الفكرة لتعرج على أهم عنصر في العملية التعليمية –المعلم– لتكشف عن اتجاهه نحو مناهج اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية.

الإشكالية:

لقد دخلت الجزائر منذ سنة 2003 عالم الإصلاحات الشاملة وهي عملية لا مفر منها لتحسين المردود التربوي وتمكينه من تحقيق أكثر فعالية، وحتى يؤدي الدور المنوط به على أكمل وجه، وعلى الرغم من أن مبررات الإصلاح واردة عن الحالة التي آل إليها النظام، وسعيا منها ليصبح النظام التربوي قادرا على الاستجابة للمتغيرات العالمية في مطلع الألفية الثانية، عملت الدولة على تنصيب عدة خلايا ولجان وسنت قوانين ومناشير بهدف تحسين القطاع وتطويره وفق المعايير المعمول بها دوليا.

وكانت الوزارة الوصية قد حددت التوجهات الأساسية في بناء البرامج وتحسينها سعيا منها لتكون المناهج الجديدة مواكبة ومستجيبة للتغيرات الحاصلة في مجال التدريس والتقويم وذلك لتنمية روح التفكير العلمي لدى الطلاب مع مراعاة الجوانب الشخصية الثلاث(الوجداني، المعرفي والحس الحركي) في تكوين التلاميذ لتكون ذلك كفاءة مستهدفة يكتسبها التلميذ، كما ركزت الإصلاحات الأخيرة على إعادة النظر في الكتاب المدرسي، على كل الأصعدة والمستويات ولاسيما منها البرامج الدراسية التي تعتبر الزاد الرئيسي والأساسي للعملية التعليمية.

والمعلم هو الأساس في العملية التعلمية في هذه المرحلة وهو الواسطة الأولى بين البرنامج التربوي والتلميذ، وللمعلم دور هام في تحديد توجهاته وهو الأقرب إلى الميدان من الجهات أخرى فبعد دراساته ومطالعته وتنفيذه للبرامج يتبلور اتجاهه نحو هذه المقررات .

وللاتجاه دور هام في نشاط الإنسان وزيادة دافعيته نحو العمل، حيث تشير بعض الدراسات أن الاتجاه السلبي نحو موضوع معين يجعل من العامل يتناقص في العمل ولا يبدي جدية فيه ولا حتى الإبداع. فهذا يؤثر لا محالة على سيرورة التعلم لدى التلاميذ، إلا أن بعد التطبيق الفعلي للمناهج ظهرت أراء حول البرامج بين مؤيد ومعارض من المعلمين فمن هنا جاءت الفكرة لنحاول أن نطرح هذه الإشكالية التي تتمحور حول اتجاه المعلمين نحو برنامج اللغة العربية لطور الابتدائي.

وتتمحور إشكاليتنا حول التساؤل التالي: ما هو اتجاه الذي يحمله المعلم نحو منهاج اللغة العربية للطور الابتدائي؟

وتندرج تحتها التساؤلات التالية:

1. ما طبيعة الاتجاه الذي يحمله المعلم الطور الابتدائي نحو المنهاج اللغة العربية؟
2. ما طبيعة الاتجاه الذي يحمله المعلم الطور الابتدائي نحو محتوى المنهاج اللغة العربية؟
3. ما طبيعة الاتجاه الذي يحمله المعلم الطور الابتدائي نحو أنشطة المنهاج اللغة العربية؟
4. ما طبيعة الاتجاه الذي يحمله المعلم الطور الابتدائي نحو أساليب التقويم المنهاج اللغة العربية؟
5. ما هي مقترحات التطوير المنهاج اللغة العربية من وجهة المعلمين؟

فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة:

يحمل المعلم الطور الابتدائي اتجاها ايجابيا نحو منهاج اللغة العربية.

الفرضيات الجزئية:

1. يحمل المعلم الطور الابتدائي اتجاها ايجابيا نحو الأهداف المنهاج اللغة العربية.
2. يحمل المعلم الطور الابتدائي اتجاها ايجابيا نحو محتوى المنهاج اللغة العربية.
3. يحمل المعلم الطور الابتدائي اتجاها ايجابيا نحو أنشطة المنهاج اللغة العربية.
4. يحمل المعلم الطور الابتدائي اتجاها ايجابيا نحو أساليب التقويم المنهاج اللغة العربية.

تحديد المفاهيم الإجرائية:

اتجاه المعلم: هو محصلة استجابات معلمي اللغة العربية سواء بالإيجاب أو بالسلب على المقياس المعد لذلك، بعد اختيارهم أحد البدائل الثلاث(موافق، محايد، معارض)**.**

المنهاج اللغة العربية: عرف سعادة وابراهيم المنهج على أنه:"مخطط تربوي يتضمن عناصر مكونة من أهداف، محتوى، خبرات تعليمية، طرق تدريسية وأساليب التقويم مشتقة من أسس فلسفية واجتماعية ومعرفية مرتبطة بالمتعلم ومجتمعه(عبد لبوز، 2011، ص57)، أما في الدراسة الحالية فالمنهج هو الوثيقة الرسمية الصادرة عن الوزارة التربية الوطنية الجزائرية تحتوى على جملة من المواضيع الدروس بالإضافة إلى الأنشطة.

الطور الابتدائي: وهو المرحلة الأولى من التعليم وهي نظام يدرس فيه الأطفال من السن السابعة إلى سن الثانية عشر.

اللغة العربية: ويقصد بها محتوى المادة العربية الذي يتم تدريسه في المرحلة الابتدائية من السنة الأولى ابتدائي إلى السنة الخامسة من نفس الطور، وهي وثيقة معتمدة من وزارة التربية الوطنية صادرة سنة2011.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة الحالية في أهمية الموضوع في حد ذاته، إذ أن المنهاج الحالي الذي شمله الإصلاحات التربوية الأخيرة ، وكون اللغة العربية أحد الرموز السيادة الوطنية وانطلاقا من ضرورة التجديد والتطوير، إلا أن اللغة العربية بدأت تتناقص قيمتها في غالبية المؤسسات الدولة

وهذا نتيجة الصراع القائم بين الايديولجيات العالمية، واللغة تعد أحد رموز الحضارة الخالدة. من هنا يظهر الدور الخطير للمعلم والمدرس اللغة العربية في المحافظة عليها ودوام بقائها .

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى معرفة اتجاه المعلمين اللغة العربية في الطور الابتدائي تجاه المنهاج المسطر من الدولة ومدى نجاحه في الواقع.

الدراسات السابقة:

دراسة نوال عبد الكريم التويجري بعنوان "تقويم منهج اللغة العربية المطور لصف الأول الابتدائي لدولة الكويت في ضوء أراء وموجهي مادة اللغة العربية"، حيث صممت الباحثة استبانه مكونة من 50 عبارة مقسمة تغطي المجالات التالية: الأهداف، المحتوى، المهارات اللغوية، لغة الكتاب والرسومات ودليل المعلم، وطبقت الاستبانة على (268) معلم و(45)موجها و توصلت الدراسة إلى أن المعلمين كانوا راضين عن المنهج اللغة العربية ومنهم من قدم اقتراحات لتطوير المنهج(نوال عبد الكريم التويجري، دس، ص09).

دراسة عبد العزيز لبوز تحت عنوان" اتجاهات مدرسي اللغة العربية نحو منهاج اللغة العربية في المرحلة المتوسطة" ، حيث صمم الباحث استبانة مكونة من 106 بند موزعة على خمس مجالات وهي: (الأهداف، المحتوى، الأنشطة، طرائق التدريس والتقويم)، وأسفرت الدراسة إلى أنه توجد اتجاهات إيجابية لدى المعلمي مادة اللغة العربية للمرحلة المتوسطة(عبد الله لبوز، 2011، ص118) وتوجد دراسات أخرى تناولت موضوع الاتجاهات والتقويم ولكنها جلها تحدثت عن الكتاب المدرسي بشكله ومحتواه.

وكانت هاتين الدراستين في متناول الباحث ولديهما ارتباط مباشر بموضوع البحث وفي ما يتعلق بالمناهج وتقويمها واستفاد الباحث من الدراستين في إعداد الاستمارة وتصنيف مجالاتها، وفي تحديد منهجية العمل.

إجراءات الدراسة:

منهج الدراسة: تسعى الدراسة الحالية إلى الكشف عن وجهة نظر المعلمين الطور الابتدائي نحو منهاج اللغة العربية للطور الابتدائي ومن هذا نرى أن المنهج الوصفي الاستكشافي هو الأقرب والأنسب إلى دراستنا الحالية.

مجتمع الدراسة: تعاملت دراستنا حول الموضوع المطروح مع فئة المعلمين الدائمين بالطور الابتدائي التابعين لمقاطعة المقرن التابعة لولاية الوادي والبالغ عددهم ستة وثمانون (86) معلما ومعلمة دائمين مقسمين على أربعة عشرة مؤسسة تربوية، والذين اثبتوا خمس سنوات عمل فما فوق، والجدول التالي يبين توزيع أفراد العينة حسب المؤسسات والنسب المئوية التي تمثلها .

جدول رقم (1): يوضح توزيع أفراد المجتمع على المؤسسات التربوية والنسب المئوية الممثلة لها.

المؤسسة	عدد المعلمين	النسبة المئوية
بن اعمارة البشير	08	% 9.30
بن اعمارة علي	02	% 2.32
عمر بن خطاب 1	10	% 11.62

عمر بن خطاب 2	02	% 2.32
بوهني العلمي	10	% 11.62
حمي بلقاسم	14	% 16.30
خلائفة عمار 1	06	% 7
خلائفة عمار 2	08	% 9.30
حمي مسعودة	06	% 7
حي البلدية	03	% 3.50
كراسع عبد الرزاق	07	%8.13
غرائسة	07	%8.13
حمداني العربي	03	% 3.50
المجموع	86	%100

أدوات الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا لمعرفة اتجاه المعلمين حول منهاج اللغة العربية على استبيان معد من طرف الباحث وانقسم إلى أربعة محاور أساسية في المنهاج وهي الأهداف، المحتوى، الأنشطة وأساليب التقويم .والذي تكون من 45 بندا موزعين على أربعة أبعاد:

البعد الأول: الأهداف وشملت على إحدى عشرة بندا الأولى من الاستبيان.

البعد الثاني: المحتوى وشمل على إحدى عشرة بندا الثانية في الاستمارة.

البعد الثالث: الأنشطة وشملت أربعة عشرة بندا الثالثة من الاستبيان.

البعد الرابع: أساليب التقويم وشملت على تسع بنود الأخيرة من الاستبيان، بالإضافة إلى أربعة أسئلة مفتوحة تخص الوسائل والتصورات العامة حول المنهاج والمقترحات لتطوير المنهاج وتحسينه.

وتم الاعتماد في بناء الاستمارة على الكتب القراءة لسنة الخامسة الابتدائي(اللجنة الوطنية للمناهج، دس) والوثائق المرافقة لمنهاج للغة العربية لسنة أولى والثانية والثالثة ابتدائي(اللجنة الوطنية للمناهج، 2011)، بالإضافة إلى مقياس معايير تقويم المنهج الدراسي لحسن على ناجي (حسن علي الناجي، 2000)

الخصائص السيكومترية للأداة:

الصدق: تم حساب الصدق الأداة عن طريق صدق المحكمين وبلغت نسبة الصدق 80 % من اراء المحكمين . بعد توزيعه على عشرة محكمين من بينهم معلمين ومفتشين، وبلغت نسبة الصدق الداخلي 0.90.

الثبات: وتم حساب الثبات عن طرق التجزئة النصفية وبلغت نسبته 0.78 وعن طريق معامل ألفا كرونباخ 0.85.

إجراءات الدراسة الأساسية:

بعد التأكد من صلاحية الاختبار وحساب صدقه وثباته واطمئنان عليه على أنه قادر على إعطاء نتائج حول الموضوع، تم توزيعه على أفراد المجتمع المذكور وبعد جمع الاستمارات تحصلنا على 80 استمارة من أصل 85، وهذا من أحد عيوب الاستمارة أنها لا ترجع أحيانا بالعدد الموزع.

واستعان الباحث في توزيع الاستبيان على المعلمين بمدراء المؤسسات التربوية حتى لا يكون خرقا لنظام المؤسسة ولا اقتطاع من زمن الدراسي للمعلمين، وتم منحهم ثلاثة أيام حتى نفسح المجال لكل معلم الاطلاع على الاستمارة بشكل كافي والإجابة عنها.

عرض نتائج الدراسة:

عرض نتائج الفرضية الأولى والتي نصت على:"يحمل المعلم الطور الابتدائي اتجاها ايجابيا نحو أهداف المنهاج اللغة العربية**".**

جدول رقم (01) يوضح توزيع تكرارات استجابات أفراد العينة على محور الأهداف

اتجاه المعلمين	موجب	محايد	سالب	المجموع
عدد الأفراد	40	13	27	80
النسبة المئوية	%50	%16.25	%33.75	%100

من خلال المعطيات الموضوعة في الجدول يتضح أن نصف المعلمين راضون عن منهاج اللغة العربية في حين نجد ما نسبته 16.25% من المعلمين لا يبدون رأيهم حول المنهاج و 33.75% من المعلمين رافضون المنهاج رفضا قاطعا.

عرض نتائج الفرضية الثانية والتي نصت على: "المعلم الطور الابتدائي يحمل اتجاها ايجابيا نحو محتوى المنهاج اللغة العربية".

جدول رقم (02) يوضح توزيع تكرارات استجابات أفراد العينة على محور المحتوى

اتجاه المعلمين	موجب	محايد	سالب	المجموع
عدد الأفراد	35	10	35	80
النسبة المئوية	%43.75	%12.50	%43.75	%100

من خلال المعطيات المجدولة نجد قد تساوت نسبة المؤيدين ونسبة الرافضين لمحتوى المنهاج اللغة العربية في الطور الابتدائي والتي بلغت نسبة 43.75% في كلا الاتجاهين الموجب والسالب في نجد 12.50% من المعلمين أبدو تحفظا على المحتوى المبرمج.

عرض نتائج الفرض الثالث الذي ينص على: "المعلم الطور الابتدائي يحمل اتجاها ايجابيا نحو أنشطة المنهاج اللغة العربية".

جدول رقم (03) يوضح توزيع تكرارات استجابات أفراد العينة على محور الأنشطة

اتجاه المعلمين	موجب	محايد	سالب	المجموع
عدد الأفراد	60	08	12	80
النسبة المئوية	%75	%10	%15	%100

من خلال البيانات المجدولة يظهر لنا أن نسبة الراضون عن الأنشطة المقدمة في المنهاج اللغة العربية لطور الابتدائي كبيرة وهذا ما دلت عليه النسبة التي قدرت بـ 75% في حين نجد الرافضين للأنشطة يقدر بـ 15% فقط وأما المحايدين للأنشطة بلغت نسبتهم 10% من مجموع العينة وهي نسبة قليلة.

عرض نتائج الفرضية الرابعة والتي نصت على: "المعلم الطور الابتدائي يحمل اتجاها ايجابيا نحو أساليب التقويم المنهاج اللغة العربية".

جدول رقم (04) يوضح توزيع تكرارات استجابات أفراد العينة على محور أساليب التقويم

اتجاه المعلمين	موجب	محايد	سالب	المجموع
عدد الأفراد	55	15	10	80
النسبة المئوية	%68.75	%18.75	%12.50	%100

من خلال النتائج في الجدول المبين أعلاه تتضح أن ما نسبته 68.75% من المعلمين أبدو رضاهم عن أساليب التقويم المعتمدة في المنهاج اللغة العربية و 12.50% فقط كانوا رافضين لأساليب التقويم.

تفسير النتائج:

1. فيما يتعلق بالفرضية الأولى والتي تتمحور حول الأهداف حيث أننا نرى أن نسبة كبيرة من المعلمين راضين على الأهداف المحتوى كما هو موضح في الجدول رقم (01)، وهذا ما جاء ليوافق دراسة عبد الله لبوز حول اتجاهات الأساتذة اللغة العربية نحو منهاج الدراسي ومكوناته وهذا لأسباب عدة منها:

- أن تحديد الأهداف يساعدنا على رسم الطريق وتحديد المحتوى والطريقة واختيار الوسائل والأدوات التي تساعد على تحقيق الأهداف، كما أنها تساعدنا على تقويم مناهجنا(محمد هاشم فالوفي، 1997، ص55).
- أن المعلمين الذين يدرسون اللغة العربية مطلعين اطلاع الجيد على أهداف المنهج ، والإحاطة عموما على الجوانب التي مسها المنهاج.
- وضوح فلسفة المنهاج لدى كثير من المعلمين والتي تجلت في عناصر المنهاج ككل والتي تمكن المعلم من إدراك أهميتها في حياة الفرد حاضرا ومستقبلا.

- وضوح الأهداف في مادة اللغة العربية التي صيغت على شكل كفاءات تساعد على نواتج تعلم جيدة تمكن المتعلم من أداء الوظيفة الأساسية من تعلم هذه المواد.

2. فيما يتعلق بالفرضية الثانية: والتي تتمحور حول اتجاهات المعلمين حول محتوى اللغة العربية ومن خلال الجدول رقم (02) نلاحظ تساوي بين الرافضين والراضين بمحتوى المادة اللغة العربية وهذا ما خالف دراسة عبد الله لبوز ووافقت دراسة نوال عثمان عبد الكريم التويجري حيث أن المحتوى حسب المعلمين يعاني من عدة إخلالات منها:

- عدم التناسق بين مواضيع المحتوى وأهداف المنهج.
- عدم مراعاة المرحلة العمرية والمواضيع المقترحة في المنهاج.
- ضعف المحتوى في إسهام ذخيرة لغوية لدى الأطفال مما يجعله ناقص الفعالية للمتعلمين.

3. أما في الفرض الثالث الذي تمحور حول الأنشطة المدرجة في منهاج اللغة العربية فنلاحظ من خلال الجدول رقم (03) أن النسبة الراضين على الأنشطة المدرجة في المنهاج كبيرة مقارنة بالرافضين لها وهذا ما ورد في دراسة لبوز ويرجع إلى:

- تجديد والتنويع الطرائق في تدريس اللغة العربية.
- البعد عن طريقة التلقين كطريقة أساسية في التدريس اللغة العربية، وإدخال المتعلم في العملية التعليمية جعله عنصرا فعالا وايجابيا أثناء عملية التعلم.
- الطرق التدريس في المنهاج الحالي تهيئ الفرصة الكاملة للمتعلم لمعرفة المعلومات وطريقة تنفيذها.

4. وفي الفرض الرابع الذي تمحور حول أساليب التقويم ومن خلال النتائج المبينة في الجدول رقم (04) يظهر لنا أن المعلمين الراضون عن أساليب التقويم أكثر من المعلمين الرافضون لذلك وهذا يعزو إلى:

- ارتباط التقويم بالأهداف المسطرة في المنهج.
- التأكيد على التقويم المستمر الذي لا يتحدد بفترة زمنية معينة.
- شمولية التقويم لجميع عناصر المنهاج بداية من الأهداف والمحتوى مرورا بالأنشطة وصولا إلى التقويم وأساليبه.
- تنوع أنماط التقويم وتعدد وسائله.
- قدرة التقويم على التميز في الفروق الفردية وبنائه بطريقة موضوعية.

في حين توجد اتجاهات سالبة نحو المنهاج وهذا لا يمكن إغفالها في الدراسة لأن سلبية الاتجاه تعني وجود خلل من زاوية معينة ويمكن تفسير الاتجاه السلبي إلى:

- كثافة المنهاج من حيث المعومات فهو يحتاج إلى إعادة النظر فيه.
- الاكتظاظ في القسم مما يعيق عملية تنفيذ المنهاج بشكل جيد.
- قلة الوسائل اللازمة لتنفيذ محتوى المنهاج اللغة العربية.
- ضعف وغياب الشراكة بين الأطراف الفاعلة في بناء المنهاج وتسطير خطوات تنفيذه.
- وجود ضغوطات في العمل حالت دون التطبيق الجيد للمنهاج وهذا ما يؤدي إلى ضعف المردودية.

مقترحات المعلمين لتطوير المنهاج:

من خلال الأسئلة المفتوحة التي طرحت على أفراد عينة البحث حول مقترحات تطوير أو تحسين منهاج اللغة العربية كانت معظم مقترحاتهم تصب في المحتوى وذلك بنسبة كبيرة ، يمكن وبناءا على استجابات المعلمين تقديم الاقتراحات التالية:

- عصرنة المنهاج اللغة العربية بما يتماشى مع متغيرات العصر.
- إعادة تسلسل المواضيع المقترحة.

- إثراء البرنامج بمواضيع تمس الشخصية الوطنية والثقافة العربية الإسلامية.
- إعادة توضيح وتنظيم في مواضيع المنهاج.
- تخفيف البرنامج حسب قدرة المتعلم.
- التكثيف من الواجبات المنزلية والتمارين.
- توفير الوسائل اللازمة لتفعيل المنهاج.
- إعادة النظر في توزيع الحصص التدريسية.
- إعطاء الوقت الكافي لتنفيذ المنهاج.
- تقديم نماذج تكون قريبة من ذهن المتعلم.
- توفير مساعدين لانجاز البطاقات والملحقات والوثائق المطلوبة.
- إدراج متخصص في علم النفس لحل المشاكل التربوية العالقة في المدرسة وخاصة ما يتعلق بفئة ذوي صعوبات التعلم التي تفشت بكثرة في المؤسسات التربوية.

مقترحات الدراسة:

- إجراء دراسات أخرى حول مناهج أخرى لتكشف عن الوجه الصحيح لما هو يجري داخل المدرسة.
- إجراء دراسات أخرى حول اتجاهات المعلمين ومتغيرات أخرى كالدافعية وتصورات المعلمين لمهنة التدريس.
- توسيع مجال الدراسة إلى المفتشين التربويين.

خلاصة الدراسة ومقترحاتها:

من خلال نتائج الدراسة اتضح لنا أن معلمي اللغة العربية لديهم اتجاهات ايجابية حول المنهاج اللغة العربية في الطور الابتدائي على عناصره الثلاث (الأهداف والأنشطة وأساليب التقويم)، بينما تساوت النسبة في المحتوى وهذه النتائج تم التوصل إليها بعد إجراءات منهجية نظرية وأخرى تطبيقية ميدانية وهذا ما أكدته بعض الدراسات ونفته أخرى.

وتقترح الدراسة:

- تفعيل دور المعلم في بناء التعلمات واختيار المواضيع المناسبة.
- تضمين القضايا المعاصرة التي تمس حاجات المتعلمين.
- التجديد للوعي المعلمين الثقافي والسياسي والاجتماعي وكذا المحلي والعالمي.
- تحسين أداء المتعلم بالمكافئات المادية والمعنوية.

قائمة المراجع:

1. قرايرية وسيلة(2010)، تقييم مدى تحقيق المقاربة بالكفاءات الأهداف المناهج الجديدة في إطار الإصلاحات التربوية حسب معلمي ومفتشي المرحلة الابتدائية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر.
2. سعادة عبد الله وجودت إبراهيم(1997)، المنهج الدراسي في القرن الحادي والعشرين، مكتبة الفلاح، الكويت.
3. نوال عبد الكريم التويجري(دس)، تقويم المنهج اللغة العربية المطور لصف الأول الابتدائي بدولة الكويت من وجهة نظر المعلمي وموجهي مادة اللغة العربية، مجلة الطفولة العربية، ع(61).
4. عبد الله لبوز(2011)، اتجاهات مدرسي مادة اللغة العربية نحو منهاج الدراسي ومكوناته بمرحلة التعليم المتوسط، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع(2) جوان 2011، جامعة ورقلة، الجزائر.
5. منهاج السنة الخامسة ابتدائي للغة العربية، اللجنة الوطنية للمناهج، مديرية التعليم الأساسي، وزارة التربية الوطنية.
6. الوثيقة المرافقة لمنهاج مادة اللغة العربية(2011)، اللجنة الوطنية للمناهج، مديرية التعليم الأساسي، وزارة التربية الوطنية.

7. حسن علي الناجي(2000)، نحو اشتقاق معايير صادقة لتقويم المنهج المدرسي بمراحله المختلفة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مكتب شؤون الإعلام، الهيئة القومية للبحث العلمي، السنة 6 ، العدد (5) ، طرابلس، ليبيا.
8. محمد هاشم فالوفي(1997)، بناء المناهج التربوية، سياسة التخطيط وإستراتيجية التنفيذ، مكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

البعد السوسيولوجي في مسرح الطفل

Sociological dimension in the theater of the child

أ. بولنوار سعد، جامعة عمار ثليجي الأغواط- الجزائر
أ. العربي حران، جامعة عمار ثليجي الأغواط – الجزائر

ملخص: هذا بحث مهم جدا لأنه يعالج قضية تتصل بالطفل وعلاقة هذا الطفل بالمسرح الخاص به بأنواعه، من جهة ومن جهة أخرى البحث عن صور التفاعل التي تربطه اجتماعيا بالمسرح، هو بحث عن المميزات وعن الخصائص وعن الأساليب والوظائف الاجتماعية، وهو بحث يريد أن يصل إلى نتائج تتعلق بالجانب الإبداعي التطوري لدى الطفل من خلال تمثلات المشهد اجتماعيا ولغويا في خياله، وكيف يتصرف حياله؟ وكذلك يتوخى البحث الوصول إلى نتائج تتعلق بفروق الاكتساب اللغوي والاجتماعي في المراحل الأولى للطفولة والمراحل المتأخرة منها، وقد كان البحث معضودا بالكثير من المراجع المتخصصة من رسائل أكاديمية ومقالات محكمة.

الكلمات المفتاحية: مسرح، الطفل، السوسيولوجيا.

Abstract : This research is very important because it addresses the issue related to the child and the relationship of this child with the theater of its various types, on the one hand, on the other hand, the search for images of social interaction with the theater, is a search for features and characteristics and methods and social functions, a research that wants to reach results related to The creative aspect of the child through the representations of the scene socially and linguistically in his imagination, and how to act towards it, It also aims to reach results related to linguistic and social acquisition differences in the early stages of childhood and the later stages.

Keywords: Sociology, theater, child.

قال الفيلسوف والمسرحي الفرنسي فولتير: في المسرح وحده تجتمع الأمة؛ ويتكون فكر الشباب وذوقه، وقال شكسبير: أعطني مسرحاً أعطيك شعباً مثقفاً.

يعد المسرح -ويسميه البعض بأبي الفنون- من الفنون التفاعلية ذات الاتصال المباشر من الجمهور بمختلف مستوياته، وهو من وسائل الاتصال الجماهيري في عرف علماء الاتصال، وهو فن إلى جانب ما يقدمه من مادة ترفيهية فهو حمال لسياقات اجتماعية متعددة بواسطة نسق لساني خاضع لسلطة التلقي الخاصة بنوع الجمهور، وذلك عبر "نصوص مسرح الطفل وهي شكل من أشكال الأدب يحوي فكرة أساسية وحدث أساسي ويجمع الشخصيات والمواقف المختلفة وموجه للأطفال يقدمها المؤلف المسرحي وتكون مناسبة لهم من حيث الشكل والمضمون تهدف إلى إحداث التغيير المرغوب في سلوكهم"(أسماء شاكر نعمة وآمنة حبيب حمود، 2014، ص104)، وهو بهذا المعطى المميز يمكن أن يكون الواسطة الفعالة في نقل الفكرة أو الرسالة المراد إيصالها مهما كان نوعها تربوية كانت أو ترفيهية أو غير ذلك، بإيعاز من طاقم المسرح وممثليه وبواسطة عملية الإخراج الذي يعد العمدة "في تقديم الأعمال المسرحية، من خلال الجمع بين الكلمة والموسيقى والصورة... كذلك لم يستق أسلوبه من تكييف المواد بل من موقف المتلقي، ومن ثم فانه أسلوب ليس كالعادة لا يتطور من خلال العمل بمفرده أو من التقاليد القائمة في تقديم العرض، وإنما يسعى هذا الأسلوب إلى تحديد وتحقيق المتطلبات الاجتماعية" (قيس الزبيدي، 1978، ص81)، فـ"المسرح (و الفن إجمالا) يبدع تراكمات حسية تسجل التلامسات الأولى للكائن الإنساني مع الحياة" (عمر مهيبل،2007، ص188-189)، فـ"مهمة الفن هي إثارة تطلعات وحاجات تخرج عن نطاق الواقع الآني، ولا يمكن إشباعها إلا في المستقبل، لأنه يتطلع للبحث عن المكبوت والمقموع والخفي في إمكانات الإنسان وطاقاته التي لا يقوم الواقع الراهن في ظل علاقاته القائمة بالسماح بالتعبير عنها، ولهذا يظهر لنا عبر تاريخ كل شكل من الأشكال الفنية، تطلع الشكل الفني إلى إبداع مؤثرات جديدة تحقق له توصيل ذلك"(رمضان بسطويسي محمد، 1993، ص97)، و"المتلقي يجب أن يؤدي دورا فاعلا في العرض المسرحي وان يبحث موقفا نقديا لما يرى ويسمع، ومخاطبة عقل المتلقي وليس مشاعره، لأن المتلقي قابل للتغيير باستمرار"(عبد القادر القط، 1978، ص271)، فـ"الصدفة هي التي تفجر شكل اللوحة أو تشكيل السينوغرافيا في الفضاء المسرحي"(مبارك عدنان، 1976، ص83)، بحسب قول المسرحي البولندي تادووتش كانتور.

ويشير "أغلب دارسي المسرح العربي ومؤرخيه إلى بدايته الحديثة في منتصف القرن التاسع عشر، وهذه البداية تعني بالضرورة المسرح حسب تعريف الدراما الغربية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية، شهدت دور العرض نشاطاً ملحوظاً للفرق الفنية التي كان المسرح بعض برامجها حين يضاف إلى مجموع فقرات العرض، ويكون اقتباساً أو إحياء لحكايات التراث العربي، بمرافقة الموسيقى والغناء والرقص أما الكاتب المسرحي، والذي به تنتعش الحركة المسرحية فكان نادراً، وهذه القلة القليلة من الكتّاب اتجهت إلى الأدب المسرحي ضمن دفتي كتاب وحده ومع مطلع الخمسينات، أنجبت الحركة المسرحية كّتاباً ومخرجين وممثلين ومترجمين وفنيين"(عبد الله أبو هيف، 2002، ص04).

أما عن مسرح الأطفال فقد "اشتهر الصينيون في مجال مسرح الأطفال في فترة مبكرة، حيث ظهر عندهم مسرح خيال الظل، ومسرح العرائس، الذي نشأ في جاوا، حيث كان الأب يقوم بتحريك العرائس في البداية، وكان الجمهور المشاهد من أفراد أسرته نفسها، إلى أن تطور إلى فن يشرف عليه محترفون، ويرى بعض الباحثين أن الهنود لعبوا دورا هاما في إظهار مسرح العرائس، حيث صنعوا عرائس ناطقة أمام الممثلين على خشبة المسرح"(حكمت أحمد سمير، 2016، ص169)، وقد"عرفت البلاد العربية في تاريخها القديم مسرح الأطفال بأشكاله المختلفة:

مسرح العرائس، ومسرح خيال الظل، والمسرح البشري، وقد جاء في كتاب الرحالة كارستن نيبور الذي زار الإسكندرية عام 1761، ومكث في مصر سنوات طويلة إن فن الأراجوز وخيال الظل كان منتشرا في القاهرة، وقال إنه جدير بالاهتمام، لكن ظهور أول مسرح للأطفال بشكل واضح في مصر كان عام 1964، وتوالى الاهتمام بمسرح الأطفال وأشكاله المختلفة بعد ذلك نتيجة انتشار المعاهد والكليات التي تخصصت بالمسرح" (حكمت أحمد سمير، 2016، ص172).

وقد "تنبه الأدباء العرب أخيراً إلى أهمية تأليف مسرح شعري أو نثري للأطفال، وبذلت محاولات جادة في هذا الصدد، بدأت محاولة عادل أبو شنب في الستينات بمسرحية (الفصل الجميل)، وكان أهمها محاولات الشاعر السوري سليمان العيسى الذي كتب مسرحيات شعرية للأطفال تم تلحينها وإخراجها مسرحياً، وهناك المحاولات التي قدمها الكاتب المغربي (علي الصقلي)، والكاتب التونسي (مصطفى عزوز) في سلسلة (المسرح الصغير)، وهناك مجموعة المسرحيات التي كتبها الشاعر أحمد سويلم للأطفال، وخرج بها عن الإطار المدرسي إلى إطار إبداعي يراعي التقنيات الدرامية والفنية الضرورية للمسرح، وقد تتابعت بعد ذلك الجهود، فأسهم في الكتابة الإبداعية لمسرح الأطفال كوكبة من الشعراء أمثال أنس داود، وأحمد زرزور، وأحمد الحوتي. وهناك المسرحيات النثرية التي أبدعها كبار الأدباء للأطفال مثل ألفريد فرج في مسرحيته (رحمة وأمير الغابة المسحورة)، ومسرحية (هردبيس والزمار)، إضافة إلى مسرحيات عبد التواب يوسف وغيرها" (أحمد علي كنعان، 2011، ص96-97).

أما بخصوص مسرح الطفل في الجزائر فـ"من عوامل نشأة الفن المسرحي الموجه الأطفال في الجزائر ظهور المدارس العربية الحرة، فكان كل مدير مدرسة عربية أو أحد معلميها المستنيرين يكتب مسرحية ليمثلها التلاميذ، إما بمناسبة انتهاء السنة الدراسية، أو عيد المولد النبوي" (أماني التجاني، 2014، ص08)، وقد "أصبح (مسرح الطفل) إحدى الدعامات التربوية الحديثة لما يتيحه للتلميذ من الفرص الثمينة للتعبير عن نفسه واكتساب المهارات اللغوية و الاجتماعية" (نجيب الكيلاني،1989 ، ص102) وهناك نوعين من أنواع المسرح الطفولي:

"نوع أول هو وسيلة تربوية وتثقيفية وهي استثمار « الدراما الخلاقة » يشترك فيه الطفل بالتمثيل والمشهدية. وأشهر أشكاله طاقة الطفل الحركية والتعبيرية في إدراك العالم وتنمية الشخصية وتربية الذوق وتعزيز فهو المسرحة من الحكايات « الدراما الخلاقة » التثقيف الذاتي والصحة النفسية، أما سبيل والقصص والأحاديث والتجارب وتنامي ذلك عبر استنفار مقدرة الطفل الحركية والتعبيرية في الأحاسيس والتخييل واللغة والوعي، وثمة نوع ثان هو مسرح موجه إلى الأطفال، ويستند إلى اعتبارات مخاطبتهم الفنية والتربوية حيث تتعدد أشكال المسرحة من التجسيد الآدمي، كمسرح الكبار للصغار التمثيلي أو الغنائي أو التسجيلي إلى الاستخدام المادي لعناصر عرض كالعرائس أو خيال الظل أو الضوء وغير ذلك"(عبد الله أبو هيف، 2002، ص97).

وقد يكون مسرح الطفل حاملا لخصوصية منفردة تتعلق بسيكولوجية الطفل وكيفية استجابته لمنطق أحداث المسرحية الموجهة إليه، لأنه "أكثر ميلا إلى التصورات اللامعقولة، لأنه يلتذ بإيقاعها في باله و لأن ذلك بمثابة سؤال التجريب الذي يحاول إعادة تشكيل العالم"(عميش عبد القادر، 2003، ص215)، فـ"الكتابة المسرحية للطفل تختلف بعض الاختلاف عن الكتابة للكبار، فالأطفال لهم عالمهم الخاص الذي يختلط فيه الواقع بالخيال، ولهم اهتماماتهم وقضاياهم الخاصة، كما أنهم في طور النمو والإدراك والتعلم مما يجعلهم أكثر قدرة على التلقي والتأثر"(أحمد علي كنعان، 2011، ص97)، باعتبار أن مسرح الطفل "من أهم طرق التدريس التي تساعد الطفل على التكيف مع بيئته والتعبير والتواصل مع الآخرين ، ولذلك يعتبر محتوى المفاهيم الاجتماعية

مصدراً لخلق مواقف اجتماعية يعايش الطفل فيها بيئته ومن ثم التعامل مع مشكلاتها"(هند بنت ماجد البقمي، 2012، ص33)، بتفعيل الخيال التفاعلي مما "هو ابتكار يضعه في خدمة الجماعة ويدرك الطفل باللعب المسرحي أن عليه أيضا أن يساعد غيره على لعب أفضل، أي يشارك رفاقه في تكريس متعة اللعب مما يعني التخطيط الجماعي، والتنفيذ الجماعي"(ايمان البقاعي، 2007، ص274-275).

فمن هذا المعطى الأولي دعنا نتساءل عن الجدوى الاجتماعية في العلاقة التي تربط ما بين الطفل من جهة والمسرح الخاص به من جهة أخرى؟ وما الدور السوسيولوجي الناتج من هذه العلاقة المهمة؟

من المسلم به في عالم أدب الطفل أن "(المسرحية الاجتماعية) هي التي تعالج شؤون المجتمع، وما يشغل أذهان الناس في حياتهم العامة والخاصة، مما ينعكس على الأطفال في حياتهم، وتعالج المسرحية الاجتماعية مشاكل مختلفة منها:

-ضرر مصاحبة الأشرار.
-التدليل وعواقبه الوخيمة.
-الكسل أو اللهو الزائد وضرره... الخ.

ومن خلال هذا النوع يستفيد الطالب من معايشته للمسرحية في حل مشاكله الاجتماعية، وتبصره بشئون حياته الخاصة والعامة أما (المسرحية الخيالية) فهي تشمل جانبين، أولهما ما يجري على ألسنة الطير والحيوانات ومظاهر الطبيعة، والثاني يتعلق بما وراء الطبيعة" أو الغيبيات - وما يعرف عنها من أسرار وعجائب وشخصيات.

وهذا النوع ينمي في الطالب جانب الخيال والاهتمام، ويعلمه الإنصات والتأدب أثناء الدرس، فضلاً عما يستفيده من قيم ومعتقدات طبقاً لفكرة المسرحية" (نجيب الكيلاني، 1998، ص99).

ومن المعلوم كذلك أنه قد حددت "وظيفته الاجتماعية بأنها مساهمة عن طريق العمل الفني في التربية وبناء الأجيال الصاعدة، وينطبق على مسرح الأطفال كل ما ينطبق على مسرح الكبار من عناصر أدبية وفنية، فهو يحتاج إلى كاتب موهوب مبدع مثقف دارس لعناصر المسرحية ومقوماتها، ولخصائص الأطفال ومراحل نموهم، كما يحتاج إلى مخرج خلاق متميز"(حنان عبد الحميد العناني، 1997، ص26)، فعلى سبيل المثال نجد أن "شخصيات العرائس تلعب دورا بالغ الأثر في تنوير عقول الأطفال وتفتيح عيونهم على المزيد من تجارب الحياة، و تنمي فيهم فضائل الأدب والصدق والزمالة وحب الآخرين و التعاون معهم"(إبراهيم حمادة، 1961، ص23) و"السرور الذي يجلبه مسرح الأطفال يعد مبررا إلا أنه يمثل جانبا واحدا مما يمكن أن يقدمه إلى أطفال البيئة فكل مسرحيات الأطفال تقريبا تقوم على المثاليات كالإخلاص والشجاعة والأمانة والبطولة والعدالة"(وينفر يد رادو، دس، ص152)، وخاصة وأننا نعرف بأن "الطفل يتلقى المعلومات عن طريق الفعل الحي إذ يشارك وجدانياً مع ما يعرض أمامه على خشبة المسرح من حالات تمس حياته اليومية ونشاطاته ورغباته، إذ أن كل صورة مسرحية يشاهدها خلال العرض يتلقاها ويقوم بتفسيرها عن طريق مدركاته الحسية التي يعتمد عليها أكثر من المدركات العقلية"(محمود جباري حافظ الربيعي، 2005، ص01)، و"الأطفال يستقبلون هذه الوسائل الاتصالية وهم يعرفون أنهم لا يواجهون الحياة نفسها بل يواجهون ما يماثلها في قوالب فنية. ولو كانت هذه الوسائل تنقل وقائع وحالات بنفس مواصفاتها لكان الأطفال أكثر إحساسا من غيرهم بالملل لكن الأطفال والراشدين معا يرتضون أن تضاف عناصر جديدة في عملية الاتصال لتجعل من هذه عملية ممتعة ولذيذة"(هادي نعمان الهيتي، 1988، ص117)، وهذا هو الإطار المقصود من التمثيل المسرحي للأطفال بكل أنواعه.

وقد تناول الباحث العراقي (مالك نعمة غالي المالكي) أهداف هذا النوع من المسرح في ما يلي:

"1-تنمية الأحاسيس الايجابية وإدراك سليم عند الطفل بإثارة الكثير من العواطف لديه كالإعجاب والخوف والشفقة.
2-تنمية قدرات الطفل والطالب اللغوية وتغذية مخزونة اللغوي بمفردات جديدة.
3-دمج الطفل مع الجماعة من خلال المشاركة بالحدث.
4-تخلص الطفل من بعض الأمراض النفسية السيكولوجية.
5-الكشف عن المهارات الكامنة لدى الطفل والمواهب.
6-تربية الفعل الحركي وتنمية الحركة الجسمانية عند الطفل والطالب في المدرسة.
7-تنمية بعض الاتجاهات الايجابية نحو الكثير من القيم الدينية والاجتماعية.
8-تقرير الانتماء الوطني لدى الطفل والطالب في المدرسة من خلال ما يطرح في المسرحيات على مستويات مختلفة.
9-إشباع رغبة الأطفال بالمعرفة والبحث بما يقدمه لهم من خبرات متنوعة.
10-استثمار وقت وطاقة الطفل والطالب بما هو مفيد وممتع" (مالك نعمة غالي المالكي، 2010، ص175).

فمهما يكن من أمر فيعتبر "جمهور الأطفال من مشاهدي العرض المسرحي الطفلي جمهورا مشاركا في ذلك العرض نفسه، وليس مجرد مستهلك لما يعرض عليه والمقصود بالمشاركة هو أن يشارك جمهور الأطفال في تلقي ما يعرض عليهم مشاركة إدراكية"(أبو الحسن سلام، 2004، ص19)، وهذه المشاركة اجتماعية بدرجة أولى بما فيها من تفاعل تداولي مثير بين الأفراد الممثلين ومجتمع الطفل المتفرج.

ويمكننا كذلك اعتبار "مسرح الطفل من أهم الوسائل التي تعتمد عليها التربية الحديثة في تطوير وتنمية العديد من المهارات والقدرات لدى الأطفال، والتي يصعب تحقيقها عن طريق وسائل أخرى منها القدرات اللغوية، زرع روح المبادرة، تعزيز الثقة بالنفس، وتطوير المهارات الحسية والحركية، ولكون المسرح يتيح للطفل المشاركة بل يعتبر المنشط الرئيس للقيام بالأدوار الموكِلة إليه"(نور الدين بولفخاذ، 2016، ص26)، اجتماعيا بصورة فعالة وايجابية، فمن خلال "أغاني مرحلة ما قبل المدرسة المقفاة وحكاياتها ذات الإيقاعات الموسيقية السريعة التي تجعله يعيش عالما متسما بالدفء والمرح والألفة والخيال وحيث توجد الحلول السحرية والحيوانات التي تتكلم واللعب بالأصوات وحركة الجسم التي تتكرر مع تكرار المقاطع واستمرار الأغاني وتصاعدها ومن ثم ترتبط الموسيقى بالغناء بالحكايات"(شاكر عبد الحميد، 2001، ص253)، وهو الأمر المهم في العلاقة التي يمكن أن تعتبر علاقة اجتماعية بالدرجة الأولى.

وكذلك من ناحية أخرى "تتّفق الدراما مع طبيعة الطالب وحبه للعب والانطلاق، لأنه لا يوجد طفل لا يتشوق إلى التمثيل واللعب ، وهو ما تعتمد عليه الدراما ، التي تقدم محتوى المنهج إلى التلميذ بصورة شيقة وجذّابة، ليصبح التلميذ مشاركاً إيجابياً بدلاً من أن يكون متلّقياً سلبياً ، مما يساعد على تيسير الفهم وتعميقه في ذهنه ، وبالتالي يسهل عليه التذكر والاسترجاع ، نظراً لأن الخبرات التعليمية تم تقديمها في إطارٍ تمثيلي مرئي، كما أن الدراما تُغير الموقف التعليمي، فبدلاً من قيام المعّلم بتوجيه حديثه إلى التلاميذ عن شخصية أو موقف معينٍ، ويكرر ذلك أكثر من مرة؛ يصبح التلميذ هذه الشخصية ، وعضوا مشاركاً في صياغة وتجسيد هذا الموقف"(رهام نعيم علي الطويل، 2011، ص04)، بحيث "أنها تثري قدرة الطالب على التعبير عما بداخله، وتساعده على التخلص من بعض انفعالاته الضارة، وتروض جسمه وتنمي حواسه من خلال اللعب الدرامي والتعبير الحركي، وتساعده على فهم نفسه وقدراته ومواهبه ومن ثم تنمية شخصيته،

وتزيد من معلوماته، وتثري قاموسه اللغوي وتنمي خياله وحسه النقدي، وتشعره بالمتعة والبهجة"(أمين الكخن و لينا هنية، 2009، ص202).

وقد "ثبت وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين النشاط المسرحي المدرسي وتوعية التلاميذ بتراثهم والبيئة المحيطة بهم. وكذلك وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين النشاط المسرحي المدرسي ورفع مستوى التحصيل الدراسي والقدرة على ترتيب الأفكار. ومن نافلة القول ليس بمقدور أي تربوي إغفال ما للمسرح المدرسي من دور وفعالية في تشكيل شخصية التلميذ وإغناء خبرته وتزويده بالمعارف والمهارات الضرورية في حياته"(محمود ميلاد، 2011، ص140)، وعلى العموم فـ"المسرح المدرسي يخلّص التلاميذ من الخجل، والارتباك، والعزلة، ويزيد من حضورهم الاجتماعي، ويوطد علاقاتهم بالإدارة المدرسية، كما أنه يزيد من حصيلة التلاميذ اللغوية، نتيجة عملهم الفعال. كما ويعد المسرح المدرسي من أقرب الأنشطة المدرسية إلى نفوس التلاميذ، وذلك لارتباطه بالتمثيل الذي هو شكل من أشكال اللعب لدى التلاميذ، ولتنوع الأساليب التربوية التي يستخدمها المسرح المدرسي في تحقيقه لأهدافه التربوية كأسلوب القصة وأسلوب القدوة وأسلوب المناقشة والحوار.. إلى أنه يمكن استغلال هذا النوع من الأنشطة التربوية لترغيب التلاميذ في المدرسة، وزيادة حوافزهم من خلال إضافة فقرات مسلية يتخللها تقديم جوائز رمزية مختلفة لهم"(علاء أحمد العياش، 2013، ص05).

ومهما يكن من أمر فـ"ينبغي أن يكون تفكيرنا دائماً هو: أن لا نعني بسرد القصص للأطفال فقط، بل نسعى إلى جعل الأطفال يبتكرون عوالم القصة ويسهمون بتمثيل أحداثها وتمكينهم من وضع القصص والعمل على كتابتها لتنمية قدرة الكتابة والموهبة في ربط الأحداث وسردها وتكثيفها في كتابة مبتكرة تسمى القصة"(فاضل عباس الكعبي، 1999، ص191)، باعتبار "الطفل المتلقي إنسان يتفاعل مع الآخرين، وإن الشخصيات المتجسدة على خشبة المسرح أمامه لها دور كبير في تغيير أو ترسيخ مفاهيمه وثبات القيم والعادات الاجتماعية المكتسبة لديه، لذا فإن عناصر سينوغرافيا مسرح الطفل تؤدي وظيفتها بطريقين، الأول باتجاه الممثل وتساعده على تجسيد الشخصية وإبراز ملامحها، والثاني اتجاه المتلقي التي بها تكتمل صورة الشخصية وحالاتها وتفاصيلها وخلجاتها النفسية"(بلقيس علي الدوسكي، 2012، ص567).

ومنه نعرف أن المشاهدة التفاعلية للمسرح من قبل الطفل وخاصة في المرحلة العمرية من سبع إلى عشر سنوات وهي المرحلة التي تم التركيز عليها، تعد من الحالات التي يتفاعل بها الطفل اجتماعيا بصورة أكبر، وتكتسب القيم المعنوية المنشودة وفق البنية الحسية والمحمولات المادية، لأن الألوان والأشكال وغيرها من الحسيات وعوامل التشويق ألصق بذهنه من الاعتبارات المجردة.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم حمادة (1961)، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال، القاهرة مصر.
2. أحمد علي كنعان(2011)، أثر المسرح في تنمية شخصية الطفل، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الأول والثاني، سوريا.
3. أماني التجاني(2014)، المسرحية المدرسية في الأدب الجزائري، مذكرة ماستر، جامعة ورقلة الجزائر.
4. أمين الكخن و لينا هنية(2009)، أثر استخدام الدراما التعليمية في تدريس قواعد اللغة العربية في تحصيل طالبات الصف العاشر الأساسي، المجلة الأردنية في العلوم التربوية، مجلد 5، عدد 3 ، جامعة اليرموك، الأردن.
5. أسماء شاكر نعمة وآمنة حبيب حمود(2014)، الحكاية الشعبية في نصوص مسرح الطفل، مجلة جامعة بابل، المجلد 22، العدد 01، العراق.

6. ايمان البقاعي(2007)، المنقذ في أدب الأطفال و الشباب لطلاب التربية و دور التعليم، دار الراتب الجامعية، بيروت لبنان.
7. بلقيس علي الدوسكي(2012)، دور سينوغرافيا مسرح الأطفال على الطفل الممثل والمتلقي، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 73، جامعة بابل العراق.
8. هادي نعمان الهيتي(1988)، ثقافة الأطفال، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة، الكويت.
9. هند بنت ماجد البقمي(2012)، فاعلية مسرح العرائس في تنمية المهارات الحياتية، مذكرة ماجستير، جامعة أم القرى السعودية.
10. وينفر يد رادو(دس)، مسرح الاطفال ، تر : محمد شاهين الجوهري، الدار المصرية، القاهرة.
11. حكمت أحمد سمير (2016)، مسرح الطفل، الجنادرية للنشر والتوزيع، ط1،الأردن.
12. حنان عبد الحميد العناني(1997)، الدراما والمسرح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
13. أبو الحسن سلام(2004)، مسرح الطفل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية مصر.
14. مالك نعمة غالي المالكي، تموز جويلية(2010)، أهمية المسرح المدرسي ومسرح الطفل، مجلة دراسات تربوية، العدد الحادي عشر، مركز البحوث والدراسات التربوية وزارة التربية، العراق.
15. مبارك عدنان(1976)، رسالة بولندا ، مجلة الاقلام، العدد 08، بغداد العراق.
16. محمود جباري حافظ الربيعي (2005)، دلالات الأزياء في عروض مسرحيات الأطفال، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، العراق.
17. محمود ميلاد(2011)، المسرح المدرسي ورفع مستوى تحصيل طلبة التعليم الأساسي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد 1و2، دمشق سوريا.
18. نجيب الكيلاني(1989)، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
19. نجيب الكيلاني(1998)، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت لبنان.
20. نور الدين بولفخاذ(2016)، أهمية المسرح في تشكيل شخصية الطفل، مجلة خطوة، العدد 29، تصدر عن المجلس العربي للطفولة والتنمية السعودية، تصدر وتطبع في مصر.
21. عبد الله أبو هيف(2002)، المسرح العربي المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق سوريا.
22. عبد القادر القط،(1978)، من فنون الأدب المسرحية، دار النهضة العربية، بيروت لبنان.
23. علاء أحمد العياش(2013)، واقع الإعلام المدرسي وتصور مقترح لتفعيله، رسالة ماجستير، جامعة دمشق سوريا.
24. عمر مهيبل(2007)، من النسق إلى الذات، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر.
25. عميش عبد القادر(2003)، قصة الطفل في الجزائر دراسة في المضامين و الخصائص، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.
26. فاضل عباس الكعبي(1999)، المداخل التربوية ومرتكزات التجانس المعرفي في ثقافة الأطفال، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد العراق.
27. قيس الزبيدي(1978)، مسرح التغيير، دار ابن رشد، بغداد العراق.
28. رهام نعيم علي الطويل(2011)، أثر توظيف أسلوب الدراما في تنمية المفاهيم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة فلسطين.
29. رمضان بسطويسي محمد(1993)، علم الجمال لدى مدرسة فرانكفورت، مطبوعات نصوص 90، القاهرة مصر.
30. شاكر عبد الحميد(2001)، التفضيل الجمالي، عالم المعرفة، الكويت.

التطبيقات الالكترونية للأجهزة الذكية ودورها في تنشئة الطفل -دراسة ميدانية-

Electronic applications of smart devices and their role in the -upbringing of the child- a field study

أ. بن معيزة عبد الحليم، جامعة قسنطينة 02- الجزائر

د. بن عبد المالك عبد العزيز، قسنطينة 02– الجزائر

ملخص: يهدف هدفت الدراسة التعرف إلى دور التطبيقات الإلكترونية للأجهزة الذكية بما فيها الهواتف الذكية واللوحات الرقمية على سلوكات الأطفال من وجهة نظر أوليائهم، وفقاً لعدة متغيرات هي: (درجة إمتلاك هذه الأجهزة والحاجة إلى التكوين، مجال توظيف والإستعمال الزمني لهذه الأجهزة، السلبيات والإيجابيات التي تتركها على سلوك الأطفال).أين اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وتم استخدام المقابلة نصف موجهة مع (10) أولياء للأطفال المستخدمين لهذه التكنولوجيا، وقد استعنا أثناء تحليلنا لنتائجها على أداة تحليل المحتوى أو المضمون (L'analyse de contenu)، كما أشارت نتائج الدراسة أن للتطبيقات الإلكترونية للأجهزة الذكية أثار سلبية وإيجابية على سلوكات الأطفال من وجهة نظر الأولياء، وخلصت الدراسة إلى وضع مجموعة من التوصيات.

الكلمات المفتاحية: التطبيقات الإلكترونية، الهاتف النقال، سلوكيات الأطفال.

Abstract: The study aimed to identify the role of electronic applications of smart devices, including smart phones and digital paintings on the behavior of children from the point of view of their parents, According to several variables (Degree of possession of these devices And the need for Configuration, The field of recruitment and use of these devices, The negatives and positives that it leaves on the behavior of children) . The study followed the descriptive analytical approach. A semi-directed interview was used with (10) parents of children using this technology , And during our analysis of its findings we used a tool "Content analysis", The results of the study indicate that the smart devices have a negative and positive impact on the behavior of children from the point of view of parents, The study concluded with a set of recommendations.

Keywords: Electronic Applications , Mobile phone, Children's behavior.

مقدمة:

برزت في أعقاب ثورة الاتصالات في العالم في الربع الأخير من القرن العشرين، وبعد انتشار وسائل الإعلام الحديثة والتكنولوجيات الرقمية في شتى أرجاء الأرض، شكوك ومخاوف كثيرة بين شعوب العالم لاسيما المجتمعات النامية حول تأثير وسائل الإعلام والتكنولوجيات الحديثة المستوردة على ثقافاتها الوطنية وتقاليدها وتراثها وعلى تغيير التركيبة الاجتماعية للعالم، وقد أثبتت العديد من الدراسات والبحوث الغربية انعدام أي مجتمع يتمتع بالحصانة الكاملة ضد تأثير الوسائل والتكنولوجيات الحديثة، حيث أصبحت هذه الوسائل والتكنولوجيات القوة مؤثرة في النظام الاجتماعي العالمي بسبب انتشارها لا محدود وتغلغلها في الدول النامية، وكذا كونها مصدر للمواد الإعلامية والترفيهية والثقافية.

وفي ظل هذه التغيرات التكنولوجية الحديثة والمعلوماتية وتأثيرها على الفرد والمجتمع، نجد الأطفال هم أكثر الشرائح الاجتماعية حساسية، تنمو في محيط تقني ثقافي جديد قد ينافس الآباء والمربين في التنشئة الاجتماعية والتثقيف. ولعل أهم إنجازات تكنولوجيا المعلومات ظهور الهواتف و اللوحات الذكية التي أعادت تشكيل حياة الطفل في البيت والمدرسة بطرق عميقة وغير متوقعة، فأطفال المجتمع الإلكتروني عرضة لإيجابيات وسلبيات ذلك المجتمع من ناحية يذهب المتحمسون لإيجابيات المجتمع الإلكتروني إلى أن الحواسيب تدفع بالأطفال إلى أن يتعلموا بشكل أفضل، من خلال إيجاد بيئات التعلم أكثر فاعلية وحداثة تتيح لهم تجريب التكنولوجيا وتجعلهم أكثر ألفة بالمستقبل وتحضرهم لهذا المستقبل، وأن على الأطفال التعلم المبكر لتقنيات الحاسوب من أجل تحقيق قفزة في التقدم والنجاح، فلم يعد هناك حقل من حقول المعرفة إلا والحاسوب يلعب الدور الأكبر فيه(الشحروري،2007، ص01).

بحيث تعتبر الأجهزة الذكية مصدرًا غنيًا للحصول على المعلومات والمعارف، وهي عبارة عن أداة تعليمية محفزة ومسلّية للأطفال، حيث يمكن مشاهدة وتعلّم المعارف المفيدة وحل المسائل من خلال الألعاب والبرامج التثقيفية والشبكات الاجتماعية، ناهيك عن كونها مصدرًا للتواصل بين الأشخاص مما يوفّر فرصًا للتعلم من طريق تبادل المعلومات المعارف والأفكار، كما وتخلق هذه الأجهزة جوّا من التفاعل والمشاركة بفضل ما توفّره من وسائل للتواصل الاجتماعي مع الأقران والأصدقاء والعائلة داخل أو خارج النطاق الجغرافي الذي يعيش فيه الطفل عبر البريد الإلكتروني والرسائل الفورية والشبكات الاجتماعية وغيرها.

من ناحية أخرى يرى آخرون أن الأجهزة الذكية من حواسيب وهواتف ذكية ولوحات تجعل الأطفال أسرى للخيال وتقلص من قواهم إذ تجعلهم تابعين أكثر للتكنولوجيا وتقنياتها الحديثة، وتحرمهم من اكتساب المهارات الرئيسية للتعلم وتدفع بهم للتواجد في أماكن خطرة بعيدا عن الرقابة(الشحروري، 2007، ص07).

أين يواجه أطفالنا أخطارًا كبيرة ناتجة عن الاستخدام السيء لهذه الأجهزة من خلال العمل المباشر على الشبكة بلا توعية مسبقة أو إرشاد من الأهل أو ذوي الرعاية، وهي تتزايد يومًا بعد يوم ونذكر منها: الإتصالات التي تسهّل الإستغلال الجنسي من طريق غرف الدردشة والشبكات الإجتماعية والمراسلات السرية، التنمر السيبيراني، والصور والأفلام الإباحية غير اللائقة التي لا تلائم نمو الطفل وتؤثر مشاهدتها من قبله في سن مبكرة ليس فقط على نموه الذهني والمعرفي، بل أيضًا على سلوكياته وتصرفاته مع الآخرين، فيصبح تعرضه لمواضيع ومواد غير ملائمة ميسّرًا له من خلال انتشار مجموعة من المواقع المعادية للمعتقدات والأديان أو المشجعة على الانتحار وتعاطي المخدرات والعنف والشذوذ الجنسي وغيرها من المواقع.

إن هذا الانتشار الواسع للتطبيقات الإلكترونية الخاصة بالهواتف الذكية واللوحات الرقمية وزيادة الساعات المصروفة من قبل الأطفال في إستعمالها، بدأ يثير من قبل المربين وعلماء

النفس وعلماء الاجتماع حول آثارها سواء النفسية منها أم الاجتماعية وأصبح هذا الموضوع مثار جدل قائم العلماء فيما يخص سلبياتها وايجابياتها، وتأسيسا على ما سبق ونظرا لأهمية وانتشار وسائل تكنولوجيا الإعلام والإتصال بصفة عامة وانتشار الهواتف الذكية واللوحات الرقمية بصفة خاصة في أوساط الأطفال في جميع بلدان العالم سواء العربية أو الغربية وحتى الجزائر، ولما لها من دور فعال في تفعيل سلوك الأطفال، وانطلاقا لما يوليه العلماء النفس ومربين وباحثين في علوم التربوية وقائمون في وزارة التربية في الجزائر من اهتمام بالحالة النفسية لمرحلة الطفولة، ودعما للحاجة في معرفة أثر إستخدام تكنولوجيا الإعلام و الإتصال الحديثة على سلوك الطفل الجزائري.

وتحدد هذه الدراسة مشكلتها على النحو التالي:

ما أثر التطبيقات الإلكترونية للأجهزة الذكية الخاصة بالهواتف الذكية و الحاسبات اللوحية على سلوك الطفل الجزائري من وجهة نظر الوالدين؟

وبناءً على ذلك تحاول الدراسة الإجابة عن التساؤلات التالية:

-ما هي درجة إمتلاك الأطفال للأجهزة الذكية؟

-ما هي درجة تمكن الأطفال من إستعمال هذه الأجهزة ؟

-ما هي مجالات ومدة إستعمال هذه الأجهزة بالنسبة للأطفال ؟

-ما هي إيجابيات و سلبيات هذه الأجهزة على سلوك الأطفال ؟

أهمية الدراسة:

يمكن تلخيص أهمية هذه الدراسة بما يأتي:

-نتائج هذه الدراسة قد تفيد المسؤولين في وزارة التربية والتعليم والأسر الجزائرية للوقوف على الآثار التي تنجر لإستعمال الهواتف الذكية على سلوكات الأطفال.

-قد تساعد نتائج هذه الدراسة في تطوير الآليات والأساليب والطرق التي يمكن اتباعها من أجل الاستخدام السليم للأجهزة الذكية وحث الأطفال على استخدامها في الاتجاه الصحيح.

أهداف الدراسة :هدفت الدراسة التعرف إلى:

-الإطلاع على واقع إستخدام الأجهزة الذكية بين أوساط الأطفال الجزائريين.

-محاولة الوصول إلى الكشف عن مختلف الجوانب المحيطة بهذه الظاهرة قصد المساهمة في الحد من شدة عنفوانها كخطوة أولى، والبحث عن أهم أسباب تفاقمها وأثرها على السلوك للوصول إلى الحد من تأثيراتها السلبية والتقليل من انتشارها.

-معرفة مدى تأثير تكنولوجيا الإعلام و الإتصال بوجه عام و الهواتف الذكية و اللوحات الرقمية بوجه خاص على سلوكيات الأطفال في الجزائر.

تحديد مصطلحات الدراسة:

التطبيق الإلكتروني: ويعرف أيضًا باسم برامج أو كيان برمجي.(هو عبارة عن مجموعة أو سلسلة من الأوامر تعطى للحاسوب (الجهاز الذكي) لتنفيذ مهمة معينة في إطار زمني، والمصطلح يطلق على جميع البرامج اللازمة لتشغيل الجهاز الذكي (حاسوب، هاتف ذكي، لوحة رقمية) وتنظيم عمل وحداته وكذلك تنسيق العلاقة بين هذه الوحدات. و يمكن لهذه البرامج أن تكون بسيطة مثل معالجة نص ما، أو معقداً أكثر مثل معالجة رسومات ثلاثية الأبعاد، ألعاب متطورة(ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

الهاتف الذكي: لم يجر الاتفاق بين الشركات المصنعة للجوالات على تعريف موحد للهاتف الذكي، Smartphone فمنهم من يعتبر الهاتف الذكي :الهاتف الذي يوفر مزايا تصفح الإنترنت، ومزامنة البريد الإلكتروني، وفتح ملفات الأوفيس، ويحتوي على لوحة مفاتيح كاملة،QWERTY إلا أن التعريف الأصح والأكثر قبولاً اليوم :إنه الهاتف الخلوي الذي يعمل

على أحد أنظمة التشغيل الآتي: ويندوز موبايل، سيمبيان أو مشتقاته، لينوكس أو مشتقاته وبلاك بيري(الشهري، 2016، ص61).

تنشئة الطفل: هي كل التغيرات البيولوجية والنفسية والعاطفية التي تحدث في الطفل منذ الولادة وحتى نهاية مرحلة المراهقة، كما تقدم الفرد من التبعية إلى زيادة الاستقلال الذاتي.

المشكلة السلوكية: كل سلوك يثير الشكوى، أو التذمر لدى الطفل، أو أبويه، أو المحيطين به في الأسرة، أو المؤسسات الاجتماعية والتربوية؛ ويدفعهم إلى التماس نصيحة المختصين وتوجيهاتهم المهنية للتخلص من هذا السلوك(إبراهيم وآخرون، دس، ص93).

الدراسات السابقة:

أولا الدراسات العربية:

الدراسة الأولى: دراسة جودة 2009 بعنوان"التأثيرات الإجتماعية لإستخدام الهاتف النقال لدى الشباب الجامعي": هدفت الدراسة التعرف إلى التأثيرات الاجتماعية لاستخدام الهاتف النقال لدى الشباب الجامعي؟، حيث تناولت الدراسة الرؤى المختلفة لتكنولوجيا الاتصالات الحديثة والتغير الاجتماعي، لاسيما المداخل الحديثة، كمدخل العولمة وتكنولوجيا المعلومات، وما بعد الحداثة، لتوضيح العلاقات المتبادلة بين السياق الثقافي والتكنولوجيا، وعلاقات القوة، والرؤى المطروحة حول استخدامات الهاتف المحمول عالميا، كما استفادت الدراسة من التراث النظري المتاح حول ظاهرة استخدام المحمول.انتهت الدراسة إلى تشكل ثقافة للهاتف المحمول لدى الشباب العربي، تلك الثقافة التي تكونت تدريجيا بعناصرها المادية المتمثلة في الأجهزة وتقنياتها المختلفة، والعناصر المعيارية المتمثلة في أسلوب استعمالاته المتنوعة، وتوقيتاته وما تعكسه من معايير وقيم واتجاهات ومعارف، وما تشكله من وجدان، وتأثيراتها على البناء الاجتماعي.

الدراسة الثانية: جاءت بعنوان "الألعاب الإلكترونية عبر الوسائط الإعلامية الجديدة وتأثيرها في الطفل الجزائري" للطالبة فاطمة همال جامعة الحاج لخضر باتنة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية تخصص الإعلام وتكنولوجيا الاتصال الحديثة 2011-2012 تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول ما هو تأثير الألعاب الإلكترونية في الطفل الجزائري وفقا لعلاقته بتكنولوجيا الإعلام الحديثة؟

تطرقت هذه الدراسة إلى علاقة الطفل الجزائري بالألعاب الإلكترونية ومدى تأثيرها في تنشئته فقد اختار الباحث عدة وسائط إعلامية كما استخدم الباحث منهج المسح الوصفي والعينة العنقودية في دراسته واعتمد على أداة المقابلة لأن العينة تمثلت في شريحة الأطفال ونظرا لعدم فهمهم المقابلة هي الأداة الملائمة للدراسة من خلال هذه الدراسة تتضح مجموعة من النتائج من بينها تعلق الأطفال بسرعة الوسائط الإعلامية الجديدة ومن بينها الهاتف الخلوي كوسيط إعلامي وكذلك ميل الأطفال المتمدرسين إلى اقتناء الجديد من تكنولوجيا الهواتف الخلوية وتتشابه هذه الدراسة مع دراستنا في استخدم الطفل للهاتف النقال من خلال الألعاب الإلكترونية المتواجدة في الهاتف بينما نحن سندرس استخدام الأطفال للهاتف النقال في جميع النواحي.

الدراسة الثالثة :المشكلات الأساسية جراء استخدام الهواتف الذكية من قبل الأطفال من وجهة نظر الوالدين في ضوء بعض المتغيرات لدكتور محمد عمر محمد أبو الرب والدكتوراه إلهام مصطفى القيصري جامعة الملك عبد العزيز المملكة السعودية تتمحور إشكاليتها حول التعرف على المشكلات السلوكية جراء استخدام الهواتف الذكية من قبل الأطفال من وجهة نظر الوالدين في ضوء بعض المتغيرات طبقت هذه الدراسة على عينة مكونة من 299من أولياء أمور الأطفال ثم اختيارها عشوائيا، واعتمد الباحثين على إستبانة أعدت لتحقيق أهداف الدراسة المكونة من ثلاثة أبعاد الجانب النفسي والاجتماعي والتربوي وبعد التحليل توصلت الدراسة إلى نتائج تبين أن هناك فروقا ذات دلالة إحصائية في المشكلات السلوكية جرا ء استخدام الهواتف الذكية وبناءا

على هذه النتائج قمنا بتقديم اقتراحات تهدف إلى التقليل من هذه المشكلات وتكمن أوجه التشابه في هذه الدراسة مع دراستنا من حيث استخدام الهاتف النقال للطفل في سن مبكر والتعرف على الآثار الناجمة عن هذا الاستخدام لكن هذه الدراسة اقتصرت على الجانب السلوكي فقط بينما دراستنا في جميع الجوانب.

ثانيا الدراسات الأجنبية:

الدراسة الأولى: على المستوى الدولي، عقد اتحاد شركات الأجهزة الخلوي (gsma)،2011 شراكة مع معهد أبحاث مجتمع الهاتف المحمول بواسطة الأطفال في جميع أنحاء العالم حيث يقدم تقريرا حول استخدام الهاتف المحمول مقارنة على الصعيد الدولي لعام 2011صورة فصيلة لاستخدام الهاتف المحمول للأطفال الذين تتراوح أعمارهم من 8إلى 18عاما ثم إجراء البحث على 3500من الأطفال والآباء في اليابان وباراغواي ومصر ويعتمد البحث الذي يشهد عامه الثالث لأن الدراستين السابقتين اللتين أجريتا في كل من اليابان والهند والمكسيك وقبرص والصين وكوريا وترعى هذا البحث شركات الهاتف المحمول في كل بلد ويشمل أكثر من 15500من الأطفال وآبائهم أظهرت النتائج امتلاك 12%من الأطفال هواتفهم الذكية الخاصة ويتمتعون بشكل عام بمعدل استخدام أعلى للهواتف الذكية على أبائهم، وتكمن أوجه التشابه بين دراستنا و هذه الدراسة في استخدام الأطفال للهاتف المحمول والجديد الذي سنضيفه في دراستنا هو التعرف على آثار التي يتركها الهاتف المحمول على الأطفال.

الدراسة الثانية: (divan 2012) التي أجريت على أطفال في عمر 7سنوات لمعرفة مدى تأثير لأجهزة الخلوية على ظهور مشكلات سلوكية، تكونت عينة الدراسة من 1300ألف طفل، حيث قامت أمهات الأطفال بملء إستبانة خاصة وأظهرت نتائج الدراسة أن الأطفال مستخدمي الأجهزة الخلوية هم أكثر عرضة لظهور المشكلات السلوكية المتمثلة في العصبية وتقلب المزاج والشرود الذهني وغيرها من المشكلات، مقارنة بالأطفال غير المستخدمين الأجهزة الخلوية في سن مبكرة حيث تكمن أوجه التشابه في هذه الدراسة مع دراستنا في الآثار الناجمة عن استخدام هذه التقنية لدى الأطفال.

الإجراءات المنهجية:

عينة الدراسة وخصائصها: إن مجتمع دراستنا بالدرجة الأولى يتمثل في أولياء تلاميذ السنة الثالثة إلى الخامسة من التعليم الابتدائي بولاية سطيف، ولما كان عددهم يتوزع على 856 إبتدائية، بها 183,038 تلميذ (حسب ما أفدتنا به مديرية التربية بولاية سطيف)، وقد قمنا باختيار عينة على طريقتين، الأولى منها بطريقة عشوائية، حيث قمنا في المرحلة الأولى باستخراج عينة من المدارس الإبتدائية متمثلة في 03 إبتدائيات، وذلك بالاعتماد على طريقة القرعة أو اليناصيب من خلال استخدام تقنية السحب دون إرجاع بعد إعطائها أرقام من 01إلى 856، فكانت الإبتدائيات المختارة والتي كان لها حظ الظهور هي على التوالي : مدرسة العربي التبسي و مدرسة بلخيرد حسان ومدرسة خرافة علي، وهي عينة عشوائية بسيطة، وفي المرحلة الثانية تم إختيار(10) أولياء دون مراعاة لأي من المواصفات كالجنس، المؤهل العلمي، المستوى الإقتصادي.

أداة الدراسة: حتى نتمكن من تحقيق الأهداف المسطرة من قبلنا من خلال تنفيذ الدراسة استندنا إلى المقابلة **L'entretien**، وقد رأينا أن الاعتماد على المقابلة النصف موجهة هي الأنسب في دراستنا هذه ،حيث حرصنا أثناء صياغتنا للأسئلة خلوها من أي تأثير على أفراد العينة، وقد دامت المقابلة من 10إلى 20دقيقة، وقد استعنا أثناء تحليلنا لنتائجها على أداة تحليل المحتوى أو المضمون **(L’analyse de contenu).**

تحليل نتائج الدراسة وتفسيرها:

عرض نتائج الدراسة: قبل الخوض في عرض نتائج الدراسة وتحليلها رأينا أنه من المهم أن نعرج على التعريف بتحليل المضمون (L'analyse de contenu) الذي يرى فيه بردن (Bardin.L,1977) مجموعة من تقنيات تحليل الاتصال يستعمل إجراءات منظمة وموضوعية لوصف محتوى، أما برلسون (Berlson) فيرى فيه تقنية للبحث والوصف الموضوعي المنظم والكمي للمحتوى الظاهر للاتصال بهدف التفسير، وقد اهتدينا إلى تحديد الوحدات بالاستناد إلى أعمال موريس أنجرس (Angers.M,1996)الذي تطرق إلى أن الوحدات يمكن آن تكون: الكلمات، الموضوعات التي كتب فيها المبحوثين، الشخصيات وطريقة الاستدلال، وقد أضاف باردن (Bardin.L;1977) وحدات منها وحدات السياق ووحدات التسجيل والتي منها:
-الكلمة، الموضوع، المفردة والشخصية، وقد اخترنا وحدة الموضوع (thème) كوحدة للتحليل حيث يعرفها برلسون (Berlson) هو تأكيد حول الموضوع، والموضوع هنا قد يكون جملة بسيطة أو جملة مركبة، أو فكرة تدور حول مسألة محددة، كما اعتمدنا على التكرار كوحدة للتعداد، وعليه ومما سبق عرضه فإننا استقرينا الكيفية التي ساعدتنا على تحليل نتائج هذه الدراسة من أعمال كل من موريس أنجرس (Angers,1996) وبردن (Bardin.1977)

عرض نتائج محور إمتلاك الأجهزة الذكية ومناقشتها:

الجدول (01) يمثل إستجابات الأولياء على محور إمتلاك الأجهزة الذكية :

المحور	السؤال	الإستجابات	التكرارات	النسبة المئوية
	المستوى الإقتصادي (المعيشي)	متوسط	10	%100
الإمتلاك	هل تمتلك جهاز ذكي في المنزل	جهاز حاسوب	7	%70
		هاتف ذكي	10	%100
		لوحة ذكية	10	%100
	لمن هذا الجهاز ؟(جهاز الحاسوب و لوحة ذكية)	ملك للأولاد	3	%30
		ملك لجميع أفراد العائلة	6	%60
		ملك وإستعمال شخصي	1	%10
	سبب تقديم أو شراء هذا الجهاز للطفل؟	هدية	4	%40
		أداة تربوية	4	%40
		لعبة	2	%20

إن اطلاعنا على النتائج المتضمنة في الجدول (01) يتبين لنا أن جل التلاميذ وآبائهم يمتلكون هواتف ذكية وذلك بوزن مئوي يفوق 45% بالمقابل نسبة 36 % التي تمثل نسبة إمتلاك لوحة ذكية وفي هذا السياق أشار اتحاد شركات الأجهزة الخلوية gsma الذي عقد شراكة مع معهد أبحاث مجتمع الهاتف المحمول بواسطة الأطفال في جميع أنحاء العالم حيث يقدم تقريرا حول استخدام الهاتف المحمول مقارنة على الصعيد الدولي لعام 2011 صورة تفصيلة لاستخدام الهاتف المحمول للأطفال الذين تتراوح أعمارهم من8 إلى 18 عاما.تم إجراء البحث على 3500 من الأطفال والآباء في اليابان وباراغواي ومصر، أظهرت النتائج امتلاك% 12 من الأطفال هواتفهم الذكية الخاصة ويتمتعون بشكل عام بمعدل استخدام أعلى للهواتف الذكية على آبائهم وهي نسبة تؤكد على تعلق الأطفال بسرعة الوسائط الإعلامية الجديدة ومن بينها الهاتف الخلوي واللوحة الرقمية كوسيط إعلامي وكذلك ميل الأطفال المتمدرسين إلى اقتناء الجديد من تكنولوجيا كالهاتف واللوحة الرقمية.

عرض نتائج محور التكوين ومناقشتها:

الجدول (02) يمثل إستجابات الأولياء على محور التكوين :

السؤال	الإستجابات		التكرارات	النسبة المئوية
هل لديك تكوين في إستعمال هذه الأجهزة	لا		9	%90
	نعم (أساسيات في التعليم الألي)		1	%10
هل إستعمال هذه لأجهزة بالنسبة إليك صعب أم سهل ؟ ولماذا ؟	سهل (9)	سهل التعلم	8	%80
		التعلم عن طريق الملاحظة فقط	1	%10
	صعب قليلا	صعبة اللغة الأجنبية	1	%10
هل إبنك يستعمل هذه الأجهزة بسهولة ؟	نعم		10	%100
من قام بتعليمه إستعمالها ؟	بمفرده	عن طريق الملاحظة	3	%30
		عن طريق الممارسة	2	%20
	عن طريق أحد أفراد العائلة		5	%50

من خلال الإطلاع على النتائج المتضمنة في الجدول (02) يتبين لنا أن الأولياء صرحوا بأنه ليس لديهم تكوين لإستعمال مثل هذه الأجهزة وذلك بوزن مئوي يتراوح بين 70% و 90 % كون إستعمالها سهل وذلك لإمكانية تعلم إستعمالها عن طريق الممارسة أو بالإحتكاك والملاحظة بالزملاء أو في البيت كما أكدوا بأن إستعمالها سهل بالنسبة للأطفال، وهذا ما أكده كل من Cummins وJohnson, Adams **(Johnson *et al.*, 2012)** الذين أكدوا بأن استخدام اللوحة الرقمية والهاتف الذكي سهل جدا بحيث يتطلب القليل من التدريب وجل الأطفال لا يلزمهم تدريب كون التلاميذ يتقنونها لأنها إحدى مهارات القرن ال 21.

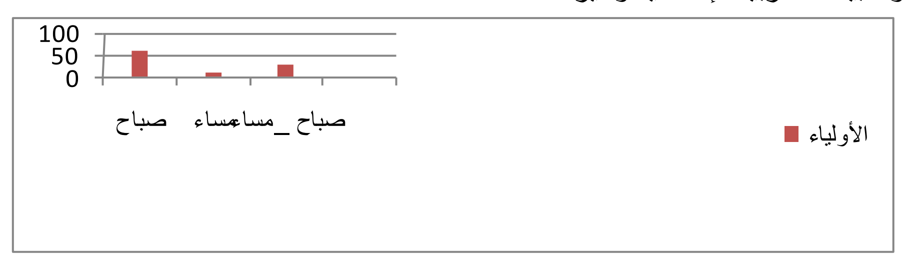
عرض نتائج محور مجال التوظيف و الإستعمال الزمني:

الجدول (03) يمثل إستجابات الأولياء على محور مجال التوظيف والإستعمال الزمني:

السؤال	الإستجابات	التكرارات	النسبة المئوية
في ماذا يستعمل إبنك هذه الأجهزة ؟	ألعاب	7	38,88
	دراسة	7	38,88
	ترفيه	3	16,66
	تواصل	1	5,55
هل تراقب إبنك أثناء الإستعمال ؟	نعم	6	60
	لا	4	40
هل توظف هذه الأجهزة في تعليم أبنائك ؟	نعم	8	80
	لا	2	20
ما هي التطبيقات التعليمية التي تستعملها في ذلك ؟	تطبيقات البحث في النت	6	46,15
	تطبيقات تعليم الحروف و الأشكال و الألوان	3	23,07
	تطبيقات تعليم الحساب	2	15,38
	ألعاب تعليمية ترفيهية	2	15,38

هل لمست أن إبنك يحب التعلم من خلالها أحسن من وسائل التعليم التقليدية ؟	نعم	9	90
	لا أدري	1	10
ما هي مدة إستعمال إبنك هذه الأجهزة في الأسبوع ؟	يوميا	4	40
	عطلة نهاية لأسبوع	4	40
	وقت الحاجة فقط	2	20
ما هي الفترة الزمنية المناسبة لإستعمالها في اليوم ؟	صباح	6	60
	صباح _ مساء	3	30
	مساء	1	10
في رأيك ما هي المدة الزمنية المناسبة لإستعمال هذه الأجهزة في اليوم ؟	4 سا	1	10
	1,30 سا	1	10
	1سا	6	60
	30 د	2	20

من خلال الإستجابات المبينة في الجداول أعلاه أفاد الأولياء أن أطفالهم يستعملون الأجهزة الذكية في الدراسة بنسبة 42,10 % وذلك من خلال تطبيقات تعليمية كتطبيقات تعليم الحروف والكلمات والحساب وتطبيقات التربية الإسلامية ،كما يستخدمونها بنسبة 31،57% في اللعب من خلال الألعاب المثبتة في هذه الأجهزة ، ولكنهم يستعملونها في البيت فقط ولا يحضرونها إلى المدرسة خوفا من السرقة أو التلف ، كما تستعمل في التواصل ،ولكن من جهة أخرى أشار الأباء في دراستنا الحالية بأنهم يستعملونها في تحضير الدروس و المساعدة في تدريس الأطفال بنسبة 33,38%، وذلك بالإستعانة بتطبيقات تعليمية كتطبيقات تعليم القراءة والكتابة والحساب وتطبيقات التربية الإسلامية وغيرها .



مخطط رقم (02) يبين الفترة الزمنية المناسبة لإستعمال الأجهزة الذكية.

بالنظر إلى المخطط المبين أعلاه بخصوص الإستعمال الزمني نجد أن أغلب الأولياء صرحوا بأن أفضل وقت للتعلم بهذه الأجهزة هو في الفترة الصباحية لفترة زمنية تتراوح بين 30د و 1سا، كما نصحوا بأن يكون إستعمالها في وقت الحاجة فقط، وذلك لان التعلم بالأجهزة الذكية تجعل من المتعلم محور رئيسا في العملية التربوية برمتها أي أنه عضو نشط يمارس، يكتشف، يبحث ويتساءل وبالتالي يجب أن يكون لديه متسع من الزمن لكي يتمكن من بناء تعلماته بنفسه وينمي كفاءاته وفي هذا السياق أشار ميريو (ph.Merieu) إلى ضرورة تمديد الزمن التعليمي الخاص بالتدريس، حيث جعله شرطا ضروريا إذا أردنا بالفعل التغيير نحو الأحسن و هو الشيء الذي أكده كارسنتي و فيفيز(**Karsenti et Fièvez,**2013) في تقرير البيانات الأولية لدراسة شملت 4000 متعلم الذين تتراوح أعمارهم بين 12 و 17 سنة و200 معلم الذين يستخدمون اللوحة

الرقمية في المدرسة، بحيث وجدوا أن اللوحة الرقمية في معظم الأحيان تستعمل في التعليم ما بين 15 و 30 د في الحصة الواحدة.

محور إيجابيات وسلبيات الأجهزة الذكية على سلوك الطفل:

الجدول (04) يمثل إستجابات الأولياء على محور إيجابيات وسلبيات الأجهزة الذكية على سلوك الطفل:

السؤال	الإستجابات	التكرارات	النسبة المئوية
بالنسبة لك هل هي أداة جيدة ؟	نعم	9	90
	لا	1	10
ما هي الأشياء الإيجابية فيها	تساعد في تدعيم الدراسة	4	28,57
	ربح الوقت	3	21,42
	تطوير المهارات الفكرية (الذكاء ، الذاكرة)	3	21,42
	الترفيه	3	21,42
	عدم القيام بالمشاكل في البيت	1	7,14
ما هي الأشياء السلبية فيها	الإشعاعات	3	17,64
	الأشياء التي تخدش الحياء	3	17,64
	الإلهاء عن الدراسة	3	17,64
	الإدمان	2	11,76
	العزلة الأسرية و الإجتماعية	2	11,76
	تضييع الوقت	2	11,76
	عدم صحة المعلومات	1	5,88
	لا توجد	1	5,88
هل هناك تحسن في المكتسبات لدى أبنائك بعد إستعمالها ؟	نعم	9	90
	لا أدري	1	10
ما هو مجال التحسن	سرعة الفهم	4	26,66
	تحسن الذكاء	4	26,66
	تحسن الذاكرة	3	20
	إثراء الرصيد المعرفي و اللغوي	3	20
	إرتفاع المعدل	1	6,66
هل تشجع على التعليم بهذه الأجهزة	نعم بوجود تأطير	4	40
	نعم	5	50
	لا	1	10
هل يمكن الإستغناء عنها في التعليم	نعم	8	80
	لا	1	10
	لا أدري	1	10

من خلال البيانات المبينة في الجدول (04) نجد أن غالبية عينة المسح المستهدفة يعتقدون أن الأجهزة الذكية تعتبر وسائل جيدة ولا يمكن الإستغناء عنها، كما يشجعون التعليم والتعلم بواسطتها ولكن بشرط أن لا نعتمد عليها بصفة مطلقة، ويجب أن تستعمل تحت تأطير وإشراف الكبار لإحتوائها على بعض السلبيات، بحيث أجمع الأولياء على خمس سلبيات رئيسية متمثلة في الإدمان والأشعة المضرة بالعيون وفي هذا السياق أشار جاردنر(gardner 2000) عن الجوانب الجانبية الفزيائية في إستخدام الأنترنت بواسطة الأجهزة الذكية في التعليم، حيث زاد عدد الطلبة الذين يجلسون أمام هذه الأجهزة إلى حد الإدمان، الأمر الذي يؤدي بالطفل إلى مشاكل فزيائية

تصيبهم خاصة صغار السن، و أهم هذه المشاكل الصحية أعراض إنحناء الرقبة والظهر ،مشاكل في العيون.

كما أضاف الأولياء أن من سلبيات هذه الأجهزة الخوف من وصول التلاميذ إلى مواقع غير تربوية ومشاهدة أشياء تخدش الحياء حتى في بعض الإشهارات العرضية، كما أن كثرة إستعمالها تؤدي إلى الإلهاء عن الدراسة والعزلة الأسرية والإجتماعية أين قالت إحدى الأمهات "أن أولادها يعتكفون في غرفهم بسبب هذه الأجهزة التي يستعملونها للإتصال بالأنترنت وفي حال ما إذا أرادت مشاهدتهم تقوم بقطع الأنترنت فقط، بعدها يخرجون كالفئران من جحورهم".

كما أن الأولياء يعتقدون بأنه رغم وجود سلبيات عديدة لإستعمال الأجهزة الذكية من طرف الأولاد غير أن لديها إيجابيات كثيرة وخاصة عند إستعمالها في التعليم، كتدعيم ما تم تعلمه في المدرسة من خلال البحث عن معلومات إضافية على شبكة الأنترنت، كما أن إستعمال التطبيقات التعليمية التفاعلية تؤدي إلى تطوير المهارات الفكرية لطفل (الذاكرة، الإنتباه، الذكاء)، ومن جهة أخرى ترفه على الطفل وتؤدي إلى ربح الوقت و الجهد من خلال سرعة إيصال المعلومة، لتطبيق هذه الأجهزة نظرية التعليم متعدد الحواس أو نظرية الارتباط الإدراكي والتي تعلق أهمية كبيرة على مخاطبة الحواس للمتعلم بأكثر من طريقة ليرسخ في عقله أكبر عدد من الصور والأحاسيس المرتبطة معا وذلك يؤدي إلى نموه العقلي وتكوين ذخيرة كبيرة من الخبرات السابقة حيث ترتبط معها الخبرات الجديدة التي تقدم للمتعلم، لأن الحواس هي بوابة التعلم لدينا، فتعلمنا للأشياء المحسوسة يسهل علينا تذكرها أيسر وأسهل من تعلم الأشياء المجردة. فالوسيلة التعليمية الناجحة هي التي تحاول ترجمة الرموز والألفاظ والصور إلى صور سمعية وبصرية للمتعلمين حيث تبدأ من الأشياء المحسوسة وتنتقل تدريجيا إلى الأشياء المجردة، وكلما قمنا قي إشراك أكثر من حاسة حصلنا على تعلم أفضل وباقي الأثر.

الإستنتاج العام: على ضوء التساؤلات المسطرة سابقا نستنتج ما يلي:

ما مدى إمتلاك الأطفال للأجهزة الذكية؟

جل التلاميذ وآبائهم يمتلكون هواتف ذكية وذلك بوزن مئوي يفوق 45% بالمقابل نسبة 36 % التي تمثل نسبة إمتلاك لوحة ذكية، وهي نسبة تؤكد على تعلق الأطفال بسرعة الوسائط الإعلامية الجديدة ومن بينها الهاتف الخلوي واللوحة الرقمية كوسيط إعلامي وكذلك ميل الأطفال المتمدرسين إلى اقتناء الجديد من تكنولوجيا كالهاتف واللوحة الرقمية.

ما هي درجة تمكن الأطفال من إستعمال هذه الأجهزة ؟

في هذا السياق صرح غالبية عينة المسح المشاركة (90%_100%)بأنهم يستعملون الأجهزة الذكية كاللوحة الرقمية والهاتف الذكي بدون مساعدة وبسهولة، وليسوا بحاجة إلى التكوين من أجل إستعمالها لإمكانية تعلم التحكم بها عن طريق الممارسة أو بالإحتكاك والملاحظة بالزملاء أو في البيت، وهذا ما أكده كل من Cumminsو,Johnson **Adams** (**Johnson** ***et al.,*** **2012)**

ما هي مجالات ومدة إستعمال هذه الأجهزة بالنسبة للأطفال ؟

في الدراسة الحالية وجد أن الأجهزة الذكية تستخدم من قبل التلاميذ في المقام الأول في الدراسة (42,10%)، ويأتي اللعب و الترفيه و التواصل في المقام الثاني و الثالث. كما أجاب كل من الآباء بأنهم يستخدمون هذه الأجهزة في المساعدة في تدريس الأطفال بنسبة 33,38%، وذلك بالإستعانة بتطبيقات تعليمية كتطبيقات تعليم القراءة والكتابة والحساب وتطبيقات التربية الإسلامية وغيرها، أين لمسوا بنسبة كبيرة أن التلاميذ يحبون الدراسة من خلال هذه التطبيقات وهي النتيجة التي تؤكد على وجود قابلية لدى المتعلمين وآبائهم في إستخدام الأجهزة الذكية في العملية التربوية .

أفاد الآباء في الدراسة الحالية بأن أحسن وقت لإستعمال الأجهزة الذكية بالنسبة للأطفال هو في الفترة الصباحية لفترة زمنية تتراوح بين 30 د و 1 سا في اليوم، أما الأطفال فقد أجاب 50 % منهم بأنهم يحبون إستعمالها في الصباح أو المساء على حد سواء بحجم ساعة يوميا في أيام الدراسة وأكثر من ساعتين في أوقات العطل.

ما هي إيجابيات و سلبيات هذه الأجهزة على سلوك الأطفال ؟

غالبية عينة المسح المستهدفة يعتقدون أن الأجهزة الذكية تعتبر وسائل جيدة ولا يمكن الإستغناء عنها، كما يشجعون التعليم و التعلم بواسطتها ولكن بشرط أن لا نعتمد عليها بصفة مطلقة، ويجب أن تستعمل تحت تأطير وإشراف الكبار لإحتوائها على بعض السلبيات(الإدمان والأشعة المضرة بالعيون، الخوف من وصول التلاميذ إلى مواقع غير تربوية ومشاهدة أشياء تخدش الحياء، كثرة إستعمالها تؤدي إلى الإلهاء عن الدراسة والعزلة الأسرية والإجتماعية)، كما أن الأولياء يعتقدون بأنه رغم وجود سلبيات عديدة لإستعمال الأجهزة الذكية من طرف الأولاد غير أن لديها إيجابيات كثيرة وخاصة عند إستعمالها في التعليم، كتدعيم ما تم تعلمه في المدرسة من خلال البحث عن معلومات إضافية على شبكة الأنترنت، كما أن إستعمال التطبيقات التعليمية التفاعلية تؤدي إلى تطوير المهارات الفكرية لطفل (الذاكرة ، الإنتباه ، الذكاء)، ومن جهة أخرى ترفه على الطفل وتؤدي إلى ربح الوقت و الجهد من خلال سرعة إيصال المعلومة و بالتالي تساعد في سرعة الفهم وسهولة الحفظ و التذكر وهذا من خلال جذب الإنتباه بواسطة الألوان و التفاعلية الموجودة في هذه التطبيقات.

خلاصة:

في النهاية فإن التقنيات الحديثة والتكنولوجيا مهمة وتلعب دوأر مهماً في حياتنا، ولا يمكننا الاستغناء عنها نهائياً، ولكن يبقى تنظيم استخدامها وتوجيه الأطفال -وخصوصاً المراهقين- إلى الاستخدام الصحيح وتوعيتهم بمخاطر الاستخدام الخاطئ وتحفيزهم على ممارسة الأنشطة الاجتماعية والتحدث، ومشاركة الأهل حياتهم اليومية تقيهم من مخاطر هذه الأجهزة وتمنحهم حياة أفضل مفعمة بالحيوية والنشاط وتحافظ على صحتهم مستقبلاً.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم، عبد الستار؛ الدخيل، عبد العزيز إبراهيم، رضوى(1993) العلاج السلوكي للطفل، أساليبه ونماذج من حالاته، مجلة عالم المعرفة، الكويت.
2. الزغول، فواز أحمد(2008) اللّغة العربّية في لغة الهاتف المحمول :قضايا وحلول" الجامعة الأردنية، محاضرة في مجمع اللغة العربية، عمان ، الأردن.
3. مها حسني الشحروري(2007)، أثر الألعاب الإلكترونية على العمليات المعرفية والذكاء الانفعالي لدى أطفال مرحلة الطفولة المتوسطة في الأردن، أطروحة دكتوراه، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، كلية الدراسات التربوية العليا، قسم علم النفس التربوي، عمان.
4. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة، موقع ويب، آخر تعديل لهذه الصفحة في 12نوفمبر3100 http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%88%D9%82%D8%B9
5. *ANGERS, M.* (*1996*). Initiation pratique à la méthodologie des sciences humaines (2e éd.). Montréal.
6. Bajan, Peter, (1998). New Communities , New Social Norms. Stadia-sychological. V. 40 (4): 361 –366.
7. Canary, D.J. and Spitzbery , B. H (1993). Loneliness and Media Gratification.
Communication Research, 20, 800-821.

8. Divan HA, Kheifets L, Obel C, Olsen J. (2012). Cell phone use and behavioral
problems in young children. J Epidemiol Community Health, 66(6), 524-9Divan HA,.

9. *Kaplan & Goldstein*, Chi- cago. 192 Blow, blow, thou winter wind ; part-song, w Shakespeare, m T. Tertius Noble, of Great Britain, domiciled at New York.

10.Karsenti, T., Collin, S., Dupuis, A., Villeneuve, S., Dumouchel, G. et Robin, J.-P. (2012). *Avantages et défs inhérents à l'usage des ordinateurs au primaire et au secondaire : 2e enquête auprès de la Commission scolaire Eastern Townships. Synthèse des principaux résultats*. Repéré à http://etsb.crifpe.ca/fles/synthese_fre.pdf

11.Sidney, et al. (1998) . Television Viewing and Cardiovascular risk factors in Young.

12.Steward, Julian (1988). The Concept and Method of Cultural Ecology. In: High Points in Anthropology. Pual Bohaman and Mark Glazer (eds.). New York: McGrawHill, Inc. 322-332.

تحليل وظيفة نظام الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية عند التلاميذ الذين يعانون من صعوبات التعلم الأكاديمية (صعوبة القراءة، الكتابة، الحساب) في المرحلة الابتدائية -دراسة مقارنة بين التلاميذ العاديين وذوي صعوبات التعلم-

Analysis of the function of the phonological ring system and the visual space For students with academic learning difficulties (dyslexia, dysgraphia, dyscalculia) at the primary level-A comparative study between ordinary students and those with learning disabilities-

د. دعيش محمد أمين، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 02-الجزائر
أ.ساري محمد، جامعة أبو القاسم سعد الله بوزريعة2– الجزائر

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن القصور الوظيفي للحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية-الفضائية عند التلاميذ المعسورين قرائيا وكتابيا وحسابيا، أما المنهج المعتمد هو المنهج المقارن، حيث أجريت الدراسة الأساسية على عينة قوامها 40 حالة (20ذكور و20أنثى) من مستوى السنة الرابعة والخامسة ابتدائي، وقد حددت أعمارهم من9إلى12سنة، وقد طبقنا على أفراد العينة مجموعة من الاختبارات كان أولها اختبار الذكاء وبعدها مقياس التقدير التشخيصي لصعوبة القراءة والكتابة والحساب، وأخيرا اختبارات الحلقة الفونولوجية واختبارات المفكرة البصرية الفضائية، وبعد تحليل النتائج توصلنا إلى أن التلاميذ ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية يعانون من اضطراب على مستوى نظام الحلقة الفونولوجية ونظام المفكرة البصرية الفضائية.

الكلمات المفتاحية: الحلقة الفونولوجية، المفكرة البصرية الفضائية، صعوبات التعلم الأكاديمية.

Abstract: This study aims to highlight the functional insufficiency of the phonological loop and visuospatial memory in dyslexic, dysgraphic and dyscalculic pupils by a comparative method on a sample of 40 cases (20 boys and 20 girls). 4th and 5th grade on an age range between 09 to 12 years, then we applied a series of tests. After analyzing the results, it was concluded that students with learning difficulties suffered from phonological loop and visual-spatial memory disorders.

Key words: phonological loop, visual-spatial memory, academic learning difficulties.

مقدمة:

يظهر الطلبة ذوي صعوبات التعلم جملة من السمات والمتمثلة في قصور أو حدوث اضطراب في واحدة أو أكثر من العمليات النفسية المهمة التي لها علاقة باستيعاب اللغة سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة، ويظهر ذلك في تدني قدرة الطالب على القيام بالعمليات الأساسية المتمثلة في: الاستماع أو الكلام، القراءة أو الكتابة أو التهجئة، وإجراء العمليات الحسابية، حيث إن منشأ هذا الخلل في الأصل يرجع إلى إعاقة في الإدراك أو في إصابة المخ ، وربما تعود هذه الصعوبة إلى خلل وظيفي مخي بسيط، وهذه الصعوبة لا تشمل الإعاقات سواء كانت بصرية أو سمعية أو حركية أو تخلف عقلي أو اضطراب انفعالي أو حرمان بيئي أو اقتصادي (الشحات، 2006، ص59)

تعرف المدارس الابتدائية نسبة 10 % إلى 12 % من الأطفال الذين يعانون من صعوبات التعلم الاكاديمية(joseph N dayisala, 1999, p287).

وفي البلدان المتقدمة عموما يعاني حوالي 20 % إلى 25 % من الأطفال من ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية (Metz-Lutz, MN, U Seegnulev, 2004, p47)

وتقدر نسبة انتشار صعوبات التعلم الأكاديمية في البيئة العربية بين الأطفال في سن التمدرس حوالي6 %(البشير شرفوح، 2004، ص19)، ويذكر"ندا **Nda**" (2009) أن الأطفال ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية يظهرون اضطرابات واضحة في العمليات التي تتطلب الاعتماد على الذاكرة العاملة، فمنهم من يعاني من صعوبة في تذكر المعلومات المعتمدة على الذاكرة السمعية أو الذاكرة البصرية أو المعلومات المعتمدة على الذاكرتين السمعية والبصرية معاً. ويشير لي وكوهلر وجيرمان (2010) **"**Lee, KehlerJerman" إلى أن الذاكرة العاملة ومشكلاتها هي الأكثر شيوعاً بين الأطفال ذوي صعوبات التعلم.

إشكالية الدراسة:

إن الرغبة الملحة والدافع للتحصيل قد يصطدم أحيانا بمعيقات تضعف التحصيل الدراسي ودافعية التعلم لدى التلميذ، فالتلاميذ في الوسط المدرسي قد يواجهون صعوبات كثيرة في التعلم تنعكس سلبا على تحصيلهم، ومن بين هذه الصعوبات نجد صعوبة تعلم القراءة. (شعلان، 2006، ص22)، حيث تدخل صعوبات التعلم الأكاديمية ضمن التصنيف العالمي لاضطرابات اللغة الشفوية والمكتوبة، ولقد تعددت الدراسات التي حاولت الخوض في غماره، إما بقصد البحث عن أسبابه أو الإلمام بأعراضه لكي تتم معالجته فيما بعد. (نبيل عبد الفتاح، 2000، ص60).

حيث انتشرت الدراسات حول هذه الظاهرة وتعددت النظريات التي تتناول هذا الموضوع، فمن النظرية العصبية العضوية إلى النظرية الوراثة ثم النظرية التربوية ونظرية الاضطرابات العاطفية(J.grandmout, 1999, P 287 . d. Ndayisaba et N.

إلا أن هذه النظريات لم تتوصل لحد الآن إلى أسباب علمية مباشرة تفسر السبب الذي يجعل من الطفل عاجزا عن تعلم المهارات الاكاديمية بالرغم من أنه لا يعاني من أي خلل عضوي أو حسي وله ذكاء عادي(كوليخفورد سيدريك، 2003، ص116)، وقد نجد أن بعض العلماء يرجعه إلى صعوبات التعلم النمائية والتي تكون ضرورية لتعلم القراءة والكتابة والحساب، والتي من بينها الذاكرة وبالتحديد الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية-الفضائية اللتان تدخلان ضمن أنظمة الذاكرة العاملة حسب نموذج " بادلي (هدى محمود الناشف، 1999، ص31).

حيث أن التلميذ عندما يبدأ تعلم مادة القراءة يحتاج إلى المعلومات التي يسترجعها باستعمال الذاكرة العاملة وبالتحديد الحلقة الفونولوجية، كما أظهرت دراسات "بادلي"(1993) الدور الهام لها في فهم الجمل المسموعة والمقروءة خاصة إذا كانت هذه الجمل طويلة ومعقدة، وقد بينت الدراسات الدور الأساسي للحلقة الفونولوجية في اكتساب المفردات نظرا للدور الذي تلعبه على

مستوى معالجة الكلمات من حيث خصائصها اللغوية الشفوية، ولقد أكدت عدة دراسات على أن الحلقة الفونولوجية مرتبطة بالنجاح أو الفشل المدرسي في ميادين اللغة الشفوية.
كما أظهرت الدراسات أيضا دور المفكرة البصرية الفضائية في التوجيه الفضائي وفي معالجة المهمات الفضائية، ولا يستبعد أن يكون لهذا النظام دور في معالجة المعلومات المكتوبة، باستعمال التصورات الذهنية فقط عند الأشخاص في مهماتهم المعرفية كالحساب على سبيل المثال.

إن الحلقة الفونولوجية هي برنامج عقلي منظم تكمن أهميته في أنه يقوم بحفظ المعلومات بشكل مؤقت وعلى معالجتها عند الحاجة إليها في المهام المعقدة مثل تعلم اللغة والتفكير والتعلم. فالحلقة الفونولوجية، التي تقوم بتخزين المعلومات وبالتدرب على الكلام اللازم لاكتساب مفردات كل من اللغة الأم واللغة الثانية، وتعتبر عنصر مهم للغاية في تطور اللغة والقراءة، حيث يقوم الإنسان بكل عمليات التفكير وحل المشكلات فيها.

كما أن المفكرة البصرية الفضائية حسب (logie 1994)تعمل على التخزين القصير المدى والمعالجة المؤقتة للمعلومات البصرية والفضائية، تتكون من تحت نظامين: وحدة التخزين البصري للصور والأحداث من طبيعة بصرية وميكانزيم فضائي يسمح بخروج برمجة للحركات العينية وله إمكانية إعادة التنشيط كالإعادة لمحتوى وحدة التخزين.

وفي دراسة «Powers» «Smith» «Locke» «Maccruse» وجدت أن مهارات الذاكرة العاملة عند ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية وبالتحديد الذاكرة العاملة اللفظية (الحلقة الفونولوجية) والمفكرة البصرية الفضائية، لا تتحسن مع مرور الوقت، مما يدل على أن الخلل متواصل، وليس التخلف النمائي يشرح سبب ضعف ذاكرتهم، وبناءا على ما سبق ذكره يمكننا طرح الإشكال التالي:

التساؤل الرئيسي:

هل يعاني التلاميذ ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية من اضطراب على مستوى نظامي الذاكرة العاملة؟ أو بطريقة أخرى:

هل توجد فروق دالة احصائيا بين التلاميذ العاديين والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية على مستوى نظامي الذاكرة العاملة؟

التساؤلات الجزئية:

هل توجد فروق دالة احصائيا بين التلاميذ العاديين والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية في كفاءة نظام الحلقة الفونولوجية؟

هل توجد فروق دالة احصائيا بين التلاميذ العاديين والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية في كفاءة نظام المفكرة البصرية الفضائية؟

فرضيات الدراسة:

الفرضية الرئيسية:

يعاني التلاميذ ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية من اضطراب على مستوى نظامي الذاكرة العاملة، أو بطريقة أخرى:

توجد فروق دالة إحصائيا بين التلاميذ العاديين والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية على مستوى نظامي الذاكرة العاملة.

الفرضيات الجزئية:

توجد فروق دالة إحصائيا بين التلاميذ العاديين والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية في كفاءة نظام الحلقة الفونولوجية.

توجد فروق دالة إحصائيا بين التلاميذ العاديين والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية في كفاءة نظام المفكرة البصرية الفضائية.

أهداف الدراسة:

-دراسة أسباب صعوبات التعلم الاكاديمية ومنها الأسباب الوظيفية التي تتأكد في غياب الأسباب العضوية.

-مساعدة الأطفال ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية والذين يعانون قصور في الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية على تحسين ذاكرتهم وتخطي الصعوبة التي يعانون منها.

-تحليل وظيفة الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية بمعرفة دورها في معالجة المعلومات والتطرق إلى كيفية قياسها، والاختبارات المستخدمة لهذا الغرض ثم معرفة النتائج الناجمة عن اضطرابها.

أهمية البحث: يمكن توضيح أهمية هذه الدراسة الحالية فيما يلي:

-العمر الزمني والمستوى الدراسي للعينة واعتباره المناسب للتشخيص العقلاني للتدخل العلاجي.

-مما يزيد تثمين الدراسة الحالية توجيه المنظار الشخصي لاضطراب أو قصور "الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية" كمتغير أساسي للدراسة الحالية ومدى تأثيره على صعوبات التعلم المدرسية.

-إعطاء نظام الحلقة الفونولوجية ونظام المفكرة البصرية الفضائية الأهمية القصوى كون الدراسات السابقة التي تناولت الذاكرة العاملة أهملتهم.

تحديد مصطلحات الدراسة:

الذاكرة العاملة: هي مجموعة من العمليات المعرفية التي تقوم بالاحتفاظ بالمعلومات وصيانتها وتحديثها في المخ لحظة بلحظة أثناء أداء العمليات المعرفية المعقدة مثل تعلم المهارات الجديدة، وتقاس الذاكرة العاملة بالأداء على مهام الاستدعاء السمعي، والعد، واستدعاء الأرقام بالعكس، واستدعاء الشكل المختلف، والمدى المكاني.

الحلقة الفونولوجية (الذاكرة العاملة اللفظية): "هي مجموعة من العمليات التي تقوم بالتخزين المؤقت ومعالجة المعلومات اللفظية كالأصوات والنصوص المقروءة (Baddeley A, 2003, p64)وتتحدد حسب الدرجة التي يتحصل عليها التلميذ في اختبارات الحلقة الفونولوجية(اختبار الجمل، الكلمات، الأرقام).

المفكرة البصرية الفضائية: تعتبر المفكرة البصرية-الفضائية إحدى أنظمة الذاكرة العاملة حسب نموذج بادلي وهي مسؤولة على الاحتفاظ والمعالجة المؤقتة للمعلومات ذات الطبيعة البصرية الفضائية (Baddeley A, 1996, p34)، وتتحدد حسب الدرجة التي يتحصل عليها التلميذ في اختبارات المفكرة البصرية-الفضائية.

صعوبات التعلم الأكاديمية (المدرسية): يشير مصطلح صعوبات التعلم الأكاديمية إلى صعوبة القراءة والكتابة والحساب في المدرسة الابتدائية، وما يتبعها من صعوبات تعلم المواد الدراسية في المراحل التعليمية التالية (نبيل عبد الفتاح حافظ، 2000، ص3).

إجرائيا: هي عدد الصعوبات الأكاديمية في القراءة والكتابة والحساب كما وردت في المقياس المستخدم في هذه الدراسة.

صعوبة القراءة: صعوبة القراءة هي عجز جزئي في القدرة على القراءة، أو فهم ما يقرأ وقد يرجع السبب في ذلك الى صعوبة خاصة بالجوانب النمائية: مثل: الانتباه، والذاكرة والإدراك والتفكير والعجز اللغوي، وتتحدد حسب الدرجة التي يتحصل عليها التلميذ في مقياس التقدير التشخيصي لصعوبة القراءة.

صعوبة الكتابة: هي اضطراب في تعلم الكتابة يظهر عند الأطفال ذوي الذكاء العادي وغالبا ما ترجع لتقلصات عضلية مبالغ فيها مرتبطة باضطرابات انفعالية، فتأخذ الكتابة كل الاتجاهات دون احترام السطور فتصبح غير مقروءة(N SILLAMY, 1980, p85) وتتحدد حسب الدرجة التي يتحصل عليها التلميذ في مقياس التقدير التشخيصي لصعوبة الكتابة.

صعوبة الحساب: هي اضطرابات القدرة على تعلم المفاهيم الرياضية، وإجراء العمليات الحسابية المرتبطة بها، وبعبارة أخرى هو صعوبة أو العجز عن إجراء العمليات الحسابية الأساسية، وهي :الجمع، الطرح، الضرب والقسمة، وما يترتب عليها من مشكلات في دراسة الكسور، والجبر والهندسة فيما بعد"(نبيل عبد الفتاح حافظ، 2000، ص81)، وتتحدد حسب الدرجة التي يتحصل عليها التلميذ في مقياس التقدير التشخيصي لصعوبة الحساب.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

المنهج المستخدم: المنهج المقارن، والبحوث السببية المقارنة هي ذلك النوع من البحوث الذي يحاول فيه الباحث تحديد أسباب الفروق في حالة أو سلوك مجموعة من الأفراد، وبمعنى آخر فإن الباحث يلاحظ أن هناك فروق بين بعض المجموعات في متغير ما، ويحاول التعرف على العامل الرئيسي الذي أدى إلى هذا الاختلاف ويطلق أحيانا على هذا النوع من البحوث" ما بعد الواقع" أو ما يطلق عليه باللاتينية (ex post facto)، حيث أن العلة والمعلول يكونان قد حدثا ويحاول الباحث دراستهما دراسة تراجعية.

عينة الدراسة: العينة هي عبارة عن مجموعة جزئية من الأفراد والظواهر التي تشكل مجتمع الدراسة الأصلي، فبدلا من اجراء البحث أو الدراسة على كامل مفردات المجتمع يتم اختيار جزء من تلك المفردات بطريقة معينة أو عن طريق دراسة ذلك الجزء يمكن تعميم النتائج التي تم الحصول عليها على مجتمع الدراسة (دويدار، 2007، ص93).

حجم وخصائص العينة: عينة قوامها 40 حالة (20 ذكور و20 اناث) في المستوى السنة الرابعة والخامسة ابتدائي، وقد حددت أعمارهم من 9 إلى 12، وأخذنا بعين الاعتبار في اختيار العينة تباعد المستوى التحصيلي عن المستوى العقلي، كما تم استبعاد حالات التخلف الذهني وذوي الاحتياجات الخاصة والإعاقات.

أدوات الدراسة:

-شبكة المقابلة وشبكة الملاحظة.

-اختبار الذكاء "مكعبات كوهس".

-مقياس التقدير التشخيصي لصعوبة القراءة والكتابة والحساب لفتحي الزيات.

-اختبارات الحلقة الفونولوجية.

-اختبارات المفكرة البصرية الفضائية.

حدود الدراسة:

الحدود الزمانية: أجريت هذه الدراسة من 21 أفريل إلى غاية2014/05/10.

الحدود المكانية: أجريت هذه الدراسة في ثلاث مدارس ابتدائية (مدرسة بولحية عبد القادر/ مدرسة معاوي لخضر/ مدرسة عيادي عبد الرزاق)، بالإضافة إلى عيادة الياسمين لاضطرابات النطق وصعوبات التعلم.

عرض نتائج الدراسة وتحليلها:

الفرضية الجزئية الأولى: توجد فروق دالة احصائيا في نظام الحلقة الفونولوجية بين التلاميذ العاديين والمعسورين.

	الفئة	N	Rang moyen	Somme des rangs
نظام الحلقة الفونولوجية	التلاميذ العاديين	20	30,50	610,00
	التلاميذ المعسورين	20	10,50	210,00
	Total	40		

جدول رقم :(01) يوضح قيمة متوسط الرتب Rang moyen للتلاميذ العاديين والمعسورين في اختبار الحلقة الفونولوجية

التحليل الإحصائي: بما أن قيمة متوسط الرتب Rang moyen تساوي 30.50 بالنسبة للتلاميذ العاديين و10.50بالنسبة للمعسورين في اختبار الحلقة الفونولوجية وهذا يدل على وجود فروق ملاحظة بين التلاميذ العاديين وذوي الصعوبات المدرسية في كفاءة نظام الحلقة الفونولوجية.

	نظام الحلقة الفونولوجية
U de Mann-Whitney	,000
W de Wilcoxon	210,000
Z	-5,420
Sig. asymptotique (bilatérale)	,000
Sig. exacte [2*(sig. unilatérale)]	,000b

جدول رقم :(02) يوضح قيمةMann-Whitney لدلالة الفروق بين التلاميذ العاديين والمعسورين في نظام الحلقة الفونولوجية.

التحليل الإحصائي: بما أن قيمة Mann-Whitney تساوي 0.000 وهي قيمة فروق قوية ودالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.05، حيث جاءت قيمة الدلالة الإحصائية لـMann-Whitney تساوي 0.000-(bilatérale)ومنه توجد فروق بين التلاميذ العاديين والمعسورين في نظام الحلقة الفونولوجية. اذن نقبل H1 الفرض البديل القائل بوجود فروق دالة احصائيا ونرفض H0 الفرض الصفري القائل بعدم وجود فروق بين العاديين والمعسورين.

الفرضية الجزئية الثانية: توجد فروق دالة احصائيا في نظام المفكرة البصرية-الفضائية بين التلاميذ العاديين والمعسورين.

	الفئة	N	Rang moyen :	Somme des rangs
نظام المفكرة البصرية-	التلاميذ العاديين	20	30,50	610,00
	التلاميذ المعسورين	**20**	**10,50**	**210,00**

		40	المجموع	الفضائية

جدول رقم :(03) يوضح قيمة متوسط الرتب Rang moyen للتلاميذ العاديين والمعسورين في اختبار المفكرة البصرية-الفضائية

التحليل الإحصائي: بما أن قيمة متوسط الرتب Rang moyen تساوي 30.50 بالنسبة للتلاميذ العاديين و10.50 بالنسبة للمعسورين في اختبار الحلقة الفونولوجية وهذا يدل على وجود فروق كبيرة بين التلاميذ العاديين وذوي الصعوبات المدرسية في كفاءة نظام المفكرة البصرية الفضائية.

المفكرة البصرية الفضائية	
,000	U de Mann-Whitney
210,000	W de Wilcoxon
-5,417	Z
,000	Sig. asymptotique (bilatérale)

جدول رقم :(04) يوضح قيمةMann-Whitney لدلالة الفروق بين التلاميذ العاديين والمعسورين في نظام المفكرة البصرية-الفضائية

التحليل الإحصائي: بما أن قيمة Mann-Whitney تساوي 0.000 وهي قيمة فروق قوية ودالة إحصائيا عند مستوى الدلالة 0.05، والذي يتضح من خلال قيمة الدلالة الإحصائية لـ-Mann Whitney المقدرة بـ 0.000 (bilatérale) ومنه توجد فروق بين التلاميذ العاديين والمعسورين في نظام المفكرة البصرية-الفضائية، إذن نقبل H1 الفرض البديل القائل بوجود فروق دالة احصائيا ونرفض H0 الفرض الصفري القائل بعدم وجود فروق دالة إحصائيا.

مناقشة النتائج في ضوء الفرضية والدراسات السابقة: في ضوء الفرضية العامة والفرضيات الجزئية المطروحة:

توجد فروق دالة إحصائيا بين التلاميذ العاديين والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية على مستوى نظام الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية، ومن خلال عرضنا لنتائج الحالات تبين لنا تحقق الفرضية العامة والفرضيات الجزئية، حيث أن التلاميذ ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية كانوا يعانون من قصور وظيفي على مستوى نظامي الذاكرة العاملة الحلقة، كما أن صعوبات الاكاديمية لدى الحالات كانت تكمن في صعوبة التخزين واسترجاع الكلمات، والاحتفاظ والمعالجة المؤقتة للمعلومات ذات الطبيعة البصرية الفضائية. حيث كانت صعوبة القراءة والكتابة والحساب تتراوح بين الصعوبات الشديدة والمتوسطة. أما فيما يخص قدرة الاسترجاع الشفوي فكانت تتراوح ما بين قدرة استرجاع شفوي ضعيف ومتوسط. وفيما يخص قدرة الاحتفاظ والمعالجة المؤقتة للمعلومات ذات الطبيعة البصرية الفضائية فكانت تتراوح ما بين قدرة استرجاع شفوي ضعيف ومتوسط.

وقد اتفقت نتائج دراستنا من حيث الأدوات المستخدمة والنتائج المتوصل إليها مع نتائج: دراسة "Barabara" و "Fazio" (1998) ودراسة "محمد علي كامل"(2001)، ودراسة "العايد"(2007) ودراسة Gouve، Bret et Ounge (2005)، وبهذا نكون قد حللنا وظيفة نظام الحلقة الفونولوجية ونظام المفكرة البصرية الفضائية، واضطرابها عند المعسورين قرائيا وكتابيا وحسابيا، وهذا من خلال معظم الدراسات التي تطرقت إلى هذا الموضوع، وتحققت الفرضيات.

الاستنتاج العام: لقد انطلقنا في دراستنا بالتساؤل الرئيسي التالي: هل توجد فروق دالة احصائيا بين التلاميذ العاديين والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية على مستوى نظامي الذاكرة العاملة؟

كما اقترحنا الفرضية العامة التالية: توجد فروق دالة احصائيا بين التلاميذ العاديين والتلاميذ ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية على مستوى نظامي الذاكرة العاملة.

كما تم إجراء دراسة استطلاعية بهدف معرفة مدى صدق الأدوات واختيار العينة، أين تم اختيار هذه الأخيرة حسب الخصائص التالية: المستوى الدراسي، نتائج التحصيل الدراسي، استبعاد أي إصابة عضوية أو إعاقة سمعية أو بصرية، كما تم تطبيق اختبارات الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية ومقياس التقدير التشخيصي لصعوبة القراءة والكتابة والحساب واختبار الذكاء مكعبات كوهس وهذا من أجل استبعاد حالات التخلف العقلي، حيث تمكنا من تحديد بعض الصعوبات التي يعاني منها الأطفال ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية على مستوى نظامي الذاكرة العاملة وبهذا أجبنا على الفرضية العامة، ومن خلال دراسة النتائج وتفسيرها يتبين لنا أن التلاميذ المعسورين يعانون مشاكل على مستوى الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية.

ومن خلال الدراسة التي تطرقنا إليها ونتائجها نستنتج أن الاضطرابات الوظيفية على مستوى نظلم الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية لها أثر سلبي على تعلم التلاميذ، كما أن الاضطرابات تنعكس على الجانب المعرفي للطفل فيصبح أداءه ضعيف ويواجه صعوبات في تعلم مختلف المواد الدراسية، وبما أننا استخدمنا المنهج المقارن في دراستنا فإنه يمكن تعميم النتائج المحصل عليها في هذه الدراسة، ولا تبقى النتائج محصورة على الحالات التي تم دراستها فقط.

خاتمة:

تمحور موضوع هذه الدراسة حول معرفة ما إذا كان التلاميذ ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية يعانون من اضطراب على مستوى نظامي الذاكرة العاملة (الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية)، ولقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج المقارن، كما اخترنا أدوات مناسبة تمثلت في (اختبارات الحلقة الفونولوجية واختبارات المفكرة البصرية الفضائية ومقياس التقدير التشخيصي لصعوبة القراءة والكتابة والحساب واختبار الذكاء مكعبات كوهس)، واختيار العينة كان باستبعاد حالات التخلف الذهني ومشكلات التعلم وبطئ التعلم واستبعاد الإعاقة السمعية أو البصرية ، وتم تحديد أفراد العينة بـ 40 حالة تعاني فعلا من 20 من العاديين و20 من ذوي صعوبات التعلم الاكاديمية، وتوصلت النتائج بعد تطبيق الاختبارات الخاصة بالمفكرة البصرية الفضائية والحلقة الفونولوجية وصعوبة القراءة والكتابة والحساب على الحالات بأنه هناك اضطراب على مستوى نظامي الذاكرة العاملة عند ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية، حيث دلت النتائج الكمية والكيفية على أن التلاميذ ذوي صعوبات التعلم الأكاديمية يعانون من ضعف وقصور على مستوى الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية.

توصيات واقتراحات: في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة يوصي الباحثان بما يلي:

- التشخيص المبكر لكل أنواع صعوبات التعلم النمائية والأكاديمية.
- إجراء تكفلات نفسية لغوية معرفية واقتراح بروتوكولات علاجية لذوي صعوبات التعلم.
- إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول موضوع الذاكرة العاملة.
- تضمين المناهج المقدمة للطلبة ذوي صعوبات التعلم على أنشطة وتدريبات خاصة بالحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية.

- تنويع استخدام الوسائل التعليمية، والسمعية، والبصرية لتطوير نمو الحلقة الفونولوجية والمفكرة البصرية الفضائية لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم.
- توعية المعلمين والمعلمات بضرورة التركيز على الأنشطة التي تتضمن وتهتم بنمو الذاكرة العاملة بصفة عامة والتركيز على نظامي المفكرة البصرية الفضائية والحلقة الفونولوجية والأنشطة السمعية بصفة خاصة.

قائمة المراجع:

1. أبو الديار ومسعد وآخرون(2012)، قاموس صعوبات التعلم ومفرداتها، ط1، سلسلة تقويم وتعليم الطفل، الكويت.
2. شرفوح البشير(2004-2005)، انعكاس عسر القراءة على السلوك العدواني لدى المعسورين، أطروحة دكتوراه دولة، غير منشورة، جامعة الجزائر.
3. عبد الله، حسن(2003)، سيكولوجية الذاكرة العاملة، سلسلة المعرفة، القاهرة.
4. فتحي مصطفى الزيات(2007)، بطارية مقاييس التقدير التشخيصية لصعوبات التعلم، دار النشر للجامعات، دط، القاهرة.
5. كامل محمد علي(2001)، دراسة لأثر اضطرابات قصور الانتباه على نشاط الذاكرة العاملة اللفظية لدى عينة من التلاميذ بعض المدارس الابتدائية، مجلة كلية التربية جامعة طنطا، العدد 30، المجلد الثاني.
6. كولينجفورد سيدريك(2003)، ترجمة هاني مهدي الجمل، تعلم القراءة عند الاطفال رؤية علاجية، مجموعة النيل العربية، القاهرة.
7. مجدي محمد الشحات، عاشور أحمد حسن(2006)، صعوبات التعلم، دار الفكر، ط2، عمان.
8. نبيل حافظ عبد الفتاح(2000)، صعوبات التعلم والتعليم العلاجي، مكتبة زهراء الشرق، ط 1، القاهرة.
9. هدى محمود الناشف(1999)، إعداد الطفل العربي للقراءة والكتابة، دار الفكر العربي، القاهرة.
10. Baddely ad, 1996, the fractionation of working mémory, proc, Nat, a CAD.
11. Baddely ad, 2003, working mémory & langage, département of expérimental psychologie, université of Bristol, uk.
12. Joseph Nayisaba et Nicole Degradement, 1999, les enfants déférents, les éditions logiques, Québec.
13. Metz-Lutz, MN, U Seegnulev, 2004, développement de la mémoire de travail Visio-spatial et troubles des apprentissages, Marselle.
14. Sillamy N, 1980, Dictionnaire de psychologie, éd Larousse, France.

فعالية تقنية تحليل الخطأ في تحسين أداء العمليات الحسابية الأربعة لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي ذوي صعوبات تعلم الحساب.

Effectiveness of Error Analysis Technique in Improving the Performance of the Four Arithmetic Operations on primary school Fifth Year Students with Learning Calculation Disabilities .

أ. مسعود حناشي، جامعة الجزائر 2- الجزائر

ملخــــص: تهدف الدراسة الحالية لمعرفة فعالية التدريس بتقنية تحليل الخطأ في تحسين أداء العمليات الحسابية الأربعة لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي ذوي صعوبات تعلم الحساب بمدارس ولاية أم البواقي، تكونت عينة الدراسة بعد الفرز والتشخيص من11 تلميذا وتلميذة تم اختيارهم بطريقة قصدية، وللإجابة على التساؤل الرئيس انتهجنا المنهج شبه التجريبي بالاعتماد على التصميم التجريبي ذوا المجموعة الواحدة - قياس قبلي قياس بعدي- حيث تلقى أفراد هذه المجموعة معالجة تجريبية تمثلت في مقاربة تدريسية وفقا لتقنية تحليل الخطأ، وقد تمثلت أدوات الدراسة في اختبار القدرة العقلية لعبد الفتاح موسى (11-9 سنة)، اختبار القدرة الحسابية (تصميم الباحث)، أنشطة تقنية تحليل الخطأ، وبعد المعالجة الإحصائية للفرضيات أسفرت الدراسة على النتائج الآتية: توجد فروق بين نتائج المجموعة في الاختبار القبلي والاختبار البعدي بعد اعتماد المقاربة التدريسية القائمة على تقنية تحليل الخطأ.

الكلمات المفتاحية: فعالية، تقنية تحليل الخطأ، صعوبات تعلم الحساب، تلاميذ ذوي صعوبات تعلم الحساب، الخطأ، العمليات الحسابية.

Abstract: The present study aims at identifying the effectiveness of error analysis technique in improving the performance of the four arithmetic operations in the fifth year of primary school. students with learning calculation disabilities in Oum el-Bouaghi school. After the screening and diagnosis processes , 11 students were deliberately chosen from a three groups. To answer the main question, we followed the semi-empirical approach which based on the experimental design of a single group.The experiment group received experimental treatment based on teaching approach according to Error Analysis Technique. The tools of current study are :Test of mental capacity (9/11 years), the Test of Calculation Capacity (Introduced by the researcher), And Technical Activities Based on Error Analysis .After the statistical treatment , the fingings revealed the following : There are differences between the results of the pre-test and the post- test after the adoption of the teaching approach based on Error AnalysisTtechnique.

Key words: Effectiveness, Error Analysis Technique, learning calculation disabilities, Learning diffuculties, Students with learning calculation disabilities, Error, arithmetic.

مقدمة:

تعد مشكلة "صعوبات التعلم "من أهم القضايا التي شغلت ميدان التربية الخاصة في وقتنا الحاضر، والتي يعاني منها بعض التلاميذ، وخاصة نذكر من بينها صعوبات تعلم الرياضيات وخاصة الحساب في مرحلة التعليم الابتدائي باعتبارها القاعدة والأساس الذي تبنى عليه بقية المراحل الدراسية.

ويستخدم مصطلح "صعوبة إجراء العمليات الحسابية" عند الحديث عن صعوبات الحساب، وهي كلمة ذات توجه طبي تصف صعوبة مزمنة في التعلم وفي استخدام الرياضيات، وقد وصفت هذه الصعوبة كاضطراب محدد في تعلم المفاهيم الرياضية الحسابية المرتبطة بخلل في الجهاز العصبي المركزي، وقد تظهر هذه الصعوبة في المرحلة الابتدائية بشكل مشكلات في تعلم المهارات الأساسية كالجمع والطرح والضرب وقسمة الأعداد الصحيح(عونية صوالحة،2011، ص43) .

وتصنف فئة صعوبات التعلم إلى صعوبات نمائية ترجع إلى صعوبات في العمليات العقلية الأساسية، وصعوبات أكاديمية وهي تواجه التلاميذ عند تعلم المواد الأكاديمية في المدرسة مثل: الديسليكسيا(صعوبات التعلم في القراءة) والديسجرافيا (صعوبات التعلم في الكتابة) والديسكالكوليا (صعوبات التعلم في الرياضيات) (الصاوي، ن، 2009، ص65**)**.

ويؤكد كل من الوقفي (2011)، وعصفور وبدران **(**2013**)** أن أغلب البحوث والدراسات في مجال صعوبات التعلم اهتمت بها بوجه عام، وعلى الرغم من أن الديسكالكوليا من بين أكثر الصعوبات انتشاراً بين تلاميذ المدرسة الابتدائية، فلم يهتم بها الباحثون في مجال صعوبات التعلم.

ويتفق كل من الوقفي (2011)، وبطرس (2010)، والمجديل واليافعي (2009) على أهمية توفير برامج علاجية ملائمة لتلاميذ صعوبات تعلم الحساب تعتمد على أساليب حديثة، وعدم الاعتماد على المناهج وطرق التدريس التقليدية مما يؤدي إلى ظهور صعوبات تسبب للكثير من المتعلمين الوقوع في أخطاء متكررة في مادة الرياضيات، ومنه وجب البحث عن مقاربات حديثة في الرياضيات تهتم بهذه الأخطاء وعدم إهمالها وذلك بتحديد أنماطها وتحليلها والتعرف على أسباب ارتكابها للتمكن من التدخل في معالجتها وتصحيحها وإيجاد البديل التربوي المناسب.

إشكالية الدراسة:

أصبح الاهتمام في مسألة التعليم اليوم ضرورة حتمية لما له من أهمية في الحياة اليومية وتحديد المكانة الاجتماعية للفرد لاسيما وأننا في الألفية الثالثة والتي تمتاز بالتطور التكنولوجي والمعرفي الذي يتيح الفرصة أمام الجميع للحصول على ما يريدون حتى أولئك الذين يعانون من صعوبات خاصة في التعلم (نوري القمش، عبد الرحمان المعايطة، 2009، ص171).

وتعد صعوبات التعلم من المشكلات التي تهدد سلامة العملية التعليمية كلها، ويرجع ذلك إلى ارتفاع نسبة عدد الطلبة الذين يعانون منها، حيث يواجه الأطفال والمراهقون على السواء هذه الصعوبات فهي تمتد على مدى حياة الفرد كما لا تقتصر هذه الصعوبات على مادة دراسية بعينها بل قد تمتد لتشمل كل المواد الدراسية التي يدرسها التلميذ (وليام.ن. بندر، ترجمة: سليمان عبد الرحمان، 2011، ص13).

والأطفال ذووا صعوبات التعلم هم أولئك الأطفال الذين يعانون من اضطرابات في واحدة أو أكثر من العمليات النفسية الأساسية أو في استخدام اللغة المنطوقة أو المكتوبة وهذا الاضطراب قد يتضح في ضعف القدرة على الاستماع أو التفكير أو التكلم أو الكتابة أو التهجئة أو الحساب(بطرس حافظ ، 2010، ص280).

ولقد أكدت العديد من الدراسات والبحوث أن من أكثر مجالات البحث التي لم تنل اهتمام الباحثين في مجال صعوبات التعلم هو مجال البحث في صعوبات تعلم الحساب، على الرغم من

كونها من أكثر الصعوبات انتشاراً بين تلاميذ المدرسة الابتدائية، حيث يزيد تدريس مناهج الرياضيات بالطرق التقليدية لهؤلاء التلاميذ كونها لا تراع مبدأ الفروق الفردية وأنماط التعلم الخاص بكل تلميذ، كما ينمو لديهم اتجاه سلبي نحو الرياضيات كون هذه المناهج لا تشجع التلاميذ على المشاركة والتفاعل مع المحتوى التعليمي وهو ما يجعل التلميذ كمتلقي سلبي، كما لا تثير هذه المحتويات دافعيتهم لمتابعة الدراسة، مما يتسبب في تدني المردود الدراسي لهؤلاء في الرياضيات ما يزيد من حدة توتر أولياء الأمور والتربويين.

ويعد الكشف المبكر عن صعوبات تعلم الرياضيات وتقديم برنامج لخفض وعلاج المشكلات الرياضية في الصفوف الثلاثة الأولى من المرحلة الابتدائية، وهي مرحلة الطفولة المتوسطة من (6 - 9 سنوات) أفضل في خفض وعلاج مشكلات صعوبات التعلم في الرياضيات التي يعاني منها هؤلاء التلاميذ، حتى لا تتراكم وتنتقل لمراحل التعليم اللاحقة وإذا كانت الحاجة إلى مثل هذه الدراسة قائمة في كل مراحل التعليم، فإنها في مرحلة التعليم الابتدائي تبدو أكثر أهمية، ففي هذه المرحلة يبدأ تعليم المهارات والمعارف الأساسية، وتبدأ الاتجاهات في التشكل نحو مختلف المواد الدراسية، وعليه فإن أي خطأ يرتكب في هذه المرحلة دون معالجته في حينه يكون من الصعب معالجته في السنوات التالية، ونظرا لعدم وجود دراسات حديثة في الجزائر حسب علم الباحث تبحث عن فعالية تحليل الأخطاء لتحسين أداء ذوي صعوبات الرياضيات، فإن ثمة حاجة ملحة لدراستها خصوصا وأن الباحث من خلال عمله كمعلم لمدة ثمانية عشر عاما في مجال تدريس تلاميذ المرحلة الابتدائية، وكذا استطلاع أراء زملائه المعلمين حول الانشغالات المهنية المشتركة ذات الصلة بتعلم وتعليم التلاميذ، وخصوصا ظاهرة الصعوبات في إجراء العمليات الحسابية، مما يسبب لهم الوقوع في الكثير من الأخطاء، مسببة ضعف في اكتساب مهارات العمليات الحسابية (جمع، طرح، ضرب، وقسمة) وهو ما يؤدي إلى انخفاض مردودهم الدراسي، مما دعى الباحث لاختيار تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي كعينة دراسة، ومع وجود مبادرات بين الحين والآخر تبحث في كيفية التعامل مع هذه الأخطاء تنفيذا لمختلف توصيات مسؤولي التربية التي تركز على تخصيص حصص المعالجة التربوية في أخر الأسبوع تخصص لفئة التلاميذ الذين تلاحظ عليهم جملة من الصعوبات التي تؤدي بهم إلى ارتكاب الأخطاء لتجاوز هذه الصعوبات، إلا أن الواقع أظهر عكس ذلك، كون هذه الأخطاء تحتاج إلى طرق بيداغوجية حديثة تفيد المعلمين في كيفية الاستفادة من هذه الأخطاء، وهو ما "أشارت إليه بعض الدراسات العربية والأجنبية بضرورة تحليل الأخطاء التي يقع فيها التلاميذ لتحديد الاحتياجات التدريسية والمتطلبات الأساسية لديهم لفهم مادة الرياضيات(عونية صوالحة، 2011، ص48).

ومنه فإننا سنحاول في بحثنا هذا التعرف على فعالية تقنية تحليل الخطأ في تحسين أداء العمليات الحسابية بمقاربة تدريسية علاجية نحاول الإجابة فيه عن السؤال البحثي الرئيس الآتي:

هل يمكن تحسين أداء التلاميذ ذوي صعوبات تعلم الحساب في العمليات الحسابية الأربعة باستعمال تقنية تحليل الخطأ ؟

وبمعنى آخر:

هل توجد فروق دالة في نتائج المجموعة في الاختبار القبلي والبعدي بعد اعتماد مقاربة تدريسية تقوم على تقنية تحليل الخطأ؟

فرضيات الدراسة: يتحسن أداء العمليات الحسابية باستخدام مقاربة تدريسية تقوم على تقنية تحليل الخطأ.

وبمعنى أخر:

توجد فروق بين نتائج المجموعة في الاختبار القبلي والاختبار البعدي بعد اعتماد المقاربة التدريسية القائمة على تقنية تحليل الخطأ.

أهداف الدراسة: سعت الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :
- اعتماد مقاربة تدريسية قائمة على تقنية تحليل الخطأ لتلاميذ الصف الخامس ابتدائي ذوو صعوبات تعلم الحساب وقياس أثر هذه المقاربة في تحسين الأداء في العمليات الحسابية الأربعة.
- الكشف عن مواطن الضعف ثم تحليله وتقديم العلاج المبكر ما يساعد على تحسين التعلم بمعنى جعل تحسين أداء التلميذ في مجال المهارات الحسابية في مختلف وضعيات تعلم الرياضيات في مستوى الأهداف المسطرة للمدرسة.
- معرفة مدى تأثير تقنية تحليل الخطأ في تحسين العمليات الحسابية الأربعة.
- حسب علم الباحث فان البرامج التعليمية لذوي صعوبات تعلم الحساب قليلة جدا في الجزائر لذا تحاول هذه الدراسة الإثراء في هذا المجال.
- تقديم اقتراحات موضوعية والخروج بتوصيات قد تساعد القائمين على وضع البرامج التعليمية ومتابعتها في استدراك نقائص التلاميذ في مجال الحساب.

4 ـ **أهمية الدراسة:**تتمثل أهمية الدراسة الحالية في النقاط الآتية:
- يمكن من خلال الدراسة التقليل من نسبة التلاميذ ذوي صعوبات تعلم الحساب خاصة في مرحلة التعليم الابتدائي.
- المساهمة في رفع مستوى التحصيل الدراسي في مادة الرياضيات وخاصة في مستوى أداء العمليات الحسابية الأربعة.
- مساعدة مسؤولي تطوير المناهج بالتعرف على إستراتيجية بيداغوجية جديدة للتدريس وإدراجها في المناهج التعليمية.
- إن كشف وتحليل الأخطاء الناتجة عن صعوبات تعلم الحساب ثم تذليلها عن طريق تنفيذ إستراتيجيات مقترحة.
- يساهم في ترقية العملية التعليمية ـ التعلمية ـ التي ينشدها كافة المعنيين بالنظام التربوي (التلاميذ، الأولياء، المعلمون).
- الكشف عن مواطن القوة والضعف لدى التلاميذ لغايات التعليم العلاجي من خلال الاختبارات التشخيصية المعدة لهذه الدراسة والمقابلات التشخيصية.

مصطلحات الدراسة:

الفعالية إجرائيا: بأنها مقدار التغير الذي تحدثه المقاربة التدريسية القائمة على تقنية تحليل الخطأ في تحسين أداء العمليات الحسابية الأربعة لدى تلاميذ الصف الخامس ابتدائي ذوو صعوبات تعلم الحساب.

العمليات الحسابية: نقصد بها استخدام وإجراء العمليات الحسابية الأربعة (الجمع، الطرح، الضرب والقسمة) لاشتقاق النتيجة الصحيحة.

تلاميذ ذوي صعوبات تعلم الحساب: يقصد بتلاميذ ذووا صعوبات الحساب في هذه الدراسة بتلاميذ الصَّف الخامس ابتدائي الذين لا يعانون من أية مشاكل حسية أو سلوكية أو حركية ولا يعانون من حرمان بيئي أو بيداغوجي والمتمدرسون في الصفوف العادية والذين يظهرون تدنيا واضحا ومزمنا في المعدلات السنوية لمادة الرياضيات منذ السنة الأولى والذين سيحصلون على علامة أقل من 10/5 في اختبار القدرة الحسابية.

صعوبات تعلم الحساب: صعوبات تعلم الحساب يقصد باه (Disculculia) يقصد بها اضطراب القدرة على تعلم **الخطأ:** غياب ما كان يجب أن يفعله التلميذ وكل خلل تتضمنه العمليات الحسابية الأربعة التي يجريها تلاميذ ذوو صعوبات تعلم الحساب.

تقنية تحليل الخطأ: مقاربة تدريسية أو إستراتيجية مقترحة من طرف الباحث تستند إلى كشف الخطأ وتحليله وتقديم الصحيح مع التدعيم بوضعيات مشكل تتضمن طلب إجراء عمليات حسابية مشابهة، وتبيان أسباب الخطأ من طرف التلاميذ بمقابلات تفسيرية معهم، ورأيهم في الطريقة الأنسب لتحسين الأداء في العمليات الحسابية سواء مناقشتهم لأخطاء بعضهم البعض داخل مجموعات صغيرة أو معنا، وفحص أثر ذلك على تحسين الأداء في العمليات الحسابية.

الإطار النظري:

تعريف صعوبات الحساب (عسر الحساب):

أشار ملحم (2010) " أن مصطلح صعوبات تعلم الحساب يشير إلى عجز أو قصور أو صعوبة إجراء العمليات الحسابية يعود إلى صعوبات حادة في تعلم واستخدام وتوظيف الرياضيات وتم اشتقاق هذا المصطلح من توجهات طبية بالقياس على مصطلح صعوبات القراءة ثم في الحساب (ملحم محمد، 2010 ،ص43).

أما جيري (Geary 2006) فيرى بأنها **:**" تشير إلى صعوبة دائمة في تعّلم أَو فهم مفاهيم العدد، أو معرفة قواعد، أو القدرة على الحساب، وُتدعى هذه الصعوبات في أغلب الأحيان بالعجز الرياضي(Geary, 2006, p1 ، في يحي نجية، 2009، ص45).

تشخيص صعوبات تعلم الحساب: افترض كوسك Kosc (1998) ثلاثة محكات لتشخيص اضطراب الأداء الحسابي:

محك التباين: ويقصد به وجود فرق ذي دلالة بين قدرة الطفل العقلية ومستوى تحصيله الفعلي في مجال الحساب.

محك الاستبعاد: يعتمد على استبعاد من يعانون هذا الاضطراب بسبب اضطرابات عضوية أو حرمان بيئي، كما يعتمد على استبعاد من يعانون من اضطرابات معرفية.

محك التربية الخاصة: يشير هذا المحك إلى أن الخدمات التربوية المقدمة في المدارس العادية غير ملائمة أو قليلة الفاعلية مع التلاميذ ذوي صعوبات التعلم، فيصعب عليهم الاستفادة من أساليب التعلم المستخدمة مع الأطفال العاديين بالمدارس، بالإضافة إلى أن البرامج المستخدمة مع الأطفال المعاقين لا تصلح لمواجهة مشكلاتهم، ومن ثم فهم بحاجة إلى برامج تربوية خاصة بهم تصلح لمواجهة مشكلاتهم التعليمية الخاصة والتي تختلف عن مشكلات غيرهم من الأطفال.

أعراض الإصابة بعسر الحساب:أبرز أعراض هذه الصعوبة هي:

- يعاني الطفل صعوبة في عد الأشياء بدقة.
- يجد الطفل العد تنازلياً أصعب كثيراً من العد تصاعدياً.
- بعض الأطفال لا يتمكنون من فهم الأعداد، فعلي سبيل المثال يكتب العدد أربعمائة و ثلاثة و تسعون (493) علي الشكل التالي: 40093.
- كما نجد أن بعض الأطفال مهما اختلفت أعمارهم يقومون بالعد علي أصابعهم حتى لو كانت العملية بسيطة.
- يوجد لدى الطفل مهارات ضعيفة في التعامل مع النقود، على سبيل المثال: لا يستطيع حساب المتبقي من الأموال بعد شراء شيء ما.
- لا يدرك الطفل إدراكاً سريعاً أو تلقائياً أن 7+5 تساوي 5+7.
- لديه تشويش في اتجاه القراءة مثل قراءة الأعداد، مثل قراءة الأعداد بطريقة عكسية بحيث 58 يقرؤها 85 والخلط في قراءة الأعداد المتماثلة في الشكل.
- صعوبات متكررة في الحساب، والخلط بين علامات (+ - × ÷).
- صعوبة التفريق بين الرقم الذي يدل علي أصغر و الأكبر (< >).
- عدم القدرة على قراءة سلسلة من الأرقام، أو قد يعكس عند التكرار (65-56).

- عدم قدرة المعسرين حسابياً على حفظ الحقائق الأساسية للجمع والطرح والضرب والقسمة، والخلط بين الآحاد والعشرات مثال: قام احد التلاميذ بجمع 25+12= 10 وعند الاستفسار منه تبين سبب ذالك انه قد قام بجمع 5+2+2+1=10.

- يكتب الأعداد بشكل معاكس أو مقلوب ومشاكل في نسخ الأعداد و الأشكال الهندسية. (وليد خليفة، مراد علي، 2007، ص161).

استراتيجيات تدريس العمليات الحسابية: تختلف العمليات الحسابية عن الحقائق، فالعمليات الحسابية تتطلب التعامل مع أعداد كثيرة من الأرقام بالتالي فهي تشمل تعدد الخانات، كما أنها تتطلب إجراء عمليات فكرية مجردة كالاستلاف عند الطرح، والرفع عند الضرب والدخول للعمليات الحسابية يتطلب معرفة الحقائق الحسابية بل والمهارة في أدائها، كما يتطلب استيعاب مفهوم قيم الخانات، فإذا كان التلميذ عارفا بالحقائق وقيم الخانات فلا يبقى إلا أن يتعلم خطوات وطريقة حل المسائل الحسابية المتعلقة بالعمليات الأربعة (+ - × ÷).

وفي هذا الشأن يقترح (رياض، 2005) بعض الخطوات التي يمكن من خلالها تجاوز الصعوبات في تعلم الحساب لدى التلاميذ والمتمثلة في ما يلي:

عملية الجمع: يبدأ بتدريس الجمع باستخدام المحسوسات والمجسمات للوصول إلى الفهم، وبعد فهم التلميذ لمفهوم الحل يمكن استخدام عن طريق الجمع الجزئي، طريقة العشرة، طريقة رقم واحد في كل خانة ".

عملية الطرح: معرفة حقائق الطرح ولكن الأمر يزداد صعوبة إذا دعت عملية الطرح على الاستلاف حيث يمكن تجاوز ذلك من خلال مقارنة الرفع في الجمع بالاستلاف في الطرح، استخدام وحدات المكعبات ذات العشر قطع".

عملية الضرب: من الطرق التي تساعد التلاميذ على التغلب على مشكلة الرفع في الضرب طريقة النتائج الجزئية.

عملية القسمة: هذه المهارة تحتاج إلى تذكر والحقائق والإجراء، فالقسمة تبدأ في الاتجاه المعاكس للإجراء المألوف وتتطلب القسمة الضرب والطرح ويمكن على هذه المشكلة من خلال إيضاح المفهوم باستخدام قواعد القسمة كقاعدة الصفر، الواحد، الاثنين، حقيق التسعة، العلاقات بين الضرب والقسمة.

قراءة الأعداد: تعتبر قراءة جزء من منهاج الاستعداد الحسابي، ويجب أن يتعلم التلميذ أن ينظر إلى العدد ويذكر الاسم ويسمع اسم العدد، ويشير إلى الرمز العددي ويتطلب ذلك من التلميذ أن ينظر إلى العدد ويذكر الاسم ويسمع اسم العدد ويشير إلى الرمز العددي ويتطلب ذلك من التلميذ انتباه وتمييز سمعي.

الأخطاء والعوائق في التعلّم.

التحليل الديداكتيكي للخطأ: في تعليمة الرياضيات، تحليل الخطأ يقوم على فكرة العائق المطورة من طرف باشلار (Bachelard) وعلى نظرية التوازن لبياجيه (Piaget).

مصطلح عائق: هناك خمسة خصائص للعائق وهي:

هي معرفة (وليس غياب المعرفة كما تسمح بإنتاج إجابات مكيفة مع بعض المشكلات أو أقسام المشكلات و تؤدي إلى إجابات خاطئة في الأنواع الأخرى للمشكلات كما تمثّل أيضا مقاومة لكلّ تغيير أو تحويل و رفض هذه المعرفة يؤدي إلى معرفة جديدة.

كما أن وضعية انقطاع يعيشها التلميذ، أين المعلومة القديمة ستنتج الأخطاء ظهور العائق أو العوائق وتعبير المفاهيم أو القواعد التنظيمية الخاطئة تؤدي إلى تكوين معرفة جديدة و الخطأ ضروري للتلميذ لوضعه في سيرورة التعّلم إنّه واضح إذ أن العقد البيداغوجي الديداكتيكي لا يقبل فقط الخطأ (الحق في الخطأ) وإنّما يستثمره.

تصنيف مصادر الأخطاء.

الأخطاء المتعلقة بالمتعلم:

أخطاء متّصلة بتصوّرات التّلاميذ: ويقصد بها تصورات أخرى غير تلك المتوقعة من المتعلم تظهر في الإجابات وتدوم فيها.

أخطاء تتّصل بالعمليات الذهنية المتدخّلة في إنجاز الأنشطة التعليميّة: يتّصل هذا البعد بطبيعة الأنشطة المقترحة ومستوياتها والمرجعية المعرفية المعتمدة في اختيارها، ويقصد بها العمليات الفكرية كالفهم والاستذكار التي تستدعيها النشاطات المطلوبة والتي يفترضها المعلم "عادية "وهي غير موجودة لدى المتعلمين.

وعادة ما يرجع المعلمون أخطاء المتعلمين إلى عوامل نفسية كنقص الدافعية أو نقص التركيز في هذه المراحل العمرية خاصة بالنسبة للأطفال ، ولا يهتمون بالتحليل الدقيق للمحتوى الدراسي الذي يختلف من مادة إلى أخرى وما يطرحه من مفاهيم وما يتعلق بها من أخطاء، هذا التحليل هو مفتاح لفهم أخطاء المتعلمين مثال على ذلك أبحاث Vergniaud (1987) في الرياضيات، وفيها يبين كيف أن المسائل التي تحل عن طريق الجمع تكون أسهل من التي تحل عن طريق الطرح لكون الحقول المفاهيمية في الأولى مختلفة عن الثانية(حدة ميمون، 2013، ص38).

أخطاء تتّصل بالخطوات المعتمدة من قبل المتعلمين:

أي أن الأخطاء التي لا تتوافق مع تلك المتوقعة من قبل المعلم أو المهمة المطلوبة وتعالج هذه الأخطاء من خلال تحليل الاستراتيجيات المتوقعة من قبل المعلم وتلك المعتمدة من قبل المتعلمين من أجل العمل على زيادة نسبة التوافق فيما بينها، أو من خلال اعتماد نشاطات يصح في حلها اعتماد أكثر من مسار، أو حتى من خلال الإشارة إلى مكان الخطأ (التحول في المسار) والطلب إلى المتعلم العمل على تصويبه(عواضة نبيل، 2008، ص253).

أخطاء ناتجة عن زيادة الحمل الفكري: أي العمل الفكري الذي تتطلبه المهمة مما يسبب ازدحاما في العمليات الفكرية وتجاوزا لطاقة احتمال ذاكرة العمل (عواضة نبيل، 2008، ص254).

الأخطاء المتعلقة بالمعرفة: وتتمثل في صعوبات المفاهيم المقدمة ضمن المعارف التي تتضمنها المحتويات المقدمة للمتعلمين خلال الفصول الدراسية المتعاقبة وخاصة ما تعلق منها بالمفاهيم المجردة كالمفاهيم الرياضية والفلسفية، وهذه الأنواع تحوي الأنماط التالية.

أخطاء متّصلة بعدم احترام وفهم التّعليمات: يتّصل هذا البعد بمقروئية النصّ المدرَّس بصفة عامّة وخاصّة وجاهة التّعليمة المقترحة ووضوح صياغتها"حيث يقصد بها مقدمات التمارين والمسائل والمعطيات المقدمة ومعاني الأفعال المستعملة (عواضة نبيل، 2008، ص250).

الأخطاء التي تعود إلى قدرة انتقال التعلم: إن الكثير من المعلمين يقومون بتدريس الرياضيات كمادة ، وعدم استثمار المعارف المكتسبة في حل إشكالات متعددة في مختلف العلوم كالعلوم الطبيعية والفيزيائية ، فحسب أسطولي فإن الفرد ليس بمقدوره تطوير معارفه وأفكاره ما لم يقم باستثمار معارفه في سياقات مختلفة ، وهو ما يتعارض مع التعليم التلقيني الآلي الذي ينحصر في المضامين المدرسية المقدمة خلال الفصل الدراسي (Astolf,J,P, 2006,p,91).

علاج العوائق الذاتية: تظهر الكثير من الأخطاء البيداغوجية لدى شريحة واسعة من المتعلمين وهذا تبعا للخصائص التي تميز كل متعلم عن الآخر

لأخطاء الشاهدة على وجود تصورات بديلة عند المتعلمين: الأخطاء الشاهدة على وجود تصورات بديلة عند المتعلمين:

الأخطاء التي تعود إلى العمليات الذهنية: يكون علاجها بدقة اختيار النشاطات وتحليل الأخطاء التي تكشف عن عدم وجود العمليات الفكرية التي تتطلبها النشاطات اللاحقة والمشابهة من التطابق بين ما يفترض المعلم وجوده من عمليات فكرية لدى المتعلمين وما يوجد لديهم منها في

الواقع أو مساعدتهم على الفهم أو الاستذكار أو غير ذلك حسب الحالة (مرجع سابق 2008، ص253).

تنمية التفكير: حيث تشير الدراسات إلى أن قدرة الطفل على الاستدلال الاستنتاجي، تتحسن تبعا لمتغير النضج ، إلا أن ضعف هذه القدرة يعود إلى ضعف تحليله للمعلومات وعرضها جيدا فتفكيره في أساسه إستدلالي فرضي، فهو قادر على وضع الفروض ومحاولة التأكد من صحتها، وهو قادر على تجاوز المعضلات الخام إلى التفكير في النتائج من هذه المدخلات كما أن تفكيره يصبح تحليليا، أي يصير قادرا على التخطيط العلمي وتغيير العوامل بطريقة منظمة واستكشاف القوانين العلمية.

مقابلات السابرة التفسيرية: يرجع استخدام هذه المقابلات إلى بياجيه، وتتضمن في أصولها سبر مستوى تفكير الطفل من خلال مجموعة أسئلة متسلسلة تبنى على الإجابات التي يعطيها الطفل لكل إجابة.

ويتطلب استخدام هذه الطريقة أن تتابع المعلمة مستوى تدفق إجابات الطالب للسؤال الذي تطرحه، وأن لا تأخذ بالإجابة الأولى، والتي قد تكون مضللة بعض الشيء، لذلك عليها أن تعد نفسها لطرح أسئلة أخرى أكثر عمقا تتقصى فيها مدى وضوح إجابة الطالب واستيعابه لما يتحدث عنه ، ومدى اتساقه مع الإجابات التي طرحها سابقا.

الدراسات السابقة:

سنحاول في هذا الجزء من الدراسة عرض أهم الدراسات والبحوث التي لها علاقة بموضوع دراستنا والتي تدور حول فعالية تقنية تحليل الخطأ في تحسين أداء العمليات الحسابية لدى تلاميذ صعوبات تعلم الحساب، فنجد من بين هذه الدراسات التي اهتمت بعلاج صعوبات تعلم الحساب ومن بين هذه الدراسات نذكر من بينها:

دراسة عواد (1992) بحث فيها عن تشخيص وعلاج صعوبات التعلم الشائعة في الحساب لدى تلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الابتدائي وأوضح تقرير البحث أن نسبة كبيرة منهم يعانون من صعوبات في تعلم الحساب كما اثبت فعالية برنامجه العلاجي.

كما نجد دراسة إبراهيمي سامية (2013)، حاولت من خلالها تبيان أثر تعلم الحساب باستخدام إستراتيجية التعلم التعاوني لدى تلاميذ السنة الثالثة ابتدائي يعانون من صعوبات التعلم، والتي أثبتت فيها فعالية هذا البرنامج في علاج صعوبات تعلم الحساب.

ومن الدراسات التي اقترحت استراتيجيات تدريسية لتحليل وعلاج الخطأ نجد دراسة (Grobe. 2007) وتضمنت هذه الدراسة إستراتيجية علاجية بالغة الأهمية وهي التعلم عن طريق الأمثلة ذات الحلول الصحيحة والخاطئة بأن يكتشف المتعلم الصحة والخطأ في الحل مع إعطاء لفظي أو كتابي عن سبب لماذا هذا صحيح والآخر خاطئ ، مما يسمح له بتوظيف كل عملياته الذهنية واختبارها و دلت النتائج على فعاليتها في الميدان.

كما أكدت دراسة (Peng. 2008 ،في ميمون، 2013) في دراستها المتكونة من اختبار ذوا أربعة مشكلات رياضية، كل مشكلة تركز على مظهر من مهارات المعلم في تحقيق المراحل الأربعة التي حددها الباحث لتحليل الأخطاء وهي: الكشف عنها، التجاوب معها ،تشخيص أساليبها وعملية العلاج، وبعد عملية تحليل الاستجابات على الاستبيان وإجراء مقابلات مع المعلمين دلت النتائج وجود أربعة مستويات من المشاركة مع المتعلمين في التفكير الرياضي عن طريق تحليل أخطائهم.

وأجرى ريكومني (Riccomini,R, 2005) دراسة كان الهدف منها تعرّف قدرة معلمي تلاميذ المرحلة الأساسية على تحديد أنماط أخطاء التلاميذ في عملية الطرح وأيها أكثر شيوعًا وإمكانية

علاجها .حيث بلغ عدد أفراد الدراسة 90 معلمًا ومعلمة من 3 مدارس أساسية11 : معلمًا و 79 معلمة.

استخدم الباحث اختبارات تتكون من 20 سؤالا،7 أسئلة لتقييم حقائق الطرح الأساسية، و 10 أسئلة لتقييم خوارزمية طرح الأعداد، 3 أسئلة لتقييم المسائل اللفظية في عملية الطرح،وزعت الأسئلة في الاختبارات بطريقة عشوائية حيث أشارت نتائج الدراسة إلى قدرة المعلمين على تحديد أنماط أخطاء التلاميذ في عملية الطرح وتحديد الأكثر تكرارًا ولم يكونوا قادرين على اختيار استراتيجيات الحل المناسبة لمعالجة هذه الأخطاء.

وأجرى براون وكوين (Brown & Quinn 2006) دراسة في استراليا كان الهدف منها التعرف على أنماط الأخطاء التي يقع فيها طلبة المدارس الثانوية أثناء إجراء العمليات الحسابية على الأعداد الكسرية، تكونت عينة الدراسة من 143 طالبًا من 5 صفوف في 5 مدارس ثانوية طبق عليهم امتحان اشتمل على مجموعة أسئلة حول العمليات الحسابية المختلفة على الكسور حيث كشف تحليل الأخطاء عن وجود عدد كبير من المفاهيم الخاطئة المتعلقة بالكسور، كما أشارت نتائج الدراسة إلى وجود أنماط من الأخطاء التي تتعلق بعمليتي جمع الكسور وطرحها وعمليتي ضرب الكسور والمضاعفات.

على الصعيد العربي أجرى (الهلالي، 2006) بالمملكة العربية السعودية دراسة هدفت تعرف أنواع الأخطاء الشائعة في الرياضيات لدى التلاميذ ذوي صعوبات تعلم الرياضيات بالصفين الثاني والثالث الابتدائي، من خلال نموذج تشخيصي علاجي ومعرفة مدى فاعلية برنامج التدخل العلاجي القائم على النموذج التشخيصي في تحسين مستوى أدائهم.

واستخدم الباحث في الدراسة الأدوات التالية :اختبار المصفوفات المتتابعة، مقياس تقدير الخصائص السلوكية للتلاميذ ذوي صعوبات التعلم، الاختبارات التشخيصية في الرياضيات للصفين الثاني الابتدائي والثالث الابتدائي، برنامج التدخل العلاجي .وقد أسفرت نتائج الدراسة عما يلي: شيوع الأخطاء الثلاثة (صعوبات فهم لغة الرياضيات)، صعوبات الإدراك البصري، وصعوبات إجراء عمليات حسابية.

كما اقترحت (ميمون، 2013) في دراستها إستراتيجية قائمة على التحليل المعرفي لأخطاء المتعلمين و أثر ذلك على التفكير الرياضي و توصلت إلى فعاليتها في تنمية التفكير الرياضي.

إجراءات الدراسة الميدانية:

المنهج العلمي المتبع: يرى الباحث بأن المنهج شبه التجريبي هو أنسب المناهج وأكثرها ملائمة لدراسة الموضوع الحالي والذي يتمثل في فعالية تقنية تحليل الخطأ في تحسين أداء العمليات الحسابية لدى تلاميذ الصف الخامس ابتدائي ذوي صعوبات تعلم الحساب، باعتباره المنهج الذي يهدف إلى اختبار الفروض حول العلاقات السببية بشكل مباشر، وقد تم الاعتماد على التصميم التجريبي ذي المجموعة الواحدة، قياس قبلي/قياس بعدي ـ لمعرفة تأثير التقنية المذكورة على أداء التلاميذ ذوي صعوبات تعلم الحساب.

مجتمع الدراسة:

يتألف مجتمع الدراسة من تلاميذ الصف الخامس ابتدائي بمدارس ولاية أم البواقي البالغ عددهم 12 ألف تلميذ وتلميذة للعام الدراسي 2015/2014، وقصد المضي في إجراءات تحديد العينة التجريبية من مجتمع البحث قام الباحث بـ:

تحديد المؤسسة التربوية التي سيجرى بها البحث: اختار الباحث مؤسسة تربوية تتكون من 13 قسما دراسيا يؤطرهم 17 أستاذا وأستاذة ويتمدرس بها حوالي 600 تلميذ، أغلبيتهم من خلفية اقتصادية وثقافية واحدة وهي تقع في وسط مدينة هنشير تومغني، تضم ثلاثة أقسام للسنة الخامسة.

عينة الدراسة وكيفية اختيارها: بلغت عينة الدراسة الأولية 111 تلميذا وتلميذة من أقسام السنة الخامسة، وقد تم اختيارها بطريقة قصدية، حيث قمنا بجملة من الإجراءات أهمها:
الإطلاع على الملفات المدرسية للتلاميذ كونها من أهم مصادر المعلومات الضرورية وخاصة بطاقة المسار التعليمي وكشف النتائج الدراسية وكذا الملف الصحي المدرسي ، من أجل التمكن من تطبيق عدة معايير خاصة بفرز ذوي صعوبات تعلم الحساب وبعد القيام بعملية الفرز والتشخيص لأفراد العينة ،حيث أصبح عدد أفراد العينة النهائية (11 تلميذا وتلميذة) يمثلون أفراد المجموعة التجريبية الواحدة قياس قبلي قياس بعدي، والجدول رقم (01) يبين خطوات تطبيق معايير فرز ذوي صعوبات تعلم الحساب:

جدول رقم (01) يبين عدد أفراد عينة الدراسة المفرزين بعد تطبيق عدة معايير.

الفئات المفرزة حسب معايير فرز ذوي صعوبات تعلم الحساب	العـــــدد
عـــــــــدد كل تلاميذ أقسام السنة الخامسة ابتدائي في المدرسة	111
عدد التلاميذ المفرزين حسب المعدل السنوي في مادة الرياضيات	27
عدد التلاميذ المفرزين حسب الإعاقات الحسية والسلوكية والتواصلية	06
عدد التلاميذ المفرزين حسب مبدأ عدم تكافؤ فرص التعلم	01
عدد التلاميذ المفرزين خارج مجال العمر	03
عدد التلاميذ المفرزين حسب الاختبار القدرة الحسابية	02
عدد التلاميذ المبرزين حسب اختبار الذكاء	04
عينة أفراد المجموعة التجريبية النهائية	**11**

ضبط المتغيرات الدخيلة على التجربة:

توزيع الحصص: كون مادة الرياضيات تحتاج إلى مجهود ذهني معتبر لا يتوافر إلا في الفترات الصباحية عكس الفترات المسائية التي تكون قدرات المتعلم الذهنية والجسمية منهكة، وهذا بسبب كثرة النشاطات الدراسية المقدمة لهم من طرف معلميهم.
النضج: تم التحكم في هذا المتغير بواسطة تحديد المدة الزمنية بين تطبيق الاختبار القبلي والاختبار البعدي بحيث لم تتجاوز ثلاثة أسابيع لما قد يحدثه عامل الزمن من نمو ونضج عقلي لأفراد عينة الدراسة.

أدوات الدراسة:

اختبار القدرة العقلية للفئة العمرية (9 -11 سنة) (إعداد فاروق عبد الفتاح موسى،1984):
تبرز أهمية تطبيق اختبار القدرة العقلية لاستبعاد ذوي الذكاء المنخفض من التلاميذ ذوي صعوبات تعلم باعتبار هذه الفئة تتمتع بدرجة ذكاء متوسط أو فوق المتوسط حيث قام معد الاختبار بتقنينه على البيئة المصرية وقام أيضا بحساب ثباته حسابه بطريقة التجزئة النصفية وكان معامل الثبات (0,938) على عينة قوامها (3245) تلميذا وتلميذة من تلاميذ الصف الرابع

والخامس والسادس ابتدائي ، وهي قيمة مرتفعة تكفي للتحقق من ثبات الاختبار، كما قام بحساب معامل صدقه بالطرق التالية:
حساب معامل الارتباط الثنائي الأصيل لدرجات أسئلة الاختبار ، وكان متوسط معاملات الصدق (0,44).
حساب تمييز أسئلة الاختبار، وكانت جميع قيمه دالة عند مستوى دلالة (0,01 أو 0,05).
حساب معامل ارتباط درجات (300) مفحوص في الاختبار ودرجاتهم في اختباري الذكاء المصور واختبار القدرة العقلية الأولية وكانت على الترتيب (0,74، 0,82) وجميعها قيم مرتفعة ودالة عند مستوى (0,01) **.** (موسى عبد الفتاح فاروق، 1984 ص2-39، في عطاء الله بن يحي، 2008، ص153).
استبيان التقدير التشخيصي لصعوبات تعلم الحساب: وهو استبيان لتحديد مواطن الصعوبة في مهارات تعلم الحساب والذي بني وفقا للدراسات السابقة، كما استرشد الباحث بمقياس صعوبات التعلم لفتحي الزيات واستفادة الباحث من خبرته التراكمية الطويلة في مجال تدريس تلاميذ السنوات الخامسة ابتدائي التي تفوق 14 عاما، بعدها قمنا بعرضه على مجموعة من أساتذة الصف الخامس من مدارس مختلفة ومفتشين بيداغوجيين وكذا أساتذة من جامعة قسنطينة قبل تطبيقها والذي اثبت عرضه في صيغته النهائية من جديد على مجموعة من الأساتذة والمفتشين وأسفرت النتائج على اتفاق المُحكِّمين على عبارات الاستبيان بنسبة 91,66% على ملائمة هذه العبارات بصورتها الحالية لأغراض الدراسة.
اختبار القدرة الحسابية (من تصميم الباحث مسعود، ح، 2016): على ضوء ما سبق، ومن أجل التعرف أكثر على ذوي صعوبات تعلم الحساب من بين تلاميذ الطور الثالث من التعليم الابتدائي، وتحديد مواطن الصعوبة لديهم قام الباحث ببناء اختبار القدرة الحسابية لدى تلاميذ الطور الثالث ابتدائي وفقا لنتائج استبيان عبارات التقدير التشخيصي لصعوبات تعلم الحساب وكذا محتوى مقرر السنة الخامسة في مادة الرياضيات وفقا لمجال الحساب والأعداد ومن خلال هاتين الخطوتين تم تصميم هذا الاختبار المتكون من تمارين ووضعيات حسابية تغطي معظم الدروس التي تلقاها التلاميذ في الفصلين الأول والثاني بعد التطبيق الاستطلاعي لتمارين الاختبار وتصحيحها، قمنا بالتحليل الإحصائي لبنود اختبار القدرة الحسابية بهدف التعرف على نواحي القصور في هذه التمارين واستبعاد غير المميز منها وهذا من خلال حساب علاقة نتيجة كل بند بالنتيجة الكلية للاختبار بعد حذف نتيجة البند، وقد مكنتنا العملية من الاحتفاظ بالبنود العشرة الأولى التي كان مساهمتها في الدرجة الكلية أعلى وهذا ما يبينه الجدول رقم (2):

جدول (02) يبين نتائج تحليل بنود الصورة الأولية لاختبار القدرة الحسابية .

رقم التمرين	معامل الارتباط مع الدرجة الكلية عند مستوى الدلالة 0,01	رقم التمرين	معامل الارتباط مع الدرجة الكلية عند مستوى الدلالة 0,01
1	**0.715	10	**0.667
2	**0,667	11	**0.497
3	*0,353	12	*0.302
4	*0,344	13	*0.425

5	** 0,633	14	**0.691
6	**0,560	15	**0.461
7	*0,426	16	**0.532
8	**0,575	17	*0.345
9	* 0,378		

تم عرض الاختبار في صيغته النهائية على مجموعة من المحكمين من أساتذة التعليم الابتدائي ومفتشين بيداغوجيين وأساتذة التعليم العالي ، وهذا للتأكد من صدق المحتوى، أما ثبات الاختبار فقد تم حسابه عن طريق معامل ألفا كرونباخ والذي بلغت قيمته (0,76) .

أنشطة تقنية تحليل الخطأ: قمنا بالاطلاع على الأطر النَّظرية التي اهتمت بصعوبات تعلم الحساب وأسبابها وأنواعها وتشخيصها وعلاجها وفي ضوء ذلك وقفنا على بعض الشروط التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في اختيار أنشطة وتمارين تقنية تحليل الخطأ ومن أهمها : أن ترتبط التمارين والوضعيات المختارة بمحتوى المنهاج الدراسي لمادة الرياضيات لتلاميذ السنة الخامسة ابتدائي.

-أن تتدرج هذه التمارين والوضعيات من السهل إلى الصعب أي من الجمع والطرح والضرب في الأعداد الطبيعية إلى العمليات على الأعداد العشرية.

-الاستفادة من البحوث ذات الصلة بموضوع البحث، وكذا الدراسات السابقة والتي استخدمت برامج علاجية تعليمية وفقا لتقنية تحليل الخطأ لعلاج نواحي القصور في صعوبات التعلم وذلك بهدف الاستفادة من الخبرات السابقة في بناء البرامج وتصميمها حيث اعتمدنا أيضا على تقديم تمارين يطلب حلُّها من طرف التلاميذ وبعدها يكشف الباحث المخطئين من المصيبين ، حيث يعلم الباحث كل تلميذ مخطئ على أنه ارتكب خطأ و حينها نطلب من كل متعلم أن يسرد الخطوات المُتَّبَعة حتى توصَّل إلى نتيجته الخاطئة ليكتشف التلميذ خطئه وأسباب الوقوع فيه وتداركه مستقبلا بعدم إعادة ارتكاب نفس الخطأ ، ولقد تم إخضاع هذه الأنشطة للتحكيم قبل تطبيقها من أجل التأكد من صدق المحتوى.

المعالجة الإحصائية:

قام الباحث بإجراء المعالجة الإحصائية لبيانات البحث باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة لتحقيق أهداف البحث، وقد تم استخدام مجموعة من الأساليب بما يتناسب ومتطلبات إعداد أدوات الدراسة للتأكد من كفاءتها السيكومترية، وكذلك للإجابة عن أسئلة الدراسة كما يلي: النسبة المئوية، المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري معامل ارتباط بيرسون (Pearson)، اختبارT لعينتين متشابهتين لقياس دلالة الفروق بين القياسين القبلي والبعدي وحساب الثبات عن طريق معامل كرونباخ.

نتائج الدراسة:

عرض نتائج الفرضية للإجابة عن السؤال الذي ينص على: هل توجد فروق في نتائج المجموعة في الاختبار القبلي والبعدي بعد اعتماد مقاربة تدريسية تقوم على تقنية تحليل الخطأ ؟

لمعالجة هذه الفرضية إحصائيا يجب المقارنة بين أداء أفراد العينة التجريبية في نتائج الاختبار القبلي للقدرة الحسابية أي قبل إدخال المعالجة التجريبية ـ تحليل الخطأ ـ وبعد التعرض لهذه المعالجة وذلك كما هو موضح في الجدول (03) أدناه:

جدول رقم (03): يوضح دلالة الفروق بين متوسطي درجات أفراد المجموعة التجريبية في اختبار القدرة الحسابية في القياس القبلي والقياس البعدي .

البيانات	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة F	قيمة (ت)	مستوى الدلالة
القياس القبلي	11	8,36	2,65	10	3,74-	0,05
القياس البعدي	11	13,54	4,21			

عرض ومناقشة النتائج المتعلقة بالسؤال الرئيس:

يتضح من الجدول أعلاه أن قيمة المتوسط الحسابي في اختبار القدرة الحسابية بلغ 8,36 في القياس القبلي و13,54 في القياس البعدي مع انحراف معياري بلغ 2,65 في القياس القبلي و 4,21 في القياس البعدي، كما يتضح من الجدول أن قيمة (ت) المحسوبة _3,74 بمستوى دلالة 0,05 وهي قيمة دالة إحصائيا تدل على وجود فروق بين درجات أفرد المجموعة التجريبية التي درست باستخدام مقاربة تدريسية قائمة على تقنية تحليل الخطأ في اختبار القدرة الحسابية قبل تطبيق أسلوب المعالجة السابقة وبعده لصالح القياس البعدي، مما يعني أن المعالجة التجريبية الأولى المتمثلة في تقنية تحليل الخطأ قد أحدثت تحسنا في القدرة الحسابية لدى أفراد المجموعة التجريبية.

وهناك أمور أخرى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار مثل حجم ذلك الفرق، فالدلالة العملية مهمة بقدر أهمية الدلالة الإحصائية، لذا يؤكد المختصون على ضرورة حساب حجم التأثير إذا كان "t" دالا إحصائيا لتقييم نتائج أية تجربة لتحديد مقدار تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع سواء في العينات المترابطة أو المستقلة (الدردير،ع،أ، 2006، ص76).

وللتأكد من حجم تأثير المقاربة التدريسية القائمة على تقنية تحليل الخطأ في تحسين أداء العمليات الحسابية الأربعة لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي ذوي صعوبات تعلم الحساب قام الباحث بحساب قيمة مربع ايتا (**n^2**) من خلال البرنامج الإحصائي (SPSS) والذي أعطى القيم الموضحة في الجدول رقم (04).

جدول رقم (04) يوضح قيمة مربع ايتا (n^2) لقياس أثر المقاربة التدريسية (تقنية تحليل الخطأ).

ايـــتـــا مــــربـــــع (n^2)	حـــجـــم الـــتـــأثـــــيـر(d)	
0,521	1.013	كـــبـــيــــر جــــــــــــــدا

يتبين لنا من خلال الجدول (04) أن حجم التأثير **d=**1.013 الذي يدل على أنه مرتفع وأكبر من 0.80 ويقابله قيمة مربع معامل إيتا **n^2** التي بلغت 0.521 وهي أكبر من 0.1 والتي تدلُّ

على أنَّ نسبة التَّباين المفسِّر في المتغيِّر التَّابع وهو التَّحسن في القُدرة الحسابية التي ترجع إلى تأثير المتغير المستقل وهو تقنية تحليل الخطأ يساوي70% تقريبا وهو تأثير مرتفع.

أظهرت النتائج إذن تحقق الفرضية الأولى بتفوق أفراد المجموعة في القياس البعدي في اختبار القدرة الحسابية المتعلق بالعمليات على كل من الأعداد الصحيحة والعشرية وكذا الكسور، وعليه نرفض الفرضية الصفرية ونقبل بفرضية البحث.

وتعزى هذه النتيجة إلى إدخال المعالجة التجريبية والمتمثلة في تقنية تحليل أخطاء المتعلمين في حلولهم للتمارين العشرة التي يتضمنها اختبار القدرة الحسابية.

حيث نجد بأن الأخطاء الشائعة التي ارتكبها المتعلمون في هذه التمارين في الاختبار القبلي متعلقة بأخطاء إجراء العمليات الحسابية الأربعة في الأعداد الطبيعية والعشرية والكسور كالجمع، الطرح ، الضرب والقسمة، كذلك بالنسبة إلى الأخطاء العائدة إلى صعوبات تتعلق بالأعداد الكبيرة كصعوبة كتابتها وقراءتها وترجمتها من أرقام إلى حروف ومن حروف إلى أرقام وكذا استيعاب العدد الملفوظ وترجمته إلى عدد مكتوب، كما نجد أخطاء في المقارنة بين عدد عشري وآخر أو عدد صحيح وعشري وعدم التمييز بين مراتب الأعداد الصحيحة والعشرية كما وجدنا أخطاء متعلقة بالترتيبين التنازلي والتصاعدي والفشل في اختيار الرمز المناسب لهما.

خلال التجربة لاحظ الباحث اهتمام المتعلمين بالحضور وإعجابهم بحصص المعالجة هذه وأثرها الفوري في تعديل استراتيجياتهم المتبعة وهذا ما يظهر في أثناء وضعيات تقويم أثر العلاج التي تعقب مباشرة طريقة تحليل أخطاء المتعلمين حيث كثيرا ما يُلاحَظُ تحسُّن في كل الإجراءات الرياضية التي يقوم بها التلاميذ في مجال الحساب والأعداد.

فعدم وعي المعلمين بمهارات تحليل الأخطاء التي تُعتبر كأداة أساسية للتعمُّق في الآليات المعرفية وكذلك قضية الاكتظاظ التي تشهدها الفصول الدراسية وقصر الزمن المخصص لحصص الرياضيات وانشغال المعلمين بتنفيذ مواضيع مادة الرياضيات في وقتها المخصص لها، كلها أمور لا تسمح للمعلمين بتطبيق هذه التقنية في ظل كل هذه الظروف الراهنة التي جعلت من المعلم رهينة أمام كثافة البرنامج وتعقد بعض محتوياته وقصر الزمن المخصص لذلك الشيء الذي يؤثر على أدائهم في طريقة تعاملهم مع الأخطاء مهملين بذلك أهم ركن من أركان العملية التقييمية في بناء التعلمات الجديدة باعتبار أن الخطأ هو مؤشر هام وشرط من شروط عملية التعلم.

وتتفق نتائج هذه الدراسة مع دراسات عديدة أثبتت فعالية الممارسات التقويمية البنائية كتحليل الأخطاء المرتكبة أثناء سيرورات بناء التعلمات، كالدراسة التي قامت بها سورتام (Surtamm,2004) والتي هدفت إلى الكشف عن أثر الممارسات التقويمية السائدة لدى معلمي الرياضيات في المرحلة الثانوية، حيث أظهرت نتائج الدراسة أن المعلمين استخدموا أساليب عديدة شملت (الملاحظة، المقابلة، أداء المهام، الكتابات، تقويم الزملاء) وتم عرض المهام والمسائل الرياضية التي تحفز على التفكير، وقام الطلبة بالتأمل، وممارسة التقويم الذاتي، في أجواء مريحة بعيدا عن التوتر والقلق، إذ تحمل الطلبة مسؤولية تعلمهم، وشعروا بالثقة بأنفسهم، وبادروا بعرض حلولهم وأفكارهم، مما كان لذلك أثر في تطور تعلم الطلبة للرياضيات"(زياد خالد، 2011، ص55).

وفي دراسة (حدة ميمون، 2011) التي هدفت إلى التحليل المعرفي للخطأ على تنمية التفكير الرياضي عن طريق مقابلات تفسيرية مع كل مخطئ على حدى ومناقشة الأخطاء جماعيا حيث أسفرت نتائج الدراسة على ايجابية هذه التعامل مع الأخطاء في تنمية التفكير المعرفي لدى التلاميذ(حدة ميمون، 2011).

كما نجد دراسة عبيد (2011) التي هدفت إلى الكشف عن فعالية الألعاب التعليمية الإلكترونية على التحصيل الدراسي وبقاء أثر التعلم في دروس الضرب في مادة الرياضيات بالصف الابتدائي ، وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة في اختبار التحصيل الدراسي البعدي ما يدل على فعالية البرنامج العلاجي في مادة الرياضيات.

خاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى الكشف عن فعالية تقنية تحليل الخطأ في تحسين أداء العمليات الحسابية لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي ذوي صعوبات تعلم الحساب، وذلك من خلال بحث ميداني شمل عينة نهائية مقدرة ب11 تلميذا ينتمون إلى ثلاثة أقسام للسنة الخامسة ابتدائي حيث تم تدرسيهم بمقاربة علاجية وفقا لتقنية تحليل الخطأ (من إعداد الباحث)، حيث أثبتت النتائج فعالية عالية لتقنية تحليل الخطأ في تحسين أداء العمليات الحسابية لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي ذوي صعوبات تعلم الحساب.

المقترحات والتوصيات: في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج قدم الباحث عددا من التوصيات والمقترحات البحثية التي يمكن أخذها بعين الاعتبار ومن أهمها:

- ضرورة تقديم الوضعيات الإدماجية الواردة في الحساب وفقا لتقنية تحليل الخطأ لدى التلاميذ ذووا صعوبات تعلم الحساب ، وكذا إدراجها أيضا في برامج إعداد المعلمين.
- أن تهتم المنظومة التربوية أكثر بمبدأ الفروق الفردية ، مع ضرورة تكييف البرامج التربوية لصالح التلاميذ ذووا صعوبات التعلم، وذلك بالاهتمام أكثر بدور الخطأ في سيرورة بناء التعلمات.
- إدراج بيداغوجيا الخطأ كمقاربة بيداغوجية تطبيقية في المدارس تشمل جميع الأنشطة التربوية والتعليمية المقدمة للتلاميذ وخاصة في الحساب ، مع ضرورة توعية الأساتذة وتكوينهم فيما يخص ماهية وفوائد بيداغوجيا الخطأ على اعتبار أن الخطأ وتقبله ومناقشته يعتبر عملا محوريا في مسار تنمية مختلف الكفاءات التعليمية التعلمية.
- إعداد برامج تدريبية للمعلمين لمساعدتهم في التعامل مع أخطاء التلاميذ ذوي صعوبات التعلم في الرياضيات والاستفادة منها لتطوير وسائل علاجية ناجحة.
- ضرورة إدراك المعلمين لأنماط الأخطاء الحقيقية التي يرتكبها التلاميذ لتيسر تحليلها وعلاجها.

قائمة المراجع:

1. نبيل عبد الفتاح حافظ(2006)، صعوبات التعلم والتعلم العلاجي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر.
2. بطرس حافظ بطرس(2010)، تكييف المناهج للطلبة ذوي الاحتياجات الخاصة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط:1. عمان، الأردن.
3. عواضة نبيل (2008)، تطوير أداء المعلم، دار العلم للملايين، ط:1، بيروت، لبنان.
4. وليد السيد خليفة، مراد علي عيسى(2007)، كيف يتعلم المخ ذو النشاط الزائد المصحوب بنقص الانتباه، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط:1.
5. ويليام، بيندر، ترجمة: عبد الرحمن سيد سليمان(2011)، صعوبات التعلم، الخصائص، والتعرف واستراتيجيات التدريس، القاهرة عالم الكتب، ط:1. بيروت، لبنان.
6. عطاء الله بن يحي(2009)، تشخيص صعوبات تعلم الرياضيات عند تلاميذ الطور الثالث من التعليم الابتدائي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم النفس المدرسي تحت إشراف ناصر الدين زبدي ،قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر.

7. ميمون حدة(2013)، أثر التحليل المعرفي للخطأ على تنمية التفكير الرياضي لدى تلاميذ السنة الخامسة ابتدائي، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص علوم التربية، تحت إشراف أحمد دوقة، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر.
8. نوري القمش، المعايطة(2009)، سيكولوجية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط: 2. عمان، الأردن.
9. محمد ملحم(2010)، صعوبات التعلم سامي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط: 3.
10.سعد رياض(2014)، تنمية المهارات الحسابية والمنطقية والاختراعات، دار الفنار للعلوم ط:1، بومرداس، الجزائر.
11.الدردير.ع.أ(2006)، الإحصاء البارمتري واللابارامتري في اختبار فروض البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة. مصر.
12.زيادة خالد(2006)، صعوبات التعلم الرياضيات ،الديسكلكوليا، ، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع،ط.1. القاهرة.
13.آيت يحي نجية(2009)، دراسة صعوبات الحساب والأخطاء المرتكبة لدى تلاميذ الصف الرابع الابتدائي, مذكرة ماجيستر تخصص الأرطوفونيا إشراف زلال نصيرة . كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا جامعة الجزائر2، الجزائر.
14.عونية صوالحة(2011)، الأخطاء الشائعة في الرياضيات، أنماطها وسبل علاجها للتلاميذ ذوي صعوبات تعلم الرياضيات، مجلة دراسات العلوم التربوية، المجلد 38، ملحق 7.
15.Astolfi,J.P (2006), L'érrer, un outil pour enseigner,ESF Editeur ,1ère éd 2ème tirage ,Belgique.

النظرة الحديثة للذكاء الإنساني دراسة نظرية تحليلية لنظرية الذكاءات المتعددة

The Modern View of human intelligence : A Theoretical and analytical study of Multiple Intelligences Theory

أ. شافعة آمنة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2-الجزائر

ملخص: يهدف هذا المقال الى تقديم النظرة الحديثة للذكاء الانساني، فهو أحد أهم المواضيع منذ وقت طويل، والكثير من الباحثين ركزوا على فهم طبيعة الذكاء غير أنهم لم يتفقوا على رأي واحد، ومن أحدث النظريات المفسرة للذكاء هي نظرية جاردنر للذكاءات المتعددة، فماهي نظرية الذكاءات المتعددة، وماهي أنواع الذكاء المكونة لها.

الكلمات المفتاحية: الذكاء، الذكاءات المتعددة.

Abstract: This study was proposed to submit a modern View of human intelligence; It was one of the most important topics since a long time ago, so many researchers focused on Understanding the Nature of intelligence; But its definition was different from one to another, there was not one basic idea, and one of the recent theories is what Howard Gardner suggested, the theory of multiple intelligences; What is multiple intelligences theory and what are the types of intelligence of Howard Garner's multiple intelligences theory?

Keywords: intelligence, multiple intelligences.

خلفية الدراسة:

من الواضح أن كل الناس لا يفكرون بطريقة واضحة ، فهناك أبعاد كثيرة من الاختلاف في المعرفة، ولكن الجنس البشري بطبيعته التقييمية يميل الى التركيز على الطرق التي يؤدي بها بعض الناس بطريقة أفضل عند البعض الآخر، في الأعمال أو المهام المعرفية وها ما يتحدد دائما بكلمة "ذكاء"(جون أندرسون، 2007، ص507).

وقد أخذت الأبحاث في موضوع الذكاء تقدما كبيرا في السنوات الأخيرة على إثر التجارب العديدة التي قام بها العلماء، ومحاولتهم الوصول إلى أصدق الطرق العلمية لبحثه وقياسه مما جعل لموضوع الذكاء أهمية خاصة بين موضوعات علم النفس، حيث من المهم الإشارة في البداية إلى أن الباحثين قد أخذوا إتجاهات عدة في تعاملهم مع مفهوم الذكاء، فلم يتفقوا فيما بينهم على تعريف الذكاء، ومن أهم أسباب هذا الاختلاف هو محاولة كثير من علماء النفس تعريف الذكاء عن طريق الربط بينه وبين ميادين النشاط الإنساني، فعرفه "وكسلر Wechsler "بأنه الذكاء هو القدرة الكلية على التفكير والسلوك الهادف ذي التأثير الفعال في البيئة(مجدي احمد محمد عبد الله، 2003، ص311)، كما عرفه "بياجيه Piaget "على أنه حاصل تفاعل الموروث البيولوجي والخبرات الشخصية والبيئة الاجتماعية(مريم سليم، 2004، ص319)، كما أشار إليه "سبيرمان Spearman" بأنه "القدرة الكلية للفرد على العمل الهادف والتفكير المنطقي والتفاعل الناجح مع البيئة (عامر طارق عبد الرؤوف، 2008، ص10)، أما "جاردنر Gardner" فعرفه بأنه القدرة على حل المشكلات كواحدة من المواجهات في الحياة الواقعية، أو القدرة على توليد حلول جديدة للمشكلات(محمد عبد الهادي حسين، 2008، ص66).

ولم تتوقف اختلافات العلماء عند تعريف الذكاء بل تعدتها الى محاولاتهم تحديد طبيعة الذكاء، فهناك من قال بأن الذكاء قدرة واحدة عامة وأساسية عند كل الناس مثل بينيه، وهناك من رأى أن للذكاء عاملين، عامل عام تشترك فيه كافة النشاطات العقلية على اختلاف أنواعها وأصنافها وعوامل خاصة بكل نشاط من هذه النشاطات تتميز بها عن غيرها مثل سبيرمان Spearman، وذكر آخرون أن هناك ذكاءين وليس ذكاء واحد ذكاء سائل Fluid، وذكاء صلب أو متبلور Crystalized مثل كاتل Cattell، وذهب جلفورد Guilford إلى أن العقل الإنساني يتكون من 180 قدرة عقلية منفصلة عن بعضها ويمكن تحديدها جميعا، أما عن جاردنر إتجه إلى أن هناك عدة أنواع للذكاء منفصلة نسبيا عن بعضها البعض، فالأشخاص المختلفون يمتلكون أنواع مختلفة من الذكاء(عدنان يوسف العتوم وآخرون، 2006، ص137-138).

مشكلة الدراسة:

إن نظرية الذكاءات المتعددة لم تكن وليدة يومها وإنما كانت تتويجا لتراث امتد منذ العصور التاريخية القديمة، وما الشواهد والآثار الا دليل قاطع على أصول الذكاء المتعدد لدى الانسان البدائي ومنها المدونات المكتوبة التي تعود إلى 3000 سنة تشير الى الذكاء اللغوي، ووجود أنظمة العدد والتقويم السنوي تشير الى الذكاء المنطقي، ورسومات الكهوف الى الذكاء المكاني والاستخدام المبكر للآلة يشير إلى الذكاء الجسمي، ووجود أدوات موسيقية قديمة تشير إلى الذكاء الموسيقي والتأمل والعبادة (ايمان عباس الخفاف، 2011، ص29).

فمنذ توصل "جاردنر Gardner" لهذه النظرية سنة 1983، تعدت هذه النظرية حيزها النظري لتنزل فعليا لساحة التطبيق، ويعمل عليها الباحثون للاستفادة منها أقصى استفادة(طارق عبد الرؤوف عامر، 2008، ص123)، كما تشير معظم تعاريف صعوبات التعلم إلى أن ذوي صعوبات التعلم يكونون ذوي ذكاء متوسط أو يزيد بل إنه كثيرا ما يلاحظ على بعضهم مواهب يتم التجاوز عنها أو عدم عناية المناهج المدرسية بها، ولهذا فإن من يتصدى لتحسسن ورفع من ذوي صعوبات التعلم لا يجب عليه يغيب نظرية الذكاءات المتعددة، فهذه الأخيرة أصبحت تحتل

مكانة كبيرة في التوجيه التربوي بتأكيدها علة دور القدرات الفريدة التي يتميز بها الأفراد عن بعضهم البعض(راضي الوقفي، 2008، ص72).

أسئلة الدراسة:

ستجيب الدراسة على الأسئلة التالية:

-ما هي نظرية الذكاءات المتعددة ؟

-ما هي أنواع الذكاء حسب نظرية الذكاءات المتعددة ؟

-ما هي الافتراضات ومبادئ نظرية الذكاءات المتعددة؟

-ما هي الفروق بين النظرة القديمة والنظرة الحديثة للذكاء؟

-ما هي أهمية نظرية الذكاءات المتعددة؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

-تسليط الضوء على مفهوم نظرية الذكاءات المتعددة .

-التعريف بأنواع الذكاء التي تنص عليها النظرية.

-الكشف على الافتراضات ومبادئ نظرية الذكاءات المتعددة.

-توضيح الفرق بين النظرة القديمة والحديثة للذكاء.

-التطرق على الأهمية التربوية لهذه النظرية في المجال التربوي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في عرضها لنظرية الذكاءات المتعددة كتصور حديث للذكاء الإنساني حيث تهدف إلى تلبية الحاجات والفروق الفردية لدى الطلبة في جميع أطوار التعليم بل في شتى الميادين، كما تسمح للمعلم بتنويع المواقف والأنشطة التعليمية للوحدة الدراسية الواحدة بحيث يتمكن كل طالب من الاستفادة من المواقف والأنشطة التي تتوافق مع ذكاءاته المختلفة، كما تساعد على اكتشاف ميولات الأفراد المهنية إذ تتبنى اكتشاف ذكاء الافراد منذ الصغر وتوجيههم للمهن المناسبة لهم منذ الصغر عن طريق توفير بيئة تربوية وتعليمية مساعدة، كما أن هذه النظرية أصبحت تشكل اهتمام الكثير من الباحثين.

منهجية الدراسة:

سنعتمد الأسلوب الوصفي التحليلي في جمع الآراء والمعلومات والحقائق والمفاهيم المتعلقة بمحاور الدراسة، من أجل توفير معلومات معرفية متكاملة وكافية، تتضح فيها مشكلة الدراسة وخلفيتها وأهميتها وأهدافها، وذلك بالرجوع الى عدد من الدراسات السابقة والأبحاث والمقالات.

التعريفات الاجرائية:

الذكاء: قدرة كامنة تعتمد على الوراثة، وعلى النمو والتطور السليمين و بإعتبار أن الذكاء قدرة كامنة، فإنه يمكن تعديلها عن طريق الإثارة شأنها في ذلك شأن أي صفة فيزيقية أخرى من صفات الفرد(محي الدين توق وآخرون، 2007، ص154)، أو هو قدرة عقلية عامة أو مجموعة قدرات تمكن الفرد من التعلم واكتساب المعرفة واستخدامها والمحاكمة وحل المشكلات واتخاذ القرارات والتكيف مع البيئة والآخرين (فتحي عبد الرحمن جروان، 2008، ص413).

الذكاءات المتعددة: عرفه "جاردنر Gardner" على أنه: القدرة على حل المشكلات، أو تخليق نتاجات ذات قيمة ضمن موقف أو مواقف ثقافية (محمد بكر نوفل، 2007، ص97).

أولا. نظرية الذكاءات المتعددة :

في عام 1979 طلبت مؤسسة "فان لير Bernatd Van Ler" من جامعة "هارفارد Harvard University" القيام بإنجاز بحث علمي يستهدف تقييم وضعية المعارف العلمية المهتمة بالإمكانات الذهنية للفرد وإبراز مدى تحقيق هذه الإمكانات واستغلالها، وفي هذا الإطار

بدأ فريق من العاملين المختصين بالجامعة أبحاثهم التي إستغرقت عدة سنوات وقد تم البحث في عدة مجالات معرفية ومن فريق المختصين، "جاردنر Gardner" وهو أستاذ لعلم النفس التربوي مهتم بدراسة مواهب الأطفال وأسباب غيابها لدى الراشدين الذين حدثت لهم بعض الحوادث التي تسببت في أحداث تلف بالدماغ، ومن خلال دراسة النمو الذهني للأطفال العاديين والموهوبين وتطور الجهاز العصبي للوصول إلى بعض الأشكال المتميزة للذكاء برزت نظرية جاردنر للذكاء المتعدد سنة 1983(فاروق الروسان، **2006**، ص6).

حيث قام بحسم النقاش والجدال الدائر حول ماهية الذكاء في كتابه المعروف" أطر العقل Frames Of Mind" حيث توصل إلى نظرية جديدة تختلف كليا عن النظريات التقليدية، والتي يقول من خلالها: بأنه لا يمكن وصف الذكاء على أنه كمية محددة ثابتة يمكن قياسها، وبناءً على ذلك يمكن تطويره وتنمية بالتدريب والتعلم، كما أن الذكاء المتعدد على أنواع مختلفة و أن كل نوع مستقل عن الأنواع الأخرى وذلك باستخدامه واستعماله(أحمد عبد الطيف أبو سعد، 2011، ص140).

حيث عرف "جاردنر Gardner" الذكاء على أنه مجموعة من القدرات المستقلة عن القدرات البشرية الأخرى الى درجة محددة والتي تمتلك نظاما لمعالجة المعلومات، وتاريخا محدد المراحل التطوير التي يمر بها كل فرد، وجذورا عميقة في تاريخ التطور (فراس السليتي، 2007، ص35).

ثانيا. وصف الذكاءات المتعددة:

1.**الذكاء اللغوي:** يتمثل في القدرة على استخدام المفردات بفاعلية شفهيا أو كتابيا ويشتمل على مهارات مثل: القدرة على تذكر المعلومات، والقدرة على إقناع الآخرين عند الحاجة لمساعدتهم (فراس السليتي، 2007، ص37)، أي هو التميز في استعمال اللغة والإقبال على أنشطة القراءة والكتابة ورواية القصص والمناقشة مع الآخرين، مع إمكانية الإبداع في الإنتاج اللغوي أو الأدبي وما يتصل بلك (شعر، قصة)(طارق عبد الرؤوف عامر، ربيع محمد ، 2008، ص6-7).

2. الذكاء الرياضي – المنطقي: هو القدرة على تحليل المشكلات استنادا إلى المنطق، والقدرة على توليد تخمينات رياضية، وتفحص المشكلات والقضايا بشكل منهجي، والقدرة على التعامل مع الإعداد وحل المسائل الحسابية والهندسية ذات التعقيد العالي، من خلال وضع الفرضيات وبناء العلاقات المجردة التي تتم عبر الاستدلال بالرموز، وهذا النوع من الذكاء(محمد بكر نوفل، 2007، ص99).

3.الذكاء البينشخصي (الاجتماعي): قدرة عقلية لدى الفرد تتعلق بعلاقته بالآخرين وتظهر في فهمه للمشاعر والإحساسات الداخلية أو الحالات الوجدانية والعقلية لهم، وحسن تعامله معهم والتأثير فيهم والتأثر بهم وبناء علاقات ناجحة معهم، ومعرفة الآداب العامة للسلوك والعادات والتقاليد الاجتماعية، وحسن التصرف في الواقف والمشكلات الاجتماعية (محمد غازي الدسوقي، 2008، ص23).

4.الذكاء الموسيقي -الإيقاعي: هو القدرة على تمييز النبرات و الألحان والايقاعات المختلفة(محمد بكر نوفل، 2007، ص185)، بالإضافة إلى القدرة على تأليف مقطوعات موسيقية.

5.**الذكاء البصري المكاني:** وهو القدرة على ادراك العالم البصري المكاني بدقة والإحساس باللون والشكل والخط والمجال والمساحة والعلاقات التي توجد بين هذه العناصر، ويضم القدرة على التصوير البصري، وأن يمثل الفرد ويصور بيانيا الأفكار البصرية أو المكانية وأن يوجد لنفسه مكانا مناسبا في مصفوفة مكانية(محمد بكر نوفل، 2007، ص183)، كما يتضمن أيضا هذا الذكاء حساسية للألوان والخطوط والأشكال والحيز المكاني والعلاقات بين هذه العناصر (حسين ابو رياش وآخرون، 2006، ص227).

6.الذكاء الجسمي الحركي: وهو يتعلق بحركة وإحساس الجسم واليدين ويعني القدرة على استخدام الفرد لجسده للتعبير عن الافكار والمشاعر، وسهولة استخدام اليدين في تشكيل الأشياء ويشتمل على مهارات جسمية معينة مثل القوة والمرونة والسرعة(سلامة عبد العظيم حسين، طه عبد العظيم حسين، 2006، ص19).

7.الذكاء الذاتي (الشخصي): يشير الى القدرة على فهم الفرد لذاته من خلال استبطان أفكاره وانفعالاته، وقدرته على تصور ذاته من حيث نواحي القوة ونواحي الضعف، والوعي بأمزجته الداخلية ومقاصده ودوافعه وفهمه وتقديره لذاته، ومن ثم توظيف هذه القدرة في توجيه نمط حياته من خلال التخطيط لها، ونجد مثل هذا النوع من الذكاء لدى الفلاسفة وعلماء النفس والحكماء ورجال الدين، وهذا النوع من الذكاء يتمركز في الفصين الجبهيين، وخاصة في المنطقة السفلى(محمد بكر نوفل، 2007، ص101).

8.الذكاء الوجودي: تظهر في القدرة على التأمل في القضايا المتعلقة بالحياة والموت والديانات والتفكير بالكون والخليقة والخلود، ولعل أرسطو نموذج يجسد هذا الذكاء(محمد بكر نوفل، 2007، ص101)، أي هو العمق في الأسئلة المرتبطة بالوجود الإنساني مثل معنى الحياة(سارة بنت قاسم، 2008، ص21).

9.الذكاء الطبيعي: يتبين هذا النوع من الذكاء من خلال قدرة الفرد على فهم المحددات الطبيعية المختلفة، والتعرف الى مختلف أنواع الحياة النباتية والحيوانية وتصنيفها وأنواع المنتجات الصناعية مثل السيارات والأحذية وغيرها و أصحاب هذا الذكاء يمتلكون القدرة على إدراك طبيعة الأشياء في البيئة وفي مقدورهم العمل على تصنيفها بحسب معايير تصنيف محددة(ناصر الدين أبو حماد، 2007، ص186).

ثالثا. افتراضات ومبادئ نظرية الذكاءات المتعددة:

يرى صاحب النظرية أن الناس يملكون أنماطا فريدة من نقاط القوة والضعف في القدرات المختلفة، وعليه يصبح من الضروري فهم و تطوير أدوات مناسبة لكل شخص، وذلك يعتمد على افتراضين أساسيين هما:

- إن للبشر لهم اختلافات في القدرات و الاهتمامات و بالتالي نحن لا نتعلم بنفس الطريقة.
- لا يمكن تعلم كل شيء يمكن تعلمه(سوسن شاكر مجيد، 2009، ص64).

أما عن البادئ التي قامت عليها نظرية الذكاءات المتعددة فهي ما يلي :

- الذكاء ليس نوعا واحدا بل هو أنواع عديدة مختلفة.
- كل شخص متميز وفريد من نوعه يتمتع بخليط من أنواع الذكاء.
- تختلف أنواع الذكاء في النمو والتطور إن كان على الصعيد الداخلي للشخص أو على الصعيد البيني فيما بين الأشخاص.
- أنواع الذكاء كلها حيوية وديناميكية.
- يمكن تحديد أنواع الذكاء وتمييزها ووصفها وتعريفها(عزو اسماعيل عفانة، 2007، ص75).

رابعا.مقارنة بين نظرية الذكاءات المتعددة والنظرة التقليدية للذكاء:

الجدول رقم (1): مقارنة بين وجهة النظر التقليدية للذكاء ونظرية الذكاءات المتعددة.

	وجهة النظر التقليدية	نظرية الذكاءات المتعددة
1	يمكن قياس الذكاء من خلال اختبارات الأسئلة والإجابات القصيرة.	تقييم الذكاءات المتعددة من خلال أنماط ونماذج التعلم ونماذج حل المشكلات
2	يولد الإنسان ولديه كمية ذكاء ثابتة	الإنسان لديه كل أنواع الذكاءات ولكن كل إنسان لديه بروفيل أو مجموعة فريدة تعبر عنه.
3	مستوى الذكاء لا يتغير عبر سنوات الدراسة	يمكن تحسين وتنمية كل أنواع الذكاءات وهنالك بعض الاشخاص يكونوا متميزين في نوع واحد من أنواع الذكاءات عن الآخرين من أقرانه.
4	يتكون الذكاء من قدرات لغوية ومنطقية	هناك أنماط أو نماذج عديدة للذكاء والتي تعكس طرق مختلفة للتفاعل مع العالم.
5	يقوم المعلمون بشرح وتدريس وتعليم نفس المادة المدرسية لجميع التلاميذ ولكل واحد منهم.	يهتم المعلمون بفردية المتعلم وجوانب القوة والضعف لديه بفرده والتركيز على تنميتها.
6	يقوم المعلمون بتدريس موضوع أو مادة دراسية.	يقوم المعلمون بتصميم أنشطة أو بناءات تدور حول قضية ما وربط الموضوعات ببعضها.

(المصدر: حسين محمد عبد الهادي، 2003، ص36).

خامسا.أهمية نظرية الذكاءات المتعددة:

تشير معظم تعاريف صعوبات التعلم إلى ذوي صعوبات التعلم يكونون ذوي ذكاء متوسط أو يزيد بل إنه كثيرا ما يلاحظ على بعضهم مواهب يتم التجاوز عنها أو عدم عناية المناهج المدرسية بها، ولهذا فان من يتصدى لتحسين ورفع من ذوي صعوبات التعلم لا يجب عليه يغيب نظرية الذكاءات المتعددة، فهذه الأخيرة أصبحت تحتل مكانة كبيرة في التوجيه التربوي بتأكيدها على دور القدرات الفريدة التي يتميز بها الأفراد عن بعضهم البعض(راضي الوقفي، 2008، ص72).

أي أنه يمكن للنشاط الواحد أن يخدم أكثر من ذكاء، وكلما خدمت الأنشطة أكثر من ذكاء، أو تنوعت أشكال الذكاء المستخدمة في الأنشطة، زاد نطاق الطلبة المستفيدين من النشاط (نيفين بنت حمزة شرف البركاتي، 2008، ص22).

وتكمن أهمية هذه النظرية في أنها ركزت على أمور غفلت عنها النظريات الاخرى"، وقد أكدت التطبيقات التربوية لنظرية الذكاءات المتعددة فاعليتها في جوانب متعددة، ولنظرية الذكاءات المتعددة العديد من التطبيقات التربوية على النحو التالي:

- تعد النظرية نموذجا معرفيا يصف كيف يستخدم الافراد ذكائهم المتعدد لحل مشكلة ما، وتركز هذه النظرية على العمليات التي يتبعها العقل، في تناول محتوى الموقف ليصل الى الحل، وبالتالي يعرف نمط التعلم عند الفرد: بأنه مجموعة ذكاءات هذا الفرد في حالة عمل في موقف تعليمي طبيعي.
- تساعد المعلم على توسيع دائرة الاستراتيجيات التدريسية، ليصل الى أكبر عدد من المتعلمين على اختلاف ذكاءاتهم وأنماط تعلمهم، وبذلك يدرك المتعلمون بأنفسهم أنهم قادرون على التعبير بأكثر من طرقة على محتوى معين.
- تحسين مستويات التحصيل لدى المتعلمين، ورفع مستويات اهتماماتهم تجاه المحتوى.
- فهم قدرات واهتمامات الطلاب.(شذى محمد بوطه، 2012، ص47).

خاتمة:

لقد أخذت نظرية الذكاءات المتعددة مكانتها في الساحة التربوية سواء كان في جانب البحث أو في جانب التطبيق نظرا للحلول التي قدمتها، فقد فسرت ذكاء البشر بطريقة أعمق وأشمل، فليس هناك شخص غبي، الكل ذكي بطريقته الخاصة وهذا يتحدد حسب نوع ذكائه، وهذا ما وضحه تفوق الكثير من الشخصيات في مجال معين دون غيره، بحيث اعتبرته النظرة القديمة للذكاء ضمن الأغبياء، كما أنها صنفت ما يسمى بالمواهب على أنه ذكاءات فلا يكون التميز فقط في الدراسة محددا لمستوى ذكاء الفرد.

قائمة المراجع:

1. أحمد عبد الطيف أبو سعد(2011)، ارشاد الموهوبين المتفوقين، دار المسيرة، عمان، الاردن.
2. ايمان عباس الخفاف(2011)، الذكاءات المتعددة برنامج تطبيقي، دار المناهج ،عمان،الاردن.
3. جون أندرسون(2007)، علم النفس المعرفي وتطبيقاته، دار الفكر ، عمان، الاردن.
4. حسين ابو رياش وآخرون(2006)، الدافعية والذكاء العاطفي، دار الفكر، عمان،الاردن.
5. راضي الوقفي(2008)، صعوبات التعلم النظري والتطبيقي، دار المسيرة، عمان،،الاردن.
6. سارة بنت قاسم(2008)، استخدام دورة التعلم في التدريس، وزارة التربية والتعليم، عمان،الاردن.
7. سلامة عبد العظيم حسين، طه عبد العظيم حسين(2006)، الذكاء الوجداني للقيادة التربوية، دار الفكر، عمان،الأردن.
8. سوسن شاكر مجيد(2009)، تنمية وتدريس الذكاءات المتعددة للأطفال، دار صفاء، عمان، الأردن.
9. شذى محمد بوطه(2012)، الذكاء المتعدد أنشطة عملية ودروس تطبيقية ،دار ديبونو، عمان الأردن.
10. طارق عبد الرؤوف عامر، ربيع محمد(2008)، الذكاءات المتعددة، دار اليازوري، عمان، الأردن.
11. عامر طارق عبد الرؤوف(2008)، الذكاءات المتعدد، دار السحاب ، القاهرة، مصر.
12. عدنان يوسف العتوم وآخرون(2006)،علم النفس التربوي النظرية والتطبيق، دار المسيرة، عمان، الأردن.
13. عزو إسماعيل عفانة(2007)، نائلة نجيب الخزندار، التدريس الصفي بالذكاءات المتعددة، دار المسيرة، عمان، الأردن.

14.فاروق الروسان(2006)، الذكاء الانفعالي: قياسه وتشخيصه، مركز دي بونو لتعليم التفكير، عمان، الأردن.
15.فتحي عبد الرحمن جروان(2008)، اساليب الكشف عن الموهوبين، ط2، دار الفكر، عمان، الأردن.
16.فراس السليتي(2007)، التعلم المبني على الدماغ، جدار الكتاب العالمي، إربد، الأردن.
17.مجدي احمد محمد عبد الله(2003)، علم النفس التربوي بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر.
18.محمد بكر نوفل(2007)، الذكاء المتعدد في غرفة الصف، دار المسيرة، عمان، الأردن.
19.محمد عبد الهادي حسين(2008)، الحق في الذكاء، دار العلوم للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
20.محمد غازي الدسوقي(2008)، الذكاء الاجتماعي لمشرفي الانشطة التربوية، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، الأردن.
21.محي الدين توق و آخرون(2007)، أسس علم النفس التربوي، دار الفكر، عمان، الأردن.
22.مريم سليم، علم النفس التربوي(2004)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
23.ناصر الدين أبو حماد(2007)،اختبارات الذكاء ومقاييس الشخصية، عالم الكتاب الحديث، اربد، الأردن.
24.نيفين بنت حمزة شرف البركاتي(2008)، أثر التدريس باستخدام استراتيجيات الذكاءات المتعددة والقبعات الست و K.W.L في التحصيل والتواصل والترابط الرياضي لدى طالبات الصف الثالث المتوسط بمدينة مكة المكرمة، أطروحة دكتوراه في مناهج وطرق التدريس، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

إنجازات المرأة المستفيدة من القرض المصغر«ALNGEM »
"دراسة ميدانية لعينة من المستفيدات من القرض المصغر بمدينة ورقلة"
The achievements of women benefiting from the Microcredit «ANGEM»
"practical study to a sample beneficiaries from the Microcredit in Ouargla"

أ.هجرة قوارح، جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر
د. يمينة قوارح، جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزائر

ملخص: تعرفُ الحياة الاجتماعية حركة واسعة النطاق لا يمكن حصرها أو التحكم في متغيراتها، فكل مجتمع يسعى إلى تطوير وتحسين أوضاع أفراده من اجل تحقيق التنمية في كافة المجالات والميادين، إن التغيير والتطور الذي عرفه المجتمع الجزائري لاسيما مع دخول سياسات اقتصادية هادفة لتحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي بفتح فرص للعمل أمام مختلف فئات المجتمع، لذا ظهرت الهيئات المانحة للقروض كإحدى السياسيات التنموية التي تهدف أساسا لدعم الفئات المحرومة والمعرضة للبطالة، الأمر الذي أدى إلى فتح المجال للمشاريع المصغرة لخدمة التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فمساهمة المشاريع المصغرة في العملية الإنتاجية تكمن في تزويد السوق بالمنتجات من خلال سياسة الإقراض الموجهة إلى كل فئات المجتمع شرط أن تكون عاطلة عن العمل وباحثة عنه، والتي من بينها الفئة النسوية التي سعت الدولة الجزائرية إلى تدعيم مكانتهن في المجتمع من أجل المشاركة في العملية التنموية، وفي هذا الإطار جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على الإنجازات التي حققتها المرأة المستفيدة من القرض المصغر"ALNGEM" في ظل المعيقات التي واجهتها.

الكلمات المفتاحية: المرأة العاملة، القرض المصغر، المشاريع المصغرة.

Abstract: Social life is defined as a large-scale movement that can not be restricted or controlled by its variables. Every society seeks to develop and improve the conditions of its members in order to achieve development in all fields and fields. The change and development experienced by the Algerian society, especially with the introduction of economic policies aimed at improving the economic and social level by opening employment opportunities to various groups of society. As a result of the micro-projects in the productive process, the supply of products through the policy of lending to all segments of the society Provided they are unemployed and seek employment, Including the women's category in which the Algerian state sought to strengthen their position in society in order to participate in the development process. In this context, the study aims to highlight the achievements made by women benefiting from the micro-credit loan "ALNGEM" in light of the obstacles encountered.

Key words: working woman, Microcredit, Micro projects.

1. تحديد الإشكالية:

لقد عرفت جل المجتمعات تطورات كبيرة وسريعة في مختلف مجالات الحياة، مما أدى إلى تغيير أنساق الحياة الاجتماعية خاصة بعد دخول المرأة عالم الشغل من أجل إعطاء لنفسها مكانة في المجتمع وتغيير نظرة المجتمع إليها بعدما كان منحصر إلا في البيت من رعاية الأطفال والاهتمام بالأعمال المنزلية فقط، إلا أن وصولها إلى مستويات عليا من التعليم جعلها تدخل عالم الشغل بقوة في كل المجالات باختلاف أشكالها.

والمرأة الجزائرية إحدى النماذج البارزة في المجال المهني، لكونها تحدت كل الصعاب وطرقت أبواب الشغل لتصنع بذلك مكانة لنفسها بغض النظر عن مستواها التعليمي، ولأن الدولة لم تغفل عن هذه الشريحة وحاولت إدماجها في الحياة العملية منتهجة عدة سياسيات في ذلك(القروض المصغرة، تربصات مهنية)، مكنت المرأة من القيام بمشاريع مصغرة وبالتالي المساهمة في العملية الإنتاجية من خلال تزويد السوق بالمنتجات مما انعكس ذلك بالإيجاب على التنمية.

ولتسليط الضوء على نموذج من نماذج عمل المرأة سنجرى دراسة في مدينة ورقلة، إذ حاولت المرأة أن تضع بصمتها في التنمية المحلية من خلال مشاريعها المصغرة (النسيج الخياطة، الفلاحة، الخدمات)، وعليه سنحاول إبراز أهم الانجازات التي حققتها المرأة المستفيدة من القرض المصغر «ALNGEM » من خلال أخذ عينة من المستفيدات بمدينة ورقلة، وذلك إنطلاقا من إشكالية مفادها:

ما هي أهم الانجازات التي حققتها المرأة المستفيدة من القرض المصغر«ALNGEM » في ظل المعيقات التي واجهتها؟

ويندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي التساؤلات الفرعية التالية:

هل تعيق قيمة القرض عمل المرأة مستفيدة من القرض المصغر بمدينة ورقلة؟

هل تعيق الأسرة عمل المرأة المستفيدة من القرض المصغر بمدينة ورقلة؟

2. تحديد مفاهيم الدراسة:

العمل: "كل مجهود إرادي، عقلي، أو بدني يتضمن التأثير على الأشياء المادية وغير المادية لتحقيق هدف اقتصادي مفيد كما أنه وظيفة اجتماعية تتحقق فيها شخصية الفرد"(محمد عاطف وآخرون، 1979، ص80).

المرأة العاملة: عرفتها كاميليا عبد الفتاح بأنها "المرأة التي تعمل خارج المنزل وتحصل على أجر مقابل عملها، وهي التي تقوم بدورين أساسيين في الحياة دور في البيت ودور الموظفة"(كاميليا عبد الفتاح، 1984، ص110).

القرض المصغر: قبل التطرق إلى تعريف القرض المصغر نعرف القرض:

القرض: هو "الائتمان والمقصود به تلك الخدمات المقدمة للعملاء والتي يتم بمقتضاها تزويد الأفراد والمؤسسات والمنشآت في المجتمع بالأموال اللازمة، على أن يتعهد المدين بسداد تلك الأموال وفوائدها والعملات المستحقة عليها والمصاريف دفعة واحدة أو على أقساط في تواريخ محددة حسب العقد وتدعم تلك العميلة بمجموعة من ضمانات"(زينب دليوح، 2013، ص14).

القرض المصغر: تعرفه منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الأوروبية (OCDE)بأنه "التمويل المصغر هو الحصول على تمويل مشروعات صغيرة يستفيد منها الأشخاص المهمشين، الذين يتطلعون إلى خلق فرص عمل خاصة بهم في ظل غياب آفاق مهنية أخرى"(ناصر مغني، 2011، ص4).

القرض في الجزائر: يؤكد المرسوم الرئاسي الصادر عن وزارة التشغيل والتضامن الوطني والمتعلق بتطبيق الإجراءات الخاصة بجهاز القرض المصغر بأنه "سلفة صغيرة الحجم

ومخصص لاقتناء عتاد بسيط ينم تسديده على مرحلة قصيرة ويمنح حسب صيغ تتوافق واحتياجات نشاطات الأشخاص المعنيين، يوجه القرض إلى إحداث الأنشطة، بما في ذلك الأنشطة في المنزل من خلال اقتناء العتاد الصغير اللازم لانطلاق المشروع ولشراء المواد الأولية وذلك قصد ترقية الشغل الحر (الشغل الذاتي) الشغل المنجز بمقر السكن وكذا النشاطات التجاريــة المنتجة"المرسوم الرئاسي، 2004، ص3).

الأسرة: وحدة بنائية يتكون منها رجل وامرأة يربطهما علاقة روحية متماسكة مع الأطفال والأقارب ويكون وجودها قائما على الدوافع الغريزية والمصالح المتبادلة والشعور المشترك الذي يتناسب مع أفرادها ومنتسبيها(السيد عبد العاطي، أحمد بيومي، 2004، ص21).

3.الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: دراسة أجرتها دليوح زينب وهي بعنوان "عمالة المرأة في إطار الاستفادة من القرض المصغر وأثرها على مكانتها داخل الأسرة "دراسة ميدانية عن عمالة المرأة في البيت نموذجا الجلفة.

لقد كانت الإشكالية تتمحور حول عمالة المرأة في إطار الاستفادة من القرض المصغر، وكيف يؤثر عملها على مكانتها داخل الأسرة وتمركز التساؤل الرئيسي في: إلى أي مدى أثرت القروض المصغرة على مكانة المرأة ودورها داخل الأسرة؟ وما هي أبرز أوجه ذلك الأثر؟.

واعتمدت الدراسة على المنهج الكمي بالاستعانة بكل من الملاحظة والاستبيان الذي تكون من 4 محاور، وقد تم تطبيق الدراسة على عينة قصدية وكان عددها 120 إمرأة مستفيدة من القرض المصغر.

وقد أظهرت النتائج الخاصة بالدراسة أن نشاط المرأة جزء من حياتها إذ ساعدها في تحسين ظروف المعيشة، وبالتالي تعزيز مكانتها الأسرية بالإضافة مساهمتها في مصاريف البيت مما جعلها توسع أدوارها داخل الأسرة، كما اكسبها ادوار جديدة عن طريق توسع دائرة معارفها وإن كان ذلك نسبيا، وكان للرجل دور في نمو النشاط وتطوره وهذا لأنه يشجع ويدعم المرأة في عملها فالقرض المصغر ساعد المرأة في عميلة تنمية المجتمع التي هي جزء منه، وبالتالي التفتح على العالم الخارجي إلا أن هذا منعها من اختراق السلطة بحكم المجتمع الذكوري.

الدراسة الثانية: دراسة أجرتها سامية عزيز وهي بعنوان "المؤسسات الصغيرة وتنميةالمجتمع المحلي".

كانت الدراسة تتمحور حول مساهمة المؤسسات الصغيرة في تنمية المجتمع المحلي وطرحت من خلالها التساؤلات التالية ما أهمية المؤسسات الاقتصادية الصغيرة في تنمية المجتمع؟ هل تلعب المؤسسات الصغيرة دورها في الاقتصاد الوطني؟

وقد اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي لكونه الأنسب لمثل هذه الدراسات، باعتباره يصف المعطيات ويحللها انطلاقا من أدوات جمع البيانات المعتمـــدة في ذلك، فالباحثة اعتمدت على المقابلة والملاحظة والاستمارة، أما عينة الدراسة فكانت عشوائية بسيطة قدرت بـــ24 مؤسسة، وأظهرت نتائج الدراسة أن المؤسسات الصغيرة والمتوسطة تلعب دورا فعالا في توفير مناصب عمل جديدة للأفراد العاطلين ومن ثم المساهمة في توفير الدخل للعاملين فيها، كما تساعد على توفير تشكيلة متنوعة من الإنتاج، وكسر العزلة على المناطق النائية والمعزولة وذلك من خلال الإنتاج والخدمات إلى البلديات والولايات المجاورة، دون أن ننسى دورها في خلق المنافسة الفردية.

4.المقاربة النظرية:

يعد المدخل البنائي الوظيفي من أكبر اتجاهات النظرية في علم الاجتماع حيث حاول تفسير الظواهر الاجتماعية انطلاقا من مفاهيم متمثلة في" الدور، المكانة، الخلل الوظيفي، الوظيفة، ويعود الفضل في إرساء دعائم هذا المدخل إلى كل من" تالكوت بارسونز وروبرت ميرتون."

و"يعرف المدخل البنائي الوظيفي على أنه: "عبارة عن رؤية سوسيولوجية تهدف إلى تحليل ودراسة بنى المجتمع من ناحية والوظائف التي تقوم بها هذه البنى من ناحية أخرى والمقصود "بالوظيفة" الدور الذي يساهم به الجزء في الكل بينما المراد بالبناء هو مجموعة العلاقات الاجتماعية المتباينة التي تتكامل وتتسق من خـــــلال الأدوار الاجتماعية"(زينب شنوف، 2013، ص17).

ويعد "روبرت ميرتون" من رواد البنائية الوظيفية الذين اهتموا بدراسة المعوقات الوظيفية بين أجزاء النسق من خلال تركيزه على المفاهيم التالية:

الوظائف الكامنة في مقابل الوظائف الظاهرة: نتيجة التخصص في العمل فالعلاقات القائمة بين أجزاء تكون مقصودة وذات قيمة ومعترف بها وهي الظاهرة أما الكامنة تكون غير مقصودة ولا معترف بها.

المعوقات الوظيفية في مقابل الوظيفة: لكل متغير جانب ايجابي(وظيفي) وجانب سلبي معوق أو (لا وظيفي) (بلقاسم سلاطنية، 2008، ص132).

فبالنسبة لموضوع دراستنا نأخذ متغير القرض المصغر، الذي يمكن تحديد جانبه الوظيفي واللاوظيفي كما يلي:

كلما زادت قيمة القرض المصغر كلما زاد نشاط المرأة من حيث الجودة والنوعية وهذا ما يطلق عليه "ماكس فيبر" بالإسهام الوظيفي وهو عبارة عن نتيجة ايجابية تؤدي بالنسق إلى تحقيق المتطلبات الوظيفة.

كلما قلت قيمة القرض المصغر كلما أثر على نشاط المرأة من حيث أدائها لعملها على أكمل وجه.

كلما كان هناك اهتمام بالمرأة العاملة من طرف أفراد الأسرة كلما كان نشاط المرأة ناجح ويحقق أرباح.

كلما كان هناك إهمال من طرف أفراد الأسرة كلما كان نشاط المرأة غير فعال.

"فالمعوقات الوظيفية عند "ميرتون"ربطها بالنتائج السلبية أو غير المحبذة أو غير المرغوب فيها أو غير المتوقعة في نفس الوقت نظر إليها كعوامل تهدد أو تعوق تكامل أو توافق أو استقرار النسق الاجتماعي.

البدائل الوظيفية: ترتكز محاولة"ميرتون" على افتراض أساسي مؤداه أن خصائص التنظيم في حد ذاتها، قد تؤدي إلى عدم فعالية وترسيخ وتدعيم الجوانب الآلية للبيروقراطية، الأمر الذي يتطلب البحث عن بدائل وظيفية"(بلقاسم سلاطنية، 2008، ص132)، فالبديل الوظيفي في دراستنا هو زيادة قيمة القرض المصغر، من أجل تحقيق إنتاجية كبيرة في النشاط الذي تقوم به المرأة، بالإضافة إلى الاهتمام الكبير من الوسط الأسري الذي تعيش فيه.

5. الإجراءات المنهجية للدراسة

1.5 مجالات الدراسة:

المجال الزماني: أجريت الدراسة خلال الفترة من ديسمبر 2014 إلى أفريل 2015.

المجال المكاني: أجريت الدراسة في مدينة ورقلة والتي تبعد عن العاصمة بنحو 900 كلم تبلغ مساحتها 163.233 كلم وتقع ولاية ورقلة في الجنوب الشرقي عاصمة الواحات يحدها من

الشمال ولايتي الجلفة والوادي ومن الشرق دولة تونس، ومن الجنوب ولايتي تمنراست وإيليزي ومن الغرب ولاية غرداية، وكانت دراستنا حول موضوع إنجازات المرأة المستفيدة من القرض المصغر نظرا لدور عمل المرأة في المجتمع بحكم المنطقة، التي تزخر بتعدد الحرف والمهن فالمرأة تسعى للحفاظ عليها من خلال الاستدانة بالقرض المصغر بالتالي تحسين المستوى المعيشي وضع اسم لها في المجتمع.

المجال البشري: والمتمثل أساسا في المجتمع البحث ويضم النساء القاطنات بمدينة ورقلة اللاتي استفدن من القرض المصغر المقدم من طرف الوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر.

2.5 المنهج وأدواته: اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي مع الاستعانة بالأدوات التالية:

المقابلة: حيث اعتمدنا في دراستنا هذه على المقابلة الغير المقننة التي قمنا بها مع المكلفة بالخلية الإعلام والاتصال بوكالة القرض المصغر بورقلة.

الاستبيان: اعتمدنا على الاستبيان المغلق المفتوح والذي تتضمن 33 سؤال قسم على ثلاث محاور، فالمحور الأول تضمن البيانات الشخصية، أما المحور الثاني خاص بالتساؤل الأولى، والمحور الثالث كان خاص بالتساؤل الثاني.

3.5 العينة: نظرا لطبيعة الموضوع وخصائص مجتمع الدراسة تم اختيار عينة قصدية قدرت بـــ 25 عاملة، بحكم عدد المستفيدات كان كبير مما استدعى الاعتماد على هذه العينة.

6. عرض وتحليل البيانات الميدانية

1.6عرض وتحليل البيانات الشخصية

جدول رقم (01): توزيع العينة حسب "السن، المستوى التعليمي، الحالة العائلية".

الاحتمالات		التكرار	النسبة
السن	]30-25]	2	%8
	]35-30]	12	%48
	]40-35]	9	%36
	[44-40]	2	%8
المجموع		25	%100
المستوى التعليمي	أمية	0	%0
	ابتدائي	2	%8
	متوسط	9	%36
	ثانوي	9	%36
	جامعي	5	%20
المجموع		25	%100
الحالة العائلية	عزباء	19	%76
	متزوجة	5	%20
	مطلقة	1	%4
	ارملة	0	%0
المجموع		25	%100

من خلال الجدول (01) يظهر لنا أن أغلب المبحوثات يتراوح سنهن ما بين [30-35[بنسبة48%، تليها الفئة العمرية [35-40[بنسبة36%، أما فيما يخص كل من [25-30[و[40-44] فقدرت بنسبة 8%، نستنتج أن أكبر نسبة لدى الفئة العمرية [35-30] وتعد الفئة الأكثر تطلع وباحثة عن الجديد، والأكثر وعي ومسؤولية، فإعانة الأسرة دفعتهن للقيام بهذه المشاريع إذ أن أغلبهن من ذوي المستوى التعليمي المتوسط والثانوي بنسبة 36% يليها المستوى الجامعي بنسبة 20% والابتدائي بنسبة 8%، فأصحاب المستوى المتوسط والثانوي في الوقت الحالي لا

يمكن إيجاد عمل إلا إذا دخلوا معاهد التكوين من اجل نيل شهادة مهنية (الحلاقة، الخياطة، الإعلام الآلي، التصوير)، وبالتالي الحصول على عمل ،وبالنسبة للحالة العائلية فإن اغلبهن عازبات بنسبة 76% ويرجع ذلك إلى مساهمتهن في زيادة دخل الأسرة مما يدل على أهمية المشروع في تنمية الدخل أما بالنسبة للمتزوجات فقدرت بـــــ20% وراجع للظروف عمل الزوج البسيطة مما يجعلهن يبحثن عن عمل لتحسين ظروف المعيشية، أما المطلقة فقدرت نسبتها 4% ويعود ذلك إلى إعانة الأولاد مادامت المسؤولية الوحيدة عنهم مع انعدام نسبة الأرملة.

مما سبق يتضح أن أغلب المبحوثات من الفئة العمرية [30-35] واغلبهن عازبات مما يوحي ضمنيا أنهن يسعين لمليء الفراغ ومساعدة الأسرة، وهذا عكس ما جاء في دراسة الباحثة "دليوح زينب" "التي كانت أغلب المستفيدات من القرض متزوجات بنسبة 61.67% ويرجع ذلك إلى خصوصية المنطقة من عادات وتقاليد والتي تفرض الزواج المبكر على الفتيات" وينحصر المستوى التعليمي في المتوسط والثانوي فقد لجئن لنيل شهادة من التكوين المهني من اجل القيام بمشروع ما للاستفادة من القرض المصغر ومن اجل إثبات مكانتهن في الأسرة أولا والمجتمع ثانيا، عكس ما توصلت إليه الباحثة "دليوح زينب" "التي كان أغلب المستفيدات من ذوي المستوى الابتدائي بنسبة 43.33% ويرجع إلى خصوصية المنطقة التي تمنع الإناث من إتمام تعليمهن بحكم المعتقدات السائدة "، وبالعودة لدراستنا انعدام فئة بدون مستوى مما يعني انه كلما كان هناك مستوى تعليمي كبير كلما كان هناك اهتمام بالمشاريع أو السياسيات التنمويـــــــــــة والتي من بينها القرض المصغر.

جدول رقم (02): يوضح توزيع العينة حسب نوع القرض والنشاط

نوع النشاط	الألبسة		الصناعات الخشبية		الصناعات الغذائية		الخدمات		الصناعات التقليدية		المجموع	
نوع القرض	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	التكرار	النسبة
العتاد (الآلات)	0	%00	0	%00	3	%12	0	%00	0	%00	3	%12
مبلغ مالي	9	%36	3	%12	2	%8	5	%12	3	%12	22	%88
المجموع	9	%36	3	%12	5	%20	5	%12	3	%12	25	100%

من خلال الجدول يظهر أن اغلب المستفيدات استدن مبالغ مالية بنسبة 88%، وهذا في كل الأنشطة إذ نجد نسبة الألبسة 36%، أما الصناعات الخشبية والخدمات والصناعات التقليدية بنسبة 12 % وأخيراً الصناعات الغذائية بنسبة 8%، "علما أن هذا التصنيف لأنواع الأنشطة حسب الوكالة الوطنية لتسيير القرض المصغر،" فحسب المبحوثات اقترضن المبالغ المالية خوفا من التكنولوجيا العالية الموجودة في الآلات وهذا على حد تصريح بعضهن، أما نسبة 12% من المستفيدات اقترضن من العتاد (الآلات) خاصة في الصناعات الغذائية وبالضبط في مجال الحلويات التي تتحتم على صاحبة المشروع أن تستفيد من العتاد لتحسين وتسريع الإنتاج، إذ صرح بعضهن أن لهن أقدمية في العمل وعمدن للاستفادة من العتاد لتطوير العملية الإنتاجية وهذا لأجل تحقيق فعالية في العمل تفاديا للأنماط السلوكية الغير منتجة، فالعاملة لها الصلاحية في اختيار نوع القرض مهما كان النشاط ولا يفرض عليها من طرف الوكالة.

جدول رقم (03): توزيع العينة حسب مكان العمل وتاريخ بداية المشروع

الاحتمالات		التكرار	النسبة
مكان العمل	المحل	14	%56
	البيت	11	%44
المجموع		25	%100
تاريخ بداية المشروع	سنتين	3	%12
	ثلاث سنوات	3	%12
	أربعة سنوات فأكثر	19	%76
المجموع		25	%100

من خلال معطيات الجدول نلاحظ أن أكبر نسبة من المستفيدات يعملن في المحل بنسبة 56% وهذا في إطار الاستفادة من المحلات التجارية، إلا أن الإيجار يقع عقبة في القيام بالعمل بحكم غلاء الإيجار في الوقت الحالي، أما بالنسبة للمبحوثات اللاتي يعملن في البيت بنسبة 44% راجع ذلك إلى الزوج أو الأخوة الذين قبلوا المشروع شرط العمل في البيت وهذا بتصريح بعضهن أما فيما يخص تاريخ بداية المشروع نسبة 76% من المشاريع عمرها ما يقارب 4 سنوات فأكثر أي ما بين 2006 الى2011 فهذا دليل على المستوى التعليمي الذي يدفع إلى الاهتمام بالسياسات التنموية خاصة أن البدايات الأولى لإنشاء وكالة تسيير القرض المصغر منذ 2004، أما نسبة 12% فكان عمر المشروع منحصر ما بين عامين إلى ثلاث سنوات وبالتالي هذا مؤشر على نشر ثقافة العمل والاعتماد على المشروع كمصدر دخل إضافي للأسرة.

جدول رقم (04): العلاقة بين قيمة القرض المقدمة من طرف الوكالة ونوعية القرض

نوع القرض	العتاد(الآلات)		مبلغ مالي		المجموع	
قيمة القرض	ت	%	ت	%	التكرار	النسبة
كافية	1	%4	19	%36	10	%40
غير كافية	2	%8	13	%52	15	%60
المجموع	3	%12	22	%88	25	%100

من معطيات الجدول يتضح أن قيمة القرض غير كافية بنسبة 60% مقسمـــــــــــــــــة على العتاد(الآلات) 8% والمبلغ المالي 52%، فهذا يبرهن أن قيمة القرض غير كافية ويرجع ذلك إلى غـــــــــــــلاء مستلزمات السوق أي عدم تلبيـــــــــــة شراء المواد الأولية، بالإضافة إلى الضرائب وتكلفة كراء المحل هذا ما يجعل قيمة القرض غير كافية، فالقيمة القليلة ستؤثر على نشاط المرأة مما تؤدي إلى حدوث عقبات في طريقها وهذا لأن لكل متغير جانب وظيفي وآخر اللاوظيفي وما سماه "ميرتون" بالمعوقات الوظيفية التي تؤدي بمرور الوقت إلى جمود السلوك والروتين الوظيفي ويؤدي بدوره إلى عدم الإسهام الوظيفي وبهذا يحول دون انجاز المرأة لعملها أي كلما قلت قيمة القرض كلما أثر على نشاط المرأة من حيث أدائها لعملها على أكمل وجه".

أما فيما يخص كافية قيمة القرض كانت بنسبة 40% مقسمة على العتاد (الآلات) 4%والمبلغ المالي 36% فحسب تصريح بعض المستفيدات أن القرض مجرد وسيلة لإعانة فقط خاصة انه كان لديها الآلات قديمة فحاولت الاستعانة بالآلات ذات التكنولوجيا العالية لتطوير الإنتاج خاصة في الصناعات الغذائية، أما فيما يخص الاستدانة بالمبالغ المالية كان إلا من اجل شراء المستلزمات من السوق فقط مما جعلها القيمة المقدمة من طرف الوكالة كافية.

جدول رقم (05): يوضح السبل المتوفرة في حالة عدم كفاية القرض

الاحتمالات	التكرار	النسبة
التدين من عند الأقارب	14	%56
لا توجد	11	%44
المجموع	25	%100

يوضح الجدول أعلاه أن المبحوثات يلجئن إلى الاقتراض من عند الأقارب بالنسبة 56%، أما الأخريات صرحن بكفاية القرض وقدرت ب44%، مما سبق يتضح أن قيمة القرض غير كافية اذ تصبح عائق لقيام المرأة بعملها وبالتالي ينطبق" القول على ميرتون في طرحه لبدائل الوظيفية التي ترتكز على افتراض مؤداه أن خصائص التنظيم في حد ذاتها قد تؤدي إلى عدم فعالية وترسيخ وتدعيم الجوانب الآلية للبيروقراطية الأمر الذي يتطلب البحث عن البدائل الوظيفية " وبالتالي فالبديل الوظيفي هو زيادة قيمة القرض من أجل تحقيق إنتاجية كبيرة تفادي للوقوع في المشاكل، إضافة إلــــــــــــــــى ذلك أن المشروع يحتاج رأس مال كبير.

جدول رقم (06): اقتناء التكنولوجيا لتطوير المشروع الشكل

الاحتمالات	التكرار	المجموع
نعم	6	%24
لا	19	%76
المجموع	25	%100

من خلال الجدول يتبين أن اغلب المبحوثات لم يقمن باقتناء التكنولوجيا إذ قدرت نسبة ذلك بـــ 76% ويرجع ذلك لعدم الكفاية القرض من جهة وهذا ما يدعمه الجدول رقم (04)، ومن جهة أخرى التخوف من التعامل مع التكنولوجيا، فعلى حد قولهن في اختيار القرض عمدن إلى اقتناء العتاد (الآلات) لتطوير العميلة الإنتاجية وتسريع العمل إلا أنهن وجدن صعوبة في التعامل معها فمن هنا تصبح التكنولوجيا عائقا في قيام المرأة بعملها، في حين باقي المبحوثات أي 24% اقتنين التكنولوجيا خاصة المستفيدات من القرض بقيمة 25 مليون إذ سمحت باقتناء جهاز الإعلام آلي باعتباره جهاز ضروري في أي مجال عمل إضافة إلى اقتناء آلات خياطة متطورة خاصة مع الطلب الكبير للسلعة، إضافة إلى ذلك فالمجتمع يشهد تطورات تكنولوجية كبيرة في مختلف المجالات وعلى المستفيدة من القرض مسايرة هذا التطور لتحسين المنتوج ، وبالتالي هناك علاقة بين الفعالية الإنتاجية ودرجة توافق مع التكنولوجيا.

جدول رقم (07): فترة التسديد عائق للقيام بالعمل.

الاحتمالات	التكرار	النسبة
نعم	8	%32
لا	17	%68
المجموع	25	%100

من خلال معطيات الجدول أعلاه يتبين أن فترة تسديد القرض لم تكن عائق لقيام المرأة بعملها وهذا بنسبة 68% ولم تكن عقبة في طريقهن وهذا لأنهن أول ما بدأن بالمشروع حاولن تقسيم الربح المحصل بين القرض لإرجاعه ويبن الدخل الفردي، في حين باقي المستفيدات كانت عائق وقدرت بنسبة 32% إذ أعاقتهن قترة تسديد القرض فيرجع ذلك إلى أن المدة غير كافية لتسديد خاص في بداية المشروع لا تعرف هل تكون هناك خسارة أم ربح؟ والمشروع ليس له رواجا في البداية مع الخوف من تسديده خاصة أنه يعتبر دين على عاتق المرأة ويجب عليها إرجاعه، وهذا ما جاء في المقابلة أن هناك فترة محددة لتسديد القرض وبالتالي على المستفيدات إرجاعه في

الوقت المناسب لان وكالة تسيير القرض المصغر تسير وفقا لقوانين محددة، فالوكالة هيئة داعمة للشباب للقيام بالمشاريع وبالتالي على المستفيدات تطبيق قوانينها.

جدول رقم (08): تحقيق المبيعات أرباح في السوق

الاحتمالات		التكرار		النسبة	
نعم	النوعية المقدمة	13	31	%36.1	%86.11
	جودة المنتوج	14		%38.9	
	إتقان العمل	1		%2.8	
	الثقة المتبادلة بين الزبائن	2		%5.6	
	السلعة مطلوبة في السوق	1		%2.8	
لا		5		%13.88	
المجموع		36*		%100	

يوضح الجدول أعلاه أن مبيعات المشروع حققت أرباح بنسبة 86.11% وهذا راجع إلى جودة المنتوج من طرف صاحبة المشروع بنسبة 38.9% أو إلى النوعية المقدمة بنسبة 36.1% ضف إلى ذلك الثقة المتبادلة مع الزبائن بنسبة 5.6% ، أما السلعة مطلوبة في السوق أو إتقان العمل بنسبة 2.8%، مما يعني أن المستفيدات من القرض حققن أرباح في السوق وهذا راجع إلى نوعية وجودة المنتوج، يعنى أن المرأة تسعى إلى إنجاح مشروعها بكل الطرق وتشكيل ثقة متبادلة بينها وبين الزبائن والتي تعود لها بالفائدة وتصبح الأرباح بمثابة الحافز المادي الذي يدفعها لبدل جهد إضافي من اجل نيل أرباح إضافية وهذا ما يدفعنا القول:" أن تطبيق الحوافز النقدية يؤدي إلى زيادة الإنتاج بمجهود وزمن معقولين وان الحوافز المادية هي الأساس لتحفيز الأفراد وزيادة الإنتاج" (كامل بربر، 2000، ص103)، فالأرباح المحققة هي حافز اقتصادي وكآلية لتسريع وتيرة العمل، أما فيما يخص أن المبيعات لم تحقق أرباح في السوق فكانت نسبتها 13.88% ويرجع إلى أن المشروع مازال في بدايته وهذا ما سيظهر في الجدول الموالي رقم(09).

جدول رقم (09): يوضح تسويق المنتوج

الاحتمالات		التكرار		النسبة	
نعم		18		%72	
لا	السعر مرتفع	3	7	%12	%28
	قلة الطلب مقارنة بالعرض	4		%16	
	المنتوج ذو نوعية رديئة	0		%00	
المجموع		25		%100	

من خلال معطيات الجدول تبين أن المنتوج يسوق مباشرة في السوق بنسبة قدرت 72% خاصة أن أغلب المشاريع تهتم بانتاج الألبسة، فالخياطة (الألبسة) تحتاجها المرأة في المناسبات على اختلاف المواسم مما ينعكس إيجابيا على تحقيق الأرباح وهذا ما وضحه جدول رقم (12)، في حين كانت نسبة 28% ترى أن المنتوج لا يسوق فقد يرجع إلى السعر المرتفع بنسبة 12% وهذا على حد قولهن يرفعن السعر من اجل إرجاع القرض أو كراء المحل والضرائب، كما قد يعود إلى قلة الطلب مقارنة بالعرض بنسبة 16% خاصة أن بعض المشاريع عمرها سنتين ولم تكن لها طلبات من طرف الزبائن. وبالتالي عدم تسويق المنتوج يعتبر عائق يحول دون تحقيق العاملة لأهداف المشروع، مما يدفعنا للحديث عن المشروع في حد ذاته يحمل جانب وظيفي وهو الإنتاجية العالية وبالتالي تسويق المنتوج وجانب اللاوظيفي ضعف الإنتاجية أي عدم تسويق المنتوج ومن هنا يجب البحث عن البديل الوظيــــــــفي لتحســــين الإنتــــــاجية،

*مجموع التكرار لا يعني المجموع الكلي للعينة بل راجع إلى تعدد الإجابات

وتطويرها يكون من خلال التكنولوجيا لتسريع الإنتاج مع الجودة في ذلك وبالتالي تفادي للمشاكل التي تحول دون تسويق الإنتاج.

جدول رقم (10): استرجاع الخسارة

الاحتمالات		التكرار		النسبة	
نعم	العام الأول	1	17	%4	%68
	العامين الأولين	8		%32	
	ثلاث سنوات الأولى	5		%20	
	أكثر حددي	3		%12	
لا		8		%32	
المجموع		25		%100	

من خلال معطيات الجدول يتضح أن أغلب المستفيدات من القرض استرجعن خسارتهن بنسبة 68% وكانت في العامين الأولين بنسبة 32% أما بالنسبة لثلاث السنوات الأولى قدرت ب 20%، في حين (أكثر حددي) كانت بنسبة 12% تتراوح ما بين 4 سنوات إلى 6 سنوات، فيتضح أن المرأة حققت أرباح من المبيعات هذا ما وضحه جدول رقم (08) مما انعكس على استرجاع الخسارة، أما فيما يخص المستفيدات اللاتي لم يسترجعن خسارتهن فقدرت ب 32% وهذا راجع إلى عدم تسويق المنتوج سواء كان السعر مرتفع أو القلة في الطلب مقارنة بالعرض.

الجدول رقم(11): المساعدة المقدمة للمرأة في اختيار المشروع

الاحتمالات	التكرار	النسبة
الدعم المادي والمعنوي	24	%96
لا يوجد دعم	1	%4
المجموع	25	%100

من خلال الجدول أعلاه تبين أن أغلب المستفيدات من القرض تلقين مساعدة من طرف الأسرة بنسبة 96% وبالتالي نجد أن مساعدة الأسرة في إختيار المشروع تنعكس على نجاح المشروع، فاختيار للمشروع يكون بالمشاورات بين أفراد العائلة التي هي أدرى بالمتطلبات السوق، فالمساعدة كانت مادية ومعنوية خاصة في البداية التي تتطلب ذلك من أجل تحقيق أرباح خاصة أن المستفيدات لجئن للقرض بهدف مساعدة الأسرة وبالتالي لعبت الأسرة دور مهم في عمل المرأة وهذا ما توصلت إليه الباحثة "دليوح زينب" "التي خلصت أن مساعدة الأسرة في إختيار المشروع ساهمت في إنجاحه بنسبة 56.67% فهذه المساعدة انعكست على نجاح المشروع مقارنة بالمرأة التي لم تتلقى أي مساعدة ".في حين كانت نسبة 4% لم تتلقى مساعدة وهي مستفيدة فحسب تصريحها أن المشروع مجرد وسيلة لمليء الفراغ.

جدول رقم(12): ردة فعل الأسرة في بداية المشروع

الاحتمالات	التكرار	النسبة
راضية	22	%88
معارضة	1	%4
غير مهتمة	2	%8
المجموع	25	100%

من خلال معطيات الجدول يتبين أن الأسرة راضية عن المشروع وقدرت بـ 88 % وبالتالي للأسرة دور في اختيار المشروع فوقوف الأسرة إلى جانب المرأة ينعكس إيجابيا على نتائج المشروع وهذا حسب رأي **"ميرتون** " رأى أن لكل متغير جانب وظيفي وآخر اللاوظيفي فالجانب الوظيفي هنا اهتمام المرأة بالعاملة أي كلما كان اهتمام بالمرأة العاملة من طرف أفراد الأسرة كلما كان نشاط المرأة ناجح ويحقق أرباح." إضافة إلى ذلك فخروج المرأة للعمل أصبح شيء إيجابي كونها تساعد الأسرة في المصاريف مع تلبية حاجيات الأطفال والبيت، في حين كانت نسبة عدم الاهتمام بـ 8%، أما نسبة 4% معارضة لفكرة المشروع ويعود سبب ذلك إلى

التقصير في الأعمال المنزلية من جهة، ومن جهة أخرى حسب تصريح المستفيدة أن فكرة عمل المرأة مرفوضة بحكم قيم وعادات وتقاليد المجتمع.

جدول رقم (13): يوضح العلاقة بين الحالة العائلية وأداء الواجبات المنزلية

أداء الواجبات / الحالة العائلية	نعم		لا		المجموع	
	ت	%	ت	%	التكرار	النسبة
عازبة	3	%12	16	%64	19	%76
متزوجة	1	%4	4	%16	5	%20
مطلقة	0	%00	1	%4	1	%4
المجموع	4	%16	21	%84	25	%100

من خلال معطيات الجدول يتضح أن العمل لا يشكل عائق في أداء الواجبات المنزلية بنسبة 84% مهما كان نوع الحالة العائلية وهذا راجع إلى توفيق بين العملين مع تنظيم الوقت، إضافة إلى تعاون بين الأخوة حتى لا يكون هناك خلل وظيفي في العمل المنزلي إضافة إلى تفهم الأسرة للعمل جعلها تقوم بالمشروع وهي مرتاحة فحتى أن قصرت جهدا تعوض ماديا ما يدفعنا القول أن هناك مستلزمات وظيفية حسب بارسونز وهي:

التكيف: إقامة علاقات بين النسق وبيئته الخارجية، وحصوله على الموارد البشرية والمادية لإنجاز الأهداف المرسومة، إلى جانب تبادل منتجاته وتكيفه مع الضوابط والضرورات والحدود التي تفرضها البيئة الخارجية.

تحقيق الهدف: الاستخدام الأمثل للموارد من اجل تحقيق الغايات المنشودة.

التكامل: التنسيق بين أجزاء النسق تجنبا لمظاهر الاضطراب والخلل، حماية النسق من التغيرات الفجائية، تحقيقا على مستوى من التماسك بين الوحدات التنظيمية الفرعية المتشابهة.

الكمون: احتواء التوترات.

وبالتالي لو أسقطنا مستلزمات الوظيفية على عمل المرأة وأداء الواجبات المنزلية لوجدنا:

التكيف: محاولة العاملة التتكيف مع الوضع العملي من اجل تحقيق الأهداف سواء العمل المنزلي أو المشروع.

تحقيق الهدف: استخدام الطريقة المثلى لتحقيق الغايات

التكامل: سعى المرأة لتحقيق تناسق بين العمل المنزلي والمشروع تجنب لحدوث الاضطراب أو خلل وظيفي في العمل.

الكمون: فهنا العاملة تحتوى أي توتر قد يخل بالعمل.

أما نسبة 16% ترى أن العمل يشكل عائق في أداء الواجبات المنزلية وهي نسبة قليلة ويرجع ذلك إلى عدم الموازنة بين العملين.

جدول رقم (14): اقتناء مستلزمات من السوق الخاصة بالمشروع.

الاحتمالات	التكرار	النسبة
أنت	19	%76
أحد أفراد الأسرة	6	%24
المجموع	25	%100

من خلال معطيات الجدول يتضح أن نسبة 76% من المبحوثات صرحن بأنهن من يقتنين مستلزمات من السوق الخاصة بالمشروع وهذا راجع إلى أنهن أدري بطبيعة المستلزمات ونوعيتها ضف إلى ذلك يعنى أن الأسرة راضية عن المشروع مما سمحت لهن بالخروج لتسوق وحدهن، فهذا أن دل على شيء إنما يدل على تغيير نظرة المجتمع للمرأة بعدما كان منحصر إلا

في البيت فقط، فالظروف المعيشية دفعت بهk لذلك، أما النسبة الباقية24 %من المبحوثات فصرحن أن الاقتناء يكون من طرف الأزواج أو الإخوة.

جدول رقم (15): يوضح مساهمة المرأة في دخل الأسرة

الاحتمالات	التكرار	النسبة
نعم	23	%92
لا	2	%8
المجموع	25	%100

من خلال الجدول أعلاه نجد أن اغلب المستفيدات من القرض يساهمن في دخل الأسرة وقدرت نسبتها ب 92% وهذا راجع إلى أنهن سعين إلى تحسين الظروف المعيشية مع تلبية حاجيات ومتطلبات البيت، كما قد تكون احدهن الوحيدة في إعانة الأسرة وبهذا يتحتم عليها المساهمة، وهذا ما توصلت إليه الباحثة " دليوح زينب" التي خلصت إلى أن المرأة تساهم في مصروف البيت، إذ ترى في وجودها قرب العائلة شيء إيجابي وساعدها على أداء واجباتها وهذا بنسبة 84.08%"، في حين كانت عدم المساهمة ب 8% بحكم أنهن عازبات أي يعملن من جهة على حب المهنة ومن جهة أخرى إدخال مصروف خاص بهن.

جدول رقم (16): تتدخل أفراد الأسرة في أوقات العمل

الاحتمالات	التكرار	النسبة
نعم	3	%12
لا	22	%88
المجموع	25	%100

يتبن من خلال الجدول أعلاه أن نسبة 88 %من أفراد الأسرة للمرأة العاملة في إطار الاستفادة من القرض لا يتدخلن في أوقات العمل فالأسرة منحت للمرأة الحرية التامة في العمل، مما يعني أن أفراد الأسرة لا يتحكمن في أوقات العمل وهي إنسانة بالغة وأدرى بشؤونها، ضف إلى ذلك المساهمة في الدخل، في حين نسبة 12% هناك تدخل في أوقات العمل خاصة المتزوجات التي تكون سلطة الزوج فوقهن، كما قد يتدخل أفراد الأسرة خاصة الأخوة وهذا بالنسبة للعازبات الذين يتحكموا فيهن إذا تأخرن عن الوقت المحدد في حالة المحل بعيد عن البيت.

جدول رقم (17): رضا الأسرة عن ما حقق من أرباح

الاحتمالات	التكرار	النسبة
نوعا ما	5	%20
نعم	20	%80
المجموع	25	%100

يتبين من خلال معطيات الجدول أن نسبة 80% من أفراد الأسرة راضين عما حققن من أرباح بفضل المشروع خاصةً أن أغلبهن يساهمن في دخل الأسرة لتحسين الواقع المعيشي الذي يتطلب مصاريف كثيرة، فالمساهمة في الدخل بصفة تلقائية تدفع أفراد الأسرة إلى الرضا عن الأرباح المحققة، وبالتالي فالرضا عن المشروع بمثابة اهتمام بالمرأة العاملة فحسب ما تم "طرحه في المقاربة النظرية كلما كان هناك اهتمام بالمرأة العاملة من طرف أفراد الأسرة كلما كان نشاط المرأة ناجح ويحقق أرباح".في حين كانت نسبة 20% رضا نوعا ما خاصة المشاريع التي مازالت في البداية.

جدول رقم (18): يوضح تحقيق الطموح المنشود

الاحتمالات	التكرار	النسبة
حققت	22	% 88
لم تحقق	3	% 12
المجموع	25	% 100

من خلال الجدول يتضح أن نسبة 88% من المستفيدات من القرض حققن ما يطمحن إليه حتى وإن كانت قيمة القرض غير كافية (الجدول رقم 04) إلا أنهن اعتمدن أساليب من اجل جعل المشروع ناجح وهذا بالاستدانة من عند الأقارب، إضافة إلى حد قولهن أنهن شاركن في عدة تظاهرات خاصة بالنشاط المصغر من جهة تعريف بالمنتوج، ومن جهة أخرى تبادل الخبرات مع العارضين والمختصين في هذا المجال، وبالتالي يعتبر في حد ذاته إنجازا عظيما، إلا أن نسبة 12% لم يحققن ما يطمحن إليه ويبررن ذلك بأن المشروع كبير أو فتح محل خارج عن البيت وجعله مؤسسة مصغرة تضم مجموعة من العمال بهدف تخفيف من البطالة، فالطبيعة البشرية بطبعها كلما وصلت إلى شيء تريد أكثر منه.

خاتمة

من خلال النتائج المتحصل عليها، نستنتج أن هناك عوائق اعترضت عمل المرأة المستفيدة من القرض المصغر، فتعد قيمة القرض القليلة عائق أمام قيام المرأة لعملها نظرا للكلفة المرتفعة في كراء المحلات و ثمن مستلزمات السوق، هذا ما دفعها إلى الاقتراض، كما أن فترة تسديد القرض وقفت عقبة في أداء المرأة لعملها خاصة في الأعوام الأولى من بداية المشروع وفي حالة وجود خسائر ما دفعها إلى رفع أسعار المنتوج بهدف تسديد القرض. في حين أن أسرة المرأة العاملة لعبت دورا محوريا في نجاح عملها فاختيار نوع المشروع كان بناءٍ على تشاور عائلي، إضافة إلى الرضا التام عن المشروع والدعم المادي له كان بمثابة حافزا معنويا دفعها إلى بدل جهدا اكبر، كما أن الازدواجية في العمل - المشروع وعمل البيت- لم يكن عائق بل سعت إلى التوفيق بينهما خاصة أن بعض الحالات التي تمت عليهن الدراسة كُن المعيل الوحيد للأسرة. فبالرغم من كل هذه العقبات التي واجهتها إلا أنها حققت انجازات.

قائمة المراجع:

1. بلقاسم سلاطنية، إسماعيل قيرة(2008)، التنظيم الحديث للمؤسسة التصور والمفهوم، ط2، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
2. الجريدة الرسمية للجمهورية(2004)، المرسوم الرئاسي رقم 13/04،المؤرخ في 2004/01/22، المتعلق بالجهاز القرض المصغر، العدد 06.
3. زينب دليوح(2013)، عمالة المرأة في إطار الاستفادة من القرض المصغر وأثرها على مكانتها داخل الأسرة، مذكرة ماجستير "غير منشورة"، التخصص التنظيم والدينامكيا الاجتماعية والمجتمع، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة غرداية، الجزائر.
4. زينب شنوف،عوفي ماجدة(2013)، التمثلات الاجتماعية للمشروع المهني لدى الطالب الجـــــامعي، مذكرة ماستر(غير منشورة) ، تخصص علم الاجتماع تنظيم والعمل، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، الجزائر.
5. سامية عزيز(2013)، المؤسسات الصغيرة وتنمية المجتمع المحلي، مذكرة ماجستير "غير منشورة"، التخصص علم الاجتماع تنمية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جـــامعة بســـكرة، الجزائر.
6. السيد عبد العاطي(2004)، احمد بيومي، علم الاجتماع الأسرة ، دار المعرفة الجامعية، مصر.
7. كامل بربر(2000)، إدارة الموارد البشرية وكفاءة الأداء التنظيمي، الدار الجامعية، مصر.

8. كاميليا عبد الفتاح(1984)، سوسيولوجيا المرأة، دار النهضة.
9. محمد عاطف غيث وآخرون(1979)، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر.
10. ناصر مغني(2011)، القرض المصغر كإستراتيجية لخلق مناصب الشغل في الجزائر، ملتقى دولي حول إستراتيجية الحكومة للقضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة ،جامعة المسيلة، الجزائر.

نكـوص الأفق الشّـعـري– ابن قتـيـبة الدّيـنوري أنمـوذجا(276-213هـ) مساهمة في نقد النقد.

REGRESSION OF POETIC PROSPECT-IBN KUTEIBA AL-DAINURI AS A MODEL (276-213هـ) CONTRIBUTION IN CRITICISM OF CRITICISM

أ. موسى سنوسي، جامعة الجزائر02 أبو القاسم سعد الله- الجزائر

ملخص: حديثنا في هاته الوقفة يفسح أشرعة نقدية تولي وجهتها صوب " حدّ الشّعر" أو " مقاس الشعرية " عند عَلَمٍ من أعلام النقد القديم عند العرب(ابن قتيبة الدّينوري)، ونحن إذ نخوض غمار نقده للشعر نقرأ في الوقت ذاته: كيف تسنّى له أن يقضيَ بالاستحسان أو القصور لشعر دون آخر بمجرّد الانتقال من ضرب فيه إلى آخر؟ ثم، هل يحصُل التمكينُ لشعريّة الشّعر بمجرّد القول أنه جماعُ ألفاظٍ ومعانٍ؟ كيف يكون حُكمنا- أخيرًا - على آفاقه النقدية؟

الكلمات المفتاحية: حدّ الشّعر، الشّعرية، الأفق الشّعري، نقد النقد.

Abstract:Our talk paves the way to a controversial criticism towards a “code of poetry” or “poetry’s standard” according to one of the greatest arab scientists of ancient criticism whose name is “Ibn kuteiba Al-dainuri” . If we go through his criticism to poetry we can read at the same time how he could approve or refuse a fiven poetry to another through moving from one kind to another. Then; can the empowerment of “poetic poetry” be achieved just by saying that it is a set of words(vocabulary items) and meanings? At last , how could our judgement be on its criticial prospests ?

Keywords:code of poetry, poetic, poetic prospect, the reader’s expectations, criticism of criticism.

ابن قتيبة الدينوري (276-213هـ) و محدودية الأفق الشعري:

قد يكون ابن قتيبة داخلا في الدائرة التي رسمها الجاحظ حين كلامه عن صفة المتكلمين، قائلا: «[ولا يكون المتكلم] جامعا لأقطار الكلام متمكنا في الصناعة، يصلح للرياسة، حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة. والعالم عندنا هو الذي يجمعهما، (..) »(أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 1965، ص134)، صحيح قد يكون "ابن قتيبة" متكلّما، لكن ليس في مباحث الدين أو التوحيد فحسب، بل أيضا في مبحث خاص بالصناعة الشعرية؛ فهو الجامع لأقطار الكلام فيها بنظرته الاعتدالية التي شهد له بها أغلب النقاد(*نذكر من هؤلاء، تمثيلا لا حصرا: إحسان عباس في كتابه "تاريخ النقد الأدبي عند العرب"، وطه أحمد إبراهيم في كتابه: "تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري"، وأحمد مطلوب في كتابه "اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع للهجرة").

نظرته في التوفيق بين القديم و الحديث:

الاعتدال مبدأ دالّ على الاستواء في تفكير "ابن قتيبة" ونظراته النقدية، وقد كان بصمة طابعة تخلّقت مع الجاحظ حين أرسى دعائمها في عهد سابق "لابن قتيبة"، لما فصل في أمر الصناعة الشعرية بين اللفظ والمعنى، وإن عدل عن الثاني لصالح الأول في الحكم.أقول: لما اختار "ابن قتيبة" أن يكون مثلا أعلى في الاعتدال والاتزان، كان لزاما عليه الإيمان الوثيق بهذا المبدأ الذي ما انفكّ "ابن قتيبة" يحدثنا عن أفكاره التي تأبى الخروج عن عباءة مبدأ الاعتدال هذا. لهذا نجده عند قراءة موقفه الذي يدعو فيه الناقد إلى التزام سبيل الوسطية في الحكم على الإبداع الشعري والشعراء المبدعين، يقول: « ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين، وأعطيت كلا حقه، ووفّرت عليه حظه، (..) »(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص07)، بهذه العزيمة القوية في الاعتقاد بالموقف، يقف "ابن قتيبة" حكما عدلا في منزلة بين "المتقدم" إبدالا للقديم، و"المتأخر" إبدالا للحديث، يقف لرصد العلاقة بين القديم والحديث فينتهي إلى أن: كل قديم حديثا في عصره، يقول مبيّنا: « ولم يَقْصُرِ الله الشعر والعلم و البلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده، وجعل كل قديم منهم حديثا في عصره، وكل شريف خارجيا في أوله » (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص07).

قوام الشعر عند ابن قتيبة: إن طبيعة هذا المطلب تقتضي تقسيمه إلى عنصرين اثنين هما:

أ.النزعة المنطقية: ويأتي الحديث فيها على تقسيم "ابن قتيبة" الذي صاغه للشعر.

ب.دلالة اللفظ ودلالة المعنى عنده: وبمعرفتهما نستطيع الوقوف عند حدود وأبعاد الشعرية التي عمل "ابن قتيبة" على تأسيسها.

النزعة المنطقية في الشعر:

يقول "ابن قتيبة" محيلا القارئ - مرة أخرى- إلى الغرض الذي دفعه إلى وضع كتابه "الشعر والشعراء":«وكان حق هذا الكتاب أن أودعه الأخبار عن جلالة قدر الشعر وعمّن رُفع بالمديح وعمّن وضع بالهجاء، وعما أودعته العرب من الأخبار النابهة، والأحساب الصحاح والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة»(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص08)، ربما قادتنا دلالة هذه الجملة الأخيرة من القول إلى ما أراد "ابن قتيبة" ذاته أن يقوم به؛ وهو إيجاد شيء من التقريب النوعي بين المعاني الشعرية عند العرب والحكم الفلسفية عند الأجانب. إلا أن التركيز على فعل هذه المقاربة هو إيذان من "ابن قتيبة" لهتك جلالة هذا الشعر وقدره أو كما وسمه قبل قليل.

أقسام الشعر: يتقوّم تصور "ابن قتيبة" للشعر على أربعة أضرب:

أما الضرب الأوّل فهو قوله: « (..) ضرب منه حَسُنَ لفظه وجاد معناه،(..)»(بو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص08)، ومثاله التوضيحي على هذا الضرب هو قول الفرزدق من قصيدة ميمية يمدح فيها "زين العابدين" علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، يقول من البسيط:

يُغضي حياءً، ويُغضَى من مهـابتــه فـــمـا يكلَّمُ إلا حيـــــــن يبتـــسـمُ
بِكَفِّهِ خـــــيزُرانٌ ريـــحُـــه عبـــقٌ من كَفِّ أروعَ، في عِرْنينه شـمـــمُ

(الفرزدق، الديوان1987، ص512).

وقد اكتفى "ابن قتيبة" تعليقا على البيتين(*لقد جاء ترتيب البيتين عند ابن قتيبة خلافا لما هما عليه في الديوان ، و كأنه إيماء من ابن قتيبة بإمكان استنباط الحكم النقدي من بيت واحد ، و هذه نظرة قاصرة لأننا -كما نعلم- أن الحكم النقدي لا تستقل فيه الأجزاء عن الكل.) بالقول: « لم يقل أحد في الهيبة أحسن منه، (..)»(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص09)، في حين يمكن أن نقف- بعد التحليل- على حقيقتين في هذا الشاهد هما:

الحقيقة الأخلاقية: أي أن الممدوح "زين العابدين" يغضّ طرفه حياء فيزيد هيبته إكبارا وتعظيما في أعين الناس، فيأسر الموقفُ ألسنتهم، فلا يكلمونه حتى إذا ابتسم إيناسا بهم.

الحقيقة الخَلْقية: وتظهر في البيت الثاني ممثلة في الحسن والوسامة في الوجه، حتى وصف بالأروع؛ وهو من يروعك حسنُه وشجاعته، إضافة إلى اعتدال أنفه واستوائه ما زاد إلى الصورة حسنا على حسن.

ومن هنا تأتي ضرورة هذا الترتيب للبيتين _وهي ما أهمله ابن قتيبة_ لأن الحقيقة الأخلاقية واجبة السّبق بالرتبة على الحقيقة الخَلقية، بل قد تكون هذه الأخيرة مجرد نافلة في غير شخص "زين العابدين"؛ فالعبرة بالمعاملة الحسنة للناس. كما يمكننا الوقوف عند شاهد ثان يذكره "ابن قتيبة"، ليدل به على الضرب الأول الذي يطمع فيه جلّ الشعراء، وهو قول "النابغة الذبياني" من قصيدة بعنوان كليني لهمّ، يا أميمة(*أنشد النابغة الذبياني هذه القصيدة مادحا "عمرو بن الحارث الأصفر ابن الحارث الأعرج" ، حين لجأ إليه في الشام ، ينظر:أبو أُمامة النابغة، 1996، ديوان النابغة الذبياني، هامش ص29) يقول من الطويل:

كِليني لهمٍّ، يا أُميمةُ، ناصـــــــب وليلٍ أقاسيه، بَطيء الكواكـــــــــب

(النابغة الذبياني، الديوان، 1996، ص29).

يعقب "ابن قتيبة" على هذا البيت قائلا: «لم يبتدئ أحد من المتقدمين بأحْسنَ منه ولا أغْرب»(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص09)، فإذا اتفقنا و"ابن قتيبة" على سهولة ألفاظ هذا البيت مخارجَ، واستحسان وقعها في الآذان، فما المقصود بالإعراب في هذا السّياق؟ لقد جاء في لسان العرب أن: «الإعراب الذي هو النحو، إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ » ابن منظور، د.ت، (مادة:عرب)، فإذا كان القصد إلى تمثّل هذه الحقيقة، فإن الشاعر قد أبان لنا وأعرب لمحاوره _حقيقيا كان أم مزعوما_ عن عجزه وانكسار خاطره أمام ليل بطيء الكواكب، ليلٌ ما كادت تنقضي همومه حتى تتجدد باستمرار، أو كأنّي به يفصح قائلا: أُتركيني أتماهى و قدري (...)؛ لأن مجرد التفكير في غير ذلك يزيدني تعبا على تعب.

أما الضرب الثاني، فننقل شاهديه كما يلي:

يقول جرير من الكامل:

إن الذيــــــــن غَدَوا بلبّك غـــــــــادروا وَشَلا بعينِكَ، ما يـزال مَعِينَا
غيّضْنَ من عبراتِهِنَّ وقلنَ لي مـاذا لقيتَ من الهـوى ولقينا؟

(جرير، الديوان، 1986، ص476).

إن العيـــون التي في طرفها حــــور قــتـــلــنـنا، ثم لم يحيين قتـــلانـا
يصرعن ذا اللّب حتى لا حراك بـــه وهنّ أضعف خلق الله أركـانـا

(جرير، الديوان، 1986، ص492).

لقد جاء اعتبار "ابن قتيبة" لهذين الشّاهدين المنسوبين لـ: "جرير" أنهما معدّان لتمثيل هذا الضرب الثاني الذي قدم بالقول عنه:«وضرب حَسُنَ لفظه وحلا، فإذا أنت فتشتهن لم تجد هناك طائلا، (..)»(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص10)، وعليه فالشاعر في الشاهد الأوّل _ بمنظور "ابن قتيبة"_ أحسن التعبير وأجاد الصياغة عن صورة واهنة المعنى؛ إذ يكفي التعبير عنها نثريا أن نقول: إن الذين بانوا ونأوا بعقلك وقلبك جعلوك- بعد مسح الماء القليل من وجهك- حزين الحال كئيبه، فلم تعد لسُؤال الهوى فائدة تُرجى في غياب المجيب: العقل أو القلب. ثم لقد نقبض _ في الشاهد الثاني المذكور لجرير_ على هذا اللفظ الحسن الذي يخلو أو يكاد من الحمولة المعنوية. فالشاعر هنا كما يرى "ابن قتيبة" يعرض بناء لفظيا بديعا لكنّ باطنه غائر؛ فلا حقيقة معنوية ولا حكمة تستفاد؛ لأن الشاعر يؤكد على أنه ينقل أو يعيد استدعاء رؤياه اللّيلية، حين يقول في القصيدة ذاتها:

بتنا نرانا كأنّا مالكون لـــــنا يا ليتها صدّقت بالحق رُؤيـــــانا.

(جرير، الديوان، 1986، ص493).

أما ثالث هذه الأضرب الشعرية فهو الذي عبر عنه "ابن قتيبة" بقوله: « وضرب منه [من الشعر] جاد معناه، وقصُرت الألفاظ عنه، (..)»(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص10)، والشاهد عليه بيتُ النابغة من قصيدة له بعنوان: "أتاني _أبيت اللعن_ أنك لمتني" التي يمدح فيها "النعمان بن المنذر" ويعتذر إليه، بقوله من الطّويل:

خطاطيفُ حُجْنٌ في حِبَالٍ مَتينَةٍ تمـــــــــــدّ بها أيدٍ إليـــــــك نوازعُ

(النابغة الذبياني، الديوان، 1996، ص78).

لتتضح الصورة الشعرية في هذا البيت بالعلاقة الجامعة بين الخُطّاف(*وهو الحديدة المعوجة كالكلُّوب يختطف بها الشيء، وكلّ حديدة حجناء [فيها انحناء] خُطَّاف، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: خطف) واقتداره على الدّلو، كالنعمان _ الملتمَّس عفوه_ واقتداره على النابغة وهو الراغب في هذا العفو والصفح. إلا أن ما أفادنا به "ابن قتيبة" بهذا الصدد، هو رأيه التوضيحي القائل: « رأيت علماءنا يستجيدون معناه، ولا أرى ألفاظه مبيّنة لمعناه.»(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص11)، على أنه قد يحسن بنا أن نجاري "ابن قتيبة"- ولا يسعنا إلا أن نجاريه-، لأنه قد أصاب كبد الحقيقة بشأن قصور ألفاظ هذا البيت موازاة مع الصورة البديعة التي انبنى معجمُها اللفظي على ألفاظ سهلة وواضحة في بيت النابغة الذي سبق هذا البيت مباشرة، وهو قوله من الطّويل:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

(النابغة الذبياني، الديوان، 1996، ص78).

هذا وقد أورد "ابن قتيبة" أمثلة أخرى صريحة الانتساب إلى هذا الضرب الثالث، فنذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر، قول لبيد بن ربيعة من الكامل:

ما عاتبَ الحُرَّ الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

(لبيد بن ربيعة العامري، الديوان، 1962، ص349).

وأردف "ابن قتيبة"_ بعد ذكره هذا البيت_ قائلا: «هذا وإن كان جيد المعنى والسّبك فإنه قليل الماء والرونق»(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص10)، فأنت ترى - في هذا

البيت وفي غيره- كيف أن جودة المعنى لدى "ابن قتيبة" عائدة-لا محالة- إلى ارتباطها بمعان حِكَمِيّة خبيئة تدعو الذهن وتحثّه إلى استيعابها.
أما الضرب الرابع، فهو الذي قصده "ابن قتيبة" بقوله: « وضرب منه تأخر لفظه وتأخر معناه،(..) »(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص11)، ولعل شمول جانب الرداءة في هذه العبارة للفظ والمعنى معا، هو المبرر الكفيل_ من الناحية القيميةAxiologique(* تتمايز هذه الكلمة التي تتعلق بكل ما هو قيمي أو حقائق قيمية ، عن الكلمة: "Axiologie" التي تعني: نظرية القيم أوعلم القيم. ينظر، أندريه لالاند،2001، موسوعة لالاند الفلسفية، ص125)، بتفسير: لماذا جاء تأخير "ابن قتيبة" لهذا الضرب دون سائر الأضرب المذكورة سلفا؟

ولك تمثيل حيّ عن هذا الضرب، بيت "جرير" من قصيدة يهجو فيها الفرزدق، عنوانها "بئس الفوارس مجاشعُ"، التي أخذ في إلقائها بين يدي الخليفة الأموي، "الوليد بن عبد الملك"، فاستحسن إنشاده حتى إذا بلغ قوله:

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العصا! هلاّ هزئت بغيرنا يا بَـــــــوْزَعُ
(جرير، الديوان، 1986، ص268).

امتقع وجه الخليفة، وفتر عن الإصغاء، وقد عاب على الشاعر بيته هذا، قائلا له: «أفسدت بهذا الاسم شعرك، وقد يقدح في الحسن قبح اسمه، ويزيد في مهانة الرجل فظاظة اسمه، (..) »(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص12)، فهذا البيت المتقدم ذكره، على رداءته من جهة المعنى، فقد مجّ الأسماع من جهة اللفظ؛ باستخدام الشاعر لهذه اللفظة_ بَوْزَعُ_ تلك المرأة التي تزيد _ كما يقول "ابن قتيبة"_ من مهانة مستخدمها، ولا تكاد تُبين عن المعنى، ومن هذا القبيل قول الأعشى من البسيط:

وقد غَدَوتُ إلى الحانوت يَتبعُني شَاوٍ مِشَلٌّ*** شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَـــــــوِلٌ****
(الأعشى الكبير ميمون بن قيس، الديوان، دس، ص59).

هذا الإطناب اللفظي الذي يشوب عجز هذا البيت، فأغلب الظن أن جلّ هذه الألفاظ - على غرابتها ووحشيتها- تخدم معنى واحدا وهو سرعة الحركة وخفتها، أو قل أنها أدّت - على الأرجح- إلى تضييع هذا المعنى وإغرابه.

دلالة اللفظ ودلالة المعنى عند "ابن قتيبة":

علاوة على ما قلناه بشأن تقسيم "ابن قتيبة" للشعر، وقد تقرر لدينا تعبيده لطريق أحكام المنطق إلى الشعر، ومن هنا جاء استغراب "محمد مندور" في عبارته القائلة: « والغريب أننا نرى "ابن قتيبة" حتى في اتجاهه النقدي أكثر توفيقا في النزعة منه في النقد ذاته وفي المذهب الفني أكثر منه في الذوق الذي يعمله في النصوص، ولعل هذا لغلبة تفكيره على حسه الأدبي، فهو موجّها خير منه ناقدا»(محمد مندور، 2005، ص28)، ونحن نسجل "المندور" وجاهة هذه اللفتة النقدية الحسنة واعتدالها؛ بالنظر إلى أن الشعر قد أمسى حقيقة من حقائق المنطق من جراء تغليب "ابن قتيبة" لفعل التفكّر على حسّ التذوّق.
وهكذا، فعند مساءلتنا الارتجاعية لما تم قوله عن الضرب الثاني للشعر، وقد حسُن لفظه وقصُر معناه، أو عن الضرب الثالث الذي جاد معناه وقصُر لفظه، هذا يفرض طرح هذين التساؤلين:

*** أي الطرد الذي يؤدي إلى التفرق ؛ «و الشَّلُّ و الشَّلَلُ: الطرد، (..) و شلَلْتُ الإبل أَشُلُّهَا شَلّا إذا طردتها فانْشَلّت، أي تفرقت و المقصود هنا: تفرق الطهاة. ينظر لسان العرب، م4، مادة: شلل.
**** تأتي هنا شول وشلشل بمعنى واحد و هو الخفة و السرعة في العمل، و رجل شول أي خفيف في العمل و الخدمة»، ينظر: المرجع نفسه مادة: شول.

ما السّر الذي جعل "ابن قتيبة" يقضي بالاستحسان أو القصور في لفظ الشّعر أو معناه بمجرد الانتقال من ضرب إلى آخر فيه؟

ثم هل يحصل التّمكين لشعرية الشعر_ مع ابن قتيبة_ بمجرد القول أنها جماع لألفاظ ومعاني قد يشمل الاستحسان هذه دون تلك في مقول ما أو العكس؟

إن القول بالاستحسان اللفظي في قول "جرير" المتقدم "إن الذين غدوا بلبك غادروا" مرده إلى انبهار "ابن قتيبة" بجمال شكله وبناء ألفاظه البديع؛ فـ : « واضح من كلماته أن ما يعزوه من جمال للألفاظ ليس إلا تكوينها الصوتي والموسيقي، وما يكون بينها من إيقاع حسن، (..) »(محمد زكي العشماوي، 1979، ص279)، أما سؤال المعنى والاعتبار به في الشعر فلا يكون كذلك عند "ابن قتيبة" «إلا إذا اشتمل على حكمة أو مثل أو فكرة فلسفية أو معنى أخلاقي، أما ما عدا هذا من مجرد التصوير لحالة نفسية أو التعبير عن موقف نفسي أو إنساني فلا يُعدّ عنده معنى.»(محمد زكي العشماوي، 1979، ص280) فيُفهَم حينذاك أن "ابن قتيبة" تروقه من الشعر العبر المعنوية الدالة قبل العبارات اللفظية ذات الرونق الجميل.

ونحن نأبى استرسال هذا الحديث دون استبيان يكون أكثر وفاء عن مزاوجة "ابن قتيبة" بين جمال اللفظ وإفادة المعنى، كما جاء في الضرب الأول.إلا أن وقفتنا هذه المرة تحظى بشاهد جديد لم نفرده_ فيما تقدم_ بسابق نظر؛ وهو قول أبي ذؤيب من الكامل:

والنفس راغبة إذا رغبتـــــها وإذا تـــــرد إلى قليل تقـــنـــــــــع

(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، 1932، ص09) .

إن الناظر في تركيب هذا البيت الشعري يحكم بجواز إعادة صياغة معناه بطريقة منطقية وفق هذين القياسين:

إذا كانت النفس راغبة فهي غير قنوعة، وإذا كانت قنوعة فهي غير راغبة.

إذا لم تكن النفس راغبة فهي قنوعة، وإذا لم تكن قنوعة فهي راغبة.

وبهذا الشكل يكون هذا البيت معادلا من جهة المعنى لقوة أربع قضايا شرطية متصلة؛ فإما أن يعبر الشاعر بصيغة الإثبات_ كما في المثال_ فيعمد إلى القياس الأول، أو يأتي بصيغة النفي فيعبر وفق هذا القياس الثاني. وحقيقة الشاعر بعد ذلك في حقيقة هذه النفس في تردّدها بين حالين، فهي إما راغبة وإما قنوعة، ولا يمكن اجتماع الأمرين البتة.

خاتمة:

على أنه قد تقرر على البحث حتى الآن تسجيل بعض المآخذ على نقد ابن قتيبة بخصوص مسألة اللفظ والمعنى وتصوره عن الشعر وارتباطه بالنظرة المنطقية بشكل محدّد:

أولا: تعليق أمر الجودة في الشعر على المضمون/المعنى الأخلاقي والفلسفي بالأساس دون كبير اعتبار لأمر الصياغة والتصوير.

ثانيا: محدودية أفق الرؤية الشعرية لدى ابن قتيبة؛ نظرا لاحتكامه إلى التفسير المعجمي الضيق، مع أن للفظة في الشعر إشعاعات تتجاوز بها حدودها العادية؛« ممّا يعني أيضا أن التمثيل اللغوي ينطوي على كثير من إعادة الترتيب والتنظيم وليس مجرد استنساخ أمين لما هو موجود»(ميجان الرّويلي وسعد البازعي، 2002، ص221).

ثالثا: كما أن قصر المعنى في الشعر على المضمون الفكري هو فعل جريء قد يجافي طبيعة الشعر ذاته؛ « وتصبح القصيدة في هذه الحالة شأنها شأن أي مقال فلسفي أو اجتماعي،(..) »(محمد زكي العشماوي، 1979، ص283).

إلاّ أن ما يلزمنا في هذه الكلمة الأخيرة هو تأكيد الإقرار باعتدالية ابن قتيبة؛ وإنْ كان أوفق فيها بمستوى النظر دون مستوى العمل/النقد.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور، معجم لسان العرب، تحقيق، عبد الله علي الكبير وآخرون، د.ط، دار المعارف، القاهرة-مصر.
2. أبو خزرة جرير، (1986)، ديوان جرير، دون محقق، د.ط، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.
3. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (1965)، الحيوان، تحقيق وشرح، عبد السلام محمد هارون، ط2، ج5، مطبعة مصطفى اليابي الحلبي- مصر الجديدة.
4. أبو فراس الفرزدق،(1987)، ديوان الفرزدق، شرح وضبط، علي فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.
5. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (1932)، الشعر والشعراء، تعليق، مصطفى أفندي السقا، ط2، مطبعة المعاهد، القاهرة- مصر.
6. أندريه لالانـــد، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب، خليل أحمد خليل، تعهد وإشراف، أحمد عويدات،(2001) ، ط2، م1، منشورات عويدات، بيروت- باريس.
7. ديوان لبيد بن ربيعة العامري،(1962)، تحقيق وتقديم، إحسان عباس، د.ط، مطبعة حكومة- الكويت.
8. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري،(1962)، تحقيق وتقديم، إحسان عباس، د.ط، مطبعة حكومة-الكويت.
9. محمد زكي العشماوي، (1979) ، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.
10. محمد مندور، مارس(2005)، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، د.ط، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر.
11. ميجان الرويلي وسعد البازعي، (2002)، دليل الناقد الأدبي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب.
12. ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، د.ط، دون محقق.
13. النابغة الذبياني، شر وتق: عباس عبد الساتر، (1996)، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

النظرة التاريخية للصحة الإنجابية
Historical Outlook of reproductive Heath

أ.سيهام عبد العزيز، جامعة محمد لمين دباغين سطيف2- الجزائر
أ.حياة طاهري، جامعة باتنة 1– الجزائر

ملخص: تعد الصحة الإنجابية من أهم أسرار المحافظة على حياة الأفراد كما أنها عامل أساسي في تحقيق رفاه وتوازن نفسي وعاطفي للأفراد، وينص المؤتمر الدولي للسكان والتنمية بالقاهرة سنة 1994 بأن الصحة الإنجابية تعني قدرة الإنسان على التمتع بحياة جنسية آمنة ومُرضية وأن لديهم القدرة والحرية على اتخاذ قرار الإنجاب وتنفيذه من حيث الزمان والمكان، ويتمثل الغرض من الصحة الإنجابية والجنسية السليمة في تحسين نوعية وجودة الحياة والوقاية بكل الطرق المتاحة من الأمراض المنقولة جنسياً، ولهذا تعتبر الصحة الإنجابية جزءاً هاماً من الصحة العامة وسمةً أساسيةً للتنمية البشرية، بل هي أيضاً انعكاس للصحة خلال مرحلة الطفولة والمراهقة والبلوغ، وتمهد الطريق للصحة خلال سنوات الإنجاب، وتكمن أهمية الصحة الإنجابية في تأثيرها الكامل والمباشر والغير مباشر على الصحة العامة للنساء والرجال، مما يجعلها مؤشراً هاماً للتطور الإقتصادى والاجتماعي. ولهذا حاولنا في دراستنا هاته أن نلفت النظر على موضوع الصحة الإنجابية والأهداف الإنمائية لها.

الكلمات المفتاحية :الأهداف الإنمائية، الصحة، الصحة الإنجابية.

Abstract: Reproductive health is one of the most important secrets for maintain the lives of person and it is the basic for the psychological and emotional balance of individuals. The International Conference on Population and Development in Cairo in 1994 states that reproductive health means the ability of men to enjoy safe and satisfactory sexual lives and and freedom to make a decision for Reproduction and implementation in time and place. The purpose of healthy reproductive and sexual health is to improve the quality of life and to prevent all available forms of sexually transformed diseases. Reproductive health is an important part of public health and feature key of human development. It is also a reflection of health during childhood, adolescence and adulthood, smoothing the way for health on reproductive years. The importance of reproductive health direct and indirect impact on the public health of women and men, what is make her An important indicator of economic and social development. In this study, we have tried to shed light on the history of reproductive health.

Keywords: Development Goals, - Health, Reproductive Health.

مقدمة:

لقد أصبح الوعي بالصحة الإنجابية مطلباً لتحقيق السلامة الصحية، وسبيلاً لمواجهة القضايا والمشكلات الصحية التي تهدد الإنسان في العالم أجمع، فالمتتبع لوسائل الإعلام المختلفة يلمس بوضوح مدى تفاقم القضايا والمشكلات الصحية التي تعاني منها الشعوب، وما يترتب عليها من تبعات صحية خطرة تتمثل في التزايد الضخم والمتسارع في أعداد المصابين بالإيدز **ADIS**، وتزايد نسب من يعانون من أمراض وراثية متعددة، الأمر الذى يوجب تكثيف الجهود التوعوية لمواجهة هذه القضايا والمشكلات الصحية المعاصرة، من خلال البرامج التثقيفية لدعم الرعاية الصحية وزيادة فعّالية أدوار الجامعة والأسرة وغيرها من مؤسسات المجتمع ذات العلاقة بإثراء المعارف الصحية لدى أفراد المجتمع وإكسابهم العادات الصحية السليمة والاتجاهات الايجابية نحوها. فكلما ارتفع المستوى التعليمي للفرد ازداد الوعي الصحي لديه، وبالتالي يتزايد إلمامه بالمشكلات والمخاطر ذات العلاقة بالصحة الإنجابية. فالمرأة المتعلمة تكون أكثر وعيا بمخاطر الحمل المتكرر، وكثرة عدد مرات الولادة، وأهمية التغذية، ورعاية الجنين، والولادة الآمنة، وغيرها من المفاهيم التي تؤثر بالإيجاب أو السلب في مستوى صحتها الإنجابية، كما أنها تكون أكثر إلماما بكيفية التعامل مع المشكلات الصحية سواء بنفسها، أو بالعرض على المتخصصين لتلقي الرعاية الصحية المناسبة، ونظراً لأهمية التوعية بالصحة الإنجابية، فقد حرصنا على تقديم بحثنا هذا، المتضمن الأهداف الإنمائية للصحة الإنجابية.

أولا: الإشكالية وأبعادها

1.الإشكالية:

إن الحياة الجنسية والإنجاب من السمات الأساسية في حياة البشر، غير أنهما لا ينالهما إلا القليل من الاهتمام غالباً في المناقشات التي تتمحور حول السياسات العامة لما يكتنف هذا الموضوع من حساسيات ثقافية وسياسية وعلى النقيض من الأمراض تتوارى المشاكل المتعلقة بالصحة الجنسية والإنجابية وراء حواجز الحرج والسرية ونرى أنه رغم ذلك هناك دراسات للصحة الجنسية والإنجابية للمرأة حاولت أن تعالج هذه المشاكل ومن هذه الدراسات نجد:

دراسة **د كارلوس هويزو** 1997 في كتابه **الدليل الطبي لتقديم خدمات الصحة الإنجابية والجنسية** وتم تصميم الدليل لاستخدامه في برامج الصحة الإنجابية بما فيها تنظيم الأسرة فهو مرشد واضح المعالم يركز على تقديم الخدمة التي تصل إلى المستويات الأساسية للجودة (الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة، 2004، ص56**).**

دراسة كل من شيرين جيجيبهوى **Shireen Jejeebhoy** ومايكل كونيج **Michael Koenig** 2001 حول **" عدوى الجهاز التناسلي وغيرها من اضطرابات أمراض النساء : منهج بحث متعدد المجالات"** (Jejeebhoy, Shireen Michael Koenig,2003,P65 **)**

Reproductive Tract Infections and Other Gynaecological Disorders Multidisciplinary Research Approach

وتطرقوا في دراستهم إلى طائفة كبيرة من الأمراض التي تصيب المرأة من بين أكثرها شيوعًا عدوى الجهاز التناسلي ويمكن لتلك العدوى أن تنتقل عن طريق المعاشرة الجنسية،أو عن عدوى مرتبطة بالإجهاض،أو الولادة أو عمليات التعقيم أو إيلاج اللولب داخل الرحم وكذلك تطرقوا إلى الاضطرابات الهرمونية،وسقوط الرحم، وفقدان الخصوبة، والخلل الجنسي، وأعراض انقطاع الطمث ويمكن بسبب الإزعاج الذي تسببه تلك الحالات أن تفقد المرأة قدرتها على المشاركة في طائفة واسعة من الأنشطة كما قد يضر بسلامة الصحة النفسية وتوصلوا إلى استخلاص أفضل الأساليب لمكافحة الأمراض الخاصة بالصحة الإنجابية.

دراسة سارة هوكس Sarah Hawkes ونيكولا لو Nicola Low و إلياس كريستوفر Christopher Elias2003 حول **أمراض النساء** و تضمنت الدراسة مجالا واسعا في أمراض النساء وضرورة إجراء الاختبارات المخبرية التي تصيب الجهاز التناسلي للمرأة وتتضمن تلك التقنيات الماسحات المهبلية ذاتية الاستخدام واختبارات البول، واختبارات اللعاب، واختبارات الدم عن طريق وخز الإصبع وتأثير تلك الفحوصات والاختبارات على الصحة الإنجابية (http/*www.gatesfoundation.org/fr/Who-We-Are*).

ومما سبق ذكره من الدراسات يمكن لنا أن نستنتج انه لا تندرج جميع الأمراض والمشاكل الصحية تحت مسمى الصحة الإنجابية وإنما بتلك التي لها علاقة بالجهاز التناسلي والعملية الإنجابية وفي هذا الإطار يمكننا طرح إشكالية الدراسة المتمثلة في ماذا تتمثل عناصر ومكونات خدمات الصحة الإنجابية ؟

2.الفرضيات:

-يمكن مواجهة المعوقات الاجتماعية والاقتصادية المتسببة في مشكلات الصحة الإنجابية التي تواجهها المرأة والتغلب عليها.

3.أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التطرق لمفهوم الصحة الإنجابية وعناصرها، الأهداف الإنمائية التي وردت في المؤتمر الدولي للسكان والتنمية.

4. ثانيا :النظرة التاريخية للصحة الإنجابية

1.مفهوم الصحة الإنجابية: إن مفهوم الصحة الإنجابية كما ورد في برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية عام1994 بأنها" حالة السلامة البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة وليس مجرد انعدام المرض أو العجز في جميع الأمور المتعلقة بالأجهزة التناسلية ووظائفها وعملياتها ."ويدل هذا التعريف أن جميع البشر رجالا ونساء ومن جميع الأعمار يحتاجون إلى الصحة الإنجابية بشكل أو بآخر .فالصحة الإنجابية تحددها مستويات التنمية الاجتماعية، و الاقتصادية، وأنماط الحياة، ومكانة المرأة في المجتمع، ونوعية الرعاية الصحية وتوافرها .وتتحمل المرأة معظم عبء سوء الصحة المرتبط بالإنجاب (أحمد رجاء عبد الحميد رجب، 2013، ص12).

2. الفئات المستهدفة بالصحة الإنجابية

الرجل والمرأة في سن الإنجاب: لرفع المستوى الصحي لهما.

المراهقين والشباب: لتجنيبهم السلوكيات الضارة التي قد تؤدي لأخطار تهدد صحتهم الحالية والمستقبلية، ولرفع الوعي لديهم ليجهزوا أنفسهم للمستقبل، ويتحملوا مسؤولياتهم تجاه صحتهم والأسر التي سيشكلونها.

النساء ما بعد سن الإنجاب: للوقاية من الأمراض التي تتعلق بالجهاز التناسلي، وكشفها المبكر ما أمكن وتدبير السبل المثلى لعلاجها.

الطفل ما بعد فترة الولادة: للحفاظ على صحته وبقائه وحمايته ونمائه.

3. المؤتمرات الخاصة بالصحة الإنجابية :

فهناك مؤتمرات أقامتها الأمم المتحدة خاصة بالسكان، إلا أنها ناقشت في وثائقها قضايا متعلقة بالصحة الإنجابية، وهي:

3-1 المؤتمر العالمي الأول للسكان في رومانيا عام 1974: وقد اعتمدت في هذا المؤتمر خطة عمل عالمية (http://www.who.int/reproductivehealth/ar) جاء فيها:

الدعوة إلى تحسين دور المرأة ودمجها الكامل في المجتمع.

الدعوة إلى مساواة المرأة بالرجل.

الدعوة إلى تحديد النسل، وتخفيض المرأة لمستوى خصوبتها.

2-3 المؤتمر الدولي المعني بالسكان في المكسيك عام 1984: وقد جاء في هذا المؤتمر(International Women's Health Coalition ,1991)
الدعوة إلى إعطاء المرأة حقوقها المساوية لحقوق الرجل في جميع مجالات الحياة.
الدعوة إلى رفع سن الزواج، وتشجيع التأخر في الإنجاب.
إشراك الأب في الأعباء المنزلية، وإشراك المرأة في المسؤولية على الأسرة.
الإقرار بالأشكال المختلفة والمتعددة للأسرة.
الدعوة إلى التثقيف الجنسي للمراهقين والمراهقات.
الإقرار بالعلاقات الجنسية خارج نطاق الأسرة.

3-3 مؤتمر نيروبي 1987: انعقد مؤتمر نيروبي للأمومة الآمنة عام 1987 الذي خرج بتوصيات كان من أبرزها ضرورة نشر الوعي حول الأمومة الآمنة، وذلك لخفض معدلات وفيات الأمهات، وتقليص نسب إصابتهن بالأمراض، حيث قرر المؤتمر حث الدول على العمل على خفض وفيات الأمهات بنسبة 50% بحلول عام 2000 من خلال اعتماد الاستراتيجيات التالية (صندوق الأمم المتحدة للسكان،1995،ص35).
إنشاء لجان وطنية للأمومة الآمنة متعددة الأطراف .
وضع سياسات وطنية لتفعيل برامج الأمومة الآمنة .
العناية بالتدريب الخاص بالكوادر الصحية.
تقوية الدعم السياسي والمادي لمشاريع الأمومة.
توفير خدمات الطوارئ الجيدة أثناء الحمل والولادة .
العناية بالطفل الوليد وتوفير الإمكانات اللازمة .

4-3 **المؤتمر الدولي للسكان والتنمية (القاهرة 1994):** انعقد في مدينة القاهرة، بمصر في الفترة ما بين 5 إلى 13 أيلول 1994 حضر المؤتمر 20000 ممثل عن حكومات متعددة ووكالات تابعة للأمم المتحدة ومنظمات لا حكومية وذلك للحديث حول قضايا متنوعة مختصة بالسكان، تتضمن الهجرة ووفيات الأطفال وتحديد النسل وتنظيم الأسرة إضافة إلى تعليم النساء وحمايتهن من مساعدات الإجهاض الخطرة. تلقى المؤتمر اهتماما إعلاميا كبيرا عائدا إلى الجدل المتعلق بشأن التأكيد على الحقوق الإنجابية (الأمم المتحدة ، 1994، ص26).
فقد توصل ممثلوا المؤتمر إلى إجماع على الأهداف النوعية والكمية الأربعة التالية:

الثقافة العالمية :الثقافة العالمية المبدئية في جميع البلدان بحلول عام 2015. وحث البلدان على تأمين وصول أكثر للنساء إلى مستوى الثقافة الثانوية والعليا علاوة على التدريب المهني والتقني.

تخفيض وفيات الرضع والأطفال :على الدول أن تجاهد لتخفيض معدل وفيات الرضع والأطفال دون سن الخامسة بمقدار الثلث أو بحوالي 50 إلى 70 وفاة لكل ألف شخص بحلول عام 2000. وعلى جميع الدول بحلول عام 2015 أن تحقق معدلا أدناه 35 وفاة لكل ألف ولادة ومعدلا للأطفال دون سن الخامسة يكون 45 كحد أدنى لكل ألف.

تخفيض وفيات الأمهات :يجب تحقيق انخفاض بمقدار النصف لمستويات عام 1990 بحلول عام 2000 ونصف ذلك بحلول عام 2015. كما يجب الحد من التفاوت في معدلات وفيات الأمهات بين البلدان وبين المناطق الجغرافية والمجموعات الاقتصادية الاجتماعية إضافة إلى المجموعات العرقية.

إمكانية الحصول على خدمات الصحة الجنسية والتناسلية بما فيها تحديد النسل :استشارة تخطيط العائلة والعناية ما قبل الولادة والولادة الآمنة علاوة على العناية ما بعد الولادة والمنع والمعالجة المناسبة للعقم ومنع الإجهاض وإدارة نتائجه ومعالجة عدوى المنطقة التناسلية والأمراض المنقولة جنسيا وغيرها من شروط الصحة التناسلية. إضافة إلى الثقافة والمشورة

المناسبة حول النشاط الجنسي الإنساني والصحة التناسلية والأبوة المسؤولة. كما يجب تيسير الحصول على الخدمات المتعلقة بفيروس نقص المناعة البشرية المكتسب الإيدز (وسرطان الثدي والعقم والولادة والتثبيط الفعال للتشويه التناسلي النسائي الختان).

المؤتمر العالمي الرابع المعني بالمرأة في (بكين):

الدعوة إلى الحرية والمساواة .

السماح بحرية الجنس.

العمل على نشر وسائل منع الحمل.

الحد من خصوبة الرجل.

تحديد النسل .

السماح بالإجهاض المأمون.

التركيز على التعليم المختلط بين الجنسين وتطويره، وكذلك تقديم الثقافة الجنسية في سن مبكرة، وتسخير الإعلام لتحقيق هذه الأهداف (*http/* www.waadnow.org).

مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة عام 2000: الذي انعقد في الفترة من 5 إلى 9 جوان 2000 في مقر الأمم المتحدة في نيويورك وقد تضمنت وثيقة هذا المؤتمر التحضيرية ما يلي: سيكون مؤتمر بيجين + 5 بمثابة دورة استثنائية للجمعية العامة بعنوان "المرأة عام 2000: المساواة بين الجنسين والتنمية والسلام في القرن الحادي والعشرين(http://www.saaid.net/female/m82.htm?print_it=1).

ثالثا / العوامل والمبادئ التي ترتكز عليها الصحة الإنجابية

1.العوامل المؤثرة في الصحة الإنجابية:

تؤثر وتتأثر الصحة الإنجابية بحالة المجتمع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فهي تتأثر سلباً بانتشار الأمية والبطالة، وبتقاليد المجتمع وعاداته ومعتقداته وقيمه. كما تتأثر بالبيئة الأسرية والعلاقات المتشابكة بين أفرادها، وعلاقة الأب بالأم، وعلاقة كليهما بالأبناء والبنات.

السلوكيات ذات العلاقة بالزواج والإنجاب وتكوين الأسرة، هذه السلوكيات تتحكم فيها عوامل معقدة منها العوامل: الثقافية، والبيولوجية، والنفسية، والاجتماعية (Population Reports , 1993).

مكانة المرأة في المجتمع، ففي كثير من أنحاء العالم تتعرض البنات للتمييز فيما يتعلق بتوزيع الموارد العائلية، وبالحصول على الرعاية الصحية. وفي المناطق التي تتدنى فيها مكانة المرأة تأتي صحتها وتعليمها وحاجاتها العاطفية في الدرجة الثانية بعد الرجل، وتُبين الدراسات أن الفتيات في بعض البلدان قد لا يحصلن على المعالجة الطبية أثناء مرضهن، أو قد يحصلن على رعاية غير كافية.

مستوى الخدمات الصحية فلا يمكن الوقاية من المشكلات الإنجابية أو علاجها أو الحد منها دون توافر خدمات صحية ذات جودة عالية، تم التخطيط لها لتلبي الاحتياجات الصحية للفئات المختلفة، مع ضمان سهولة الوصول إليها.

2.المبادئ التي ترتكز عليها الصحة الإنجابية والإجراءات الخاصة بها

الصحة الإنجابية ترتكز على عدد من المبادئ الأساسية التي تشكل العناصر الجوهرية للرعاية الصحية الأولية، (Sondra Zeidenstein and Kirsten Moore,1996) وهي:

ضرورة ارتكاز التدخلات على أفضل المعلومات العلمية المتوفرة، وألا تستعمل إلا تلك الطرائق التي أثبت العلم صحتها.

-ضرورة تحقيق العدالة في إيصال الرعاية الصحية إلى الجميع، بما فيهم الفقراء والمحرومين.

-ضرورة تقديم الحد الأدنى من الخدمات التي يستطيع نظام الرعاية الصحية أداءها بصورة مناسبة.
-عدم تركيز أي من الموارد البشرية والمادية في موقع القمة من نظام الرعاية الصحية، وضرورة إعادة توزيعها بين المناطق المحيطية والمجتمعات التي يعيش فيها السكان (اللامركزية).
-تشكل المنطقة الصحية الوحدة الأساسية لتخطيط خدمات الصحة الإنجابية وتنفيذها، ولهذا يجب توجيه معظم الرعاية الصحية نحو قاعدة هرم الرعاية الصحية.
-توفر نظام إحالة فعال حيث يتطلب معالجة المضاعفات والأمراض المزمنة والحالات الخطرة تجهيزات ومهارات لا تتوفر إلا في مستويات رعاية أعلى.
-توفير نظام إشراف داعم وإيجابي.
-توفير المعدات والعقاقير والأدوية واللوجيستيات اللازمة.
-تدريب العاملين في مجال الصحة الإنجابية على مهامهم المختلفة ويجب أن يعمل الفريق الصحي بروح عمل الفريق في إطار من التعاون.
-ضرورة استعمال التقنيات بصورة مناسبة، وتجنب التدخلات ذات التقنية العالية عند توافر الخيارات المعادلة لها من حيث الفعالية.
-ضرورة مشاركة المجتمعات المحلية والجمعيات الأهلية في تقييم الخدمات وتطويرها وتنفيذها والتنسيق بين القطاعات المختلفة خاصة مع القطاع الخاص.

3. أهداف الصحة الإنجابية

تهدف الصحة الإنجابية إلى تحسين نوعية الحياة والعلاقات الشخصية، وهي ليست مجرد تقديم المشورة و الرعاية الطبية فيما يتعلق بالإنجاب والأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي ويمكننا تحقيق الصحة الإنجابية من خلال تقديم الرعاية الصحية للنساء في عمرهن الإنجابي سعيا للوصول إلى تمام الصحة الجسدية والعقلية والحفاظ على ظروف اجتماعية ملائمة (Sonia M.A. Rahim, et.el, 1991, PP: 492-503)، وتتمثل هذه الاهداف في ما يلي:
- تقليص عدد الوفيات عند النساء والأطفال.
- الكشف المبكر وعلاج سرطان الثدي والرحم وعنق الرحم.
- العناية والمتابعة الصحية خلال فترة الحمل.
- الإصغاء والكشف عن العنف الموجه ضد المرأة.

4. مؤشرات الصحة الإنجابية: مكونات ومؤشرات الصحة الإنجابية هي كالآتي (World Health Organization 1992**)** **:**
- صحة الأم والطفل.
- رعاية ما بعد الإجهاض.
- الرضاعة الطبيعية.
- التهاب الجهاز التناسلي والأمراض المنقولة جنسيا.
- التغذية.
- العقم.
- تنظيم الأسرة.
- الممارسات الخاطئة والتمييز بين الجنسي المراهقة.

5. المشاريع والبرامج الخاصة بصحة المرأة: تعرف اليوم اهتماما كبيرا من طرف الأخصائيين والمسؤولين بوزارات: الصحة، الأسرة و التضامن وهي تهتم**(**فائقة مجاهد، واقع المشاريع الصحية الموجهة للمرأة، 2005، ص17).

- تدريب الأطباء والقابلات.
- تقديم خدمات صحية.
- تطوير البنية التحتية والمؤسساتية.
- رسم سياسات مستقبلية تشمل صحة المرأة من أول يوم الى 99سنة.
- تزويد المصالح والمراكز والمؤسسات بالوسائل الضرورية للخدمة المقدمة.
- توعية إعلامية (تلفزيون، راديو، مطبوعات، مناشير، ملصقات).
- تثقيف وتوعية صحية للأطباء والقابلات وكل العاملين في قطاع الصحة.
- تطوير/تزويد بالأجهزة والمعلومات.

6. تحسين الصحة الانجابية :

6-1 تخفيض معدل الوفيات النفاسية بمقدار ثلاثة أرباع في الفترة ما بين 1990 و 2015 انخفضت وفيات الأمهات إلى النصف تقريبا منذ عام 1990، حيث وقعت ما يقدر بنحو 287،000 حالة وفاة في جميع أنحاء العالم في عام 2010، وهو ما يعني انخفاض بنسبة 47 % مقارنة بعام 1990، وأحرزت جميع المناطق تقدم ولكن هناك حاجة للتدخلات المعجلة لتحقيق هذه الغاية.

انخفض معدل وفيات الأمهات بنحو الثلثين في شرق آسيا، وفي شمال أفريقيا وجنوب آسيا، يولد ما يقرب من 50 مليون طفل في جميع أنحاء العالم بدون وجود رعاية مدربة.

نسبة وفيات الأمهات في المناطق النامية لا يزال أعلى 15 مرة منه في المناطق المتقدمة، ضاقت فجوة خدمات الرعاية الماهرة أثناء الولادة بين المناطق الريفية والحضرية (www.popcouncil.org/me/index.html).

6-2 تعميم إتاحة خدمات الصحة الإنجابية بحلول عام 2015: يتلقى مزيد من النساء رعاية ما قبل الولادة .وارتفعت نسبة تقديم تلك النوع من الرعاية من63% في عام 1990 إلى 81 % في عام 2011بالمناطق النامية.

نصف نساء المناطق النامية يتلقى الرعاية الصحية الموصى بها التي يحتاجون إليها.

انخفض معدل الولادات في أوساط المراهقات في معظم المناطق النامية، إلا أن التقدم تباطؤ.

الزيادة الهائلة لاستخدام وسائل منع الحمل التي حدثت في فترة 1990 لم تحدث في فترة 2000.

تلبية الحاجة إلى تنظيم الأسرة لعدد أكبر من النساء يحدث ببطء ، ولكن الطلب يتزايد بوتيرة سريعة.

المساعدة الإنمائية الرسمية لرعاية الصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة لم تزل منخفضة((www.popcouncil.org/me/index.html).

خاتمة:

وفي الأخير تتمثل أهداف الصحة الإنجابية في بلوغ جميع شعوب العالم أعلى مستوى ممكن من التمتع بالصحة الجنسية والإنجابية، وهي تسعى جاهدة إلى إقامة عالم تُعزّز وتُحمى فيه جميع حقوق المرأة والرجل في التمتع بالصحة الجنسية والإنجابية، وتُتاح فيه المعلومات والخدمات المتعلقة بالصحة الجنسية والإنجابية للنساء والرجال كافة، بمن فيهم المراهقون والفئات التي تعاني من نقص الخدمات أو الفئات المهمشة.

قائمة المراجع:

1. الإتحاد الدولي لتنظيم الأسرة،(2004)، الدليل الطبي لتقديم خدمات الصحة الإنجابية والجنسية، ط3، لندن.
2. أحمد رجاء عبد الحميد رجب(2013) ،الصحة الإنجابية، ط1، جامعة الأزهر.

3. صندوق الأمم المتحدة للسكان(1995)، حالة سكان العالم، قرارات من أجل التنمية المرأة والتمكين والصحة الإنجابية.
4. الأمم المتحدة (1994)،تقرير المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، المؤتمر الدولي للسكان والتنمية، القاهرة.
5. فائقة مجاهد(2005)، واقع المشاريع الصحية الموجهة للمرأة في الجمهورية الجزائرية الديموقراطية، منظمة الصحة العربية.
6. Jejeebhoy, Shireen, Michael Koenig, and Christopher Elias (eds.). **(**2003**)**. Reproductive Tract Infections and Other Gynaecological Disorders: A Multidisciplinary Research Approach. Cambridge: Cambridge University Press.
7. *http/www.gatesfoundation.org/fr/Who-We-Are*
8. International Women's Health Coalition (1991). Reproductive Tract Infections In Women in the Third World, National & International Policy Implications. Report of a Meeting at the Bellagio Study and Conference **,**Center Lake Como, Italy, April 29-May
9. *http/* www.waadnow.org.
10. http://www.saaid.net/female/m82.htm?print_it=1
11. Population Reports 1993) : Controlling Sexually Transmitted Diseases. Series L, Number 9.
12. Sondra Zeidenstein and Kirsten Moore (1996) : Learning About Sexuality, A Practical Beginning. The Population Council, International,Women's Health Coalition, New York.
13. Sonia M.A. Rahim, et.el., (1991) :Hepatitis B Infection in Sanaa City, Republic of Yemen, Prevalence Among Pregnancy Women & Maternal-Fetal Transmission. The Journal of the Egyptian Public Health ,Association , Vol. LXVL; No. 5,6 PP: 492-503.
14. World Health Organization (1992) :School Health Education To revent AIDS and Sexually Transmitted Diseases. WHO AIDS Series 10, World Health Organization in Collaboration with the United Nations Educational Scientific & Cultural Organization.
15. The Population Council Office for the Middle East and Western Asia region (in Cairo) has been conducting research in Egypt to address the link between household poverty, underemployment, gender norms, and fertility. See: www.popcouncil.org/me/index.html**.**

تاريخ القياس النفسي وأهميته في العلوم الاجتماعية.

The history of psychometryand its important in social sciences

أ.عيواج صونيا، جامعة باتنة 01-الجزائر

ملخص: يشكل القياس النفسي باعتباره منهجا علميا لتقويم الوظائف النفسية وخاصة الذكاء مركز العديد من الأبحاث النفسية والإكلينيكية، وقد بدأ القياس النفسي مواكبا في تقدمه لعلم النفس متقدما معه منذ منتصف القرن التاسع عشر مع المحاولات الجادة لدراسة الظواهر السيكولوجية من منظور علمي يقوم على الملاحظة المضبوطة بعيدا عن التأمل العقلي والتخمين، وللقياس نستخدم المقاييس في كل الحالات لنحدد بها الفروق الكمية بين الأشياء أو كم هذه الأشياء ولنتعامل بها فيما بيننا بقدر من الثبات والاتساق الذي يجعل القيم والمفاهيم والمعاني غير متغيرة من فرد لآخر أو من موقف لآخر.

الكلمات المفتاحية : القياس النفسي ، الفروق الكمية ، الوظائف النفسية.

Abstracts: The psychometryas a scientific method for evaluation of psychological functions mainly the intelligence forms the center of many psychological and clinical researches, the psychometry 'sadvancing has begun in conjunction with psychology advancement since mid-nineteenth century with the serious tries for studying the psychological phenomena from a scientific perceptive based on exacted observation away from mental reflection and guesswork.

We use for the psychometry the tests in all situations to define the quantitative differences between things or the quantity of these things, and to deal between us throughthese tests with a degree of consistency and uniformity that make the values,definitions and senses unchangeable from one to other or from situation to other.

Key terms: Psychometry,Quantitative differences, Psychological function

مقدمة:

لقد بدأ الإنسان القياس يوم أن بدأ يقارن بين قوته الذاتية بقوة الكائنات والموجودات المحيطة به سواء كانت حيوانات أو نار أو ماء، فإن بدا له تفوقه عليها استأنسها وسخرّها له وإن تغلبت عليه بعّدَ عنها ورضخ لقوتها وحاول استرضاءها، فقد استخدمه الإنسان البدائي في حفره للمغارات لكي تناسب حجمه ومن طرق القياس التي استخدمها كذلك أنه يستطيع حمل شيء ولا يستطيع حمل آخر كل ذلك يعتبر جزءا من بدايات تكوين علم القياس.

والقياس يلعب دورا بالغ الأهمية فهو إلى جانب كونه يستهدف توفير الاختبارات النفسية التي تتوافر لها المقومات الأساسية للاختبار السيكولوجي الجيد لإثراء بحوث علم النفس ومن ثم تحقيق النماء لكافة فروعه التطبيقية فإنه يعطى أيضا للأخصائي النفسي الإكلينيكي ما يستفيد به من بحوث القياس السيكولوجي في مجال تشخيص اضطرابات السلوك حيث أنه يستعين بالاختبارات المصممة في المجالات المختلفة العقلية والشخصية لذلك فانه ينبغي على الأخصائي النفسي أن يكون على دراية كاملة بكيفية تطبيقها على النحو السليم وبصدقها وثباتها وبقدرتها على التمييز ذلك انه اذا طبق اختبار معين كان معامل ثباته أقل مما يمكن فان ذلك يؤدي إلى قيام تشخيص غير سليم وغير ثابت ومن ثم إلى قصور في العلاج(عباس محمود عوض،1997، ص9).

ولقد بدأ القياس التطوري للقياس في علم النفس متأخرا عن القياس والتجريب في العلوم الطبيعية والبيولوجيا إلا أن علم النفس تأثر في تطوره وفي مرحلة هامة من مراحله بالدراسات العلمية التي كانت تجري في ميادين هذه العلوم،وكان ذلك في بداية القرن التاسع عشر،كذلك سعى علماءه وكان أغلبهم من علماء الفيسيولوجيا والفيزيقا نحو استخدام المقاييس الكمية بهدف الكشف عن القوانين المحددة العامة للإطار العلمي للسلوك النفسي للفرد،وكان هذا الاتجاه أمرا بالغ الأهمية إذ نقل علم النفس إلى الموضوعية، فبعد أن كان يهتم بالجانب الوصفي الكيفي انتقل إلى الوصفي الكمي وكانت وسيلته في هذه النقلة استخدامه للمقاييس النفسية اللتي توفر له الوصف الكمي الموضوعي لما يقاس.

ولهذا أصبح القياس مظهرا بارزا من مظاهر علم النفس الحديث ، ونحن اليوم نستخدم القياس النفسي في المجال الإنساني والحيواني لكي تتبين حقيقة الفروق بين الأفراد وكذلك الفروق بين الإنسان والحيوان من حيث أن الإنسان امتداد وتطور للسلالات الحيوانية الأدنى وهما يشتركان في طبيعة الجهاز العصبي،على أن هناك تنوعا حقيقيا في الظاهرة الإنسانية لذلك تكونت هناك الفروق الفردية.(محمود عباس عوض، 1997، ص15-16).

1. بداية التجريب في علم النفس:

منذ اكتشاف الفروق الفردية والإنسان يحاول أن يقيمها وأن يكتشف مقاييس خاصة لقياسها والدلالة عليها كميا والغريب في الأمر أن حركة قياس الفروق الفردية لم تبدأ على أيدي علماء النفس بل بدأت على أيدي عالم فلكي وحدث هذا في سنة 1776 عندما طرد ماسكلين MASKELYNE العالم الفلكي في مرصد غرنيتش مساعده كينبروك KINNE-BROOK لأنه تأخر عنه في رصد النجوم فترة تقرب من الثانية وحدث أن قرأ العالم بيسال BESSEL هذه القصة فبدأ يهتم بما أصبح يسمى فيما بعد بالمعادلة الشخصية PERSONAL EQUATION وكان يقصد بها في بادئ الأمر الفروق بالثواني بين تقدير اثنين من الراصدين لحركة نجم من النجوم، وقد أدى هذا الحدث إلى اهتمام الباحثين في النصف الأول من القرن التاسع عشر أي قياس الفروق الفردية ومنذ ذلك الحين أخذ يتطور ليشمل القدرات العقلية والسمات الشخصية على مختلف أنواعها وأبعادها.(مقدم عبد الحفيظ، 2003، ص15).

كما بينت مدى اختلاف الفرد بينه وبين نفسه من وقت لآخر وتعدّ هذه المعلومات أول معلومات كمية مسجلة عن الفروق الفردية، (سعد جلال، 2001، ص15-16)، وقد أخذ Besselيجمع البيانات عن أخطاء الفلكيين المختلفين في تقديراتهم عن مرور الكواكب أمامهم ولقد انتهت دراسته إلى أن هناك فرقا بين الأفراد فيما سمىّ بزمن الرجع ، وهو الزمن الذي يمرّ بين ظهور الكوكب (وهو مثير) وإدراك الفرد له (أي الاستجابة للمثير) وهذا هو الفرق الذي سمي بالمعادلة الشخصية للفرد.

لقد انشأ فونت عام1879 بألمانيا معملا يعتبر اللبنة الأولى لعلم النفس التجريبي أو حركة القياس النفسي ولقد أثر فونت في سير فرانسيس جالتون Galton (1822 -1911) الذي كان عالما متخصصا في البيولوجيا ومتأثرا بنظرية داروين ومع هذا فقد أعطى لحركة القياس أسس وجودها واعتبر مؤسسها.

كذلك أنشأ في عام 1884 جالتون Galton معملا لعلم الإنسان القياسي Anthropométrie تمكن فيه من قياس زمن الرجع وحدة الأبصار والسمع ووظائف حسية حركية ، أما جيمس ماك كين كاتل Cattel عام 1890 (في أمريكا) فهو أول من استخدم مصطلح الاختبار العقلي Mental testلقياس الجانب المعرفي للشخصية الإنسانية(عباس محمود عوض، 1998، ص17-18).

وقد سبق فيبر (1795-1878) بقانونه الشهير في تحديد أدنى فرق يمكن ملاحظته على انه يتناسب مع قوة المثير، وقد وجد فخنر في قانون فيبر أساس العلاقة الشهيرة بين العالم الفيزيائي والعالم النفسي (السيكوفيزياء) والذي بدأ به برنامجا طموحا "العلم حقيقي تناول علاقة الاعتماد بين الفيزياء والعقل"، وقد امتّد ليشمل المعالجة الكمية للإدراك والانفعال والعقل والقصد،أي باختصار أي عملية نفسية مماّ يمكن أن يرتبط بالمثيرات(صالح حسن الداهري، 2011، ص44).

وكان قياس الشخصية مجالا آخر للقياس النفسي، وفي عام 1892 استخدم "كريبلين" Kraepelin اختبار تداعي المعاني مع المرضى في المجال الطبي النفسي وكانت صحيفة البيانات الشخصية من وضع "ووتوورث" Woodworth النموذج الأصلي لاستخبارات الشخصية في الحرب العالمية الأولى عام 1919، وفي العشرينيات والثلاثينيات بدأ منحى الاختبارات الموقفية الأدائية على يد "هارتشورن ماى" Hartshorne May عام 1928 وزملائهما ، أما المنحى الثالث في قياس الشخصية فكان الطرق الإسقاطية في نفس الوقت الذي بدأ فيه الاهتمام بقياس الشخصية عن طريق الطرق الإسقاطية (أي في أوائل القرن الميلادي العشرين)، قام نفر من علماء النفس بإعداد نموذج مختلف من مقاييس الشخصية، ونقصد بذلك علماء النفس من ذوي الخلفية التي تقوم على الإحصاء النفسي وما يتصل به من أمور تتعلق بالثبات والصدق والمعايير وكان هدفهم إعداد مقاييس يمكن تطبيقها بطريقة موضوعية وسريعة، وهذا الاتجاه "السيكومتري" لقي هو الآخر العديد من المتاعب حيث توجه إليه النقد بأن العبارات أو الأسئلة التي تتكون منها هذه المقاييس إنما تقيس جوانب ظاهرية سطحية من الشخصية، وأن المفحوصين قد يلجئون إلى إعطاء صورة غير حقيقية عن الذات بمعنى أنهم قد يتجهون إلى تزييف الإجابات مما دعا القائمون على إعداد هذه المقاييس إلى تزويد مقاييسهم بمحكات صدق وذلك لاكتشاف نزعة المفحوص للتزييف إن وجدت، وهذا الاتجاه السيكوميتري يظهر في مقاييس مبكرة نسبيا مثل اختبار"بل" Bell للتوافق والذي اعد في أواخر الثلاثينيات وكذلك في اختبار "برنرويتر" Bernreuter للشخصية الذي ظهر في أواخر الثلاثينيات أيضا.

أضف إلى ذلك قائمة الشخصية متعددة الأوجه الواسع الشهرة والذي ظهر في الأربعينيات والذي وضعه كل من "هاثاوى و ماكناى «Hathaway & Mckinely » كذلك انشغل علماء النفس خلال الحرب الثانية بإعداد "الاختبارات الموقفية "Situational Tests خاصة تلك التي

تقيس قدرة الأفراد على تحمل المواقف الضاغطة والتصرف الهادئ الهادف أثناء هذه المواقف، وقد اهتم مكتب الخدمات الاستراتيجية في الجيش الأمريكي المسمى Office of Strategic Services باختيار الأفراد الذين يعملون في أجهزة المخابرات العسكرية، ومن الاختبارات الموقفية الشهيرة التي استخدمت في ذلك الوقت أن يطلب من المفحوص بناء أو عمل مكعب طول ضلعه خمسة أقدام من قطع خشبية صغيرة في وقت قصير، ومن المستحيل على المفحوص أن يعمل المكعب في الفترة الزمنية المحددة.

كما ظهر اتجاه آخر خلال الستينيات والسبعينيات من هذا القرن وهو اتجاه لإدخال القياس السلوكي في مجال الشخصية وفي مجال علم النفس الإكلينيكي، وهذه الحركة السلوكية التي شملت الاهتمام بالعلاج السلوكي وتغيير السلوك كان لها إسهام كذلك في مجال مقاييس الشخصية، فقد اهتم القياس السلوكي بدراسة السلوك الظاهر من خلال الملاحظة المباشرة لسلوك هذا المفحوص أو ذاك في المواقف الاجتماعية أو الحياتية المختلفة سواء كانت لهذه المواقف عفوية أو مصطنعة مخلقة، وبمعنى آخر فإن القياس السلوكي يقوم على ملاحظة المثيرات التي يتعرض لها الشخص ودراسة استجاباته حيالها وما يميز هذه الاستجابات من ميل أو اعتدال، وهذا القياس السلوكي يمهد كذلك لما يسمى العلاج السلوكي والذي يهدف أساسا إلى كف الأساليب السلوكية غير البناءة أو الخاطئة، والى تدعيم الأساليب السلوكية البناءة أو الصحيحة(سعد جلال، 2001، ص36).

وفي عام 1981 أسست جامعة نبرا سكا مركز بوروس Buros Centre لاستكمال عمل أوسكار بوروس في تقديم ومراجعة الاختبارات الجديدة من خلال "الكتاب السنوي للمقاييس العقلية "وفي نفس العام تم نشر تعديل لمقياس وكسلر لذكاء الراشدين (WAIS-R) الذي تم تعديله عام 1997 حيث ظهرت الصورة " WAIS-III" .

شهد عام 1982 مولد اختبار قدرات عقلية مبنى على أسس جديدة مستفيدا من الإنجازات التي تحققت في مجال دراسة الجهاز العصبي وعلم النفس المعرفي، ظهرت بطارية كوفمان لتقييم الاطفال(K-ABC) التي مثلت منافسا قويا لمقياس بينيه، ومقياس وكسلر بعد طول انفراد بساحة قياس الذكاء، وقد أجريت مراجعة للبطارية في عام 2004 حيث ظهرت البطارية تحت اسم "KABC-II".

في عام1988 تم نشر اختبار مينسوتا المتعدد الأوجه للشخصية (المعدل) MMPI-II (بركات حمزة حسن، 2008، ص 24).

2. تعريف القياس النفسي:

لغة: من قاس بمعنى قدر، نقول قاس الشيء بغيره أو على غيره أي قدره على مثاله.

المعنى العلمي: مقارنة شيء أو عينة بوحدة أو مقدار معياري منه بهدف معرفة عدد الوحدات المعيارية التي توجد فيه.

وهو مجموعة مرتبة من المثيرات أعدت لتقيس بطريقة كمية أو بطريقة كيفية بعض العمليات أو السمات أو الخصائص النفسية.(سامي محمد ملحم، 2011، ص29).

تعرفه موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: القياس النفسي psychométrie بأنه عملية القياس التي نقوم بها لأي ظاهرة نفسية فأنت – على سبيل المثال- تستخدم القياس النفسي في حالة تطبيقك لاختبار ذكاء على فرد بغية قياس مدى ذكائه أو تحديد نسبة ذكائه، وذلك باعتبار أن الذكاء ظاهرة أو سمة نفسية، وأنك بعلمك هذا إنما تستهدف معرفة مقدار ذكاء هذا الفرد أي تقيس ذكاءه.

يرى **سميث آدمز**: أن القياس بمعناه الواسع هو الجمع المنظم للمعلومات بترتيب معين، وهذا يتضمن عملية جمع وتنظيم المعلومات، ونتائج هذه العملية.
ويعرف **نانلي**القياس: بأنه يشتمل على قواعد تعيين أعداد الأشياء بحيث تمثل مقدار سمات هذه الأشياء(صلاح الدين محمود علام، 2006، ص20).
تعريف **انجلش وانجلش**(English et English): إن كلمة قياس تستخدم في معان متعددة سواء بوصفها فعلا أو اسما، ومن هذه المعاني ما يأتي:
أ. أنها النتيجة التي نحصل عليها من عملية القياس أي القيمة التي نخرج بها من قياسنا لشيء ما بالإضافة إلى تحديد كمه تقديرا لوجود الشيء أو وجود أو غياب خاصية من الخواص.
ب. أنها الوحدة أو المعيار المستخدم في القياس كأن نقول أن قياسنا بالجرامات أو الأمتار أو الساعات أو الدقائق أو غير ذلك من الوحدات المستخدمة في المقاييس المختلفة.
ت. إنها تعبر عن تقدير إحصائي لخصائص الأشياء، فالمتوسط مقياس والإنحراف المعياري مقياس والإرتباط مقياس، ويعبر كل منها عن خاصية تميز الأشياء.

وهذا يعني وجود ثلاثة عناصر أو أطراف في عملية القياس هي:
أ. الأشياء أو الخصائص التي تقيسها.
ب. الأعداد والأرقام التي نشير بها لهذه الأشياء أو تلك الخصائص.
ت. قواعد المقابلة بين الأشياء والأرقام(محمد حسن غانم، 2007، ص35-36).

القياس النفسي هو مقارنة تسجل في صورة عددية وهي الدرجات وتعتمد على النواحي الكمية الوصفية.
القياس حسب كرونباخ يعني الطريقة المنظمة لمقارنة سلوك شخصين أوأكثر.(عباس محمود عوض، 1998، ص31).
كذلك فإن كباين يرى أنه مجموعة مرتبة من المثيرات أعدت لتقيس بطريقة كمية أو كيفية بعض العمليات العقلية أو السمات أو الخصائص النفسية والمثيرات هنا قد تكون أسئلة شفوية أو أسئلة تحريرية مكتوبة وقد تكون سلسلة من الأعداد أو بعض الأشكال الهندسية أو النغمات الموسيقية أو صورا أو رسوما، وهذه كلها مثيرات تؤثر على الفرد وتستثير استجاباته(محمد عبد السلام احمد، 1960، ص12).
يستخدم القياس للحصول على تقديرات دقيقة للمساحات والحجم والأطوال والأوزان وأبعاد جسم الإنسان وغيره من الكائنات ولما لدى الفرد من سمات عقلية كالذكاء والقدرات وسمات وجدانية كالخضوع والاتزان الانفعالي والاجتماعي والمسؤولية والخجل وتقدير الذات وغيرها(صالح حسن الداهري، 2011، ص46).
نقصد بالقياس مقارنة الخاصية المراد قياسها بوحدة معينة ثابتة ، مثل مقارنة طول كل تلميذ بالسنتيمترات أو مقارنة وزنه بالجرامات أو مقارنة ذكائه بالوحدة التي يستخدمها الاختبار، وتكون نتيجة المقارنة هي التعبير الكمي عن الخاصية المراد قياسها أي استخدام قيمة رقمية للتعبير عن عدد الوحدات التي تتضمنها الخاصية المقاسة كالقول بأن طول التلميذ هو 155سنتيمترا وأن عمره العقلي 15 سنة وثلاثة أشهر.
وللتمييز بين مفهومي التقويم والقياس يفضل البعض أن يقتصر التقويم على الحكم الكلي على الظاهرة ، أما القياس فيعني الحكم التحليلي الذي يعتمد على استخدام الاختبارات وغيرها من المقاييس(صالح حسن الداهري، 2011، ص47).

يقصد بالقياس تعيين أرقام على بعض الخصائص أو الأشياء بناء على قانون أو معيار محدد وقانون تعيين أرقام خاصة يتضمن مقياسا، فمقياس الطول مثلا هو المتر ومقياس الوزن هو الكيلوغرام وهكذا(مقدم عبد الحفيظ، 2003، ص55).
معنى القياس أيضا يظهر في: ماذا نقصد بقولنا "أننا قسنا أطوال جميع التلاميذ ؟
يمكن أن نقصد "بالقياس" الإشارة إلى العملية التي قمنا بها لتقدير ذكاء أو أطوال التلاميذ ، أو الإشارة إلى النتيجة التي توصلنا إليها أي القيم التي تعبر عن درجات ذكاء التلاميذ أو أطوالهم أو الإشارة إلى الأداة التي استخدمت في قياس الذكاء أو الأطوال(صالح حسن الداهري ،2011، ص46).
والخلاصة أن المقاييس النفسية يمكن استخدامها في مجالات المجتمع المختلفة، بل نؤكد على ضرورة استخدامها وتوظيفها التوظيف الأمثل إذا أراد أي مجتمع لنفسه النهضة والتقدم وملاحقة الأحداث والاختراعات العلمية في مجالات الحياة المختلفة.(محمد حسن غانم، 2007، ص51).
القياس الذي نقصده هنا هو مقارنة الخاصية المراد قياسها بوحدة معينة ثابتة ، وتكون نتيجة المقارنة هي التعبير الكمي عن الخاصية المراد قياسها أي استخدام قيمة رقمية للتعبير عن عدد الوحدات التي تتضمنها الخاصية المقاسة.(صالح حسن احمد الداهري،2011، ص47).
القياس وفق هذه المعاني أيضا إجراء نعزو فيه خصائص كمية لشيء ما، فنقوم بتعيين الأشياء أو الخصائص بالأرقام وفقا لقواعد معينة ومحددة ، ويتسع المعنى اللفظي ليجعل تعبير القياس متضمنا عملية القياس، والأداة المستخدمة في القياس ووحدات هذه الأداة أو المقاييس سواء أكانت بوصات أو سنتيمترات أم بنودا في الاختبار، والقيمة العددية المعبرة عن نتيجة إستخدام هذه الأداة في قياس شيء ما.(محمد عبد السلام يونس، 2008، ص49).
ورغم تعدد كل هاته التعاريف إلى أنّه لا يصعب علينا أن نستخلص تعريف شامل يتضمن كل الخصائص فالقياس هو عملية وصف المعلومات وصفا كميا أو بمعنى آخر استخدام الأرقام في وصف وترتيب وتنظيم المعلومات أو البيانات في هيئة سهلة موضوعية يمكن فهمها ومن ثم تفسيرها في غير صعوبة يمكن أن نقول أيضا أن القياس كما يقول كامبل "إنما هو عملية تحويل الأحداث الوصفية إلى أرقام بناء على قواعد وقوانين معينة" ومعنى ذلك هو أن القياس عبارة عن وصف للظواهر إلى ما هو أسهل من حيث التعامل وأكثر قابلية إلى التحويل من حالة إلى أخرى ألا وهو الكم المصاغ بالرقم.

3. ما الذي نقيسه؟:

إذا اقتصر اهتمامنا على مجال علم النفس يمكننا أن نبين أن القياس يتناول عددا كبيرا من الظواهر السيكولوجية التي تقع في مجال هذا العلم فنحن:
- نقيس القدرات العقلية مميزين بينها تمييزا دقيقا فنقيس قدرة الفرد على التجريد وقدرته على الاستدلال وقدرته على تكوين المفاهيم ، ونميز في مجال القدرات خصائص أكثر تحديدا فلا نكتفي بالذكاء بصفة عامة ولكن نميز بين الذكاء اللفظي والذكاء الأدائي ، ونميز في الذاكرة بين التذكر المباشر والتذكر القريب والتذكر البعيد المدى .
- ونقيس السمات المزاجية لنحصل على تقديرات لمستوى التوتر ولدرجة العصبية ودرجة الانطواء أو الاجتماعية أو الانفعالية.
- ونقيس المهارات بالحركية فنقيس الدقة في أداء أعمال معينة والمهارة في جوانب أخرى والسرعة الحركية.
- كما نقيس اضطرابات الشخصية أو الاضطرابات العقلية التي لا يتعرض لها الفرد وكيف تنعكس على أدائه على عدد من الاختبارات المقننة التي تسمح بتقدير كمي لهذه الاضطرابات.

- ونقيس الدافعية والاتجاهات والقيم وقدرات حل المشكلات والإبداع وغيرها من الوظائف والعمليات وجوانب السلوك الأخرى.

يتناول القياس إذن كل هذه الجوانب ، ويقدم لها تقديرات تسهم في تحديدها بشكل دقيق إلى حد كبير، ولا يستطيع الباحث أو الأخصائي النفسي الإكلينيكي أو رجل التربية أو الإدارة أن يحصل على تقدير سليم لإمكانات الأفراد وأدائهم دون القيام بقياس علمي لهذه الإمكانات أو هذا الأداء وهذه الخصائص سواء أكانت عقلية أو سلوكية(محمد عبد السلام يونس، 2008، ص51-52).

إن القياس في علم النفس إذا يتناول عددا كبيرا من المتغيرات والعمليات والاستجابات السلوكية التي تقع في مجال تخصص هذا العلم كما ذكرناها سابقا ولتوضيح ذلك بنوع من التفصيل نتناولها من حيث :

قياس العمليات المعرفية: يقيس المتخصص في علم النفس الذكاء والقدرات العقلية ، ويميز بينها كميا تمييزا دقيقا، فهو يقيس الذكاء ويميز فيه بين خصائصه المختلفة، فيميز بين الذكاء اللفظي والذكاء الأدائي والذكاء الاجتماعي، ويميز بين الذاكرة الحسية والذاكرة قصيرة المدى والذاكرة طويلة المدى، ويميز بين التفكير التقريري والتفكير التغييري كما يقيس قدرة الفرد على الاستدلال والتجريد والتعميم والتمييز وتكوين المفاهيم وغيره.

قياس سمات الشخصية: يقيس السيكولوجي كذلك السمات المزاجية للشخصية، ليحصل على مقادير كمية لوجود هذه السمات، فيقيس سمات مثل: التعاون ،السيطرة ، التوتر، الانطواء، العصابية، الإجتماعية وغيرها.

قياس المهارات الحركية: ويقيس السيكولوجي أيضا خاصية الدقة في أداء أعمال حركية، والسرعة في الحركة وغيرها.

قياس الاضطرابات النفسية والعقلية: ويقيس السيكولوجي أيضا مظاهر السلوك اللاسوي التي يبديها الأفراد، فيقيس القلق والاكتئاب والوسواس القهري والفصام والبارانويا وغيرها.

قياس الدوافع والاتجاهات والقيم والميول: يقيس السيكولوجي أيضا الدوافع عند الأفراد كالدافع إلى العمل والدافع للإنجاز والدافع للدراسة وغيرها، ويقيس السيكولوجي أيضا الاتجاهات نحو القضايا المختلفة، كالاتجاه نحو العمل والاتجاه نحو الالتحاق بالدراسة الجامعية والاتجاه نحو الإنجاب وغيره، ويقيس السيكولوجي أيضا الميول المهنية والميول الدراسية، ويقيس السيكولوجي أيضا القيم ليتعرف على السائد منها والفروق بين الأفراد فيها كالقيم الدينية والقيم الخلقية والقيم الاقتصادية وغيرها.

قياس التفكير الإبداعي وسلوك حل المشكلات: يتولى السيكولوجي أيضا قياس القدرات الإبداعية وتحديد وجودها كميا، وكذلك الفروق بين الأفراد فيها، كالطلاقة والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات وغيرها، ويقيس السيكولوجي أيضا استراتيجيات سلوك حل المشكلات، فيتعرف على الأساليب التي يسلكها مختلف الأفراد في سعيهم لحل المشكلات التي تعترضهم، والفروق بينهم في هذه الإستراتجيات.(بشير معمرية، 2007، ص39).

نتعامل مع أشياء معينة بهدف تقديرها تقديرا كميا، وقد تكون هذه الأشياء عبارة عن أشخاص أو مواد أو حيوانات وقد لا تكون هده الأشياء في حد ذاتها بل خصائص معينة فيها كخصائص الذكاء في الأشخاص أو خاصية اجتماعيتهم أو توترهم ، قد تكون خاصية الوزن أو الكثافة في المواد والعناصر الفيزيائية أو خصائص الخصوبة في الحيوانات ، وفي كل الحالات نتعامل مع فئة من الأشياء، ويتعين أن تكون هذه الفئة متجانسة حتى نستطيع أن نحصل على قياس جيد له.

فئة الأعداد: العنصر الثاني في عملية القياس هو فئة الأعداد التي نتعامل بها لتعيين فئة الأشياء، وعلينا أن نعرف أن استخدامنا للأعداد قد يختلف في معناه من حالة إلى أخرى فقد استخدم العدد

3 بوصفه دالا على رقم منزل ، وهو يختلف هنا عن استخدامه لوصفه دالا على عدد من الكيلوغرامات التي تشير إلى وزن شيء معين فهناك فرق بين استخدام الرمز3 لمرة بوصفه عددا ومرة أخرى بوصفه رقما، كما يختلف عن استخدامه بوصفه دالا على ترتيب فرد بين عدد من أفراد في امتحان معين وهكذا، ومثل هذه الاختلافات في استخدامات الأعداد تجعلنا ندرك أهمية العنصر الثالث من عناصر عملية القياس.

قواعد المقابلة بين الأشياء والأعداد: لأن استخدام الأعداد يتضمن معاني متعددة يصبح من الضروري أن يتوفر في القياس الجيد قواعد معينة للتقابل بين الأشياء والأعداد، ورغم أنه يمكن قصر الأعداد على التعبير عن الكميات.

إلاّ أننا نستطيع أن نجعلها تعبر عن رموز أو تعبر عن ترتيب يبين تسلسل الزيادة أو النقص في الكميات دون تحديد وحدات منتظمة وثابتة في هذا التسلسل فمثلا إذا كان لدينا أطوال خمسة طلاب كالتالي 184.181.172.165.161 فإنه يمكن ترتيبهم بحيث تشير الأعداد 5.1.2.3.4 إلى تدرجهم في الطول على الترتيب بحيث يكون الأول هو أطولهم والخامس هو أقصرهم دون أن يكون الفرق بين الأول والتاني مساويا للفرق بين الثاني والثالث والرابع والخامس، فالأعداد1.2.3.4.5 تشير هنا إلى ترتيب وليس إلى كمية الخاصية (مقدار الطول) وما دمنا نحدد قواعد استخدام الأعداد وتعيين الأشياء بها تصبح عملية القياس صحيحة(محمد عبد السلام يونس، 2008، ص51).

4. لماذا نقيس السلوك و الوظائف النفسية؟:

يمكن تحديد هدفين بعيدين لعملية القياس بما تتضمنه من تكميم مقنن للوظائف والقدرات والسلوك:

الهدف الأول: أن نقوم بتصنيف هذه الخصائص النفسية والتعرف على جوانبها والتغيرات ذات الصلة بها للوصول إلى القوانين التي تحكم سلوكنا وقدراتنا العقلية، ذلك أن عملية القياس في جوهرها عبارة عن ملاحظة مضبوطة نحصل من خلالها على معلومات كمية مقننة ننتقل منها إلى تصنيف هذه الملاحظات وتنظيمها وفق أنساق رياضية مختلفة تؤدي في نهاية الأمر إلى صياغة القانون العلمي، كما تؤدي من جانب أخر إلى الإيحاء بفروض مفسرة لجوانب جديدة أو التنبؤ، في ضوء احتمالية إحصائية، بمواقف جزئية لم تدخل في إطار أو نطاق الملاحظات الأولى التي استخدمت في صياغة القانون العلمي.

الهدف الثاني: أن نستخدم نتائج القياس في الحصول على معلومات مجددة تفيدنا في توظيف العلم لصالح المجتمع، سواء على المستوى العام أو المستوى الخاص،على المستوى الجماعي أو المستوى الفردي، فالأخصائي النفسي يواجه بمطالب اجتماعية معينة من الضروري أن يتصدى للوفاء بها تأدية دوره، ورسالته، فهو مطالب باختيار أفراد لأعمال ومهارات متعددة وفق قدراتهم أو مهاراتهم، ومطالب بتشخيص الأفراد الذين يعانون من عدم السواء لتوفير سبل العلاج والرعاية لهم، وهو مطالب في نهاية الأمر أن يجعل استثمار المجتمع في العلم والتدريب والعلاج مجزيا من خلال تحديد القنوات المناسبة للإنفاق والاستثمار على الرغم من أن هذا المطلب الاجتماعي لا يقدم للأخصائي النفسي في المدرسة والعيادة والمستشفى والمصنع(صفوت فرج ، 2007، ص91-92).

5. مشاكل القياس:

مشكلة تنوع الإجابات بتنوع العرض: في بعض الأحيان لا تستطيع تحديد الإجابات على السؤال معين بحسب العرض، هناك إجابات تكون بنعم لا أو نعم هناك إجابات اختيارية أو تعبيرية.

مشكلة قياس شدة الإجابات: والأمر يتعلق بمقدار الشدة التي بها يتخذ الناس حلولهم، والشدة تساعدنا على تحديد قسمة الإجابات الايجابية أو السلبية.
مشكلة مضمون السؤال: غالبا لا نستطيع الوصول إلى الصيغة الحسنة التي تساعد على فهم الجميع للسؤال بنفس الطريقة.
صعوبة تحقيق الثبات والصدق في الايجابات. (محمد عبد السلام يونس، 2008، ص44).

6. مجالات القياس:

تطبق الاختبارات النفسية والتربوية في كثير من المجالات بقصد تحليل قدرات الفرد ومواهبه واستعداداته وميوله والتعرف على الكثير من الجوانب المختلفة لشخصية الفرد ومن مجالات القياس النفسي ما يلي:

علم النفس التربوي Psychology Educational: لقد تبوأت أساليب القياس النفسي مكانة محترمة في ميدان علم النفس التربوي فبدأت بتحديد مستوى القدرات العقلية المختلفة ودراسة الجوانب الوجدانية في شخصية التلاميذ والطلاب لاستخدامها في مجال التوجيه التربوي والإرشاد النفسي والاختيار التربوي، ولقد تطور الأمر فدرست مظاهر التفكير الإبداعي Abilities Creative والإشارة إلى اختلافها في الذكاء Intelligence وبناء عليه قامت طرق جديدة للتدريس تناسب هؤلاء المتميزين بالدرجات المرتفعة على مقاييس الإبداع ، كذلك قامت دراسات عن العمليات العقلية التي يقوم بها التلميذ أثناء تلقينه لمادة دراسية كالطبيعة والحساب والمطالعة Kونحن نسمع الآن عن استخدام الماكنات المعلمة Teaching Machines وكان فضل استخدامنا لها راجع إلى جهود رجال القياس النفسي(عباس محمود عوض، 1998، ص46).

المجال المهني: الاختبارات والمقاييس النفسية المختلفة تطبق في:

التوجيه المهني: الذي يعني توجيه الفرد إلى نوع من المهن التي يحتمل أن يحرز فيها اكبر قدر من النجاح والتقدم ومعنى ذلك أننا في التوجيه المهني نختار للفرد من بين عدد كبير من المهن مهنة واحدة بحيث تكون هذه المهنة أكثر مواءمة مع قدراته وميوله.

الاختيار المهني: فيه نكون أمام عدد كبير من الأفراد المتقدمين لشغل وظيفة معينة ونختار لها من بين الأفراد الشخص الذي يناسبها.

التدريب المهني: هو نوع من التعليم أو اكتساب المهارات والخبرات والمعارف ويستخدم فيه القياس لتحديد الأشخاص لنوع معين من التدريب أي التنبؤ بنجاحهم واستفادتهم مما يقدم لهم من تدريب.

التأهيل المهني: ويقصد به تدريب الأفراد أو ذو العاهات والعجزة على الأعمال التي تناسب ما لديهم من قدرات ومواهب واستعدادات ، ومعنى هذا انه عبارة عن نوع من التدريب أو التعليم، ولكنه يعيد أيضا تكيف الفرد النفسي إلى جانب إعادة تكيفه المهني(فيصل، دس، ص20-21).

علم النفس الصناعي Psychology Industrial: استخدم القياس النفسي في مجال الصناعة مستهدفا قياس قدرات العمال أو استعداداتهم الأولية بهدف انتقاء الصالح منهم لعمل معين واستبعاد من لا يصلح لهذا العمل تمهيدا لتوجيههم للعمل الذي تؤهله لهم قدراتهم، بمعنى آخر استخدمت طرق القياس النفسي في عملية الاختيار المهني Vocational selection كما استخدمت في عملية التوجيه المهني Vocational Guidance أي توجيه الفرد نحو اختيار مهنة تناسب قدراته واستعداداته والابتعاد عن أخرى لا تناسبه، والاختيار المهني والتوجيه المهني عمليتان تستهدفان وضع الفرد المناسب في العمل المناسب له، ولم يقتصر عمل أدوات القياس النفسي على هذا فقط بل تعدته إلى تقييم جوانب أخرى في شخصية العامل غير القدرات الإدراكية

والحركية مثل مشاعر القلق والاتزان الوجداني Ability Emotional أو قياس الروح المعنوية Morale والاستهداف للحوادث Accident proneness، ولم يقتصر عمل أدوات القياس النفسي على العمال بل تعداه إلى المديرين أنفسهم ورجال الإدارة العليا لتقيس عندهم قدرات وسمات كالقدرات الإبداعية أو الابتكارية(عباس محمود عوض، 1998، ص46).

المجال العيادي Psychology Clinical: تستخدم الاختبارات النفسية في المجالات الإكلينيكية أي في المستشفيات والعيادات النفسية لمعرفة نوع الاضطرابات والأمراض النفسية التي يعاني منها المريض، فعلى أساس تطبيق الاختبارات يمكن تشخيص الاضطراب ومن ثمّ يمكن رسم خطط العلاج وبرامجه، ولا يقتصر القياس النفسي في مجال العلاج على التشخيص و لكنه يتضمن أيضا معرفة قدرات المريض وذكائه العام وذلك لمعرفة مدى أثر هذه العوامل في اضطرابه ومدى توظيفها في إعادة تكيفه في الحياة ، ويستخدم في التشخيص النفسي وفي تفسير سلوك المريض الطرق الإحصائية المستمدة من الاختبارات الموضوعية مثل: اختبار "الشخصية المتعددة الأوجه"، فإلي جانب فائدة الاختبارات في المجالات العيادية تطبق هذه الاختبارات أيضا لقياس الضعف العقلي أو لتصنيف الأفراد إلى مجموعات متجانسة(عباس فيصل، 2002، ص21).

علم النفس العسكري Psychology Military : والقياس النفسي يفيد في المجال العسكري ذلك في عمليات اختيار الجنود وتوجيههم نحو العمل في مجال أسلحة معينة تبعا لقدراتهم واستعداداتهم وسماتهم الشخصية وسماتهم المزاجية واختيار القادة أيضا واستبعاد ضعاف العقول وتحصين الجيوش ضد الحرب النفسية التي يشنها العدو والتدريب على استثمار الحقائق السيكولوجية في شن الحرب النفسية المضادة(عباس محمود عوض، 1998، ص46).

7. العوامل التي تؤثر في القياس: يتأثر القياس بعوامل مختلفة نذكر منها:

الشيء المراد قياسه أو السمة المراد قياسها: يؤثر في نوع القياس ، والأداة المستخدمة في القياس، فهناك أشياء تقاس بطريقة مباشرة كأطوال المتعلمين عند الكشف الطبي عليهم، ولكن الاستعدادات العقلية والسمات المزاجية والشخصية تقاس بطريقة غير مباشرة، ولذلك اختلفت مقاييسها عن مقاييس الطول في طبيعتها ودرجة دقتها ، وليس من شك أن القياس المباشر أسهل وأدق من القياس الغير مباشر.

أهداف القياس: تؤثر في الطريقة التي نستخدمها في القياس ، في حين يكون الهدف من القياس عمل تقويم سريع لتحصيل المتعلمين في خبرة معينة، مثلا اختيرت الطريقة التي تناسب هذا الهدف، وحين يكون هدف القياس عمل تقويم شامل ودقيق لظاهرة معينة رسمت خطة دقيقة للقياس بدقة ، وكذلك القائمون بالقياس ممن تدربوا على العملية تدريبا دقيقا.

طبيعة الظاهرة أو السمة المقاسة: فبعض السمات يمكن التحكم فيها وقياسها بدقة مثل الذكاء والاستعدادات العقلية، ولكن يصعب التحكم في سمات أخرى كالسمات المزاجية وسمات الشخصية، كما يصعب تحديدها وتصميم المواقف التي تمثلها بدقة بسبب تعقدها، وتأثرها بعوامل ذاتية عديدة يصعب استبعادها.

8. افتراضات وراء القياس النفسي لسمات الشخصية:

توجد افتراضات ثلاثة يوضحها أحمد عبد الخالق وهي السمات المشتركة والطبيعة الكمية للسمات والعلاقة مع تركيبها الداخلي نفصلها:

السمات المشتركة: إن كل طرق القياس التي تستخدم بهدف إجراء مقارنات كمية بين الأفراد تفترض وجود السمات المشتركة التي يسلم بأنها تراكيب متشابهة في أساسها لدى جميع الأشخاص وأن هذه السمات قابلة للتدرج scalable أو التدرج إلى الوحدات ذاتها فإن السمات

مثل الاجتماعية والخجل والاكتئاب والتفاؤل والقلق تعد جميعها مشتركة في المجموعة التي تدرس فيها هذه السمات ولذلك فمن الممكن إجراء المقارنات الكمية داخل المجموعة.

الطبيعة الكمية للسمات: تفترض معظم الاختبارات أن السمات يمكن تقديرها كميا ببساطة عن طريق جمع عدد المؤشرات التي تدل على السمة ولتفترض أن أحد المقاييس يحتوي على 30 بندا في مقياس للسمة الاجتماعية مثلا فإذا تحصل عادل وخالد على الدرجة 8 مثلا فإن مستخدم الاختبار يقول أنه من المحتمل أن كلاهما يمكن أن يوصف بدقة على أنهما متساويان في الاجتماعية أو بمعنى أدق لا توجد فروق ملحوظة بينهما في هذه السمة بوجه عام .

العلاقة مع تركيب داخلي: إذا قال زكرياء من الناس في الاختبار انه لا ينام جيدا وإذا قال ملاحظون مستقلون عن زكرياء أنه ينام بعمق شديد في الحقيقة فإن عبارة زكرياء نفسه تشير إلى ميل داخلي إلى المبالغة في أعراضه البدنية ويمكننا أن نفترض نتيجة لذلك وجود تركيب داخلي من نوع ما أو سمة في الشخصية وان إجابة الشخص عن هده العبارة تعكس هذا التركيب وعلى الرغم من ذلك فإن إهتمامنا يتركز حول الطريقة التي يدرك الشخص بها نفسه وليس الطريقة التي يدركه الآخرون بها(بدر محمد الأنصاري، 2000، ص38).

9. مستويات القياس النفسي:

انتبه علماء النفس وعلوم التربية إلى أن قواعد استخدام الأرقام في قياس الخصائص النفسية والتربوية والأرقام الناتجة عن هذه القياسات مرنة وغير ملزمة بصورة كاملة بالعمليات الحسابية الأربع من جمع وطرح وضرب وقسمة، بمعنى أن القياس يبقى ممكنا حتى عندما يستحيل استخدام هذه العمليات وفي هذا السياق قام المختصون في القياس النفسي بتحديد مستويات للقياس وأوضحوا نوع العمليات الحسابية الممكنة في كل مستوى ، حيث أقترح أستيفنس 1951 أربعة مستويات متدرجة في تعقدها أي من البسيطة إلى المعقدة أكثر وهذا تبعا لمدى استخدام العمليات الحسابية وطبيعة المعالجة الإحصائية لنتائجها الكمية المعبر عنها بالأرقام، ويمكننا أن نعرف مستويات القياس على أنها تعني الطريقة التي نستخدم بها الأرقام لوصف الأشياء (السلوك في علم النفس) أو ترتيبها أو مقارنتها ومستوى المعالجة الإحصائية الممكن للنتائج المتوصل إليها كما يعتبر أبو حطب القياس ما هو إلاّ استخدام الأرقام في تصنيف الأحداث و الأشياء بناء على قواعد معينة، وهذا يعني أنه عند تغيير هذه القواعد أو استخدام الأرقام تحت قواعد مختلفة فإننا سوف نحصل على أنواع مختلفة من المقاييس، ويجب أن نأخذ في اعتبارنا عدة نقاط وهي:

- القواعد المختلفة التي بناء عليها يتم استخدام الأرقام.
- الخواص الرياضية للمقاييس الناتجة عن استخدام الأرقام تحت هذه القواعد المختلفة.
- العمليات الإحصائية التي يمكن استخدامها لمعالجة المقاييس الناتج من حيث تكوينه أو من حيث تحليل نتائج تطبيقاته المختلفة.

وبناءا على ما سبق يمكننا أن نقول أن أهم احتياط يجب أن ينتبه إليه الباحث المبتدئ في علم النفس وعلوم التربية هو أن العمليات الحسابية المألوفة (الجمع، الطرح، الضرب والقسمة) قد يكون من الخطأ استخدامها مع الأرقام الناتجة عن عمليات قياس تم تحقيقها عند مستوى قياس لا يسمح بمثل هذه العمليات.

إن الأرقام كما يقول تايلر (1983) لا تعني دائما ما نظن أنها تعني، وفي ما يلي نقدم مستويات القياس الأربع الذي أقترحها أستيفنس STEVENS وطورها وحدد العلاقات فيما بينهما كومبس COMBOS(1964) ومن أهم مستويات القياس هي:

فأولها أو أقلها في هذا التسلسل الميزان الاسمىnominal **:** يعتبر هذا المستوى أبسط مستويات القياس وذلك لمحدودية استخدام الأرقام والمعالجة الإحصائية التي يمكن أن تقوم بها، حيث أننا نستخدم الأرقام للدلالات فقط على تسميه الأفراد أو الأشياء أو لتصنيفها إلى مجموعات (فئات).

ومن الأمثلة التي تشير إلى استخدام الأرقام للتسمية فقط يمكن أن نذكر الأرقام التي تعطى للشوارع أو للمرشحين لامتحان البكالوريا أو تلك التي تعطى لكل لاعب في فريق كرة قدم، ومن الأمثلة التي تبين استخدام الأرقام للدلالة على التصنيف نقدم الأمثلة الموالية:

-الأرقام التي تعطى لتصنيف أفراد العينة حسب الجنس (1) للذكور و(2) للإناث.
-أو حسب الحالة العائلية (1) أعزب، (2) متزوج، (3) مطلق، (4) أرمل..
-الأرقام التي تعطى لتصنيف مكان الولادة أو الجرائم أو مستويات التعليم.

والجدير بالملاحظة هو أننا نستطيع أن نقوم فقط بعملية العد في هذا المستوى والتي تسمح لنا بحساب التكرارات، النسب المئوية، والمنوال وبعض المقاييس الإحصائية اللابرامترية مثل كا2 حيث أننا لا نستطيع اللجوء إلى العمليات الحسابية الأربع في معالجتنا لهذه الأرقام وذلك لأنها لا تتضمن أية تقدير ما عدا خاصية التصنيف(بوسنة محمود، 2007، ص71).

نستخلص أنه في هذا المستوى يستخدم هذا النوع من الموازين إذ يتم تعيين الأرقام لتجديد الفئات التي ينتمي إليها الأفراد أو تنتمي إليها الأشياء فحسب، فهذه من الممكن أن تكون من التصنيفات الموحدة، كأن نعطي لفئة الرجال ترقيما نرمز له بالرقم 1 و النساء ترقيما نرمز له بالرقم 2 والعملية الوحيدة التي تطبق على الموازين الاسمية هي العد أي مجرد عد الأفراد في كل فئة ، ولا يمكن أبدا جمع أو طرح أو ضرب أو قسمة الترقيمات المحددة للفئات.

والمستوى الثاني للقياس هو الميزان الترتيبيOrdina: يقوم هذا المقياس على أساس ترتيب الوحدات بناء على معيار واحد أو أكثر ، وهذا يدل على أنه لابد وأن يتأثر ببداية العد.

ويستخدم هذا المقياس على نطاق واسع في عمليات الاختيار الاجتماعي عند تعيين الاختيارات بالرتبة، حيث يكون الاختيار الأول هو الأفضل ثم يليه الاختيار الثاني وهكذا(محمد عبد السلام يونس، 2008، ص57**)**.

يتبين لنا من هذا التعريف أننا نستخدمه حين يكون في مقدورنا ترتيب الأفراد في تسلسل من أقل إلى الأعلى طبقا للخاصية التي نريد قياسها، في الوقت الذي لا نستطيع فيه أن نعرف بالضبط مقدار الاختلاف بين اثنين منهما.

والمستوى الثالث للقياس هو الميزان الفئوي مقياس الوحدات المتساويةintervals:.يعد من أكثر المقاييس معنى للقياس الكمي ، وأفضل من النوعين السابقين ، وفيه تتساوى المسافات بين وحدات القياس وتكمن أهمية هذا القياس في المسافات بين الوحدات حيث نفترض تساوي هذه المسافات ومن ثم تكون كل وحدة على هذا المقياس تساوي الوحدة الأخرى(محمد عبد السلام يونس، 2008، ص59-60**)**.

إن ما يميز هذا المستوى عن المستوى الترتيبي هو أنه يمكننا من معرفة مقدار المسافة بين شخصين أوشيئين في الخاصية المقاسة، وذلك لكون ميزان القياس المستخدم في هذا المستوى يتمتع بما يأتي:

-إن المسافات بين وحدات القياس متساوية، بمعنى أن الفروق الموجودة بين تدرج الأرقام متساوية مثلا الفرق بين الدرجتين 5 و6 وهو نفس الفرق بين الدرجتين 10 و11 وبالمثل يمكننا أن نقول بأن الفرق بين 20و25 هو نفس الفرق بين 30 و35.

-يوجد صفر اعتباطي (غير حقيقي) في ميزان القياس والمثال الشائع لتوضيح هذا الأمر مثلما يشير صلاح الدين محمود علام (2002) هو تدرج ميزان قياس الحرارة (الترمومتر) حيث أن الصفر في هذا الميزان (السلم) لا يعني انعدام الحرارة بل يعني تغيير الحرارة، مع العلم أن الفروق متساوية بين الدرجات على طول التدرج سواءً كانت تحت أو فوق درجة الصفر.

-يمكن إجراء العمليات الحسابية الثلاثة (جمع، طرح، ضرب) لكننا لا نستطيع القيام بعملية القسمة، بمعنى أنه من الخطأ أن نقوم بقسمة درجة من هذا المستوى من القياس على درجة أخرى وذلك بسبب عدم وجود صفر حقيقي، ولتوضيح هذا نقدم المثال الموالي: لنفرض أن التلميذ عمر حصل على 60 درجة في اختيار تحصيلي معين (مستوى القياس في اختبارات التحصيل هو مستوى المسافة) والتلميذ علي حصل على 30 درجة في نفس الاختبار، ولنفرض لسبب أو آخر أن الأستاذ أعاد صياغة هذا الاختبار وأضاف 10 أسئلة سهلة يمكن أن يجيب عنها جميع التلاميذ إجابة صحيحة، ففي هذه الحالة تصبح درجة عمر 70 ودرجة علي 40 ويكون الفرق بينهما في كلا الحالتين 30 درجة ولكن النسبة بين درجتيهما تتغير وتصبح مختلفة، حيث هي في الحالة الأولى تساوي 60÷40 = 7.75 ولهذا فإننا لا نستطيع رياضيا ومنطقيا استخدام القسمة عند هذا المستوى من القياس بسبب عدم ثبات النسب مثل ما بينا في المثال السابق.

-يمكن استخدام طرق الإحصاء البارمتري من متوسط حسابي وانحراف معياري ومعامل ارتباط بيرسون ومقاييس الدلالة الإحصائية للاختلاف Kهذا بالإضافة إلى تمتعه بمختلف الصفات السابقة المعلنة فيما يخص كل من المستوى الاسمي أو الرتبي.

-إنّ هذا المستوى من القياس يستخدم كثيرا في القياس النفسي والتربوي ، حيث أن معظم الاختبارات النفسية واختبارات التحصيل هي من هذا النوع ، فنحن مثلا لا نقيس سمات شخصية الفرد أو ميوله أو معارفه قياسا مطلقا، وإنما نقيس الفروق الموجودة بين شخصين أو نوازن بين مجموعتين من الأفراد أو نحدد مكانة فرد في مجموعته فيما يخص سمة من السمات ومما سبق ذكره عن هذا المستوى يمكننا القول بأننا نستطيع أن نقدر المسافة التي تفصل بين شيئين أو شخصين، و معظم اختبارات المدارس من هذا النوع، فعلى الرغم من أن هناك بعض الشك عن الخصائص القياسية لهذه المستويات حسب بعض المراجع ، غير أن الموازين الفئوية تعاني من قصور واحد هام، إذ لا يوجد لها نقطة صفر حقيقية حقا ، فإن الطالب قد يحصل على درجة الصفر في مقياس الإحصاء مثلا ولكن هذا لا يعني أنه لا يعرف شيء في هذا المقياس وعلى الرغم من أن الغرض من الاختبار هو قياس المعرفة بالمادة الدراسية ولكن ليس من الضروري في الواقع أن نحدد معنى(صفر في المعرفة) لنقوم بذلك.

المستوى الرابع من المقاييس وأعلاها ميزان النسبة: وفيه يمكن استخدام كل العمليات الحسابية من جمع وطرح وضرب وقسمة ، ولموازين النسبة كل خواص الموازين الفئوية بالإضافة إلى تمييزها بوجود نقطة الصفر، ولعل هذه المقاييس أكثر المقاييس المألوفة لنا؛لأن الأبعاد الجسمانية المألوفة كالطول والوزن والحجم يمكننا قياسها بهذه الطريقة(سعد جلال، 2001، ص23).

يمتاز مقياس النسبة بكل مزايا المقاييس السابقة بالإضافة إلى أن النسب فيه متساوية ولكي تكون النسب متساوية يجب أن يكون للمقياس صفر حقيقي فالصفر الحقيقي يكون عندما تنعدم قيمة الشيء المقاس، فمثلا الطول يعتبر مقياس النسب فالصفر الحقيقي للطول هو عدم وجود طول.(عبد الهادي، 2002، ص22).

انّه يتبين لنا جليا أن المستوى النسبي هو الأعلى موضوعية ودقة، وحسب ما تدل عنه تسميته أنه يمكننا أن نقسم عددا على آخر وأن نعبر عنهما في صيغة نسبة ويتميز هذا المستوى بعدة مواصفات لا تتوافر في المستويات السابقة، حيث أن ميزان القياس فيه يتمتع بما يلي:

- يوجد به الصفر المطلق الذي يدل على عدم وجود الصفة.

-يمكن استخدام جميع العمليات الحسابية بما فيها القسمة.

-يمكن قياس الخصائص بصورة مباشرة بواسطة وحدات قياس معيارية.

-يمكن استخدام مختلف المعالجات الإحصائية.
إنّ هذا النوع من القياس يكون منحصرا في العلوم الفيزيائية والطبيعية، حيث أنه من النادر ما يصل القياس في علم النفس وعلوم التربية إلى هذا المستوى.

10. المسلمات الأساسية لنظرية القياس النفسي:

أولا.الفروق بين الأفراد فروق كمية: سبق أن علمنا في القياس النفسي أن الاتجاه الإحصائي في علم النفس يذهب إلى القول بوجود اختلافات أو فروق بين الأفراد ، ويسعى إلى اكتشاف القوانين العامة أو الاتجاهات العامة التي تنظم تلك الفروق ، والمسلمة الأولى التي قام عليها هذا الاتجاه هي أن الفروق بين فرد وآخر فيما يتعلق بأية خاصية نفسية هو فرق في الدرجة وليس فرقا في حقيقة الأمر فإن هذه المسلمة تعد من الناحية العلمية بمثابة الضمان الوحيد لإمكانية الاعتماد على الأرقام، وبالتالي فإن الانطلاق مثلا من تناول الفروق بين الأفراد باعتبارها فروقا كيفية يخرجنا خارج النطاق الفعلي لقضايا القياس السيكولوجي ولذا فإن البشر يتواجد لديهم جميع السمات والخصائص ولكن بدرجات متفاوتة هذا التفاوت هو الذي أدى إلى نشأة القياس وتطبيقا للقول الذي أطلقه ثورانديك: أنّ أي شيء موجود في هذا الوجود موجود بمقدار وما دام الشيء موجود بمقدار إذن فيمكن قياسه.
ثانيا.الفروق بين الأفراد تتوزع توزيعا إعتداليا: وتنهض هذه المسلمة على مقولة مؤداها أن الأفراد من حيث امتلاكهم لأية خاصية نفسية لا يوزعون توزيعا عشوائيا، بل ما يحكم هذا التوزيع هو ما يسمى بقانون المنحنى الإعتدالي، بمعنى أن غالبية الأفراد متوسطون وان منهم يتفوق على هذا المتوسط، وقلة أخرى مقابلة تقل عنه، ونعتقد أن هذه المسلمة تكمل المسلمة الأولى بمعنى أنها تعد المحك والمعيار الذي يرى أن الفروق بين الأفراد فروق كمية وليست عشوائية بل محكومة بمعيار المنحنى الإعتدالي.



شكل يبين المنحنى الإعتدالي للمتفوقين
(محمد حسن غانم، 2007، ص36-37).

11. طبيعة وخصائص القياس النفسي(بوسنة محمود 2007): إنّ القياس في علم النفس وعلوم التربية يميز بعدة خصائص يمكن أن تشمل أهمها في النقاط التالية:

أولا. إن القياس النفسي والتربوي لا يهدف إلى قياس الفرد برمته وإنما يهدف إلى قياس سمة من سمات الفرد أو خاصية من خصائصه مثل الذكاء ، الدوافع الانبساط ،الانطواء والتحصيل، إنّ مفهوم السمة أو الخاصية يستخدم لوصف سلوك الفرد ويعد من المفاهيم الهامة وتجدر الإشارة إلى أن مجموعة من الباحثين وجدت حسب صلاح الدين محمود علام 2002 أزيد من 40.000 كلمة تصف الأفراد وبسبب صعوبة التعامل مع هذا القدر الكبير من الكلمات في القياس النفسي والتربوي عمل المختصون في علم النفس على اختزال هذا الكم الهائل من الأوصاف إلى مجموعة من السمات في إطار ما يعرف بنظرية السمات، والسمة ليست صفة وإنما هي تجمع لعدد من الصفات (السلوك) المترابطة التي يمكن أن تحدث معا، ويمكن أن تكون بسيطة حيث

تتضمن صفات محدودة مثل قوة القبض لليدين، تذوق نوع من المشروبات، أو مركبة تتضمن العديد من الصفات مثل الذكاء(يتكون من قدرات الفهم الاستدلال التذكر اللغة).

إنّ علم النفس مثله مثل العلوم الفيزيائية يهتم بدراسة الخصائص بصورة مستقلة عن بعضها البعض وقياس أبعادها والعمل على تنظيمها في نسق معرفي بهدف اكتشاف قوانينها ما يمكن أن يترتب عن الفهم والتفسير المتوصل إليه على المستوى النظري والتطبيقي فنحن نعمل على الحصول على تقديرات كمية عن طريق القياس للخصائص المختلفة وهذا باستقلال كل واحدة منها عن غيرها فمثلا عندما نقيس سمة الذكاء فهذا بغض النظر عن نوعية الخصائص الأخرى التي يصف بها المفحوص أثناء فترة القياس مثل قوة بصره، اتجاهاته، مستواه التعليمي، قوته البدنية، وبطبيعة الحال يمكن دراسة طبيعة العلاقة التي يمكن أن تكون بين سمة الذكاء وسمة المستوى التعليمي أو غيرها من السمات أو الخصائص الأخرى.

ثانيا. إن قياس السمات النفسية والتربوية يكون في أغلب الأحيان غير مباشر فإننا لا نقيس سمة الذكاء أو الاتجاهات أو الدافعية أو الذاكرة وغيرها بصورة مباشرة كما هو الحال عندما نريد أن نقيس بعض الظواهر الفيزيائية مثل الطول بوحدات السنتيمتر ومضاعفاتها أو الزمن بوحدات الثانية ومضاعفاتها ونعمل على قياس ما يدل على وجود السمة المراد قياسها، فالذكاء مثلا يمكن أن نقيسه من خلال مدى نجاح الفرد في حل عدد من الوضعيات، حل مشاكل متدرجة في الصعوبة، وبنفس الطريقة يمكن أن نقيس الذاكرة من خلال تحديد الزمن المستغرق في استرجاع المعلومات أو التعرف على المعلومات التي سبق الاطلاع عليها، إنّ الخاصية كما يشير صفوت فرج (1980) مفهوم إدراكي هام لا يتوفر في كل الأوقات ولكل الناس ففي فترة سابقة لم تكن خاصية الجاذبية مثلا معروفة رغم أن الجميع كان يرى الأجسام تتهاوى نحو الأرض ولهذا فإن الخطوة الأولى التي تؤدي إلى التعرف على خاصية ما، هي توافر النسق الإدراكي المناسب.

إنّ الخصائص المختلفة موجودة ولكننا لا نستطيع ملاحظتها أو تحديدها دون توافر الخلفية الثقافية والحضارية والعلمية التي تسمح لنا بالتعرف عليها ، فعندما كان النسق الإدراكي يصف الفروق الفردية بأنها أخطاء ناتجة عن التجريب وأن الظاهرة لديها نوع من الثبات ، كان من الصعب الانتباه إلى العديد من الخصائص العقلية والعمل على تطوير طرق القياس المناسبة لها، ولهذا لم يحدث ذلك إلاّ بعد تغيير النسق الإدراكي حول الفروق الفردية وأصبح ينظر إليها على أنها أساسية في دراسة الفرد.

ثالثا. إنّ قياس السمات والخصائص النفسية في غالب الأحيان يكون قياسا نسبيا وليس قياسا مثل ما هو موجود في العلوم الفيزيائية وذلك لعدة أسباب أهمها ما يلي:

- يصل مستوى القياس في علم النفس وعلوم التربية في أحسن الحالات إلى مستوى المسافات المتساوية ومن النادر أن يصل إلى مستوى النسبة(أنظر عنصر مستويات القياس).
- إن الصفر في مستوى المسافات المتساوية هو صفر اعتباطي افتراضي وليس حقيقيا ، بمعنى أنه يدل على عدم وجود السمة المقاسة بصورة تامة مثل حال القياس في العلوم الفيزيائية التي في الغالب يكون بها على مستوى النسبة فمثلا إذا حصل مفحوص على درجة صفر في اختبار تحصيل للرياضيات لمستوى معين، فإن هذه الدرجة لا تعني أن الطالب ليس لديه معارف على الإطلاق في الرياضيات في هذا المستوى ونفس الشيء في حالة ما إذا حصل مفحوص على درجة صفر في اختبار للذاكرة فهذا لا يعني أن قدرته على التذكر معدومة تماما وإنما يعني أنه لم يستطيع أن يسترجع بصورة صحيحة ما كان مطلوبا منه في بنود الاختبار الذي طبق عليه وأن خاصية التذكير عنده ضعيفة جدا ولكنها ليست معدومة.
- يوجد عدد كبير من المتغيرات التي يمكن أن تؤثر على نتائج قياس السمات النفسية والتربوية وبالتالي يجب ضبطها واحترام الإجراءات المنهجية اللازمة للتحكم فيها وإبعاد تأثيرها إذا أردنا

أن تكون نتائج القياس تقديرات كمية، وهذا عكس حالة القياس في العلوم الفيزيائية ففي حالة هذه الأخيرة عندما نريد مثلا قياس طول طاولة فإنه يكفي أن نُحظر مسطرة مناسبة للقيام بذلك دون أخذ بعين الاعتبار تأثيرات متغيرات المكان أو الزمان.

- إن الدرجات التي يحصل عليها الطالب في اختبارات التحصيل يصعب تفسيرها إلا إذا قورنت بمتوسط مجموعة الطلبة التي ينتمي إليها، أي ما يسمى بجماعة المعيار مثلا إذا حصل طالب على درجة 70 من100 في امتحان الرياضيات في نهاية السنة بمستوى الثانية ثانوي شعبة علوم فإن هذه الدرجة لا تعني الشيء الكثير إلاّ إذا عرفنا متوسط القسم الذي ينتمي إليه الطالب حيث أنه إذا كان معدل القسم يساوي 56 فإن هذه الدرجة تعتبر عالية أما إذا كان متوسط القسم يساوي 66 فإن هذه النقطة تصبح متوسطة.

رابعا. إن القياس النفسي والتربوي معرض لوجود نسبة من احتمالات الخطأ في نتائجه تعود إلى عدة أسباب نورد منها التأثيرات السلبية لكل من المتغيرات الدخيلة (في حالة عدم ضبطها) أو تقنيات القياس الضعيفة التصميم (في حالة عدم توفرها على شروط التصميم الجيد) أو حدوث تغيير في السمة موضوع القياس نتيجة النمو أو تغيير في العوامل المحيطة بها...إن طبيعة القياس النفسي وخصائصه المعلنة أعلاه جعلت السيكولوجيين يبذلون مجهودات جمة أدت إلى ابتكار خطوات منهجية وطرق وأساليب متنوعة مناسبة ومتكيفة من أجل تحييد العوامل التي تتسبب في حدوث أخطاء الإجراءات التي ترفع وتزيد من مصداقية ودقة عمليات القياس النفسي والتربوي .

12. خصائص القياس النفسي والتربوي ومقارنتها بالقياس الطبيعي:

تبرز الفروق بين القياس الطبيعي والقياس النفسي والتربوي من الفروق الأساسية في طبيعة الخصائص الطبيعية والنفسية، فلعلنا نلاحظ أن الخصائص الطبيعية كالطول والوزن والمساحة هي حقائق عادية يمكن ملاحظتها بالحواس مباشرة ، أما الخصائص النفسية والتربوية فهي مفاهيم مجردة لا يمكن إدراكها مباشرة بالحواس، ولكننا نتعرف إليها من خلال ما يدل عليها من سلوكيات(صفوت فرج، 1980).

إن هذه الطبيعة في خصائص كل من القياس الطبيعي والقياس النفسي والتربوي تشير إلى فروق بين القياسين يمكنك تحديدها كما يلي:

أولا.القياس الطبيعي المباشر مقابل القياس النفسي والتربوي غير المباشر(سامي ملحم): يمكنك ملاحظة الخواص الطبيعية عبر الحواس المباشرة ، فأنت تقيس الوزن أو الطول مباشرة وبطرق لا نشك في مدى صحة نتائجها ، بيد أنه في القياس النفسي والتربوي قد تختلف هذه الصورة، فنجد أن الخواص النفسية والتربوية كالذكاء والإتجاهات والدافعية والتحصيل، كل هذه السمات والخصائص أقرب إلى التجريد منها إلى المحسوس، وهي سمات لا يمكن لنا ملاحظتها مباشرة، فلا نستطيع رؤيتها مثلا أوسماعها أولمسها مباشرة، ولكن يمكن لنا أن نستدل عليها من خلال السلوك الظاهري لها، فالذكاء مثلا يمكن لنا أن نستدل عليه من خلال إجابة الفرد على مجموعة من المثيرات(قد تكون أسئلة في اختبار أعد لهذا الغرض) والتحصيل مثلا وهو من أهم السمات في العملية التعليمية قد يستدل عليه من خلال إجابة تلميذ على مجموعة من الأسئلة أعدت لتمثل محتوى المادة الدراسية (اختبار) ولذا فالقياس النفسي والتربوي في طبيعته قياس غير مباشر.

ثانيا.القياس الطبيعي مطلق مقابل القياس النفسي والتربوي النسبي: عندما نقول أن طول أحمد 180 سم، فإن كل منا يمكن له أن يعي معنى هذا الطول دون إجراء مقارنة أو الرجوع إلى معيار معين وهو ما يشير إلى أن القياس الطبيعي مطلق في خصائصه ، ولكن الحال يختلف في القياس

النفسي والتربوي عما هو عليه في القياس الطبيعي ، فعندما نقول أن علامة احمد في امتحان الرياضيات كانت 60، فإن هذا لا يعني شيئا لأي منا ما لم نتعرف على متوسط علامات صفه في الأقل، فإذا علمنا أن متوسط علامات صفه كان 50 فإن هذا يكسبها معنى، وإذا علمنا أن 30% من العلامات تقع فوقها فإن هذا يكسبها معنى آخر.. ولذا فإن هذه المعاني وغيرها لم يكن بمقدورنا إدراكها ما لم نربط العلامة أو نقارنها بمعلومات المجموعة التي تنتمي إليها، إذ أن العلامة بمفردها لا يمكن لها أن تعطي معنى أو تشير إلى دلالة وهذا ما يشير إلى أن القياس النفسي والتربوي نسبي في طبيعته.

ثالثا. تقنين وحدات القياس والإجراءات: تعد المفاهيم في القياس الفيزيائي محددة بشكل واضح، فخاصية الطول أوالوزن أو الكثافة، والوحدات مثل /كغم، متر، سم، كلها محددة علميا وهي مفهومة ومتفق عليها لدى الجميع، إلا أن المفاهيم في المجال النفسي والتربوي قد لا يتفق عليها الناس ولا يجتمعون على دلالتها ، فالذكاء مثلا والاتجاهات والدافعية، مفاهيم قد لا يكون لها معان مقننة ومحددة رغم شيوعها وكثرة استعمالها، فدرجة الذكاء في اختبار معين قد تختلف دلالتها من فرد إلى آخر في مستوى عمري مختلف وقد تعني درجة معينة من الذكاء على اختبارات مختلفة، أضف إلى ذلك أن مقاييس الذكاء قد تقيس أنواع مختلفة من السلوكيات المرتبطة بالذكاء، وهذا يشير إلى عدم تقنين المفاهيم والوحدات المرتبطة بالقياس النفسي والتربوي.

رابعا. صدق أدوات القياس: نتفق أن أدوات القياس الطبيعي لا يشك أحد أنها تقيس ما وضعت من أجله فمقياس الوزن مثلا لا يقيس إلا الخاصية التي وضع من أجلها هذا المقياس وهي خاصية الوزن، وكذلك أداة قياس الطول لا تقيس سوى خاصية الطول، وهكذا بيد أن الحال قد يختلف بالنسبة لأدوات القياس النفسي والتربوي، إذ أننا على الأقل غير متأكدين إلى أي حد قد تقيس أدوات القياس النفسي والتربوي الخاصية التي صممت لقياسها.

خامسا. ثبات أدوات القياس ودقتها: إن تطوير أدوات القياس الفيزيائي التي تتصف بدرجة عالية من الدقة والأحكام والضبط يجعل منها أكثر ثباتا ومصداقية في نتائجها، وعلى سبيل المثال إذا كانت وحدة القياس لدينا هي الميليمتر فإن هذا يقلل من الخطأ ويجعله أكثر دقة فيما إذا كانت وحدة القياس مثلا هي المتر، كما وأننا إذا أعدنا القياس الفيزيائي عدة مرات (قياس طول شيء ما مثلا) بأداة القياس نفسها، فإننا نحصل دوما على القياس نفسه، وهذا الحال قد يختلف في القياس النفسي والتربوي مما يجعله أقل ثباتا، فلو أننا قمنا بقياس درجة ذكاء طفل عدة مرات فمن المحتمل أن تختلف هذه الدرجة في كل مرة وهذا بدوره قد يشير إلى أن المقياس النفسي والتربوي يتمتع بدرجة من الثبات هي أقل من الثبات في القياس الفيزيائي(سامي محمد ملحم، 2007، ص31).

13. أغراض القياس النفسي: إنّ الغرض الرئيسي من القياس هو الكشف عن الفروق الفردية بأنواعها المختلفة إذ أنه لولا وجود هذه الفروق لما كانت هناك حاجة إلى القياس ويمكن تلخيص أغراض القياس النفسي فيما يلي:

أولا. المسح: ونعني به حصر الإمكانيات النفسية لمجموعات الأفراد في مراحل عمرية مختلفة من أجل التخطيط لبرامج تدريبية وتعليمية وعلاجية بعد تشخيص الحالات المتوفرة لديهم(سامي محمد ملحم، 2011، ص35).

وتقول سوسن شاكر: يقصد بالمسح حصر الإمكانيات النفسية واستخدام الاختبارات النفسية والتربوية في تحديد المستويات العقلية والوجدانية والتحصيلية لمجموعات التلاميذ والعمال والمجندين وهذا المسح لازم لتخطيط برامج التدريب والتعليم والعلاج بعد التشخيص فالاختبارات هنا أداة لإحصاء المستويات الموجودة وبمقارنتها بالمستويات المطلوبة .

ثانيا. التنبؤ: نقيس ونقيم الفرد والجماعة في وظائف معينة في وقت معين وبافتراض ثبات السلوك الإنساني في حدود معينة ومرونته في حدود معينة أيضا وخضوعه لكلّ نظريات علم النفس في حدود معينة يمكننا كذلك بمعرفة المستوى الحالي للفرد أن نُقَدر المستوى المتوقع أن يصله في الوظائف نفسها التي قسناها.

فنحن نقيس ونقيم الفرد والجماعة في وظيفة معينة في وقت معين من أجل معرفة حال الفرد والمستوى المتوقع الذي يمكن أن يصل إليه في نفس الوظيفة التي تم قياسها(سامي محمد ملحم ،2011، ص36).

إننا نقيس ونقيم الفرد والجماعة في وظائف معينة في وقت معين وبافتراض ثبات السلوك الإنساني في حدود معينة ومرونته في حدود معينة أيضا(بدر الأنصاري، 2000، ص39).

ثالثا. التشخيص: تستخدم الاختبارات النفسية والتربوية في تحديد نواحي القصور وتبيان نقاط الضعف والقوة لقدرات الفرد، وعند إجراء الاختبارات على ضوء هذا الهدف نهتم بمعرفة الجوانب التي يعاني منها الفرد أو يحتمل أن تسبب اضطرابه مستقبلا ، وتعتمد الاختبارات النفسية المختلفة على طرق تشخيصية مختلفة من مثل تحليل نموذج القدرات والاستعدادات، وتحليل الجوانب المزاجية والانفعالية، وتحليل تشتت الاستجابات، كما تقدم بعض الاختبارات معادلات للتناقص أو التدهور (سامي محمد ملحم، 2011، ص36).

رابعا. العلاج:بعد المسح والتشخيص نتعرف على نواحي الضعف وجوانب القصور ونبدأ في توليها بدراسة أعمق لمعرفة أسبابها ودينامياتها، وهنا تتكون لدينا صورة واضحة عن التكوين النفسي للفرد من حيث الوظائف التي قسناها، فإذا توفر لدينا كل هذا وتوفر لدينا المؤهلون للقيام بعمليات العلاج وإعادة التعليم والتكييف يسهل علينا أن نستفيد من الاختبارات التي صممت بغرض العلاج أو التي يمكن استخدامها في هذا الغرض(سامي محمد ملحم، 2011، ص36).

خامسا. المتابعة: بعد تقديم العلاج على مراحل يعاد تقويم الفرد خلال مراحل العلاج وذلك للتعرف على مدى نجاح العلاج في تدريب الفرد على اكتساب مهارات معينة أو تخفيض حدة الاكتئاب أو القلق على سبيل المثال لدى الأشخاص شديدي القلق أو المكتئبين(بدر الأنصاري، 2000، ص40).

خاتمة:

يعد القياس النفسي احد الوسائل الشائعة التي تستخدم في قياس الظاهرة السيكولوجية التي تتميز بالتعقيد والتعددية المتغيرة ، كما نستطيع القول أن القياس النفسي والاختبارات هو المنهج العلمي لمعرفة السلوك وتقويم الشخصية والتحصيل المعرفي للفرد والقياس عبارة عن الأداة التي تستخدم في رصد الظاهرة السلوكية بصورة إجرائية، وتستخدم الاختبارات النفسية في ميدان علم النفس بصورة كبيرة حيث أنها أصبحت الوسيلة المتاحة لقياس التحصيل الدراسي والاتجاهات النفسية وغير ذلك من المفاهيم السيكولوجية .

قائمة المراجع:

1. احمد سعد جلال(2001)، مبادئ الإحصاء النفسي، ط1، تطبيقات وتدريبات عملية على برنامج spss، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر.
2. أحمد محمد عبد الخالق(2000)، أسس علم النفس، ط 3، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر.
3. بدر محمد الانصاري(2000)، قياس الشخصية، دار الكتاب الحديث، الكويت.
4. بركات حمزة حسن(2008)، مبادئ القياس النفسي، ط 1، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية لنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
5. بشير معمرية(2007)، القياس النفسي وتصميم أدواته للطلاب والباحثين، ط2، منشورات الحبر.
6. بوسنة محمود(2007)، علم النفس القياسي المبادئ الأساسية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

7. سامي محمد ملحم(2002)، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط2، دار المسيرة، عمان، الأردن.
8. سامي محمد ملحم(2011)، القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، ط 5، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
9. صالح حسن أحمد الداهري(2011)، أساسيات القياس النفسي في الإرشاد والصحة النفسية، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان.
10. صفوت فرج (1980)، القياس النفسي، القاهرة، مؤسسة دار الكتاب الحديث للطبع والنشر والتوزيع.
11. صفوت فرج(2007) ، القياس النفسي، ط6، مكتبة انجلو المصرية، مصر.
12. صلاح الدين محمود علام(2006)، الاختبارات والمقاييس التربوية والنفسية، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن.
13. طه فرج عبد القادر(2005)، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، اسيوط، دار الوفاق للطباعة والنشر.
14. عباس فيصل(2002)، الذكاء والقياس النفسي في الطريقة العيادية، دار المنهل اللبناني، مكتب راس النبع، بيروت، لبنان.
15. عباس محمود عوض(1998)، القياس النفسي، دار المعرفة الجامعية، مصر.
16. عباس محمود عوض(2006)، القياس النفسي بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية
17. عبد الهادي السيد عبدو، فاروق السيد عثمان(2002)، القياس والإختبارات النفسية، ط1، دار الفكر العربي، مصر.
18. محمد جاسم العبيدي(2011)، القياس النفسي والاختبارات، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
19. محمد حسن غانم(2007)، القياس النفسي للشخصية، ط1، المكتبة المصرية، مصر.
20. محمد حسن غانم(2008)، القياس النفسي، ط1 ، المكتبة المصرية للنشر والتوزيع، مصر.
21. محمد عبد السلام أحمد(1960)، القياس النفسي والتربوي، دار النهضة للطبع والتوزيع، مصر.
22. محمد عبد السلام يونس(2008)، القياس النفسي، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن.

دور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق بعض المتغيرات الديمغرافية.

The role of human resources management in achieving the total quality in the institutions of university education

د. لبنى ذياب، جامعة محمد لمين دباغين سطيف-الجزائر

ملخص: هدفت هذه الدراسة التي أجريت بجامعة سطيف2 لمعرفة آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق إدارة الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق بعض المتغيرات الديمغرافية(متغير الجنس، متغير المؤهل العلمي، الرتبة العلمية، الأقدمية في العمل، السن، الحالة الاجتماعية)، والنتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة تشير إلى عدم وجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق بعض المتغيرات الديمغرافية (متغير الجنس، متغير المؤهل العلمي، الرتبة العلمية، الأقدمية في العمل، السن، الحالة الاجتماعية).

الكلمات المفتاحية: الإدارة ، الجودة، إدارة الموارد البشرية، إدارة الجودة الشاملة، الجودة في التعليم العالي.

Abstract: The purpose of this study was to investigate the opinions of university professors on the role of human resources management in achieving total quality management in the university education institutions according to some demographic variables (gender variable, scientific qualification variable, scientific rank, seniority at work, age, social status). The results of the study showed thatt here are no statistically significant differences in the opinions of university professors on the role of human resources management in achieving total quality management in university education institutions according to some demographic variables (gender variable, scientific qualification variable, scientific rank, seniority at work, age, social status.

key terms: Administration, the quality, Human Resource Management, Total Quality Management, authenticity in higher education.

مقدمة:

يعد المورد البشري رأس المال الفكري للمؤسسات المعاصرة، ويزيد الاهتمام به من خلال العناية بالإدارة التي تهتم بشؤونه وتسعى لتحسين أدائه و مساعدته على التكيف مع مهامه، والتي عرفت بإدارة الموارد البشرية التي تقع على عاتقها مسؤولية كبيرة في تنمية استراتيجيات مواجهة التحديات والتغيرات البيئية والتنظيمية التي تطرأ على بيئة العمل، و لعب الدور الأكبر في الارتقاء بالمؤسسة ومساعدتها على مواجهة القوى المنافسة لها في سوق يتطلب التحسين المستمر، بالطرق والأساليب العلمية التي يأتي على رأسها " الجودة الشاملة " التي تعد من التحديات الكبرى التي تسعى المؤسسات والمنظمات المعاصرة لجعلها ثقافة سائدة في محيط العمل الإنتاجي والخدماتي على السواء .

لقد سادت الجودة مفهوما وسلوكا كل المجالات وأضحت الجامعات محطة رئيسية لتطبيقها لتعبر عن إشراك و التزام الإدارة والأستاذ بترشيد العمل من خلال جعل المخرجات تتماشى مع متطلبات سوق العمل ، ووفقا لذلك جاءت هذه الدراسة لإبراز دور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بالجامعة من خلال استقصاء رأي الأساتذة .

إشكالية الدراسة:

يعتبر التعليم الجامعي أحد الاحتياجات الرئيسية لكافة المجتمعات لكونه أداة المجتمع في تحقيق أهداف لبناء مشروعه و هو بذلك سند للنظم الاجتماعية الأخرى، إذ لا يمكن الحديث عن التغييرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعيدا عن دور الجامعة فهي التي تكون الإطارات والكفاءات التي تستوجبها عمليات التغيير وبالتالي تضمن لها مقدار النجاح المرغوب و بالنظر إلى هذه الأهمية التي يحظى بها قطاع التعليم الجامعي في أي دولة فإنه من الضروري أن تكون مخرجات تفي باحتياجات الحاضر وتتلاءم مع تحديات المستقبل(البكري،2001، ص87).

يعد مدخل إدارة الجودة الشاملة من الاتجاهات الحديثة في الإدارة الذي لاقى رواجاً كبيرا لتطوير إدارة المنظمات، والذي ظهر نتيجة اشتداد المنافسة العالمية بين المؤسسات اليابانية من ناحية والأمريكية من ناحية أخرى، إذ تمكنت اليابان، بفضل جودة منتجاتها من غزو الأسواق العالمية، وذلك نتيجة تبنيها لفلسفة إدارة الجودة الشاملة،و نظرا لتفوق الناتج عن هذه الفلسفة، بدأت المؤسسات التربوية تهتم بهذا الاتجاه وتنادي به، ومن هنا أصبحت فلسفة إدارة الجودة الشاملة أمراً لابد منه، فهي بمثابة التحدي الكبير للمؤسسة التعليمية و خاصة الجامعات التي تسعى من أجل تحسين مخرجاتها.

في ظل هذه الظروف يجب على إدارة الموارد البشرية أن تتخلي عن أدوارها التقليدية وتتبني مفاهيم وممارسات جديدة كالمشاركة في التخطيط الاستراتيجي ومساعدة المنظمة في تطبيق مبادئ الجودة الشاملة، ومن المتطلبات الأساسية لتطبيق إدارة الجودة الشاملة وجود إدارة موارد بشرية فعالة لديها المقدرة على مساعدة الإدارة بمختلف مستوياتها في كل مراحل وخطوات تطبيق الجودة.

إذن، وانطلاقا مما سبق ذكره فإن إشكالية هذه الدراسة تتحدد في محاولة معرفة فيما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق بعض المتغيرات الديمغرافية(متغير الجنس، متغير المؤهل العلمي، الرتبة العلمية، الأقدمية في العمل، السن، الحالة الاجتماعية).

والتساؤل التالي يحدد إشكالية هذه الدراسة بشكل أكثر وضوحا:

هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق بعض المتغيرات الديمغرافية(متغير الجنس، متغير المؤهل العلمي، الرتبة العلمية، الأقدمية في العمل، السن، الحالة الاجتماعية).

وبشكل أكثر تفصيلا:
-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الجنس؟.
-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير المؤهل العلمي؟.
-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الرتبة العلمية؟.
-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الأقدمية في العمل؟.
-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير السن؟.
-هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الحالة الاجتماعية؟.

فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة:

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق بعض المتغيرات الديمغرافية(متغير الجنس، متغير المؤهل العلمي، الرتبة العلمية، الأقدمية في العمل، السن، الحالة الاجتماعية).

الفرضيات الجزئية:

الفرضية الجزئية الأولى: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الجنس.

الفرضية الجزئية الثانية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير المؤهل العلمي.

الفرضية الجزئية الثالثة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الرتبة العلمية.

الفرضية الجزئية الرابعة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الأقدمية في العمل.

الفرضية الجزئية الخامسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير السن.

الفرضية الجزئية السادسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الحالة العائلية.

تحديد مفاهيم الدراسة:

الإدارة تعني التطوير والمحافظة على إمكانية المنظمة من أجل تحسين الجودة بشكل مستمر.

الجودة: **تعريف جون اوكلاند** john oakland: أنها أسلوب إداري حديث يسعى إلى تحقيق المرونة والفعالية في أعمال المنظمة أو المشروع و رفع قدرته التنافسية(أبو نصر ،2007، ص123).

الشاملة: تتضمن تطبيق مبدأ البحث عن الجودة في أي مظهر من مظاهر العمل بدأ من التعرف على احتياجات المستفيد وانتهاء بتقييم ما إذا كان المستفيد راض عن الخدمات أو المنتجات المقدمة له.

الجودة الشاملة: التطوير والتحسين المستمرين للعمليات الإدارية وذلك بمراجعتها وتحليلها والبحث عن الوسائل والطرق لرفع مستوى الأداء وتقليل الوقت لإنجازها وذلك لتخفيض التكلفة ورفع مستوى الجودة، مستندين في جميع مراحل التطوير على متطلبات واحتياجات المستفيد لتحقيق رضاه.

إدارة الجودة الشاملة: عبارة عن خلق ثقافة متميزة في الأداء، حيث يعمل و يكافح المديرون والعاملون بشكل مستمر ودؤوب لتحقيق توقعات المستهلك، أداء العمل بشكل صحيح منذ البداية مع تحقيق الجودة بشكل أفضل وبفعالية عالية، وفي أقصر وقت(عبد الفتاح، 1996، ص39)**.**

الجامعة :هي كلمة لاتينية universitas وتعني الاتحاد أو التجمع أي تجمع الطلبة و الأساتذة في مختلف الشعوب والبلدان. وهي هيئة خاضعة لنظام إداري ولها ميزانية محددة قانونيا و لها أهداف محددة تصبوا إلى تحقيقها في أفضل الأحوال وبأقل التكليف(مرسي، 2002، ص109).

أهداف الدراسة:

الهدف من هذه الدراسة هو معرفة دلالة الفروق الموجودة في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق بعض المتغيرات الديمغرافية(متغير الجنس، متغير المؤهل العلمي، الرتبة العلمية، الأقدمية في العمل، السن، الحالة الاجتماعية).

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهمية لأنها تتناول أهم الموضوعات الإدارية المعاصرة هو دور إدارة الموارد البشرية في مساعدة الجامعة في تطبيق احد المداخل الإدارية الحديثة إدارة الجودة الشاملة، واستجابة لأحد أهداف ومحاور المؤتمر.

الجانب النظري:

الاتجاهات والأدوار الحديثة لإدارة الموارد البشرية.

من أبرز الاتجاهات الحديثة في إدارة الموارد البشرية النموذج الذي طرحه الخبير الأمريكي ديف ارلش (Dave Urlich) في كتابه" نصير الموارد البشرية"، ويعد أحد ابرز خبراء الموارد البشرية في الوقت الحاضر والمستشار لمجموعة من الشركات التي تصنف ضمن قائمة أفضل 200 شركة في العالم، يعتقد ديف أرلش (Dave Urlich)أن إدارة الموارد البشرية التقليدية انتهى زمانها، وان هناك دورا جديدا يجب على إدارة الموارد البشرية القيام به، ويرى أن إدارة الموارد البشرية الحديثة يجب أن تقوم بتطبيق أربعة ادوار رئيسية لتكون معاصرة وفعالة والأدوار هي:

الإدارة الإستراتيجية للموارد البشرية: يقصد بها مشاركة إدارة الموارد البشرية في صياغة إستراتيجية المنظمة وتنفيذها ومتابعتها.

إدارة التغيير والتحول: أن تقوم إدارة الموارد البشرية بدور كبير في إدارة التغيير والتحول الذي يحدث في المنظمة نتيجة المتغيرات البيئية والمنافسة الشديدة، ومساعدة المنظمة على التطوير التنظيمي من خلال أساليب إدارية حديثة مثل إدارة الجودة الشاملة وإعادة هندسة العمليات (الهندرة.)

إدارة تطبيق البنية التحتية: يقصد بها إعداد بنية تحتية للمنظمة من سياسات وإجراءات وقواعد ونظم بحيث تكتب وتعد بصورة جيدة، وتكون متاحة للموظفين بموقع المنظمة الالكتروني.

إدارة مساهمين العاملين: بمعنى إعداد السياسات و الإجراءات المناسبة لمعرفة احتياجات الموظفين وتلبيتها، وتشجيع الموظفين المبدعين، وإتاحة الفرصة لهم في تنفيذ إبداعاتهم المتعلقة بتطوير العمل، أو نظم إجراءات العمل، مما سبق يتضح أن أهم الأدوار الحديثة التي يجب أن

تمارسها إدارة الموارد البشرية في المنظمة هو مساعدتها في تطبيق الأساليب، والمداخل الإدارية الحديثة، ومن أهمها مدخل إدارة الجودة الشاملة(ماجي، 2013، ص 214).

الدراسات السابقة.

دراسة يسعد فايزة 2007" بعنوان **:**مدى تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في الجامعة الجزائرية من وجهة نظر الهيئة التدريسية والإدارية ، دراسة ميدانية في جامعة" فرحات عباس –"سطيف": هدفت الدراسة إلى الوقوف على مستوى تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في الجامعة المذكورة و كذا مقارنة مستويات تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة وفقا لمتغيرات) الجنس، الخبرة، المؤهل العلمي، الكلية، التسلسل الوظيفي، (وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي المقارن لمحاولة إبراز مستوى تطبيق إدارة الجودة الشاملة في جامعة" فرحات عباس " و محاولة الكشف عن الاختلافات في مستوى التطبيق حسب المتغيرات الديموغرافية السالفة الذكر، وقد تكون مجتمع الدراسة من جميع أعضاء هيئة التدريس العاملين في جامعة" فرحات عباس "المقدر عددهم ب (1014)عضو هيئة تدريس إضافة إلى الهيئة الإدارية ذات التسلسل الوظيفي و المقدر عددهم ب (42)إداري و قامت الباحثة بانتقاء عينة الدراسة بالمعاينة الاحتمالية الطبقية بنسبة 10% حسب الشروط الإجرائية لروسكو فتحصلت على عينة قدرت ب) (103عضو هيئة تدريس و42 إداري، وقامت الباحثة باستخدام مقياس الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي للنعمان الموسوي (2003) و يهدف هذا المقياس إلى قياس مدى تحقق عناصر الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي و بالتالي التعرف على مواطن القوة و الضعف في أدائها و العمل على اتخاذ الإجراءات اللازمة، و بعد فرز فقرات المقياس تم دمجها في أربع مجالات هي:

تهيئة متطلبات الجودة في التعليم العالي.

متابعة عملية التعليم و التعلم و تطويرها.

تطوير القوى البشرية.

اتخاذ القرار و خدمة المجتمع.

وقد شملت استمارة الباحثة 40 فقرة، و بعد التأكد من صدق الأداة و ثبات أجرت الباحثة الدراسة الميدانية واستخدمت الأساليب الإحصائية (النسب المئوية، مربع كاي) لتفريغ البيانات و تحليل النتائج و مناقشتها في ضوء الفرضيات و أسفرت الدراسة على النتائج التالية:

-أن مستوى تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في جامعة" فرحات عباس "متوسطة بنسبة 39.31%على مجال تهيئة متطلبات الجودة، و كان مستوى تطبيق مجال متابعة العملية التعليمية و تطويرها قليلة بنسبة 27.53 % أما بالنسبة إلى تطوير القوى البشرية فكان مستوى التطبيق قليل بنسبة 28.07%و مجال اتخاذ القرار و خدمة المجتمع فكان مستوى التطبيق بنسبة58.27 %و بناء على هذه النتائج أفادت . الباحثة أن جامعة" فرحات عباس "تطبق معايير إدارة الجودة الشاملة بمستوى قليل بنسبة 56.32%.

-لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تطبيق معايير الجودة الشاملة في جامعة" فرحات عباس "من وجهة نظر هيئتها التدريسية حسب متغيرات الجنس، المؤهل العلمي، الخبرة.

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تطبيق معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر هيئتها التدريسية حسب متغير الكلية.

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تطبيق معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر هيئتها الإدارية حسب متغيرات (التسلسل الوظيفي، الخبرة، الكلية.°

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تطبيق معايير الجودة الشاملة من وجهة نظر هيئتها التدريسية و الإدارية.

لقد أفاد الباحث من هذه الدراسة العديد من المعطيات التي أسهمت في بلورت سيرورة هذه الدراسة سواء من الجانب النظري والاستفادة من المراجع المتوفرة في مجال الجودة في التعليم العالي و مجال التعليم العالي في الجزائر، إضافة إلى الجانب الميداني حيث استعان الباحث في بناء الاستبيان على مقياس الموسوي خاصة في ما تعلق بمحور تهيئة متطلبات الجودة في التعليم العالي، كما أمكنته الدراسة التعرف على دلالة الفروق الإحصائية لأفراد عينة الدراسة حسب بعض المتغيرات الديمغرافية .أما عن الاختلافات الموجود بين هذه الدراسة و الدراسة الحالية فتتمثل في عنوان الدراسة، الهدف، متغير الوظيفة و الكلية، المنهج، حجم مجتمع العينة و المعاينة، الجامعة والكلية، الأساليب الإحصائية(يسعد، 2007).

دراسة المصري: 2007 بعنوان" تطوير الأداء الإداري لرؤساء الأقسام الأكاديمية بالجامعات الفلسطينية في ضوء مبادئ إدارة الجودة الشاملة": هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مستوى الأداء الإداري لرؤساء الأقسام الأكاديمية بالجامعات الفلسطينية في ضوء مبادئ إدارة الجودة الشاملة من وجهة نظر المحاضرين وتحديد معوقات تطبيق رؤساء الأقسام الأكاديمية بالجامعات الفلسطينية لمبادئ إدارة الجودة الشاملة إثناء أداء عملهم الإداري، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد اعتمدت الدراسة على الاستبيان كأداة لجمع البيانات حيث قام الباحث ببناء استبيانين، الاستبيان الأولى لقياس مستوى الأداء الإداري لرؤساء الأقسام الأكاديمية بالجامعات الفلسطينية في ضوء مبادئ إدارة الجودة الشاملة، والاستبيان الثاني للكشف عن معوقات تطبيق رؤساء الأقسام الأكاديمية بالجامعات الفلسطينية لمبادئ إدارة الجودة الشاملة أثناء أداء عملهم الإداري، وطبقت الدارسة على عينة مكونة من 283 فردا، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

-أن مستوى الأداء الإداري لرؤساء الأقسام الأكاديمية بالجامعات الفلسطينية في ضوء مبادئ . إدارة الجودة الشاملة كان عاليا وبنسبة مئوية.67 %

-أظهرت الدراسة وجود درجة متوسطة من المعوقات التي يواجهها رؤساء الأقسام الأكاديمية عند تطبيقهم لمبادئ إدارة الجودة أثناء أداء عملهم الإداري بلغت نسبتها المئوية(57.5%).

-أظهرت نتائج الدارسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى $\alpha = 0.05$ الجامعة في تقديرات أفراد عينة المحاضرين حول مستوى الأداء الإداري لرؤساء الأقسام الأكاديمية تعزى لمتغير الجامعة(الإسلامية، الأقصى، الأزهر) لصالح الجامعة الإسلامية (مروان، 2007).

دراسة عبد الحليم وبحر 2006 :بعنوان" مدى تطبيق العاملين في كلية التجارة بجامعة النيلين للجودة الشاملة.": هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى تطبيق العاملين في كلية التجارة بجامعة النيلين للجودة الشاملة، وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وقد اعتمدت الدراسة على الاستبيان كأداة للدراسة، والمقابلات الشخصية لأعضاء هيئة التدريس، وتم تطبيق الأداة على مجتمع الدراسة والمكون من (63) فردا، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

-إن كلية التجارة في جامعة النيلين لا تطبق الجودة الشاملة في إدارتها في الوقت الحالي.

-أن (% 38) من المبحوثين لديهم وعي بمدى أهمية مفهوم الجودة الشاملة.

-أن (40.8 %) يرون أن هناك اهتمام من قبل الإدارة بالمستفيدين.

-أوضحت الدراسة أن (57.2 %) من المبحوثين يؤكدون على مدى استعدادهم في المشاركة في فرق العمل ورغبتهم في تطبيق الجودة الشاملة.

-هناك اهتمام كبير من قبل الإدارة بتدريب العاملين لتمكينهم من تطبيق الجودة الشاملة(محمد، بحر، 2006).

دراسة بدح 2003 : بعنوان" درجة إمكانية تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الأردنية.": هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة إمكانية تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في

الجامعات الأردنية، وقد تكونت المبادئ من عشرة مجالات هي: القيادة، رسالة الجامعة،الثقافة التنظيمية، نظام حوسبة المعلومات وتحليلها، التخطيط الاستراتيجي، إدارة الموارد البشرية من خلال "تخطيط الموارد البشرية، التدريب، الحوافز، المشاركة في اتخاذ القرارات،إدارة العمليات، التحسين المستمر، رضا العملاء، التغذية الراجعة، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، كما قام الباحث ببناء استبان تضم المجالات العشرة الخاصة بمبادئ الجودة الشاملة، تكونت من 100فقرة موزعة على المجالات العشرة، وتكونت عينة الدراسة من جميع عمداء ورؤساء الأقسام الأكاديمية، ومديري الوحدات الإدارية لجميع الجامعات الأردنية، وقد بلغ عددهم (508)فردا، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

-جاءت إمكانية تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في الجامعات الأردنية كبيرة.

-وجود فروق ذات دلالة إحصائية عن مستوى دلالة في درجة أمكانية تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة المقترح بين عمداء ورؤساء الأقسام الأكاديمية ومديري الوحدات الإدارية في الجامعات الأردنية لصالح العمداء (محمد، 2003).

الإجراءات الميدانية للدراسة:

مكان وزمان إجراء الدراسة: إن الفترة الزمنية لهذه الدراسة تتحدد في اليوم العشرين من شهر جانفي 2017، واستمرت إلى غاية اليوم الثاني والعشرين من مارس 2017. بجامعة محمد لمين دباغين سطيف2.

مجتمع وعينة الدراسة: يتمثل مجتمع دراستنا في أساتذة الجامعة حيث قدر عدد أساتذة كلية العلوم الاجتماعية 302 و عينة الدراسة 60 أستاذ بطريقة عشوائية طبقية.

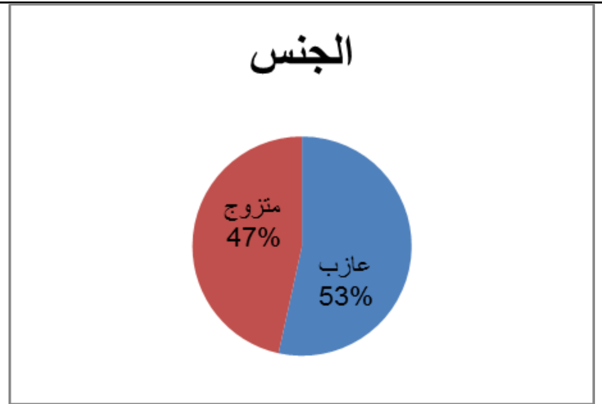
خصائص أفراد العينة: تتمثل خصائص أفراد العينة في دراستنا هذه ، في كل من الجنس (ذكور، إناث) المؤهل العلمي (ماجستير، دكتوراه) الرتبة العلمية (مساعد ب ، مساعد أ، محاضر ب ، محاضر أ، أستاذ)، الأقدمية (أقل من 5 سنوات ، من 5 إلى 10 سنوات ،من 11 سنة إلى 15 سنة، من 16 إلى 20 سنة) السن (من 25 إلى 30 سنة، من 36 إلى 45 سنة، و أكثر من 46 سنة) والحالة الاجتماعية (أعزب، متزوج، مطلق ، أرمل).

حسب متغير الجنس.

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
ذكور	29	% 48
إناث	31	% 52
المجموع	60	% 100

جدول رقم (01):يوضح توزيع أفراد العينة حسب الجنس.

من خلال النتائج التي يبينها الجدول فإننا نلاحظ أن نصف أفراد العينة ذكور، بنسبة 48%، في حين نسبة الإناث فتقدر بنسبة 52%.



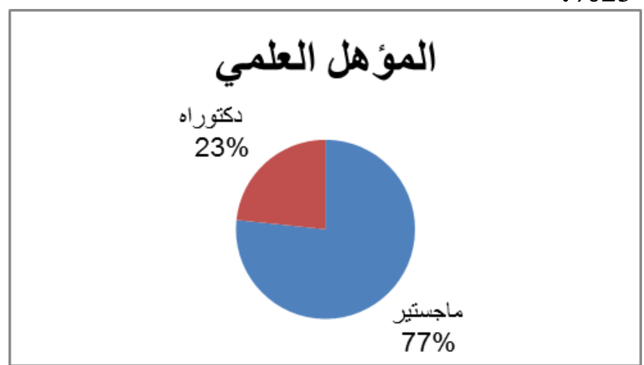
الشكل رقم(01):يوضح النسبة المئوية لمتغير الجنس لأفراد العينة.

حسب المؤهل العلمي.

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة المئوية
ماجستير	46	**%77**
دكتوراه	14	**%23**
المجموع	**60**	**% 100**

جدول رقم (2): يوضح توزيع أفراد العينة حسب المؤهل العلمي.

من خلال النتائج التي يبينها الجدول فإننا نسجل أن أغلب أفراد العينة يحملون شهادة الماجستير و قدرت النسبة بنسبة 77%، في حين نسبة قليلة من أفراد العينة الحاملين لشهادة الدكتوراه حيث قدرت نسبتهم ب 23**%**.



الشكل رقم(02):يوضح النسبة المئوية لمتغير المؤهل العلمي لأفراد العينة.

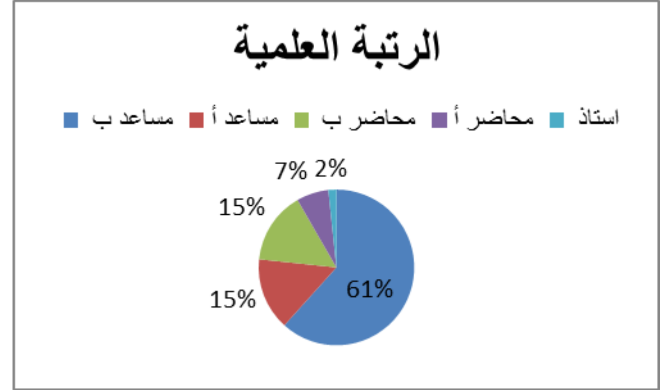
حسب الرتبة العلمية.

الرتبة العلمية	التكرار	النسبة المئوية
مساعد ب	37	**61%**
مساعد أ	9	**%15**
محاضر ب	9	**%15**
محاضر أ	4	**%7**

أستاذ	1	%2
المجموع	**45**	**% 100**

جدول رقم (03): يوضح توزيع أفراد العينة حسب الرتبة العلمية.

من خلال النتائج التي يبنها الجدول رقم (03) فإننا نسجل أن أغلبية أفراد العينة ذوو رتبة علمية أستاذ مساعد ب و التي قدرت بنسبة 61 % بالمقارنة مع باقي الأفراد العينة.



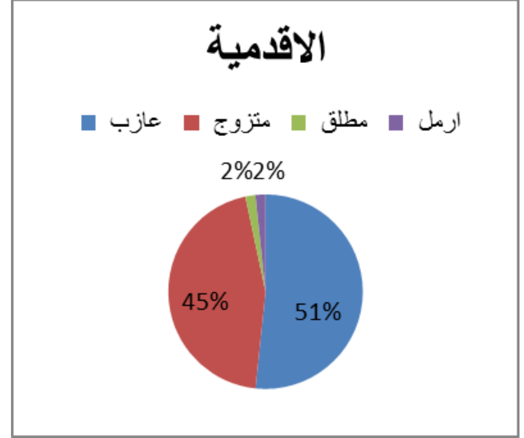
الشكل رقم(03):يوضح النسبة المئوية لمتغير الرتبة العلمية لإفراد العينة.

حسب الأقدمية.

الأقدمية	التكرار	النسبة المئوية
اقل من 5 سنوات	41	**% 68**
من 5 إلى 10 سنوات	12	**%20**
من 11 إلى 15 سنة	6	**%10**
من 16 إلى 20 سنة	1	**%2**
المجموع	**60**	**% 100**

جدول رقم (04): يوضح توزيع أفراد العينة حسب الأقدمية.

من خلال النتائج التي يبنها الجدول رقم (04) فإننا نسجل أن أغلبية أفراد العينة ذوي أقدمية أقل من 5 سنوات بنسبة 68 % بالمقارنة مع باقي افرد العينة .



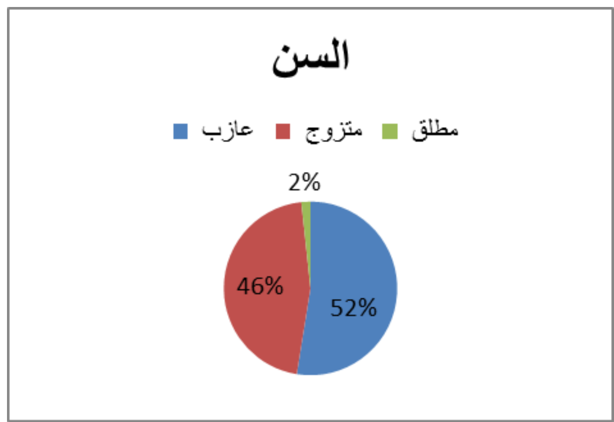
الشكل رقم(04):يوضح النسبة المئوية لمتغير الأقدمية لأفراد العينة.

حسب السن.

السن	التكرار	النسبة المئوية
من 25- 30 سنة	30	% 50
من 36- 45 سنة	26	%43
أكثر من 46 سنة	4	%7
المجموع	60	% 100

جدول رقم (05): يوضح توزيع أفراد العينة حسب السن.

من خلال النتائج التي يبنها الجدول رقم (05) فإننا نسجل أن أفراد العينة ذو الفئة العمرية التي تتراوح أعمارهم مابين 25-30 سنة تتساوى تقريا مع افرد العينة التي تتراوح أعمارهم ما بين 36-45 سنة حيت قدرت نسبتهما على التوالي ب 50 % و 26 % بينما كانت جد ضعيفة بالنسبة الأفراد اللذين تتراوح أعمارهم أكثر من 46 سنة حيث قدرت بنسبة 7 % بالمقارنة مع باقي أفراد العينة.



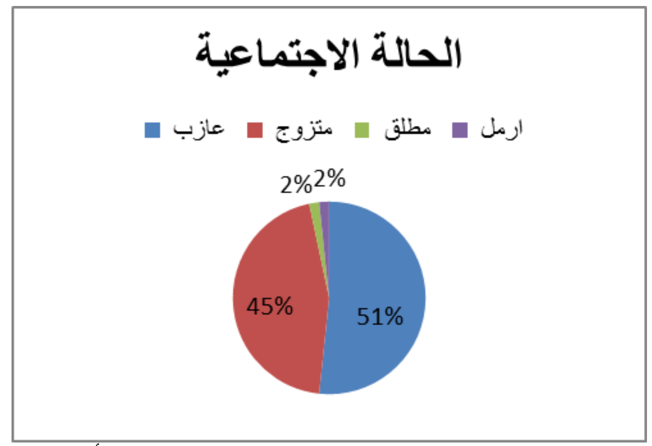
الشكل رقم(05):يوضح النسبة المئوية لمتغير السن لإفراد العينة.

حسب الحالة الاجتماعية.

الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة المئوية
عازب	31	% 51
متزوج	27	%45
مطلق	1	%2
أرمل	1	%2
المجموع	**60**	**% 100**

جدول رقم (06): يوضح توزيع أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية.

من خلال النتائج التي يبنها الجدول رقم (06) فإننا نسجل أن أفراد العينة المتزوجون تتساوى تقريبا مع افرد العينة العزاب حيث قدرت نسبتهما على التوالي ب 51 % و 45 % بينما كادت تنعدم بالنسبة الأفراد المطلق وأرمل حيث قدرت بنسبة 2 % بالمقارنة مع باقي أفراد العينة.



الشكل رقم(06):يوضح النسبة المئوية لمتغير الاجتماعية لأفراد العينة.

المنهج المستخدم: ما هو مسلم به بين المهتمين بمنهجية البحث العلمي أن عملية اختيار باحث ما لمنهج معين من بين مجموعة مناهج معتمدة في الدراسات السلوكية تتوقف على مراعاة مجموعة اعتبارات تتحدد أساسا في طبيعة الإشكالية التي هو بصدد دراستها و كذا فرضياتها. و من هذا المنطلق يرى الباحث أن المنهج المناسب لإشكالية هذه الدراسة و فرضياتها يتحدد في المنهج المقار (الفارقي) الذي هو أحد مستويات المنهج الوصفي.

أدوات جمع البيانات: لجمع المادة الضرورية لمناقشة فرضيات هذه الدراسة قام الباحث بتصميم استبيان على أساس المقياس النفسي لرنسيس ليكرت في قياس الاتجاهات، وقد تضمن هذا الاستبيان قائمة بنود قدر عددها ب 44 بندا.

وتتحد بدائل الإجابة التي انطوى عليها استبيان هذه الدراسة في ثلاثة بدائل هي:

بديل أهمية مرتفعة، و التقدير الكمي الممنوح من قبل الباحث هو ثلاثة درجات(3).

بديل أهمية متوسطة، و التقدير الكمي الممنوح من قبل الباحث هو درجتين(2).

بديل أهمية منخفضة، و التقدير الكمي الممنوح من قبل الباحث هو درجة واحدة(1).

وحتى تكون للنتائج المحصل عليها بواسطة أي أداة من أدوات جمع البيانات، في الدراسات الاجتماعية فائدة مرجوة، ينبغي التأكد من سلامة وصحة شروطها السيكومترية (الثبات والصدق)، وهذا ما قمنا به بالنسبة لاستبيان دراستنا هذه.

الشروط السيكومترية (الثبات والصدق):

الثبات: لحساب ثبات استبيان الدراسة تم استخدام معادلة α كرونباخ للاتساق الداخلي، وبتطبيق هذه المعادلة باستخدام برنامج SPSS تم الحصول على قيمة الثبات للاستبيان الموضحة في الجدول التالي:

Statistiques de fiabilité

Alpha de Cronbach	Nombre d'éléments
,812	38

جدول رقم (7) يوضح معامل الثبات استبيان الدراسة.

القراءة الإحصائية: بالرجوع إلى الجداول رقم (7) ولما كانت قيم الثبات المحصل عليها، والتي تقدر بـ (0,812) أكبر من قيمة 0.60 أمكننا القول أن هذا الاستبيان ذو ثبات مقبول.

الصدق: لقد لجأنا لتقدير صدق أداة الدراسة إلى أسلوب المقارنة الطرفية (الصدق التمييزي) والتي تقوم في جوهرها على مقارنة متوسط درجات مجموعة الأداء العالي(والذين يمثلون أفرادها نسبة 27% من الذين تحصلوا على درجات مرتفعة في الاختبار) بمتوسط درجات مجموعة الأداء المنخفض(والذين يمثلون أفرادها نسبة 27% من الذين تحصلوا على درجات منخفضة في نفس الاختبار) في نفس الميزان بالنسبة لتوزيع درجات الاختبار، ثم بعد ذلك يتم حساب دلالة الفرق بين متوسطي درجات المجموعتين باستخدام اختبار T. Test لعينتين مستقلتين حيث $N_1 = N_2$، ولما تكون لتلك الفروق (قيمةT_c) دلالة إحصائية أمكننا أن نقرر أن الاختبار صادق فيما أعد لقياسه كونه يميز بين المجموعتين(مجموعة الأداء العالي ومجموعة الأداء المنخفض)، والعكس صحيح، وبعد المعالجة الإحصائية لاستجابات أفراد عينة الدراسة على محاور أداة جمع البيانات لهذه الدراسة باستخدام برنامج SPSS تم الحصول على قيمة الصدق التمييزي (قيم T. Test) للاستبيان الموضحة في الجدول التالي:

Statistiques de groupe

	Groupe	N	Moyenne	Ecart-type	Erreur standard moyenne
N. qualité	Groupe Inferieure	16	17,0769	2,46514	,68371
	Groupe Supérieure	16	25,4615	1,12660	,31246

Test d'échantillons indépendants

	Test de Levene sur l'égalité des variances		Test-t pour égalité des moyennes					
	F	Sig.	T	ddl	Sig. (bilatérale)	Différence moyenne	Différence écart-type	Intervalle de confiance 95% de la différence

									Inférieure	Supérieure
N. qualité	Hypothèse de variances égales	5,278	,031	-11,154	24	,000	-8,38462	,75172	-9,93610	-6,83313
	Hypothèse de variances inégales			-11,154	16,803	,000	-8,38462	,75172	-9,97203	-6,79720

جدول رقم (8) يوضح قيمة T.test ودلالتها الإحصائية فيما يتعلق بالصدق التمييزي لاستبيان الدراسة.

القراءة الإحصائية: بالرجوع إلى الجداول رقم (8) وعلى اعتبار أن قيمة مستوى الدلالة لقيمة T_c والمساوية لـ 0.000 أقل من مستوى الدلالة 0,05، 0,01 أمكننا القول أن استبيان هذه الدراسة صادق فيما أعدت لقياسه.

الأساليب الإحصائية المستخدمة لمناقشة فرضيات الدراسة:

من المتعارف عليه، لدى الباحثين في الدراسات الاجتماعية والإنسانية عموما، وعلم الاجتماع، والتربية خصوصا، أن مفاصلة الباحث لأسلوب أو عدد من الأساليب الإحصائية لمناقشة فرضيات دراسة تتم أولا وأخيرا وفق مجموعة من الاعتبارات المنهجية التي ينبغي عليه أخذها بعين الاعتبار والمتمثلة أساسا في طبيعة إشكالية البحث ومتغيراتها، طبيعة الفرضيات، أهداف البحث وأداة جمع البيانات، وانطلاقا من هذا الأساس فإن الإجابة على تساؤلات وفرضيات هذه الدراسة أسلتزم استخدام أسلوبين إحصائيين هما:

اختبار مان – ويثني: وهذا الأسلوب الإحصائي قد تم استخدامه لاختبار الفرضية الجزئية الأولى والثانية.

اختبار كريسكال- واليس: وهذا الأسلوب الإحصائي قد تم استخدامه لاختبار الفرضية الجزئية الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة.

عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

مناقشة الفرضية الجزئية الأولى التي مفادها: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الجنس، والجدول التالي يوضح النتائج المتحصل عليها.

حساب قيمة (U).

Test de Mann-Whitney

Rangs

	الجنس	N	Rang moyen	Somme des rangs
إدارة الجودة الشاملة	أنثى	39	31,29	1220,50
	ذكر	21	29,02	609,50
	Total	60		

Test[a]

	إدارة الجودة الشاملة

U de Mann-Whitney	378,500
W de Wilcoxon	609,500
Z	-,485
Signification asymptotique (bilatérale)	,628

جدول رقم (9) يوضح الدلالة الإحصائية للفروق الموجودة في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الجنس.

القراءة الإحصائية: بالرجوع إلى الجدول رقم (9) وعلى اعتبار أن قيمة مستوى الدلالة لقيمة (U) المساوية لـ 0,628 أكبر من مستوى الدلالة 0,05 و0,01 يتضح لنا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الجنس. بمعنى آخر أن الفرضية الجزئية الثانية لهذه الدراسة لم تتحقق.

الفرضية الجزئية الثانية ومفادها: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير المؤهل العلمي.

حساب قيمة (U).

Test de Mann-Whitney
Rangs

	المؤهل العلمي	N	Rang moyen	Somme des rangs
إدارة الجودة الشاملة	ماجستير	46	28,78	1324,00
	دكتوراه	14	36,14	506,00
	Total	60		

Test[a]

	إدارة الجودة الشاملة
U de Mann-Whitney	243,000
W de Wilcoxon	1324,000
Z	-1,393
Signification asymptotique (bilatérale)	,164

جدول رقم (10) يوضح الدلالة الإحصائية للفروق الموجودة في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير المؤهل العلمي.

القراءة الإحصائية: بالرجوع إلى الجدول رقم (10) وعلى اعتبار أن قيمة مستوى الدلالة لقيمة (U) المساوية لـ 0,164 أكبر من مستوى الدلالة 0,05 و0,01 يتضح لنا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير المؤهل العلمي. بمعنى آخر أن الفرضية الجزئية الثانية لهذه الدراسة لم تتحقق.

الفرضية الجزئية الثالثة ومفادها: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الرتبة العلمية.

حساب قيمة (Khi-deux).

Test de Kruskal-Wallis
Rangs

	الرتبة العلمية	N	Rang moyen
إدارة الجودة الشاملة	مساعد ب	37	26,39
	مساعد أ	9	37,94
	محاضر ب	9	41,11
	محاضر أ	4	32,25
	أستاذ	1	13,00
	Total	60	

Test[a,b]

	VAR00016
Khi-deux	8,193
Ddl	4
Signification asymptotique	,085

جدول رقم (11) يوضح الدلالة الإحصائية للفروق الموجودة في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الرتبة العلمية.

القراءة الإحصائية: بالرجوع إلى الجدول رقم (11) وعلى اعتبار أن قيمة مستوى الدلالة لقيمة (Khi-deux) المساوية لـ 0,085 أكبر من مستوى الدلالة 0,05 و0,01 يتضح لنا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الرتبة العلمية. بمعنى آخر أن الفرضية الجزئية الثانية لهذه الدراسة لم تتحقق.

الفرضية الجزئية الرابعة ومفادها: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الأقدمية في العمل.

حساب قيمة (Khi-deux).

Test de Kruskal-Wallis

Rangs

	الأقدمية في العمل	N	Rang moyen
إدارة الجودة الشاملة	اقل من 5 سنوات	41	27,89
	من 5 – 10 سنوات	12	36,13
	من 11- 15 سنة	6	40,00
	من 16 – 20 سنة	1	13,00
	Total	60	

Test[a,b]

	إدارة الجودة الشاملة
Khi-deux	5,028
Ddl	3
Signification asymptotique	,170

جدول رقم (12) يوضح الدلالة الإحصائية للفروق الموجودة في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الأقدمية في العمل.

القراءة الإحصائية: بالرجوع إلى الجدول رقم (12) وعلى اعتبار أن قيمة مستوى الدلالة لقيمة (Khi-deux) المساوية لـ 0,170 أكبر من مستوى الدلالة 0,05 و0,01 يتضح لنا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الأقدمية في العمل. بمعنى آخر أن الفرضية الجزئية الثانية لهذه الدراسة لم تتحقق.

الفرضية الجزئية الخامسة ومفادها: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير السن.

حساب قيمة (Khi-deux).

Test de Kruskal-Wallis

Rangs

	السن	N	Rang moyen
إدارة الجودة الشاملة	من 25- 30 سنة	30	31,07
	من 36– 45 سنة	26	31,92
	أكثر من 46 سنة	4	17,00
	Total	60	

Test[a,b]

	إدارة الجودة الشاملة
Khi-deux	2,641
ddl	2
Signification asymptotique	,267

جدول رقم (13) يوضح الدلالة الإحصائية للفروق الموجودة في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير السن.

القراءة الإحصائية: بالرجوع إلى الجدول رقم (13) وعلى اعتبار أن قيمة مستوى الدلالة لقيمة (Khi-deux) المساوية لـ 0,267 أكبر من مستوى الدلالة 0,05 و0,01 يتضح لنا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير السن، بمعنى آخر أن الفرضية الجزئية الثانية لهذه الدراسة لم تتحقق.

الفرضية الجزئية السادسة ومفادها: توجد فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الحالة الاجتماعية.

حساب قيمة (Khi-deux).

Test de Kruskal-Wallis

Rangs

	الحالة الاجتماعية	N	Rang moyen
إدارة الجودة الشاملة	عازب	31	32,89
	متزوج	27	27,69
	مطلق	1	59,00
	ارمل	1	4,00
	Total	60	

Test[a,b]

	إدارة الجودة الشاملة
Khi-deux	6,357
ddl	3
Signification asymptotique	,095

جدول رقم (14) يوضح الدلالة الإحصائية للفروق الموجودة في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الحالة الاجتماعية.

القراءة الإحصائية: بالرجوع إلى الجدول رقم (14) وعلى اعتبار أن قيمة مستوى الدلالة لقيمة (Khi-deux) المساوية لـ 0,095 أكبر من مستوى الدلالة 0,05 و0,01 يتضح لنا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في آراء أساتذة الجامعة لدور إدارة الموارد البشرية في تحقيق الجودة الشاملة بمؤسسات التعليم الجامعي وفق متغير الحالة الاجتماعية، بمعنى آخر أن الفرضية الجزئية السادسة لهذه الدراسة لم تتحقق.

اقتراحات الدراسة:

-وجوب الاهتمام بتحول إدارة المؤسسات الجامعية نحو تطبيق الجودة الشاملة.

-تنمية ثقافة الجودة داخل المؤسسات الجامعية وإدارتها وتفعيل ذلك كما وكيفا، والبدء بتدريس مفاهيم مبادئ الجودة.

-إعادة صياغة الإطار الفكري للعمل التربوي نحو التحول اتجاه مفهوم إدارة الجودة الشاملة.

-تكوين جهاز متخصص لإدارة الجودة الشاملة في التعليم الجامعي وهذا الجهاز يكون قادر علي التطبيق والتنفيذ والتقويم للمخرجات التعليمية المطلوبة وبشكل مستمر.

-اختيار وتدريب كوادر قيادية فاعلة في العمل الإداري تستخدم أساليب حديثة في الاتصال والتواصل وإقامة علاقات إنسانية تشجع علي العمل وتزيد دافعية جميع الأفراد نحو العمل.

-فهم وإدراك أهمية تطبيق إدارة الجودة الشاملة من قبل إدارة المؤسسة الجامعية.

-التخطيط الفعال لتطبيق إدارة الجودة الشاملة من قبل إدارة المؤسسة الجامعية.

قائمة المراجع.

1. يسعد فايزة(2007)، مدى تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة في الجامعة الجزائرية من وجهة نظر الهيئة التدريسية والإدارية، رسالة ماجستير، كلية الآداب و العلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس – سطيف-.
2. البكري محمد بن عبد الله(2001)، أسس ومعايير نظام الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية والتعليمية ، المجلة التربوية ، جامعة الكويت، ع 60.
3. بدح أحمد محمد(2003)،الجودة الشاملة: نموذج مقترح للتطوير الإداري وامكانية تطبيقه في الجامعات الأردنية العامة، أطروحة دكتورا ، جامعة عمان العربية للدراسات العليا، الأردن.
4. محمد منير مرسي(2002)، الاتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر وأساليب تدريسه، ط1، علم الكتب، القاهرة.
5. مدحت محمد ابو نصر(2007)، إدارة وتنمية الموارد البشرية الاتجاهات المعاصرة ، ط1، مجموعة النيل العربية، القاهرة.
6. زين الدين، فريد عبد الفتاح(1996)، إدارة الجودة في المؤسسات العربية، القاهرة.
7. قمر محمد غيث ماجي(2013)، اثر التخطيط الاستراتيجي في تطوير الموارد البشرية: بحث مقدم إلى مؤتمر الموارد البشرية شريك استراتيجي في العمل والتطوير المؤسسي، المنظمة العربية للتنمية الرادارية، دبي.
8. المصري مروان.(2007)، تطوير الأداء الإداري لرؤساء الأقسام الأكاديمية بالجامعات الفلسطينية في ضوء مبادئ إدارة الجودة الشاملة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة.

9. عبد الحليم محمد، يوسف بحر(2006)، مدى تطبيق العاملين في كلية التجارة بجامعة النيلين للجودة الشاملة، مجلة الجامعة الإسلامية، م15، ع1.

نظريات العمل

Theories of work

أ. بلقرة زين الحياة، جامعة باتنة1-الجزائر

ملخص: لقد حضي موضوع العمل في المنظمات باهتمامات المفكرين منذ القدم، لاسيما علماء المسلمين أمثال الفرابي، الماوردي، الغزالي وابن خلدون، ولعل ما ميز أفكارهم هو التركيز على القيم الدينية الإسلامية للعمل، ومع تطور المجتمعات البشرية خاصة فترة الكساد الاقتصادي الذي عرفته الدول الغربية وفي بداية الثلاثينات من القرن الماضي، تزايد الاهتمام بالعمل في المنظمات فظهرت عدة اتجاهات فكرية ونظريات اختلفت باختلاف منطلقاتها الفكرية فرواد الفكر الكلاسيكي انطلقوا من فكرة العقلانية حيث برز مفهوم الرجل الاقتصادي، إذ إعتبرت المنظمة هيكل يعمل من خلال جماعة رسمية، أما رواد الفكر السلوكي فقد اعتبروا أن المنظمة مجموعة أفراد لديهم أهداف مشتركة، كما اهتموا بالجانب النفساني للعاملين، في حين اعتبرت الاتجاهات الحديثة المنظمة نظاما متكاملا هادفا يتأثر ويؤثر في بيئته.
الكلمات المفتاحية: نظرية، عمل، نظريات العمل.

Abstract: The subject of work in organizations has been concerned with the concerns of intellectuals since ancient times, especially Muslim scholars such as Al-Farabi, Al-Mawardi, Al-Ghazali and Ibn Khaldun. With the development of human societies, especially the period of economic depression experienced by the Western countries and in the early 1930s, the increasing interest in working in organizations has emerged several intellectual trends and theories that differed according to their intellectual origins. The pioneers of classical thought came from the idea of rationality, Working through an official group. The pioneers of behavioral thought considered that the organization is a group of individuals with common goals, as well as the psychological aspect of the workers, while the recent trends considered the organization a comprehensive integrated system affected and affects the environment. Keywords: theory, work, work theories.

key words: Theory, action, theories of work.

1. **تحديد مصطلحات الدراسة"**

مفهوم النظرية: تعني النظرية نسق من القضايا والقوانين والتعميمات التي تم تحقيقها، والتي تحكم الظواهر موضوع الدراسة(حسين عبد الحميد رشوان، 2004، ص187).

تعريف العمل:العمل هو نشاط إنساني ديناميكي منظم وهادف، يقوم على المعرفة وعلى البصيرة، كما أنه جهد منظم له آثار في واقع الناس وفي حياة المؤسسات والمنظمات(محمد مسلم، 2010، ص7).

نظريات العمل: نظريات العمل هي مجموعة النظريات التي تناولت موضوع العمل من الجوانب الاقتصادية أو النفسية أو السلوكية وغيرها.

1. **العمل عند بعض رواد الفكر الإسلامي:** من أهم الدراسات التي آثرت الفكر الإسلامي تلك التي قام بها عدد من رواد الفكر الإسلامي في حقل الإدارة، ومن أهم الرواد الذين أسهموا بأعمالهم في إثراء الإدارة الإسلامية يمكن ذكر:

أولا: الفرابي(259ه-329ه): حاول وضع الأسس التي يقوم عليها المجتمع الفاضل، مؤكدا أهمية الفرد في تطوير نفسه، ثم تطوير الآخرين في المدينة الفاضلة، وهذا يعني أن الإنسان لاستطيع القيام بكل شيء إلا من خلال جماعة اجتماعية أي كل فرد يقوم بشيء ما(كمال التابعي، دس، ص89).

إن ما لمسه من واقع فاسد، بدأ يستثري في أرجاء الدولة العباسية جعله يتجه بفكره إلى نظام مثالي في الحكم والإدارة إلى صلاح هذا الواقع الفاسد. ومن إسهامات الفارابي التي لها أثر واضح في الحكم والإدارة، ما تضمنه مؤلفه حول آراء المدينة الفاضلة والمدينة التي يتحدث عنها تمثل نموذجا متطور المجتمع إنساني يؤدي فيه كل عضو من أعضائه وظيفة تتوافق مع قدرته وكفاءته حيث يرى أن الجانب الاجتماعي والذي له صلة وثيقة بالحكم والإدارة يشمل مرتكزين أساسيين هما :

الجماعة الفاضلة و مقوماتها:أشار إلى أهم مقوماتها التعاون الكامل، حيث أن الإنسان قد فطر على الإجتماع بغيره من البشر والتعاون وذلك إشباعا لحاجاته. كما تطرق إلى أن هدف هذه الجماعة هو السعادة وقوام هذه الجماعة وأساسها هو التدرج الرئاسي، فتنظيم الجماعة عنده يقوم على أساس هرمي يتدرج فيها الأفراد حسب قدراتهم وكفاياتهم وعليه فالجماعة (المنظمة) النموذجية عند الفارابي جماعة متعاونة سعيدة وهي الجماعة التي ينشدها رواد الفكر الإنساني المعاصر عن طريق التنظيم الإجتماعي غير الرسمي، كما أن هذه الجماعة تقوم على التنظيم الرئاسي الهرمي وهو تشكيل التنظيم الرسمي عند أنصار الفكر الإداري العلمي.(محمد إسماعيل، 2004، ص82)

القيادة الفاضلة و خصائصها: وفي تناولهم للقيادة الفاضلة للجماعة الفاضلة تعرض في تحليله لخصائص القيادة الفاضلة، ففي رأيه أن القيادة الفاضلة ليست كلها أو مكتسب كلها، وهذا ما يتحدث عنه علماء النفس والإدارة المعاصرون.

ثانيا: الماوردي (364 ه– 450ه): للماوردي في الادارة الحكومية وأصولها أكثر من مؤلف هي الأحكام السلطانية في قانون الوزارة وسياسة الملك ويعد كتاب"الأحكام السلطانية"أول

مدرسة علمية منهجية تناولت أساسيات الإدارة الحكومية الإسلامية والكتاب يعالج عدد من الموضوعات التي تعالجها اليوم أحدث المؤلفات في علم الإدارة العامة، ومن الموضوعات التي تعالجها التي عالجها دراسة الدولة ورئاستها، الوزارة والديوان، اللامركزية الإدارية(الحكم المحلي)، كما عرض موضوعات للإدارة المالية(محمد إسماعيل، 2004، ص83)

ثالثا: الغزالي (450ه-505ه): للإمام الغزالي مؤلفات عديدة في الفلسفة الأخلاقية أهمها"التبر المسبوك في نصيحة الملوك"والذي يعكس إتجاها سلوكيا أخلاقيا في الفكر السياسي وقد تضمن هذا الكتاب توجيهات وإرشادات يقال إنها موجهة أصلا إلى السلطان"محمد بن ملك شارة"، وتحديد الوصايا العشر في المنهج السلوكي والأخلاقي للحكم والإدارة، كما اعتبر كتابه وما تضمنه من إرشادات بمثابة نصائح إدارية حكيمة. وقد أطلق عليها الغزالي(أصول العدل والإنصاف)وهي تمثل في مجموعها ضوابط السلوك الإداري الإسلامي القويم.(محمد إسماعيل، 2004، ص83).

رابعا: ابن خلدون (732ه-808ه): لفكر ابن خلدون الاجتماعي تأثيره الواسع على الفكر الإداري وذلك بإعتبار الإدارة ظاهرة إجتماعية تتناول بالتنظيم نشاطات الأعمال البشرية التي تؤدى بصورة جماعية ويتضح دور ابن خلدون في هذا الصدد في تأصيله العلمي ودوره كرائد للتنظيم ونظريته في العمل كمصدر للقيمة(محمد إسماعيل، 2004، ص86)

نظرية العمل هو مصدر القيمة: يرى ابن خلدون أن العمل هو المصدر الأساسي للقيمة والثروة وأن الزراعة والصناعة والتجارة هي أساس تحقيق الدخل، وأن خدمة السلطان أي الوظائف العامة تعد من وجوه المعاش والكسب الطبيعية المكملة لأساسيات المعاش .

كما ذهب ابن خلدون إلى التطور الاجتماعي والسياسي يتمثل في عاملين أساسيين هما: العامل الاقتصادي (المادي)، والعامل المعنوي(غير المادي) حيث أن تطور المجتمع يكون أساسه اقتصاديا نظرا لاختلاف الحرف التي يزاولها الأفراد إضافة إلى وجود الأساس المعنوي وعلاقاته الاجتماعية التي تقابله(كمال التابعي، دس، ص97).

من خلال ما تقدم نلاحظ أن الاهتمام بالعمل قد حاز على اهتمامات المفكرين منذ القدم، فقد حاول الفرابي وضع أسس المجتمع الفاضل، إلا أن الماوردي كان سباقا لوضع الأسس العلمية للإدارة الإسلامية الحكيمة، أما الغزالي فقد ركز على الجوانب الأخلاقية للعمل، كما تطرق ابن خلدون في إسهاماته لتأسيس نظرية العمل مصدر القيمة، وأن تطور المجتمعات يكون بالعمل والعلاقات الاجتماعية الناتجة عنه.

رواد الفكر الكلاسيكي: امتدت مرحلة المدرسة الكلاسيكية لمدة مابين (1930-1900)، وبرزت خلالها نظريات الإدارة الأولى التي وصفت بالكلاسيكية لقدمها حيث اعتمدت نظريات هذه المدرسة على التبرير الإقتصادي للعمل وهنا يكمن سلوك الأفراد في اندفاعهم للعمل للحصول على العوائد المادية، وتبعا لذلك فهم يطيعون أوامر مدرائهم(غني دحام تناي الزبيدي وآخرون، 2015، ص20)، ترجع جذور المدرسة الكلاسيكية إلى بدايات القرن العشرين واستمرت تحظى بالقبول والاهتمام حتى أواخر الثلاثينات من هذا القرن وقد أسهم

في دعم وتأكيد هذه النظرية كل من رواد الإدارة الأوائل أمثال: تايلور وفايول وماكس فيبر وغيرهم.فقد اهتمت هذه المدرسة بالطرق والأدوات العلمية لتحديد أساليب أداء العمل، ولذلك كان اهتمام روادها منصبا على تحديد المفاهيم ووضع المبادئ الخاصة بدراسة الحركة والزمن، وتخطيط مكان العمل، والرقابة على الإنتاج، وتحديد طرق الأجور مما جعل البعض يطلق عليها اسم مدرسة الهندسة البشرية لأنها اهتمت أساسا بالعمل وأعطت العامل البشري مرتبة ثانوية من الإهتمام.(لوكيا الهاشمي، 2006، ص41)، ومن النظريات الكلاسيكية التي تطرقنا إليها، نجد ما يلي:

أولا. نظرية الإدارة العلمية: فريدريك ونسلو تايلور(1915-1856):

لقد تطورت حركة الإدارة العلمية في الولايات المتحدة الأمريكية في العشرينية الأولى من القرن العشرين، وأهم من يمثل هذا المدخل إلى جانب تايلور نجد لوثر غوليك، جيمس موني، فرانك جيلبرت(علي غربي وآخرون، 2007، ص32)، كانت هذه النظرية أول أشكال الترشيد لعملية العمل وللمبادئ التنظيمية وقد ظهرت نتيجة عدة عوامل هي:

- اهتمام تايلور بدراسة المشاريع والتنظيمات الصناعية من أجل الوصول إلى أنجع السبل لتحسين الكفاءة الإنتاجية وزيادة الانجاز الوظيفي بعدما لاحظه من مظاهر الهدر والإسراف في استعمال الموارد الأولية وضعف تأهيل العمال وسوء تدريبهم.

-رغبته في تأسيس علم الإدارة، كعلم يعتمد على التخطيط ويقوم على مجموعة من القوانين العلمية والبادئ والقواعد المستمدة من نتائج الدراسات النظرية والتطبيقية، ولهذا قام بتأليف كتاب"مبادئ الإدارة العلمية"عام 1911، وخلص إلى صياغة مجموعة من المبادئ التي يمكن الاعتماد عليها وهي(حسان الجيلاني، 2008، ص20):

- استخدام الأسلوب العلمي في الوصول إلى حلول للمشاكل الإدارية واتخاذ القرار.
- اختيار الآلات والمواد والعمال بطريقة علمية.
- بعد اختيار العامل المناسب يعهد إليه بعمل محدد على أن توفر له الإدارة التعليمات والإرشادات فيما يتعلق بكيفية الأداء الأمثل للعمل.
- يجب أن يكون هناك تعاون كامل بين الإدارة والعمال وأن يعاد توزيع العمل بينهم على أساس قيام الإدارة بمهام التخطيط والتنظيم وقيام العامل بمهام التنفيذ.
- استخدام الحوافز المادية لتشجيع العمال على تأدية العمل بالكفاءة المطلوبة.
- استخدام الخبراء المختصين لتحديد الشروط اللازمة لأداء العمل على أكمل وجه.
- اهتمت بصفات العامل التي تحقق الكفاءة للتنظيم وهي الطاقة والسرعة والاستمرارية، أما صفات التنظيم التي تركز عليها الإدارة العلمية فتتمثل في:

- العمـــــــل.
- تقسيم العمل والتخصص.
- الهيكل التنظيمي الرسمي.
- الرشد في العمال والإدارة.
- تحديد نطاق الإشراف .

ـ استخدام الحوافز الاقتصادية للتحفيز.

الانتقادات الموجهة إلى هذه النظرية: ظهرت هذه النظرية في ظل الظروف التي كانت تعيشها المنظمات الأمريكية آنذاك والتي تميزت بنمو حجمها وزيادة حجم إنتاجها، مع ظهور الحاجة لزيادة كفاءة العاملين لتحقيق أقصى عائد اقتصادي ممكن لأصحاب المنظمات، وقد استهدف تايلور في دراسته تحويل المصالح المتعارضة بين العاملين وأصحاب العمل إلى مصالح مشتركة عن طريق ما أسماه بتحقيق أعلى مستوى للرفاهية لطرفي المعادلة في المنظمة(رابح توايحية، 2012، ص76-77).

رغم انتشار أفكار الإدارة العلمية إلا أنها لم تسلم من الانتقاد لأنها مثلت دعما قويا للرأسمالية ومشاريعها من خلال حرص تايلور على زيادة الإنتاج وضمان أقصى معدلات الربح و المنفعة لصاحب العمل، في مقابل المزيد من الاستغلال والاستنزاف لقوى العمال الذين لا يملكون سوى بيع قدراتهم وطاقاتهم في سوق العمل لسد رمقهم، فضلا عن ذلك فقد جردت العامل من طابعه الإنساني، وتجاهلت الجانب الاجتماعية والنفسية الأفراد في التنظيمات، كما أنها لم تلتفت إلى قدراتهم على الابتكار والتطوير الأمر الذي جعل أعمالهم روتينية، كما عمقت مشاعر الاغتراب لديهم كيف لا، وقد تحول العامل إلى مجرد آلة، كما كانت نظرتها قاصرة حين اعتقد أن الأفراد يتحفزون بالحوافز الاقتصادية، المادية من خلال تطبيق مفهوم الرجل الاقتصادي، كما أهملت التنظيم الغير رسمي واعتبرته من معوقات التنظيم الرسمي.(على غربي وآخرون، 2007، ص33-32)، بالإضافة إلى أن الإفراط في التخصص وتقسيم العمل يؤدي بدوره إلى انهيار العامل(ناصر دادي عدون، عبد الله قويدر، دس، ص9)، ومن جهة أخرى نجد أن تايلور حاول أن ينظم العلاقة بين الإدارة والعمال من خلال عدة مبادئ (طاهر محمود كلالدة، 2011، ص23)، حيث وضع أربعة أسس لتطوير الإدارة علميا أولها تطوير حقيقي في الإدارة، ثانيهما الاختيار العلمي للعاملين، ثالثا وهو الاهتمام بتنمية وتطوير العاملين وتعليمهم، ورابعا التعاون الحقيقي بين الإدارة والعاملين.(صلاح الدين عبد الباقي، 2000، ص23)، فلقد أكد تايلور على معايير العمل، حيث قوبل من الناقدين بهجوم تركز على إهماله للجانب الإنساني ومطالبته للعمال بأداء معدلات إنتاج دون أن يحصلوا على أجر بنفس الدرجة(عطا الله محمد تيسير الشرعة، غالب محمود سنجق، 2015، ص27).

إن الهدف من تطبيق النظرية هو تنظيم العمل داخل المؤسسات أو المنظمات التي تعتبر كيان اجتماعي ترابطي توافقي يجمع فيه المؤسسون على وحدة الرأي والاتفاق على عقد شراكة لمدة غير محددة .(عبد الله حسين جوهر، 2011، ص7).

ثانيا. نظرية التقسيم الإداري: هنري فايول (1925-1841):

يرى بارسونز أن التنظيم هو وحدة اجتماعية يتم إنشاؤها من أجل تحقيق هدف معين(عباس سمير، 2012، ص18)، وقد انصب اهتمام أنصار هذه النظرية على التكوين الداخلي للتنظيم وعلى كيفية توزيع النشاطات بين أقسامه بالشكل الذي يحقق التكامل بينهما وذلك بتحديد أهداف التنظيم، كما قامت بتعديل الأفكار التايلورية وتدارك نقائصها وارتبطت

بمؤسسها هنري فايول، فقد ابرز وظيفة الإدارة كوظيفة متميزة تماما عن وظائف المشروع الأخرى كالتمويل،التأمين والمحاسبة والإنتاج وأوضح أن وظائف الإدارة تتمثل في: التخطيط ،التنظيم، إصدار الأوامر، التنسيق والمراقبة. (نواف كنعان، 1999، ص59)، ولقد قدم فايول مجموعة من الأفكار والملاحظات والمبادئ التي يمكن الاسترشاد بها في وضع أسس نظريات الإدارة الحديثة كما ركزت هذه النظرية على العمليات الداخلية للتنظيم وأهمية تقسيم العمل واهتمت بالإشراف والتحكم والسلطة داخل التنظيمات الحديثة.(حسين عبد الحميد، 2014، ص58)، كما قدم مؤلفه الشهير " الإدارة العامة والصناعية " الذي صدر عام 1916 الذي قدم فيه مجموعة من المبادئ التي يقوم وفقها نظام العمل السليم بين الجماعات التنظيمية وهذه المبادئ هي: (أحمد ماهر، 2004، ص28-27).

- **تقسيم العمل والتخصص**: الذي يهدف للحصول على أكبر قدر من الإنتاج بنفس الجهد الذي يبذله العامل أي يمكن إعطاء كل عامل جزء من الوظيفة.
- **السلطة والمسؤولية**: ويرى أن السلطة والمسؤولية مرتبطتان، فالمسؤولية هي الالتزام بمسؤوليات محددة لانجاز ما فهي تتبع السلطة وتنبثق منها، أما السلطة هي حق إصدار الأوامر وفي نظر فايول إن السلطة هي مزيج من السلطة الرسمية المستمدة من مركزه كمدير والسلطة الشخصية التي تتكون من الذكاء والخبرة.
- **النظام والانضباط**: يعني ضرورة احترام النظم واللوائح وعدم الإخلال بالأداء.
- **وحدة الأمر**: وتعني أن يتحصل كل موظف على أوامر من شخص واحد.
- **وحدة الهدف:** هناك هدف رئيسي هو هدف المنظمة وعلى الإدارة أن تحقق هذا الهدف، وعلى الأقسام التابعة لكل إدارة المساعدة في تحقيق الهدف الأعلى.
- **المركزية**: وتعني تركيز السلطة أو القرارات في يد الإدارة العليا.
- **التسلسل الرئاسي**: يجب أن يحترم العاملون خطوط انسياب السلطة من أعلى إلى أسفل، وان تخضع الاتصالات لمبدأ التدرج حسب السلطة من أعلى إلى أسفل أو العكس.
- **الترتيب:** وتعني وضع الشخص الناسب في المكان المناسب.
- **العدالة**: وتعني المساواة بين الأفراد وتحقيق العدالة لكسب ثقتهم وزيادة إخلاصهم للعمل.
- **استقرار الموظف في العمل:** يجب اختيار العاملين وتوفيرهم وتدريبهم بشكل يقلل من احتمال تسريحهم ويحقق الاستقرار في العمل.
- **المبادرة:** أي إعطاء الموظف الفرصة لممارسة قدرته على التصرف وتنمية روح الابتكار وتقديم أفكار جديدة.
- **روح الجماعة**: تنمية روح التعاون بين الأفراد وتشجيعهم على العمل الجماعي.
- **خضوع مصالح الفرد لمصالح المنظمة**: أي يكون هناك تكامل بين مصالح الفرد والمنظمة مع أولويات المنظمة على مصالح الشخصية للأفراد.
- **تفضيل مكافأة العاملين بعدالة**: أي تلقي العاملين لأجور وحوافز مناسبة للمجهودات المبذولة.

أما الأنشطة الإدارية داخل المنظمة، حسب فايول فقد قسمها إلى ستة أنشطة منفصلة مركزا على أهمية النشاط الإداري عند تقسيم المشروع الصناعي وهي:

- **النشاط الفني**: ويقصد به النشاط الخاص بالإنتاج، التصنيع والتحويل.
- **النشاط التجاري**: ويقصد به النشاط الخاص بالشراء والبيع والمبادلة.
- **النشاط المالي:** ويقصد به النشاط الخاص بالبحث عن الأموال والاستخدام الأمثل لها.
- **النشاط المحاسبي**: ويقصد به النشاط الخاص بالجرد وحسابات الخسائر والأرباح والتكاليف(محمد جاب الله عمارة، دس، ص110).
- **النشاط الأمني:** ويقصد به النشاط الخاص بحماية الأشخاص وممتلكات التنظيم.
- **النشاط الإداري:** ويقصد به النشاط الخاص بالتخطيط والتنظيم واصدار الأوامر والتنسيق والرقابة(لوكيا الهاشمي، دس، ص51).

ويرى فايول أن المنظمة مهما كانت بسيطة أو معقدة، صغيرة أم كبيرة فان هذه المجموعة من النشاطات ينبغي أن تتوافر دائما في المشروع الصناعي، وان لا يتولاها إلا الكفاءات القادرة على القيام بها.كما أشار إلى أن العمليات الإدارية في أي تنظيم تتألف من التخطيط والتنظيم والتوجيه والتنسيق والرقابة(موسى اللوزي، 2002، ص52)

يعد فايول أول من أسس بطريقة نظامية المبادئ الأساسية للإدارة لكل مؤسسة وتنظيم.ولقد بين بأن الفعالية التنظيمية ليست كافية لتحمل المسؤولية وذلك بسبب عدم نجاعة المسؤولين وضعف تكوينهم في مجال الإدارة حيث أكد على التكوين بالنسبة للأعوان(معمر داود، 2009، ص108)

ثالثا.النظرية البيروقراطية(ماكس فيبر 1920):

بموجب هذه المدرسة فإن الإدارة هي الإدارة العليا للمنظمة، عن طريق وضع أنظمة وتعليمات وقواعد عمل بشكل مدروس وعملي ومدون يشمل كل علاقات السلطة داخل المنظمة(عبد الله حسين جوهر، 2011، ص14).

يعتبر ماكس فيبر أول من حاول صياغة رؤية نظرية وواقعية لمقاربة التنظيمات البيروقراطية ، فالبيروقراطية في مفهومها اللغوي مشتقة من مقطعين ذو أصل لاتيني وتعني في الفرنسية الحديثة كلمة "بيرو" المكتب و" كراصي " السلطة أو الحكم، والكلمة بمجملها تعني حكم المكتب أو سلطة المكتب. ويعرف ماكس فيبر التنظيم البيروقراطي بأنه تنظيم عقلاني يمتاز بالموضوعية والدقة، الثبات والفعالية فهو وسيلة لتحويل فعل مجتمع غير عقلاني إلى فعل مجتمع منظم ورشيد.

وقد وضح فيبر المعايير والمبادئ التي تحكم في تصوره التنظيم البيروقراطي المثالي وتساعد المدير على تحقيق أهداف التنظيم وهي: (نواف كنعان، 1999، ص68-67)

- تنظيم الوظائف الرسمية داخل التنظيم تحكمه قواعد معينة ويتمتع الموظفون الشاغلون لهذه الوظائف بحريتهم الشخصية في العمل عدا النشاطات الرسمية التي تحكمها القوانين.
- يقوم تنظيم المناصب على مبدأ التسلسل الرئاسي لتحديد علاقات واضحة بين الرؤساء والمرؤوسين.

- يتم اختيار الموظفين على أسس من القواعد أو المعايير الفنية ويتم التأكد من المؤهلات الفنية بالاختيار وتلقي المرشح للتدريب.
- جميع الأنظمة والقواعد التي تحكم أنشطة العمل تصاغ بشكل قواعد ثابتة ومكتوبة.
- يخضع الموظفون لنظام صارم وإشراف محكم أثناء قيامهم بمهامهم.
- السلطة الشرعية في التنظيم يمسك زمامها الرئيس الاداري، يمكن أن تمارس في أشكال مختلفة ولكن في إطار من الشرعية.

وقد وضع ماكس فيبر ثلاث أنماط للسلطة يمكن عرضها بإيجاز فيما يلي:

السلطة التقليدية: وهي نابعة من المعتقدات والأعراف الموروثة فهي التي تحدد الأحقية بالسلطة.

السلطة المملوكة أو الكارزمية: ترتبط بشخصية الزعيم أو القائد، الولاء والطاعة بسبب الإعجاب الشديد بصفاته وأعماله.

السلطة القانونية تقوم على قواعد مقننة تحدد واجبات وحقوق الحاكم والمحكوم وطريقة تولي المناصب وانتقال السلطة وتداولها وممارستها.

حيث أن السلطة يعرفها بأنها: حرية التصرف واتخاذ القرار لتنفيذ مهام معينة أما المسؤولية فهي الالتزام بتنفيذ وتحقيق تلك المهام على الوجه المستهدف أما القوة فيعرفها بأنها احتمال قيام أحد الأفراد بفرض سلوكه على الآخرين (بلقاسم سلاطنية، اسماعيل قيرة، 2008، ص133-132).

خصائص البيروقراطية: تتسم البيروقراطية بعدد من الخصائص من بينها تدرج الوظائف، قنوات الاتصال ذات المستويات المتدرجة واستخدام الملفات والسرية والتحديد الواضح لمجالات ممارسة السلطة التي تحددها القواعد العامة، وتحكمها التعليمات والفصل الإداري بين الأنظمة الرسمية والشؤون الخاصة، وفي رأي فيبر أن الموظفين يعينون من قبل سلطة أعلى وليس عن طريق الانتخابات كما أنهم يتمتعون باستمرارية وظائفهم طيلة حياتهم وبارتفاع مكانتهم وهم أصحاب الرسالة ويتسمون بالولاء لحياتهم العملية(محمد محمود الجوهري، ص281)

الانتقادات الموجهة إلى النظرية:

- نظر فيبر إلى المؤسسة كنظام مغلق أو كوحدة مستقلة عن البيئة الخارجية وركز على عناصرها البيروقراطية التي يمكن التحكم فيها وترشيدها لتحسين الكفاءة.
- أهمل الجوانب النفسية والاجتماعية واقتصر على تصوره للفرد باعتباره مجرد آلة يؤدي وظيفة محددة.
- تضخم الأعباء الروتينية والأوراق والتوقعات والأختام.
- القضاء على روح المبادرة والابتكار والنمو الشخصي.

من خلال ما تقدم يمكننا القول أن المدرسة الكلاسيكية اعتبرت المنظمة كيانا ميكانيكيا، اعتبرت العامل آلة بحيث جردته من إنسانيته، وكان تايلور أول من درس العمل دراسة علمية مستفيضة، حيث ابتدأ من المستوى الأدنى للإدارة(الورشة) بعد تسجيله لبعض

الملاحظات حول العمل والعمال(تدني الإنتاجية، عدم ملائمة وسائل الإنتاج المستخدمة في العمل، تكاسل العمال) ومن ثم قام بعدة تجارب مثل تجربة رفع الكتل المعدنية، تجربة ملائمة الأدوات المستخدمة، وتجربة تغذية الآلات بمدخلات الانتاج وغيرها. ولعل أهم ما ميز فايول عن تايلور هو محاولة فايول تطوير نظرية عامة للإدارة مازالت إلى يومنا هذا.أما بالنسبة لماكس فيبر فقد قسم المجتمعات حسب شاغلي الوظائف إلى ثلاثة مراحل وهي مرحلة السلطة التقليدية، مرحلة السلطة الكارزمية ومرحلة السلطة القانونية(البيروقراطية)بحيث في هذه المرحلة يشغل الوظائف أناس لهم مؤهلات توجد في القانون مثل الدقة والانجاز والكفاءة، وبالتالي ركز ماكس فيبر على أن تحقيق المنظمة لإنتاجية عالية لا يتم إلا من خلال صفة المنظمة الإدارية(بيروقراطية).

العمل حسب بعض رواد مدرسة العلاقات الانسانية: إن النظريات التي تناولها المفكرون والتي تناولت موضوع العمل داخل التنظيمات أو المنظمات كثيرة ومتنوعة فماذا نقصد بنظرية العلاقات الانسانية؟

أولا. نظرية العلاقات الإنسانية:

تعد بحوث إلتون مايو ودراساته الحجر الأساس والبداية الفعلية لنشوء مدرسة العلاقات الإنسانية وتطورها، فقد ركزت تلك الدراسات على الجانب الإنساني (النفسي-الاجتماعي)، ومرت دراسة مايو بأربع مراحل على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: طبقت التجربة على مجموعتين، المجموعة المجربة، والمجموعة الضابطة، وفي هذه المرحلة درس تأثير الضوء في مستوى الإنتاجية، فعند زيادة الضوء في مجموعة التجريب، وثباته في المجموعة الضابطة، زادت الإنتاجية في المجموعتين(التجريب-الضابطة)،وعند تدني مستوى الضوء وانخفاضه بقي إنتاج المجموعتين مستمرا في الزيادة، حتى وصل الضوء إلى درجة ضعيفة جدا، عندئذ بدأت إنتاجية المجموعتين بالتناقص.

المرحلة الثانية: درس فيها مدى تأثير ظروف العمل المادية في مستويات الأداء والإنتاجية لدى العاملين، وطبقت هذه المرحلة على عاملات الهاتف، فقد أجريت عمليات تبديل وتغيير في ظروف العمل المختلفة من أوقات الراحة وأيام العمل والعطل وتقديم المرطبات والوجبات الغذائية والحوافز المادية للعمال، وقد تبين في نهاية الدراسة أن ظروف العمل المادية لم تؤثر تأثيرا ملحوظا وواضحا في مستوى الأداء والإنتاجية.

المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة درس العامل الإنساني، بصفته أقوى من الظروف الفنية والظروف المادية، واتضح أن البناء الاجتماعي غير الرسمي ضمن منشأة العمل له دور كبير وحيوي في رفع معدلات الأداء والإنتاجية للعمال، لأنه يربط جماعات العمل بعضها مع بعض، ليصلوا إلى أن هناك ما يسمى بمجموعة العمل التي تضع أسسا واضحة للإنتاجية.

المرحلة الرابعة: تم فيها اختبار نتائج المقابلات، وإجراء الاختبار على مجموعة من العمال بعضهم سريع وبعضهم الآخر بطيء، كما قدم لهم نظام الحوافز، وأثبتت التجربة أن التفاعل الجماعي وارتباط أفراد المجموعة كان أهم أنظمة الحوافز.

فقد توصلت هذه الدراسات والتجارب إلى عدة نقاط يمكن اختصارها على النحو الآتي:
-الحياة الاجتماعية السليمة بين العاملين ضرورية من أجل زيادة أدائهم وإنتاجهم، فالخبرات الاجتماعية هي التي تحدث بشكل مباشر أفق الطموح، والمكانة الاجتماعية، وأشكال السلوك، وأنواع العلاقات الاجتماعية، والقيم المستساغة.
-إن العمل الصناعي هو العمل الجماعي، فالعامل ليس فرديا في المصنع، وإنما يتعامل ويعمل ضمن جماعات وأقسام.
-إن حفظ إنسانية العامل والاهتمام به وصون كرامته وتقديره واحترامه، يساعد كثيرا في تعزيز حوافز الإنتاج في العمل، فالاهتمام بالعمال وإشباع حاجاتهم الاجتماعية والنفسية كفيل برفع مستوى الأداء والإنتاجية، كما يؤدي أيضا إلى رفع الأجور وزيادة المكافآت.(حسين صديق، 2011، ص344-345)

ثانيا. نظرية سلم الحاجات لأبراهام ماسلوا:

يركز ماسلوا في تحليله للدافعية على مفهوم الحاجات الإنسانية، حيث قسم الحاجات الإنسانية إلى خمس مجموعات رتبت على شكل هرم و تدرجت من الحاجات الفيسيولوجيا في قاعدة الهرم إلى حاجات تحقيق الذات في قمة الهرم وهي كالتالي(عبد الفتاح بوخمخم، 2001، ص223):

المرتبة الأولى: الحاجات الفيسيولوجية كالحاجة إلى الطعام، المسكن، الجنس وغيرها.
المرتبة الثانية**:** حاجات الأمن وتشمل حاجات الشعور بالأمن والحاجة للتحرر من المرض.
المرتبة الثالثة: وهي الحاجات الاجتماعية وتشمل الحاجة للانتماء وللحب وهي تعني حاجات الشخص لأن يكون عضوا في جماعة.
المرتبة الرابعة: فهي الحاجة للشعور بالاحترام والتقدير من قبل الآخرين.
المرتبة الأخيرة: وهي تحقيق الذات أو رسالة الإنسان في هذا الوجود(كامل بربر، 2000، ص104)

والفرد يشبع حاجاته بشكل متسلسل ولا يمكن له تحقيق الإشباع الكلي لها، فالفرد العادي في تحليل ماسلوا يحقق إشباعا لحاجاته وفقا للنسب الدرجة في سلم تدرج الحاجات، وصعوبة تحقيق الإشباع تزداد كلما صعدنا في هرم تدرج الحاجات الإنسانية. كما يرى ماسلو أن الاحتياجات ذات الترتيب المنخفض تأخذ الأولوية ويجب تلبيتها قبل الاحتياجات العليا وقبل تفعيلها بحيث يتم تلبية الحاجات بالتزامن والتتابع بدءا بالحاجات الفيزيولوجية.(سليم عيسى، 2010، ص122)

الانتقادات الموجهة للنظرية: بالرغم من عدم تقديم نظرية ماسلوا لمفاهيم معقدة بل تناول مفاهيم تقوم على الحس الفطري البسيط إلا أنها كانت أولى نظريات الدافعية وهي من أكثر النظريات شيوعا ومع ذلك فقد تعرضت للعديد من الانتقادات ومنها(مصطفى نجيب شاويش، 2005، ص53):

- لا يوجد دائما خمس مستويات للحاجات، فقد أثبتت بعض التطبيقات الميدانية لهذه النظرية عن وجود مستويين اثنين للحاجات هما مستوى الحاجات الفيزيولوجيا، ومستوى الحاجات العليا.
- لا يتفق تدرج الحاجات دائما مع هرم ماسلوا، حيث يجب النظر إلى الحاجات في إطار ديناميكي، حيث تكون متغيرة ومتقلبة باستمرار وذلك بسبب المواقف المختلفة التي يجد العامل نفسه فيها.
- هيكل الحاجات غير مستقر بل أنه متغير بدرجة أكثر مما أظهرته النظرية فقد يكون هناك أكثر من مستوى للحاجات توجه سلوك الفرد في وقت واحد.

نستنتج من خلال ما تقدم أن إلتون مايو لم ينف مسلمات تايلور بل أكدها وقام بعدة تجارب ودراسات أضافت البعد الإنساني للمنظمة، فمدرسة العلاقات الانسانية اعتبرت المنظمة كيانا اجتماعيا بحيث تحقق المنظمة أهدافها وأهداف العاملين بها، فقد مهدت دراسات هذه المدرسة لاحترام العلاقات الانسانية في العمل والاهتمام بها، وأصبحت القيادة وفق هذه المدرسة تهتم بحاجات العاملين والمديرين ومن جهة أخرى قبول العاملين لقيادة الرؤساء. كما ركزت على أهمية الجماعات الغير الرسمية في زيادة الانتاجية وبالتالي تحقيق مصلحة وأهداف المنظمة ككل.

ثالثا. نظرية العاملين لفردريك هيرزبرغ :(نظرية العوامل الوقائية والعوامل الدافعية):

لقد تشكلت هذه النظرية من خلال بحث ميداني أجراه لمعرفة الدوافع وإشباع الحاجات لدى 200 مهندس ومحاسب، وضمنه في كتاب نشر سنة 1959. وقد توصل إلى حقيقة مؤداها، إن عدم رضا الفرد في غالب الأحيان إنما هو ناتج عن عدم توفر بيئة العمل المناسبة، كما أن شعور الفرد بالرضي عن عمله، إنما يعود أساسا إلى العمل في حد ذاته وبناء عليه، فقد وجد "هارزبورغ" أن العوامل المؤثرة في بيئة العمل تندرج تحت مجموعتين من العوامل، وهما:

أ)- مجموعة العوامل الوقائية: وتشمل ما يلي:
- سياسة الشركة وإدارتها .
- نمط الإشراف .
- العلاقات مع الرؤساء .
- ظروف العمل.
- الراتب.
- المركز الاجتماعي .
- الأمن الوظيفي.
- التأثيرات على الحياة الشخصية(محمد قاسم القريوتي، 2000، ص91).

ويدعو " هيرزبرغ" العوامل الوقائية بالعوامل اللاإشباعية لأن عدم وجودها يؤدي إلى حالة عدم الرضى، بينما وجودها وتوافرها لا يؤدي إلى تحفيز الأفراد."(علي غربي وآخرون، 2000، ص213).

ب) مجموعة العوامل الدافعية (الحافزة): وهي التي يطلق عليها عادة العوامل الإشباعية، وهي تلك العوامل المرتبطة بالعمل وتعمل في حالة وجودها على بناء درجة عالية من الرضى والتحفيز لدى الموارد البشرية، وتتمثل في:
- الشعور بالإنجاز في العمل.
- الإدراك الشخصي لقيمة عمله نتيجة لإتقانه العمل.
- طبيعة الوظيفة ومحتواها .
- المسؤولية .
- فرض التقدم والتنمية.
- نمو الشخصية وتطورها.

ولقد بين " هيرزبرغ " أن وجود العوامل الدافعية هو الذي يؤدي إلى تحسين الإنتاج، لأنها دوافع ذاتية وتوفر شعور إيجابيا لدى الأفراد، و تعطيهم فرصا للتطور الشخصي، مما يدفعهم لمزيد من العمل وتحسين الإنتاجية، أما العوامل الوقائية فإن وجودها لا يثير الدافعية ولا يؤدي لمزيد من الإنتاج، بل يمنع حصول حالة عدم الرضا و مشاعر الإستياء أو التمرد أو الإضراب عن العمل، فوجود هذه العوامل يعتبر حدا أدنى لا بد من وجوده، ويعتبره العاملون أساسيا ولا يعتبر كرما من الإدارة "(محمد قاسم القريوتي، 2000، ص91)

الانتقادات الموجهة للنظرية:

– طبيعة البيئة الأصلية التي استخدمها هرزبورغ، وقد تساءل النقاد عما إذا كان يمكن تعميم نتائج عينة محدودة، على مجموعات مهنية أخرى، فقد تختلف التقنية والبيئات المحيطة بمجموعتي الدراسة عن المجموعات الأخرى.

– تعجز النظرية ذات العاملين أن تأخذ في الاعتبار الفروق بين الأفراد ويفترض هرزبورغ أساسا أن العاملين يتماثلون في استجاباتهم لبيئة العمل، فيما كشف التقصي الدقيق أن الخصائص الشخصية للأفراد تؤثر في استجاباتهم(أندرودي سيزلاقي، مارك جي والاس، 1991، ص98).

رابعا. نـــــظرية الدر فـــير:

من المداخل الحديثة للدافعية التي تسعى إلى تأسيس حاجات إنسانية في أوضاع تنظيمية نجد هذه النظرية تلخص سلم ماسلوا إلى ثلاث فئات للحاجات هي: البقاء، الانتماء، التطور.

حاجات البقاء: فهي الأشكال المختلفة للرغبات الفيزيولوجية والمادية مثل الجوع و العطش والمأوى وتشمل في المحيط التنظيمي الأجر والمزايا المادية والظروف الفيزيقية للعمل وتقابل هذه الفئة الحاجات الفيزيولوجية وبعض حاجات الأمن والسلامة عند ماسلوا.

حاجات الانتماء: الحاجات الخاصة بالعلاقات الشخصية مع الآخرين في مجال العمل ويتوقف هذا النوع من الحاجات على عملية تبادل المشاعر مع الآخرين للحصول على الرضا وتماثل هذه الفئة بعض حاجات الأمن والحاجات الاجتماعية وبعض حاجات تقدير الذات عند ماسلوا.

حاجات التطور: فهي كل الحاجات التي تتضمن جهود الفرد الموجهة نحو تحقيق التطوع المبدع أو الذاتي في الوظيفة ويتبع إشباع حاجات التطوع عن تولي الشخص لمهام لا تتطلب فقط استخدام الفرد لقدراته بالكامل بل يتطلب أيضا تطوير مهارات جديدة لديه وتقابل حاجات تأكيد الذات وبعض حاجات تقدير الذات(أندرودي سيزلاقي، مارك جي والاس، 1991، ص100).

ونود أن نقول إن مواجهة الفرد لصعوبات بالغة في إشباع الحاجات قد يؤدي به إلى نوع من التوتر الحاد أو ما يطلق عليه الاحباط وفي مواجهة هذا الإحباط، قد يلجأ الفرد إلى بعض الحيل والأساليب الدفاعية عن نفسه، كي لا يؤثر ذلك على اختلالات نفسية حادة لديه ومن ضمن ردود الفعل التي تمثل نوع من السلوك الدفاعي نجد مايلي:السلوك العدواني، التبرير والإسقاط، التعويض، والإنسحاب(محمد سعيد أنور سلطان، 2003، ص259-260)

وتقوم نظرية الدرفير على ثلاث فرضيت أساسية هي:

- كلما انخفضت درجة إشباع الحاجات زادت الرغبة فيها.
- كلما تم إشباع حاجات في المستوى الأدنى اتجهت الرغبة إلى طلب حاجات المستويات العليا.
- كلما قلت إشباع حاجات المستويات العليا اتجهت الرغبة إلى إشباع حاجات المستويات الدنيا.

الانتقادات الموجهة إلى نظرية الدر فير: بالرغم من أن العلماء السلوكيين يعتبرون نظرية الدر فير كأحد النظريات الأكثر فاعلية مع توافر إمكانية البحث فيها كنظرية للدافعية تقوم على مفهوم الحاجة وأن الانتقادات اتجاهها لم تكن بالقدر الكافي لحداثتها نسبيا فهناك بعض الدراسات الحديثة شككت في مدى شمولية النظرية أي أن هناك شواهد على إمكانية تطبيق النظرية في بعض المنظمات دون أخرى نظرا لطبيعة نشاطها(محمد سعيد أنور سلطان، 2003، ص102).

بفضل مجهودات المختصين تحسنت أوضاع العاملين، فمدرسة العلاقات الانسانية اهتمت بالدوافع، الحاجات، والميول. وبالتالي أصبح التركيز على الحوافز المعنوية إلى جانب الحوافز المادية في المنظمة.

خاتمة:

لقد أخذ موضوع العمل أبعادا مفاهيمية جديدة خاصة بعد نشوء الثورة الصناعية وتغييرها لبنى المجتمع المختلفة، حيث ظهرت المصانع كأشكال جديدة لم تكن معروفة من قبل تتجمع فيها الموارد البشرية من أجل العمل وزيادة الانتاجية لحساب صاحب العمل.بعدما كانت مجتمعات العمل القديمة تقوم على أساس نظام الرق الذي يقوم على تبعية العبد لسيده تبعية مطلقة باعتباره أحد الوسائل التي يمتلكها السيد أو صاحب العمل.أما في القرون الوسطى فقد كان سائدا ما يعرف بالنظام الإقطاعي في الزراعة حيث كان الناس يعملون بأجور زهيدة مقارنة مع حجم الجهد المبذول كما أن صاحب العمل من حقه أن يمنعهم من مغادرة الأراضي التي يعملون بها.

لكن سرعان ما أخذ موضوع العمل دربا جديدا مع مجيء الثورة الفرنسية في القرن 18 وانتشار أفكار العديد من الفلاسفة التي كانت سببا في الثورة والتغيير خاصة أن الناس أصبحوا أكثر تحررا من جميع النواحي.

نستخلص مما سبق أن النظريات الكلاسيكية التي برزت في مجال التنظيم الإداري بشكل عام سعت إلى الكشف عن القوانين الثابتة للتنظيم التي يلتزم بها القادة الإداريون في العمل، ويبدوا ذلك واضحا من خلال إتباع نظرية الإدارة العلمية للمنهج العلمي في تحليل العملية الإدارية في محاولته لتحقيق التنظيم الفعال و تنسيق النشاط بين العاملين، كذلك المبادئ التي نادى بها أنصار التكوين الإداري لترشيد سلوك المديرين، كما اتضح من خلال المعايير التي وضعها ماكس فيبر لنمط التنظيم البيروقراطي الذي نادى به وتحليله لنماذج السلطة وأنماط القيادة التي تتلاءم معها.

أما أنصار النظريات السلوكية، فأخذت اتجاها آخرا سعت من خلاله إلى معرفة الحاجات الإنسانية التي تعبر عن أسس أي دافع للعمل، وعلى رأسهم أبراهام ماسلوا الذي يرى أن الدافع إلى العمل لا يتمثل فقط في الحاجات المادية بل هناك حاجات اجتماعية نفسية لا تقل أهمية عنها ، بالإضافة إلى فريد يريك هرزبورغ الذي قدم نظرية العوامل المزدوجة حيث تشير إلى أن الفرد يسعى إلى إشباع مجموعتين من الحاجات (الصحية والدافعة)، أما الدر فير فقد قدم تقسيما آخرا للحاجات مضيفا إلى نظريته حالة الفشل لدى العامل أو كما أطلق عليه النكوص.فهذه النظريات أكدت على ضرورة زيادة الرضا الوظيفي لدى العمال من أجل تحقيق إنتاجية عالية، في حين ركزت النظريات التقليدية بدءا بماكس فيبر على ضرورة السلطة من أجل تسيير نشاط المنظمات وركز فردريك ونسلو تايلور على العمل على المستوى التشغيلي والأنشطة البدنية خاصة التخطيط بالنسبة للمديرين والتنفيذ بالنسبة للعمال، بينما هنري فايول ركز على المستوى الأعلى للإدارة والأنشطة الإدارية خاصة التنسيق في العمل.

قائمة المراجع:

1. أحمد ماهر(2004)، التنظيم(الدليل العلمي لتصميم الهياكل والممارسات التنظيمية)، ط1، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر.
2. أندرودي سيزلاقي، مالرك جي والاس(1991)، ترجمة:جعفر أبو القاسم أحمد، السلوك التنظيمي والأداء، ط1، الإدارة العامة للبحوث، الرياض.
3. بلقاسم سلاطنية، إسماعيل قيرة(2008)، التنظيم الحديث للمؤسسة،ط1، دار الفجر، الجزائر.
4. حسان الجيلاني(2008)، التنظيم والجماعات، ط1، دار الفجر، القاهرة، مصر.
5. حسين صديق(2011)،الإتجاهات النظرية التقليدية لدراسة التنظيمات الاجتماعية عرض-وتقويم، مجلة دمشق،المجلد27، العدد الثلث+الرابع، جامعة دمشق، سوريا.
6. حسين عبد الحميد رشوان(2004)، ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي، ط10، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية .
7. حسين عبد الحميد(2014)، التنظيم الاجتماعي والمعايير الاجتماعية، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر.

8. رابح توايحية(2012)، قانون العمل وتنمية الموارد البشرية بالمؤسسة الصناعية، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
9. الزبيدي غني دحام تناي،عبد الناصر علك حافظ، حسين وليد حسين عباس(2015)، إدارة السلوك التنظيمي، ط1، دار غيداء، عمان، الأردن.
10.سليم عيسى(2010)، إدارة شؤون الأفراد، ط2010، دار أسامة، عمان، الأردن.
11.صلاح عبد الباقي(دس)، إدارة الموارد البشرية، ب.ط، الدار الجامعية، الاسكندرية، مصر.
12.طاهر محمود الكلالدة(2011)، استراتيجيات إدارة الموارد البشرية، ط1، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن.
13.عباس سمير(2012)، الثقافة التنظيمية وإستراتيجية التغيير في المنظمات، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
14.عبد الفتاح بوخمخم(2011)، تسيير الموارد البشرية(مفاهيم أساسية وحالات تطبيقية)،ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
15.عبد الله حسين جوهر(2011)، إدارة الموارد البشرية التخطيط-التدريب-السكرتارية، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر.
16.عبد الله حسين جوهر(2011)، استراتيجيات الإدارة الحديثة التخطيط-التطوير-الرقابة، ط1، مؤسسة شباب الجامعة، مصر.
17.عطا الله محمد تيسير الشرعة،غالب محمود سنجق(2015)، إدارة الموارد البشرية الإتجاهات الحديثة وتحديات الألفية الثالثة، دار المنهجية، ط1، الأردن.
18.علي غربي، إسماعيل قيره، بلقاسم سلاطنية(2007)، تنمية الموارد البشرية، ط1، دار الفجر، القاهرة، مصر.
19.كامل بربر(2002)، إدارة الموارد البشرية وكفاءة الأداء التنظيمي، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
20.كمال التابعي(دس)، تغريب العالم الثالث (دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية)، دون دار النشر.
21.لوكيا الهاشمي(2006)، السلوك التنظيمي، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
22.لوكيا الهاشمي(دس)، نظريات المنظمة، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
23.محمد إسماعيل(دس)، مبادئ الإدارة بين النظرية والتطبيق، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، مصر.
24.محمد جاب الله عمارة(دس)، الإدارة في الخدمة الاجتماعية، المدخل إلى منظومة العولمة "الأصول، المفاهيم، الاتجاهات "، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.
25.محمد سعيد أنور سلطان(2003)، إدارة الموارد البشرية، ط1، دار الجامعة الجديدة، الاسكندرية، مصر.
26.محمد قاسم القريوتي(2009)، مبادئ الإدارة (النظريات والعمليات والوظائف)، ط4، دار وائل للنشر، مصر.
27.محمد محمود الجوهري(2009)، علم الاجتماع الصناعي والتنظيم، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن.
28.محمد مسلم(2010)، تنمية الموارد البشرية دعائم وأدوات، ط1، دار عين مليلة، الجزائر.

29.مصطفى نجيب شاويش(2005)، إدارة الموارد البشرية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
30.معمر داود(2009)، مقاربة ثقافية للمجتمع الجزائري دراسة لبعض الملامح السوسيو نفسية والاقتصادية، ط1، دار طليطلة، المحمدية، الجزائر.
31.موسى اللوزي(2002)، التنمية الإدارية، ط2، دار وائل ، عمان، الأردن.
32.ناصر دادي عدون، عبد الله قويدر(دس)، مراقبة التسيير والأداء في المؤسسة الاقتصادية(المؤسسةالعمومية بالجزائر)، ط1، دار المحمدية العامة، الجزائر.
33.نواف كنعان(1999)، القيادة الإدارية، ط1، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

أسباب انتشار الدروس الخصوصية من وجهة نظر تلاميذ المرحلة الثانوية- دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ الأقسام النهائية بمدينة سعيدة-

The causes of the spread of private lessons from the point of view of the secondary students

د.كورات كريمة، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة-الجزائر

ملخص: هدف البحث للتعرف على الأسباب لانتشار الدروس الخصوصية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية (السنة الثالثة ثانوي) بمدينة سعيدة من وجهة نظرهم في ضوء متغير الجنس والتخصص، لهذا الغرض تم إعداد استبيان مكون من (25) بندًا لقياس أسباب انتشار الدروس الخصوصية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية، تكونت عينة البحث من (200) تلميذ و تلميذة من أقسام السنة الثالثة ثانوي تم اختيارهم بطريقة عشوائية،وبعد المعالجة الإحصائية أسفر البحث على النتائج الآتية:

-تنتشر الدروس الخصوصية بشكل كبير بين تلاميذ المرحلة الثانوية في مختلف التخصصات (العلمية و الأدبية)

-وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسط استجابات الجنسين لأسباب انتشار الدروس الخصوصية تبعًا لمتغير الجنس لصالح الإناث.

-توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الاقتناع بأسباب أخذ الدروس الخصوصية تبعًا لمتغير التخصص لصالح التلاميذ ذوي التخصص العلمي.

الكلمات المفتاحية: الدروس الخصوصية، مرحلة التعليم الثانوي.

Abstract The research aims to identify the causes of the proliferation of private lessons to secondary students in the variables of sex and specialty, The Search Tool is uestionnaire to identify the causes of the proliferation of private lessons to the pupils in secondary education, The sample was (200) students and pupils were selected randomly, resulting in research on the following results:

-spread lessons Privacy Policy significantly among secondary students in various disciplines (scientific and literary)

There are a statistically significant differences between males and females to the cause for the spread of private lessons, depending on the variant of sex for the benefit of the female.

-There were no statistically significant differences in the degree of the reasons for taking the lessons privacy depending on the variable speciality in favor of students with scientific specialization.

Keywords: Lessons Privacy, secondary education.

مقدمة:

إن الإقبال المتزايد والانتشار الواسع للدروس الخصوصية مع بداية كل عام دراسي لمؤشر دال على خطورة هذه الظاهرة ويدفع لطرح العديد من التساؤلات حول دور المدرسة ونوعية النظام التعليمي ومدى فعاليته، وقد أشار الخطيب(1982) في هذا الصدد "أن الدروس الخصوصية قد تقلل من قدرة النظام التعليمي على الاحتفاظ بثقة الطلاب بالمدرسة كمؤسسة تعليمية تهدف إلى تأدية الرسالة التعليمية على أكمل وج ، كما أنها تؤثر على قدراتهم على التكيف الاجتماعي والتفاعل مع المعلم أثناء التدريس مما يؤدي إلى فقدانهم الثقة بالمدرسة كمؤسسة لها أهداف تربوية اجتماعية"، فالدروس الخصوصية أصبحت هاجس الأسرة والتلميذ معا عند بداية كل عام دراسي و تظهر تحت أشكال مختلفة فقد تكون خاصة أو جماعية في مقر سكن التلميذ أو سكن الأستاذ، أوفي فضاءات خاصة مناسبة أو غير مناسبة لهذا الغرض،"(شربي كوثر، 2014، ص4)، ومما لاشك فيه إقبال التلاميذ على الدروس الخصوصية أصبحت حقيقة واقعية يلجأ إليها معظمهم إن لم نقل كلهم، فهي في نظرهم تحضرهم كيف يتعاملون مع أسئلة الامتحانات، وتدربهم على الحفظ دون التركيز على الاستيعاب، وإدراك أكبر عدد من المفاهيم التي يحتاجونها مستقبلاً، هذا الذي يجعلها تقتل فيهم روح الإبداع، والمبادرة، والبحث وتشجعهم على الإتكالية والاعتماد على الغير"(حليمة قادري، 2017، ص3)، وتبرز خطورتها في اعتماد الطالب عليها بشكل مفرط وهو ما يقلل من اعتماده على نفسه في تحصيله الدراسي وأداء واجباته المنزلية ،مما يؤثر على شخصيته ويحولها تدريجياً من شخصية مستقلة إلى شخصية اعتمادية، و"تطرح ظاهرة الدروس الخصوصية علامة استفهام كبيرة، باحثة عن الأسباب الحقيقية وراء تفشي هذه الظاهرة غير الحضارية، والدوافع التي تجعلها تستمر، ما يمكن أن يعطي مؤشرا خطيرا على فشل المنظومة التعليمية وعقمها في إيجاد حل مناسب يريح الطلاب وذويهم من هذا الهم الذي أصبح يثقل كاهل كل بيت وأسرة على الصعيد المادي والمعنوي." (أزهار البياتي، 2011،http://www.alittihad.ael).

إشكالية البحث:

عرفت ظاهرة الدروس الخصوصية تضارب واختلاف في وجهات النظر من حيث التقييم والتحليل وسبب انتشارها، فمنهم من يرجعها إلى كثافة المنهاج الدراسي واكتظاظ الأقسام ومنهم من يرجعها إلى ضعف تكوين الأساتذة، وقد أشارت في هذا الصدد وطفة (2003)"أن المناهج التعليمية صارت ثقيلة جدا، ومتخمة، ولا يتسع الزمن التدريسي لإنهائها واستيعابها"، و تضيف أيضا أن الدروس الخصوصية أصبحت تختزل كل هموم الأسرة، ويرهق كاهلها" ويؤكد جاوا (2005) عندما اعتبر الدروس الخصوصية "مؤشر غير مرئي في النسق الاجتماعي يرهق كاهل الأسرة ماديا كما يعتبر مشكلة تربوية يستلزم دراستها و إيجا طرق قانونية و تفعيلها في إطار الايجابي لها سواء بالنسبة للتلميذ أو المدرسة".

والملاحظ أن الدروس الخصوصية أصبحت ضرورية تخصص لها الأسر الجزائرية ميزانية مما يرهق كاهلها، وأخذت منحى تصاعدي خطير في السنوات الأخيرة بالرغم من إقرار وزارة التربية لبرنامج الدعم والتقوية من خلال ما يصطلح عليه بالمعالجة التربوية ممثلة في دروس الاستدراك والدعم على مستوى المؤسسات التربوية.

وعليه تسعى الدراسة الحالية للإجابة عن التساؤلات الآتية:

ما هي أسباب انتشار الدروس الخصوصية من وجهة نظر تلاميذ المرحلة الثانوية ؟

هل توجد فروق دالة إحصائيا بين استجابات أفراد عينة الدراسة لأسباب انتشار الدروس الخصوصية تعزى إلى متغير الجنس (ذكور،إناث) ؟.

هل توجد فروق دالة إحصائيا بين استجابات أفراد عينة الدراسة لأسباب انتشار الدروس الخصوصية تعزى إلى متغير التخصص(علمي ،أدبي)؟.

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة :

-التعرف على واقع انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية بين تلاميذ البكالوريا من وجهة نظر عينة الدراسة

- تحديد أسباب انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية لدى طلاب البكالوريا بمدينة سعيدة
- الوقوف على مدى فعالية الدروس الخصوصية في تحصيل التلاميذ البكالويا.
- التعرف على الفروق بين من حيث الجنس والتخصص في أسباب انتشار الدروس الخصوصية

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في:

- لفت الانتباه إلى مدى انتشار هذه الظاهرة في أوساط طلاب المرحلة الثانوية .
- التعرف على أسباب المؤدية لهذه الظاهرة لحد منها أو وضع قوانين لها.
- التعرف على وجهات نظر تلاميذ المرحلة الثانوية اتجاه الظاهرة لإيجاد حلول ممكنة لها.
- التحسيس بخطورة الظاهرة على الجانب الشخصي والمادي لهم.

المفاهيم الإجرائية:

الدروس الخصوصية: تعليم غير نظامي بين المدرس والتلميذ يتم بموجبه تدريس التلميذ بشكل منفرد أو ضمن مجموعة لمادة دراسية أوأكثر بأجر يحدد من قبل الطرفين خارج المدرسة بشكل منتظم ومتكرر.

مرحلة التعليم الثانوي: هي المرحلة الأخيرة من التعليم الإلزامي يلتحق بها التلاميذ بعد اجتيازهم لامتحان شهادة التعليم المتوسط مدة الدراسة في محلة التعليم الثانوي 03 سنوات تتوج بشهادة البكالوريا للتعليم الثانوي.

الخلفية النظرية والدراسات السابقة:

مفهوم الدروس الخصوصية: هي كل جهد تعليميي مكرر يحصل عليه الطالب منفردا أو في مجموعة نظير مقابل مادي يدفع للقائم به، ولمفهوم الدروس الخصوصية عدة تفسيرات منها (العربي يوسف،www.alukah.net):

1.عملية تعليمية تتم بين طالب و مدرس يتم بموجبها تدريس الطالب مادة دراسية أو جزء منها لوحده أو ضمن مجموعة بأجر يحدد من قبل الطرفين وحسب اتفاقهم.

-تعليم غبر نظامي بين مدرس ودارس يتم بموجبه تدريس الدارس بشكل خاص لوحده أو ضمن مجموعة مادة دراسية أو جزء منها باجر يحدد من قبل الطرفين وحسب اتفاقهم.

أسباب الدروس الخصوصي : تشير الدراسات التي تناولت ظاهرة الدروس الخصوصية أنها ظاهرة معقدة تنجم عن العديد من الأسباب المتعددة والمتداخلة يمكن إبراز أهمها في ما يلي (عبد الله،2011، http://www.ksa-employers.com):

-رغبة الطلاب في الحصول على معدل عالٍ لاختياره للتخصص المرغوب فيه.

-صعوبة بعض المواد الدراسية خاصة في الشعب العلمية.

-ضعف استفادة الطلاب من بعض المعلمين لنقص التكوين لهؤلاء.

-حب التفاخر و تقليد الآخرين.

-توجيه بعض المعلمين للطلاب للالتحاق بالدروس الخصوصية.

-الغياب و التأخر المستمر عن المدرسة.

-رسوب الطلاب في الاختبارات الفصلية.

الفرق بين الدروس الخصوصية ودروس الدعم

الدروس الخصوصية: هي عبارة عن دروس تقدم خارج الدروس النظامية في المؤسسة التربوية التي ينتمي إليها المتعلمّ وبمقابل مادي متفق عليه مُسبقاً يُشرف عليها مدرسون أو حتى أشخاص ليس لهم أي علاقة بالتعليم (Roland Parceval; 2011, p12) .

دروس الدعم: مفهوم جديد نسبيا في النظام التربوي،على خلاف المجال الصحي والرياضي والفني،والذي من خلالها يُشترط على المُدعم أن يتوفر فيه شرط الثقة،و نقل المعرفة للآخر من أجل التعلّمّ،وتنمية شخصية الفرد، وكسب الاستقلالية الذاتية (Jean Jacques HAZAN :2009,p 1).

الآثار السلبية للدروس الخصوصية:

أولا:الآثار السلبية على الطلاب:ومنها

-ضعف علاقة الطالب بالمعلم والمدرسة بحيث يعتمد الطالب على مصدر آخر للتعلم يكون خارج المدرسة.

-عدم اهتمام الطالب بالشرح داخل الصف بحيث يؤدي إلى عدم محافظته للهدوء والنظام داخل الصف، مما يترتب عليه تأثيرات سلبية على تحصيل زملائه الطلبة.

-تحول اهتمام الطالب إلى تحقيق النجاح، والحصول على نسبة عالية في الامتحان.

-التقليل من اعتماد الطالب على نفسه و اعتماده على معلم الدروس الخصوصية في تبسيط المعرفة العلمية، وحل المشكلات التي تعترضه بدلا من الاعتماد على نفسه في حلها.

-تضييع وقت الطالب بسبب قضائه أوقات طويلة خارج البيت أو داخله، عند معلمي الدروس الخصوصية، بدلا من المذاكرة والمراجعة بنفسه، ومتابعة شرح المعلم في الصف.

-تأثر أداء الطالب وتحصيله العلمي في السنوات اللاحقة من الدراسة العليا، بحيث يؤدي إلى تعثره في الدراسة أو فشله ورسوبه.

ثانيا: الآثار السلبية على المدرسين: ومنها

-ضعف مردود المعلم في المدرسة حيث يعزى ذلك إلى التعب و الإرهاق الشديدين، بسبب الجهد المضاعف الذي يبذله المعلم في حصص الدروس الخصوصية.

-تعمد بعض المعلمين والمعلمات بعدم شرح بعض عناصر الدرس الأساسية داخل الصف كنوع من الترويج للدروس الخصوصية بصورة غير مباشرة لاستمالة الطلاب إليها.

-النظرة الدونية للمعلم والمعلمة حيث ينظر بعض الطلبة إلى معلم الدروس الخصوصية نظرة احتقار وازدراء مما يؤدي إلى فقدان الثقة المتبادلة بين المعلم والطالب وانه يغلب عليه الجشع والطمع وعدم الاهتمام داخل الصف.

الدراسات السابقة: من أهم الدراسات التي تناولت ظاهرة الدروس الخصوصية نذكر ما يلي:

دراسة عفانة و العاجز: حيث تناولت الدراسة ظاهرة انتشار الدروس الخصوصية بالمرحلة الثانوية في محافظة غزة ، حيث طبق الباحثان استبانة على عينة عشوائية قوامها 557 طالبًا وطالبة من طلبة المرحلة الثانوية للتعرف إلى أسباب انتشار تلك الظاهرة ، ثم تحديد طرق علاجها، وتوصل الباحثان إلى أن أسباب انتشار ظاهرة الدروس في عدة عوامل من أهمها المنهاج المطبق، المعلم، المتعلم، وذلك كما يراها المتعلمون أنفسهم ،كما انه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الاقتناع بأسباب أخذ الدروس الخصوصية بالمدارس الثانوية في محافظة غزة تعزى إلى التخصص (علمي، أدبي)، إلا انه توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.01 في درجة الاقتناع بأسباب أخذ الدروس الخصوصية تعزى إلى الصف الدراسي.

دراسة المعطي (2000)،التي هدف إلى التعرف والكشف عن أسباب اللجوء إلى الدروس الخصوصية وصمم لهذا الغرض استبيان طبق على عينة من طلاب المرحلة الثانوية بجمهورية

مصر العربية ومن أهم نتائجه أن أسباب الدروس الخصوصية ترجع إلى عجز المدرسة في تقديم تعليم نوعي وفعال للتلاميذ والأسرة معا كما أشارت الدراسة أيضا ارتفاع المستوى الاقتصادي .

دراسة السادة وآخرون (2002)، وهدفت إلى الكشف عن ظاهر الدروس الخصوصية في مختلف مراحل التعليم بدولة البحرين الحكومية والخاصة وكانت من نتائجها أن الدروس الخصوصية منتشرة بشكل كبير في جميع مراحل التعليمية كما أن نسبة انتشارها بين تلاميذ ذوي المستوى التعليمي والدخل المنخفض.

دراسة ديفيس(Davies,2004)،هدفت هذه الدراسة إلى أهمية الدروس الخصوصية في المجتمع الكندي حيث قدمت خدمات خارج نطاق المدرسة والشركات الكندية تتنافس على تأدية هذه المهمة التعليمية كما أن الدروس الخصوصية في طلب متزايد حيث حوالي 64 % من العائلات الكندية تعاقدت مع معلمين لرفع من مستوى التحصيل لأنها تقدم مساعدات جمة للتلاميذ تعجز تقديمه المدرسة العادية

دراسة مرعشلي (2012)، هدفت هذه الدراسة إلى البحث عن أسباب تفشي الدروس الخصوصية من وجهة نظر متعددة (المعلم، المدير، التلاميذ والأولياء) وسبل الحد منها، كما اقترحت الدراسة حلول تمثلت في منع الدروس الخصوصية منعا باتا إلى جانب تفعيل دور المؤسسة المدرسية من خلال تحسين ظروف التعليم من حيث التدريب والتكوين الجيد للمعلمين، تحسين وضعهم المادي ومساندة التلاميذ وخاصة ذوي المستوى المنخفض مع إشراف المدرسة عليهم.

دراسة الدعجاني (2012)، هدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهات الطلاب والطالبات بالمرحلة الثانوية بمدارس منطقة الرياض بالمملكة العربية السعودية نحو الدروس الخصوصية، تكونت عينة الدراسة من (200) طالب وطالبة تم اختيارهم بطريقة عشوائية حيث أسفرت النتائج إلى أن طلاب المداس الثانوية بمداس الرياض أكثر اتجاها ايجابيا من الطالبات نحو الدروس الخصوصية وأن طلاب وطالبات القسم العلمي أكثر اتجاها ايجابيا نحو الدروس الخصوصية من طلاب وطالبات القسم الأدبي

دراسة شربي وآخرون (2014)، هدفت إلى معرفة تأثير الدروس الخصوصية على التحصيل الدراسي لدى تلاميذ مرحلة البكالوريا وتوصلت الدراسة إلى أن هناك تأثير ايجابي لهذه الدروس على التلاميذ فهي تدفعه إلى كسب الثقة في النفس و تحفزه على الأداء الجيد وترفع من تحصيله الدراسي.

دراسة فرشان وطايبي(2016)،هدف من خلالها التطرق لظاهرة تهافت التلاميذ بمختلف الأعمار على الدروس الخصوصية خارج المؤسسة التعليمية و الإقبال الكبير عليها من طرف التلاميذ في مختلف المواد المخططة في البرنامج الدراسي، وصمم لهذا الغرض استبيان طبق على عينة متكونة من 917 طالب في مناطق مختلفة من العاصمة الجزائرية ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن % 81 من التلاميذ يتلقون الدروس الخصوصية لا يفهمون الدرس في القسم، وأنّ % 13,7 ينفون ذلك، و 46.20% يرغبون في الحصول على معدلات جيدة، وأخيرا نسبة الإقبال عليها كانت تقدر بـ67.0% كما أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في الإقبال على الدروس الخصوصية.

دراسة قادري (2017)،تناول الدراسة موضوع الدروس الخصوصية بين مطالب التلاميذ ومسئولية الأساتذة في المرحلة الثانوية، تكونت عينة الدراسة من (298) تلميذ وتلميذة، (203) إناث و(95) ذكور اختيروا بطريقة عشوائية بثانويات مدينة وهران طُبق عليهم استبيان ،وقد أظهرت نتائج الدراسة أن مستوى إقبال التلاميذ على الدروس الخصوصية جاء بين الدرجة المرتفعة والمتوسطة، لا يوجد فرق دال إحصائيا بين التلاميذ في إقبالهم على الدروس الخصوصية يعزى لمتغير الجنس (الذكور، الإناث)، والتخصص الدراسي.

لقد أثبتت الدراسات أنّ هناك مشكلة حقيقية، تكمن باتجاه التركيز على الدروس الخصوصية خارج المدرسة، كل الدراسات اختارت الاستبيان لجمع معطيات أبحاثهم، اتفقت كل من دراسة المرعشلي،(2012) في معرفة أسباب إقبال التلاميذ على الدروس الخصوصية، في حين انطلقت دراسة عفانة ودراسة فرشان (2016) أجل التعرف على ظاهرة الخصوصية، أما الدعجاني(2012) فقد تطرق إلى اتجاهات الطلاب نحو الدروس الخصوصية، ودراسة شربي (2014) اهتمت بمعرفة تأثير الدروس الخصوصية على التحصيل الدراسي كما جل الدراسات اعتمدت على المنهج الوصفي.

منهج الدراسة: اعتمدت الدارسة المنهج الوصفي الذي يتبع للكشف عن الحقائق بواسطة استخدام مجموعه من القواعد ألعامه ترتبط بتجميع البيانات وتحليلها حتى نصل إلى نتائج ملموسة ، وقد اعتمدت الدراسة الحالية على المنهج الوصفي الذي من خصائصه السعة والمرونة ويهدف إلى وصف الظاهرة وطبيعتها ونوعية العلاقة بين متغيراتها وأسبابها واتجاهاتها والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها وهدا ما تهدف إليه الدراسة الحالية بحيث تعمل على التعرف على ظاهرة الدروس الخصوصية و أسبابها من وجهة نظر طلاب المرحلة الثانوية.

مجتمع الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من جميع تلاميذ و تلميذات المرحلة الثانوية المتمدرسين بثانويات مدينة سعيدة و البالغ عددهم(730) بحسب السنة الدراسية (2016/2015)

عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة من (200) تلميذ و تلميذة يدرسون بثانويات مدينة سعيدة، تم اختيارهم بطريقة عشوائية من بين (10) ثانويات حسب ما هو مبين في الجدول رقم (01)

جدول رقم (01) يبين توزيع أفراد العينة حسب متغير الجنس.

الجنس	العدد	النسبة المئوية
ذكور	95	%47.5
إناث	105	%52.5
المجموع	200	%100

يتضح من خلال الجدول رقم (01) أن الذكور يمثلون (47.5%) و الإناث يمثلن نسبته (52.5%) حيث شكلت نسبة الإناث أعلى نسبة مقارنة بالذكور .

جدول رقم (02) يبين توزيع أفراد العينة حسب متغير التخصص.

القسم	التخصص	العدد	النسبة المئوية
علمي	علوم تجريبية	77	%77
	هندسة مدنية	23	%23
	المجموع	100	%100
أدبي	آداب و فلسفة	80	%80
	آداب و لغات	20	%20
	المجموع	100	%100

يتضح من خلال الجدول رقم (02) أن تلاميذ شعبة العلوم تجريبية يمثلون نسبة (77%) ،أما شعبة الهندسة المدنية فتمثل نسبة (23%) من مجموع عينة الأقسام العلمية في حين تقدر النسبة المئوية لتلاميذ شعبة آداب و فلسفة (80%)، ونسبة التلاميذ في شعبة الآداب و اللغات (20%) من مجموع عينة التلاميذ في الأقسام الأدبية

جدول قم (03) يبين الإعادة في السنة الثالثة ثانوي

	التكرار	النسبة المئوية
نعم	27	%13.5
لا	173	%86.5
المجموع	200	%100

يتضح من خلال الجدول رقم (03) أن نسبة (86.5%) فقط من أفراد عينة الدراسة لم يسبق لهم إعادة السنة بمعنى أنهم يجتازون امتحان البكالوريا لأول مرة وهذا ما يجعل إقبالهم مرة على الدروس الخصوصية معتبر بسب القلق والخوف من خوض الامتحان. في حين تقدر نسبة أفراد العينة الذين سبق لهم إعادة السنة (13.5%) فقط.

أدوات البحث: تم تصميم استبيان كأداة دراسة بالرجوع لعدد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الدروس الخصوصية حيث تضمن الاستبيان (25) فقرة حيث أعطيت لها البدائل الآتية (موافق،غير موافق،محايد)، حسب سلم ليكارت (likert)

الخصائص السيكومترية للأداة: تم التأكد من الخصائص السيكومترية لأداة الدراسة و منها:

الثبات: حيث تم التأكد من ثبات الأداة بحساب معامل ألفا كونبارخ (alpha cronberch) و الذي أعطى القيم الآتية المبينة في الجدول رقم (04)

جدول رقم (04) بين قيم معاملات الثبات لأداة الدراسة

عدد الفقرات	معامل الفا كونبارخ	التجزئة النصفية
25	0,91	0,84

يتضح من خلال الجدول قم (04) أن قيم معامل الثبات لأداة الدراسة قد بلغت قيمتها (**0,91**) بالنسبة لمعامل الفا كرونبارخ ،و (**0,84**) بالنسبة للتجزئة النصفية و هي قيم عالية تشير إلى أن الأداة على درجة عالية من الثبات.

الصدق:للتأكد من صدق الأداة تم عرض الاستبيان على مجموعة من المحكمين من أساتذة جامعيين في علم النفس وعلم الاجتماع حيث تم تعديل فقرات الاستبيان في ضوء ملاحظاتهم واقتراحاتهم كما تم حساب الصدق الذاتي من خلال حساب الجذر التربيعي(√) لمعامل الثبات والذي بلغت قيمته (0.95) وهي قيمة عالية تشير إلى أن الأداة على درجة عالية من الصدق.

المعالجة الإحصائية: استخدمنا أساليب إحصائية مختلفة كحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية وكذا معامل ألفا كرونباخ و اختبار (T) لدلالة الفروق تبعا لمتغيرات الدراسة.

عرض و مناقشة النتائج:

عرض نتائج السؤال الأول: ما هي أسباب انتشار الدروس الخصوصية من وجهة نظر تلاميذ المرحلة الثانوية ؟

للإجابة على السؤال، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على بنود فقرات الاستبيان، كما هو مبين في الجدول رقم (05)

جدول رقم (05) ترتيب أسباب انتشار الدروس الخصوصية من وجهة نظر التلاميذ

الفقرات	التكرار	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب
4	ازدحام الفصول الدراسية	4.93	1.49	1
6	كثافة البرامج الدراسية خاصة في التخصصات العلمية	4.93	1.49	2
2	اختيار التخصص المرغوب فيه في الجامعة	4.88	1.45	3

9	يشرح المدرس أثناء الدروس الخصوصية بطريقة سهلة وواضحة للتلميذ	4.88	1.45	4
3	الضعف في المواد الأساسية	4.42	1.41	5
5	أتمتع بحرية أكثر عند مزاولة الدروس الخصوصية	4.42	1.41	6
1	تتيح لي الدروس الخصوصية الفرصة على الحصول على معلومات لا أجدها في الفصل	3.95	1.18	7
7	إهمال المناهج الدراسية للفروق الفردية بين المتعلمين	3.95	1.18	8
12	ضعف مستوى التعليم بالمدرسة	3.91	1.21	9
10	كثرة الغيابات و التاخرات عن المدرسة	3.89	1.04	10
13	تساعد الدروس الخصوصية على زيادة الثقة بالنفس	3.86	1.01	11
16	تقليد الزملاء و حب التباهي	3.81	1.03	12
8	عدم كفاية الحصة الدراسية	3.81	1.23	13
11	تعمل الدروس الخصوصية على خفض قلقلي و توتري من الامتحان	3.71	1.03	14
14	يحرص المعلم في الدروس الخصوصية على استفادة التلميذ من كامل وقته	3.65	0.93	15
25	الخوف من اجتياز الامتحان	3.55	1.01	16
17	تمكن الدروس الخصوصية من خلق جو من التنافس بين زملائي	3.55	0.01	17
20	نقص التطبيقات في المواد العلمية	2.54	0.98	18
15	تساعد الدروس الخصوصية المدرس على تطبيق محتوى المقرر الدراسي بشكل أفضل	2.53	0.91	19
18	تساهم الدروس الخصوصية في زيادة الفهم و استيعاب الدروس	2.53	0.91	20
21	تمكن الدروس الخصوصية للمعلم من كشف نقاط القوة والضعف لدى التلميذ	2.46	0.01	21
19	عدم تحكم الأستاذ في المادة	2.46	0.33	22
22	إصرار الأسرة على مزاولة الدروس الخصوصية	2.40	0,68	23
24	غياب حصص الدعم بالمؤسسة	2.24	0.44	24
23	تساعد الدروس الخصوصية على فهم المواد الصعبة	2.17	0,52	25

يتضح من خلال الجدول قم (05) أن أفراد عينة الدراسة قد اختلفوا في ترتيب الأسباب التي تدفعهم لأخذ الدروس الخصوصية تبعا لأهميتها و تأثيرها ، حيث جاءت في مقدمة الترتيب ازدحام الفصول الدراسية بمتوسط حسابي بلغ (4.93)، تليها كثافة البرامج الدراسية خاصة في التخصصات العلمية بمتوسط حسابي (4.93) و التي دفعتهم لأخذ الدروس الخصوصية، يليه الرغبة في اختيار التخصص في الجامعة بمتوسط حسابي قد بـ(4.88) كما أن سهولة ووضوح طريقة شرح الدروس من طرف المدرس أثناء مزاولة هذه الدروس بمثابة باعث على اخذ الدروس الخصوصية من وجهة نظر عينة الدراسة بمتوسط حسابي (4.88)، أما بقية الأسباب والمتمثلة في الضعف في المواد الأساسية بمتوسط حسابي (4.42)، و التمتع بالحرية عند مزاولة الدروس الخصوصية(4.42)، وإمكانية الحصول على معلومات جديدة عند اخذ الدروس الخصوصية(3.95)، ويمكن تفسير هذه النتائج إلى أن ازدحام الفصول بأعداد كبيرة من التلاميذ يؤثر سلبا على سير الحصة حيث تضيع نسبة مهمة من الزمن الدراسي في توفير أجواء الانضباط والهدوء وضبط القسم وبالتالي لا تتحقق أهداف الحصة إضافة إلى عدم قدرة المعلم التنويع في الأساليب والوسائل والأنشطة في التعليم في وجود الاكتظاظ وهذا ما ذهبت إليه عديد الدراسات التي أشارت أن تحصيل التلاميذ في الصفوف المكتظة أقل تحصيلا من تلاميذ

الصفوف الغير مكتظة، ويرجع السبب إلى إن المدرسين لا يتمكنوا من تنفيذ جميع أهداف الحصة المخطط لها في الصف ذو الحجم الكبير، ولا يتمكنوا من مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ داخل الصف المكتظ حيث كانت للتلاميذ وجهة نظر في ذلك حيث أشار بعضهم أن رغبتهم في الدراسة في الصفوف الصغيرة اكبر منها في الصفوف المكتظة وإن الاكتظاظ يمنعهم من المشاركة، ويقلل من استيعابهم للدرس، كما أن الرغبة في اختيار التخصص في الجامعة من خلال الحصول على أعلى الدرجات التي تؤهلهم إلى الالتحاق بالكليات التي تحقق طموحهم كان من بين الأسباب ،و أهمها و التي دفعت بالتلاميذ إلى مزاولة الدروس الخصوصية، يضاف إلى تلك الأسباب كثافة البرنامج الدراسي خصوصا في الأقسام العلمية وطوله وكثرة المواد الدراسية مقارنة بالأقسام الأدبية كل هذه الأسباب مجتمعة دفعت بالتلاميذ إلى اخذ الدروس الخصوصية.

عرض نتائج السؤال الثاني: هل توجد فروق دالة إحصائيا بين استجابات أفراد عينة الدراسة لأسباب انتشار الدروس الخصوصية تعزى إلى متغير الجنس ؟.

لاختبار هذه الفرضية قامت الباحثة بحساب المتوسطات الحسابية و الانحرافات المعيارية للعينة ككل ،و كما استخدمت اختبار (t) لعينتين مستقلتين غير متساويتين للتحقق من وجود فروق في متوسط درجة انتشار الدروس الخصوصية بين الذكور والإناث والنتائج مبينة في الجدول رقم (06).

جدول رقم (06) نتائج اختبار (t) للتعرف على دلالة الفروق بين الجنسين في انتشار الدروس الخصوصية

الجنس	العداد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (t) المحسوبة	مستوى الدلالة	دلالة الفروق
ذكور	95	101.93	30.7	3.37	O.O3	دالة احصائيا
إناث	105	134.06	14.2			

يتضح من خلال الجدول أن قيمة مستوى الدلالة بلغت (0.03) وهي قيمة أقل من مستوى الدلالة (0.05) مما يدل على وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسط استجابات الجنسين لنظرتهم لأسباب انتشار الدروس الخصوصية على بنود الاستبيان لصالح الإناث ،و يمكن تفسير ذلك بان الإناث أكثر إقبالا على الدراسة،و الرغبة في التفوق على الذكور مما يعزز حاجتهم نحو الدروس الخصوصية، ويخلق لديهم اتجاها ايجابيا نحو الدروس الخصوصية لعدة اعتبارات من بينها رفع المستوى التعليمي والحصول على مجموع مرتفع بالاعتماد على معرفة نظام امتحان المعلم وبعض مضامين الأسئلة التي سوف يعطيها المعلم للتلاميذ في الفصل، و لرغبتهن في التعمق في دراسة المواد الصعبة حتى يكن قادرات على التنافس مع أقرانهن بثقة وطمأنينة وكل ذلك حتى يخترن الكليات التي ترغبن الالتحاق بها عكس الذكور الذين لديهم اهتمامات أخرى، وتختلف الدراسة الحالية مع دراسة فروشان وطايبي(2016)،و التي بينت أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الذكور والإناث في الإقبال على الدروس الخصوصية، ومع دراسة الدعجاني (2012)، والتي أسفرت نتائجها أن للذكور اتجاها ايجابيا نحو الدروس الخصوصية مقارنة بالإناث،و كذا دراسة قادري(2017)، والمرعشلي(2012) التي أشارت إلى أنه لا يوجد فرق دال إحصائيا بين التلاميذ في إقبالهم على الدروس الخصوصية يعزى لمتغير الجنس.

عرض نتائج السؤال الثالث: هل توجد فروق دالة إحصائيا بين استجابات أفراد عينة الدراسة لأسباب انتشار الدروس الخصوصية تعزى إلى متغير التخصص(علمي،أدبي) ؟.

لاختبار هذه الفرضية قام الباحثان بحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للعينة ككل وكما استخدم اختبار (t) لعينتين مستقلتين غير متساويتين للتحقق من وجود فروق في

متوسط درجة انتشار الدروس الخصوصية تعزى لمتغير التخصص (علمي، أدبي) والنتائج مبينة في الجدول رقم (07).

جدول رقم (07) نتائج اختبار (t) للتعرف على دلالة الفروق في التخصص لانتشار الدروس الخصوصية

الجنس	العداد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (t) المحسوبة	مستوى الدلالة	دلالة الفروق
علمي	100	4,35	0,189	4,23	0,010	دالة احصائيا
أدبي	100	2,28	0,094			

الملاحظ من خلال الجدول رقم (6) أن قيمة ت دالة بالنسبة لاستجابات عينة البحث عن الاستبيان ككل، لكونها اقل من مستوى الدلالة (0.05)، وهذا يعني أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الاقتناع بأسباب أخذ الدروس الخصوصية بين التلاميذ ذوي التخصص العلمي، وهذا يدل على أن متغير التخصص قد يكون دافعا لأخذ الدروس الخصوصية، وأن هناك تفاوت بين التخصصين، إذ أن التلاميذ ذوي التخصص العلمي أكثر إقبالا على اخذ الدروس الخصوصية مقارنة بذوي التخصص الأدبي، ويمكن تفسير هذه النتائج بأن المنهاج المدرسي للتخصصات العلمية فيه الكثير من الصعوبات، والكثافة مما يدفعهم إلى أخذ دروس خصوصية في محاولة لتجاوز هذه الصعوبات،والنقائص، ولذا فإن الصف الدراسي لم يكن له أي تأثير في درجة الاقتناع بأسباب أخذ دروس خصوصية، إذ أن جميع التلاميذ متفقون على أن المنهاج فيه من المعوقات والصعوبات سواء أكان ذلك من مضامينه أم طرق تدريسه أو وسائل إيضاح مفاهيمه وغيرها تشكل جميعها أسباباً دافعة لأخذ دروس خصوصية وهذا ما أكده العديد من الدراسات ، من أن المنهاج المدرسي ينبغي تطويره أو تحسينه وذلك من أجل أن يكون على مستوى المتعلمين وقدراتهم، إذ أنهم يواجهون غرابة في المنهاج ويجدون صعوبات في فهم بعض مكوناته، الأمر الذي يحتم حذف تلك الصعوبات واستبدالها بمفاهيم ملائمة لقدرات المتعلمين،كما أن الرغبة في اختيار تخصصات مثل الطب والهندسة، والتي هي فروع علمية من بين البواعث التي تدفع التلاميذ ذوي التخصصات العلمية إلى اخذ الدروس الخصوصية قصد الحصول على معدلات مرتفعة تؤهلهم إلى اختيار التخصصات المرغوبة في الجامعات، وتتفق الدراسة الحالية مع دراسة الدعجاني (2012)، والتي أسفرت نتائجها أن تلاميذ وتلميذات القسم العلمي أكثر اتجاها نحو الدروس الخصوصية من تلاميذ و تلميذات القسم الأدبي في حين اختلفت مع دراسة عفانة والعاجز (2007)،و التي أشارت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة الاقتناع بأسباب أخذ الدروس الخصوصية تعزى إلى متغير التخصص (علمي، أدبي).

التوصيات: في ضوء النتائج التي أسفرت عنها الدراسة الحالية تم استخلاص التوصيات التالية:

-المواظبة على حضور الحصص بالمدرسة بصفة منتظمة مع الانتباه التام لشرح المدرس وكتابة الملاحظات الضرورية عن كل ما يراه مهما ومفيدا أثناء الحصة للرجوع إليه عند المذاكرة.

-العمل على توعية توعية التلاميذ وأولياء الأمور بخطورة تفشي ظاهرة الدروس الخصوصية وما لها من آثار عكسية بغية الاعتماد على أنفسهم من أجل التعلمّ، والسعي للنجاح بجهدهم، وعدم الاكتفاء بالحصول على الشهادة فقط.

-تنمية الثقة بالنفس والاعتماد على الذات لدى تلاميذ المرحلة الثانوية قصد تفادي الاتكالية والاعتماد على الغير.

-التكثيف من حصص الدعم و التقوية والدروس المحروسة داخل المؤسسات التعليمية.

-القيام ببرامج إرشادية هدفها تحفيز على التعلمّ الذاتي، وتعزيز الثقة بالنفس في أوساط التلاميذ المقبلين على الامتحانات الرسمية.

-إشراك وسائل الإعلام في معالجة هذه الظاهرة .
-إسناد أقسام الامتحانات إلى الأساتذة ذوي الكفاءة والخبرة العالية.

قائمة المراجع:

1. أحمد الخطيب (1982)، الدروس الخصوصية والأسرة ، ط1، المؤسسة الوطنية، الجزائر.
2. احمد بن زيد الدعجاني (2012)، اتجاهات طلاب و طالبات المحلة الثانوية بمدينة الرياض نحو الدروس الخصوصية"، مجلة دراسات تربوية ونفسية، ع77، كلية التربية بالزقازيق.
3. جاوا أميمة (2005)، العنف المدرسي بين الأسرة والمدرسة والإعلام، ط1، دار السحاب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
4. حسين بر السادة (2002)، الدروس الخصوصية في مراحل التعليم بدولة البحرين أسبابها وعلاجها سبل التغلب عليها، المجلة التربوية، م8، ع32.
5. حليمة قادري(2017)، الدروس الخصوصية بين مطالب التلاميذ ومسئولية الأساتذة -دراسة مقارنة على تلاميذ المرحلة الثانية من التعليم الثانوي، مجلة دراسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع26،
6. شربي كوثر، صقر فاطمة، نسلٌ جهيدّة(2014) ،الدروس الخصوصيةٌ وتأثيرٌها على التحصيلٌ الدراسي لدى تلاميذ مرحلة البكالوريأ"، مذكرة ليسانس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعيةٌ، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.
7. عبد الباسط عبد المعطي وآخرون(2000)، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، جامعة حلوان م4، ع1.
8. عزو عفانة وفؤاد العاجز، ظاهرة انتشار الدروس الخصوصية بالمرحلة الثانوية في محافظة غزة أسبابها وعلاجه"، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين.
9. فرشان لويزة، طايبي فريدة، لعروس زوينة(2016)، الدروس الخصوصية، مدى انتشارها ووصفها، مجلة بحوث وتربية، المعهد الوطني للبحث في التربية، ع7.
10. نسيبة المرعشلي (2012)، أسباب تفشي ظاهرة الدروس الخصوصية من وجهة نظر المدراء، المعلمين، الطلاب، أولياء الأمور وسبل الحد من انتشارها، مجلة الفتح، ع50.
11. أزهار البياتي(2011)، ظاهرة الدروس الخصوصية http://www.alittihad.ae/details.php?id=85521&y=2011&article=full تاريخ النشر 17 سبتمبر 2011
12. السيد العربي يوسف: الدروس الخصوصية المشكلة و العلاج"www.alukah.net/library تاريخ تصفح الموقع 11-12-2014
13. عبد الله بن عمر: الدروس الخصوصية : المفهوم ـ السلبيات ـ الأسباب ـ طرق العلاج، -http://www.ksa employers.com/showthread.php?t=97553 تاريخ تصفح الموقع 09-12-2011.

14. Davies, S. (2004). School choice by default? Understanding thedemand for private tutoring in Canada. American Journal ofEducation,110: 233-25
15. JEAN Jacques HAZAN (décembre 2009),L'accompagnement vu par les parents d'élèves ,Les Cahiers d'Éducation & Devenir, Numéro 6.
16. ROLAND Perceval (décembre 2011), les écoles de devoirs au de la du soutien scolaire, la Fédération Wallonie-Bruxelles .

التفاوتات الاجتماعية وبراديغمي مساواة المواقع ومساواة الحظوظ (أطروحة فرونسوا ديبي)

Social inequalities and paradigm, equality of positions and equality of fortunes (Francois Dubet thesis)

ياسين عتنا، جامعة ابن زهر- المغرب
أبو بكر أيت بوديب، جامعة ابن زهر– المغرب
محمد أرحال، جامعة ابن زهر- المغرب

ملخص : نتناول في هذا المقال أطروحة السوسيولوجي الفرنسي فرانسوا ديبي حول إشكالية التفاوتات الاجتماعية، وفق براديغمي مساواة الحظوظ ومساواة الأماكن، مع التركز على نموذج الدولة الفرنسية في هذا السياق، وتسليط الضوء على السياسات العمومية التي نهجتها فرنسا بالاستناد إلى النموذجين السابقين(مساواة الأماكن ومساواة الحظوظ)؛ وذلك في كل من قضية التعليم ،وضعية المرأة، وكذا الأقليات (المهاجرين نموذجا).

الكلمات المفتاحية: التفاوتات الاجتماعية، مساواة الحظوظ، مساواة الأماكن.

Abstract: We deal in this essay with the thesis of the french sociologist “François Dubet” that evolves around the issue of social descr. Discrepancies according to the paradigms of chances equality and the places equality, Focusing on the example of the French state in this context. Shedding light on public policies that were established by France in accordance to the previous examples (chances equality and the places equality) in the case of education, The status of woman, and minorities (Immigrants as an example).

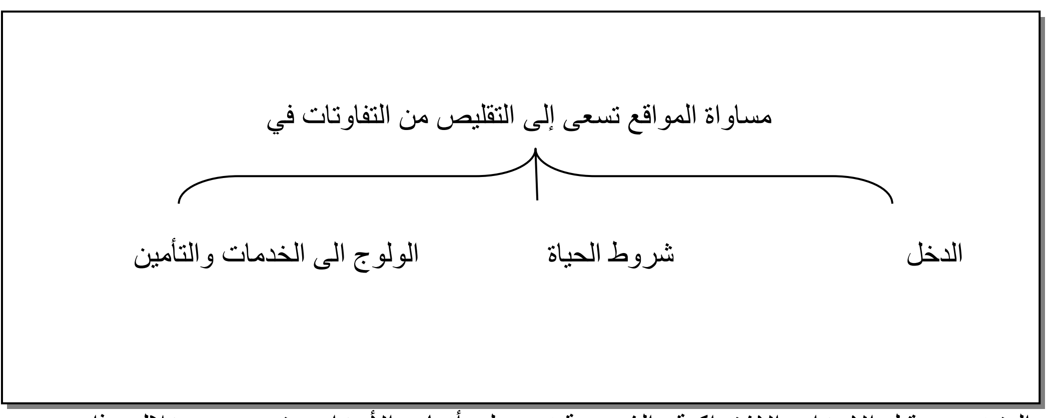
Keywords: social inequalities, the equalities of luck, the equalities of places.

مقدمة:

تعد إشكالية التفاوتات الاجتماعية من الإشكالات التي شغلت الفكر الإنساني عامة. الأمر الذي جعلها محطة عدة خطابات إنسانية؛ الخطاب الديني، الخطاب الفلسفي والخطاب الإقتصادي وكذا الاجتماعي. من هذا المنطلق تعددت وتنوعت التخصصات والمقاربات التي تناولتها. ويعد علم الاجتماع من أهم العلوم الاجتماعية التي انشغلت بهذه الواقعة الاجتماعية، سواء تعلق الأمر بالمؤسسين مع كارل ماركس وماكس فيبر، أو السوسيولوجيين المعاصرين مع كل من بيير بورديو وريمون بودون وفرنسوا ديبي، ضمن هذا السياق يأتي اهتمامنا بكتاب" المواقع والحظوظ: إعادة تفكير التفاوتات الاجتماعية" لسوسيولوجي الفرنسي فرونسوا ديبي، ومن ترجمة الدكتورة كنزة قاسمي، أستاذة في شعبة علم الاجتماع بجامعة ابن زهر- كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

بناءا على العنوان الذي وسم به هذا المرجع السوسيولوجي الذي يتسم بالراهنية في الساحة المعرفية، من خلال مقاربته للتفاوتات الاجتماعية بالاعتماد على كل من براديغمي مساواة المواقع والحظوظ، باعتبارهما نموذجين يطمحان إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والمساواة وترسيخ الأسس العامة للديمقراطية في المجتمعات، فإن هذا الكتاب يعتبر من ابلغ التحليلات السوسيولوجية التي تقدم نظرة مختلفة ومتباينة حول التفاوتات الاجتماعية، استنادا إلى البردغمين السابقين، ومن خلال تشبعه بالسؤال السوسيولوجي والملاحظة العميقة، جعل فرنسوا ديبي كلا النموذجين تحت المجهر السوسيولوجي المنهجي، حيث رصد كل نموذج على حده، من حيث خصائصه الإيجابية والسلبية، والنقد الموجه له.

يعد نموذج مساواة الأماكن من احدى النماذج الكبرى التي قدمت تصورا لإشكالية العدالة الاجتماعية، إن مساواة المواقع، باعتبارها نموذجا للتحليل يسعى إلى محاولة تقزيم التفاوتات الاجتماعية التي ترزح تحتها المجتمعات الديمقراطية، وذلك عن طريق المساواة بين جميع الأفراد. لكن هذه المساواة لا تتحقق حسب هذا البراديغم إلا إذا تم إعادة توزيع الثروات بين الجميع، وبمعنى أكثر تدقيقا فالتقليص من التفاوتات غير قابلة للتحقيق إلا اذا توفر شرط تقسيم الثروات. ويمكن بشكل أو بآخر القول بأن نموذج مساواة المواقع يرنوا نحو التقليص من التفاوتات التالية.



والمتبنى من قبل الاحزاب الاشتراكية والشيوعية نجد على أنها – الأحزاب- تسعى من خلال هذا

النموذج بلورة مجتمع جديد، عن طريق إعادة تحديد دلالة الطبقات والحركات الاجتماعيتين إلى جانب المؤسسات كذلك.

من أجل تنزيل هذه الرؤية على أرض الواقع، نهجت الأحزاب ذات التوجه الاشتراكي والشيوعي، سياسات عمومية تتأسس على قاعدة تتمثل في فرض الجبايات والضرائب، وذلك عن طريق الاقتطاع من الثروات وحقوق الإراثة، بذلك تكون هذه سياسة على صيغة المعادلة التالية(ارتفاع نسبة الاقتطاعات الضريبية، ينتج عنه آليا وميكانيكيا تراجع في نسبة التفاوتات الاجتماعية وبذلك نتحدث عن دولة الرعاية الاجتماعية).

إن تبني نموذج مساواة المواقع من طرف الفاعلين السياسيين، لم يكن نابع من الصدفة والفراغ، إنما كان منبعه الإملاءات التي فرضتها محكمة التاريخ، أو بعبارة أخرى المرحلة التاريخية، وأن للصراع الذي عرفته الحركة العمالية ما بين القرن 19 والقرن 20 أهمية جوهرية في هذا الاختيار.

إن مساواة الأماكن بما هي تصور تحليلي يسعى للتقليص من التفاوتات، أدت إلى جعل الأغلبية تؤمن مواقعها لتكون هي الأولى في قائمة الذين يستفيدون "من الدعم والمساواة" إلى جانب ذلك فتم إبداع ميكانيزمات من شأنها تحويل الصراعات الاجتماعية التي تعرفها المجتمعات إلى مشاركة سياسية ثم الى تقليص للتفاوتات. لكن ما يعاب على هذه السياسات وخاصة في الشق المتعلق بالحركة العمالية، أنها توجهت نحو توفير الحماية الاجتماعية عوض أن تعمل على تقليص التفاوتات القائمة بين العمال من حيث المداخيل وشروط العمل، وخير مثال على ذلك سياسة تقليص ساعات العمل بالدولة الفرنسية.

ومن خلال هذا التحليل يتضح لنا على أن مساواة الأماكن في الشق الخاص بالعمل لم تأخذ على عاتقها بمبدئها الأساس المتمثل في التقليص من الفوارق القائمة في المداخيل، بل إهتمت بما يسميه فرانسوا ديبي "حماية المأجورين"(فرانسوا ديبي،2016، ص19).

إن مطالبة الفرد بمساواة المواقع باعتبارها حقا خاصا لكل فرد عامل، وبالتالي؛ فالشغل هو من الحقول الأولى التي لا يمكن من خلالها المطالبة بمساواة المواقع. لكن نجد على أن السياسة المتبعة من طرف الجهات السياسية هي عكس ما كانت تصرح به هذه الجهات إذ عملت على الحماية الاجتماعية.

ويؤكد في هذا السياق على أن الحديث عن المساواة استنادا الى هذا النموذج، وخاصة في مجال الشغل لا يعني بالضرورة المساواة في المداخيل بقدر ما يعني"التوفر على الحقوق التي ظلت لفترات موغلة في القدم حكرا على قلة من أفراد المجتمع دون الآخر" (فرانسوا ديبي ،2016، ص20)، من هنا فإن توفير الخدمات، بالإضافة إلى الممتلكات التي تدخل ضمن الملك العمومي هو عمل تدريجي قصد بلوغ مساواة المواقع، إذ آنذاك يمكن لجميع الأفراد الاستفادة منها. هذا القول يؤكد بما لا يدع أي مجال للشك على أن "مجانية الخدمات العمومية شرط لمساواة المواقع"(فرانسوا ديبي،2016 ، ص20).

من المجالات التي أيضا التي إعتمدها فرانسوا ديبي لتبيان معالم نموذج مساواة المواقع مؤسسة المدرسة. مؤكدا في معرض حديثه عن مساواة الولوج لمدرسة الجمهورية على أن "خلق مدرسة علمانية، مجانية وإلزامية في نهاية القرن التسع عشر، كان بالفعل تقدما فعليا في مجال مساواة المواقع"(فرانسوا ديي، 2016، ص22)، إن تمكين الأطفال من نفس الثقافة باعتبارها منظومة قيم، وتتخذ من اللغة إحدى الوسائل للتعبير عنها من طرف الفرد. هذا الأمر في عمقه هو إحدى تجليات المساواة وخاصة المرتبطة بالمواقع.

إن المدرسة الفرنسية بما هي مدرسة جمهورية، تستقبل كافة أبناء الطبقات الاجتماعية، ومتبنية لفلسفة مفادها أن يكون في مستطاع جميع المتعلمين الولوج والدخول إلى أية مدرسة مهما كان

النطاق الجغرافي الذي تتواجد فيها. بالإضافة الى أن الكتب والمقررات المدرسية والعدة البيداغوجية المعتمدة، يجب أن تكون واحدة. وبالتالي "فالمتعلمون يتخرجون من نفس المنظومة"(فرانسوا ديبي،2016،ص23)، ويمكن تلخيص هذا الأمر بالقول على أن المساواة كما فهمتها المدرسة الجمهورية الفرنسية هي أن يكون العرض المدرسي المقدم للمتعلمين واحدا.

لم تسلم كذلك قضية المرأة من السياسات التي تبنتها الأحزاب السياسية التي اتخذت من مساواة المواقع نموذجا للتحقيق العدالة الإجتماعية. فمساواة المواقع قامت بتأمين جملة من الحقوق للنساء، كالحقوق السياسية، الاجتماعية، ما أدى إلى ضمان نوع من الارتقاء للنساء. إن تمتيع المرأة بهذه الحقوق مكنها من ولوج عالم "العمل المأجور"، والذي يعد شرطا أساسيا لبلوغ المساواة المنشودة، و"تضمن المرأة نوعا من الاستقلالية والحماية الاجتماعية اللتان تمران عبر حقوق الزواج في حالة عدم عمل المرأة"(فرانسوا ديبي،2016، ص24)، وبالرغم من أن النساء استفدن من كل هته الحقوق، فالواقع مازال يفرض عليهن المزج بين مواقعهن في الشغل، وموقعهن داخل مؤسسة الأسرة، إذ أن رفض الأحزاب السياسية ذات التوجه الشيوعي لاستعمال النساء لموانع الحمل كي لا يتم خلخلة الأسر العمالية لأكبر دليل على ذاك الأمر.

هذا التحليل العام لنموذج مساواة المواقع، باعتباره نموذجا للعدالة الاجتماعية وأساسا لبلوغ الاندماج الاجتماعي، يجعلنا نستخلص أن مساواة المواقع "أقل تسوية ومشاركة، فهو أكثر نجاعة فيما يتعلق بإعادة توزيع الثروات وتحقيق الأمان، فهو نموذج يقوم بمنح الحقوق والحماية الاجتماعية للأفراد الأكثر فقرا"(فرانسوا ديبي، 2016، ص28).

حدود مســـاواة المواقع: على الرغم من أن مساواة المواقع من النماذج الكبرى للتحقيق العدالة الاجتماعية إلا أن له حدود يمكن أن نجملها في ما يلي:

-الاعتماد على سياسة إعادة توزيع الثروات لتحقيق المساواة، نتج عنه أن "دول لديها نفس نسب التوزيع للثروات، ولكن لديها في نفس الوقت تفاوتات اجتماعية متباينة"(فرانسوا ديبي،2016،ص30). وبالتالي وجب إعادة النظر في الإستراتيجية والطريقة التي تتم بها عملية الاقتطاع.

-نهج سياسة اعادة توزيع الثروات أو بالأحرى نموذج مساواة المواقع يؤدي إلى ظهور تفاوتات جديدة سمتها الجزئية وعدم القابلية للقياس.

-الفئات التي لا يمكن لها أن تستفيد من مساواة المواقع يشترط ان تدخل في النسق العام، لكن وعلى هامش هذه المساواة نجد بأنه تتكون مجموعات تعيش وتعاني كل مظاهر التمييز والإقصاء، لكن مع تكاثر هذه الأقلية تصير أغلبية ستحاول بدورها الدخول في صراع طبقي، ولكن "الدخول في صراع طبقي يتطلب أصلا التوفر على موقع اجتماعي (فرانسوا ديبي، 2016، ص36)، بصيغة أخرى فالعدالة التي يسعى هذا النموذج إلى بلوغها هي "عدالة المواقع الاجتماعية" إذ تحافظ على الفئات التي لها مواقع اجتماعية، وبذلك تهمش الفئات التي لا تتوفر على موقع سوئ الهامش وهذا يؤثر على مفهوم التفاوتات، إنه نموذج محافظ أكثر مما هو تغييري.

-تسعى مساواة المواقع إلى حماية المواقع التي تحتلها بعض الفئات الاجتماعية من قبيل؛ "العمال، النساء، لكن وبشكل جد تدريجي يتم التخلي عن حماية المواقع واستبداله بالتماسك الاجتماعي باعتباره نتاجا للفاعلين الاجتماعيين وذلك استنادا إلى الدينامية التي يتمتعون بها ،ثم الرأسمال الاجتماعي، بالإضافة الى الثقة التي تنتج عن تفاعلهم"(فرانسوا ديبي، 2016، ص36).

-بالرغم من نهج سياسة التعليم الشامل فذلك ليس كافيا للحد من التفاوتات التي تطال هذه المؤسسة، إذ أن "ثقافة ومطامح وقدرات الأسر تخلق التفاوتات الدراسية أكثر مما تخلقها المداخيل لهاته الأسر"(فرانسوا ديبي، 2016، ص36)، وبهذا القول ففرانسوا ديبي يتجاوز

التحليل الأحادي البنيوي، الذي يركز على أن التفاوتات القائمة في المدرسة تردع إلى عامل واحد وغالبا ما يتركز في البعد المادي. سياسة التعليم الشامل كما هو معلوم ينبني على مصادرة أساسية مفادها الانسجام التام والطبيعي بين الشواهد من جهة، والمواقع المهنية التي تضمنها من جهة ثانية، إلا أن التحولات التي عرفتها فرنسا أدت بالمدرسة الجمهورية إلى أن تعرف هذه الأخيرة تحولات بنيوية، الأمر الذي جعلها –المدرسة الجمهورية– تصبح أداة و"آلية لانتقاء التلاميذ بطريقة دقيقة ومستمرة "(فرانسوا ديبي، 2016، ص44)، بهذا القول يتضح لنا على أن نموذج مساواة الأماكن المتبنى من طرف الأحزاب السياسية الاشتراكية والشيوعية الفرنسية أنبنى على فلسفة مفادها أن الشواهد المدرسية هي الوسيلة الأنجع للظفر بالشغل، غير أن الواقع غالبا ما يسير عكس الوجهة التي نرغبها، إذ أن فرنسا في ستينيات القرن الماضي عرفت ارتفاعا في نسبة حاملي الشواهد ما أدى إلى عدم القدرة على توفير مناصب الشغل لكل هؤلاء؛ وبالتالي نخرج بالقول أن الشواهد المدرسية ليست كافية للظفر بوظيفة قارة.

بشكل عام "فتعميم التعليم كانت نتائجه مخيبة للآمال، كما أن النساء والأقليات الملاحظة لا تجد ذاتها في نموذج للعدالة محايد أمام التميز بل وفي أغلب الاحيان هو نموذج محافظ أكثر مما يصرح له "(فرانسوا ديبي، 2016، ص52)، وخلاصة القول فهذا النموذج من المساواة لم ينتج عنه سوى تفاوتات أكثر وطأة من الأولى على الرغم من أنها جزئية وعير قابلة للقياس.

مساواة الحظوظ: يعتبر نموذج مساواة الحظوظ، الابن الشرعي للمشروع الديمقراطي الحداثي، الذي تم التأصيل له منذ الثورة الفرنسية مع فلسفة الأنوار حيث أحدثت قطيعة مع الأنظمة القديمة كالنظام الفيودالي، والإعلان عن مساواة الحظوظ لكونها تجعل لكل الأفراد إمكانية الولوج لكافة الأماكن الاجتماعية. لكن هذا الطرح النموذجي للبرجوازية والنخبة لم ينفلت من التحليل الماركسي معتبرا أن "هناك تعارض بين المبدأ البرجوازي و طموحات المساواة لبعض الفئات "(فرانسوا ديبي، 2016، ص53)، إلا أن الضرورة المرحلية للمجتمعات الديمقراطية الليبرالية المتناقضة، تفرض الجمع بين مساواة المواقع وكذا مساواة الحظوظ. ومع التركيز على هذا الصنف الثاني، سواء تعلق الأمر بالتوجه اليساري أو اليميني. لأنه يعتبر الصنف الثاني في قلب أغلب النظريات حول العدالة.

أ.الخيال الإحصائي: يستلزم وجود نموذج مساواة الحظوظ، وجود نسب مئوية اجتماعية على كافة الفئات الاجتماعية والغاية منها خلق تنوع في الأماكن والمراتب الاجتماعية وفق الأصول الاجتماعية لشاغلها وليس المس بتراتيبها، وعليه تصبح التمثيلية هي الميكانيزم المحرك لنموذج مساواة الحظوظ "ففي الوقت الذي يرفض فيه النقد باسم الأماكن الفرق بين مداخيل المدراء والمأجورين البسطاء، يقوم النقد باسم الحظوظ برفض ضعف تمثيلية النساء والأقليات ضمن المجموعات المسيرة "(فرانسوا ديبي، 2016، ص55)، فإن أهمية إعطاء الأولوية لتلاميذ الفئات المحرومة والأقليات في المدارس والكليات، يعمل بالضرورة على الرفع من مساواة الحظوظ.

إن هذه التدابير والأجهزة المستعملة بهدف تأسيس مساواة الحظوظ، أصبحت بدورها مادة للتساؤل، بحيث تطرح أطراف عدة نوعية المعايير المختارة للقياس مثل (اللون، الأصل الإثني، الدين) وهي معايير راجعة إلى مساواة الأماكن، وفي هذا الصدد حددت ناتان كلازر بواسطة نموذج إحصائي تطبيقي دقيق للغاية، مبادئ سياسية تسمح بقياس دقيق للحظوظ، أولا يوضح حدود ونقاط ضعف مساواة الأماكن، ثانيا التحول على مستوى التمثلات الاجتماعية والسياسية بفعل صعود فاعلين مدافعين عن هذا النموذج، ثالثا إن نموذج مساواة الحظوظ يفرض نفسه لما تكون الأماكن قليلة.

ب.التمييز والأقليات: تفرض التمثلات الاجتماعية في المجتمع تحديد المجموعات الاجتماعية وفقا لمفهومي التميز والمعيقات، المهمشين والمحرومين من الولوج إلى أماكن اجتماعية

نموذج(اللون، الطفل، النساء) هذه التمثلات في دورها تصبح معيقات أمام الطبقة المحرومة. هذا الأمر الذي يخلق صراع ضد التمييز، وهو صراع يمكن توجيهه بطريقتين مختلفتين:

الأولى: فتح أبواب المؤسسات والتأكد من إنصاف عمليات الاختيار، وكذا تجهيز الفضاء العمومي لنفس الغاية

الثانية: مبدأ التعويض، وأخذ بعين الاعتبار مسألة التمييز الايجابي ويمكن أن نخلص في هذا المستوى إلى أن الوقت الذي يطالب فيه مساواة الأماكن بالتسامح والحياد، يقوم فيه نموذج مساواة الحظوظ بالجمع ما بين رفض التمييز والمطالبة بالاعتراف(فرانسوا ديبي، 2016، ص59).

ج.المجتمع النشيط والمسؤولية الاجتماعية: إن الصورة المجتمعية الناتجة عن مساواة الأماكن، نابعة من التحليل الوظيفي للمجتمع، حيث تعتبر المواقع والمؤسسات ذو أهمية بمكان، أما فيما يخص مساواة الحظوظ فيتم تعويض المؤسسات والمواقع بالفاعلين الاجتماعين النشطاء، وبهذا المعنى يكون مجتمع الحظوظ أكثر نشاط وفعالية، لأنه يضع الأفراد في تنافسية مستمرة من خلال ربط الشغل بكفاءات ومواهب الكل، ولأن هناك دينامية وليس نظاما أو ترتيبا معينا(فرانسوا ديبي، 2016، ص61)، إذا فالسياسات الاجتماعية العالمية المحتضنة لمساواة الحظوظ فهي ترتكز على مسألة المساعدة مقابل المسؤولية والالتزام، ومنح الدعم الخاصة بالحظوظ، لما يكون هناك قبول بالحركية والتصرف والانخراط في المشاريع الاجتماعية.

وحسب **جيدن** فالمساواة الجديدة تتموقع ضمن هذا النموذج السالف،بحيث "تتم مساعدة من يرغبون في مساعدة أنفسهم، ويتم دفع الأفراد للتطور أكثر مما يتم توفير الأماكن لهم"(فرانسوا ديبي، 2016، ص62)، وهذا النموذج واضح في كل من أميركا والدنمرك، وعلى إثره تقدم منح مساعدات للشباب والأس، من اجل تحقيق التوازن و"فيما بعد يلاحظ أن التفاوتات ما هو إلا نتيجة لاستعمال معين لهته الموارد من طرف الأفراد ونتيجة لاختياراتهم الحرة والمختلفة، ومن تم تصبح تلك التفاوتات عادلة "(فرانسوا ديبي، 2016، ص62).

د.من نخبوية الجمهورية إلى مساواة الحظوظ: تعتبر المدرسة مؤسسة اجتماعية من أكثر المؤسسات المتبنية لفكرة مساواة الحظوظ بكل قوة، فإن" المدرسة الديمقراطية، والتي تبنت تعميم التعليم، تعتبر بان كل التلاميذ ينبغي أن يجربوا حظوظهم بالإعدادي والثانوي: فتصبح المدرسة عبارة عن آلة مكلفة بتوزيع التلاميذ بناءا على نتائجهم وعلى استحقاقاتهم. إنها غير ملزمة بتوجيه كل تلميذ نحو المكانة التي هي مخصصة له، بقدر ما ينبغي توزيع التلاميذ المتساوين نظريا في أماكن اجتماعية غير متساوية، باسم المنافسة المنصفة"(فرانسوا ديبي، 2016، ص63-64)، وعلى هذه الأهمية التي تكتسيها المدرسة في تفعيل مساواة الحظوظ والتركيز على الاستحقاق، فقد تولد إفراز سياستين كبيرتين:

-سياسية ترتكز على تجانس العرض المدرسي(ابتدائي، إعدادي، ثانوي، جامعي).

-تأخير عملية الانتقاء كلما طال أمد التكوين عبر الجذوع المشتركة، وكلما كان بإمكان كل تلميذ أن يجد بالقرب منه مدرسة قادرة على احتوائه وفي ظروف تشبه ظروف الآخرين.

وما دامت مساواة العرض المدرسي لا تلغي مبدأ النشأة، الذي يكون حاسما في التفاوت، تم وضع سياسات خاصة موجهة للتلاميذ اللذين يعانون من الإكراهات الاجتماعية والثقافية. إذا "فالمدرسة ليست مطالبة فقط بتحقيق حلم مساواة الحظوظ، ولكنها مطالبة أيضا بإيجاد الحلول لمجموعة من المشاكل الاجتماعية"(فرانسوا ديبي، 2016، ص65)، وعلى هذا الأساس فنموذج مساواة الحظوظ كسياسة للعدالة كفيل بتغير النخبة ورفع الثقة والدينامية بالمجتمع، ومن تقوية الاقتصاد والتماسك الاجتماعي، ومنه "فنموذج مساواة الحظوظ جيد وفعال، ولذلك نجده في عمق السياسات المدرسية" (فرانسوا ديبي، 2016، ص66).

و.الجنس، النوع والكوطا: تعتبر قضية المرأة من الأمثلة النموذجية على مساواة الحظوظ، حيث عملت على إدخالها في جملة من الميادين كانت في الأمس القريب حكرا على الذكور. وهذا الانفتاح يتماشى بالضرورة مع التطور الذي عرفته دولة الرعاية الاجتماعية، لكن لا زالت التفاوتات الناتجة على الجنس قائمة في مجال الشغل سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. الأمر الذي جعل من صوت الحركات النسائية يتصاعد ويحث على تفعيل مجموعة من التدابير لمحاربة التمييز ومناصفة النساء في أكبر عدد من الميادين. وإن "نموذج مساواة الحظوظ المطبق على النساء إلى تحويل الفصل ما بين الجنسين إلى تمثل الحياة الاجتماعية من خلال مفهوم النوع" (فرانسوا ديبي، 2016، ص67)، جعلنا نتحول من مفهوم الجنس المرتبط بشكل ما بمساواة الأماكن إلى مفهوم النوع المرتبط بدوره بمساواة الحظوظ.

ه.السياسات العمومية والأقليات الدينية: إن فكرة الأقليات في نموذج مساواة الحظوظ تعدو مسألة مرئية وواضحة، لكون المعركة ضد التمييز والعنصرية أمر ضروري، من اجل ترسيخ مبدأ الإنصاف للنموذج السالف، "فمنذ مدة طويلة وتحت غطاء السياسات العالمية الموجهة للأحياء الصعبة، تم اتخاذ تدابير خاصة وموجهة لشباب هاته الأحياء بدءا مما يسمى بالمناطق ذات الأولية التربوية التي يتم تحديدها انطلاقا من عدد التلاميذ ذوي الأصول المهاجرة، وصولا إلى أجهزة الإدماج وتدابير المساعدة على إيجاد الشغل، ثم المناطق الحرة وسياسات المدينة التي تستهدف الأقليات المرئية منذ عشرات السنين ومن غير أن تذكر بذلك" (فرانسوا ديبي، 2016،ص68-69)، هذا الأمر الذي يشجع على مبدأ التمييز الايجابي، وصقل التدابير المشجعة على الاختلاف، من خلال إصدار قانون 27 ماي 2008 بالتمييز اللا مباشر، وكذا جملة من المواثيق التي تؤكد على أهمية التنوع في تركيبة الهيئات والمجالس، والحث على استعمال سير ذاتية كاشفة للهوية. ومنه يمكن التصريح بأن "نموذج مساواة الحظوظ يستنكر معيقات التنافس العادل، وما دامت هاته المعيقات هي جزء من هويات الضحايا، فإن الدعوة لإرساء سياسات الاعتراف تجعل من وصمة عار إلى مدعاة للفخر" (فرانسوا ديبي، 2016، ص70)، وعلى إثر هذا يقول فرنسوا ديبي أنه من الأمر الساذج الاعتقاد بان الدولة الفرنسية قطعت مع مساواة الأماكن واحتضنت مساواة الحظوظ.

نقد مساواة الحظوظ: إن عملية النقد الموجهة لمساواة الحظوظ ، يفترض فيها أن توجه للحدود والآثار الفعلية لهذا النموذج، لكن في غياب أقدميه وهيمنة له على معظم مشارب الحياة الاجتماعية، سنركز بالضرورة على المؤشرات الأكثر ضعفا وتباينا فيه.

أ.ترسيخ التفاوتات: إن عملية ترسيخ نموذج الحظوظ أسفرت بوجود تفاوتات اجتماعية جمة، رغم أنها تفترض تقليص تقل الإرث، لكي يستطيع كل جيل من البدا من الصفر وصناعة ذاته بذاته، إذا "فمساواة الحظوظ تقود إلى ضعف إعادة التوزيع و ضعف تامين الأماكن، ويتم ربطها عموما بتراجع دولة الرعاية الاجتماعية، التي يتم تقليص دورها إلى مجرد التأمين ضدا على الفقر المدقع" (فرانسوا ديبي، 2016، ص73)، لكن أوضحت البيانات أن تراجع دولة الرعاية الاجتماعية يؤدي إلى تضاعف التفاوتات الاجتماعية وتفشي ظاهرة الفقر، ومنه فإن "مساواة الحظوظ لا تؤدي إلى السيطرة على التفاوتات الاجتماعية المفرطة، ما دام يفترض فيها ضمان مساواة القدرة على ولوج كل الأماكن الشاغرة"(فرانسوا ديبي، 2016، ص73)، كما أسفرت نتائج هذا النموذج، عن صعوبة في تحديد الأجور وسقفها، لأن الجدارة و التفوق لا يقدر بأجر أو بسقف معين به. و"لما يختلف الحد الأدنى للأجر كثيرا عن المداخيل الأكثر ارتفاعا، فان غنى الأغنياء لا يصبح من مصلحته الأكثر فقرا والمحاصرين داخل شبكات التأمين" (فرانسوا ديبي، 2016، ص74).

وعليه يمكن أن نلخص بأن التصور الذي حدد هذا النموذج للتفاوتات الاجتماعية جد ضيق، فإن "هاته اللامبالاة التي تتجاوز اهتمامها النخبة، فدائما لا يتم قياس فعالية نموذج مساواة الحظوظ إلا داخل النخبة المجتمعية، حيث يتم إحصاء عدد النساء وقدامى المعطلين والسود من المتواجدين بالحكومة والبرلمان ومجالس الإدارة والتلفزيون"(فرانسوا ديبي، 2016، ص73)، إذا فهذه التمثيليات و الكوطات الخاصة، سواء بالنساء أو بالمهاجرين، أو بالأطفال أو بالعرق، ما هي إلا خدعة أيديولوجية للنخبة من أجل إخفاء شروط إعادة الإنتاج.

ب.معيقات وهويات مفقودة: وفق نموذج مساواة الحظوظ لقد شهد المجتمع الانتقال من ثنائية استغلال/عمل إلى ثنائية جدية تمييز/ هوية، الأمر الذي يؤدي إلى البرهنة على وضع الضحية والمطالبة بهوية جديدة، وكذا تحديد الضحية عبر معاناته بغية الاستفادة من الدعم. هذا المعطى الذي يجعل من عالم الضحايا غير أخويا وإنما تنافسيا، ما دام قد استطاع انتزاع قد اكبر من الاعتراف والدعم، وعليه فإن نموذج مساواة الحظوظ هو ذو مبدأ فرداني يؤدي إلى استقلالية وحرية الأفراد. إن البناء الثقافي والهوياتي للجماعات التي يعتبر البطاقة التعريفية للفرد من اجل نيل نصيبه من الدعم المخول لتلك الثقافة أو الهوية المهمشة، يهدد بشكل واضح مسلمة الفردانية التي يدافع عنها نموذج مساواة الحظوظ، ومنه فإن التمييز يصبح وسيلة في يد الأفراد اللذين ينتمون إلى الهوية المهمشة، حيث يوجب عليه الأمر نيل الاعتراف، هذا الأخير الذي يفرض أن تكون الثقافة أو الهوية المعترف بها مناسبة لذاكرة باقي الضحايا، وأن تكون محتضنة لمبادئ الحرية، الكرامة، الديمقراطية.

ج.المسؤولية كتعاقد أخلاقي: من المتعارف عليه أن مساواة المواقع تبجل وتمجد النظام الأخلاقي المحافظ، وهذا ما يجعل هذا النموذج محطة انتقاد، لكون الأفراد فيه يدافعون بشكل مستميت على مواقعهم لكونها تمثل شرفهم، في حين نموذج مساواة الحظوظ يتسم بشكل كبير ببعده الليبرالي الذي يؤمن بتغير المواقع الاجتماعية بناءا على الحرية الفردية والاستقلالية، لكن هذا لا التغيير لا يسقطه هذا النموذج الأخير على المستوى الأخلاقي، ومنه فإن "في العالم المثالي لنموذج مساواة الحظوظ (الإرادة تعني القدرة)، وحينما تبدأ المباراة ويصبح (الشقاء حليف المغلوب عليهم)، يعتبر هؤلاء بأنهم لم يجربوا حظهم وبالتالي فهم يتحملون مسؤولية فشلهم، لأن الفرص كانت سانحة بالنسبة لهم، ولأن النجاح يحتاج للعمل وللمثابرة" (فرانسوا ديبي، 2016، ص82)، وكنتيجة لهذه المعادلة الاجتماعية لمساواة الحظوظ يكون كل فرد مسؤول عن نفسه وعن مصيره، أي بلغة الأخلاق لوم الضحية، وبمعنى آخر "كلما وفرنا مساواة الحظوظ، كلما قمنا بلوم الضحايا باعتبارهم مسئولين عن مصيرهم"(فرانسوا ديبي، 2016، ص84)، وعلى هذا الأساس يبدأ بحث الضحايا على تبرير فشلهم، بالعودة إلى التمييز أو التفاوت الطبيعي للتعبير عن وضعيتهم، ومنه يقوم نموذج مساواة الحظوظ على التضامن بارتباط بالأشخاص لا المواقع.

د.الاستحقاق والمنافسة المدرسية: إن التقعيد الموضوعي لفكرة نموذج مساواة الحظوظ يمكن ملامستها بشكل مضبوط في مؤسسة المدرسة، باعتبارها مؤسسة اجتماعية تعمل على صقل النموذج السالف، لكن مع خلق تفاوتات اجتماعية مقبولة، حيث "باستمرار نلاحظ أن النخبة المدرسية التي تنحدر من النخبة المجتمعية، في حين أن المنهزمين في المنافسة المدرسية هم باستمرار هم باستمرار المنحدرين من الفئات المهمشة"(فرانسوا ديبي، 2016، ص84)، وعليه تنتج لنا التفاوتات المدرسة على إنها تفاوتات عادية ومقبولة، لكونها تنبع من التفوق الفردي. الأمر الذي للشواهد قيمة اجتماعية عليا، وعلى هذا الأساس يقول فرنسوا ديبي "كلما آمنا بنموذج العدالة هذا كلما توسعت هوة التفاوتات المدرسية. فمن مصلحة المنتصرين المحتملين توسيع هوة الفوارق من خلال الاختيار الدقيق و الفعال للمدارس والمسالك والدعم"(فرانسوا ديبي، 2016،

ص85)، وبالتالي فإن المدرسة قناة أيديولوجية تساهم في إعادة إنتاج التفاوتات الاجتماعية بشكل مقبول عند الضحايا باسم المنافسة والمردودية.

إن هذا التسابق نحو التميز المدرسي ونيل الألقاب المدرسية، جعل من هذه المؤسسة تصبح ذو مكانة من اجل المنافسة والتباري الاجتماعي ونيل الاعتراف، وبه فإن مساواة الحظوظ جد قاسية على الأفراد لكونها في الأول تقحم الأفراد في منافسة الاستحقاق، وثانيا تفرض الامتياز كمعيار لا يقبل النقاش ولا المجادلة، الأمر الذي يترتب عنه نتائج وخيمة كالعنف المدرسي وأزمات نفسية سيئة. وعليه فإن"مساواة الأماكن صارمة ومحافظة، لأنها تغلق على الأفراد في مواقعهم ومع أمثالهم، في حين ان مساواة الحظوظ هي سلسة وقاسية، لأنها تجبر الأفراد، وخاصة الأكثر هشاشة منهم على الانسلاخ من مواقعهم ومن أقربائهم" (فرانسوا ديبي، 2016، ص87).

و.**إلغاء التفاوتات:** إن الأمر الذي يعترف به لنموذج مساواة الحظوظ، هو كونه أعطى للمرأة أهمية كبيرة في معظم المجالات، وفتح أمامها مواقع كانت مغلقة في وجهها، لكن هذا لا يعني تجاوز المجتمع (الفرنسي) لمشكل النوع، ويمكن رصد هذا في مستويين:

أولهما أن وضعية الفتاة في المدرسة تخضع لتلك النظرية الاجتماعية النمطية، والتي تجعلها تختار من تلقاء ذاتها وبشكل لا واعي تخصصات أدبية في الجامعة رغم تمكنها وتفوقها في الثانوي على الذكور، في حين الذكور على العكس تماما، ويمكن إرجاع هذا إلى أن الثقافة البطريركية مترسخة في عقول الأفراد ومهيمنة عليهم، وهذا ما يفسر كذلك أن جل المدرسين في المدارس نساء، الأمر الذي بجعلهن يعيدون إنتاج التفاوتات من خلال نقلهن للعدوى الذكورية لناشئة. وفي هذا الصدد يقترح فرنسوا ديبي "لتحدي النوع يمكننا فصل الجنسين بالمدرسة (وهو نوع من الموضة ببعض البلدان)، والهدف هو أنه لا يتم سجن الإناث في صور نمطية. مثلا دراسة الفيزياء ولعب الرياضة بغياب الذكور يجعلهن يتحررن من الانتظارات التي تقلل من شأنهن بالعلوم كما بالرياضة. وهناك حل أخر يتجلى في مطالبة المدرسة بمحو تحديد الهوية من خلال النوع، وباقتراح نفس لعب الأطفال ونفس التوجيهات لجميع الأطفال إناثا وذكورا على السواء " (فرانسوا ديبي، 2016، ص89).

ثانيا: تأخذ الفتاة بعين الاعتبار مشروع الحياة الأسرية، لكونه ذو أهمية في مسارها حياتها، الأمر الذي يجعل اختياراتهن المهنية تصب حول مهن التدريس لكونها تكمل هذا المشروع السالف. وفي هذا المستوى يقول فرنسوا ديبي إلى أنه "ستختار الفتيات مسارات ومهن أقل أنوثة لما تصبح كل الأمكنة تأخذ بعين الاعتبار مشروع حياتهم الأسرية. والعكس ينطبق أيضا على الذكو: من اجل الوصول لمساواة الحظوظ، الأفضل هو الاشتغال على بنيات الأمكنة بالشغل وبالأسرة عوض الاشتغال على ثقافة وهوية الفاعلين "(فرانسوا ديبي، 2016، ص95).

ه.واجب الهوية: تعتبر سياسة الكوطا و آليات التمييز الايجابي تعويض موضوعي للأقليات المرئية ضحية العنصرية، لكن هذه الفكرة سريعا ما تزول وتحل محلها فكرة أن الكوطا والتمييز الايجابي أكثر الآليات تعميقا للتفاوت. وتصنف دراسة **جولييس ويلسون** الأمريكي خير نموذج عن هذا، حيث برهنة ان مجموع النجاحات الفردية لا يؤدي إلى ترقية جماعية، وأن مجموع الخلاص الفردي لا يؤدي بالضرورة إلى خلاص جماعي، بقدر ما تجعل النجاحات الفردية ترتقي عن جماعتها الأصل إلى جماعة أخرى، وتعمق التفاوتات والهشاشة والتهميش في الأولى، لكونها فقدت عناصرها المميزين لها. "ففي الوقت الذي يدعو فيه نموذج مساواة الحظوظ الى استقلالية وحرية الأفراد ،فإن تطبيقه في الواقع يؤدي إلى تعويض التمييز المرتبط بالمواقع إلى تمييز يرتبط بالمجموعات التي تعلني الإقصاء والعنصرية "(فرانسوا ديبي، 2016، ص93)، وعليه يصبح هذا النموذج المناصر للفردانية متجاهل لصيرورة الحركية الجماعية التي طالما دعمت اندماج المهاجرين.

إن فكرة مساواة الحظوظ تقوم على مبدأ هش في نظرية العدالة الاجتماعية، آلا وهو مبدأ الاستحقاق، هذا الأخير الذي وجب أن ننظر له من أكثر من جهة، وأن نقوم بقياسه باليات متعددة (مثل : الحظ ، الظروف ، التجارب، العمل).

يمثل الفصل الخامس والأخير من الكتاب الفقرة التي تجمل كل ما أتى في الكتاب لتوضيحه وتبيانه، وبعد أن قدم وبشيء من التفصيل والتدقيق وأفاض في التحليل الرزين لأطروحة مساواة المواقع ومساواة الحظوظ، بالتعريف بكل نموذج على حدى والكشف عن ايجابياته وسلبياته وأعمدة قوته ونقط ضعفه، ووضعهما موضع نقد وتمحيص، فها هو ذا في هذا الفصل لنموذج مساواة المواقع باعتباره الأكثر ملائمة إذ يقول "أدعوا لنموذج مساواة المواقع الاجتماعية، لأنه هو الأكثر ملائمة لمن هم أكثر ضعفا، ولأنه أيضا ينصف نموذج مساواة الحظوظ"(فرانسوا ديبي، 2016، ص105)، ولكن الانتصار لمساواة المواقع على مساواة الحظوظ لا يعني أنه يمكن التضحية بأحدهما على حساب الآخر؛ إذ تربط بينهما علاقة جدلية قائمة على أن حضور الأول يستدعي حضور الثاني وغياب الثاني قد يخل بدور الأول، لدى يطرح الكاتب مسألة الاختيار باعتبارها عملية لا مناص منها بالرغم من خطورتها ويضع شرط "النموذج العادل" كأولوية وكعامل يتحكم في عملية الاختيار، ولكن السؤال المطروح هنا هو ما الذي جعل فرانسوا ينتصر أو يجعل الأسبقية لمساواة الأماكن على مساواة الحظوظ؟

أورد فرانسوا مجموعة من النقط التي بها أجاب عن هذا السؤال، وانطلق من مجموعة من الاعتبارات لترصيص جوابه وقناعته بأسبقية نموذج مساواة المواقع على مساواة الحظوظ، وأول هذه الأجوبة؛ اعتباره أن مساواة الحظوظ لا تلقي أية أهمية للتفاوتات الاجتماعية بحكم أنها ناتجة عن المنافسة المنصفة، هذه الأخيرة التي تجعل من التفاوتات شيئا مقبولا لكونها ناتجة عن مبدأ يشكل أساس مساواة الحظوظ وهو "الاستحقاق" الذي يجعل من الفرد المسؤول الوحيد والأوحد عن موقعه "الطبقي"، ومن هذا الاعتبار الأول أجاز فرانسوا لنفسه أن يؤكد على أن مساواة الأماكن الاجتماعية تمتلك إن شئنا القول" حق الأسبقية" لأنها وعلى حد تعبيره "تظل أمرا محمودا في حد ذاته"(فرانسوا ديبي، 2016، ص105)، بحيث يعتبر بأن سياسات إعادة التوزيع كآلية من آليات تحقيق مساواة المواقع تقلص من التفاوتات وتجعلها تميل الى الاعتدال، أما الاعتبار الثاني الذي أشار إليه فهو المتمثل في أن موقع الفرد هو الذي يحدد حظوظه، بمعنى أن الحظوظ التي سيحظى بها فرد معين سبق أن تم تحديدها بموقعه في المستوى البنية الاجتماعية، بحيث تبقى عملية الترقي الاجتماعي رهينة بموقع الفرد لدى فارتفاع مستوى الحظوظ يستدعي تقليص التفاوتات في الأماكن وهذه إشارة قوية على أن الحركية الاجتماعية تتم بشكل سليم في المجتمعات التي تتخذ من مساواة الأماكن كنموذج للعدالة الاجتماعية، لينتقل إلى الاعتبار الثالث الذي أوجزه في عبارة "الاستقلالية" ليورد قائلا "مساواة الاماكن هي أحد عوامل الاستقلالية، لأنها تسمح بالاختيار الجزئي لنموذج الحياة. فالإنسان يكون حرا في حسم اختياراته لدرجة تجعل كل الاختيارات أمامه نسبية" (فرانسوا ديبي، 2016، ص105) لكن لا يمكن أن التغاضي على أن هذه العبارة تستكنه نوعا من الغموض، بحكم أن الأقرب إلى منح هامش أكبر للاستقلالية هو نموذج مساواة الحظوظ بل تشكل عصب قوته بتشجيعها على منح أكبر قدر من الحرية للأفراد، لكن هذا لا يجعل من مساواة الأماكن تلك السلسلة التي تكبل حرية الأفراد فالاستقلالية والحرية تتحقق في المجتمعات التي تقل فيها نسبة التفاوتات وتقل فيها المسافات بين الأفراد.

بهذا يكون فرانسوا قد أقر وبشكل صريح على أن نموذج مساواة الأماكن هو الأقرب إلى تحقيق المبتغى المنشود في تقليص التفاوتات الاجتماعية، دون الانتقاص من أهمية ودور نموذج مساواة الحظوظ بالرغم من تداعياته السلبية على الأفراد والمجتمع ككل، ويستبعد كذلك مسألة العمل بنموذج واحد فقط بل يجعلهما في كفتي ميزان ويربط بينهما بعلاقة تكاملية لتحقيق

الانسجام "إن مساواة الأماكن ومساواة الحظوظ يمكن أن يحدث بينهما الانسجام، لكن شرط تبني سياسات اجتماعية ذكية تؤمن بالمسارات بدل المكتسبات الاجتماعية "(فرانسوا ديبي، 2016، ص103).

لا أحد ينكر أن التفاوتات الاجتماعية "مؤلمة"، بل لا تطاق من قبل الفئات الاجتماعية الفقيرة والهشة، والأكثر من ذلك أن هذه التفاوتات تخلق هوة سحيقة بين فئات المجتمع، وتقسم هذا الأخير الى جماعات بخصائص ومميزات مختلفة على مستوى ظروف العيش والأمن والصحة والتعليم.

هكذا يكون فرانسوا قد اقترح نموذجين للعدالة الاجتماعية في انسجامهما تحقيق للمساواة وتقليص للتفاوتات، مع الإشارة إلى ضرورة خلق تفاوت بسيط بينهما وفي تطبيقهما وذلك في الإشارة إلى أولوية مساواة الأماكن.

قائمة المراجع:

1.فرانسوا ديبي(2016)، المواقع والحظوظ إعادة تفكير التفاوتات الاجتماعية، ترجمة كنزة قاسمي، افريقيا النشر.

المجتمع المدني المصري بعد 3 يوليو 2013
Egyptian civil society after 3 July 2013

أ.أسامة الرشيدي، معهد الدوحة للدراسات العليا- مصر.

ملخص: تناقش هذه الورقة وضع المجتمع المدني المصري ما بعد الانقلاب العسكري في 3 يوليو/ تموز 2013 وحتى نهاية عام 2016. انطلاقا من بعض المفاهيم، مثل "الطائفية المدنية" و"دولة الثقب الأسود" و"التداخل بين السياسي والمدني" و"صراع المصالح وصراع الرؤى" والرؤية الماركسية للمجتمع المدني، وترصد كذلك تراجع مظاهر التمدن داخل المجتمع مع انتشار قيم مخالفة لمظاهر التحضر. وتحاول الكشف عن مظاهر الصراع داخل المجتمع المدني المصري وعلاقة ذلك بدور الدولة وتعاملها مع المجتمع المدني، وتحاول الورقة الإجابة على سؤال رئيسي، هو: كيف يمكن أن نفهم طبيعة وأبعاد الصراع داخل المجتمع المدني المصري بعد الانقلاب وانعكاساته على حالة المجتمع ككل؟ ومن خلال هذا السؤال سنتعرف على مواقف الكيانات والتكتلات الرئيسية التي تمثل جوانب المجتمع المدني المصري، وصولا إلى بعض الخلاصات والاستنتاجات.

الكلمات المفتاحية: المجتمع المدني، مصر، الدولة، الانقلاب العسكري، الطائفية المدنية، التمدن.

Abstract: This paper discusses the situation of Egyptian civil society after the military coup on July 3, 2013 until the end of 2016. Based on concepts such as "civil sectarianism", "black hole state", "political and civil overlap", "conflict of benefits and conflict of Visions" and the Marxist vision of civil society. It also analyzes the decline of manifestations of urbanization within society with the spread of opposite values.

This paper tries to reveal the manifestations of conflict within the Egyptian civil society and its relationship with the role of the State and its interaction with civil society.

The paper tries to answer a key question: How can we understand the nature and dimensions of conflict within Egyptian civil society after the coup and its repercussions on the state of society? Through this question, we will know the attitudes of the major entities that represent the aspects of Egyptian civil society, leading to some conclusions.

Key words: Civil society- Egypt- The state- The military coup- civil sectarianism- Urbanization

مقدمة:

كان الاستقطاب السياسي في عصر مبارك مركزا بشكل أساسي بين النظام والمعارضة، وكانت المنافسة تدور بين الطرفين حول السيطرة على المؤسسات والكيانات المدنية، وفي مقدمتها الأحزاب والنقابات المهنية ومنظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان، وكانت التحركات المدنية الميدانية تقتصر على وقفات احتجاجية على سلالم نقابة الصحفيين أو مدخل نقابة المحامين، وغيرها من الفعاليات، باستثناء الأوقات التي خرجت فيها مظاهرات كبيرة نسبيا، مثل المظاهرات المناهضة لاحتلال العراق عام 2003، ومظاهرات حركة كفاية ضد التوريث عام 2004، وإضراب 6 أبريل عام 2008. لكن لم يكن هناك استقطاب سياسي حاد بين مكونات المعارضة نفسها، ولم ينعكس ذلك على الصراع على المنظمات المدنية، بل شهدت تلك الفترة تنسيقا كبيرا بين التيارات المعارضة الرئيسية (الإسلامية- الناصرية- اليسارية- الليبرالية) في قضايا الإصلاح السياسي والديمقراطي، مثل المظاهرات الداعمة لحركة استقلال القضاء، ودعم ترشيح شخصيات مستقلة في انتخابات النقابات، وغيرها من القضايا. وقد وصل التقارب بين مكونات المجتمع المدني ذروته في ذلك الوقت مع وصول الدكتور محمد البرادعي إلى مصر وإعلانه نيته الترشح لانتخابات الرئاسة، وإنشاءه "الجمعية الوطنية للتغيير" التي ضمت أطيافا سياسية واسعة، بما في ذلك جماعة الإخوان المسلمين التي قامت بجمع مئات الآلاف من التوقيعات على بيان البرادعي الذي يحدد 7 مطالب للتغيير. وكانت مؤسسات المجتمع المدني الرئيسية مقسمة بين تيارات إسلامية، استطاعت السيطرة على عشرات الجمعيات الخيرية والتنموية، بالإضافة إلى نقابات مهنية بالتحالف مع تيارات سياسية يسارية وناصرية –مثل تجمع مهندسون ضد الحراسة- أما التيارات اليسارية والليبرالية فقد اتجهت إلى مجال الدفاع عن حقوق الإنسان، واستطاعت إنشاء وإدارة العشرات من هذه الكيانات(بشارة، عزمي، 2012، ص300-301).

ولم يمنع ذلك التقارب من وجود ظواهر ل"الطائفية المدنية" تركزت على الاستقطاب الأيدولوجي "الإسلامي- العلماني" وانعكس ذلك على عمل منظمات المجتمع المدني المدافعة عن حقوق الإنسان، إذ نجد أن المنظمات الحقوقية كانت تركز على انتهاكات حقوق الإنسان الواقعة على التيارات السياسية غير الإسلامية، وكانت تنظر إلى الانتهاكات ضد التيارات الإسلامية باعتبارها أمرا معتادا وروتينيا ومفروغا منه، وعندما وجد الإسلاميون ذلك قرروا الدخول في المجال الحقوقي –على الرغم من وجود محاذير وتحفظات لديهم على تبني مفاهيم حقوق الإنسان بصورة شاملة لتعارضها مع الإسلام- وقاموا بإنشاء مراكز حقوقية تركز بالمقابل على الانتهاكات ضدهم، مثل مركز "ضحايا" ومركز "سواسية" اللذين كان يديرهما أفرادا ينتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين. على الجانب الآخر نشطت منظمات حقوقية تعني بالدفاع عن قضايا المسيحيين، مثل منظمة "الاتحاد المصري لحقوق الإنسان" التي أنشأها "نجيب جبرائيل" ولم تكن تتحدث إلا في قضايا تخص الأقباط فقط.

ومثلما مهد التقارب المدني لبداية عملية التحول الديمقراطي في مصر، فإن مصر شهدت انقساما عميقا بين تيارين رئيسيين هما التيار الإسلامي والتيار العلماني –الذي يطلق على نفسه اسم المدني- وترسخ هذا الانقسام في التصويت على التعديلات الدستورية في مارس 2011، بعد أن قرر الإسلاميون الموافقة عليها وعارضتها التيارات الأخرى واتهمت الإسلاميين بالتحالف مع الجيش، واختفى الحديث عن استكمال مطالب الثورة وتحول الصراع في المرحلة الانتقالية إلى من يكسب الجيش إلى صفه ليستقوي به في مواجهة الآخر، وهو ما مهد للانقلاب العسكري في 2013، إذ دعت القوى اليسارية والليبرالية والناصرية الجيش صراحة إلى التدخل "لإنقاذ مصر من الإخوان" وهو ما تم بالفعل بالتعاون بين الجانبين (الجيش والقوى العلمانية).

أولا: ظاهرة الطائفية المدنية

1. الطائفية السياسية

يعرف جورجيو "أغامبين" حالة الاستثناء بأنها "الحالة التي يتم فيها استبعاد أعضاء مجتمع ما ماديا أو معنويا من العقد الاجتماعي والقوانين الحاكمة لهذا المجتمع وبالتالي يصبح هؤلاء البشر أجسادا عارية أمام عنف السلطة المطلق، الذي طالما كان مقبولا وشعبيا في نظر أغلبية أعضاء المجتمع الآخرين" (علاء، بلال ومصطفى، محمد، 2016، ص33) وهو ما انطبق حرفيا على جماعة الإخوان المسلمين وأنصارها منذ يوليو/ تموز 2013.

فقد شهدت مصر واحدة من أسوأ مظاهر الطائفية المدنية منذ ذلك الوقت، فقد بدأ الانقلاب بسلسلة مجازر راح ضحيتها المئات من أنصار الرئيس المعزول محمد مرسي، وتوجت تلك المجازر بفض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة، وتم تطبيق "حالة الاستثناء" بشكل صارم ضد الإخوان والإسلاميين بشكل شبه كامل. فمن ناحية، تعرض الإسلاميون للتنكيل بصورة واسعة من قبل سلطات ما بعد الانقلاب باعتبارهم "إرهابيين ومجرمين" ومن ناحية أخرى، لم تعترض أي من المنظمات المدنية –خاصة منظمات حقوق الإنسان التي تسيطر عليها تيارات علمانية كما أشرنا سابقا- على ما حدث طالما أنه يحدث للأغيار "الإسلاميون"، فتم تجاهل قيام الانقلاب بإغلاق العشرات من وسائل الإعلام التابعة للإسلاميين، كما تم تجاهل القبض على المئات من القيادات السياسية المنتمية للتيارات الإسلامية، ولم يتم اعتبار ذلك انتهاكا لحقوق الإنسان أو لحرية الصحافة (عواد، وائل، 2016).

بل إن بعضا من كيانات المجتمع المدني شاركت في الدعوة للتعامل العنيف مع معارضي الانقلاب. إذ دعت عشرات الشخصيات العامة الناشطة في المجتمع المدني لفض اعتصامات أنصار مرسي بالقوة، بل وهاجمت حكومة ما بعد الانقلاب بسبب ما وصفوه ب"تأخر الفض ومواجهة الإخوان الإرهابيين"، مثل بيان "أين الفض" الذي أصدره الناشط البارز في الدفاع عن حقوق العمال "كمال خليل" باعتباره ممثلا لحزب "العمال والفلاحين"، بالاشتراك مع حزب التجمع (رفعت السعيد) وحزب التحالف الشعبي الاشتراكي (عبد الغفار شكر)، لإدانة ما وصفوه بـ"ارتعاش" الحكومة في مواجهة "جماعة إرهابية فاشية" مطالبين بـ"القضاء على البؤر الإجرامية التكفيرية في سيناء، وتصفية الجيوب المتناثرة في شوارع القاهرة، عالية الصوت والمطالب" في إشارة إلى اعتصام رابعة. نفس الدعوة قادها "الأديب" علاء الأسواني، الذي كتب متهماً كل من يتسبب في تأخير الفض بإهدار ما أنجزته "ثورة 30 يونيو" حسب قوله(الرشيدي، أسامة، 2016).

وعندما جاء موعد فض ميدان رابعة، حرص النظام الجديد على إشراك العديد من المنظمات المدنية ومؤسسات حقوق الإنسان من أجل مراقبة أحداث فض الاعتصام (أصوات مصر، 2013)، ليحصل منها على شهادة "حقوقية" بأنه لم يرتكب جريمة، أي تحويل تلك المنظمات إلى "شاهد زور" بتعبير عزمي بشارة (بشارة، عزمي، 2012، ص32)، وبالفعل تشير أقوال رؤساء المنظمات الحقوقية والمدنية التي شاركت في مراقبة عملية الفض إلى أنها برئت قوات الجيش والشرطة من القتل، واتهمت المعتصمين بأنهم المتسببين في وقوع هذا العدد من القتلى بينهم وأنهم كانوا يمتلكون أسلحة نارية (الوطن، 2015) وإذا كان بعض من هؤلاء "الحقوقيين" معروف عنهم الولاء للسلطة وكراهية الإسلاميين، فإن البعض الآخر ممن شارك كان يقدم نفسه باعتباره مستقلا، بل ومعارضا شرسا لنظام مبارك ولأي انتهاك لحقوق الإنسان، مثل "أحمد سميح" مدير مركز أندلس لدراسات "التسامح" ومناهضة العنف، الذي لم تختلف "شهادته" عن شهادة باقي الحقوقيين الموالين للدولة في اتهام الاعتصام بأنه كان مسلحا، وأن المعتصمين هم من بدأوا العنف تجاه قوات الشرطة (أخبار الحوادث، 2013).

أما المنظمات التي لم تشارك في المراقبة، فقد اكتفت بإصدار بيان مشترك حمل توقيع 9 من أبرز منظمات حقوق الإنسان، ساوت فيه بين الطرفين (الانقلاب والمعتصمين) ففي الوقت الذي أدان فيه البيان في فقرته الأولى "الاستخدام المفرط للقوة من جانب السلطات الأمنية في فض اعتصام جماعة الإخوان المسلمين وأنصارها" فإنه اتجه بعد ذلك بالكامل إلى كيل الاتهامات للمعتصمين الضحايا، فقد اتهم البيان الاعتصام بأنه كان "غير سلمي، كما اتهم المعتصمين بأنهم قاموا ب"تمرير الأسلحة والذخائر ومواد المتاريس إلى مواقع الاعتصامين" وقال إن أماكن الاعتصامات شهدت انتشارا لممارسات القتل والتعذيب، وارتكاب الأعمال الإجرامية وحمل السلاح وممارسة العنف، دون تقديم دليل على هذه الاتهامات. كما ركز البيان على حوادث الهجوم على الكنائس، متهما أنصار الإخوان والتيارات الإسلامية بفعل ذلك، مع العديد من الاتهامات ذات الطابع السياسي التي لم يكن محلها "بيان حقوقي" إذ "توقع" البيان انتهاج الإخوان لما سماه "العنف السياسي والإرهاب لفترة طويلة قادمة؛ بدلا من ممارسة النقد الذاتي والاعتراف بفشلها في الحفاظ على ثقة المواطنين الذين اقترعوا لصالحها" وطالبتهم في نهاية البيان ب"القبول بالنتائج السياسية المترتبة على انتفاضة 30 يونيو، وتطوير خطابهم الديني والسياسي" وهو مطلب سياسي صرف، في نفس الوقت لم يطلب البيان شيئا من سلطة ما بعد الانقلاب سوى مطلب عام يدعو إلى "إجراء تحقيقات مستقلة ومحاكمة كل من تورط بشكل مباشر في قتل المواطنين خارج نطاق القانون" (المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، 2013) وهو مطلب يثير الاستفهام، كونه يتوجه بالطلب إلى الطرف الذي قام بهذه الجرائم، فكيف تتوقع تلك المنظمات أن يحاسب الانقلاب نفسه؟

على نفس المنوال صار خطاب جانب كبير من التيارات الليبرالية واليسارية والناصرية، التي حاولت ترويج سردية مفادها أن "الدولة" ستتحالف معهم باعتبارهم "التيار الثوري" لإزاحة الإخوان والإسلاميين من المشهد، حتى يتم التفرغ بعدها للهدف الأكبر وهو إقامة الدولة المدنية الحديثة، وأنه لا يجب بأي حال من الأحوال مساندة أو حتى إبداء التعاطف مع الإسلاميين وإدانة ما يتعرضون له لأنهم إرهابيون يحملون السلاح ضد "الشعب"، وحتى لو كان هناك استخدام بالغ للعنف من قبل أجهزة الأمن، فإن ذلك سيكون ثمنا مقبولا لإنشاء الدولة المدنية المنشودة (الهادي، عمر، 2013). كان هناك شبه تواطؤ من الجميع على ما يحدث، ويبدو أن بعضهم استشعر مآلات الأحداث مبكرا، فسارعوا إلى إبراء ذمتهم عبر إصدار "بيان" عبارة عن مناشدة للسلطة الجديدة أن "تستكمل أهداف الثورة" (أونا، 2013).

2.الطائفية المهنية

عرفت النقابات المهنية في مصر تداخلا كبيرا بين العمل السياسي والمدني، كما أشار عزمي بشارة (بشارة، عزمي، 2012، ص300-301)، خاصة أن الإسلاميين اعتبروا النقابات ساحة مناسبة وأكثر حرية للعمل من ساحة الفعل السياسي التي يواجهون فيها التنكيل. وبالفعل كانت النقابات –مثل غيرها من ساحات العمل المدني- ساحة للصراع بين الدولة والمعارضة في عهد مبارك، عبر محاولة كل فريق السيطرة على مجالس إدارات تلك النقابات والتحكم فيها، وانتقل هذا الصراع بعد ثورة يناير ليصبح صراعا بين جماعة الإخوان –باعتبارها أكبر التيارات الإسلامية وأكثرها خبرة في العمل النقابي- وبين التيارات السياسية الأخرى، التي اتهمت جماعة الإخوان بتسييس العمل النقابي لصالحها، وإدارة النقابات بما يخدم مصالحها ومصالح أعضائها فقط، ولذلك شهدنا في بعض تلك النقابات تحالفات مناهضة للإسلاميين أطلقت على نفسها اسم "تيار الاستقلال" بمعنى أنها تهدف إلى إدارة النقابات باعتبارها وسيلة لتطوير المهنة والارتقاء بأعضائها فقط دون الانغماس في السياسة، لكن "الاستقلالية" لم تكن إلا تسمية خادعة ومجرد دعاية ثبت عدم صحتها فيما بعد. ذلك أن تيارات الاستقلال تلك لم تكن مستقلة في حقيقة الأمر،

بل كانت تطرح مشروعات سياسية مضادة لمشروع الإخوان، وكان أعضاء تلك التيارات على درجة عالية من التسييس وينتمون بالفعل إلى تيارات سياسية يسارية أو ناصرية أو ليبرالية، وبعد الانقلاب العسكري تحالفوا مع الدولة لإسقاط مجالس إدارات النقابات التي كان الإخوان يسيطرون عليها.

على سبيل المثال تحالف ما يسمى "تيار الاستقلال" في نقابة المهندسين مع نظام ما بعد الانقلاب العسكري، وتمكن من الفوز في انتخابات النقابة التي أجريت بعد الانقلاب، وسيطر أعضاء التيار على مجلس النقابة بقيادة "طارق النبراوي" الذي ينتمي إلى التيار الناصري، ليكون من أوائل قرارات المجلس شراء شهادات استثمار مشروع "قناة السويس" الذي أعلن عنه السيسي بمبلغ 50 مليون جنيه (مصر العربية، 2014) بحجة "المشاركة في الدور الوطني" كما قررت شركة المهندس للتأمين "التبرع" ببوليصة تأمين مجانية قيمتها 50 مليون جنيه للعاملين في المشروع "إسهاما منها في هذا المشروع الوطني" رغم أن "تيار الاستقلال" كان دائما ما يتهم المجلس السابق بإهدار موارد النقابة، وهو نفس ما قام به هذا المجلس الذي أعلن بعد ذلك إيقاف "القروض الحسنة" لأعضاء النقابة بحجة أن "الظروف الاقتصادية للدولة أثرت على موارد النقابة" (نقابة المهندسين بالإسكندرية، 2014) كما تم اتخاذ تلك القرارات الهامة والتي تؤثر على آلاف المهندسين بدون عقد جمعية عمومية أو استطلاع آراء الأعضاء.

كما بدأ المجلس الجديد عهده باتهام المجلس السابق بصرف أموال شهرية لعائلات مهندسي الإخوان القتلى والمصابين في أحداث رابعة، أي أنه كان يريد اتهام المجلس السابق بأنه كان يمارس "حالة الاستثناء" بشكل إيجابي عبر إعطاء مميزات لبعض أعضاء النقابة بسبب انتماءهم السياسي وحجبها عن الآخرين، لكن القضاء برأ المجلس السابق، بعد أن اتضح أنه قام بصرف هذه الإعانات لكافة المهندسين الذين قتلوا منذ ثورة يناير بغض النظر عن انتماءاتهم (الرشيدي، أسامة، 2015) أي أن نقيب المهندسين "المستقل" كان يريد أن يمارس هو "حالة الاستثناء" في الحقيقة عبر حجب أي مساعدة مالية لأعضاء النقابة بسبب انتماءهم السياسي. وأخيرا تجلى الدور السياسي المتحالف مع الدولة لهذا المجلس في قيامه بزيارة وزير العدل السابق المثير للجدل "أحمد الزند" وإهدائه درع النقابة (أونا، 2015) وكان نفس أعضاء هذا المجلس قد أبدوا اعتراضهم الشديد على قيام المجلس السابق بتكريم الرئيس المعزول محمد مرسي باعتباره عضوا من أعضاء النقابة. وقال النبراوي وقتها إن ذلك التكريم يخلط بين العمل السياسي والمهني ويعد إهدارا لموارد النقابة (مبتدا، 2013).

أما في نقابة الأطباء، فقط سيطر عليها "تيار الاستقلال" أيضا، وكانت النقابة تشهد منذ فترة طويلة اتهامات لمجلس النقابة "الإخواني" بإعاقة مشروع "كادر الأطباء"، ودعت الدكتورة "منى مينا" إلى إضراب عام 2012 للمطالبة بتحقيق الكادر، واتهمت الإخوان باتخاذ قرار بإنهاء الإضراب دون تحقيق مطالب الأطباء. لكن بعد نجاح التيار في انتخابات النقابة، لم يستطع المجلس الجديد تحقيق كادر الأطباء، وعندما انعقدت جمعية عمومية للأطباء لبحث قضية اعتداء ضباط شرطة على طبيبين بإحدى المستشفيات الحكومية، تم التصويت بأغلبية ساحقة على إعلان الإضراب العام للضغط على السلطات لتقديم الجناة للعدالة، لكن مجلس النقابة حذف هذا الإجراء في الإعلان الختامي للجمعية العمومية خوفا من إثارة غضب السلطة، في تصرف أبعد ما يكون عن الديمقراطية أو "الاستقلالية". وقد أدى هذا الإجراء إلى إحباط الآلاف من الأطباء الذين قرروا عدم حضور الجمعية العمومية التالية التي دعا لها المجلس –رغم أن الجمعية السابقة حضرها عدد قياسي من الأطباء- وساهم تجاهل الدولة لمطالب الأطباء في هزيمة حراك الأطباء، ليتفرغ مجلس النقابة لمعارك هامشية مع نقابات أخرى، مثل التهديد بسجن أي صيدلي يطلق على

نفسه لقب "دكتور"، رغم وجود قضايا ملحة ترتبط ارتباطا وثيقا بمصالح الأطباء، مثل بيع المستشفيات الحكومية وانهيار منظومة الصحة والأحوال المتردية للأطباء.

أما باقي النقابات، فقد تحركت الدولة للسيطرة عليها بشكل مباشر، ونجح "ضياء رشوان" في أن يصبح نقيبا للصحفيين، وهو مؤيد كبير للانقلاب، لكن ممارساته أدت إلى رسوبه في انتخابات التجديد النصفي، لتتحرك الدولة لمعاقبة الصحفيين على محاولتهم الخروج عن طوعها، عبر اقتحام النقابة بحجة القبض على نشطاء مطلوبين، وعندما اعترض مجلس النقابة على ذلك صدرت ضد عدد منهم أحكام قضائية بالحبس. كما وضعت بعض النقابات الأخرى تحت الحراسة بدعوى "التخلص من الإخوان الذين كانوا مسيطرين عليها".

على الرغم من أن الدور الأساسي للنقابات المهنية هو الارتقاء بشؤون المهنة ورعاية أعضائها والدفاع عنهم وتقديم الخدمات لهم، إلا أنه حتى هذا الدور قد توارى بسبب التداخل بين السياسي والمدني ودرجة التسييس العالية في النقابات خاصة بعد الانقلاب، وهو ما أدى لسلوك مجالس إدارات تلك النقابات سلوكا شديد الطائفية. فبعد الانقلاب العسكري، قتل العشرات من أعضاء النقابات المهنية، واعتقل المئات وفصلوا من وظائفهم، وتعرضوا لأنواع مختلفة من التنكيل، ورغم ذلك لم تتحرك أي نقابة للدفاع عن هؤلاء بحجة أنهم ينتمون للإخوان، ولم يدع مجلس نقابة الأطباء إلى جمعية عمومية إلا بعد الاعتداء على طبيبين "عاديين" رغم وجود مئات الأطباء رهن الاعتقال، بعضهم أعضاء منتخبين بمجالس نقابة الأطباء في المحافظات(هديب، هاني، 2016) بالإضافة إلى عمداء لكليات وأساتذة في كليات الطب، وبعضهم مات بالفعل داخل السجن بسبب الإهمال الطبي، ومنهم من قتل أمام عيادته، مثل الدكتور "محمد محمود عوض"، في الوقت الذي نعت فيه النقابة الطبيبة "نيفين عادل" التي قتلت في حادث انفجار الكنيسة البطرسية في القاهرة في ديسمبر 2016. كما لم يتحرك مجلس نقابة الصحفيين إلا بعد القبض على صحفيين لا ينتميان إلى التيار الإسلامي، رغم أن القبض عليهما تم لسبب سياسي هو الآخر لا علاقة له بكونهما صحفيين.

3.الطائفية الحقوقية

اتسعت ظاهرة الطائفية المدنية في ميدان الدفاع عن حقوق الإنسان في مصر بعد فض اعتصامات معارضي الانقلاب في ميداني رابعة والنهضة، وتجلى في استمرار تجاهل المنظمات الحقوقية للانتهاكات الواسعة ضد الإسلاميين، مقابل تركيزهم على انتهاكات أخرى لا تقارن بما يتعرض له الإسلاميون تعرضت لها شخصيات تنتمي إلى تيارات أخرى. وفي بعض الأحيان كانت تتزامن الانتهاكات ضد الإسلاميين والعلمانيين (أو التيارات المدنية كما تطلق على نفسها) لتكشف عن الظاهرة بوضوح. فقبل الذكرى الرابعة لثورة يناير بأيام، قتلت الطالبة "سندس رضا" أثناء إحدى المظاهرات المعارضة للانقلاب، وبعد الحادث بساعات، قتلت الناشطة السياسية "شيماء الصباغ" عضو حزب التحالف الشعبي الاشتراكي، ورغم ذلك انتفضت المنظمات الحقوقية لمقتل الأخيرة دون أي اهتمام بما حدث للأولى، وأدى هذا الضغط الحقوقي إلى أن يستجيب السيسي بنفسه لتلك الضغوط ويصرح بأن شيماء "مثل ابنته" وهو ما كان بمثابة ضوء أخضر للنيابة العامة للتحرك والتحقيق في الحادث وتحديد الضابط المتهم بقتل شيماء وإحالته للمحاكمة، بينما لم يكن هناك ضغط مماثل في قضية سندس لتتوارى مثل غيرها من الانتهاكات وحوادث القتل خارج إطار القانون بعد الانقلاب.

مثلت حالة شيماء الصباغ نموذجا فيما يتعلق بطائفية باقي مكونات المجتمع المدني المصري – أو ما تبقى منه- فقد طالبت نقابة المحامين بسرعة التحقيق في مقتل شيماء، وأعلنت أنها تتابع التحقيقات في القضية، كما كلفت بعض المحامين لمباشرة التحقيقات في القضية نيابة عن أسرتها (الدستور، 2015) وأصدرت 58 مؤسسة حقوقية وعشرات الشخصيات بيانا أدانوا فيه تحويل

الشهود في قضية مقتل شيماء إلى متهمين، معتبرين أن ذلك "استمرار للحملات ضد المدافعين والمدافعات عن حقوق الإنسان"(حجازي، محمود، 2015).

وأصدر الحزب المصري الديمقراطي بيانا نعى فيه مقتل شيماء، مطالبا بمحاسبة المسؤولين عن تلك "الجريمة" وبإلغاء قانون التظاهر (عبد الرحمن، محمد، 2015) المفارقة أن الحزب الذي أصدر هذا البيان كان شريكا في حكم البلاد بعد الانقلاب، إذ كان حازم الببلاوي، أحد الأعضاء المؤسسين للحزب، هو رئيس الوزراء بعد الانقلاب لعدة أشهر، وهي التي أعطت الضوء الأخضر لفض رابعة، وكذلك هي التي أصدرت قانون التظاهر الذي طالب الحزب بإلغائه في بيان إدانة مقتل شيماء.

4.طائفية الحركة النسوية

إذا كانت منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان قد تعرضت مثل غيرها إلى التسييس والطائفية، فإن حركات أخرى مثل الحركات المتخصصة في الدفاع عن قضايا النساء، مثل الحركة النسوية، قد قررت هي الأخرى تجاهل مئات الانتهاكات ضد السيدات منذ الانقلاب، والتي شملت القتل والاعتقال والتعذيب والانتهاكات الجنسية والجسدية. ولم تتحرك إلا تجاه قضايا هامشية مثل "الختان" أو قضايا عامة مثل "تمكين المرأة" كما تبنى ما يسمى "الاتحاد العام لنساء مصر" الدعوة التي أطلقها الكاتب الصحفي شريف الشوباشي، للفتيات بخلع الحجاب في ميدان التحرير، ووجدنا خطابات شخصيات نسوية تحتفي بتعيين بعض السيدات عضوات في البرلمان أو وزيرات في الحكومات المتعاقبة، وركزت بعضهن على كونهن غير محجبات ويرتدين ملابس قصيرة، وهو ما اعتبرنه خطوة جيدة على طريق التنوير والحداثة! وهو نفس ما كان موجودا في عهد مبارك، من الاحتفاء مثلا بتحديد "كوتة" للمرأة في البرلمان، وتعيين سيدات في مناصب قيادية، باعتبار ذلك تمكينا للمرأة، رغم أن مشاكل المرأة المصرية أعمق وأكثر فداحة بكثير من هذه الشكليات.

وقد ظهرت هذه الطائفية بوضوح في البيان الذي أصدره ما يسمى "تحالف المنظمات النسوية المصرية" في 16 يوليو/ تموز 2013، بعد وقوع مذبحة الحرس الجمهوري التي قتل فيها العشرات من أنصار مرسي، ومنهم العديد من السيدات، إذ لم يتحدث البيان قط عن أي ضحايا، مكتفيا بالحديث عما حدث في 30 يونيو باعتباره "موجة شعبية من موجات الثورة" وتجاهل أي دور للجيش في عزل مرسي، بل اتهم البيان الإخوان بأنهم هم من انقلبوا على الديمقراطية، واقتصرت مطالب البيان التي تم توجيهها إلى رئيس الجمهورية المؤقت –الذي عينه الجيش- على المطالبة ب"نسبة عادلة من التمثيل النسائي" في لجنة الدستور، و"الاستفادة من خبرات وكفاءات النساء المصريات في مختلف المجالات دون أي تهميش أو تمييز" ومطالب أخرى هامشية تتعلق بالنساء (المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، 2013، ص2).

حتى السيدات المستقلات اللاتي قررن التحرك تجاه قضايا حقوقية، فقد تحركن بنفس المزاج الطائفي، فقامت بعض السيدات "المستقلات عن أي حركات أو أحزاب" حسب وصفهن، بتنظيم وقفة احتجاجية للتنديد بمقتل شيماء الصباغ فقط (المصري اليوم، 2015) رغم أن الطالبة سندس من المفترض أن تكون محلا لاهتمام هؤلاء السيدات أيضا باعتبارها فتاة تعرضت لسلب حياتها من الدولة بسبب محاولتها التعبير عن رأيها السياسي. فقد أصبحت "المرأة عدوة للمرأة المختلفة معها سياسيا" وليس لديها مانع من استبعادها والتنكيل بها وتهميشها (نون بوست، 2016) حتى إن الأمر تطور لدى بعض الحركات النسائية إلى تنظيم وقفة احتجاجا على تداول مقطع فيديو لذبح أحد الكلاب (الحديدي، شيماء، 2016) وعندما اقتحمت سيدة بسيطة الوقفة لتطالب بعلاج نجلها، تشاجرت معها السيدات اللاتي نظمن الوقفة وقمن بطردها، معتبرين أنها ستتسبب في "تخريب الوقفة" وقد بدا جليا أن السبب الرئيسي لما حدث هو أن السيدة التي تطالب بعلاج ابنها

تختلف من حيث الطبقة الاجتماعية، كما أنها تطلب شيئا حقيقيا وتتحدث عن قضية ملموسة يشعر بها ملايين المصريين، وهو غياب التأمين الصحي لهم، لكن طائفية سيدات الوقفة منعتهن من استيعاب ذلك المطلب.

ثانيا: التحول إلى "مجتمع الوحوش الضارية"

للمفكر الإيطالي "أنطونيو غرامشي" جملة تقول "القديم ينهار والجديد لم يولد بعد، وفي هذه الأثناء تكثر الوحوش الضارية" (Gramsci Antonio, 1971, 506) ويمكن القول إن الثورات هي أبرز الأحداث التي تنطبق عليها هذه العبارة. فالثورة تفكك النظام والمجتمع القديم، وعندما ينهار "القديم" ويكون "الجديد" لم يولد بعد، فنحن نتحدث بالتأكيد عن الفترات الانتقالية ما بين اندلاع الثورة وإنشاء النظام الجديد –في حالة نجاح الثورة- أو الفترة الانتقالية التي تتمكن خلالها قوى النظام القديم من إعادة تنظيم نفسها والعودة مرة أخرى إلى قيادة الدولة والمجتمع.

أيضا فإن هذه المرحلة –مرحلة الوحوش الضارية- تحدث حين "يقرر أحد أطراف المجتمع المدني (...) أن يزيح أحد أطرافه الأكثر أصالة فيه، وبالتالي، وفي هذه اللحظة، لا يكون هناك مجتمع مدني على هامشه تكون ممارسة العنف الخالص على من هم خارجه، بل يكون العنف الخالص نفسه موجودا داخل صلب المجتمع المدني لإزاحة هذا الطرف الذي قرر طرف ما أو تحالف عدة أطراف على إزاحته" (علاء، بلال ومصطفى، محمد، 2016، ص34-35) وهي المرحلة التي قرر فيها الجيش المصري بالتعاون مع القوى الليبرالية واليسارية والناصرية إزاحة الإخوان عن السلطة وحصارهم اجتماعيا واقتصاديا بالقوة والعنف، وهي مرحلة مستمرة حتى الآن.

وإذا كان المجتمع المدني يحمل في أحد معانيه قيم "التمدن" و"التحضر" فيمكن القول إن أبرز تلك القيم تتمثل في قيم التسامح والحوار والنقاش الهادئ الموضوعي، وإعلاء سيادة القانون والدعوة إلى حل المشكلات بالتفاهم، وغيرها من القيم التي تساعد مكونات المجتمع على التعايش فيما بينها، وهو ما افتقده المجتمع المدني المصري خلال الخمس سنوات الأخيرة، مقابل انتشار قيم أخرى تنتمي لعالم البداوة، او لحالة الطبيعة بتعبير توماس هوبز، وهو ما سنستعرضه خلال الفقرات التالية.

1.الفضاء السياسي

في التاسع والعشرين من يونيو 2015، اغتيل النائب العام المصري، المستشار هشام بركات، عن طريق تفجير موكبه بحي مصر الجديدة بالعاصمة القاهرة. وفي اليوم التالي تحدث الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي أثناء تشييع جنازة النائب العام، قائلا للقضاة أمام كاميرات التلفزيون، إن دم النائب العام في "رقبتهم" وإن "ثأره" لديهم، ليس فقط في حالة النائب العام، وإنما في حالات أخرى سابقة دمها في رقاب هؤلاء القضاة لأن "يد العدالة مغلولة بالقوانين" وأن هناك ضرورة لوجود قانون يواجه الإرهاب، وأنه لن ينتظر لسنوات من أجل محاكمة "الإرهابيين" حتى يتم تنفيذ أحكام الإعدام فيهم. متحدثا عما سماها "العدالة الناجزة" وتوعد السيسي القضاة في حديثه بأنه لن يأتي لتقديم العزاء لهم في هذا الموقف، بل سيأتي لتعزيتهم بعد الانتهاء من الإجراءات "السليمة".

يتطابق حديث السيسي في هذا الموقف تماما مع مفهوم "القصاص" في حالة شريعة الغابة، ليعود بالمفهوم إلى الحالة الطبيعية، حيث الإنسان يقتص ممن يرى أنه عدوه بيديه وبواسطة العنف الخالص. أما حديثه عن دم النائب العام الذي في رقبة القضاة، فيمثل عودة لمفهوم القبيلة أو الطائفة أو العائلات في صعيد مصر، التي تكون مسؤولة عن الانتقام ممن قتل أحد أفرادها، لمجرد أن الضحية ينتمي إليهم. ويأتي حديث السيسي عن عدم تقديمه العزاء للقضاة إلا بعد الانتهاء من "الإجراءات" فتشير إلى ثقافة منتشرة في مناطق كثيرة في مصر، خاصة في الصعيد

والقبائل البدوية، ومفادها أن أهل القتيل لا يقيمون عزاء لقتيلهم ولا يتلقون العزاء فيه إلا بعد "القصاص" وهو في هذه الحالة الانتقام ممن قتله، أو قتل أحد أفراد عائلة القاتل، حتى لو لم تكن له أي علاقة بحادث مقتل الضحية الأولى (فودة، يسري، 2016) أما القضاة أنفسهم فقد تقبلوا هذا الكلام صامتين ولم يعترض أحدهم، بل صدر بعدها بأقل من شهرين "قانون الإرهاب" الذي هو ترجمة لحديث السيسي عن "الانتهاء من الإجراءات" وهو قانون يختصر مدة التقاضي وينص على الفصل في القضايا "على وجه السرعة" كما أعطى حصانة لضباط الشرطة في قتل أي شخص يشتبهون به وإعفاءهم من أي ملاحقة قانونية، وهو ما أدى إلى انتشار واسع لحالات "التصفية" التي تقوم بها قوات الأمن تجاه المعارضين بدعوى تورطهم في أعمال إرهابية.

التحريض على العودة لقيم البداوة وما قبل الحداثة والدولة القومية امتد إلى جانب كبير من تصريحات وأقوال شخصيات أخرى تنتمي إلى خلفيات متنوعة. بعض هؤلاء الشخصيات تنتمي إلى المنظومة القضائية المفترض بها تحقيق "العدالة" في المجتمع. وأبرزهم أحمد الزند وزير العدل السابق، الذي طالب أثناء توليه منصبه بقتل 400 ألف من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين ومن يحبهم ويعاونهم" لـ"الثأر" لقتلى الجيش والشرطة. مضيفا أن ذلك "سيشفي غليله" (الجزيرة نت، 2016) وأقسم الزند على أن مرسي سيتم إعدامه، رغم أن الأخير مازال يحاكم أمام القضاء ولم يصدر حكم نهائي بإعدامه حتى الآن، وتعهد بترك منصبه إذا لم تنفذ أحكام الإعدام في قيادات الإخوان، لكنه أقيل بعد ذلك على خلفية تصريحات له اعتبرت مسيئة للنبي محمد. وكتب قاض آخر مبديا فرحته وشماتته بعد إعدام أحد المتهمين بقتل جنود من الجيش، واصفا إياه بأنه "كلب وراح" (فيسبوك، 2016) وبعد مقتل 3 قضاة على يد أحد التنظيمات المسلحة في سيناء، نشر أحد القضاة صورته على صفحته بموقع فيسبوك وهو يحمل مسدسا، وكتب قائلا إنه مستعد لتأمين نفسه، متوعدا بقتل من يقترب منه ليغدر به ولو على سبيل المزاح، واصفا نفسه بأنه "صعيدي" (غنيم، أحمد، 2016) بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى في الوعي الجمعي المصري من تغليب السلاح على الحوار والتفاهم.

انتقلت الظاهرة أيضا إلى جانب آخر من جوانب السلطة، وهي السلطة التشريعية، المفترض بها مراقبة السلطة التنفيذية ومحاسبتها، وسن "القوانين" التي تعتبر إحدى أعلى مراحل التمدن، فقد أعلن وكيل مجلس النواب، عن تقديمه اقتراح لتغيير بعض بنود قانون الإجراءات الجنائية بحيث يتم تحويل كافة قضايا الإرهاب إلى القضاء العسكري، مؤكدا أنه لا يجب الاعتداد بأي شيء سوى "الدم" وأن حقوق الإنسان يجب أن تذهب "في داهية" (الشروق، 2016).

الطرق التي سيتم بها "القصاص" و"الثأر" لقتلى الجيش والشرطة وجدت طريقها هي الأخرى إلى قيم البداوة والعنف الخالص، فإن لم يتم قتل المعارضين في الشوارع أو تصفيتهم داخل بيوتهم، عندها تأتي طرق الإعدام التي اقترحها إعلاميون وسياسيون، والتي تنوعت ما بين "الإعدام في ميدان عام" (صوت المسيحي الحر، 2015) و"الإعدام على الخازوق" (التحرير، 2016) و"الرمي بالرصاص" و"الحرق بعد الإعدام" (AlAssema Tv، 2015، 1 يونيو). و"القتل في أفران الغاز" (فيتو، 2013) والدعوة لمذبحة مثل مذبحة "المماليك" (رأي اليوم، 2015) وغيرها من طرق الإعدام التي تستمر بعض الشخصيات السياسية والإعلامية باقتراحها بصورة دورية. في حين اكتفى أحد المثقفين بالمطالبة بـ"نفي" الإخوان خارج مصر (البوابة نيوز، 2015).

2.الفضاء الإعلامي

لعب الإعلام المصري واحدا من أسوأ الأدوار في تغذية الصراعات داخل المجتمع المدني في مصر منذ ثورة يناير وحتى الآن، وقد اعتمد الإعلام خطابا تحريضيا ضد ثورة يناير وضد كل من يمثلها، وتركز هذا التحريض على جماعة الإخوان المسلمين وأنصارها والتيارات الإسلامية

بشكل عام بعد تولي مرسي منصب رئيس الجمهورية، واتخذ التحريض أشكالا متنوعة، ما بين نزع صفة الآدمية عن الإخوان –عبر وصفهم بأنهم خرفان- ونزع الوطنية عنهم، عبر الادعاء أنهم متخابرون مع جهات أجنبية وأنهم عملاء للولايات المتحدة وإسرائيل، ونشرت وسائل الإعلام العديد من الشائعات التي وجدت طريقها للتصديق في عقول المصريين، مثل تقليل سن الزواج أو فرض الحجاب أو بيع أجزاء من مصر إلى قطر وإسرائيل.

تطور هذا الخطاب بعد الانقلاب إلى الدعوة المباشرة إلى قتل كافة المعارضين، بل والاحتفاء بذلك على شاشات التلفزيون، وقد دعا أحد المذيعين بالفعل إلى الاحتفال بذكرى فض اعتصام رابعة، كذلك الاحتفاء بعشرات القتلى الذين قتلوا نتيجة تصفيتهم على يد قوات الأمن وهم داخل مسكنهم دون أن يبدوا أي مقاومة، وقد وصف أحد المذيعين أحد من تمت تصفيتهم بأنه "كلب وراح" كما تستخدم باقي وسائل الإعلام نفس مصطلحات أجهزة الأمن في الحديث عن "تصفية إرهابيين" وأنهم يستحقون الموت جزاء لما قاموا به، رغم أنهم متهمون ولم يثبت ضدهم أي شيء. وعندما تنتشر دعوات للتظاهر ضد النظام، يخرج المذيعون الموالون للنظام للدعوة إلى –ليس فقط القبض على المعارضين- بل إلى قتلهم دون محاكمة، وقال أحد المذيعين إن قوات الأمن يجب أن تضرب المتظاهرين "في سويداء القلب" لتضمن أنهم قد فارقوا الحياة.

التحريض الإعلامي لم يقتصر على المعارضين في مجال السياسة، بل امتد إلى كل القوى الاجتماعية في مصر، وحتى الشعب نفسه. ففي بداية الانقلاب، توجهت قوات من الجيش والشرطة إلى مدينة الإنتاج الإعلامي لإغلاق القنوات الفضائية المؤيدة لمرسي، وقامت بالقبض على العاملين في تلك القنوات، وعلى الرغم من وجود قنوات فضائية أخرى في نفس المكان لكنها معارضة لمرسي ومؤيدة لعزله، فإن أحدا من العاملين في تلك القنوات الأخرى لم يبد أي تضامن مع زملائهم المقبوض عليهم، بل وقف عدد من الصحفيين والإعلاميين المنتمين إلى القنوات التي لم تغلق ليحتفلوا بمشهد قوات الأمن وهي تلقي القبض على زملائهم الذين يعملون في تلك القنوات، والذين تقع مقرات قنواتهم على بعد خطوات منهم.

وحتى عندما حدث خلاف بين ضباط الشرطة وأمناء الشرطة، وقرر الأمناء التظاهر للمطالبة بحقوق لهم، بدأ التحريض الإعلامي ضدهم واتهامهم بأنهم "إخوان" رغم عدم منطقية ذلك الاتهام.

2.الهجوم على قيم التمدن

دائما ما تلجأ الأنظمة والكيانات وحتى الأشخاص إلى تجميل أفعالهم وأقوالهم وتغليفها بشعارات براقة لتبريرها أمام أنفسهم أو أمام مؤيديهم وجماهيرهم، وعلى مدار التاريخ ارتبطت أبشع الأفعال والإجراءات بأنبل الأقوال والشعارات التي تحاول تبريرها، لكن في مصر بعد الانقلاب أفلت الأمر من "وحش السلطة" الذي يحكم البلاد، وأصبحت ممارسات النظام تتم بدون أي حاجة إلى تبريرها بأي مسوغات، بل شنت حملة كاسحة على العديد من قيم التمدن والتحضر. وكانت "حقوق الإنسان" هي أبرز تلك القيم التي اكتسبت طابعا سلبيا في الخطاب الإعلامي والسياسي المؤيد للنظام، وشهد الفضاء السياسي والإعلامي مئات التصريحات التي تهاجم حقوق الإنسان ليس لأنها تستخدم بطريقة سيئة مثلا، بل كقيمة مجردة في حد ذاتها (منتصر، صلاح، 2015) مع الاستشهاد المستمر بدول غربية والزعم بأنها لا تلتزم بحقوق الإنسان، وهي تصريحات امتدت إلى شخصيات من المفترض أنها تعمل في نفس المجال، مثل "صلاح سلام" أحد أعضاء المجلس القومي لحقوق الإنسان المعين من قبل السلطة، والذي قال في تصريحات صحفية إنه لن يكون سعيدا بحقوق الإنسان وبلده تنهار، وأنه لو أجري استفتاء حول الأمن أم حقوق الإنسان فإن الناس ستختار الأمن. وعندما سئل عن رأيه في قانون "الإرهاب" أجاب بأنه لم يقرأه لكنه يؤيد أي قانون لمكافحة الإرهاب وأي إجراءات للحفاظ على "أمن مصر" لأن "أمن

مصر" فوق كل الحقوق، وأن "الظروف الاستثنائية" التي تعيشها مصر تجعله لا يطالب بأي حق من حقوق الإنسان. واللافت أن "سلام" اعتبر أن المجلس الذي هو أحد أعضاء مجرد "لسان" لا أكثر ولا أقل وليس لديه إمكانيات، وأن المجلس تراجع دوره "بسبب تصريحات بعض الأعضاء، مما جعل الناس تكره الحديث عن حقوق الإنسان" وليس بسبب انتهاكات السلطات لحقوق الإنسان والتي جعلت دور المجلس هامشيا (الشروق، 2015).

مقابل الهجوم على قيم التمدن نجد على الجانب الآخر دفاعا ودعوات لقيم أخرى، مثل الدعوة التي وجهها أحد المذيعين إلى صياغة قوانين "استبدادية" (Joe Tube جو تيوب، 2016، 14 أكتوبر) وكذلك دعوة أحد الصحفيين السيسي إلى أن يكون "فاشيا" (الكردوسي، محمود، 2013) وقد امتد الأمر وتطور إلى أن أصبح نكتة يتندر بها المصريون، فعندما دعا الشيخ محمد جبريل، على من سماهم "الظالمين" خلال ليلة السابع والعشرين من رمضان الموافق لعام 2015، خرجت وسائل الإعلام الموالية للنظام لتهاجم الشيخ، رغم أنه لم يذكر النظام صراحة على الإطلاق، وخرجت تغطيات الصحف لتصف ما فعله الشيخ بأنه "دعاء على الدولة" (صدى البلد، 2015) أي أنه اعتراف بطريقة مباشرة بأنهم هم المعنيون بالدعاء، وأنهم "الظالمون"، وكأنهم يقولون "نعم نحن ظالمون ونغضب ممن يدعو على الظالمين".

وأخيرا وصلت تلك المرحلة إلى الهجوم على الشعب نفسه، فقد بدأ وزير الثقافة السابق ذلك بوصفه المصريين الذين انتخبوا مرسي رئيسا للجمهورية –وهم يزيدون عن 13 مليون مصري- بأنهم "سفلة وأوغاد" (الوطن، 2014) لكن حاليا أصبح الهجوم على الشعب المصري بالكامل، لأنهم لم يتحملوا مع السيسي الظروف الاقتصادية الصعبة ويطالبون بحقوقهم، وأصبحت النغمة السائدة في وسائل الإعلام المصرية أن من لا تعجبه ظروف البلاد فإن عليه أن يرحل منها، وأن على الشعب أن يكتفي بأساسيات الحياة حتى لو اضطر إلى الجوع. وهي رسائل قالها السيسي صراحة عندما تحدث عن "التعليم" الذي لن يؤدي إلى شيء في "وطن ضائع" وتنتشر إعلانات على الطرق السريعة في مصر تطالب المصريين بالاختيار بين التعليم أو الطعام، ثم رسائل أخرى تتحدث عن ضرورة التخلي عن الطعام من أجل "الكرامة".

3. وحش الدولة "المجنون"

يمكن القول إن النظام المصري الحالي هو "الوحش الأكبر" بلا جدال، وهو الذي يرعى "الوحوش الصغيرة" التي تتجول في الفضاءات السياسية والإعلامية والاجتماعية، وهو من ناحيته لا يدخر جهدا في توصيل ذلك المعنى إلى الجميع، أنه وحش كاسر يمكن أن يطيح بأي شخص أو كيان لا يبدي الولاء الكامل أو يتهاون في وحشيته التي تخدم الوحش الأكبر، وأنه يمكن أن يقوم بأي فعل مهما بدا مستنكرا وغير معقول.

تظهر تلك الرسائل بوضوح في قيام النظام بالتنكيل بشخصيات وكيانات كانت من أشد مؤيديه ومناصريه، لكنها ولأسباب مختلفة لم تنج من مصير من سبقوهم من المعارضين، وشملت قائمة هؤلاء العشرات من الأحزاب ومن السياسيين والإعلاميين والمثقفين والشخصيات العامة من كافة الاتجاهات. وفي كل مرة يقوم النظام بمثل هذا النوع من التنكيل، تنطلق التساؤلات والتحليلات لمحاولة الإجابة على سؤال: لماذا يفعل النظام ذلك؟ ولماذا يخسر مناصريه ومؤيديه؟ ولماذا هو بهذا الغباء؟ والحقيقة أن النظام ليس غبيا، بل هو يقصد القيام بذلك ويفعل ذلك بوعي تام. ويمكن تفسير سلوك النظام بفرضية، هي "نظرية المجنون" التي برزت في الأساس في الولايات المتحدة، للتعامل مع من يتحدونها في أي منطقة من العالم، وتفيد النظرية بأنه "ينبغي لأعداء الولايات المتحدة أن يفهموا أنهم يواجهون مختلين لا يمكن التكهن بتصرفاتهم". (تشومسكي، نعوم، 2002، ص248) وقد حاول الرئيس الأميركي الأسبق ريتشارد نيكسون تطبيق هذه النظرية بالتعاون مع مستشاره للأمن القومي ووزير الخارجية فيما بعد هنري كيسنجر، أثناء

المفاوضات مع الجانب الفيتنامي خلال الحرب في فيتنام، فقد أخبر نيسكون رئيس فريق العاملين بالبيت الأبيض، بوب هالدمان، في عام 1969 "أسمى هذا الأمر نظرية الرجل المجنون وأريد من الفيتناميين الشماليين أن يعتقدوا بأني وصلت لمرحلة قد أفعل عندها أي شيء لوقف حرب فيتنام" (BRAW, ELISABETH, 2015) وعندما كانت تصل المفاوضات إلى طريق مسدود، كان كيسنجر يحاول الإيحاء لرئيس الوفد الفيتنامي أن نيكسون ما هو إلا "رجل مجنون" وإنه إذا علم أن المفاوضات لا تسير على ما يرام، فإنه سوف يأمر بالهجوم على المدن الفيتنامية مرة أخرى، وينصحهم بضرورة تقديم التنازلات كي يتمكن من السيطرة على "المجنون الجالس في البيت الأبيض". بالطبع لم يتمكن الأميركيون من استخدام هذه النظرية بما يخدم مصالحهم، وكان يسهل استنتاج أن ما يقوم به كيسنجر إنما هو بالاتفاق مع نيكسون.

رغم ذلك عادت النظرية إلى الوجود مرة أخرى في عام 1995 حين أوصت القيادة الاستراتيجية للجيش الأمريكي أنه "من المضر لنا تصدير العقل والبرود بصورة كاملة، بمعنى أن نصور تحول الولايات المتحدة إلى دولة غير عاقلة وشريرة في حالة مهاجمة المصالح الحيوية لها كجزء من الشخصية الوطنية التي ننقلها إلى جميع الأعداء (...) من الضار أن نقدم أنفسنا كأناس منطقيين عقلانيين يتمتعون بالكثير من برودة الأعصاب، ويجب إظهار بعض العناصر في الحكومة الفيدرالية مجنونة بالقوة ويستحيل السيطرة عليها، وأن ذلك قد يساعد في إيجاد أو تقوية المخاوف والخشية في أذهان أعدائنا" (التامر، عبادة، 2015، ص58).

وقد اتبع عدة زعماء سابقين وحاليين منهج "الرجل المجنون" مثل معمر القذافي وعائلة "كيم" الحاكمة في كوريا الشمالية، فالقذافي نشر هذه الاستراتيجية الذكية للتأكد من أن صورته في عقول الزعماء والمواطنين العاديين حول العالم دائما ما تصور أنه معتوه لإرباك وإخافة أعداءه. ويمكننا أن نرى في تلك النظرية تشابها واضحا مع سلوك النظام المصري منذ ما بعد الانقلاب وحتى اليوم. إذ لم يترك أي فرصة كي يؤكد أنه "مجنون" في تصرفاته ولا يمكن توقع أفعاله بأي حال، نظام هيستيري يتحرك بدافع الانتقام ويؤمن تمام الإيمان أنه في معركة صفرية لا يجب فيها التنازل فيها أبدا، وهو ما ترجمه في ارتكابه انتهاكات غير مسبوقة صارت معروفة للجميع، فقد تخلى النظام بسهولة منذ البداية عن الجهات التي تحالف معها لإضفاء الطابع الشعبي على الانقلاب، أي القوى التي يمكن أن نسميها "المدنية"، وانطلق في إجراءات وحشية طالت جميع التيارات السياسية، حتى تلك التي أيدت الانقلاب في البداية، وحتى الشخصيات المستقلة المحايدة التي لم تبد أي انحيازات واضحة لأي من أطراف الصراع.

من ناحية أخرى، ارتكب النظام انتهاكات غير مسبوقة في تاريخ أنظمة الحكم في مصر، مثل اعتقال السيدات والفتيات والتنكيل بهن (وهو الأمر الذي لم يحدث في عهد مبارك أو عبد الناصر إلا في أضيق الحدود وفي حالات تعد على أصابع اليد الواحدة) مرورا بسياسة التصفية الجسدية المباشرة لمعارضي الانقلاب (وهي سياسة كانت مقتصرة في عهد مبارك على أعضاء الجماعات الإسلامية لكنها امتدت في عهد السيسي إلى الطلاب والسياسيين والصحفيين والأطباء والمهندسين)، بالإضافة إلى انتشار التعذيب والقتل البطيء داخل السجون بسبب الإهمال الطبي ومنع الطعام والأغطية والملابس الشتوية، وأحكام الإعدام التي وصلت إلى الآلاف، وأخيرا "الاختفاء القسري" الذي أعاد إلى الأذهان ما كانت تقوم به الديكتاتوريات في أميركا اللاتينية في القرن العشرين. هذه العناوين الرئيسية من الانتهاكات تحتوي داخلها على آلاف التفاصيل الجزئية غير العقلانية، من قبيل اعتقال شخص لحيازته "مسطرة" عليها علامة رابعة، والقبض على فتيات لحيازتهن "بالونات" عليها نفس الشعار، وضبط شخص بزعم تلويحه بالعلامة لطائرة حربية، ورابع بسبب ارتدائه "تي شيرت" مكتوبا عليه "لا للتعذيب" وغيرها من الحالات التي

جعلت فقرة الأخبار العبثية ركنا يوميا ثابتا من مواقع التواصل الاجتماعي، حتى إن برامج على موقع "يوتيوب" لا تفعل شيئا سوى تغطية تلك الأخبار فقط، وتجد مادة هائلة لبرامجها كل يوم.

بطريقة ما وصل هذا الشعور إلى أفراد الهيئات المكلفة بحماية النظام (الجيش- الشرطة- القضاء) ووجدنا سلوكيات الأفراد المنتمين إلى هذه الجهات تنم عن إدراك واضح بأن هذه المعركة صفرية وأن أي تنازل عن أي مكتسبات سيؤدي في النهاية إلى عودة شبح يناير من جديد، وبالتالي يحرصون على إظهار "جنونهم" في كل مناسبة، ولذلك انتشرت حالات قيام ضباط من الجيش والشرطة بإطلاق النار على مواطنين في الشارع، وقتل العشرات من المواطنين جراء تلك الحوادث.

يندهش البعض من هذه الإجراءات التي تجلب السخط على النظام أكثر فأكثر، خاصة من فئات الشباب، لكن يمكن القول إن النظام يريد عن طريق هذه الممارسات التأكيد على أنه لا توجد لديه أي خطوط حمراء، وأنه ليس لديه أي منطق، ليدفع معارضيه إلى الخوف والاستسلام. كما أن ذلك التهديد بالتهور يعطي صورة عن النظام أنه قوي ومسيطر ولا يأبه لأي قوى أخرى معارضة لأنه يراها أقل كثيرا منه ولا تؤثر عليه بأي شكل. وقد تمثل نجاح النظام في توصيل تلك الصورة عن نفسه عندما قالت والدة الطالب الإيطالي جوليو ريجيني الذي قتل في مصر إن ابنها "قتلوه كما لو كان مصريا" فهنا اتضح أن العالم يرى المصريين عرضة في أي وقت للقتل دون أن يشكل ذلك حادثا يلفت الانتباه.

ثالثا: دولة الثقب الأسود

ظهر مصطلح "دولة الثقب الأسود" في تقرير التنمية الإنسانية عام 2004، ويشير إلى تحول الدول العربية إلى ما يشبه ظاهرة الثقب الأسود، في كونها "تحول المجال الاجتماعي المحيط به إلى ساحة لا يتحرك فيها شيء ولا يفلت من إسارها شيء" (صياغ، فايز، 2005، ص15) أي أنها تبتلع أي نشاط خارجها، وتتعامل مع أي حراك خارجها باعتباره تهديدا لها، وتختصر كل السلطات في يدها. ومثلما يحدث في ظاهرة الثقب الأسود الفلكية، فإن جهاز الدولة في هذه الحالة "يتكور على نفسه ويضيق حتى يصبح في حجم رأس الإبرة، ويتداعى بالتالي الفضاء المحدود المتاح للحركة حوله حتى يتلاشى تماماً" (الأفندي، عبد الوهاب، 2011) ويمكن القول إن هذه الدولة قد أعيد تشكيلها مرة أخرى بعد الانقلاب العسكري بصورة أكثر شراسة بعشرات المرات عن التي كانت متواجدة في عصر مبارك، بل لن نبالغ بالقول إنها الصورة الأشرس على الإطلاق في تاريخ مصر المعاصر.

لذلك لا يمكن الحديث عن حالة الصراع في المجتمع المدني المصري بعد الانقلاب دون النظر إلى دور الدولة أو النظام السياسي الحاكم منذ ما بعد الانقلاب وحتى الآن، فقد لعب الجيش ومؤسسات الدولة القديمة دورا أساسيا في تغذية الصراعات داخل قوى المجتمع المدني قبل الانقلاب للاستفادة منها إلى أقصى حد، وتحالفت السلطة بشكل مؤقت مع القوى المدنية لسحق الإسلاميين، ثم عندما انتهى "الخطر" الذي يمثله الإسلاميون، التفتت السلطة إلى القوى المدنية ونفضت تحالفها معها وقامت بحصارها بعد أن طردت كل ممثليهم من السلطة التي كانوا متواجدين فيها بشكل شكلي، وهو نفس ما فعله نظام مبارك عندما تحالف في البداية مع تيارات ليبرالية وعلمانية ضد الإسلاميين، ثم انقلب عليهم بعد ذلك (الأفندي، عبد الوهاب، 2016) إذ نجد السلطة بعد الانقلاب قد بدأت بالإسلاميين، ثم اتجهت إلى تصفية رأسمالهم الاجتماعي المتمثل في مئات المؤسسات والمنظمات الأهلية والخيرية والاجتماعية، إما بالحل أو بمصادرة أملاكها وتجميد أموالها وإما بالسيطرة الإدارية عليها، ثم انتقلت إلى الشباب الثوري المستقل (علاء عبد الفتاح وغيره)، ثم حركة ٦ أبريل، ثم الصحفيين والإعلاميين، ثم سجنت عدد من المثقفين من مؤيدي السيسي، وبعدها قمعت أي احتجاجات عمالية أو فئوية، ثم انتقلت إلى ملاحقة قيادات

النقابات المهنية مستقلي الرأي، ثم الحقوقيين بإلقاء القبض على بعضهم ومصادرة أموال البعض الآخر –منهم أحمد سميح الذي أغلق مركزه وصودرت أمواله وهرب إلى الخارج- وقامت بإصدار قانون جديد ل"تنظيم العمل الأهلي" يجعل عملية إنشاء منظمة مجتمع مدني مهمة في غاية الصعوبة، ويعرض العاملين في مجال الجمعيات إلى السجن في حالات كثيرة، لدرجة أن القانون يجرم القيام باستطلاعات رأي (مدى مصر، 2016) ويعرض من يقوم به إلى الحبس 5 سنوات، وغرامات مالية تصل لمليون جنيه، وقد وصفت شخصيات عامة، بعضها مؤيد للنظام، هذا القانون بأنه "قانون معد فقط من أجل غلق العمل الأهلي في مصر. ويؤصل بشكل قانون فج فرض سطوة الأجهزة الأمنية المصرية على العمل الأهلي" (إسحاق، جورج، 2016) حتى إن وزيرة التضامن الاجتماعي قد أبدت اعتراضها على القانون، لأنه يسحب الصلاحيات من وزارتها ويعطيها لأجهزة أمنية وسيادية ممثلة في جهاز جديد سيتم إنشاؤه تحت اسم "الجهاز القومي لتنظيم عمل المنظمات غير الحكومية" (العربي الجديد، 2016) كما تعد السلطات مشروع قانون آخر للنقابات اعتبر "تصفية" للحريات النقابية (رمضان، فاطمة، 2016).

كانت الدولة المصرية منذ عهد مبارك تحاول دائما صناعة مؤسسات مجتمع مدني تدين بالولاء لها وتمثل غطاء مدنيا حقوقيا لأفعالها، وكانت الحكومة المصرية تصطحب عددا من وفود تلك المنظمات إلى الخارج للدفاع عن صورة النظام ومحاولة غسل سمعته أمام المحافل الدولية، مثل مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة وأمام البرلمانات الأوروبية، وأنشأ مبارك مجلسا قوميا لحقوق الإنسان ضم شخصيات من المرضي عنهم. وهي سياسة استمرت وتوسعت بشدة عقب الانقلاب، وظهرت في حرص الدولة على وجود مراقبين "حقوقيين" لعملية فض الاعتصام كما أشرنا سابقا، ثم إصدار المجلس القومي لحقوق الإنسان تقريرا برأ فيه قوات الأمن بشكل كبير من استخدام العنف ضد معتصمي رابعة، وألقى باللائمة على المعتصمين واتهمهم بأنهم هم من بدأوا في إطلاق النار تجاه قوات الأمن. كما شهدت الساحة الحقوقية تصريحات وغرائبية من أعضاء ذلك المجلس، من قبيل تصريحات لعضو المجلس عن سيناء، قال فيها إنه يؤيد أي إجراءات تتخذها السلطات للحفاظ على "أمن مصر" حتى لو كانت على حساب حقوق الإنسان، وأنه لا يأبه كثيرا لحقوق الإنسان إذا كانت البلاد تنهار (البوابة نيوز، 2016) وبالتالي هو يدعم الدولة تحت أي ظرف، كما قال نفس العضو بعد ذلك في تصريحات أخرى إنه لا يريد الديمقراطية في مصر حتى يتعلم الشعب أولا (الجزيرة مباشر، 2016) لكن حتى هؤلاء الحقوقيين المدجنين لم يسلموا من "دولة الثقب الأسود" والتي قامت بالتضييق الشديد على أعضاء المجلس ومنعت عددا منهم من السفر بعد أن عاملتهم بصورة مهينة.

هذه الحالة من التربص والملاحقات قضت على أي محاولة لـ"التجرد المدني" فحتى المنظمات والأشخاص الذين قرروا أو حاولوا تقديم إسهام حقيقي في الدفاع عن حقوق الإنسان، تواروا بسبب الخوف وإيثارا للسلامة وتفضيلا لمصلحتهم الشخصية (الأنانية) ومن أصر منهم على المضي قدما تعرض في فترة من الفترات إلى السجن، أو أصبح صوته خافتا غير مؤثر بعد أن نزعت منه مؤسسته المدنية وصودرت أمواله أو تم تهديده صراحة. وتحولت باقي المنظمات إلى أداء أدوار روتينية، من قبيل التركيز على حقوق الطفل والبيئة وقضايا العنف الأسري، وجمع بعض البيانات عن بعض انتهاكات حقوق الإنسان الجزئية، وأهملت –أو تم إجبارها على إهمال- قضايا تطوير المجتمع ككل (الأفندي، عبد الوهاب، 2016، 2) وتحولت معظم مكونات المجتمع المدني الحالية أو ما تبقى منها إلى "شاهد زور يبرر الغياب عن ساحة المجتمع السياسي" (بشارة، عزمي، 2012، ص 32) فهي إما موالية للدولة بشكل فج، وبالتالي لا حاجة إلى القيام بفعل سياسي ضد نظام يؤيدونه، أو صامتة وغير مبالية بفعل القمع أو الخوف من تبعات

المشاركة. فالمجتمع المدني "دون سياسية وخارج ساحة المعركة من اجل الديمقراطية هو عملية إجهاض لمعاني المجتمع المدني التاريخية وطاقته النقدية" (بشارة، عزمي، 2012، ص9).

وفي سياق الحديث عن الدولة والمجتمع المدني، فإن تغول دولة الثقب الأسود قد ابتلع أي إمكانية لأي فعل من جانب جماعات الضغط التقليدية داخل المجتمع المصري، مثل طبقة النخب الرأسمالية التي ظهرت منذ عهد السادات وشكلت جانبا هاما من جوانب المشهد السياسي والمجتمعي، حتى إنها لجأت إلى أكثر أشكال الفعل بدائية وما قبل حداثية على طريقة الرعايا الذين يستندون بالسلطان، وهو "الاستغاثة" بالرئيس والنظام لإنقاذهم من مشاكلهم التي يتعرضون لها من جانب الدولة، ففي أسبوع واحد نشرت استغاثتين من هذا النوع، واحدة من إحدى الشركات المنظمة لإحدى معارض الأثاث بعد أن قررت الدولة منع إقامته دون إبداء أسباب، كما قامت 9 من جمعيات المستثمرين بنشر استغاثة أخرى في 6 صحف مصرية موجهة للرئيس تطالب بإنقاذ الشركات من الإفلاس بعد تحرير سعر صرف الجنيه ومطالبتهم بسداد التزاماتهم بالسعر الجديد للعملة. كما يلاحظ أن الرسالتين تم توجيههما إلى الرئيس بشخصه فقط، وهو ما يشير إلى أي حد بلغت دولة الثقب الأسود في مصر، وإلى أي حد يغيب التفكير في اتباع استراتيجيات أخرى مثل المقاومة أو تشكيل جماعات مصالح أو او كأحزاب سياسية أو كقوة إعلامية أو جماعات ضغط سياسية أو مجتمعية أو اقتصادية تطالب بحقوقهم، فحتى الدفاع عن المصالح كأي طبقة رأسمالية لم يعد هؤلاء قادرون عليه بعد أن بات أمرا محفوفا بالمخاطر. وقد لجأت عدد من المنظمات الأهلية لهذا الأسلوب، إذ ناشدت رئيس الجمهورية عدم التصديق على قانون تنظيم عمل الجمعيات والمؤسسات الأهلية المرفوع إليه من البرلمان.

رابعا: التيارات الإسلامية

إذا كانت التيارات العلمانية تتحمل جانبا كبيرا مما آلت إليه أوضاع المجتمع المدني في مصر، ورغم أن تلك التيارات قد مارست خطابا تحريضيا سافرا ضد التيارات الإسلامية للتخويف منهم، فإن التيارات الإسلامية تتحمل هي الأخرى جانبا من المسؤولية، ذلك أنها ملئت الفضاء السياسي والإعلامي والمجتمعي بخطاب طائفي عمق الانقسام داخل المجتمع، واشتمل في مكوناته على تهديد ووعيد شديد اللهجة ضد معارضي مرسي في العام الذي حكم فيه، وقامت بتصدير عدد من الشخصيات الصدامية والتي لها تاريخ من العنف (عاصم عبد الماجد مثالا) لإطلاق التهديدات ضد المعارضين، وانتشرت تصريحات من قبيل "اللي يرش مرسي بالمية هنرشه بالدم" وتصريحات أخرى تقول بشكل غير مباشر أنهم "أي الإسلاميون" قد ارتضوا الديمقراطية رغم أنهم لا يؤمنون بها، وأن هذا الأمر لن يستمر طويلا طالما استمرت المعارضة في إبداء معارضتها. وقبل مظاهرات الثلاثين من يونيو بأيام، دعا أحد الشيوخ أمام مرسي بأن يجعل هذا اليوم "يوم عزة للإسلام والمسلمين، وكسر لشوكة الكافرين والمنافقين" وصرحت شخصيات إسلامية بأن هذا اليوم سيشهد نهاية المعارضة، اعتمادا على ثقة مطلقة لديهم بأن الجيش لن يتدخل ضدهم، متصورين أنهم أقوياء وأنهم يستطيعون الوقوف أمام الجيش حتى لو أراد التدخل، كما أنهم لم يكتفوا بطلب تدخل الدولة ضد خصومهم عبر القضاء كما كان يحدث سابقا في عهد مبارك (الأفندي، عبد الوهاب، 2016)، بل كان بعض الإسلاميين يتصور أن الجيش سيتدخل لصالحه وليس ضده، وطلب بعضهم ذلك صراحة، وظهرت صحيفة حزب الحرية والعدالة الذي ينتمي إليه مرسي بعنوان "الجيش ينتشر لحماية الشرعية". هذا الخطاب أثار قلقا عميقا لدى أطياف من المجتمع مثل المسيحيين والأقليات ومكونات المعارضة، وعجلت من استعانتهم بالجيش واستغاثتهم به للقضاء على الإسلاميين.

نتائج وخلاصات

لم يعالج المجتمع المدني في مصر قضية الصراع بل كرسها، إذ لم تؤد مرحلة الانتقال الديمقراطي بعد ثورة يناير إلى ترسيخ الديمقراطية، بل على العكس، لم تتبن القوى السياسية مفهوما متفقا عليه للديمقراطية، واستبعدت أي إمكانية للحوار والتفاهم بين بعضها البعض، واعتبرت أن جميع أنواع الخلافات بينها هي خلافات في "الرؤى" أي جذرية ولا تحل إلا بالصدام وخوض الصراع الصفري الذي يستهدف القضاء على الأخر وإقصاؤه من المجال العام، وبالتالي لم يستطع المجتمع المدني أداء وظيفته، خاصة في ظل الأزمة السياسية والأمنية الحادة التي عاشتها البلاد عقب الانقلاب مباشرة، ونزوع الدولة إلى إغلاق المجال العام وإنهاك المجتمع وجعله أشبه بجزر منعزلة لا تستطيع الاتفاق على حد أدنى من المطالب (علاء، بلال، 2016) وهو ما أنتج مجتمعا "مفخخا" "قد يحطم نفسه إذا عمل على تغيير وضعه، لكنه يموت ببطء إذا لم يغير وضعه" (الحاج صالح، ياسين، 2016).

يفتقد المجتمع المدني المصري حاليا إلى أبسط مقومات حيويته، فلا وجود لأي قدرة على التعاون والتعامل المتمدن مع الغير عند كافة القوى، وليس هناك استعداد لأي نضال ضد قمع النظام وللدفاع عن القيم الديمقراطية (إما بدافع الخوف أو بدافع الطائفية المدنية) ولا وجود للدولة التي تريد حماية المجتمع المدني وازدهاره، إذ أنها تتعامل مع هذا المجتمع على أنه "عدو" يجب إنهاكه وهزيمته وتذويبه في الدولة التي اختصرت في النظام السياسي التسلطي الذي بدوره اختزل في شخص واحد هو الرئيس.

فبدلا من تشكيل نظام جديد بعد ثورة يناير، عاد القديم مرة أخرى بصورة أشرس وأكثر وحشية ورغبة في الانتقام، وأصبحت الدولة راعية التوحش وتقوم بعملية يمكن أن نطلق عليها "إدارة التوحش" عبر إطلاق وحوشها لنهش كل من يقف أمامها حتى لو كان من مؤيديها، وتحرص كذلك على إدامة تلك اللحظة واستمراريتها، لأنها تمتلك القوة اللازمة لها بينما يفتقدها خصومها، وبالتالي أصبحت مصر تعيش مرحلة "الوحوش الضارية".

لكن حتى بعد انقلاب الدولة على حلفائها القدامى، لم يحدث التقارب المنشود بين مكونات المجتمع المدني في مصر مثلما حدث أواخر عهد مبارك، ومازالت بقايا مكونات ذلك المجتمع تتناحر فيما بينها، ويقوم كل جانب منها بتذكير الآخر في ذكريات أحداث الثورة بموقفه المتخاذل منها، فالفريق العلماني يذكر الإسلاميين بتحالفهم مع الجيش عقب الثورة، وتخاذلهم في مناسبات ثورية، مثل أحداث محمد محمود وغيرها، بالمقابل، يقوم الإسلاميون بنفس الأمر عند حلول ذكريات مرتبطة بأحداث الانقلاب العسكري، وأهمها بالطبع فض اعتصامات رافضي الانقلاب والمجازر الأخرى التي حدثت بصمت وتواطؤ من النخبة العلمانية. وهو ما يعيق أي محاولة لكسر تسلط الدولة، لأن ذلك يتطلب جهدا كبيرا لا يستطيع المجتمع "المنهك" و"المفخخ" أن يقوم به تحت تلك الظروف. إذ لم تتنبه القوى العلمانية وهي تستعين بالجيش ضد الإسلاميين أن تبرير ما تعرض له الإسلاميون سينعكس عليهم لاحقا وعلى الجميع. ولم تعد هناك أي أدوات اقتصادية أو سياسية أو إعلامية لقوى المجتمع لتواجه به تسلط الدولة، فلا أحزاب أو حركات أو منظمات (علاء، بلال، 2016، 2)، بل مجرد واجهات مدنية تفتخر بانتمائها ل"الدولة" وولاءها للرئيس وعلاقاتها بالأجهزة الأمنية التي جاءت بها إلى مناصبها، وصدق الحقوقي "أحمد سيف الإسلام عبد الفتاح" عندما قال إن "فض رابعة" كان معناه "موت السياسة في مصر". فامتداد العنف إلى صلب المجتمع المدني، وإن كان يتم تبريره في البداية بأنه ضروري لإزاحة أحد أطرافه لصالح أطراف أخرى، "فإن هذا العنف لا يلبث أن يطال الجميع، بعد أن يتم بناء مجتمع جديد تخضع كل أطرافه لاحتمال تعرضها لذلك العنف وتعتبرها أصيلة ولا تكون قادرة على مساءلتها لأن ذلك سيعني انهيار المجتمع المدني من جديد" (علاء، بلال ومصطفى، محمد، 2016) وهو ما نجده في التحذير الدائم من السيسي وأركان نظامه من المساس ب"الجيش" والحديث عنه باعتباره

"آخر عمود في الخيمة" وأن أي انتقاد للنظام إنما هو انتقاد للدولة، وأنه لا فارق بين الدولة والنظام، ولا فارق بين الدولة والجيش، وأن الثلاثة هم كيان واحد لا يخضع للتقسيم، ويكون أي محاولة للانتقاد بمثابة خيانة وطنية يتم التعامل معها على هذا الأساس لأنها ستؤدي إلى هدم الدولة وفقا لهذا المفهوم.

كما تظهر تلك الحالة أيضا في تصريحات منسوبة لرأس النظام في مصر، الذي صرح في إحدى المرات أن "حجم ضبط النفس من الدولة تجاه الشعب كان كبيرا خلال العامين الماضيين لتجنب حالة الاحتقان السائد" فهو من ناحية يفصل بين الشعب والدولة ويجعل من الأخيرة هي الأرقى والأعلى مرتبة، ومن ناحية أخرى يهدد الشعب بصورة واضحة بأنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من التعرض لبطش الدولة ووحشيتها إن لم يتوقف عن المشاغبة. وفي موضع آخر تحدث السيسي عن خطط لنشر الجيش في كامل أرجاء مصر خلال 6 ساعات فقط، فهو لم يشر إلى تهديد معين أو عن مكان محدد لنشر الجيش، بل تحدث عن كامل البلاد، وهو معنى يقصد به الحديث عن نشر الجيش في حالة الثورة الشعبية.

وإذا كان المجتمع المدني في مصر بعد الانقلاب يعبر بشكل واضح عن الرؤية الماركسية ورؤية "غرامشي" للمجتمع المدني باعتباره ساحة صراع، إلا أنه بشكل ما يعتبر مناقضا للرؤية الماركسية للمجتمع المدني، فالمشروع الماركسي يهدف إلى "ذوبان الدولة في المجتمع، وبالتالي زوال الحاجة إلى مفهوم المجتمع المدني، واندثار المجتمع المدني نفسه مع اندثار الدولة الحديثة" (بشارة عزمي، 2012، ص 23) لكن في مصر فإن المجتمع يتجه شيئا فشيئا إلى الذوبان داخل الدولة، وهو الهدف الرئيسي للنظام المصري الحالي الذي يعمل لتحقيقه بالطرق السلطوية، وهو ما تحقق بالفعل في الدول الشيوعية، بغض النظر عن النظرية الماركسية المثالية.

لكن رغم الضعف الواضح للمجتمع المدني، إلا أن ذلك –وفقا لرؤية غرامشي- (Gramsci Antonio, 1971, 560) يشير بصورة مقابلة إلى هشاشة وتفكك أي هيمنة أيدولوجية أو خطابية للدولة، التي تعتمد على القوى الخشنة "العارية" فقط من أجل تمرير قراراتها ومشروعاتها، بعد أن تخلت عن أي أقنعة كانت تحاول ارتدائها في بداية انقلابها، فالنظام ليس لديه حزب سياسي يتوارى خلفه ويمثله في مؤسسات الدولة -حتى دولة الثقب الأسود في عهد مبارك كانت حريصة على وجود واجهة مدنية لها ممثلة في الحزب الوطني- كما تراجع تأثير الإعلام الموالي له مع اشتداد الأزمات الاقتصادية وعدم تقديم وسائل الإعلام مبررات مقنعة لأسبابها غير الهجوم على الشعب ومطالبته بالمزيد من التحمل والصبر، ولا يعتمد النظام سوى على ولاء الجيش وقوته لحمايته، وكأنه بذلك يفرض معادلة أن من يريد هزيمته ينبغي عليه أن يمتلك قوة أكبر منها لكي يهزمها. وهو ما يهدد بالعودة إلى وضع يشبه العصور الوسطى في أوروبا.

قائمة المراجع:

1. إسحاق، جورج. (2016، 9 كانون الأول). فتح المجال العام.. وأهمية الحوار. الشروق. تم الاسترجاع من http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=09122016&id=5974c816-f436-4344-b0e8-c1ab66d42c71
2. إسماعيل، الوليد. (2015، 29 تشرين الأول). "منظمات حقوقية: «الداخلية» أبلغتنا بحضور فض «رابعة» للتوثيق"، الوطن، تم الاسترجاع من http://www.elwatannews.com/news/details/828335
3. أبو النجاء، أماني. (2016، 12 كانون الأول). "بالفيديو.. وكيل النواب: طز في أي حاجة سوى الدم.. وتغور حقوق الإنسان". الشروق. تم الاسترجاع من http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=12122016&id=1d841a30-f62b-4362-b91b-85189ddb9578

4. أصوات مصر. (2013، 5 آب). "قيادي بـ«الوفد»: «الداخلية» ستسمح بمراقبة حقوقية لفض اعتصامي رابعة والنهضة". تم الاسترجاع من http://aswatmasr.com/news/news.aspx?id=160133
5. الأفندي، عبد الوهاب. (2011، 28 كانون الأول). "دولة الثقب الأسود". وجهات نظر. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2hAArCz
6. ___________ (2016، 20 كانون الأول). المجتمع المدني كساحة صراع. مقرر المجتمع المدني من منظور مقارن. معهد الدوحة للدراسات العليا. الدوحة.
7. ___________ (2016، 22 تشرين الثاني). المجتمع المدني والديمقراطية. مقرر المجتمع المدني من منظور مقارن الدوحة. معهد الدوحة للدراسات العليا. الدوحة.
8. أونا. (2015، 27 أيار). "نقيب المهندسين يهنئ «وزير العدل» ويهديه درع النقابة"، تم الاسترجاع من http://onaeg.com/?p=2287299
9. أونا. (2013، 15 تموز). "الاستكمال الثورة.. الآن وليس غداً مبادرة جديدة لخارطة طريق واضحة" آخر تحديث في 15 تموز 2013. تم الاسترجاع من http://onaeg.com/?p=1071608
10. بشارة، عزمي. (2012). المجتمع المدني.. دراسة نقدية. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بيروت.
11. التامر، محمد. (2015). سياسة الولايات المتحدة وإدارة الأزمات الدولية: (إيران - العراق - سورية - لبنان أنموذجاً). المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. الدوحة.
12. تشومسكي، نعوم. (2003). واشنطن فوق القانون الدولي.. أميركا الدولة المارقة. ترجمة رندة بعث. مجلة دراسات م6-7 (خريف 2002- شتاء 2003). دمشق.
13. الجزيرة مباشر. (2016، 9 كانون الأول). "مصر - عضو بالمجلس القومي لحقوق الإنسان: لا نريد الديمقراطية". تم الاسترجاع من http://mubasher.aljazeera.net/news/arabic-and-international/2016/12/2016129125037423622.htm
14. الجزيرة نت. (2016، 28 كانون الثاني). "الزند يدعو لقتل مئات الآلاف من الإخوان"، تم الاسترجاع من http://bit.ly/1QuhdLB
15. الحاج صالح، ياسين. (2011، 30 تشرين الأول). جانب من سيرة المجتمع المفخخ. الحياة. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2iiV9uI
16. حجازي، محمود. (2015، 29 آذار). "102 مؤسسة وناشط حقوقي يدينون تحويل 17 شاهدا في قضية شيماء الصباغ لمتهمين: استمرار للعصف بالحريات وانتهاك القانون". البداية. تم الاسترجاع من http://albedaiah.com/news/2015/03/29/85982
17. الحديدي، شيماء. (2016، 24 كانون الأول). إنها حقوق نسائهم لا نساء مصر. نون بوست. تم الاسترجاع من http://www.noonpost.net/content/6326
18. حمامة، محمد. (2016، 13 تشرين الثاني). "نص مشروع «النواب» السري لقانون الجمعيات الأهلية". مدى مصر. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2hQDk38
19. حمدي، هاجر. وعاطف، منة. (2015، 26 كانون الثاني). "عاشور: نقابة المحامين تتابع التحقيق في قضية "الشهيدة شيماء الصباغ" نيابة عن أسرتها". الدستور. تم الاسترجاع من http://www.dostor.org/760142
20. خالد، عبد الرحمن. ومغازي، عزة. (2015، 29 كانون الثاني). وقفة نسائية بميدان طلعت حرب تنديدًا بمقتل شيماء الصباغ". المصري اليوم. تم الاسترجاع من http://www.almasryalyoum.com/news/details/644533
21. الخطيب، كريم. (2015، 14 تموز). "بالفيديو.. أحمد موسى يهاجم الشيخ محمد جبريل لدعائه على الدولة في ليلة القدر". صدى البلد. تم الاسترجاع من http://www.elbalad.news/1623434
22. رأي اليوم. (2015، 30 تشرين الثاني). "بالفيديو.. يوسف الحسيني يطالب السيسي بإقامة مذبحة مماليك العصر الحالي". تم الاسترجاع من https://goo.gl/fpXcgZ
23. الرشيدي، أسامة. (2015، 4 تشرين الأول). خطيب وفنان الثورة ومقالب ثورية أخرى!، مصر العربية، تم الاسترجاع من https://goo.gl/qa1thd
24. ___________. (2016، 28 نيسان). مزايدات النخبة في مصر.. هل يسقط فعلاً كل من خان. العربي الجديد. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2hAwk9t
25. رمضان، فاطمة. (2016، 19 كانون الأول). "مشروع قانون النقابات الجديد.. تصفية الحريات النقابية في تسع خطوات". مدى مصر. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2hyU5DS
26. صلاح، طارق. (2013، 17 تشرين الأول). قزامل يطالب بحرق الإخوان في أفران الغاز على طريقة هتلر". فيتو. تم الاسترجاع من http://www.vetogate.com/641916

27. صوت المسيحي الحر. (2015، 10 شباط). "المؤتمر يطالب بإعدام قيادات الإخوان في ميدان عام". تم الاسترجاع من http://bit.ly/2iefBtV
28. صياغ، فايز. (2005). تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2004: نحو الحرية في الوطن العربي. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. عمّان.
29. عباس معتز. (2016، 11 شباط). بالفيديو.. أحمد موسى يطالب بإعدام محمد مرسي على «الخازوق» في ميدان التحرير". التحرير. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2iLc61g
30. عبد الباسط، ليلى. (2015، 7 تموز). "رئيس وحدة سيناء بـ«القومى للإنسان»: تعامل السيسي مع أحداث الشيخ زويد فاق المتوقع ألف مرة". الشروق. تم الاسترجاع من http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=07072015&id=64303409-1254-4339-b420-6c8a5bf0d1f3
31. عبد الرحمن، محمد. (2015، 24 كانون الثاني). "المصري الديمقراطي ينعي الشهيدة شيماء الصباغ.. ويطالب بمحاسبة المسئولين". البداية. تم الاسترجاع من http://albedaiah.com/news/2015/01/24/81019
32. العربي الجديد. "2016، 28 تشرين الثاني). "مصر: القضاء يقر مشروع قانون "إحكام السيطرة" على الجمعيات". تم الاسترجاع من http://bit.ly/2iuc8I7
33. علاء، بلال. (2016، 3 أيلول). الدولة الحصينة والمجتمع العاري، ألترا صوت. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2iABFzf
34. ________. (2016، 6 آب). المجتمعات المنهكة لا تقوم بالثورات. هافنغتون بوست عربي. تم الاسترجاع من http://www.huffpostarabi.com/bilal-alaa/-_923_b_7948240.html
35. علاء، بلال. ومصطفى، محمد. (2016). زمن الوحوش الضارية: بحث في صراع الخطابات في مصر في سنوات الضباب والثورة والدم. منتدى العلاقات العربية والدولية. الدوحة.
36. عواد، وائل. (2016، 16 تشرين الأول). أوهام النضال الحقوقي. إضاءات. تم الاسترجاع من /http://ida2at.com/illusions-fight-human-rights
37. غنيم، أحمد. (2015، 18 أيار). قاضى جنايات ينشر صورته حاملاً "مسدس": يا روح ما بعدك روح". الوطن. تم الاسترجاع من http://www.elwatannews.com/news/details/732176
38. فاروق، أيمن. (2013، 14 أيلول). "مدير مركز أندلس: الشرطة لم تطلق الرصاص إلا ّبعد استخدام الإخوان للمولوتوف والخرطوش"، أخبار الحوادث، تم الاسترجاع من http://www.masress.com/hawadeth/153589
39. فودة، يسري. (2016، 23 تموز). انتحار المنطق.. فصل لم يُنشر في كتاب آخر كلام. دويتشه فيله. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2iEdJM5
40. فيسبوك. (2014، 7 أيلول). "خطاب من النقابة العامة لنقابة المهندسين الفرعية بالإسكندرية". تم الاسترجاع من https://www.facebook.com/AlexEngSyn/photos/a.1387535304804639.1073741828.1386965794861590/1457515197806649/?type=3&theater
41. فيسبوك. (2016، 15 ديسمبر). "عبد الله الشريف". تم الاسترجاع من https://www.facebook.com/photo.php?fbid=1423711177639937&set=pb.100000032068607.-2207520000.1483613211.&type=3&theater
42. الكردوسي، محمود. (2013، 20 تشرين الثاني). "رسالة إلى رئيس مصر القادم.. عبدالفتاح السيسى". الوطن. تم الاسترجاع من http://www.elwatannews.com/news/details/358983
43. المبادرة المصرية للحقوق الشخصية. (2013، 15 آب). "بيان صحفي مشترك: التجمع غير السلمي لا يبيح العقاب الجماعي ـ المنظمات الحقوقية تدين أعمال العنف المميت ضد الاعتصامين والممارسات الإرهابية لجماعة الإخوان المسلمين"، تم الاسترجاع من http://bit.ly/2ihxJDV
44. المبادرة المصرية للحقوق الشخصية. (2013، 16 يوليو). تحالف المنظمات النسوية المصرية*: بيان موقف - 16 يوليو 2013". تم الاسترجاع من http://bit.ly/2iIyKrH
45. مبتدا. (2013، 30 آذار). وقفة لـ«المهندسين المستقلين» احتجاجا على تكريم النقابة لمرسي، آخر تحديث في 30 مارس/ آذار 2013. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2iptQNc
46. محمد، فاطمة الزهراء. (2016، 12 تموز). "صلاح سلام: لن أكون سعيدًا بحقوق الإنسان وبلدي تنهار". البوابة نيوز. تم الاسترجاع من http://www.albawabhnews.com/1395880

47. محمود، مصطفى. (2016، 18 حزيران). "فيديو.. أحمد موسي يطالب بإعدام "مرسي" في ميدان عام". الوفد. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2iLd4KY
48. مخلوف، محمد. (2015، 14 كانون الأول). "بالفيديو.. القعيد يطالب بنفي الإخوان خارج مصر". البوابة نيوز. تم الاسترجاع من http://www.albawabhnews.com/1662956
49. المصري، ممدوح. (2014، 10 أيلول). "على الرغم من قلة الموارد.. المهندسين تشتري سندات بـ 50 مليون جنيه بقناة السويس الجديدة"، مصر العربية، تم الاسترجاع من http://bit.ly/2isZkEF
50. منتصر، صلاح. (2015، 27 آب). "في داهية حقوق الإنسان". الأهرام. تم الاسترجاع من http://www.ahram.org.eg/NewsQ/427909.aspx
51. نون بوست. (2016، 25 كانون الثاني). المرأة المصرية: ما قبل الثورة وبعدها". تم الاسترجاع من http://bit.ly/2hERhVv
52. نون بوست. (2015، 14 آب). كيف تطورت النسوية المصرية لتصمت بعد الانقلاب؟ تم الاسترجاع من http://bit.ly/2itvq31
53. الهادي، عمر. (2013، 17 أيلول). "هل تتحالف الدولة مع التيار الرئيسي الثوري؟"، المصري اليوم، تم الاسترجاع من http://www.almasryalyoum.com/news/details/201820
54. هاشم، رضوى. (2014، 5 تشرين الأول). "وزير الثقافة: لولا «السفلة والأوغاد» ما وصلنا لحكم الإخوان". الوطن. تم الاسترجاع من http://www.elwatannews.com/news/details/570982
55. هديب، هاني. (2016، 11 شباط). عمومية الأطباء.. الصدام المفاجئ. البديل. تم الاسترجاع من http://bit.ly/2iIRdkU
56. AlAssema Tv. (2015، 1 تموز). صباح العاصمة| سمير صبري يطالب بحرق المتهمين بعد تنفيذ عقوبة الإعدام. تم الاسترجاع من https://www.youtube.com/watch?v=Ahzh4DS0TnA
57. Joe Tube جو تيوب. (2016، 14 تشرين الأول). جو شو | الحلقة ١٧| أم الحقوق والحريات في مصر. تم الاسترجاع من https://www.youtube.com/watch?v=MpP7iwVZBQA
58. BRAW, ELISABETH. (2015, January 4). Putin is ‘playing the madman’ to trick the west. Newsweek. http://europe.newsweek.com/impeccable-logic-behind-putins-madman-strategy-318529?rm=eu
59. Gramsci, Antonio. (1971). Elections from the Prison Notebooks, trans. (London: Lawrence and Wishart.

محمية الربط القاري المتوسطي:
مشروع للتنمية الاجتماعية في إطار مقاربة المحافظة على الإرث الطبيعي (دراسة حالة الجزء المغربي)

The Intercontinental Biosphere Reserve of the Mediterranean:
A project of a social development with the Approach of natural heritage conservation (the case of Moroccan part)

د. مصطفى احمامو، جامعة عبد المالك السعدي- المغرب
أ.بوجمعة بونقاية، جامعة عبد المالك السعدي- المغرب

ملخص: تعتبر محمية الربط القاري المتوسطي (IBRM) التي تقع بين المغرب واسبانيا مجالا غنيا للتبادل السوسيوثقافي. وهي منطقة تمتد على مساحة تحوم حول مليون هكتار، تزخر بإمكانات طبيعية وثقافية في غاية الأهمية. يوجد الجزء المغربي في وسط شبه الجزيرة الطنجية. هذا المشروع الترابي، الذي أنشئ بصفة رسمية في أكتوبر 2006 من قبل اليونسكو في سياق برنامج الإنسان والمحيط الحيوي (MAB)، يحتاج إلى التقييم؛ في هذا الصدد كشفت هذه الدراسة عن إكراهات عديدة حالت، بالنسبة للقسم المغربي، دون تحقيق الأهداف المسطرة، لا سيما فيما يخص مسألة التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: محمية الربط القاري المتوسطي، المشروع الترابي، جبال الريف المغرب.

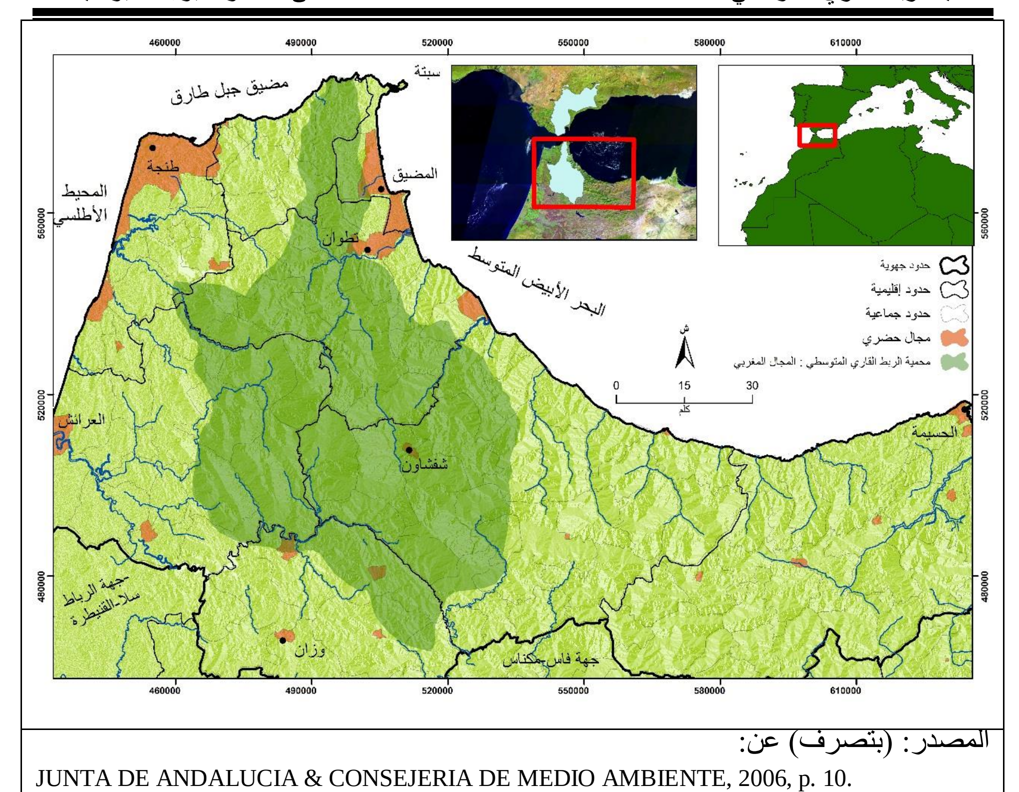
Abstract: The Intercontinental Biosphere Reserve of the Mediterranean (IBRM) between Spain and Morocco was officially established in October 2006 by UNESCO within the framework of its Man and the Biosphere programme (MAB), considered an important place of socio-cultural exchange with a remarkable natural and cultural heritage, covering nearly a million hectares. The Moroccan part located at the heart of the Tingitana peninsula. This territorial project, required assessment; It should therefore be noted that this study encountered, in the Moroccan part, several barriers that limited the chances of attaining the goals of IBRM, especially on the level of sustainable development

Keywords: IBRM, The territorial project, Rif mountains, Morocco.

مقدمة:

تتشكل شبكة برنامج الإنسان والمحيط الحيوي (MAP) من 669 محمية للمحيط الحيوي، موزعة بين 120 بلداً، 20 منها تتشاركها دول مختلفة، وهي شبكة تشجع التعاون شمال-جنوب وجنوب-جنوب، وهي أداة للتعاون الدولي الاستثنائي يمكن من تقاسم المعارف وتبادل الخبرات وتنمية القدرات (http://www.unesco.org)، وتعتبر محمية المحيط الحيوي للربط القاري المتوسطي بين المغرب وإسبانيا من المحميات العشرين العابرة للحدود، والتي تم إنشاؤها في سياق برنامج اليونسكو للإنسان والمحيط الحيوي، وفق «اتفاقية نوايا» وقعت سنة 2003 بين وزارة البيئة في الحكومة الأندلسية والمندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر في المغرب ووزارة البيئة في الأندلس، بتعاون مع لجان MaB (Man and the Biosphere - الإنسان والمحيط الحيوي) الإسبانية، الأندلسية والمغربية، وبدعم من وزارة البيئة الإسبانية والوكالة الإسبانية للتعاون الدولي (AECI)، والوكالة الأندلسية للتعاون الدولي (AACI) والاتحاد العالمي لحماية الطبيعة (UICN)، وغيرها (EMPRESA DE GESTION .(MEDIOAMBIENTAL DE ANDALUCIA S.A, 2008, P. 7.

يتضمن القسم المغربي مناطق محمية ذات قيم طبيعة وثقافية تميزها عن باقي المناطق الأخرى من قبيل المنتزه الطبيعي الوطني لتلاسمطان والمنتزه الطبيعي الجهوي لبوهاشم والمواقع ذات النفع البيولوجي: جبل موسى وبن قريش وجبل الحبيب وسوق الأحد لغدير وبريكشة. وتستقطب المحمية في قسمها المغربي (المجال المدروس) من طرف 51 جماعة قروية وجماعة حضرية (بلدية شفشاون)، مقسمة على ستة أقاليم وعمالة: 20 في تطوان و14 في شفشاون و7 في العرائش و5 في وزان و3 في فحص أنجرة وجماعة في كل من طنجة-أصيلة والفنيدق-المضيق (الخريطة رقم 1)، وهي كلها مناطق جبلية ظلت، على غرار بقية المناطق الجبلية الأخرى، مهمشة، حيث "لم تتبوأ الجبال في السنوات الأولى من الاستقلال سوى مكانة جد ثانوية ضمن انشغالات السلطات العمومية (الناصري محمد، 2003، ص 208). إن الإكراهات المتعددة التي تعاني منها هذه المجالات والتي استفحلت في وقتنا الراهن،" تحتم إتباع سياسة جبلية خاصة في المغرب، من أجل تحقيق تنمية شاملة(بوجروف السعيد، 2007، 537 LAOUINA Abdellah, 2004, p 27)، وبالفعل بدأت الدولة المغربية تهتم بهذه المناطق في إطار المنظور الجديد للتنمية وإعداد التراب، حيث دعا الميثاق الوطني إلى وضع مخطط لإعداد وتنمية المناطق الجبلية، وفق ثلاثة مبادئ توجيهية لذلك همت: أولا الإقرار بكون هذه المناطق تكتسي صبغة المصلحة العامة، ثانيا الالتزام القوي للسلطات العمومية تجاه تنمية وإعداد هذه المناطق، ثم ثالثا التوفيق بين النجاعة الاقتصادية وضرورة الحفاظ على التوازنات البيئية للأوساط الجبلية عن طريق إدماج الأبعاد الاجتماعية والثقافية والبيئية في إستراتيجية التنمية (مديرية إعداد التراب الوطني، 2001، ص45).



المصدر: (بتصرف) عن:

JUNTA DE ANDALUCIA & CONSEJERIA DE MEDIO AMBIENTE, 2006, p. 10.

الخريطة رقم 1: القسم الجنوبي من محمية الربط القاري المتوسطي

إن انخراط المغرب في هذا المشروع الترابي العابر للحدود، يندرج في إطار تفعيل التعاون شمال جنوب من أجل تحقيق التنمية الاجتماعية لهذه المناطق الجبلية، التي عانت، كما أسلفنا، التهميش لفترات طويلة. إلا إن الإشكال المطروح يظل لصيقا بمدى نجاحه، لا سيما إذا علمنا أن عوامل الإفشال والعرقلة تظل حاضرة بقوة، من العسير التغلب عليها. وعموما، نهدف من خلال هذه الدراسة أولا التعريف بمشروع محمية الربط القاري من حيث أولويات العمل ذات النفع الجماعي، ثم تقييمه من مختلف جوانبه ثانيا، بالتركيز على القسم الجنوبي منه (شمال المغرب). ولبلوغ هذا الهدف، وحتى نحيط بالإشكالية أكثر، كان لا بد من الاطلاع على بعض الأعمال البيبليوغرافية ذات الصلة بمجال وموضوع الدراسة، وكذلك الخروج إلى الميدان لاستقراء ورصد وتوطين بعض العناصر السوسيومجالية التي من شأنها أن تفيد في تقييم مدى نجاح أهداف ورهانات هذا المشروع الترابي/الحضاري.

1.أولويات العمل ذات النفع الجماعي (2006-2010):

وُضعت المشاريع بطريقة تشاركية ابتداء من السنة الأولى، على أساس تنفيذها خلال فترة 2007-2012، وأعطت الأهمية إلى خلق دينامية على مستوى القدرات المتاحة داخل مؤسسات ومجتمع محمية الربط القاري، مع الإشارة إلى أن مسألة التنفيذ والتمويل تساهم فيها عدة جهات أهمها وزارتي البيئة في الحكومة الأندلسية والحكومة الإسبانية والمندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر في المغرب. وسيتم التركيز على ثلاث نقط أساس هي كالتالي (JUNTA DE

ANDALUCIA & CONSEJERIA DE AMBIENTE MEDIO, 2006, pp 21-25):

توطيد وتوحيد محمية الربط القاري: من خلال التركيز على:

-الهيئات الوطنية: ابتداءً من سنة 2006، يتم خلق لجان تدبير محمية الربط القاري على مستوى كل دولة، وتعزيز وسائل الدعم بشريا وتقنيا، خاصة في القسم المغربي؛

-"التنسيق العابر للحدود": يجب منذ سنة 2006 تبني اتفاقيات بين المندوبية السامية للمياه والغابات ومحاربة التصحر في المغرب والحكومية الأندلسية، وتنفيذ ميكانيزمات التنسيق "العابر للحدود" من أجل وضع خطط التعاون، ومن ثم برمجة أول مخطط عمل سنوي وتنظيم ندوات علمية؛

-تحقيق الانسجام على المستوى التشريعي (2010-2007): خلال هذه الفترة يجب دراسة الإطار التشريعي والبدء في سيرورة التجانس على مستويات حماية تدبير البيئة في البلدين، خاصة المناطق المحمية، من قبيل المنتزهات الطبيعية والمواقع ذات الأهمية البيولوجية والمناطق الرطبة؛

-المناطق المحمية الرائدة (2008 و2010): صياغة خطط تدبير المجالات المحمية المختارة من طرف المغرب، وتنفيذ هذه الخطط باعتماد معدات ميدانية أساس، وتكوين الموارد البشرية، وتبادل الخبرات على المستوى الإداري والتقني بين البلدين وتأسيس مجموعات عمل دولية؛

-التراث الثقافي (2009-2007): يركز الاهتمام على استعادة التراث المشترك التاريخي، الثقافي والفني، عبر خلق مكتب تراث محمية المحيط الحيوي للربط القاري المتوسطي (RBIM) الضامن للتنسيق وفي الآن نفسه سيقوم بجرد الموروثات القائمة وحمايتها وتثمينها ودعم التكوين والتربية.

-التعمير والجودة البيئية (2009-2007): سيتم تشجيع اللقاءات بين المدن ومختلف المراكز المنتمية لمحمية الربط القاري من أجل تبادل الخبرات والدعم التقني والتوأمة بين المدن والجماعات المحلية. والهدف من وراء ذلك إيجاد سبل التعاون في مجال جمع ومعالجة النفايات الحضرية الصلبة والسائلة؛

-أولويات أخرى (2010-2007): أهمها وضع قاعدة خرائطية ومعطيات جماعية ونظام المؤشرات لرصد وتتبع محمية المحيط الحيوي للربط القاري المتوسطي والتعاون العلمي بين البلدين.

التنمية المستدامة: يكمن الهدف من وراء ذلك في تعزيز وتطوير الأنشطة السوسيو اقتصادية المتوافقة مع حماية البيئة الطبيعية ومكافحة التصحر ودعم أساليب إنتاج جديدة تعزز تثمين التراث الطبيعي والثقافي وتساهم في تحسين جودة حياة السكان، ومن ثم نفادي الهجرات القروية. وقد تم التركيز في هذا الصدد على:

-تصميم برنامج عمل في القطاع الغذائي والحرفي المستدام (2006): يجب استعادة ووضع تصميم (فهرسة) الطرق التقليدية في الإنتاج، وتوحيدها ودعمها على مستوى التسويق والتكوين والتنظيم وكل الجوانب الأخرى المهمة الكفيلة بتحقيق التنمية الريفية المستدامة.

-صياغة المشاريع (2006 و2007): تلبية كل الاحتياجات التي تم تحديدها في المغرب وتوحيد المبادرات الواعدة في كلا البلدين؛ وصياغة هذه المشاريع سوف تكون مشتركة من أجل الاستفادة من المبادرات والإمكانات القائمة، والاعتماد على المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية والمقاولات، وإعطاء الأهمية للشباب؛

-تصميم برنامج التكوين (2007-2006): مخصص للمسؤولين الإداريين، من خلال الندوات العلمية خاصة فيما يتعلق بالموضوعات ذات الصلة بإدارة الجودة، وتتبع عمليات ودعم التسويق، ومجموعات المنتجين مع التكوين والمساعدة التقنية من أجل الإنتاج المستدام.

-البدء بالمشاريع الأكثر أهمية (2010-2007): من قبيل المواد الغذائية وعلامات الجودة والسياحة القروية؛ وإيجاد بدائل لاستعمال الخشب كوقود في المجال الريفي المغربي، خاصة داخل المناطق التي عرفت ضغطا كبيرا في هذا الباب. ومن بين الإجراءات ذات الأولوية في المغرب وضع برنامج تعاوني مع الحكومة الأندلسية يبتغي تكوين مرشدي السياحة الخضراء، والتحسين الوراثي لتربية الماعز وإنتاج الجبن، فضلا عن التكوين في مجال إنتاج وتصنيع وتسويق النبتات العطرية.

إدماج السكان: الهدف هو إدماج وتقريب محمية الربط القاري من حياة المجتمع المحلي، ذلك أن الأخير يشكل دعامة رئيسة لمسألتي التوحيد المؤسساتي وتنفيذ مشاريع التنمية المستدامة، وهو هدف في حد ذاته، حيث تعتبر الساكنة الركن الثالث لمحمية الربط القاري:

-برنامج نشر (2007-2006): يتعلق الأمر بنشر قيم وأهداف محمية الربط القاري في البلدين معا، مع تدعيم ذلك بخلق موقع الكتروني والتنسيق مع الصحافة السمعية والبصرية؛

-برنامج التربية البيئية (2010-2006): يبدأ بإنجاز ندوات علمية في البلدين تجعل من التربية البيئية موضوعا رئيسا ضمن أعمالها، وتعطى الأهمية في هذا الصدد لجمعيات المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية؛

-حملات تحسيسية للمواطنين (2010-2007): الأنشطة والمبادلات بين المقاولين والتقنيين والفنانين والمواطنين في جميع أماكن محمية الربط القاري، وسوف تشمل هذه الأنشطة زيارة المراكز والجمعيات القائمة وتفقد الأعمال التي قامت بها؛ والحملات التطوعية وأيضا المسابقات والأنشطة الثقافية...إلخ.

-الصورة الجماعية (2010-2006): الهدف هو تطوير صورة مشتركة لـ RBIM، من خلال تحسين توحيد توطين الاستخدامات العمومية (Usage Public) في المناطق المحمية، وتنفيذ أنشطة التربية البيئية الرسمية وغير الرسمية.

بعد وضع السياق العام لإنشاء محمية الربط القاري، وسرد أهم الجهات المتدخلة والأهداف المسطرة، وعلى اعتبار أن ذلك شرع فيه منذ أزيد من عقد من الزمن، يبقى التساؤل دوما مطروحا حول مدى نجاح ما يخطط له في إطار هذه المشاريع؟

2.واجه إنجاح محمية الربط القاري عدة إكراهات طبيعية وبشرية ومؤسساتية

مما لا شك فيه، هناك تشابه على مستوى التاريخ الطبيعي بين شمال المغرب وجنوب اسبانيا، كما أن هناك ثقلا تاريخيا على مستوى الديناميات والتبادل العرقي والثقافي بين الضفتين، إلا أن النبش في مكونات العناصر الطبيعية والبشرية لمجال محمية الربط القاري حاليا، يكشف عن مجالين متناقضين في عدة جوانب، خاصة على مستوى البنيات التحتية والتنمية البشرية والخدمات والقدرات المؤسسية الكفيلة بالتدبير الناجع للموارد الطبيعية.

هذه الفوارق بين الضفتين لم تغفلها الجهات المكلفة بإنشاء هذه المحمية في دراساتها التشخيصية الأولى، التي تم التركيز فيها، في الجانب المغربي، على حماية وتدبير الموارد الطبيعية من خلال استحضار مشكل التصحر والتعرية المائية وحرائق الغابات؛ ومعضلة الإفراط في استغلال الفرشات المائية وتلوث المحاور الهيدروغرافية بواسطة الأسمدة والمواد الكيماوية الأخرى والصرف الصحي؛ والاهتمام بالتنمية القروية عبر تكوين السكان المحليين؛ وتثمين الموارد الطبيعية والثقافية وإعطاء الفرص أكثر للتنمية الذاتية؛ ودعم مشاركة المرأة في التنمية القروية؛ والترويج للمواد والثقافة المحليتين وتشجيع السياحة الريفية؛ وإعطاء الأهمية لمسألة

التعمير في علاقته مع البيئة، عبر التأكيد على ضرورة جمع ومعالجة النفايات الصلبة في معظم المناطق الحضرية، ومعالجة مياه الصرف الصحي، وتنمية الطاقات المتجددة؛ واستحضار أهمية المجالات الطبيعية المحمية وذلك بخلق برامج تحسيسية وتربوية وتتبعها ومراقبتها، وإنشاء تجهيزات جديدة للاستخدامات العمومية، ودعم المبادرات السوسيواقتصادية؛ دون إغفال الإطار المؤسساتي من خلال ترسيخ التعاون الإداري.

إذا كانت هذه المشاريع تم البدء في تنفيذها منذ سنة 2006، فإن التقييم الذي أنجزناه، على الأقل في مجال دراستنا الذي يشكل الحيز الجنوبي من محمية الربط القاري (الشق المغربي)، يكشف عن إخفاقات ملموسة على مستوى نجاح هذه البرامج، مع التأكيد أن مجموعة من الرهانات تم تحقيقها ولو بدرجات نجاح متوسطة، من قبيل تشجيع السياحة الجبلية (الصورة رقم 1) والتحسين الوراثي لتربية الماعز وإنتاج الجبن والتوأمة بين المدن والجماعات المحلية.



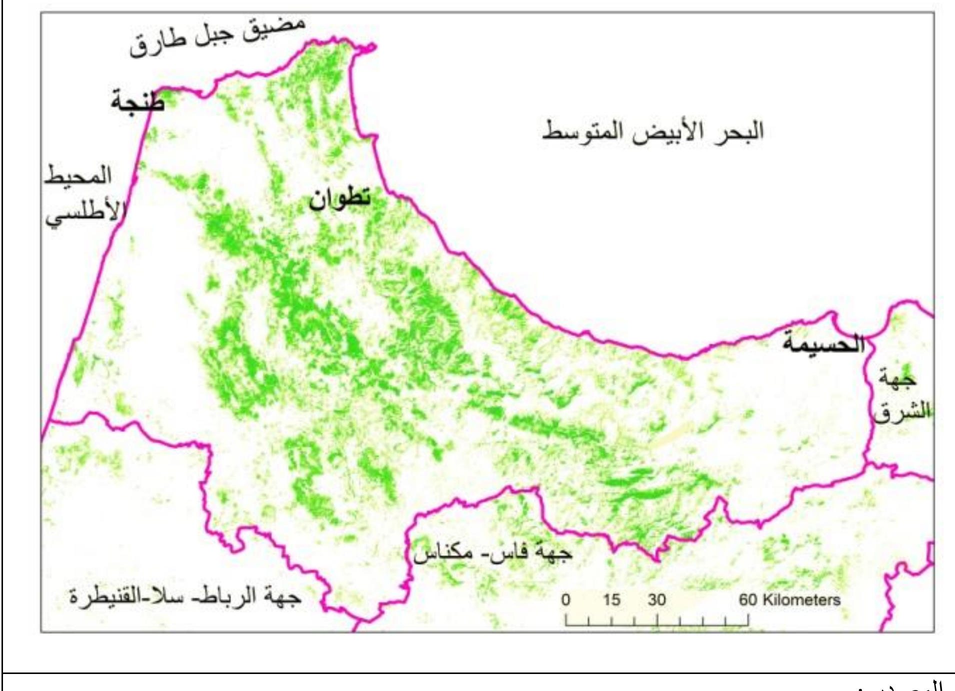
صورة رقم 1: موقف السيارات في أقشور

المكان أقشور (جماعة تلمبوط، إقليم شفشاون) والزمان 31 يوليوز 2014. أزيد من 150 سيارة تحمل لوحات ترقيمية (matricules) من مناطق مختلفة من المغرب ومن خارجه، أثثت جنبات الموقف الموجود على الضفة اليسرى لواد تلمبوط. إنه مشهد ينم عن جذب قوي مارسه الفضاء الطبيعي المنتمي لمنتزه تلاسمطان على هواة السياحة الجبلية. (الصورة بعدسة احمامو مصطفى).

من جهة أخرى، من العراقيل التي حالت دون تحقيق بعض رهانات محمية الربط القاري، نجد صعوبة إدماج السكان بسبب سيادة الأمية، حيث وصلت -حسب إحصاء سنة 2014- إلى 44,7% بالوسط القروي لجهة طنجة-تطوان-الحسيمة؛ بل تتجاوز ثلثي مجموع السكان في بعض الجماعات القروية، كما هو الشأن بالنسبة لجماعة أولاد على منصور (69,4%) إضافة إلى غياب الوعي بمسألة استدامة الموارد، دون إغفال استفحال المشاكل البيئية في المجالات الحضرية والمراكز القروية الناشئة نتيجة "الفوضى" العمرانية وسوء تدبير

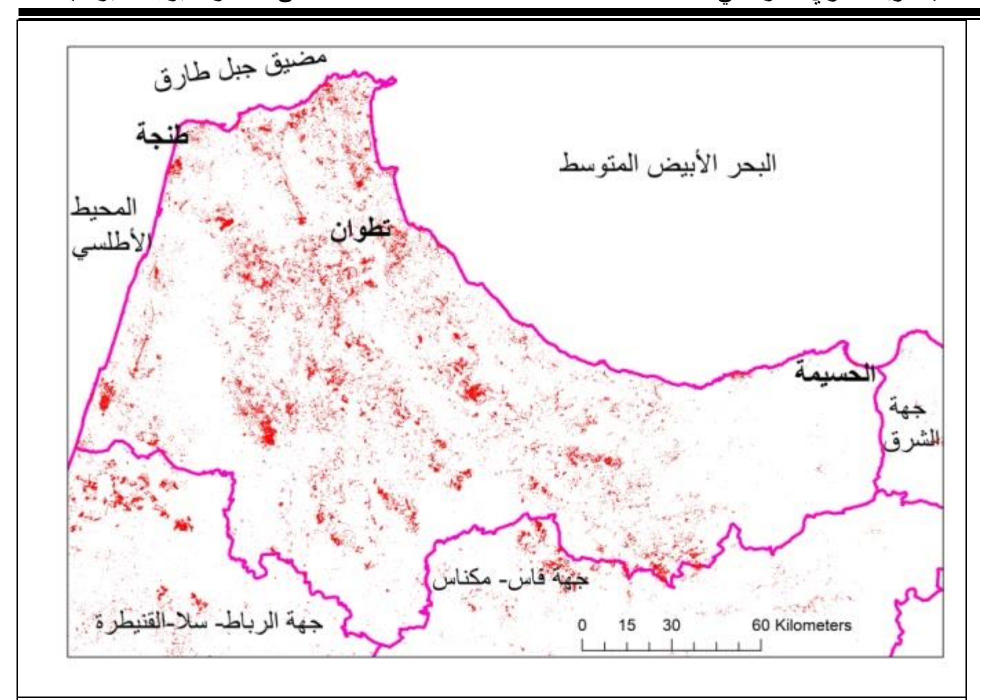
قطاعي التطهير السائل والصلب.

إن تحقيق الانسجام على المستوى التشريعي، وأهمية التعمير والجودة البيئية، وإدماج السكان وتوعيتهم بمحمية الربط القاري، هي المشاريع الأكثر أهمية التي لم تحقق، حيث اعترضت طريق نجاحها صعوبات عدة من قبيل تراجع المساحات الغابوية، حيث فُقد في جهة طنجة تطوان الحسيمة -التي تتميز بتغطية غابوية مهمة (حوالي 348.512 هكتار سنة 2015؛ الخريطة رقم 2)- بين سنتي 2001 و2015 ما يقارب 18.808 هكتار؛ أي بمعدل سنوي يزيد عن 1340 هكتار (الخريطة رقم 3).



المصدر :
اســتغلال شخصــي لمعطيــات الموقــع الالكترونــي: www.globalforestwatch.org (2017/06/21)

الخريطة رقم 2: توزيع المجال الغابوي في جهة طنجة تطوان الحسيمة سنة 2015



المصدر :
استغلال شخصي لمعطيات الموقع الالكتروني: www.globalforestwatch.org (2017/06/21)

الخريطة رقم 3: المساحة الغابوية المفقودة في جهة طنجة تطوان الحسيمة بين سنتي 2001 و2015

إن تدهور هذا الإمكان الطبيعي الغابوي ناجم عن مجموعة من العوامل الطبيعية (الجفاف والبرودة) والإحيائية (الأمراض والطفيليات) والبشرية (الاجتثاث والحرائق). ولا شك أن الاجتثاث الغابوي (الصورة رقم 2) مرتبط بشكل كبير بتوسع زراعة "القنب الهندي" (الصورة رقم 3) الذي يعد في الوقت الراهن إكراها عويصا لم تستطع القوانين وقف زحفه المتزايد.



صورة رقم 2: اجتثاث الغابات وسط منتزه تلاسمطان

إذا كان الإنسان في المناطق الجبلية أبان عن دراية جد متطورة ومهارات عالية في استعمال الموارد المتاحة واستغلالها بكيفية مستدامة، فإن المشهد يوضح التحول الكبير الذي مس بعض سلوكات الإنسان المجالية التي غدت أكثر سلبية، لا سيما عندما يتعلق الأمر باجتثاث أصناف غابوية نادرة ومهمة من قبيل الصنوبر البحري الطبيعي؛ رغم أن المجال الظاهر في الصورة جزء من المنتزه الوطني لتلاسمطان ومحمية الربط القاري المتوسطي. (الصورة بعدسة احمامو مصطفى، 8 ماي 2011، شمال مدشر أكلا، جماعة تاسيفت، إقليم شفشاون).



صورة رقم 3: زراعة القنب الهندي وسط منتزه تلاسمطان

تجسد الصورة مظهرا من مظاهر هيمنة زراعة القنب الهندي واحتوائها لبقية المحاصيل الزراعية، مع العلم أن معظم هذه الأراضي تتسم بانحدارات شديدة لن يزيد استغلالها زراعيا إلا تدهورا. ويمكن الجزم أن العائدات الاقتصادية لهذا المورد الإنتاجي قد ساهم في انتشاره لا سيما وأن المنطقة غنية بالموارد المائية التي تستغل في سقيه. (الصورة بعدسة احمامو مصطفى، 31 يوليوز 2014).

خاتمة:

لقد تبين، من خلال ما تقدم، أن الرغبة في توطيد وتوحيد محمية الربط القاري المتوسطي وتحيق التنمية المستدامة فيها وإدماج سكانها، أهداف لم تحقق بالتمام والكمال في القطاع الجنوبي (القسم المغربي)، وذلك نتيجة تظافر عدة عوامل، منها ما هو مرتبط بالتاريخ، حيث "إن التهميش والعزلة التي عانت منهما المجالات الجبلية المغربية، ومنها جبال الريف، كانت سببا في تَكون تمثلات عدائية لدى السكان تجاه "المخزن"، انعكست سلبا لاحقا لما توخت الدولة إدماج الجبال في باقي التراب الوطني من خلال جملة من البرامج التنموية، حيث لم تعطِ معظمها النتائج المرجوة، بسبب تلكم التمثلات التي استحال معها تقبل هذه المشاريع التنموية" (احمامو مصطفى، 2015، ص492)، ومنها ما له صلة بطبيعة استعمالات الأرض، إذ غدت زراعة القنب الهندي المورد الإنتاجي الذي تشبثت به الساكنة المحلية، باعتباره مخلصا من الفقر المدقع، عكس بقية الجبال المغربية؛ لكن ذلك يتم بكثافة لا تطاق على حساب المكونات الطبيعية (الغابات، التربة، الموارد المائية...) من جهة، وعلى حساب مظاهر التلاحم المجتمعي من جهة ثانية، حيث أثبتت الأبحاث الميدانية بروز سلوكات زراعية جديدة، تمثلت بالأساس في الانفرادية والقطيعة مع بعض أوجه التدبير الجماعي المشترك للموارد.

وعموما، إذا كان مجال درستنا، يندرج في إطار هذه المشاريع البيئية والحضارية، فإن تصورات السكان المحليين لازالت ضبابية من باب إدراك أهمية المناطق المحمية، بل والأسوأ من ذلك نجد هذه الأمور لا تدخل في صلب اهتمامات المجالس الجماعية، رغم أن الدولة، في إطار سياسة اللامركزية، تنقل للجماعة المحلية مجموعة من الاختصاصات ذات الصلة بالتشجير وصيانة المحميات الطبيعية.

لائحة البيبليوغرافيا

1. احمامو مصطفى، 2015، " قضايا التدبير والإعداد في المناطق الجبلية: حالة الذروة الكلسية وهوامشها جنوب واد مرتيل (إقليما تطوان وشفشاون)"، أطروحة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب، 603 صفحة.

2. بوجروف السعيد، 2007، "الجبال المغربية أي تهيئة؟"، أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا، جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب، 561 صفحة.

3. مديرية إعداد التراب الوطني، 2001، "مشروع الميثاق الوطني لإعداد التراب"، وزارة إعداد التراب الوطني، الماء والبيئة، الرباط، المغرب، 82 صفحة.

4. الناصري محمد، 2003، "الجبال المغربية: مركزيتها- هامشيتها- تنميتها"، منشورات وزارة الثقافة، الرباط، المغرب، 272 صفحة.

5.EMPRESA DE GESTION MEDIOAMBIENTAL DE ANDALUCIA S.A, 2008, «*Programme d'Usage Public, Parque National de Talasemtane (Maroc)* », 198 p.
[En ligne],
http://www.rbiosferamediterraneo.com/app/webroot/files/file/1_PROGRAMME_UP_TLSN.pdf

6.JUNTA DE ANDALUCIA & CONSEJERIA DE MEDIO AMBIENTE, 2004, « *Plan d'Action pour la Création et Consolidation de la Réserve de Biosphère Intercontinentale de la*

Méditerranée », Coordina: Fernando Molina Vázquez. Jefe de Servicio de la Dirección General de la Red de Espacios Naturales Protegidos y Secretario del MaB andaluz., 41 p.

7.LAOUINA Abdellah, 2005, *« La montagne dans les plans nationaux sectoriels et dans la vision de l'aménagement du territoire »,* In : Ait Hamza M. & Popp H. (ed.), «Pour une nouvelle perception des montagnes marocaines : espace périphérique? Patrimoine culturel et naturel ? Stock de ressources dans l'avenir ? », Actes du 7ème colloque maroco-allemand des 23 et 25 septembre 2004, Rabat, Pub. Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat, Maroc, série colloques et séminaires, n° 119, 1ère éd., pp.25-34.

8.Site web de l'Unesco :
http://www.unesco.org/new/fr/natural-sciences/environment/ecological-sciences/biosphere-reserves/world-network-wnbr/

سيميولوجيا القدس في البنية المعرفية للهوية المقدسية

The semeiotic of Jerusalem in the epistemological structures of Jerusalemite identity

د.محمود محمد حماد، جامعة بيت لحم، فلسطين

ملخص: هدفت الدراسة للتعرف على سياسات الاحتلال الصهيوني في القدس المحتلة لطمس رموز الهوية المقدسية، والتعرف على طرق صمود الفلسطينيين في مواجهة تلك السياسات، واعتمد الباحث على المنهج السيميولوجي كقراءة تحليلية مستعينا بأدوات البحث الكيفي، وتم مقابلة 90 فرداً من 15 أسرة ممتدة موزعة على القدس وضواحيها. من ابرز نتائج الدراسة أن الفلسطينيون قد ابدوا وعيا كبيرا ومتقاربا حول الإلمام بسياسات الاحتلال الصهيوني في القدس المحتلة وما يقوم به من تكثيف إشهار العلامات الاقتصادية والعمرانية والرموز المسطرة بطابع ديني وتاريخي مزيف بهدف الإقصاء والاقتلاع للفلسطينيين(وهذا ما يسمى بذرائعية العلامة). وأبرزت النتائج أهمية دور الأسرة والدعم الاقتصادي والتعليمي لتثبيت صمودهم وإعادة إحياء مملكة العلامات المقدسية سواء العمرانية او التاريخية او الدينية. وأبرزت النتائج أهمية المدينة وعلاماتها الممتدة إلى خمسة آلاف عام ق.م في تشكيل الهوية المعرفية الفلسطينية.

Abstract: The study aimed to identify the policies of the Zionist occupation in occupied Jerusalem to obliterate the symbols of the Jerusalemite identity and to identify the strategies of steadfastness that Palestinians have developed to face these policies. The study adopted the semeiotic approach to analyze data by using qualitative research tools and the study interviewed 90 individuals from 15 extended families distributed in Jerusalem and its environs. The results of this study has shown a high awareness from the Palestinian about the policies of the Zionist occupation in occupied Jerusalem and the intensification of the publicity of economic and architectural signs and symbols that are characterized by a false religious and historical character with the aim of exclusion and uprooting of the Palestinians. The results highlighted the importance of the role of the family and economic and educational support to consolidate their steadfastness and revive the Kingdom of Jerusalem signs, whether urban, historical or religious. The results highlighted the importance of the city and its marks extending to five thousand years BC in the formation of the Palestinian epistemological identity.

مقدمة:

إن ما تمر به مدينة القدس المحتلة في الوقت الحالي من تحديات كبيرة تهدد مستقبل أصحابها الفلسطينيين وتستهدف تشويه رموز هويتهم، كان لا بد من تسليط الضوء على ما يقترفه الاحتلال الإسرائيلي من جرائم بحق الفلسطينيين ورموزهم الثقافية والدينية والمكانية، متمثلة في سلسلة من الإجراءات الاقتصادية والتعليمية والسياسية العسكرية والسياسات المعلنة والخفية التي تستهدف الإنسان الفلسطيني وتشويه هويتهم وسرقة رموزهم الوطنية، ولذلك فان المواطنين الفلسطينيين القاطنين في القدس المحتلة ما زالوا يعانون من الاحتلال وإجراءاته وأعوانه الأمريكان خاصة في ظل نقل السفارة الأمريكية وغياب المرجعية الدولية والعربية التي من المفترض أنها تدعم أهل هذه المدينة وصمودهم بما يتناسب مع مكانة مدينة القدس الدينية والتاريخية والرمزية، ومنع السلطة الفلسطينية من العمل داخل مدينة القدس.

منذ الاحتلال الإسرائيلي للقدس وبتاريخ 1967/6/27 قرر الكنيست اعتبار القدس الشرقية هي ضمن الولاية الإسرائيلية وبهذا القرار تم السماح لوزير داخلية الاحتلال بتوسعة مساحة بلدية القدس لتصبح 69900 دونم، وتم توسيعها مرة أخرى عام 1985، وتم تدمير باب المغاربة في 1967/6/11 بهدف ترحيل السكان الفلسطينيين وتم مصادرة 116 دونم من باب المغاربة، وحارة الشرف، وحارة النبي داود، وحي الميدان، وأجزاء من حارة السريان ،لإقامة ساحة المبكى بدلا من حائط البراق. وتم كذلك مصادرة 700 مبنى حجريا تحوي 437 مشغلا وحانوتا و1048 شقة كان يقطنها حوالي 600 فلسطيني، ومصادرة سجلات الأمانة وأملاكها المنقولة وغير المنقولة، وعلى ضوء قانون توسعة بلدية القدس عام 1967 تم مصادرة المزيد من الأراضي الفلسطينية مثل (الشيخ جراح ،عناتا، الرام، النبي يعقوب) تحت حجج الحدائق الخضراء والمناطق العسكرية مما أتاح المجال للمزيد من الاستيطان في القدس، لم يتبقى للفلسطينيين في القدس إلا ما يعادل 9504 دونما للتوسع العمراني الحالي والمستقبلي(مصطفى، 1997، ص73-80)، وقد استمر مسلسل إجراءات مصادرة الأراضي الفلسطينية لغاية اليوم، وهذا ما يؤكده أيضا الباحث(وائل مجدي، 2017).

وقد قامت جمعية "العاد" (الاستيطانية) بأدلجة أساليب دعائية لطمس الرموز الفلسطينية تنشرها على صفحتها الالكترونية، والهدف من هذا الإجراء توطيد العلاقة بين اليهود وبين مدينة القدس عبر إستقطابهم وخلق مشاريع سياحية وتربوية وبناءً عليه قاموا بالحفريات والتنقيب والتخريب وشراء العقارات من الفلسطينيين ما أمكن، وترحيل الفلسطينيين بعد تصدع بيوتهم نتيجة الأنفاق والحفريات كما حدث في أسفل قرية سلوان، ومن الشركات التي تقوم بشراء العقارات هي شركة Lowell Investment التي قامت ببناء مركز زوار استيطاني يعرف باسم "مبنى كيدم" وهو على بعد أمتار قليلة من المسجد الأقصى(سجى غرة، 2017)، ولم تسلم أيضا القصور الأموية من حملة التهويد الممنهجة فقد حولتها بلدية الاحتلال لمزار سياحي كما فعل رئيس بلدية القدس نير بركات وإفتتح إحدى تلك القصور وقاموا بتسميته "مطاهر"(الجزيرة، 2017).

ونلاحظ مما سبق أن رموز القدس الفلسطينية قد تعرضت وما زالت تتعرض لأبشع إجراءات التشويه والطمس ويلاحظ الباحث أن هناك جانبا آخر مهما لموضوع البحث لم يتم التركيز عليه في الأدب السابق وهو أن جل هذه الدراسات لم تقم ببحث أمبريقي من وجهة نظر الفلسطينيين أنفسهم ومعرفة طرق صمودهم ، وتم استخدام المنهج السيميولوجي الأكثر مناسبة في هذا النوع من الأبحاث، وسيستخدم الباحث نسبة الفلسطيني على كل من له هوية فلسطينية وهذا مدلولا أساسياً في التشكل الموروفولوجي(علم التشكل والبنية).

الإطار النظري:

بعد مراجعة الأدبيات التي تناولت بعضا من جوانب هذا البحث، يمكن تقسيم الأدب المرجعي إلى قسمين، الأول تناول إجراءات الاحتلال الإسرائيلي من خلال المنهج التاريخي، والقسم الآخر ركز على أهمية دعم صمود سكان القدس الفلسطينيين بدون الاعتماد على منهج علمي واضح.

القسم الأول تمثل فيما يلي: أشار الباحث(أحمد رويضي،1997) إلى أن الاحتلال الإسرائيلي قد عمد في الفترات الحديثة إلى استحداث سياسة جديدة تستهدف الوجود الفلسطيني في مدينة القدس، وذلك من خلال سحب الهويات المقدسية من السكان الفلسطينيين في مدينة القدس وضواحيها وإرغام الفلسطينيين بدفع ضريبة "أرنونا" وتعني "ضريبة الأملاك" المفروضة عليهم كما هو حاصل في الأحياء العربية الفقيرة في القدس الشرقية وأم طوبا والعيسوية وجبل المكبر مما يضطر بعض الفلسطينيين إلى إغلاق محالهم أو الهجرة القصرية وإحلال اليهود المستوطنين مكانهم. واتفقت الباحثة (إيمان أبو الخير، 2014) في نتائجها مع الباحث أحمد رويضي حول سياسة سحب الهويات المقدسية لترحيل الفلسطينيين، وأضافت أن الاحتلال يستخدم طرقا أخرى لنشر الفساد بين الشباب الفلسطينيين في القدس المحتلة من خلال نشر المخدرات بينهم.

وعن طريق إرهاب الاحتلال والقتل وسياسات التهويد تم الاستيلاء على العديد من القرى الفلسطينية داخل القدس مثل قرى" لفتا، دير ياسين، عين كارم، المالحة، حي الطالبية، أحياء القطمون، البقعة، وحي مأمن الله (أطلق عليه ماملا)، وحي أبو طور وغيرها الكثير(إبراهيم مطر، 1997، ص53).

وفي نفس السياق فقد نقل الباحث(نواف الزرو،1991) عن الباحث (رائف نجم، 1983، ص70) أن هناك العديد من الإجراءات التي مارسها الاحتلال الإسرائيلي على صعيد التعليم والقضاء، فمنذ الأيام الأولى من احتلال القدس اخضع الاحتلال الإسرائيلي المؤسسات التعليمية ومناهجها تحت الإشراف الإداري للاحتلال وسن عدة قوانين منها قانون الإشراف على المدارس عام 1969 حيث مورس إجراء إرهاب رجال التعليم وسجنهم وفرض البرامج التعليمية التي تهدف إلى القضاء على الروح الوطنية والقيم التراثية(نواف الزرو، 1991، ص37).

ولتحقيق الهدف من الإجراءات التي يمارسها الاحتلال الإسرائيلي كان لا بد من إيجاد قنوات ومؤسسات أخرى لتمرير تلك الإجراءات، ومثال ذلك مؤسسة عطيرات (Ateret Cohanim) وتعني "التاج الكهنوتي" والتي تأسست عام 1978 بهدف شراء الأراضي والاستيلاء على البيوت خاصة في القدس، وتعمل هذه المؤسسة بالتوازي مع مؤسسة "العاد" الاستيطانية الأخرى، وقد أقامت مؤسسة عطيرات معهدا دينياً في المنازل التي تمت استولت عليها من الفلسطينيين في باب" خان الزيت" وأسموه (كوليل جاليسيا) في منطقة الصبرة، وأقام الاحتلال في الدور العلوي فيما يسمى "بكلية الهيكل والقدس"، وإقامة هيرودس جيت في المنطقة الواقعة إلى جوار باب الساهرة. ومؤسسة عطيرات لها نفوذ كبير داخل مؤسسات الاحتلال الإسرائيلي، ولها انتشار واسع في أميركا وتحظى بدعم من المليارديرات اليهودي الأمريكي "اورفينج ميسكوفيتش" ويزعم هذا الأخير بأنه سيسمح لليهود وحدهم بالعيش في مدينة القدس بعد عودة المسيح(حسام محمد يونس، 2014، ص146-147).

إن التخوف الحقيقي من إجراءات الاحتلال السابقة الذكر، هو أن الاحتلال يؤكد رغبته الجامحة بتحقيق هدفه وهو انتزاع مدينة القدس من الحيز الفلسطيني، وبهذا سيقضي نهائياً على قابلية الدولة الفلسطينية بالحياة. بالإضافة إلى خطر أن يعترف العالم بشكل عام بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لدولة الاحتلال وهذا يعني أن الاحتلال يسعى دائما لتحقيق ما يسمى بسياسة الأمر الواقع الذي يتبناه بعد أن يقوم بطمس معالم الحضارة العربية الإسلامية والمسيحية وإقامة الهيكل الثالث حسب زعمهم(عدنان أبو عامر، 2009، ص67).

وهذه الرأي يتوافق مع الباحث (خالد عزب،2010) والذي أشار إلى أن الاحتلال يعتمد على سياسة الأمر الواقع، ولتحقيق هذه الغاية تم نقل أجهزة دولة الاحتلال إلى القدس ويعتقدون بأن القدس ينقصها القاعدة الاقتصادية الواسعة لليهود وينقصهم وفرة الأرض.

إن أهم فكرة لدى الحركة الصهيونية في محاولتها لتغيير الواقع الموجود في القدس خاصة ضد سكانها الأصليين هو الاستبعاد وتغيير الخارطة الديمغرافية، وهذا يتفق مع الأيديولوجية الصهيونية المرتكزة على اثنية واحدة لا ثان لها أي تصبح دولة ذات أيديولوجية ودين يهودي واحد(نور الدين مصالحة، 1993، ص3)، وقد اتفق الباحث أسامة الحلبي مع (إبراهيم أبو لغد، 1982) في عرضه لنتائج ما وراء رمزية الجدار الجغرافية الذي أقامه الاحتلال الإسرائيلي في مناطق أراضي عام 1967، أما الهدف المخفي والأوسع لهذا الجدار هو السيطرة على الأرض والإنسان الفلسطيني معا(أسامة حلبي، 1997، ص21-22).

إن الهدف من هذا الجدار اخطر من ذلك بكثير فهو يهدف إلى اقتطاع جزءا مهما في تشكل الهوية الفلسطينية التي ارتبطت بالأرض والتراث كرموز لهويه معرفية وجدانية تدعم مقاومة الصمود، ويهدف إلى خلق حاجز نفسي ووجداني محبط وخطير في إطار تشكيل بنية التفكير الفلسطيني الذي يرمي إلى انسلاخهم عن أرضهم وبالتالي فقدان هويتهم، هذا عدا عن وجود علامات فارقة حاولت تجنيد ما أمكن من صور مشوهة أخرى تقدم للعالم بشكل فاضح تحت شعار نستطيع أن نطلق عليه مجازاً "جدارية خوف اليهودي من العربي" كمدلولا إضافيا لمفهوم الإرهاب وقد اتفق على تداول أبعاده كما هو معروف لدى الساسة!.

وهذا يتفق مع تحليل المفارقة المركبة التي أشار إليها الباحث(محمد فرحات، 2010 ص105)، في رؤية الاحتلال الإسرائيلي لسكان القدس كمشكلة بنيوية وجوهرية أمام إستراتيجية الاحتلال بتحقيق وجود (إسرائيل) بشكل حاسم ومطلق، واكتساح الفضاء بالمعنى الرمزي اليهودي الأوحد، وإذا ما تبقى من أحد من السكان الأصليين يمكن تحويلهم إلى فئات وأقاليم مقهورة أو مستبعدة وهذا ينطبق إلى حد ما مع (ادوارد سعيد) وأشار إدوارد سعيد في البعد الآخر على لسان " (Eisenzwieg Uri) بأن اليهود الأوروبيون كان لديهم في الخيال اليهودي أراض مقدسة حيث كانوا يتطلعون إلى يوتوبيا وتعني "أفكار متعالية تتجاوز نطاق الوجود المادي للمكان وتحتوي على أهداف ونوازع العصر غير المحققة، ويكون لها تأثير تحويلي على النظام الاجتماعي القائم"،(معجم المعاني الجامع عربي / عربي)، أي أنه يمكن القضاء على كافة الظروف التاريخية ويحققوا آمالهم وكأن فلسطين تابعة لأوروبا! ويعتبر ذلك تجسيدا لرغبة غير واعية في إعادة خلق مكان مغلق (Chattel) يتم استبعاد الغرباء(الفلسطينيين) منه! ويعتقد (Eisenzwieg)أنه فعلا تم استبعاد الفلسطينيين من خلال قوة الخيال(ادوارد سعيد، 1981، ص 21-23)، إلا أن هذه النتيجة لا يمكن اعتبارها صحيحة حيث أن عدد الفلسطينيين في آخر إحصائية وصل عدده (435000) ألف نسمة في القدس وضواحيها(جهاز مركز الإحصاء الفلسطيني،2017) وما زالوا يقاومون من خلال رموزهم الثقافية والدينية والمعرفية.

تستمر محاولات الاحتلال الصهيوني انتزاع أشد هذه الرموز صلابة كبقعة جغرافية تتجمع فيها عدة رموز مثل استمرار محاولة الاحتلال مصادقة ما يسمى بالمجلس القطري على بناء 4500 وحدة استيطانية جنوب القدس المحتلة في المنطقة التي تسمى(رخس لفان) ويطلق عليها فلسطينيا "التلة البيضاء" قرب قرية الولجة القديمة والمهدمة عام 1950 وهذا يعني مصادرة 600 دونم للاستيطان، و1000 دون للمنتزه(نشر على موقع معا 2017/9/6)، وقد اتفقت هذه النتيجة مع الباحثة (بيان الحوت، 1991) في ان الاحتلال الصهيوني اعتمد على سياسة الترحيل والإقصاء والإنكار في سياق اعتقاد شعب الله المختار، وهي فكرة إجرامية غير موجودة في الشرائع السماوية، ويتقاطع هذا الرأي مع روجي بارت (1984) الذي رأى في مقولة "شعب الله

المختار" أنها جريمة سياسية تضفي صفة القداسة على كل ألوان العذاب والتوسع على حساب الأصل.

يلاحظ من خلال الأبحاث السابقة أنها كانت في معظمها دراسات غير امبريقية (غير تجريبية) اكتفت بالإشارة إلى بعض الإجراءات الاحتلالية التي يمارسها الاحتلال الإسرائيلي مكتفين بالمراجع التاريخية والقانونية ولم تلجأ إلى اخذ عينة بحثية من الفلسطينيين أنفسهم كما أنها لم تستخدم المنهج السيميولوجي.

القسم الثاني من الادب المرجعي: ذكر الباحث (برهان الدجاني، 1998) في دراسته "أهمية دور الاقتصاد في صمود القدس" من خلال إعادة صناعة الحرف اليدوية، والتغلب على البطالة والتأكيد على دعم المشاريع الاقتصادية وتشجيع الاستثمار في السياحة الإسلامية والمسيحية للمدينة العربية، وهناك دراسات أخرى مشابهة مثل دراسة (أحمد فهيم جبر، 1998) حيث إهتم بإبراز ما هو المطلوب اتجاه القدس من حيث مشاركة الأدب بأنواعه في دعم صمود القدس وإحياء المناسبات الوطنية لتأدية نفس الهدف ، والتأكيد على أهمية العوامل الاجتماعية كقيم التضامن والمحبة والاحتفال بالمناسبات الدينية وإحياءها مثل الإسراء والمعراج، وموسم النبي موسى، وعلى الرغم من تراجع مثل هذه القيم إلا أن أهل هذه المدينة متمسكون بها تاريخياً.

وهناك من نادى نظرياً بأهمية "دور النضال الشعبي في صمود أهل القدس "مثل دراسة(بهجت أبو غربية ،1998) وكان أبرز نتائج هذه الدراسة ضرورة عدم وضع النضال الفلسطيني خارج نطاق النضال العربي والإسلامي بعامة. وكذلك دراسة(عبد الله عوض الخباص، 1998) التي جاءت تحت عنوان" دور الأدب في صمود القدس" حيث اهتم بمساهمة الشعراء والأدباء في مديح ورثاء القدس. وهناك أيضا عددا من المسرحيات التي حاولت أيضا إبراز مكانة القدس والخطر المحدق بها مثل " مسرحية المصير ليوسف جاد الحق؛ أسرة الشهيد لمحي الدين الحج عيسى؛ راحيل لنجاتي البخاري، الطريق إلى القدس لعابدين بسيسو"(أبحاث الندوة التاسعة، 1998).

وعلى الرغم من أهمية الدراسات السابقة في الأدب الحديث من مؤرخين وباحثين وشعراء وأدباء، إلا أن أي من هؤلاء لم يستخدم المنهج السيميولوجي في تفكيك وتحليل سياسات الاحتلال بالاعتماد على أدوات المنهج الكيفي، ولم يتم إجراء المقارنات من خلال المقابلات مع أفراد المجتمع الفلسطيني أنفسهم من مختلف المناطق الفلسطينية في القدس المحتلة، للوقوف على أهم المصاعب التي يعانون منها وبالتالي معرفة رؤيتهم حول طرق صمودهم وتعزيز رموزهم التراثية والدينية والحضارية في القدس المحتلة. أي أن مجمل هذه الأبحاث ليس امبريقيا.

مشكلة البحث والأسئلة:

هناك العديد من إجراءات الاحتلال الصهيوني المتنوعة، التي تستهدف ترحيل الفلسطينيين المقيمين في القدس المحتلة وطمس وسرقة وتزييف أهم الرموز المقدسية كالرموز الثقافية والدينية والمكانية وغيرها. لذلك فإن تحليل أبعاد هذه الإجراءات والكشف عنها مهم جدا، كما سيتم التعرف على أهم طرق صمود الفلسطينيين في القدس التي ينتهجونها لمواجهة إجراءات الاحتلال الصهيوني التي تهدف إلى فرض واقع جديد يبعث على الاستسلام وضياع الهوية. حيث سعى الباحث إلى الإجابة عن السؤال المركزي التالي: كيف يقرا ويعي الإنسان الفلسطيني سياسات وإجراءات الاحتلال الصهيوني ودلالاتها السيميولوجية في القدس المحتلة من وجهة نظر الأجيال الفلسطينية الثلاثة(الأجداد، الأبناء، الأحفاد)؟ ويتفرع عن هذا السؤال سؤال آخر وهو: ما هي وسائل وطرق الصمود الفلسطيني في القدس المحتلة أمام سياسات وإجراءات الاحتلال الصهيوني ودلالاتها السيميولوجية من وجهة نظر الأجيال الفلسطينية الثلاثة(الأجداد، الأبناء، الأحفاد)؟

أهمية البحث:

تعتبر هذه الدراسة الأولى من نوعها في استخدام المنهج السيميولوجي بالاعتماد على استخدام أدوات المنهج الكيفي، من وجهة نظر المبحوثين أنفسهم، وإعادة تمظهرها في الوعي الفلسطيني وليس من وجهة نظر الباحث الشخصية فقط، وليست عين الكاميرا التي أعدت لإعطاء إطار معد سلفا كما حصل في الاتفاق الذي تم بين الأردن والاحتلال الإسرائيلي حول وضع كاميرات في الأقصى (رفض أهل القدس هذا الاقتراح)، ووضع البوابات الإلكترونية وإغلاق الأقصى(تم رفضها ومقاومتها فلسطينيا)، حيث كان الهدف من هذه الدوال مدلولات تشير إلى اختزال عملية البطش وسياسات التهويد من قبل الاحتلال لأنها خارج نطاق العدسات المرئية! وهذا يعتبر من ضمن معايير التيهان السياسي والشرود الذهني حيث تختزل الرواية والأحداث في رقعة ضيقة هنا أو هناك.

ومن الأسباب الأخرى التي دفعت الباحث لإجراء هذه الدراسة هو أن هناك تخوفاً حقيقياً من ضياع الأكثر رمزية في حياة وتاريخ الشعب الفلسطيني رمزاً تلو الآخر، وهذا يمكن لمسه في روايات وقصص المقدسيين خاصة فيما يدور داخل القدس وانسحاب ذلك إلى خارج مدينة القدس، كما أبرزت هذه الدراسة أهم طرق صمود الفلسطينيين في القدس المحتلة لمواجهة سياسات الطمس للرموز الثقافية والوطنية صهر الوعي الفلسطيني. كما ستشكل هذه الدراسة مرجعا مهما للباحثين وللمؤسسات الوطنية الفلسطينية المتنوعة.

حدود ونطاق البحث:

موضوع هذا البحث يهدف إلى تناول إجراءات الاحتلال الإسرائيلي في القدس المحتلة لاستهداف الفلسطينيين واستهداف الدور الأساسي الذي تلعبه الرموز المخفية والمعلنة لمدينة القدس في تشكيل بنية الهوية المعرفية للمواطن الفلسطيني عبر الأجيال الثلاثة للأسرة الفلسطينية في مناطق وضواحي القدس المحتلة، وسيتم القيام بهذا البحث من خلال المنهج السيميولوجي بالاعتماد على أدوات المنهج الكيفي والذي يعتبر الأكثر ملائمة لإجراء مثل هذا النوع من البحوث. وسيتم إجراء مقارنة بين الفلسطينيين من مختلف مناطق القدس المحتلة وبين الأجيال الثلاثة في مدى تشكيل البنية المعرفية في الهوية المقدسية.

منهجية البحث:

انطلاقا من الهدف المحدد لهذه الدراسة يرى الباحث أن استخدام المنهج السيميولوجي بالاعتماد على أدوات المنهج الكيفي يعتبر أكثر ملائمة لتحقيق هدف الدراسة، وهو الوصول إلى تحليل وفهم معمق في كيفية نشوء العلاقة الديناميكية بين الدال والمدلول داخل الأسرة عبر الثلاثة أجيال، وبهذا فمن الصعب على البحث الكمي قياس هذه الظواهر والعوامل (Naila Kabeer, 1994). حيث عرف بارت مفهوم السيميولوجيا بأنه "العلم الذي يدرس مختلف الدلائل كيفما كانت العلاقة بين الدوال والمدلولات، وتوسع بارت في التعريف قليلا ليشمل كافة العلامات والرموز مع التأكيد على الوشائج (تشابك وتداخل) بين السيميولوجيا واللسانيات البنيوية (الدراسات العربية بالكلية متعددة التخصصات، 2013).

يعتبر بعض الخبراء أن استخدام أدوات البحث الكيفي يمكن الباحثين من التوصل إلى فهم أعمق للظواهر الاجتماعية والنفسية (A Bryman, 1988) وتعتبر مادة التحليل التي ينقلها المبحوثين من كلمات وصور وتصرفات في سياق تجاربهم وخبراتهم مادة رئيسية في التحليل وليس الاعتماد على البيانات الإحصائية (Jane Gilgun, 1992) .

إن النظرة الشمولية التي تدخل بعمق في كل تفاصيل السيميولوجيا، من شأنها أن تساهم بشكل أعمق في دراسة هذا النوع من المواضيع، وتحديدا في سياق تحليل المعاني للإجراءات والتي تأخذ أشكالا متعددة من السلوكيات، حيث أن المعلومة المستقاة منهم هي بالأساس مادة التحليل،

ولذلك سيتم الاستعانة بنظرية السيميولوجيا الاجتماعية(محسن بوعزيزي، 2010) كمرجعية في القراءة السيميولوجية لنتائج البحث.

أدوات البحث:

سيتم استخدام المقابلة المعمقة لدراسة الأسر المكونة من ثلاثة أجيال، من خلال تقييم توجهات المبحوثين داخل هذه الوحدات البحثية، ودراسة دلالات إجراءات الاحتلال الصهيوني الاقتصادية والسياسية العسكرية والتعليمية والسياسات المعلنة والخفية التي تستهدف الفلسطينيين ورموزهم في القدس المحتلة وطرق صمودهم، من وجهة نظر الأجيال الفلسطينية الثلاثة(الأجداد، الأبناء، الأحفاد)، وتم إعداد دليل المقابلة واشتمل على ثلاثة قضايا تناولت الخلفية الاجتماعية وإجراءات الاحتلال الصهيوني ضد المواطن الفلسطيني ورموز هويته، وطرق ووسائل الحفاظ على الهوية المقدسية.

خصائص العينة وطريقة اختيارها:

تم اختيار عينة عشوائية مكونة من 15 أسرة فلسطينية ممتدة موزعين على مناطق وضواحي مدينة القدس كونهم يستطيعون رصد التغييرات الحاصلة أكثر من غيرهم، وتحتوي كل أسرة على ثلاثة أجيال (الجد والجدة، الابن وزوجته، الحفيد والحفيدة)، حيث كان عدد الأفراد النهائي الذين تمت مقابلتهم 90 فردا، وتم مراعاة التنوع في الخلفية الاجتماعية والاقتصادية والسكنية ومراعاة مستويات الأعمار والتعليم وتم اختيار العائلات بشكل عشوائي وطوعي وبالتنسيق معهم. وهناك بعض الصعوبات الميدانية التي قد واجهت الباحث والفريق الميداني المساعد كان من أبرزها المعاناة في الوصول إلى كافة مناطق وضواحي مدينة القدس الموجودة فيها الأسر بسبب التواجد المكثف لعناصر الاحتلال ونقاط التفتيش، وتم وضع رموزا بدلا من الأسماء الحقيقية للمبحوثين.

نتائج الدراسة:

أولا: سياسات الاحتلال الصهيوني في القدس المحتلة على النحو التالي:

1. سياسات الاحتلال الاقتصادية:

لوحظ أن هناك تقارباً كبيرا في مدى الوعي حول سياسات الاحتلال الاقتصادية والتي كان من أبرزها (محاربة القطاع السياحي الفلسطيني وتشويه صورة الفلسطيني، تقديم إغراءات للفلسطينيين للشراء من المحلات التجارية الصهيونية مثل محل يدعى "الكنيون" ومحلات رامي ليفي"، سياسة إغلاق المحلات التجارية والاستيلاء عليها واعتقال أصحابها، التضييق على حركة التنقل التجارية داخل القدس، عدم السماح بإدخال المنتجات الفلسطينية من الضفة إلى القدس، عدم إقرار المشاريع التنموية في القدس، حرمان البسطات من البيع في القدس، نشر البطالة، رفع قيمة فواتير الكهرباء والماء على المقدسيين، التمييز العنصري في الوظائف، سحب التأمين الصحي، بناء مجمعات تجارية منافسة للسوق الفلسطيني مثل المجمع الملاصق لأسوار البلدة القديمة، أجرة البيوت والعقارات المرتفعة، مصادرة وحجز لمقتنيات فلسطينية مثل الأدوات الكهربائية ومصادرة بضائع من التجار وفرض ضرائب باهظة على التجار). ذكر الجد(أ/1) "أنا صاحب محل في شارع صلاح الدين تقوم قوات الاحتلال بضرب اقتصادنا من خلال استقطاب السائحين الأجانب لمحلاتهم ، ومصادرة بضائعنا".

لوحظ أن هناك تقاطعات كبيرة في نص الشارع الدعائي الفلسطيني وفق ضبابية يفقد فيها الفلسطيني سلطته على ضبط قواعده الاقتصادية في ظل مزاحمة البضائع والمنتجات الصهيونية وتفوقها عليها إعلاميا ويعتبر إفقار البضائع الفلسطينية المحلية لقيمتها الاقتصادية ولمجالها هو محاولة لإفقار الهوية المقدسية من رموزها وضرب مقوماتها. من الملاحظ أن أهمية الأساليب الدعائية الاقتصادية للاحتلال تكمن في وظيفتها الإيحائية التي تحاول لوي ذراع المستهلك

الفلسطيني وتستهدف توجيه سلوكه مثل التأكيد على قيم الأناقة والأفضلية والنخبة، فالناس هم ما يشترونه أو بالأحرى ما يستطيعون شراؤه، أن هذه اللغة هي لغة الأقوى في القدرات والإمكانات ولا يهمها الخطأ والصواب هنا بل تدير ظهرها للواقع الموضوعي لتخلق عالمها من خلال النماذج وتحريك الرغبة وتشغيل الإغراء على قلته "وهذا يسمى بذرائعية العلامة" حسب تعبير(محسن بوعزيزي، 2010، ص18).

2. سياسات الاحتلال السياسية والعسكرية:

ابدي الفلسطينيين من كافة الأجيال تخوفا كبيرا من أهداف تلك السياسات والتي كان من أبرزها(كثرة الحفريات تحت المسجد الأقصى وباقي المناطق المقدسية مثل سلوان، فصل القدس عن باقي المناطق الفلسطينية، بناء وتوسيع المستوطنات حول القدس، منع التصاريح لأهل الضفة الغربية والقطاع لدخول القدس، اقتحامات الأقصى المتكررة من قبل المستوطنين وجنود الاحتلال، اقتحامات جنود الاحتلال لمنازل الفلسطينيين وترويع أهلها، كثرة الاعتقالات وسياسة الضرب، تهجير الفلسطينيين من المنازل وباقي العقارات، إهمال البنية التحتية للقدس الشرقية، عدم السماح بترميم المنازل، إغلاق المؤسسات الفلسطينية، نبش المقابر، إقامة فعاليات ومهرجانات وسباقات متعددة مثل مهرجان الأنوار، التحرش بالفتيات الفلسطينيات من قبل جنود الاحتلال، كثرة الهجرات الوافدة للقدس، استغلال الإعلام لنشر الأكاذيب وتشويه الحقائق، بناء جدار الفصل العنصري، سحب الهويات المقدسية ومنع لم الشمل، الأبعاد عن القدس، حرق السيارات الفلسطينية وإعطابها، بناء ثكنات عسكرية داخل المناطق السكنية، بناء سكة القطار الخفيف، حرمان أهالي الشهداء من دفن شهداؤهم، كثرة وضع اللافتات باللغة العبرية، إغلاق المساجد والكنائس ومنع الأذان، سياسة العقاب الجماعي مصادرة الأراضي والمنازل بحجج أمنية، بناء تل فريك فوق القدس عام 2020، القوانين العنصرية، سياسة فرق تسد، حرق المسجد الأقصى ومحاولات هدمه، عدم إعطاء تراخيص للإدلاء السياحيين العرب، فرض سياسة الوكيل للتحكم في السياحة والسياح). ذكرت زوجة الابن (ث/2) "يقوم الاحتلال بالاستمرار بالحفريات في كل مكان وخاصة تحت المسجد الأقصى وكثرة الاعتقالات وسياسة الترهيب ضدنا وحرق السيارات من قطعان المستوطنين للضغط علينا".

من الملاحظ أن تلك السياسات العنصرية قد تم ربطها بالسياق الاجتماعي المعيشي للسكان الفلسطينيين والذي يراد له أن ينتج نسيجا جديدا من خلال إفساح المجال لتتبع حركة العلامات الجديدة داخل مناطق القدس والجغرافيات الاجتماعية الفلسطينية، حيث يراد لهذه العلامات ان تصبح نتاجا اجتماعيا يرتبط بأوضاع الفلسطينيين المهمشين وربطهم بعلاقات القوة المهيمنة للاحتلال الصهيوني، وحينها تصبح العلامة القديمة والجديدة موضع رهان وصراع وكفاح لنشر العلامة الأشد أثرا في البنية المعرفية لضمان استمرارها، وقد أبدى الفلسطيني وعيا لمكانة القدس بما لها وما عليها من علاقات ورموز معنوية ومادية لتشكل هوية متراصة يصعب على المحتل قمعها وطمسها إلا ما قد ينتجه أحيانا من صور مزيفة.

3. سياسات الاحتلال التعليمية:

لوحظ أن هناك تقاربا كبيرا في مدى الوعي المعرفي لدى الأجيال الفلسطينية حول سياسات الاحتلال التعليمية وكان من أبرزها(فرض مناهج الاحتلال الصهيوني مثل "بجروت" الذي يعتمد على الرواية الصهيونية، حذف المفاهيم والأسماء الوطنية وكل ما يتعلق بالهوية والانتماء الفلسطيني من المناهج، تحريف وتزييف القصص والتاريخ الفلسطيني، تعليم الطلاب اليهود أساطير كاذبة، عرض أفلام تاريخية مزورة على سور القدس مثل فلم سليمان وتاريخ اليهود، كثرة اعتقال الطلاب الفلسطينيين وتفتيشهم، اقتحام المدارس العربية وإغلاقها وعرقلة الوصول إليها، القيام بجولات وزيارات عديدة للطلاب اليهود في القدس وجميع أحيائها، إقامة مهرجانات

وبازارات عديدة للتطبيع مع الطلبة اليهود، تسرب الأطفال الفلسطينيين من المدارس، اكتظاظ الصفوف المدرسية لدى الفلسطينيين، عدم السماح ببناء مدارس للفلسطينيين، منع الأناشيد الوطنية، فرض اللغة العبرية في المناهج العربية، إهمال الأنشطة المخبرية، عدم توظيف أساتذة فلسطينيين لهم سوابق أمنية، تعليم الطلبة اليهود على حب "إسرائيل"، كثرة اعتقال المدراء الفلسطينيين بحجج أمنية، التمييز في قوانين توظيف المعلمين، تدني أجرة المعلم الفلسطيني، تقليص ميزانية المدارس)، ذكر الحفيد(ت/7) "هناك الكثير من الفعاليات اللا منهجية للطلاب اليهود مثل الزيارات الميدانية لكل مناطق القدس وتعليمهم معلومات مزورة من تلك المناطق".

لوحظ أن جميع هذه السياسات تستخدم من قبل الاحتلال الصهيوني بهدف إحلال بنى معرفية جديدة تخترق نطاق الهوية الفلسطينية لطمس الهوية الفلسطينية المقدسية لطمس رموزها التي يعرّف الفلسطيني ذاته من خلالها، وتشير الدلالة العامة لتلك السياسات إلى تقويض وهدم بنى قيمة لدى الفلسطيني كمدلولا اضافيا، حيث تتعرض الكلمات والرموز الوطنية للحذف (كمنع النشيد الوطني الفلسطيني) وكذلك اعتقال المعلمين، وهذا يعتبر مهمة أخرى في صلب عملية التأكيد لفهم دلالة مفاهمية جديدة تمر من خلال اختراق الصور وتزييف الحقائق وفرض المنهاج الصهيوني كما ينبغي له (حيث الترويج لهذه الرموز الاحلالية ضخما جدا لتبيان فضائل المنهاج الصهيوني).

4. سياسات الاحتلال الخفية والعلنية:

لقد كان ابرز تلك السياسات متمثلة في السياسات الخفية (وضع الكاميرات، سرقة الآثار الفلسطينية، حفر الأنفاق السرية، خلق حالة من الرعب، سرقة الأكلات الشعبية مثل الحمص والفلافل شراء البيوت والعقارات بطرق سرية وملتوية مثل: (الوكلاء العرب)، ترقيم الشوارع والبيوت الفلسطينية، التطبيع مع الصهاينة، دعم مادي من أثرياء اليهود للمستوطنين والمؤسسات الاستيطانية، نشر المخدرات، سرقة أوراق الطابو، محاولة وضع البوابات الالكترونية، وجود العديد من المؤسسات الصهيونية الناشطة في مجال الاستيطان وفرض رموز مهيمنة من خلال مؤسسات وجماعات خاصة مثل جماعة أمناء جبل الهيكل التي تحاول هدم الأقصى وحرقه، كيرن كيمت (الصندوق القومي اليهودي)، التأمين الوطني الصهيوني، المركز الجماهيري، جمعية صندوق الهيكل، مؤسسة العاد الاستيطانية، منظمة عطيرات كوهانيم وتعني التاج الكهنوتي (للمزيد من التفاصيل حول هذه المؤسسات يمكن النظر للتعريفات في ملاحق البحث).

ذكرت الأم(ث/12) "قامت البلدية بتغيير الكثير من الأسماء للمحلات والشوارع والأماكن العربية مثلاً ثم تدمير حي المغاربة المجاور للمسجد الأقصى لتوسيع ما يسمونه حائط المبكى بدلاً من حائط البراق".

لوحظ من خلال ما سبق ان هناك تقاربا في وعي الأجيال الفلسطينية لتلك السياسات العنصرية مع درجة وعي أقل نوعا ما لدى أفرد الجيل الثالث حول الإلمام والمعرفة بأسماء الشوارع والأحياء القديمة المقدسية التي تعرضت للطمس.

إن الكشف عن سياسات الاحتلال العلنية والخفية التهويدية يعتبر عنصرا مقاوماً من اجل قهر الاحتلال وكشف ألاعيب العلامة في بعدها الإكراهي وسحريتها الداعية إلى الطاعة(محسن بوعزيزي،2010، ص 18). لكن يبقى الشرط الأساسي هو القدرة على الكشف عن ألاعيب العلامة الذي يكمن في مدى وعي وإدراك الفلسطيني لبعدها الخفي ولذلك فقد عمد الاحتلال إلى إيجاد علامة تركيبية منسجمة بين المؤسسات الخفية التي تنشط بالخفاء والعلنية كالبلدية التي تخلق معنى لرمز مؤسطر على حساب تدمير رمزا أصيلا كهدم البيوت واستحالة الحصول على تراخيص البناء للفلسطينيين مقابل بناء الحدائق التوراتية والمناطق الخضراء وبهذا المفهوم يمكن القول أن جميع مؤسسات دولة الاحتلال الصهيوني إنها عاملة وفاعلة بالقوة التدميرية بل وهي

أهم وسائل الاحتلال للنيل من رموز الهوية المقدسية، (وهذا يعني خلق عناصر رمزية بديلة لعناصر أصيلة)، إن التخوف القائم في مدينة القدس هو أن هناك معنى متولد من علاقة عناصر غائبة ومعزولة ولكنها بدت وكأنها تلاحمت في الواقع المقدسي، فهذا الشارع الفلسطيني المقدسي قد عبر عنه برقم جديد وتسمية جديدة محاطة بلافتات عبرية ومعبرنة(عربي وعبري) حيث يمكن اعتبار الشارع فضاء مستثمرا للمهيمن بحسب خطة مرمزة لديه على الرغم من أنها غير أصيلة وهذه النتيجة تتفق مع رأي(محسن بوعزيزي، 2010، ص142).

ثانيا: طرق الصمود الفلسطيني في القدس المحتلة:

أكد المبحوثين وبشكل عام على ضرورة القيام بعدة خطوات في مجالات مختلفة والتي يعتقدون أنها فاعلة في صمودهم وقد عبروا عنها من خلال دور الأسرة الفلسطينية، دور الاقتصاد، ودور التعليم.

الدور الأسري: فقد أبدى معظم أفراد الأجيال الفلسطينية ضرورة قيام الأسرة بعدد من الخطوات والأدوار لتعزيز وتثبيت الرموز المعنوية والمادية ومن ابرز هذه الأدوار(ضرورة تعليم الأبناء والبنات حب الوطن وتعزيز شعور الانتماء للقدس وفلسطين، تعليم الأبناء ضرورة الدفاع عن القدس، تشجيع الأبناء والبنات للصلاة في الأقصى واللعب في ساحاته، سرد القصص الفلسطينية التاريخية للأطفال، زيارة كافة الأماكن والمناطق المقدسية، الاستمرار في الرباط في الأقصى اعتبار الصبر هو النصر، التأكيد على ضرورة الوحدة الوطنية، بحاجة لوقفة دولية أمام سياسات التهويد، إحياء الطقوس الدينية، عمل أنشطة ترفيهية للجميع في الأقصى مثل الأكلات الشعبية، التأكيد على أن القدس مصدر إشباع روحي، استثمار الإعلام لنصرة القضية الفلسطينية وخاصة القدس، زيادة المحبة والتعاون بين الفلسطينيين أنفسهم، رفض أي شكل من أشكال البيع للبيوت والعقارات للصهاينة، ضرورة المقاومة الشعبية، محاسبة العملاء والسماسرة، محاربة تجارة المخدرات، إنشاء مؤسسات للدعم الأسري الاجتماعي والنفسي، زيادة نسبة المواليد الفلسطينيين من وجهة نظر الجيل الأول والثاني عكس وجهة نظر معظم أفراد الجيل الثالث، ركز أفراد الجيل الثالث على ضرورة إنشاء أندية متنوعة للشباب والحفاظ على نادي أبناء القدس ونادي برج اللقلق وتشكيل اللجان الشعبية). ذكرت الأم (ث/3) "نحن نعلم الأجيال المحافظة على مدينة القدس وأهمية الحفاظ على مقدساتها ومعالمها دون الخروج منها"، وذكرت الحفيدة (ح/3) "إن الذي يعزز وجودي هو انتمائي وحب القدس وأنا ادعم نفسي لكننا بحاجة لأنشطة ترفيهية وأندية رياضية وثقافية".

يلاحظ مما سبق أن الفلسطينيين يحاولون باستمرار إعادة مملكة العلامات إلى الحياة من جديد عبر الأسرة وصولا إلى تحطيم ما يمكن تحطيمه من رموز مؤسطرة تستهدف رموزهم وهويتهم وقوة صمودهم. ومن الملاحظ ان المحاولات الفلسطينية للصمود تنبع من رواية مصدرها الإيمان بالحق لتشكل نسيجا معرفيا يرتبط بحالة كبيرة من الشغف والتعلق بالمدينة وعلاماتها، على الرغم من الاختلاف في وجهة نظر الأجيال الفلسطينية حول تقليل عدد المواليد من وجهة نظر الجيل الثالث مقارنة بالجيلين الأول والثاني فهذا يشير إلى سوء الأوضاع الاقتصادية، ويظهر التخوف من إشهار العلامة الاقتصادية الصهيونية والتي أثرت نوعا ما ولاقت رواجا صوريا في البنى المعرفية لبعض أفراد الجيل الثالث .

الدور الاقتصادي: يوجد تقاربا كبيرا بين الأجيال الفلسطينية في تحديد أهم خطوات الدعم الاقتصادي متمثلة في(ضرورة الدعم المالي للتجار، دعم قطاع البناء وتوفير السكن، ترميم المنازل، المساهمة في دعم الفلسطينيين لتغطية الضرائب وخاصة (الارنونا: ضريبة الأملاك)، الدعم المالي للحصول على تراخيص البناء، دعم القطاع السياحي الفلسطيني وضرورة توفير أدلاء سياحيين فلسطينيين دارسين في الجامعات الفلسطينية، دعم الفقراء، دعم أصحاب البيوت

المهدمة، مقاطعة المنتجات الإسرائيلية، تشجيع الشراء من المحلات والورش الفلسطينية، خفض إيجار العقارات السكنية ، فتح مشاريع اقتصادية للشباب، تقديم النصح والدعم القانوني، توفير فرص عمل للعمال والخريجين، إنشاء صندوق وطني لإنقاذ القدس، استثمار ارض الوقف الإسلامي والمسيحي في الجوانب الحياتية للسكان الفلسطينيين، إقامة وإنشاء أماكن ترفيهية، رفع جودة المنتج الفلسطيني وزيادة رقعة الأسواق الفلسطينية، دعم المؤسسات المقدسية ماديا)، فقد ذكرت الأم (ث/15) "يمكن تثبيت السكان المحليين في القدس من خلال تخفيض أجور المنازل وترميمها". وذكر الحفيد (ج/15) "لابد من دعم القطاع السياحي وتوفير أدلاء سياحيين فلسطينيين دارسين في الجامعات الفلسطينية، ويجب دعم أصحاب البيوت المهدمة".

لوحظ من خلال ما سبق أن الاهتمام كبير جداً من الأجيال الفلسطينية حول ضرورة الدعم الاقتصادي بش كل عام خاصة في مجال البناء ودعم القطاع السياحي ردا على محاولات الاحتلال الصهيوني لإعادة هيكلة المدينة هندسيا والذي حقق تغيرات كبيرة على ارض الواقع حيث أن البناء العمراني أصبح ضرورة تعادل بناء وتمكين الإنسان الفلسطيني ومن شأن ذلك أن يعطي أولوية للمالك الأصلي من أجل إقصاء الاحتلال كدخيل وفق هندسة معمارية تعزز عرى الأبنية المعرفية البنيوية، إن أسواق المدينة تشير إلى عراقة تاريخية عربية أصيلة لكنها تبقى منطوية على ذاتها إذا لم يتم دعمها ماديا هذا من جانب، ومن جانب آخر ان من يقف في أسواقها يجب أن يعرف رواياتها وإلا سيعود الزائر متنعماً بروعة المناظر دون معرفة رواياتها ورموزها الممتدة عبر التاريخ، وهذا المعنى قد تم استنباطه من حديث المبحوثين بضرورة إيفاد أدلاء سياحيين فلسطينيين مشبّعين بمكونات الثقافة الرمزية الإسلامية والمسيحية والوطنية والتاريخية.

الدور التعليمي: أكد معظم المبحوثين على ضرورة القيام بعدد من الخطوات في مجال التعليم لتمكين صمودهم ومن ابرز تلك الخطوات(ضرورة مواصلة التعليم للأبناء، زيارة الطلاب الفلسطينيين للاماكن المقدسة، عمل مهرجانات وندوات للطلبة في الأقصى، توفير العاب الكترونية في المدارس العربية، التأكيد على سرد القصص التاريخية للطلبة الفلسطينيين، بناء المدارس، توعية الطلبة حول أهمية ومعنى الرموز الفلسطينية، عمل سلسلة قراءة طويلة، عدم استخدام الكلمات العبرية بدلا من العربية، فتح مراكز إرشادية لطلبة المدارس، خفض الأقساط التعليمية لطلبة القدس، توفير ميزانية داعمة للمدارس العربية في القدس، توفير مدرسين ذوي كفاءة علمية للمواد العلمية، الحفاظ على النظافة وخاصة شوارع القدس، أحياء المناسبات الوطنية في المدارس والروضات، حل مشكلة تسرب الأطفال من المدارس، بناء مختبرات علمية حديثة). فقد ذكر الزوج(ت/14) "يوجد ضرورة لتوعية الطلاب الفلسطينيين لمعرفة هويتهم الفلسطينية وعمل ندوات ثقافية لكافة الأبناء وتعزيز المعرفة بالمقدسات الدينية، وضرورة توفير كفاءات علمية في مدارسنا، وفتح مراكز إرشادية نفسية".

لوحظ من خلال ما سبق أن حضارة الفلسطينيين ما زالت تعد حضارة كتابة تحاول جاهدة الحفاظ على التراث والهوية الفلسطينية مقابل سياسة التجهيل و صهر الوعي الفلسطيني لانتزاع اشد العلامات الفارقة في تاريخ الصراع مع الاحتلال الصهيوني وهي هوية الانتماء مقابل تشويه وطمس رموزها، إلا أن التعليم الفلسطيني ما زال ينقصه الإكثار من حضارة الصورة التي لا كتابة فيها نكاية بالصورة الإشهارية المعادية والمتعددة التي يبثها الاحتلال الصهيوني في مناهجه، والمقصود بحضارة الصورة (هي كل الصور والأبنية والرموز المادية والتعبيرية في الثقافة الفلسطينية) وهنا تبرز الحاجة الى عرض هذه النماذج من الصور في المناهج والمعارض والندوات والأفلام والمسابقات في جميع المناطق الفلسطينية وخاصة القدس، وهذا يتقاطع مع(محسن بوعزيزي، 2010، ص119) نقلا عن رولان بارث " لا تقف البلاغة عند حدود النص المكتوب بل إن الصورة يمكن أن تتضمن أحداثا بلاغية "حيث أن من شأن ذلك أن يستثير

خيال المتلقي بغرض تحفيز ملكة التفكير وتعميق الحس الوطني و الانتماء للهوية وحماية رموزها.

خاتمة:

أبدى الفلسطينيون بشكل عام وعبر الأجيال الثلاثة وعيا كبيرا ومتقاربا لمكانة القدس بما لها وما عليها من علاقات ورموز معنوية ومادية، حيث لوحظ ان جميع سياسات الاحتلال الصهيوني في القدس المحتلة وما ينتجه من علامات ورموز سياسية واقتصادية وتعليمية خفية او علنية تكشف عن مناورات الهيمنة والإقصاء والاقتلاع للسكان الفلسطينيين، من خلال السعي الدءوب للاحتلال الصهيوني بالاختفاء خلف طبيعة مصطنعة، ولذلك يعمد الاحتلال إلى تكثيف الإشهار من العلامات الاقتصادية والعمرانية والرموز المؤسطرة والمؤدلجة بطابع ديني وتاريخي مزيف، لاعتقادهم بان ذلك قد يخلق القبول بالأمر الواقع بغض النظر عن الجرائم التي ترتكب بحق الفلسطينيين وهذا يسمى بذرائعية العلامة، في حين يسعى الفلسطينيون من خلال دور الأسرة والدعم الاقتصادي والتعليمي إلى تثبيت صمودهم وإعادة مملكة العلامات العمرانية والتاريخية والدينية الى الحياة من جديد وصولا إلى تحطيم ما يمكن تحطيمه من رموز مؤسطرة احلالية، ومن الملاحظ أن المحاولات الفلسطينية المقاومة تنبع من رواية مصدرها الإيمان بالحق لتشكل نسيجا معرفيا يرتبط بحالة كبيرة من الشغف والتعلق بالمدينة وعلاماتها الممتدة إلى خمسة آلاف عام قبل الميلاد.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم أبو لغد(1982)، الثقافة الفلسطينية وسياسة إسرائيل، فصلية الكرمل، ع5.
2. إبراهيم مطر(1997)، ملكية الأراضي والممتلكات في القدس أساليب الاستيلاء عليها ومصادرتها 1948- 1997، أبحاث الندوة الثامنة ، المركز الثقافي الملكي، عمان، الأردن.
3. أحمد فهيم جبر(1998)، دور المجتمع في صمود القدس، أبحاث الندوة التاسعة، المركز الثقافي الملكي، عمان، الأردن.
4. أحمد رويضي(1997)، تقييد الوجود العربي وتعزيز التواجد اليهودي في القدس، مركز القدس للنساء، القدس.
5. إدوارد سعيد (1981)، تجربة الاستلاب، فصلية الكرمل، بيروت،عدد 3.
6. أسامة حلبي(1997)، الوضع القانوني لمدينة القدس، ومواطنيها العرب، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.

7. إيمان أبو الخير(2014)، انتهاك الحريات الاجتماعية في القدس في الفترة 1967- 2013، مؤتمر القدس العلمي الثامن. سياسات التهويد السكاني في القدس التداعيات والمواجهة، مؤسسة القدس الدولية،غزة.
8. برهان الدجاني(1998)، دور الاقتصاد في صمود القدس، أبحاث الندوة التاسعة،عمان، المركز الثقافي الملكي.
9. بهجت أبو غربية(1998)، دور النضال الشعبي في صمود القدس، أبحاث الندوة التاسعة،عمان، المركز الثقافي الملكي.
10. بيان الحوت(1991)، القضية، الشعب، الحضارة، بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، ط1.
11. الجزيرة. (2017)، القصور الأموية في القدس، www.aljazeera.net/news/alquds/2017/2/20
12. جهاز مركز الإحصاء الفلسطيني.(2017)، www.aljazeera.net/news/alquds/2018/3/29
13. حسام محمد يونس(2014)، دور المنظمات غير الحكومية في دولة الاحتلال في تهويد مدينة القدس، عطيرات كوهانيم وجمعية العاد نموذجا، مؤتمر القدس العلمي الثامن، سياسات التهويد السكاني في القدس التداعيات والمواجهة، مؤسسة القدس الدولية،غزة.

14. خالد عزب(2010)، القدس المدينة والتهويد، الاسكندرية، هلا للنشر والتوزيع، ط1.
15. الدراسات العربية بالكلية متعددة التخصصات تازة(2013)، تعريف السيميولوجيا، www.forcebook.com.51/52/53/54
16. رائف يوسف نجم(1983)، كنوز القدس، عمان، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، مؤسسة آل .
17. طارق بدون عائلة(2008)، الصورة عند رولان بارث، http://itfctk.ahlamontada.net/t163-topic
18. سجى غرة(2017)، ماذا تعرف عن جمعية العاد الاستيطانية، www.qodsucom.ps.2017
19. شبكة معا. نشر بتاريخ 2017/9/6 الساعة 11:32. www.maannews.net/content.aspx?id=921425
20. عبد الله عوض الخباص(1998)، دور الأدب في صمود القدس، أبحاث الندوة التاسعة، عمان، المركز الثقافي الملكي.
21. عدنان أبو عامر(2009)، السياسة الصهيونية اتجاه القدس، مجلة البيان، ع114، الرياض، مركز البحوث والدراسات.
22. محسن بوعزيزي(2010)، السيميولوجيا الاجتماعية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1.
23. محمد عبدالله الهنائي(2012)، المخيال، وفكرة أنهم عرب، الفلق. http://www.alfalq.com/?p=6947
24. محمد فرحات(2010)، القدس: فضاء يشكله المقدس والرموز، الجمعية التونسية لعلم الاجتماع. الهوية والعنف، تونس، الدار العربية للكتاب،عدد 3.
25. المركز العربي للأدب الجغرافي(2012)، القدس كما صورها الرحالة العرب والمسلمون، أشكال هندسة البيوت العمرانية في القدس.
26. المعاني لكل رسم معنى، تعريف ومعنى يوتوبيا في معجم المعاني الجامع عربي / عربي". https://www.almaany.com/ar/dict/ar
27. نواف الزرو(1991)، القدس بين مخططات التهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطيني، عمان: دار الخواجا للنشر، ط1.
28. نور الدين مصالحة(1993)، مفهوم الترنسفير في الفكر والتخطيط الصهيوني 1882-1948،بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1.
29. وائل مجدي(2017)، حائط البراق معلم إسلامي اغتصبه اليهود".www.masralarabia.com
30. وليد مصطفى(1997)، القدس سكان وعمران ". مركز القدس للاتصال والإعلام. القدس. ص73-80. ويكيبيديا(2018). www.wikipedia.org
31. A, Bryman,. (1988). "Quantity and quality in Social research", London. Unwin Hyman.
32. Jane Gilgun, (ed) (1992). "Qualitative methods in family research". London: Sage Publication.
33. Naila Kabeer, (1994). "Research realities: gender hierarchies in development thought". London: VERSO.
34. www.atansim.org.il.

ملاحق الدراسة:

1) قائمة بأسماء المؤسسات الصهيونية العاملة على تهويد القدس حسب ما ذكرها المبحوثين:

* جماعة أمناء جبل الهيكل: أسسها المهاجر اليهودي من جنوب أفريقيا(ستانلي غولدفوت) أحد نشطاء عصابة شتيرن التي إغتالت وسيط الأمم المتحدة (الكونت برنادوت) عام 1948، و الزعيم الحالي لها هو المحامي (غرشون

سلومون) وهو يقود جماعته للاعتداء عل حرم الأقصى بإقامة الصلوات والشعائر اليهودية في ساحاته، وأحيانا يحملون نعشاً رمزيا كتب عليه " دولة فلسطين لن تقوم" وتجدر الإشارة إلى أن محكمة الاحتلال قد سمحت لهذه المنظمة بوضع حجر الأساس للهيكل المزعوم رمزيا قرب حائط البراق (عدنان أبو عامر، 2009، ص104).

* كيرن كيمت (الصندق القومي اليهودي): منظمة صهيونية أسست عام (1901) بهدف جمع الأموال من اليهود لشراء الأراضي في فلسطين وإقامة المستعمرات ونال الموافقة في المؤتمر الصهيوني السادس عام (1903) بالإضافة لشراء الأراضي في سيناء وسوريا وأية أجزاء أخرى من تركيا الآسيوية، وكان لها مقراً أوليا في فيينا ثم في مدينة كولون الألمانية وفي عام 1907 تم تسجيل الصندوق كشركة بريطانية، وتم نقلها إلى مدينة هاغ البولندية بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى وكانت حصيلة نشاطاته لغاية 1947 شراء واغتصاب (933,000 دونم) من أراضي فلسطين"(ويكيبيديا، 2018).

* التأمين الوطني: "مؤسسة أنشأها الاحتلال الصهيوني عام 1953 تحت مسمى الضمان الاجتماعي تحت شعار مساعدة الأطفال والقاصرين والمعاقين والعجزة"، لكنها تستخدم في نفس الوقت كأداة ضغط على الفلسطينيين في القدس لتطبيعهم وإقناعهم بسياسة الأمر الواقع والتسليم به .(ويكبيديا، 2018).

* المركز الجماهيري: من المؤسسات التي أنشأها الاحتلال الصهيوني لعمل أنشطة وفعاليات جماهيرية ومجتمعية وثقافية من اجل التطبيع ودمج الفلسطينيين بثقافة ورموز مختلفةwww.atansim.org.i)

* جمعية صندوق جبل الهيكل: جمعية يهودية مسيحية صهيونية تسعى لتهويد منطقة المسجد الأقصى أسست عام (1983) وتهدف إلى بناء الهيكل الثالث (عدنان ابوعامر،2009، ص 106).

* مؤسسة العاد (كلمة العاد اختصار للمعنى نحو مدينة داود): مؤسسة استيطانية أسست عام (1986) وهي جمعية صهيونية استيطانية متطرفة يمينية يرأسها المستوطن (دافيد باري) والذي عمل مديراً لشركة عميدار الداعمة للبناء الاستيطاني ومساكن اليهود(سجى غرة، 2017).www.qodsucom.ps.2017

* منظمة عطيرات كوهانيم: وتعني التاج الكهنوتي أنشأت عام (1987) في حي الواد شرقي القدس، وتهدف إلى شراء الأراضي والاستيلاء على البيوت من الفلسطينيين خاصة في البلدة القديمة، ولها نفوذ واسع في دولة الاحتلال وكذلك في أمريكا لجمع التبرعات من خلال الأفلام الدعائية لبناء المستعمرات وهدم الأقصى وبناء الهيكل ومن مهامها تهويد البلدة القديمة في القدس، وتحظى بدعم الملياردير اليهودي الأمريكي "اورفينغ ميسكوفيتش"(عدنان ابوعامر،2009، ص 107).

2) دليل المقابلة: الأخت الفاضلة الأخ الفاضل...تحية طيبة وبعد:

يقوم الباحث بإجراء دراسة حول إجراءات الاحتلال الصهيوني المتنوعة في القدس المحتلة من وجهة نظر الأسرة الفلسطينية عبر ثلاثة أجيال (الأجداد، الأبناء، الأحفاد) في محافظة القدس. وقد وقع عليك الاختيار عشوائياً لتكون/ي ضمن عينة الدراسة، لذا أرجو منك التعاون في المقابلة والإجابة عن جميع الأسئلة، بما يتوافق مع وجهة نظرك، علماً بان إجابتك لن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي مع الحفاظ على سريتها، شاكراً لكِ حسن تعاونك.

ملاحظة يتم مقابلة ستة أشخاص من نفس الأسرة (الجيل الأول: الجدة والجد، الجيل الثاني: الابن أي الأب وزوجته أي الأم، والجيل الثالث: الابن والابنة) : (الجزء الأول)

1- العائلة رقم( )
2- حسب سنة الميلاد فإن المبحوث يقع ضمن إحدى الفئات التالية:
أ- الجيل الأول مواليد سنة---- ب- الجيل الثاني مواليد سنة---- ج- الجيل الثالث مواليد سنة-------
3- الجنس 1 -ذكر 2 -أنثى
4- السكن: الرجاء ذكر السكن بالتحديد:...................
5- الحالة الاجتماعية: ا - متزوج/ة ب - أعزب/عزباء ج - مطلق/ة د- أرمل/ة
6- عدد الأولاد: الذكور___الإناث ____:(للجيل الثالث يوجه السؤال كم عدد الذين تفكر في إنجابهم)_

7- المستوى التعليمي للمبحوث: أ -أمي ب -مدرسي أساسي ج- مدرسي ثانوي د- بكالوريوس ذ - دراسات عليا

8- المهنة:..............

9- الوضع الاقتصادي للأسرة : أ- متدني(فقير) ب- متوسط ج -عال د- اعتمد على الأقارب أو أي جهة أخرى حدد-----------

الجزء الثاني:

سياسات وأساليب الاحتلال لطمس الهوية المقدسية ورموزها:

10- حسب علمك وتجربتك ما هي سياسات الاحتلال الإسرائيلي الاقتصادية التي تستهدف اقتصاد مدينة القدس والمواطن الفلسطيني في القدس وكيف يتم ذلك الرجاء ذكر أمثلة ؟

11- حسب علمك ما هي أساليب الاحتلال الإسرائيلي منذ احتلال القدس عام 67 التي تستهدف طمس معالم ورموز مدينة القدس ومقدساتها وتستهدف المواطن الفلسطيني وكيف يتم ذلك مع أمثلة إذا أمكن ؟

12- حسب علمك ما هي سياسات وأساليب الاحتلال الإسرائيلي التعليمية التي تستهدف مدينة القدس ومقدساتها وتستهدف المواطن الفلسطيني في القدس وكيف يتم ذلك مع أمثلة إذا أمكن (مثلا ماذا يعملون في عرض أفلامهم ومسرحياتهم والمتاحف والأنشطة لتربية أجيالهم وسرقة الرموز) ؟

13- حسب علمك ما هي سياسات وأساليب الاحتلال الإسرائيلي المخفية والعلنية لسرقة رموز ومقدسات المدينة الإسلامية والمسيحية وكيف يتم ذلك مع أمثلة إذا أمكن ؟

14- حسب علمك ما هي السياسات السياسية والعسكرية للاحتلال الإسرائيلي التي تستهدف تواجد السكان الفلسطينيين في القدس وكيف يتم ذلك مع أمثلة إذا أمكن (مثل العقاب الجماعي للعائلات الفلسطينية ولأي سبب)؟

15- ما هي اكبر تخوفاتك من سياسات وقوانين الاحتلال (مثل قوانين البلدية) التي تمارس ضد الأماكن المقدسة والعمرانية وشوارع المدينة وضد المواطن الفلسطيني في محافظ القدس مع ذكر أمثلة إذا أمكن ؟

16- بإعتقادك هل إستطاع الاحتلال سرقة أو تشويه أو طمس بعض الرموز التاريخية والمقدسات الفلسطينية في القدس المحتلة الرجاء ذكر أمثلة ثم وضح كيف تم ذلك؟

17- هل عندك علم بمؤسسات إسرائيلية فاعلة في مجال طمس الهوية الوطنية العربية الإسلامية والمسيحية في مدينة القدس؟

18- هل عندك علم بالسياسات الإسرائيلية في محاربة القطاع السياحي في القدس الشرقية مثل منع التصاريح الجماعية للفلسطينيين غير المقيمين في القدس من زيارة القدس وغيرهم ممن يؤيدون الحق الفلسطيني ....الخ؟

الجزء الثالث: سبل ومقومات وطرق الصمود الفلسطيني في القدس المحتلة:

19- كيف ترى دور الأسرة الفلسطينية في تربية أولادها على حب القدس والحفاظ عليها سواء في الحفاظ على المقدسات الإسلامية او المسيحية؟

20- برأيك ما هي أهم الأساليب والخطط التي تعزز وتدعم السكان الفلسطينيين من الثبات في القدس؟

21- برأيك ما هي أهم الأساليب والخطط التي تحافظ على مكانة القدس ورموزها من الضياع خاصة المقدسات الإسلامية والمسيحية؟

* يمكن إضافة أي أسئلة أخرى أو أي ملاحظات تعتقد/تعتقدين أنها مهمة أثناء المقابلة.

Democratic Arabic Center for
Strategic,Political and Economic Studies

Berlin- Germany

Journal of social sciences

International, scientific refereed Journal

Legal deposit V.R33616

ISSN 2568-6739